تفسير
القرآن العظيم

للإمام الحافظ
عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي

طبعة مجودة قوبلت على أوثق النسخ الخطية والمطبوعة، محققة الأحاديث والآثار،
مخرجة القراءات، ذات فوائد منتخبة وفهارس علمية.

تحقيق الأحاديث والآثار
للشيخ عادل بن يوسف العزازي

قام على الخدمة العلمية للكتاب ومقابلة النسخ

أبو الفداء أحمد بن بدر الدين — أبو مجدي جمال بن السيد الأبيض
أبو محمد محمد بن إبراهيم بن شحاتة — أبو طلحة شاهر بن سيد زكي

إشراف ومتابعة
أبي الفداء أحمد بن بدر الدين بن عبد العزيز

المجلد السابع

النجم - الناس

حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع: ٢٠٠٣/١٧٣١٢

الطبعة: الأولى

التاريخ: ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م

المكتبة الإسلامية

الإدارة والفرع الرئيس
القاهرة ٣٣ ش صعب صالح عين شمس الشرقية
ت: ٢٤٩٩١٢٥٤ - ٢٤٩٠٠٦٠٦ فاكس ٢٤٩٠٠٨٠٨

فرع الأزهر: ١ ش البيطار خلف جامع الأزهر درب الأتراك ت/٢٥١٠٨٠٠٤ محمول: ٠١١١٢٧٢٨٧٢٥

E-mail: islamya2005@hotmail.com

facebook Alslamya.2005

سُورَةُ النَّجْمِ

تفسير سورة النجم وهي مكية

قال البخاري: حدثنا نصر بن علي، أخبرني أبو أحمد، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الأسود بن يزيد، عن عبد الله قال: أولُ سورةٍ أنزلت فيها سَجْدة[1]: ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾، قال: فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه، إلا رجلًا رأيته أخذ كفًّا من تُرَابٍ فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قُتِلَ كافرًا، وهو أمية بن خَلَف[2].

وقد رواه البخاري أيضًا في مواضع، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، من طرق، عن أبي إسحاق به. وقوله في الممتنع: إنه أمية بن خلف في هذه الرواية مشكل، فإنه قد جاء من غير[3] هذه الطريق أنه عتبة بن ربيعة[4].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ٤﴾

قال الشعبي وغيره: الخالق يُقسِمُ بما شاء من خَلْقِهِ، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق. رواه ابن أبي حاتم.

واختلف المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ فقال ابن أبي نَجِيحٍ، عن مجاهد: يعني بالنجم: الثُّرَيَّا إذا سقطت مع الفجر. وكذا رُوي عن ابن عباس، وسفيان الثوري. واختاره ابن جرير. وزعم السُّدِّي أنها الزهرة.

وقال الضحاك: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ إذا رُمي به الشياطين. وهذا القول له اتجاه.

وروى الأعمش، عن مجاهد في قوله: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ يعني: القرآن إذا نزل. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٠].

وقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ هذا هو المقسم عليه، وهو الشهادة للرسول -صلوات الله

---

(١) في (ز): (السجدة).

(٢) البخاري (٤٨٦٣، ١٠٦٧)، ومسلم (٥٧٦)، وأبو داود (١٤٠٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١٥٤٩).

(٣) لوحة (٢٥٦ ب).

(٤) في (ز): (عتبة بن شيبة).

وسلامه عليه- بأنه بارٌّ راشدٌ تابعٌ للحق، ليس بضالٍّ، وهو: الجاهل الذي يسلك علىٰ غير طريق بغير علم، والغاوي: هو العالم بالحق العادل عنه قصدًا إلىٰ غيره، فنزه الله ﷺ رسوله وشَرْعَهُ عن مشابهة أهل الضلال كالنصارىٰ وطرائق اليهود، وعن علم الشيء وكتمانه والعمل بخلافه، بل هو - صلوات الله وسلامه عليه- وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد؛ ولهذا قال: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ أي: ما يقول قولًا عن هوًىٰ وغرضٍ، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ أي: إنما يقول ما أمر به، يبلغه إلىٰ الناس كاملًا موفَّرًا من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ، كما رواه الإمام أحمد.

حدثنا يزيد، حدثنا حَرِيز بن عثمان، عن عبد الرحمن بن مَيْسَرَةَ، عن أبي أمامة؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ لَيْسَ بِنَبِيٍّ مِثْلُ الحَيَّيْنِ** -أو: **مِثْلُ أَحَدِ الحَيَّيْنِ**-: **رَبِيعَةَ وَمُضَرَ**». فقال رجلٌ: يا رسول الله، أَوَما ربيعة من[1] مضر؟ قال: «**إِنَّمَا أَقُولُ مَا أَقُولُ**»[2].

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيىٰ بن سعيد، عن عُبَيدِ الله بن الأخنس، أخبرنا الوليد بن عبد الله، عن يوسف بن مَاهَك، عن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيءٍ أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش فقالوا: إنك تكتب كل شيءٍ تسمعه من رسول الله، ورسول الله ﷺ [بشر][3]، يتكلم في الغضب. فأمسكتُ عن الكتاب[4]، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «**اكْتُبْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا خَرَجَ مِنِّي إِلَّا حَقٌّ**»[5].

ورواه أبو داود عن مُسَدَّدٍ وأبي بكر بن أبي شيبة، كلاهما عن يحيىٰ بن سعيدٍ القَطَّان به.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا الليث، عن ابن عَجْلانٍ، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح، عن أبي هُرَيرَةَ، عن النبي ﷺ قال: «**مَا أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّهُ الَّذِي مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَهُوَ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ**»[6]. ثم قال: لا نعلمه يُروَىٰ إلا بهذا الإسناد.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس، حدثنا ليث، عن محمد، عن سعيد بن أبي سعيد[7]، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا**». قال بعض أصحابه: فإنك تداعبنا

---

(١) لوحة (٢٥٧ أ).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٢٥٧، ٢٦٧) ورجاله ثقات عدا عبد الرحمن بن ميسرة. قال الحافظ: مقبول. والحديث صححه الشيخ الألباني. انظر: «الصحيحة» (٢١٧٨).

وقال عنه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٨٤): رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجال أحمد، وأحد أسانيد الطبراني رجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ميسرة وهو ثقة.

(٣) سقط من (ز)، وهي مثبتة في «المسند».

(٤) أي: عن الكتابة.

(٥) صحيح: رواه أحمد (٥/ ١٦٢)، وأبو داود (٣٦٤٦).

(٦) فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث: صدوق يخطئ كثيرًا؛ فالإسناد ضعيف، والحديث رواه البزار (١٢١-مختصر الزوائد).

(٧) في (ز): (أبي سعد)، وهو خطأ.

يا رسول الله؟ قال: «إِنِّي لا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا»(١) .

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن عبده ورسوله محمد ﷺ أنه عَلَّمه الذي جاء به إلىٰ الناس ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ ، وهو جبريل ﷺ كما قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير:١٩-٢١]. وقال هاهنا: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي: ذو قوةٍ. قاله مجاهد، والحسن، وابن زيد. وقال ابن عباس: ذو منظرٍ(٢) حسنٍ [وقال قتادة: ذو خَلْقٍ طويلٍ حسنٍ. ولا منافاة بين القولين؛ فإنه ﷺ ذو منظرٍ حسنٍ](٣) ، وقوة شديدة. وقد ورد في الحديث الصحيح من رواية أبي هريرة وابن عمرو أن النبي ﷺ قال(٤) : «لا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ، وَلا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ»(٥) .

وقوله: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ يعني: جبريل ﷺ. قاله مجاهد والحسن وقتادة، والربيع بن أنس.

﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ يعني: جبريل، استوىٰ في الأفق الأعلىٰ. قاله عكرمة وغير واحدٍ. قال عكرمة: والأفق الأعلىٰ: الذي يأتي منه الصبح. وقال مجاهد: هو مطلع الشمس. وقال قتادة: هو الذي يأتي منه النهار. وكذا قال ابن زيد، وغيرهم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَةَ، حدثنا مُصَرِّفٌ بن عمرو اليامي أبو القاسم، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن طلحة بن مصرف، حدثني أبي، عن الوليد -هو ابن قيس- عن إسحاق ابن أبي الكَهْتَلَةِ أظنه ذكره عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ لم ير جبريل في صورته إلا مرتين، أما واحدة فإنه سأله أن يراه في صورته فسد الأفق. وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد، فذلك قوله: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾(٦) .

وقد قال ابن جرير هاهنا قولًا لم أره لغيره، ولا حكاه هو عن أحدٍ، وحاصله: أنه ذهب إلىٰ أن

---

(١) حسن لغيره: رواه أحمد (٢/ ٣٤٠) وفيه ليث بن أبي سليم: اختلط جدًّا ولم تتميز أحاديثه فترك، لكن يشهد له الحديث السابق (٤٩١٠).

(٢) في (ز): (ذو منطق). (٣) ما بين المعقوفتين سقط من (ز). (٤) لوحة (٢٥٧ ب).

(٥) صحيح: رواه النسائي (٥/ ٩٩)، وابن ماجة (١٨٣٩) من حديث أبي هريرة، ورواه كذلك الحاكم (١/ ٤٠٧) من طريقٍ أخرىٰ عنه، وصححه علىٰ شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

ورواه الحاكم عن ابن عمر، وله شواهد أخرىٰ، وصححه الألباني. انظر: «إرواء الغليل» (٣/ ٣٨٣).

(٦) عزاه لابن أبي حاتم، وفي إسناده مصرف بن عمرو اليامي: مجهول، واعلم أن رؤية النبي ﷺ لجبريل علىٰ صورته مرتان، فالمرة الأولىٰ هي المذكورة في الرواية الآتية، والمرة الثانية كانت ليلة المعراج.

المعنىٰ: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ أي: هذا الشديد القوىٰ ذو المرة هو ومحمد -صلىٰ الله عليهما وسلم- ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: استويا جميعًا بالأفق، وذلك ليلة الإسراء كذا قال، ولم يوافقه أحدٌ علىٰ ذلك. ثم شرع يوجه ما قال من حيث العربية فقال: وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ﴾ [النمل:٦٧]، فعطف بالآباء علىٰ المكنّىٰ في ﴿كُنَّا﴾ من غير إظهار «نحن»، فكذلك قوله: ﴿فَٱسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ﴾ قال: وذكر الفراء عن بعض العرب أنه أنشده:

ألــم تَــرَ أنّ النبــعَ يَــصْلُبُ عُــودُه ... ولا يَــسْتَوي والخَــرْوَعُ المُتَقــصِّفُ

وهذا الذي قاله من جهة العربية متجهٌ، ولكن لا يساعده المعنىٰ علىٰ ذلك؛ فإن هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الإسراء، بل قبلها، ورسولُ الله ﷺ في الأرض، فهبط عليه جبريل ﷺ، وتدلىٰ إليه، فاقترب منه وهو علىٰ الصورة التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح، ثم رآه بعد ذلك نزلةً أخرىٰ عند سدرة المنتهىٰ؛ يعني: ليلة الإسراء، وكانت هذه الرؤية الأولىٰ في أوائل[1] البعثة بعد ما جاءه جبريل ﷺ أول مرة، فأوحىٰ الله إليه صدر سورة «اقرأ»، ثم فتر الوحي فترة ذهب النبي ﷺ فيها مرارًا ليتردىٰ من رءوس الجبال، فكلما هَمّ بذلك ناداه جبريل من الهواء: «**يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ حَقًّا، وَأَنَا جِبْرِيلُ**». فيسكن لذلك جأشه، وتقر عينه[2]، وكلما طال عليه الأمر عاد لمثلها، حتىٰ تَبَدّىٰ له جبريل ورسول الله ﷺ في الأبطح في صورته التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناحٍ قد سد [عُظْم][3] خلقه الأفق، فاقترب منه وأوحىٰ إليه عن الله ﷻ ما أمره به، فعرف عند ذلك عظمة المَلَك الذي جاءه بالرسالة، وجلالة قَدْرِه، وعلوّ مكانته عند خالقه الذي بعثه إليه. فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار في «مسنده» حيث قال:

حدثنا سلمة بن شَبِيبٍ، حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا الحارث بن عبيد، عن أبي عمران الجَوْني، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ إِذْ جَاءَ جِبْرِيلُ ﷺ، فَوَكَزَ بَيْنَ كَتِفَيَّ، فَقُمْتُ إِلَىٰ شَجَرَةٍ فِيهَا كَوَكْرَيِّ الطَّيْرِ، فَقَعَدَ فِي أَحَدِهِمَا وَقَعَدْتُ فِي الآخَرِ. [فَسمَتْ]**[4] **وَارْتَفَعَتْ حَتَّىٰ سَدَّتِ الخَافِقَيْنِ وَأَنَا أُقَلِّبُ طَرْفِي، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَمَسَّ السَّمَاءَ لَمَسَسْتُ، فَالْتَفَتُّ إِلَي جِبْرِيلَ كَأَنَّهُ حِلْسٌ لاطِئٌ**[5]**، فَعَرَفْتُ فَضْلَ عِلْمِهِ بِاللهِ عَلَيَّ. وَفُتِحَ لِيَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ وَرَأَيْتُ النُّورَ الأَعْظَمَ، وَإِذَا دُونَ الحِجَابِ رَفْرَفَةُ**[6] **الدُّرِّ وَاليَاقُوتِ.**

(١) لوحة (٢٥٨ أ).
(٢) جأشه؛ أي: قلبه. وتقر عينه؛ أي: سُرَّ ورضي فهو قرير العين، وقد ثبت ذلك في «صحيح البخاري» (٦٩٨٢).
(٣) بياض في (ز).
(٤) سقط من (ز)، وهي مثبتة في «مسند البزار».
(٥) كذا في (ز)، وفي «مسند البزار»، وقد أثبتتها بعض النسخ (لاطٍ).
(٦) في (ز): (رغرغة)، والمثبت موافق لما في «البزار».

وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يُوحِي»[١].

ثم قال البزار: لا يرويه إلا الحارث بن عبيد، وكان رجلًا مشهورًا من أهل البصرة.

قلت: الحارث بن عُبَيدٍ هذا هو أبو قدامة الإيادي، أخرج له مسلم في «صحيحه» إلا أن ابن معينٍ ضعَّفه، وقال: ليس هو بشيءٍ. وقال الإمام أحمد: مضطرب الحديث. وقال أبو حاتم الرازي: يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال ابن حبان: كَثُرَ وَهْمُهُ فلا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد. فهذا الحديث من غرائب رواياته، فإن فيه نكارةً وغرابةَ ألفاظٍ وسياقًا عجيبًا، ولعله منام، والله أعلم.

وقال الإمام[٢] أحمد: حدثنا حجاج، حدثنا شريك، عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: رأىٰ رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح، كل جناحٍ منها قد سَدَّ الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليمٌ[٣]. انفرد به أحمد.

وقال أحمد: حدثنا يحيىٰ بن آدم، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن إدريس بن مُنَبِّهٍ، عن وهب بن منبه، عن ابن عباس قال: سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته، فقال: ادع ربك. فدعا ربه ﷻ، فطلع عليه سواد من قِبَل المشرق، فجعل يرتفع وينتشر، فلما رآه النبي ﷺ صعِق، فأتاه فَنَعَشَه[٤][٥] ومسح البزاق عن شِدْقه[٦].

انفرد به أحمد. وقد رواه ابن عساكر في ترجمة عتبة بن أبي لهب، من طريق محمد بن إسحاق، عن عثمان بن عروة بن الزبير، عن أبيه، عن هَبَّار[٧] بن الأسود قال: كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلىٰ الشام، فتجهزت معهما، فقال ابنه عتبة: والله لأنطلقن إلىٰ محمدٍ ولأوذينه في ربه سبحانه، فانطلق حتىٰ أتىٰ النبي ﷺ، فقال: يا محمد، هو يكفر بالذي دنىٰ فتدلىٰ، فكان قاب قوسين أو أدنىٰ. فقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ ابْعَثْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِكَ». ثم انصرف عنه فرجع إلىٰ أبيه فقال: يا بني، ما قلت له؟ فذكر له ما قال له، قال: فما قال لك؟ قال: قال: «اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِكَ» قال: يا بني، والله ما آمنُ[٨]

---

(١) ضعيف: رواه البزار (٥٨-كشف)، وفيه الحارث بن عبيد، قال أبو حاتم: ليس بالقوي يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال النسائي: ليس بذاك القوي، وقال ابن معين: ضعيف الحديث. انظر «تهذيب الكمال» (٥/ ٣٦٠).

(٢) لوحة (٢٥٨ ب).

(٣) حسن صحيح: رواه أحمد (١/ ٣٩٥، ٤٠٧) من طرق عن عاصم به وإسناده حسن، وسيأتي الحديث من طريق أخرىٰ عنه، رواه البخاري (٤٨٥٦)، ومسلم (١٧٤).

(٤) أي: رفعه.

(٥) في (ز): (فبعثه).

(٦) ضعيف: رواه أحمد (١/ ٣٢٢)، وفيه إدريس بن منبه: ضعيف، وأبو بكر بن عياش روايته عن غير أهل بلده ضعيفة وهذه منها.

(٧) في (ز): (عن هناد)، والمثبت هو الصواب.

(٨) في (ز): (ما امر)، والمثبت كما في «تاريخ دمشق» لابن عساكر.

عليك دُعاءه. فسرنا حتىٰ نزلنا الشَّرَاة [(١)(٢)]، وهي مأْسَدَة [(٣)]، ونزلنا إلىٰ صَوْمَعة راهبٍ، فقال الراهب: يا معشر العرب، ما أنزلكم هذه البلاد فإنما تسرح الأسْدُ فيها كما تسرح الغنم؟ فقال لنا أبو لهب: إنكم قد عرفتم كبر سني وحقي، وإن هذا الرجل قد دعا علىٰ ابني دعوةً -والله- ما آمنها عليه، فاجمعوا متاعكم إلىٰ هذه الصومعة، وافرشوا لابني عليها، ثم افرشوا حولها. ففعلنا، فجاء الأسد فَشَمّ وجوهنا، فلما لم يجد ما يريد تَقَبَّضَ، فوثب وثبةً فإذا هو فوق المتاع، فشم وجهه ثم هزمه هَزْمة [(٤)][ففتح] [(٥)] رأسه. فقال أبو لهب: قد عرفت أنه لا ينفلت من [(٦)] دعوة محمد [(٧)].

وقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أي: فاقترب جبريل إلىٰ محمدٍ لما هبط عليه إلىٰ الأرض، حتىٰ كان بينه وبين محمدٍ ﷺ قاب قوسين؛ أي: بقدرهما إذا مُدّا. قاله مجاهد، وقتادة.

وقد قيل: إن المراد بذلك بُعدُ ما بين وتر القوس إلىٰ كبدها [(٨)].

وقوله: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ قد تقدم أن هذه الصيغة تستعمل في اللغة لإثبات المخبر عنه ونفي ما زاد عليه، كقوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]؛ أي: ما هي بألين [(٩)] من الحجارة، بل هي مثلها أو تزيد عليها في الشدة والقسوة. وكذا قوله: ﴿يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧]، وقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]؛ أي: ليسوا أقل منها بل هم مائة ألف حقيقة، أو يزيدون عليها. فهذا تحقيق للمخبر به لا شك ولا تردد، فإن هذا ممتنعٌ هاهنا، وهكذا هذه الآية: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾.

وهذا الذي قلناه من أن هذا المقترب [(١٠)] الداني الذي صار بينه وبين محمدٍ ﷺ، إنما هو جبريل عليه السلام هو قول أم المؤمنين عائشة، وابن مسعود، وأبي ذر، وأبي هريرة، كما سنورد أحاديثهم قريبًا إن شاء الله. وروىٰ مسلم في «صحيحه»، عن ابن عباس أنه قال: «رَأَىٰ مُحَمَّدٌ رَبَّهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ» [(١١)]. فجعل هذه إحداهما. وجاء في حديث شريك بن أبي نمر، عن أنس في حديث الإسراء: «ثُمَّ دَنَا الجَبَّارُ رَبُّ العِزَّةِ

---

(١) الشَّرَاة: جَبَلٌ شامخ من دون عُسْفان، وصقْع بالشام قريبٌ من دِمَشْق. «النهاية»، وانظر: «معجم البلدان»: (٣/ ٣٣١)، والمَأْسَدَة: الأرض كثيرة الأسود.

(٢) في (ز): (ابراه)، والمثبت كما عند ابن عساكر. (٣) في (ز): (بأسدة).

(٤) أي: ضربه ضربةً. والفضْخ: كسر كل شيء أجوف نحو الرأس والبطيخ، فَضَخَه يفْضَخُه فضْخًا وافتضخه وفضخ رأسه: شدخه. «اللسان»: فضخ.

(٥) في (ز): (ففسخ). (٦) لوحة (٢٥٩ أ).

(٧) رواه الحاكم (٢/ ٥٣٩)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٣٨٩) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وحسنه الحافظ (٤/ ٣٩).

(٨) كبد كل شيء: وسطه، وكبد القوس: ما بين طرفي العلاقة، وقيل: قدر ذراع من مقبضها.

(٩) في (ز): (ما هي بأكبر). (١٠) في (ز): (القرب).

(١١) رواه مسلم (١٧٦).

﴿فَتَدَلَّىٰ﴾[1] ولهذا تكلم كثيرٌ من الناس في متن هذه الرواية، وذكروا أشياء فيها من الغرابة، فإن صح فهو محمولٌ علىٰ وقتٍ آخر وقصةٍ أخرىٰ، لا أنها تفسير لهذه الآية؛ فإن هذه كانت ورسول الله ﷺ في الأرض لا ليلة الإسراء؛ ولهذا قال بعده: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾، فهذه هي ليلة الإسراء والأولىٰ كانت في الأرض.

وقد قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا سليمان الشيباني، حدثنا زر بن حبيش قال: قال عبد الله بن مسعود في هذه الآية: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾، قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ[2]»[3].

وقال ابن وهب: حدثنا ابن لَهِيعةَ، عن أبي الأسود، عن عُرْوَةَ، عن عائشة قالت: كان أولَ شأن رسول الله ﷺ أنه رأىٰ في منامه جبريل بأجياد[4]، ثم إنه خرج ليقضي حاجته فصرخ به جبريل: يا محمد، يا محمد. فنظر رسول الله ﷺ يمينًا وشمالًا فلم يرَ شيئًا -ثلاثًا- ثم رفع بصره فإذا هو ثان إحدىٰ رجليه[5] مع الأخرىٰ علىٰ أفق السماء فقال: يا محمد، جبريل، جبريلُ -يُسكّنه- فهرب النبي ﷺ حتىٰ دخل في الناس، فنظر فلم يرَ شيئًا، ثم خرج من الناس، ثم نظر فرآه، فدخل في الناس فلم يرَ شيئًا، ثم خرج فنظر فرآه، فذلك قول الله ﷻ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ يعني: جبريل إلىٰ محمد، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[6]: ويقولون: القاب نصف الأصبع. وقال بعضهم: ذراعين كان بينهما.

رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، من حديث ابن وهب. وفي حديث الزهري عن أبي سلمة، عن جابر شاهد لهذا.

[وروىٰ البخاري عن طَلْقِ بن غنام، عن زائدة، عن الشيباني قال: سألت زرًّا عن قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ قال: حدثنا عبد الله أن محمدًا ﷺ رأىٰ جبريل له ستمائة جناح[7].

وقال ابن جرير: حدثني ابن بَزِيع البغدادي، حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ قال: رأىٰ رسول الله ﷺ

---

(١) رواه البخاري (٧٥١٧)، وقد وقع لشريك بن أبي نمر وهم في عشرة مواطن في هذا الحديث، وهذا أحدها.

(٢) لوحة (٢٥٩ ب).

(٣) صحيح: رواه الطبري (٢٧/ ٤٥).

(٤) أجياد: موضع بأسفل مكة.

(٥) في (ز): (فإذا هو ثاني رجليه).

(٦) رواه الطبري (٢٧/ ٤٩) ورجاله ثقات عدا سفيان بن وكيع: ضعيف، لكن أشار ابن كثير إلىٰ أن حديث جابر شاهد له.

(٧) رواه البخاري (٤٨٥٦)، ومسلم (١٧٤).

جبريل عليه حلتا(١) رفرف، قد ملأ ما بين السماء والأرض(٢).](٣)

فعلىٰ ما ذكرناه يكون قوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ [مَآ أَوْحَىٰ﴾ معناه: فأوحىٰ جبريل إلىٰ عبد الله محمد ما أوحىٰ. أو: فأوحىٰ الله إلىٰ عبده](٤) محمد ما أوحىٰ بواسطة جبريل وكلا المعنيين صحيح، وقد ذُكر عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾، قال: أوحىٰ إليه: «ألم أجدك يتيمًا»، ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح:٤](٥).

وقال غيره: أوحىٰ الله إليه أن الجنة محرمةٌ علىٰ الأنبياء حتىٰ تدخلها، وعلىٰ الأمم حتىٰ تدخلها أمتك.

وقوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ قال مسلم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا وَكيع، حدثنا الأعمش، عن زياد بن حُصَين، عن أبي العالية، عن ابن عباس: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قال: رآه بفؤاده مرتين(٦).

وكذا رواه سِمَاك، عن عكرمة، عن ابن عباس مثله. وكذا قال أبو صالح والسُّدِّي وغيرهما: إنه رآه بفؤاده مرتين [أو مرة، وقد خالفه ابن مسعود وغيره،](٧) وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية، وهي محمولة علىٰ المقيدة بالفؤاد. ومن روىٰ عنه بالبصر فقد أغرب، فإنه لا يصح في ذلك شيءٌ عن الصحابة ﷺ، وقولُ البغوي في «تفسيره»: وذهب جماعةٌ إلىٰ أنه رآه بعينه، وهو قول أنس والحسن وعكرمة(٨) فيه نظر، والله أعلم.

وقال الترمذي: حدثنا محمد بن عمرو بن نَبْهان(٩) بن صفوان، حدثنا يحيىٰ بن كثير العنبري، عن سَلْم(١٠) بن جعفر، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: رأىٰ محمدٌ رَبَّهُ. قلت: أليس الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ(١١)﴾؟ [الأنعام: ١٠٣] قال: ويحك! ذاك إذا

---

(١) أي: حلتان من ديباج.
(٢) رواه الطبري (٤٨٥٨).
(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).
(٤) سقط من (ز).
(٥) في «صحيح مسلم» (١٧٣): فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثًا: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله شيئًا المقحمات.
(٦) رواه مسلم (١٧٦).
(٧) بياض في (ز).
(٨) لوحة (٢٦٠ أ).
(٩) في (ز): (عمرو بن منهال)، وهو خطأ.
(١٠) في (ز): (مسلم بن جعفر)، وهو خطأ.
(١١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية تَعَلَّلَهُ: إنما نُفِيَ الإدراك الذي هو الإحاطة، كما قاله أكثر العلماء، ولم ينفِ مجرد الرؤية؛ لأن المعدوم لا يُرىٰ، وليس في كونه لا يُرىٰ مدحٌ، إذ لو كان كذلك لكان المعدوم ممدوحًا، وإنما المدح في كونه لا يحاط به وإن رئي، كما أنه لا يحاط به وإن عُلم، فكما أنه إذا عُلم لا يحاط به علمًا، فكذلك إذا رئي لا يحاط به رؤية، فكان في نفي الإدراك من إثبات عظمته ما يكون مدحًا وصفةَ كمال، وكان ذلك دليلًا علىٰ إثبات الرؤية لا علىٰ نفيها، لكنه دليلٌ علىٰ إثبات الرؤية مع عدم الإحاطة، وهذا هو الحق الذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها. «مجموع الفتاوىٰ»: (٣/ ٣٦-
=

تَجَلىٰ بنوره الذي هو نُورُه، وقد رأىٰ ربه مرتين(١). ثم قال: حسنٌ غريبٌ.

وقال أيضًا: حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، عن مجالد، عن الشعبي قال: لقي ابن عباس كعبًا بعرفة، فسأله عن شيءٍ فكَبَّر حتىٰ جاوبته الجبال(٢)، فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم، فقال كعب: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسىٰ، فكلم موسىٰ مرتين ورآه محمد مرتين(٣).

وقال مسروق: دخلتُ علىٰ عائشة فقلت: هل رأىٰ محمدٌ رَبَّهُ؟ فقالت: لقد تكلمتَ بشيءٍ قَفَّ له شعري(٤). فقلت: رُوَيدًا، ثم قرأتُ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾؛ فقالت: أين يُذهَبُ بك؟ إنما هو جبريل، من أخبرك أن محمدًا رأىٰ ربه أو كتم شيئًا مما أمرَ به، أو [يعلم الخمس التي](٥) قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ [لقمان:٣٤]، فقد أعظم الفرية، [ولكنه رأىٰ](٦) جبريل، لم يره في صورته إلا مرتين، مرةً عند سدرة المنتهىٰ ومرةً في جِيَادٍ، وله ستمائة جناحٍ قد سد الأفق(٧).

وقال النسائي: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: أتعجبون أن تكون الخُلَّةُ(٨) لإبراهيم، والكلام لموسىٰ، والرؤية لمحمد عليهم السلام؟!(٩).

وفي «صحيح مسلم»، عن أبي ذرٍّ قال: سألت رسول الله -صلىٰ الله عليه وآله وسلم-: هل رأيتَ ربك؟ فقال: «**نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ**». وفي رواية: «**رَأَيْتُ نُورًا**»(١٠).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو(١١) خالد، عن موسىٰ بن عُبيدةَ، عن محمد بن كعب قال: قالوا: يا رسول الله، رأيت ربك؟ قال: «**رَأَيْتُهُ بِفُؤَادِي مَرَّتَيْنِ**» ثم قرأ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾.

= التدمرية)، وانظر: «تقريرات التدمرية» للشيخ الدكتور/ عبدالعزيز آل عبداللطيف حَفِظَهُ اللهُ: (ص٤١، ط الرشد).

(١) ضعيف: رواه الترمذي (٣٢٧٥)، وفيه محمد بن عمرو بن نبهان: مقبول كما في «التقريب».

(٢) أي: كبر تكبيرةً مرتفعًا بها صوته، حتىٰ جاوبته الجبال بالصدىٰ.

(٣) ضعيف: في إسناده مجالد بن سعيد: ليس بالقوي، رواه الترمذي (٣٢٧٨)، والحاكم (٢/ ٥٧٥)، وعبد الرزاق في «التفسير» (٣٠٣٢).

(٤) أي: وقف من الفزع.

(٥) في (ز): «...... التي».

(٦) في (ز): «...... لكن».

(٧) رواه الترمذي (٣٢٧٤)، وفيه مجالد بن سعيد، انظر ما قبله ولكن أصل الحديث صحيح في «الصحيحين» وغيرهما، وسيورد ابن كثير لفظه قريبًا.

(٨) في (ز): (الحكمة).

(٩) صحيح: رواه النسائي في «الكبرىٰ» (١١٥٣٩)، ورواه الحاكم (٢/ ٤٦٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٤٢)، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٤٤٣).

(١٠) مسلم (١٧٨)، والترمذي (٣٢٨٢).

(١١) في (ز): (ابن خالد).

ورواه ابنُ جرير، عن ابن حُمَيد، عن مِهْرَان، عن موسىٰ بن عبيدة، عن محمد بن كعب، عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: قلنا: يا رسول الله، هل رأيت ربك؟ قال: «لَمْ أَرَهُ بِعَيْنِي، وَرَأَيْتُهُ بِفُؤَادِي مَرَّتَيْنِ» ثم تلا ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [(١)(٢)].

ثم قال ابن أبي حاتم: وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، أخبرني عَبَّادُ بن منصورٍ قال: سألت عكرمة: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾، فقال عكرمة: تريد أن أخبرك أنه قد رآه؟ قلت: نعم. قال: قد رآه، ثم قد رآه. قال: فسألت عنه الحسن فقال: رأىٰ جلاله وعَظَمته ورِداءَه [(٣)].

وحدثنا أبي، حدثنا محمد بن مجاهد، حدثنا أبو عامر العقدي، أخبرنا أبو خلدة، عن أبي العالية قال: سُئِل رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: «رَأَيْتُ نَهْرًا، وَرَأَيْتُ وَرَاءَ النَّهْرِ حِجَابًا، وَرَأَيْتُ وَرَاءَ الحِجَابِ نُورًا لَمْ أَرَ غَيْرَ» [(٤)].

وذلك غريبٌ جدًّا، فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد:

حدثنا أسود بن عامر، حدثنا حماد بن سلمة، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ» [(٥)].

فإنه حديثٌ إسناده علىٰ شرط الصحيح، لكنه مختصر من حديث المنام كما رواه الإمام أحمد أيضًا:

حدثنا عبد الرزاق، حدثنا مَعْمَرٌ، عن أيوب، عن أبي قِلابة، عن ابن عباس؛ أن رسول الله ﷺ قال: «أَتَانِي رَبِّي اللَّيْلَةَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ» -أحسبه يعني: في النوم- فقال: «يَا مُحَمَّدُ، أَتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَىٰ؟» قال: «قُلْتُ: لَا. فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّىٰ وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ -أو قال: نَحْرِي- فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَىٰ؟» قال: «قُلْتُ: نَعَمْ، يَخْتَصِمُونَ فِي الكَفَّارَاتِ وَالدَّرَجَاتِ». قال: «وَمَا الكَفَّارَاتُ [وَالدَّرَجَاتُ] [(٦)]؟» قال: «قُلْتُ: المُكْثُ فِي المَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَالمَشْيُ عَلَىٰ الأَقْدَامِ إِلَىٰ الجُمُعَاتِ [(٧)]، وَإِبْلَاغُ الوُضُوءِ فِي المَكَارِهِ [(٨)]، مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.

---

(١) لوحة (٢٦٠ ب).

(٢) ضعيف: في إسناده موسىٰ بن عبيدة: وهو ضعيف، رواه الطبري (٢٧/ ٤٩).

(٣) رواه ابن أبي حاتم (١٨٦٢٧)، مقطوع من كلام عكرمة، ولم يسنده.

(٤) مرسل: فأبو العالية تابعي، وفي المتن غرابة كما ذكر ابن كثير. رواه ابن أبي حاتم (١٨٦٢٨).

(٥) رواه أحمد (١/ ٢٨٥)، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه علىٰ «المسند»، والشيخ الألباني في تعليقه علىٰ «السنة»، وصححه الأرنؤوط في «المسند» (٢٦٣٤).

(٦) سقط من (ز).

(٧) في (ز): (الجماعات)، والمثبت موافق لما في «المسند».

(٨) هي جمع مَكْرَه، وهو: ما يكْرَهُه الإنسان ويَشُقُّ عليه، والكُرْه -بالضم والفتح-: المَشَقة، والمعنىٰ: أن يَتوَضَّأ مع البَرْدِ الشديد والعِلَل التي يَتَأذَّىٰ معها بِمَسّ الماء، ومع إعْوَازِه والحاجَة إلىٰ طَلَبِهِ والسَّعي في تَحْصِيله أو ابْتِياعه بالثمن الغالي، وما أشبه ذلك من الأسباب الشَّاقَّة. «النهاية».

وَقَالَ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ إِذَا صَلَّيْتَ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ الخَيْرَاتِ وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً أَنْ تَقْبِضَنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ». قال: «وَالدَّرَجَاتُ بَذْلُ الطَّعَامِ، وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»(١).

وقد تقدم في آخر سورة «ص»، عن معاذ نحوه(٢). وقد رواه ابن جرير من وجه آخر عن ابن(٣) عباس، وفيه سياق آخر وزيادة غريبة فقال:

حدثني أحمد بن عيسىٰ التميمي، حدثني سليمان بن عَمْرو بن سَيَّار(٤)، حدثني أبي، عن سعيد بن زَرْبِي(٥)، عن عمر بن سليمان، عن عطاء، عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَىٰ؟ فَقُلْتُ: لَا، يَا رَبِّ. فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، فِي الدَّرَجَاتِ وَالكَفَّارَاتِ، وَنَقْلِ الأَقْدَامِ إِلَىٰ الجُمُعَاتِ(٦)، وَانْتِظَارِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ. فَقُلْتُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ اتَّخَذْتَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَكَلَّمْتَ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا، وَفَعَلْتَ وَفَعَلْتَ، فَقَالَ: أَلَمْ أَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ؟ أَلَمْ أَضَعْ عَنْكَ وِزْرَكَ؟ أَلَمْ أَفْعَلْ بِكَ؟ أَلَمْ أَفْعَلْ؟» قال: «فَأَفْضَىٰ إِلَيَّ بِأَشْيَاءَ لَمْ يُؤْذَنْ لِي أَنْ أُحَدِّثَكُمُوهَا» قال: «فَذَاكَ قَوْلُهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾، فَجَعَلَ نُورَ بَصَرِي فِي فُؤَادِي، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِفُؤَادِي». إسناده ضعيفٌ(٧).

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر بسنده إلىٰ هَبَّار بن الأسود ﵁؛ أن عتبة(٨) بن أبي لهب لما خرج في تجارة إلىٰ الشام قال لأهل مكة: اعلموا أني كافر بالذي دنا فتدلىٰ. فبلغ قوله رسولَ الله ﷺ، فقال: «سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِهِ». قال هبار: فكنت معهم، فنزلنا بأرض كثيرة الأُسْدِ، قال: فلقد رأيتُ الأَسَدَ جاء فجعل يشم رءوس القوم واحدًا واحدًا، حتىٰ تخطىٰ إلىٰ عتبة(٩) فاقتطع رأسه من بينهم(١٠).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٢٦٦٢)، ورواه أحمد (١/ ٣٦٨)، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه علىٰ «المسند»، والشيخ الألباني في تعليقه علىٰ «السنة» (٣٨٨) أي: لشواهده.

(٢) انظر تفسير الآية (٦٩) من سورة (ص).

(٣) لوحة (٢٦١ أ).

(٤) هكذا في «تفسير الطبري»، والذي في (ز): (سليمان بن عمر بن سيار)، قال الشيخ علي الحلبي في «المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير»: (سليمان بن عمرو بن سيار، هو سليمان بن عمر بن سيار، من التاسعة أو العاشرة، لم أعرفه، ولم أجد له ترجمة، ولم أقف له في «التفسير» علىٰ غير هذا الأثر، ولم يتعرض الشيخ التركي في تحقيقه لـ«تفسير الطبري» (٢٢/ ٢٣) لترجمته بشيء، غير تصحيح اسمه من بعض المخطوطات، وعزوه إلىٰ مصادر ترجمة أبيه، وليس ترجمته هو). اهـ (١/ ٢١٨).

(٥) في (ز): (سعيد بن زرعي)، وهو خطأ.

(٦) في (ز): (الجماعات)، والمثبت موافق لما في «الطبري».

(٧) ضعيف: رواه الطبري (٢٧/ ٤٨)، وفي إسناده سعيد بن زربي: منكر الحديث.

(٨) في (ز): (عيينة).

(٩) في (ز): (عيينة).

(١٠) تقدم عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨].

وذكر ابن إسحاق وغيره في «السيرة»: أن ذلك كان بأرض الزرقاء، وقيل: بالشراة، وأنه خاف[(١)] ليلتئذ، وأنهم جعلوه بينهم وناموا من حوله، فجاء الأسد فجعل يزأر، ثم تخطاهم إليه فضغم[(٢)] رأسه، لعنه الله.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾، هذه هي المرة الثانية التي رأىٰ رسول الله ﷺ فيها جبريل علىٰ صورته التي خلقه الله عليها[(٣)]، وكانت ليلة الإسراء. وقد قدمنا الأحاديث الواردة في الإسراء بطرقها وألفاظها في أول سورة «سبحان» بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا، وتقدم أن ابن عباس ﷺ كان يثبت الرؤية ليلة الإسراء، ويستشهد بهذه الآية. وتابعه جماعة من السلف والخلف، وقد خالفه جماعات من الصحابة ﷺ والتابعين وغيرهم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسىٰ، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم بن بَهْدَلَة، عن زر بن حُبَيْش، عن ابن مسعود في هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾، قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ وَلَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ، يَنْتَثِرُ مِنْ رِيشِهِ التَّهَاوِيلَ[(٤)]: الدُّرَّ وَاليَاقُوتَ». وهذا إسنادٌ جيدٌ قويٌّ[(٥)].

وقال أحمد أيضًا: حدثنا يحيىٰ بن آدم، حدثنا شريك، عن جامع بن أبي راشد، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: رأىٰ رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليمٌ، إسناده حسنٌ أيضًا[(٦)].

وقال أحمد أيضًا: حدثنا زيد بن الحُبَابِ، حدثني حسين، حدثني عاصم بن بَهْدَلَة قال: سمعت شَقِيق[(٧)] بن سلمة يقول: سمعت ابن مسعود يقول قال: رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَىٰ سِدْرَةِ المُنْتَهَىٰ وَلَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ» سألت عاصمًا عن الأجنحة فأبىٰ أن يخبرني. قال: فأخبرني بعض أصحابه أن الجناح ما بين المشرق والمغرب. وهذا أيضًا إسنادٌ جيدٌ[(٨)].

وقال أحمد: حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا حسين، حدثني [عاصم بن بَهْدَلَة، حدثني شقيق][(٩)] قال: سمعت ابن مسعود يقول: قال رسول الله ﷺ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ ﷺ فِي خُضْرٍ مُعَلَّقٍ بِهِ الدُّرُّ». إسناده جيدٌ أيضًا[(١٠)].

وقال الإمام أحمد: حدثني يحيىٰ، عن إسماعيل، حدثنا عامر قال: أتىٰ مسروق عائشة فقال: يا

---

(١) في (ز): (وأنه كان).

(٢) أي: عضها.

(٣) لوحة (٢٦١ ب).

(٤) التهاويل: الأشياء المختلفة الألوان.

(٥) حسن: رواه أحمد (١/ ٤١٢)، وأبو يعلىٰ (٤٩٩٣).

(٦) أحمد (١/ ٣٩٥).

(٧) في (ز): (منصور بن سلمة)، والمثبت هو الصواب.

(٨) حسن صحيح: رواه أحمد (١/ ٤٠٧)، وابن منده في «الإيمان» (٧٤٤)، والحديث ثابت في «الصحيحين» رواه البخاري (٤٨٥٦)، ومسلم (١٧٤).

(٩) في (ز): (حدثني حصين حدثني سفيان).

(١٠) حسن: رواه أحمد (١/ ٤٠٧).

أم المؤمنين، هل رأىٰ محمد ﷺ ربه ﷻ؟ قالت: سبحان الله لقد قَفَّ[1] شعري لما قلت، أين أنت من ثلاث من حَدَّثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمدًا رأىٰ ربه فقد كذب، ثم قرأت[2]: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورىٰ: ٥١]، ومن أخبرك أنه يعلم ما في غدٍ فقد كذب، ثم قرأت: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ الآية [لقمان:٣٤]، ومن أخبرك أن محمدًا قد كتم فقد كذب، ثم قرأت: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة:٦٧]، ولكنه رأىٰ جبريل في صورته مرتين[3].

وقال أحمد أيضًا: حدثنا محمد بن أبي عدي، عن داود، عن الشعبي، عن مسروق قال: كنت عند عائشة فقلت: أليس الله يقول: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير:٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ فقالت: أنا أول هذه الأمة[4] سأل رسول الله ﷺ عنها، فقال: «إِنَّمَا ذَاكَ جِبْرِيلُ». لم يره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين، رآه منهبطًا من السماء إلىٰ الأرض، سادًّا عُظْمُ خلقه ما بين السماء والأرض[5].

أخرجاه في «الصحيحين»، من حديث الشعبي به.

رواية أبي ذرٍّ، قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا همام، حدثنا قتادة، عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبي ذر: لو رأيتُ رسول الله ﷺ لسألتُهُ. قال: وما كنتَ تسألُهُ؟ قال: كنتُ أسأله: هل رأىٰ ربه ﷻ؟ فقال: إني قد سألته فقال: «قَدْ رَأَيْتُهُ، نُورًا أَنَّىٰ أَرَاهُ؟»[6].

هكذا وقع في رواية الإمام أحمد، وقد أخرجه مسلم من طريقين بلفظين فقال: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، حدثنا وَكِيع، عن يزيد بن إبراهيم، عن قتادة، عن عبد الله بن شقيق، عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: «نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ»[7].

وقال: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا معاذ بن هشام، حدثنا أبي، عن قتادة، عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبي ذر: لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته. فقال: عن أي شيء كنت تسأله؟ قال: قلت: كنت أسأله: هل رأيت ربك؟ قال أبو ذر: قد سألت فقال: «رَأَيْتُ نُورًا»[8].

وقد حكىٰ الخلال في «علله» أن الإمام أحمد سُئل عن هذا الحديث فقال: ما زلتُ منكرًا له، وما أدري ما وجهه.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن عون الواسطي، أخبرنا هُشَيْمٌ، عن منصور،

---

(١) أي: وقف.
(٢) لوحة (٢٦٢ أ).
(٣) رواه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (٣٠٦٨)، وأحمد (٦/ ٤٩).
(٤) في (ز): (هذه الآية).
(٥) رواه البخاري (٧٣٨٠)، ومسلم (١٧٧).
(٦) رواه أحمد (٥/ ١٤٧)، والترمذي (٣٢٨٢).
(٧) مسلم (١٧٨).
(٨) مسلم (١٧٨).

عن الحكم، عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي ذرٍّ قال[١] : رآه بقلبه، ولم يره بعينه[٢] .

وحاول ابن خُزَيمةَ أن يدعي انقطاعه بين عبد الله بن شَقِيق وبين أبي ذر، وأما ابن الجوزي فتأوله علىٰ أن أبا ذرٍّ لعله سأل رسول الله ﷺ قبل الإسراء، فأجابه بما أجابه به، ولو سأله بعد الإسراء لأجابه بالإثبات. وهذا ضعيفٌ جدًّا، فإن[٣] عائشة أم المؤمنين ﵂ قد سألت عن ذلك بعد الإسراء، ولم يثبت لها الرؤية. ومن قال: إنه خاطبها علىٰ قدر عقلها، أو حاول تخطئتها فيما ذهبت إليه -كابن خُزيمة في كتاب التوحيد- فإنه هو المخطئ، والله أعلم.

وقال النسائي: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشيم، عن منصور، عن الحكم، عن يزيد بن شريك، عن أبي ذرٍّ قال: رأىٰ رسول الله ﷺ ربه بقلبه، ولم يره ببصره[٤] .

وقد ثبت في «صحيح مسلم»، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن علي بن مُسْهِر، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة ﵁ أنه قال في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾، قال: رأىٰ جبريل ﵇[٥] .

وقال مجاهد في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قال: رأىٰ رسول الله ﷺ جبريل في صورته مرتين، وكذا قال قتادة والربيع بن أنس، وغيرهم.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ : قد تقدم في أحاديث الإسراء أنه غشيتها الملائكة مثل الغِربان، وغشيها نور الرب، وغشيها ألوان ما أدري ما هي.

وقال الإمام أحمد: حدثنا مالك بن مِغْوَلٍ، حدثنا الزبير بن عدي، عن طلحة، عن مرة، عن عبد الله -هو ابن مسعود- قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهي به إلىٰ سدرة المنتهىٰ، وهي في السماء السابعة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها، ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ قال: فراش من ذهب، قال: وأعطي رسول الله ﷺ ثلاثًا: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغُفِرَ لمن لا يشرك بالله شيئًا من أمته المُقحمات[٦] . انفرد به مسلم[٧] .

وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، عن أبي هريرة أو غيره -شك أبو جعفر-

---

(١) لوحة (٢٦٢ ب).

(٢) رواه ابن أبي حاتم (١٨٦٩٩) ورجاله ثقات، وفيه هشيم: ثقة يدلس وقد عنعن، ورواه من طريقه أيضًا الدارقطني في «الرواية» (٢٥٨).

(٣) في (ز): (قالت عائشة).

(٤) النسائي في «الكبرىٰ» (٦/ ٤٧٢) برقم (١١٥٣٦)، وإسناده كسابقه.

(٥) مسلم (١٧٥).

(٦) المُقحمات: الذنوب العظام التي تقحم أصحابها في النار؛ أي: تلقيهم فيها.

(٧) رواه مسلم (١٧٣)، وأحمد (١/ ٤٢٢).

قال: لما أسري برسول الله انتهىٰ[1] إلىٰ السدرة، فقيل له: هذه السدرة قال: فغشيها نور الخلاق، وغشيتها الملائكة مثل الغربان حين يقعن علىٰ الشجر، قال: فكلمه عند ذلك، فقال له: سل[2].

وقال ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ قال: كان أغصان السدرة لؤلؤًا وياقوتًا وزبرجدًا، فرآها محمدٌ، ورأىٰ ربه بقلبه.

وقال ابن زيد: قيل: يا رسول الله، أيّ شيءٍ رأيت يغشىٰ تلك السدرة؟ قال: «**رَأَيْتُ يَغْشَاهَا فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَرَأَيْتُ عَلَىٰ كُلِّ وَرَقَةٍ مِنْ وَرَقِهَا مَلَكًا قَائِمًا يُسَبِّحُ اللهَ ﷻ**»[3].

وقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ قال ابن عباس: ما ذهب يمينًا ولا شمالًا ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ ما جاوز ما أمر به[4].

وهذه صفةٌ عظيمةٌ في الثبات والطاعة، فإنه ما فعل إلا ما أمر به، ولا سأل فوق ما أعطي. وما أحسن ما قال الناظم:

رأَىٰ جَنَّةَ المَأْوَىٰ وَمَا فَوْقَهَا، وَلَو ... رَأَىٰ غَيْرُهُ مَا قَدْ رَآه لتَاهَا

وقوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾، كقوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ[5] مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١] أي: الدالة علىٰ قدرتنا وعظمتنا. وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلة لم تقع؛ لأنه قال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾، ولو كان رأىٰ ربه لأخبر بذلك، ولقال ذلك للناس، وقد تقدم تقرير ذلك في سورة «سبحان»، وقد قال الإمام أحمد:

حدثنا أبو النضر، حدثنا محمد بن طلحة، عن الوليد بن قيس، عن إسحاق بن أبي الكَهْتَلة قال محمدٌ: أظنه عن ابن مسعود -أنه قال: إن محمدًا لم يرَ جبريل في صورته إلا مرتين، أما مرة فإنه سأله أن يُريه نفسه في صورته، فأراه صورته فسد الأفق. وأما الأخرىٰ فإنه صَعد معه حين صعد به. وقوله: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ قال: فلما أحسَّ[6] جبريل ربه ﷻ عاد في صورته وسجد. فقوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ قال: خَلْقَ جبريل عليه السلام[7].

هكذا رواه الإمام أحمد، وهو غريبٌ[8].

---

(١) لوحة (٢٦٣ أ).

(٢) رواه الطبري (٢٧/ ٥٣)، وإسناده ضعيف، أبو جعفر الرازي: سيئ الحفظ.

(٣) إسناده مرسل؛ لأنه لم يسنده.

(٤) صحيح: الحاكم (٢/ ٥١٠) برقم (٣٧٤٩)، والطبري (٢٧/ ٥٧).

(٥) في (ز): (لنريك). (٦) في (ز): (أخبر).

(٧) ضعيف: أحمد (١/ ٤٠٧)، وفيه إسحاق بن أبي الكهتلة لم يوثقه غير ابن حبان.

(٨) لوحة (٢٦٣ ب).

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾

يقول تعالىٰ مُقَرِّعًا للمشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد والأوثان، واتخاذهم لها البيوت مضاهاةً[١] للكعبة التي بناها خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ﴾؟ وكانت «اللَّات» صخرةً بيضاءَ منقوشةً، وعليها بيتٌ بالطائف له أستارٌ وسَدَنةٌ، وحوله فناءٌ معظَّمٌ عند أهل الطائف، وهم ثقيف ومن تابعها، يفتخرون بها علىٰ من عداهم من أحياء العرب بعد قريش.

قال ابن جرير: وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله تعالىٰ، فقالوا: اللات، يعنون مؤنثة منه، تعالىٰ الله عن قولهم علوًّا كبيرًا. وحكي عن ابن عباس، ومجاهد، والربيع بن أنس: أنهم قرءوا «اللَّاتَّ» بتشديد التاء[٢]، وفسروه بأنه كان رجلًا يَلُتُّ للحجيج في الجاهلية السويق، فلما مات عكفوا علىٰ قبره فعبدوه.

وقال البخاري: حدثنا مسلم -هو ابن إبراهيم- حدثنا أبو الأشهب، حدثنا أبو الجوزاء، عن ابن عباس: ﴿ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ قال: كان اللَّاتُ رجُلًا يَلُتُّ السَّويق، سويق الحاج[٣].

قال ابن جرير: وكذا العُزَّىٰ من العزيز.

وكانت شجرةٌ عليها بناءٌ وأستارٌ بنخلة، وهي بين مكة والطائف، كانت قريش يعظمونها، كما قال أبو سفيان يوم أحد: لنا العزىٰ ولا عزَّىٰ لكم؛ فقال رسول الله ﷺ: «**قُولُوا: اللهُ مَوْلانَا، وَلا مَوْلَىٰ لَكُمْ**»[٤].

وروىٰ البخاري من حديث الزهري، عن حُمَيد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالعُزَّىٰ، فَلْيَقُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ**»[٥].

وهذا محمولٌ علىٰ من سبق لسانه إلىٰ ذلك، كما كانت ألسنتهم قد اعتادته في زمن الجاهلية، كما قال النسائي[٦]: أخبرنا أحمد بن بَكَّار وعبد الحميد بن محمد قالا: حدثنا مَخْلَدٌ، حدثنا يونس، عن أبيه، حدثني مصعب بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: حلفت باللات والعزىٰ، فقال لي أصحابي: بئس ما قلت! قلت هجرًا! فأتيت رسول ﷺ، فذكرت ذلك له، فقال: «**قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**

---

(١) في (ز): (مطاها وللكعبة).

(٢) متواترة: قَرَأَ (اللَّاتَّ) رُوَيْسٌ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (اللَّاتَ).

(٣) رواه البخاري (٤٨٥٩).

(٤) رواه البخاري (٣٠٣٩).

(٥) البخاري (٤٨٦٠).

(٦) لوحة (٢٦٤ أ).

وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَانْفُثْ عَنْ شِمَالِكَ ثَلاثًا، وَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثُمَّ لا تَعُدْ»[١].

وأما «مناة» فكانت بالمُشَلَّل[٢] -عند قُدَيد، بين مكة والمدينة- وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها، ويُهلّون منها للحج إلىٰ الكعبة. وروىٰ البخاري عن عائشة نحوه[٣]. وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة غير[٤] هذه الثلاثة التي نص عليها في كتابه العزيز، وإنما أفرد هذه بالذكر؛ لأنها أشهر من غيرها.

قال ابن إسحاق في «السيرة»: وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، بها سدنة وحجاب، وتهدي لها كما يهدىٰ للكعبة، وتطوف بها كطَوْفَاتِها بها، وتنحر عندها، وهي تعرف فضل الكعبة عليها؛ لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم ﷺ ومسجده. فكانت لقريش وبني كنانة العُزَّىٰ بنخلة، وكانت سدنتها وحجابها بني شيبان من سليم حلفاء بني هاشم.

قلت: بعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فهدمها، وجعل يقول:

يَـــا عُـــزَّ، كُفْرَانَـــك لا سُـــبْحَانَك ... إني رأيـــت الله قَـــدْ أهَانَـــك

وقال النسائي: أخبرنا علي بن المنذر، أخبرنا ابن فُضَيل، حدثنا الوليد بن جُمَيْع، عن أبي الطُّفَيْل قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلىٰ نخلة، وكانت بها العزىٰ، فأتاها خالد وكانت علىٰ ثلاث سَمُراتٍ، فقطع السَّمُراتِ، وهدم البيت الذي كان عليها. ثم أتىٰ النبي ﷺ فأخبره فقال: «ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا». فرجع خالد، فلما أبصرته السَّدَنَةُ -وهم حَجَبتها- أمعَنُوا[٥] في [الجَبَل][٦] وهم يقولون: «يَا عُزَّىٰ، يَا عُزَّىٰ»[٧]. فأتاها خالد فإذا امرأةٌ عريانةٌ ناشرةٌ شعرها تحفن التراب[٨] علىٰ رأسها، فغمسها بالسيف حتىٰ قتلها، ثم رجع إلىٰ رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «تِلْكَ العُزَّىٰ»[٩].

قال ابن إسحاق: وكانت اللات لثقيف بالطائف، وكان سَدَنتها وحجابها بني مُعَتّب.

قلت: وقد بعث إليها رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة وأبا سفيان صخر بن حرب، فهدماها وجعلا مكانها مسجد الطائف.

قال ابن إسحاق: وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب علىٰ ساحل البحر من ناحية المُشَلّل[١٠] بقديد، فبعث رسول الله ﷺ إليها أبا سفيان صخر بن حرب، فهدمها. ويقال: علي بن أبي طالب.

---

(١) حسن: رواه النسائي (٧/ ٨)، ورجاله ثقات علىٰ كلام في يونس بن أبي إسحاق لا ينزله عن درجة الحسن.

(٢) في (ز): (المسلل). (٣) البخاري (٤٨٦١). (٤) في (ز): (عن هذه).

(٥) أي: ابعدوا. (٦) في (ز): (الحيل)، والمثبت موافق لما عند النسائي في «الكبرىٰ».

(٧) لوحة (٢٦٤ ب). (٨) الحفن: أخذك الشيء براحتيك، والأصابع مضمومة، أو: الجرف بكلتا الدين.

(٩) حسن: رواه النسائي في «الكبرىٰ» (١١٥٤٧). (١٠) في (ز): (السلل).

قال: وكانت ذو الخَلَصة لدَوس وخَثعم وبَجِيلة، ومن كان ببلادهم من العرب بِتَبَالة[١].

قلت: وكان يقال لها: الكعبة اليمانية، وللكعبة التي بمكة الكعبة الشامية.

فبعث إليه رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله البجلي فهدمه.

قال: وكانت فَلْس لطيئ ولمن يليها بجبلي طيئ من سَلمىٰ وأجا.

قال ابن هشام: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ بعث إليه علي بن أبي طالب فهدمه، واصطفىٰ منه سيفين: الرّسُوب والمخْذَم، فَنَفَّله أياهما رسول الله ﷺ، فهما سيفا علي.

قال ابن إسحاق: وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له: ريام. وذكر أنه كان به كلبٌ أسود، وأن الحبرين اللذين ذهبا مع [تبع][٢] استخرجاه وقتلاه، وهدما البيت.

قال ابن إسحاق: وكانت «رُضَاء» بيتًا لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، ولها يقول المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها في الإسلام:

ولقد شَدَدْتُ عَلَىٰ رُضَاءٍ شَدّةً ... فتَرَكْتُها قَفْرًا بِقَاع أسحَمَا

قال ابن هشام: يقال: إنه عاش ثلاثمائة وثلاثين سنةً، وهو القائل:

وَلَقَد سَئِمْتُ مِنَ الحيَاةِ وَطُولِهَا ... وَعُمِّرْتُ مِنْ عَدَدِ السّنِينَ مِئِينَا

مائَةٌ حَدَتها بَعْدَها مائَتَان[٣] لي ... وازددت[٤] مِنْ عَدَدِ الشّهور سِنِينَا[٥]

هَلْ مَا بَقِي إلا كَمَا قَدْ فَاتَنَا ... يَومٌ يَمُرُّ وَلَيلَةٌ تَحْدُونَا

قال ابن إسحاق: وكان ذو الكَعَبَات لبكر وتغلب ابني وائل، وإياد بِسَنْداد[٦] وله يقول أعشىٰ ابن قيس بن ثعلبة:

بَيْنَ الخَوَرْنَق والسَّدِير وَبَارِقٍ ... والبيت ذي الكَعَبَات مِن[٧] سَنْدَاد

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾؟.

ثم قال: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾؟ أي: أتجعلون له ولدًا، وتجعلون ولده أنثىٰ، وتختارون لأنفسكم الذكور، فلو اقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ أي: جورًا باطلةً، فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جورًا وسفهًا.

ثم قال منكرًا عليهم فيما ابتدعوه وأحدثوه من الكذب والافتراء والكفر، من عبادة الأصنام وتسميتها آلهة: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أي: من تلقاء أنفسكم ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن

---

(١) تَبَالة: موضع بين مكة واليمن.

(٢) بياض في (ز).

(٣) في (ز): (ماتتان بعدها).

(٤) في (ز): (وعمرت).

(٥) لوحة (٢٦٥أ).

(٦) سِنداد: منازل لإياد أسفل سواد الكوفة.

(٧) في (ز): (في سنداد).

﴿سُلْطَٰنٍ﴾أي: من حجةٍ، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾أي: ليس لهم مستندٌ إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم، وإلا حظ نفوسهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين، ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أي: ولقد أرسل الله إليهم الرسل بالحق المنير والحجة القاطعة، ومع هذا ما اتبعوا ما جاءوهم به، ولا انقادوا له.

ثم قال: ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾أي: ليس كل من تمنىٰ خيرًا حصل له، ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء:١٢٣]، ما كل من زعم أنه مهتدٍ يكون كما قال، ولا كل من ود شيئًا يحصل له.

قال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق، حدثنا أبو عوانة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا تَمَنَّىٰ أَحَدُكُمْ فَلْيَنْظُرْ مَا يَتَمَنَّىٰ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْ أُمْنِيَّتِهِ» (١). تفرد به أحمد.

وقوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾أي: إنما الأمر كله لله، مالك الدنيا والآخرة، والمتصرف في الدنيا والآخرة، فهو الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ (٢) بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾، كقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]، فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله، وهو لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها، بل قد نهىٰ عنها علىٰ ألسنة جميع رسله، وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه؟.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ المشركين في تسميتهم الملائكة تسمية الأنثىٰ، وجعلهم لها أنها بنات الله، كما قال: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: ليس لهم علمٌ صحيحٌ يصدق ما قالوه، بل هو كذبٌ وزورٌ وافتراءٌ، وكفرٌ شنيعٌ. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ أي: لا يجدي شيئًا، ولا يقوم أبدًا مقام الحق. وقد ثبت في «الصحيح» أن رسول الله ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ» (٣).

---

(١) ضعيف: رواه أحمد (٢/ ٣٥٧)، وفيه عمر بن أبي سلمة: ضعيف، والحديث ضعفه الألباني في «الضعيفة» (٣٢٥٥).
(٢) لوحة (٢٦٥ ب).
(٣) رواه البخاري (٦٠٦٦)، ومسلم (٢٥٦٣)، وأبو داود (٤٩١٧).

وقوله: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا﴾ أي: أعرِضْ عن الذي أعرَضَ عن الحق واهجره.

وقوله: ﴿وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: وإنما أكثر همه ومبلغ علمه الدنيا، فذاك هو غاية ما لا خير فيه. ولذلك قال: ﴿ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ﴾ أي: طلب الدنيا والسعي لها هو غاية ما وصلوا إليه.

وقد روىٰ الإمام أحمد عن أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ، وَمَالُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ**»(١) وفي الدعاء المأثور: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا**»(٢).

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ أي: هو(٣) الخالق لجميع المخلوقات، والعالم بمصالح عباده، وهو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته، وهو العادل الذي لا يجور أبدًا، لا في شرعه ولا في قَدَره.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ٣١ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾

يخبر تعالىٰ أنه مالك السموات والأرض، وأنه الغني عما سواه، الحاكم في خلقه بالعدل، وخلق الخلق بالحق، ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى﴾ أي: يجازي كلًّا بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

ثم فسر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش؛ أي: لا يتعاطون المحرمات والكبائر، وإن وقع منهم بعض الصغائر فإنه يغفر لهم ويستر عليهم، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾ [النساء: ٣١]. وقال هاهنا: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾. وهذا استثناءٌ منقطعٌ؛ لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا مَعْمَرٌ، عن ابن طاوس، [عن أبيه، عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئًا أشبه باللمَم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ](٤) قال: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ كَتَبَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ النُّطْقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّىٰ وَتَشْتَهِي، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ**

---

(١) ضعيف: رواه أحمد في «المسند» (٦/ ٧١)، وفيه أبو إسحاق السبيعي، وهو مدلس وقد عنعن، وبقية رجاله ثقات، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٩٣٣)، وقال العراقي: إسناده جيد «تخريج الإحياء» (٤/ ١٨٥٨).

(٢) حسن: رواه الترمذي (٣٤٩٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٧٨٨).

(٣) لوحة (٢٦٦ أ). (٤) سقط من الأصل، وهي مثبتة في «المسند».

ذَٰلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ»[١]. أخرجاه في «الصحيحين»، من حديث عبد الرزاق به.

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الأعلىٰ، أخبرنا ابن ثورٍ، حدثنا مَعْمَرٌ، عن الأعمش، عن أبي الضُّحَىٰ؛ أن ابن مسعودٍ قال: «زنا العينين النَّظر، وزنا الشَّفتين التَّقبيل، وزنا اليدين البطش، وزنا الرِّجلين المشي، ويُصدِّق ذلك الفرج أو يُكذِّبه، فإن تقدَّم بفرجه كان زانيًا، وإلَّا فهو اللَّمَم»[٢]. وكذا قال مسروق، والشعبي.

وقال عبد الرحمن بن نافع -الذي يقال له[٣]: ابن لبابة[٤] الطائفي- قال: سألت أبا هريرة عن قول الله: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قال: القُبلة، والغمزة، والنظرة، والمباشرة، فإذا مس الختانُ الختانَ فقد وجب الغسل، وهو الزنا[٥].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾[٦] إلا ما سلف. وكذا قال زيد بن أسلم.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن المثنىٰ[٧]، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن منصور، عن مجاهد أنه قال: في هذه الآية: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قال: الذي يلم بالذنب ثم يَدَعه، قال الشاعر:

إنْ تَغْفِرِ اللهُمّ تغفر جَمّا ... وأيّ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلَمَّا؟![٨]

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قول الله: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قال: الرجل يلم بالذنب ثم ينزع عنه، قال: وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون:

إنْ تَغْفِرِ اللهُمّ تغفر جَمّا ... وأيّ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلَمَّا؟!

وقد رواه ابن جرير وغيره مرفوعًا.

قال ابن جرير: حدثني سليمان بن عبد الجبار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا زكريا بن إسحاق، عن عمرو ابن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قال: هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب وقال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا... وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلَمَّا؟!».

وهكذا رواه الترمذي، عن أحمد بن عثمان أبي عثمان البصري، عن أبي عاصم النبيل. ثم قال:

---

(١) البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧)، وأحمد (٢/ ٣١٧).

(٢) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٧٠) وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، ورواه الطبري (٢٧/ ٦٥)، والبيهقي (٥/ ٣٩٣) برقم (٧٠٦٠).

(٣) لوحة (٢٦٦ ب).

(٤) في (ز): (ابن لبانه)، والمثبت موافق لما في «الطبري».

(٥) رواه الطبري (٢٧/ ٦٥)، ورجاله ثقات عدا عبد الرحمن الطائفي، وأورده ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

(٦) رواه الطبري (٢٧/ ٦٤) وإسناده منقطع.

(٧) في (ز): (ابن عيسىٰ)، والمثبت موافق لما في «الطبري».

(٨) رواه الطبري (٢٧/ ٦٦) عن مجاهد، وقد رواه غيره عن مجاهد عن ابن عباس: رواه الحاكم (١/ ٥٥)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١٨٥)، وفي «الشعب» (٦٦٥٦)، ورجاله ثقات.

هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ، لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق. وكذا قال البزار: لا نعلمه يُروىٰ متصلا إلا من هذا الوجه. وساقه ابن أبي حاتم والبغوي من حديث أبي عاصم النبيل، وإنما ذكره البغوي في تفسير سورة «تنزيل» وفي صحته مرفوعًا نظرٌ.

ثم قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الله بن بَزِيع، حدثنا يزيد بن زُرَيْع، حدثنا يونس، عن الحسن، عن أبي هريرة -أراه رفعه-: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قال: «**اللَّمَّةُ مِنَ الزِّنَا**[١] **ثُمَّ يَتُوبُ وَلَا يَعُودُ، وَاللَّمَّةُ مِنَ السَّرِقَةِ ثُمَّ يَتُوبُ وَلَا يَعُودُ، وَاللَّمَّةُ مِنْ شُرْبِ الخَمْرِ ثُمَّ يَتُوبُ وَلَا يَعُودُ**»، قال: «**ذَلِكَ الإِلْمَامُ**»[٢] .

وحدثنا ابن بشار، حدثنا ابن أبي عَديّ، عن عوف، عن الحسن في قول الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قال: اللمم من الزنا أو السرقة أو شرب الخمر، ثم لا يعود.

وحدثني يعقوب، حدثنا ابن عُلَيَّةَ، عن أبي رَجاء، عن الحسن في قول الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: هو الرجل يصيب اللمة من الزنا، واللمة من شرب الخمر، فيجتنبها ويتوب منها[٣] .

وقال ابن جرير، عن عطاء، عن ابن عباس: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ يلم بها في الحين. قلت: الزنا؟ قال: الزنا ثم يتوب[٤] .

وقال ابن جرير أيضًا: حدثنا أبو كُرَيْبٍ، حدثنا ابن عُيَيْنَةَ، عن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس قال: ﴿ٱللَّمَمَ﴾ الذي يلم المرة[٥] .

وقال السُّدِّي: قال أبو صالح: سئلت عن ﴿ٱللَّمَمَ﴾ فقلت: هو الرجل يصيب الذنب ثم يتوب. وأخبرت بذلك ابن عباس فقال: لقد أعانك عليها مَلَكٌ كريمٌ. حكاه البغوي[٦] .

وروىٰ ابن جرير من طريق المثنىٰ بن الصباح -وهو ضعيف- عن عمرو بن شعيب؛ أن عبد الله ابن عمرو قال: ﴿ٱللَّمَمَ﴾: ما دون الشرك[٧] .

وقال سفيان الثوري، عن جابر الجُعفي، عن عطاء، عن ابن الزبير: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قال: ما بين الحدين: حد الدنيا[٨] وعذاب الآخرة[٩] . وكذا رواه شعبة، عن الحكم، عن ابن عباس، مثله سواء[١٠] .

---

(١) لوحة (٢٦٧ أ).
(٢) ضعيف: رواه الطبري (٢٧/ ٦٦)، والحسن مدلس وقد عنعن.
(٣) رواه الطبري (٢٧/ ٦٦).
(٤) رواه الطبري (٢٧/ ٦٧)، وفي الإسناد ابن جريج مدلس وقد عنعن.
(٥) رواه الطبري (٢٧/ ٦٧) ورجاله ثقات.
(٦) «معالم التنزيل» (٧/ ٤١١).
(٧) ضعيف: رواه الطبري (٢٧/ ٦٧)، وفيه المثنىٰ بن الصباح: ضعيف.
(٨) في (ز): (حد الزنا).
(٩) رواه الطبري (٢٧/ ٦٨)، وإسناده ضعيف، وعلته جابر الجعفي: ليس بالقوي.
(١٠) رواه الطبري (٢٧/ ٦٨)، وإسناده صحيح.

وقال العَوْفِيّ، عن ابن عباسٍ في قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ كل شيءٍ بين الحدين: حد الدنيا وحد الآخرة، تكفره الصلوات، وهو اللمم، وهو دون كل موجب، فأما حد الدنيا فكل حد فرض الله عقوبته في الدنيا، وأما حد الآخرة فكل شيءٍ ختمه الله بالنار، وأخَّر عقوبته إلىٰ الآخرة[١]. وكذا قال عكرمة، وقتادة، والضحاك.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ أي: رحمته وَسِعَتْ كل شيءٍ، ومغفرته تَسَعُ الذنوب كلها لمن تاب منها، كقوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟[٢] مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: هو بصيرٌ بكم، عليمٌ بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم التي تصدر عنكم[٣] وتقع منكم، حين أنشأ أباكم آدم من الأرض، واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذَّر[٤]، ثم قسمهم فريقين: فريقًا للجنة، وفريقًا للسعير. وكذا قوله: ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ قد كتب الملك الذي يُوَكَّل به رزقَه وأجَلَه وعملَه، وشقيٌّ أم سعيدٌ.

قال مكحول: كنا أجنةً في بطون أمهاتنا، فسقط منا من سقط، وكنا فيمن بقي، ثم كنا مراضع فهلك منا من هلك. وكنا فيمن بقي، ثم صرنا يَفَعَةً فهلك منا من هلك. وكنا فيمن بقي، ثم صرنا شبابًا فهلك منا من هلك. وكنا فيمن بقي، ثم صرنا شيوخًا -لا أبا لك- فماذا بعد هذا ننتظر؟ رواه ابن أبي حاتم عنه.

وقوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: تمدحوها وتشكروها وتمنوا بأعمالكم، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾، كما قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٤٩].

وقال مسلم في «صحيحه»: حدثنا عَمْرو الناقد، حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن محمد بن عمرو بن عطاء قال: سميت ابنتي بَرَّةَ، فقالت لي زينب بنت أبي سلمة: إن رسول الله ﷺ نهىٰ عن هذا الاسم، وسميت بَرَّة، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ، إِنَّ اللهَ أَعْلَمُ بِأَهْلِ البِرِّ مِنْكُمْ**». فقالوا: بم نسميها؟ قال: «**سَمُّوهَا زَيْنَبَ**»[٥].

وقد ثبت أيضًا في الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا عفان، حدثنا وهيب[٦]، حدثنا خالد الحَذَّاء، عن عبد الرحمن بن أبي بكْرَة، عن أبيه قال: مدح رَجُلٌ رجلًا عند النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**وَيْلَكَ! قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ** -مرارًا- **إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا صَاحِبَهُ لا مَحَالَةَ**

---

(١) رواه الطبري (٢٧/ ٦٨)، وإسناده ضعيف، فعطية العوفي: شيعي مدلس.
(٢) لوحة (٢٦٧ ب).
(٣) في (ز): (الذي تقدر منكم).
(٤) الذر: النمل الأحمر الصغير.
(٥) رواه مسلم (٢١٤٢).
(٦) في (ز): (وهب).

فليقل: أحسب فلانًا والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحدًا أحسبه كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك»[1].

ثم رواه عن[2] غُنْدَرٍ[3]، عن شعبة، عن خالد الحذاء به. [وكذا رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجة، من طرق، عن خالد الحذاء به][4].

وقال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع وعبد الرحمن قالا: حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن همام بن الحارث قال: جاء رجلٌ إلىٰ عثمان فأثنىٰ عليه في وجهه، قال: فجعل المقداد بن الأسود يحثو في وجهه التراب ويقول: أمرنا رسول الله ﷺ إذا لقينا المداحين أن نحثو في وجوههم التراب[5].

ورواه مسلم وأبو داود من حديث الثوري، عن منصور به.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾

يقول تعالىٰ ذامًّا لمن تولىٰ عن طاعة الله: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [القيامة:٣١، ٣٢]، ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ قال ابن عباس: أطاع قليلًا ثم قطعه. وكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، وغير واحدٍ. قال عكرمة وسعيد: كمثل القوم إذا كانوا يحفرون بئرًا، فيجدون في أثناء الحفر صخرةً تمنعهم من تمام العمل، فيقولون: «أكدينا»، ويتركون العمل.

وقوله: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ أي: أعند هذا الذي قد أمسك يده خشية الإنفاق، وقطع معروفه، أعنده علم الغيب أنه سينفد ما في يده، حتىٰ قد أمسك عن معروفه، فهو يرىٰ ذلك عيانًا؟! أي: ليس الأمر كذلك، وإنما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة بخلًا وشحًّا وهلعًا؛ ولهذا جاء في الحديث: «أنفق بلالًا ولا تخش من ذي العرش إقلالًا»[6]، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩].

وقوله: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ قال سعيد بن جبير، والثوري أي بلّغ جميع ما أمر به.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٦٢)، ومسلم (٣٠٠٠)، وأحمد (٥/ ٤١).
(٢) لوحة (٢٦٨ أ).
(٣) في (ز): (ثم رواه عن عبيد وعن شعبة).
(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).
(٥) رواه مسلم (٣٠٠٢)، وأبو داود (٤٨٠٤)، وأحمد (٦/ ٥).
(٦) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» (١/ ٣٤٢/ ١٠٢٥) وإسناده حسن، وحسنه المنذري في «الترغيب» (١/ ٥١)، ورواه الطبراني (١/ ٣٤٠/ ١٠٢٠) من طريق قيس بن ربيع (وفيه مقال)، لكنه يتقوىٰ بالإسناد السابق.

وقال ابن عباس: ﴿وَفَّىٰٓ﴾ لله بالبلاغ[١]. وقال سعيد بن جُبَير: ﴿وَفَّىٰٓ﴾ ما أمر به. وقال قتادة: ﴿وَفَّىٰٓ﴾ طاعة الله، وأدىٰ رسالته إلىٰ خلقه. وهذا القول هو اختيار ابن جرير، وهو يشمل الذي قبله[٢]، ويشهد له قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة:١٢٤] فقام بجميع الأوامر، وترك جميع النواهي، وبلَّغ الرسالة علىٰ التمام والكمال، فاستحق بهذا أن يكون للناس إمامًا يُقتدىٰ به في جميع أحواله وأفعاله وأقواله، قال الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف الحِمْصي[٣]، حدثنا آدم بن أبي أياس العسقلاني، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ قال: «أَتَدْرُونَ[٤] مَا وَفَّىٰ؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «وَفَّىٰ عَمَلَ يَوْمِهِ بِأَرْبَعِ رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ»[٥].

ورواه ابن جرير من حديث جعفر بن الزبير، وهو ضعيف.

وقال الترمذي في «جامعه»: حدثنا أبو جعفر السَّمْناني، حدثنا أبو مُسْهِرٍ، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن بحير[٦] بن سعد، عن خالد بن مَعْدانٍ، عن جبير بن نُفَير، عن أبي الدرداء وأبي ذر، عن رسول الله ﷺ عن الله ﷻ أنه قال: «ابْنَ آدَمَ ارْكَعْ لِي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، أَكْفِكَ آخِرَهُ»[٧].

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا أسد بن موسىٰ، حدثنا ابن لَهِيعَة، حدثنا زَبَّان[٨] بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ لِمَ سَمَّىٰ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ الَّذِي وَفَّىٰ؟ إِنَّهُ كَانَ يَقُولُ كُلَّمَا أَصْبَحَ وَأَمْسَىٰ: ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾» [الروم: ١٧] حتىٰ ختم الآية. ورواه ابن جرير عن أبي كُرَيْبٍ، [عن

---

(١) في (ز): (وفي نبيه بالبلاغ).
(٢) لوحة (٢٦٨ ب).
(٣) في (ز): (عوف الحمصي، حدثنا... حدثنا آدم).
(٤) كذا في (ز)، وهو موافق لما في «تفسير الطبري»، وفي بعض الطبعات: (أتدري...).
(٥) موضوع: رواه الطبري (١/ ٥٢٨)، وفيه جعفر بن الزبير، قال ابن حبان: روىٰ جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة نسخةً موضوعةً. انظر «المجروحين» (١/ ٢١٢)، وقال شعبة: وضع علىٰ النبي ﷺ أربع مئة حديث، وضعفه يحيىٰ بن معين، وقال أبو زرعة: ليس بشيء، وقال الجوزجاني: نبذوا حديثه، وقال أبو حاتم: متروك الحديث، وقال البخاري: ليس بذاك. وفي موضع آخر: متروك الحديث، تركوه، وقال النسائي والدارقطني: متروك الحديث. انظر «تهذيب الكمال» (٥/ ٢٨)، وقال الحافظ: متروك الحديث.
(٦) في (ز): (يحيىٰ بن سعد)، وهو خطأ.
(٧) صحيح: رواه الترمذي (٤٧٥)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣٩٥-٤٧٨).
(٨) في (ز): (زياد)، وهو خطأ.

رِشْدِين بن سعدٍ، عن زَبَّان به[١].][٢].

ثم شرع تعالىٰ يبين ما كان أوحاه في صحف إبراهيم وموسىٰ فقال: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٣] أي: كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذنوب فإنما عليها وزرها، لا يحمله عنها أحدٌ، كما قال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر: ١٨].

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ أي: كما لا يحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما[٤] كسب هو لنفسه. ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي ومن اتبعه أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلىٰ الموتىٰ؛ لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم؛ ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنصٍّ ولا إيماءٍ، ولم ينقل ذلك عن أحدٍ من الصحابة ﷺ، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، وباب القربات يقتصر فيه علىٰ النصوص، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمعٌ علىٰ وصولهما، ومنصوصٌ من الشارع عليهما.

وأما الحديث الذي رواه مسلم في «صحيحه»، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: مِنْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ، أَوْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ مِنْ بَعْدِهِ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ**»[٥]، فهذه الثلاثة في الحقيقة هي من سعيه وكده وعمله، كما جاء في الحديث: «**إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ**»[٦]. والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هي من آثار عمله ووقفه، وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ الآية [يس: ١٢]. والعلم الذي نشره في الناس فاقتدىٰ به الناس بعده هو أيضًا من سعيه وعمله، وثبت في «الصحيح»: «**مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى**

---

(١) موضوع: رواه أحمد (٣/ ٤٣٩)، والطبري (١/ ٥٢٨)، والطبراني (٢٠/ ١٩٢/ ٤٢٧)، وفيه أكثر من علة:
أ- زبان بن فائد: قال ابن حبان: منكر الحديث، ينفرد عن سهل بن معاذ بنسخةٍ كأنها موضوعةٌ.
ب- سهل بن معاذ: ضعفه بعضهم، وقال ابن حبان: لا يعتبر حديثه ما كان من رواية زبان بن فائد.
جـ- رشدين بن سعد: ضعيف.

(٢) بياض في (ز)، والمثبت موافق لما في «الطبري».

(٣) قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: الإنسان لا يحمل ذنب غيره، إلا أنه يستثنىٰ من ذلك، إذا كان صاحب سنة آثمة فإن عليه وزرها، ووزر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة، ولكن الحقيقة أن هذا لا يتحمل وزر غيره؛ لأن غيره قد وزر وأثم، لكن هو تحمل إثم السنة السيئة والبدء بالشر، فيكون حقيقةً أنه لم يوزر وزر غيره، ولكنه وزر بوزر نفسه ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ وقد كذَّب الله تعالىٰ قول الذين كفروا للذين آمنوا ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ فقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾ حتىٰ لو قال لك القائل: افعل هذا الذنب والإثم عليَّ فإنه لا يتمكن من هذا، ولا يمكن، فإن فعل هذا، وقيل له: الإثم عليَّ فالإثم علىٰ الفاعل، ثم إن كان الفاعل ممن يغتر بالقول ولا يفهم، فعلىٰ القائل إثم التغرير، أي أنه غرر وخدع.

(٤) لوحة (٢٦٩ أ).

(٥) رواه مسلم (١٦٣١)، وأحمد (٢/ ٣١٦).

(٦) صحيح: رواه أبو داود (٣٥٢٨)، والترمذي (١٣٥٨)، والنسائي (٧/ ٢٤١)، وابن ماجة (٢٢٩٠).

كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنِ اتَّبَعَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا»[١].

وقوله: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ أي: يوم القيامة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] أي: فيخبركم به، ويجزيكم عليه أتم الجزاء، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر. وهكذا قال هاهنا: ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ أي: الأوفر.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ (٤٢) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ (٤٣) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ (٤٧) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ (٤٨) وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ (٤٩) وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ (٥٠) وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ[٢] إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ (٥٢) وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ (٥٣) فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ (٥٤) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ (٥٥)﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ أي: المعاد يوم القيامة.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سُوَيد بن سَعيد، حدثنا مسلم بن خالد، عن عبد الرحمن ابن سابط، عن عمرو بن ميمون الأَوْديّ قال: قام فينا معاذ بن جبل فقال: يا بني أود، إني رسول رسول الله إليكم، تعلمون أن المعاد إلىٰ الله، إلىٰ الجنة أو إلىٰ النار[٣].

وذكر البغوي من رواية أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾، قال: لا فكرةَ في الرب[٤].

قال البغوي: وهذا مثل ما رُوي عن أبي هريرة مرفوعًا: «**تَفَكَّرُوا فِي الخَلْقِ وَلا تَفَكَّرُوا فِي الخَالِقِ، فَإِنَّهُ لا تُحِيطُ بِهِ الفِكْرَةُ**»[٥].

كذا أورده، وليس بمحفوظ بهذا اللفظ، وإنما الذي في «الصحيح»: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّىٰ يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ أَحَدُكُمْ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ**»[٦].

وفي الحديث الآخر الذي في [السنن][٧]: «**تَفَكَّرُوا فِي مَخْلُوقَاتِ اللهِ، وَلا تَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ مَلَكًا مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَىٰ عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ ثَلاثِمِائَةِ سَنَةٍ**» أو كما قال[٨].

---

(١) مسلم (٢٦٧٤)، وأبو داود (٤٦٠٩).
(٢) لوحة (٢٦٩ ب).
(٣) رواه ابن أبي حاتم (٣٣٨٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٣٦)، وفي «معرفة الصحابة» (٥١٤٠-بتحقيقي) وفي إسناده سويد بن سعيد: صدوق في نفسه إلا أنه عمي فصار يتلقن ما ليس من حديثه فأفحش فيه ابن معين القول.
(٤) ضعيف: رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٦)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٢٢٣)، في إسناده أبو جعفر الرازي: صدوق سيئ الحفظ.
(٥) صححه الألباني بلفظ آخر: رواه أبو الشيخ في «العظمة» (١-٥) بأسانيد ضعيفة، لكن صحَّحه الشيخ الألباني لشواهده ولفظه: «تذكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في ذات الله» انظر: «الصحيحة» (١٧٨٨).
(٦) رواه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤).
(٧) بياض في (ز).
(٨) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٦٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢١) وقال الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٤/ ٣٩٦):
=

وقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ أي: خلق في عباده الضحك، والبكاء وسببهما وهما مختلفان.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ ، كقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢]، ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ ، كقوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٣٦ - ٤٠].

وقوله: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ أي: كما خلق البداءة هو قادرٌ على الإعادة، وهي النشأة الآخرة يوم القيامة. ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ أي: مَلَّك عباده المال، وجعله لهم قُنْيَةً مقيمًا عندهم، لا يحتاجون إلى بيعه، فهذا تمام النعمة عليهم. وعلى هذا يدور كلام كثيرٍ من المفسرين، منهم أبو صالح، وابن جرير، وغيرهما. وعن مجاهد: ﴿أَغْنَىٰ﴾: مَوَّل، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: أخدم. وكذا قال قتادة.

وقال ابن عباس[1] ومجاهد أيضًا: ﴿أَغْنَىٰ﴾: أعطى، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: رَضّى.

وقيل[2]: معناه: أغنى نفسه وأفقر الخلائق إليه، قاله الحضرمي بن لاحق.

وقيل: ﴿أَغْنَىٰ﴾ من شاء من خلقه و ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: أفقر من شاء منهم، قاله ابن زيد. حكاهما ابن جرير وهما بعيدان من حيث اللفظ.

وقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد، وغيرهم: هو هذا النجم الوقاد الذي يقال له: «مِرْزَم الجوزاء» كانت طائفة من العرب يعبدونه.

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾[3] وهم: قوم هود. ويقال لهم: عاد بن إرم بن سام بن نوح، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [الفجر: ٦ -٨]، فكانوا من أشد الناس وأقواهم وأعتاهم على الله وعلى رسوله، فأهلكهم الله ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٦، ٧].

وقوله: ﴿وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ ؛ أي: دمرهم فلم يُبْقِ منهم أحدًا، ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي: من قبل هؤلاء، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ أي: أشد تمردًا من الذين من بعدهم، ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ يعني: مدائن لوط، قَلَبها عليهم فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارةً من سجيل منضودٍ؛ ولهذا قال: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ يعني: من الحجارة التي أرسلها عليهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٣].

قال قتادة: كان في مدائن لوط أربعة آلاف ألف إنسان، فانضرم عليهم الوادي شيئًا من نار ونفط

= وهذا إسناده حسن في الشواهد. عبد الجليل وشهر -وهو ابن حوشب-: صدوقان سيئا الحفظ، وسائر الرجال ثقات.

(١) الطبري (١١/ ٥٣٥)، والبخاري تعليقًا (٤/ ١٨٣٩). (٢) لوحة (٢٧٠ أ).

(٣) قال ابن عثيمين رحمه الله: وصفٌ كاشفٌ، وليس وصفًا مقيدًا؛ يعني: ليس هناك عاد أولى وعاد ثانية، بل هي واحدةٌ، لكنها عادٌ قديمةٌ سابقةٌ، ولهذا وصفها بأنها الأولى؛ أي: أنها القديمة السابقة وليس ثَمَّةَ عادٌ أخرى، وهم قوم هود، وكان الله تعالى قد أعطاهم من القوة والنشاط وشدة البطش ما ليس لغيرهم، حتى إنهم قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

وقَطِران كفم الأتون. رواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن محمد بن وهب بن عطية، عن الوليد بن مسلم، عن خليد، عنه به. وهو غريبٌ جدًّا.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ أي: ففي أي نعم الله عليك أيها الإنسان تمتري؟ قاله قتادة.

وقال ابن جُرَيجٍ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ يا محمد. والأول أولىٰ، وهو اختيار ابن جرير.

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ (٥٦) أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨) أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ (٦١) فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ (٦٢)﴾

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾ يعني: محمدًا ﷺ ﴿مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ أي: من جنسهم، أرسل كما أرسلوا، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩].

﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾ أي: اقتربت القريبة، وهي القيامة، ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ أي: لا يدفعها[(١)] إذًا [من دون][(٢)] الله أحدٌ، ولا يَطَّلِعُ علىٰ علمها سواه.

ثم قال تعالىٰ منكرًا علىٰ المشركين في استماعهم القرآن وإعراضهم عنه وتلهيهم: ﴿تَعْجَبُونَ﴾ من أن يكون صحيحًا، ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ منه استهزاءً وسخريةً، ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ أي: كما يفعل الموقنون به، كما أخبر عنهم: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩].

وقوله: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ قال سفيان الثوري، عن أبيه، عن ابن عباسٍ قال: الغناء، [هي يمانية[(٣)]، اسْمِد لنا: غَنِّ لنا][(٤)]. وكذا قال عكرمة.

وفي رواية عن ابن عباس: ﴿سَٰمِدُونَ﴾: معرضون[(٥)]. وكذا قال مجاهد، وعكرمة. وقال الحسن: غافلون. وهو رواية عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وفي رواية عن ابن عباس: تستكبرون. وبه يقول [السُّدِّي][(٦)].

ثم قال آمرًا لعباده بالسجود له، والعبادة، والمتابعة[(٧)] لرسوله ﷺ والتوحيد والإخلاص: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾ أي: فاخضعوا له وأخلصوا ووحدوا.

قال البخاري: حدثنا أبو مَعْمَرٍ، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: سجد النبي ﷺ بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس. انفرد به دون مسلم[(٨)].

---

(١) لوحة (٢٧٠ ب). (٢) بياض في (ز).

(٣) الطبري (٢٧/ ٨٢)، و«غريب الحديث» للحربي (٢/ ٥٢١)، «ذم الملاهي» (١/ ٣٧) برقم (١٣)، وقد أورد الطبري له طرقًا أخرىٰ غير المذكورة هنا، وبعضها صحيح.

(٤) في (ز): (هي ثمانية أشهر لنا، يغني لنا). (٥) انظر نحوه في «تفسير الطبري» (٢٧/ ٨٢).

(٦) سقط من (ز). (٧) في (ز): (التابعة).

(٨) رواه البخاري (٤٨٦٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن خالد، حدثنا رباح، عن مَعْمَر، عن ابن طاوس، عن عكرمة بن خالد، عن جعفر بن المطلب بن أبي وَدَاعةَ، عن أبيه قال: قرأ رسول الله ﷺ بمكة سورة النجم، فسجد وسَجَد من عنده، فرفعتُ رأسي وأبيتُ أن أسجد، ولم يكن أسلم يومئذ المطلب، فكان بعد ذلك لا يسمع أحدًا يقرؤها إلا سجد معه (١).

وقد رواه النسائي في الصلاة، عن عبد الملك بن عبد الحميد، عن أحمد بن حنبل به.

آخر تفسير سورة النجم ولله الحمد والمنة (٢)

ذكر حديث له مناسبة بما تقدم من قوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝٥٦ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ﴾، فإن النذير هو: الحذرُ لما يعاين (٣) من الشر الذي يخشىٰ وقوعه فيمن (٤) أنذرهم، كما قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا (٥) نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦]. وفي الحديث: «أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ» (٦) أي: الذي أعجله شدة ما عاين من الشر عن أن يلبس عليه شيئًا، بل بادر إلىٰ إنذار قومه قبل ذلك، فجاءهم عُريانًا مسرعًا (٧) ومناسب لقوله: ﴿أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ﴾ أي: اقتربت القريبة؛ يعني: يوم القيامة كما قال في أول السورة التي بعدها: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]، قال الإمام أحمد:

حدثنا أنس بن عياض، حدثني أبو حازم (٨) -لا أعلم إلا عن سهل بن سعد- قال: قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّىٰ أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَىٰ يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ» (٩).

وقال أبو حازم: قال رسول الله ﷺ -قال أبو ضَمْرَةَ: لا أعلم إلا عن سهل بن سعد- قال: «مَثَلِي وَمَثَلُ السَّاعَةِ كَهَاتَيْنِ» وفرَّق (١٠) بين أصبعيه الوسطىٰ والتي تلي الإبهام، ثم قال: «مَثَلِي وَمَثَلُ السَّاعَةِ كَمَثَلِ فَرَسَيْ رِهَانٍ»، ثم قال: «مَثَلِي وَمَثَلُ السَّاعَةِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَعَثَهُ قَوْمُهُ طَلِيعَةً، فَلَمَّا خَشِيَ أَنْ يُسْبَقَ أَلَاحَ بِثَوْبِهِ: أُتِيتُمْ أُتِيتُمْ». ثم يقول رسول الله ﷺ: «أَنَا ذَلِكَ» (١١). وله شواهد من وجوه أخر من صحاح وحِسان. ولله الحمد والمنة، وبه الثقة والعصمة.

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٣٩٩)، والنسائي (٢/ ١٦٠)، وفيه جعفر بن المطلب، قال الحافظ: مقبول، لكن الحديث حسنه الشيخ الألباني، حيث إنه لم يذكر في رواية النسائي «جعفر بن المطلب».

(٢) كذا وردت هذه الجملة في (ز) عند هذا الموضع.

(٣) في (ز): (لما عاين).

(٤) في (ز): (ممن).

(٥) في (ز): (إني نذير).

(٦) رواه البخاري (٦٥٨٢)، ومسلم (٢٢٨٣).

(٧) لوحة (٢٧١ أ).

(٨) في (ز): (أبو حاتم).

(٩) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٣٣١)، والبيهقي في «الشعب» (٧٢٦٧)، والطبراني في «الكبير» (٦/ ١٦٥/ ٥٨٧٢).

(١٠) في (ز): (وقرن).

(١١) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٢٣١)، وبعض ألفاظه له شواهد، كما ذكر ابن كثير.

سُورَةُ القَمَرِ

تفسير سورة القمر وهي مكية

قد تقدم في حديث أبي واقد[1] أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بقاف، واقتربت الساعة، في الأضحىٰ والفِطْر، وكان يقرأ بهما في المحافل الكبار، لاشتمالهما علىٰ ذكر الوعد والوعيد وبدء الخلق وإعادته، والتوحيد وإثبات النبوات، وغير ذلك من المقاصد العظيمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾﴾

يخبر تعالىٰ عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها. كما قال تعالىٰ: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، وقال: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١] وقد وردت الأحاديث بذلك، قال الحافظ أبو بكر البزار[2]:

حدثنا محمد بن المثنىٰ وعمرو بن علي قالا: حدثنا خلف بن موسىٰ، حدثني أبي، عن قتادة، عن أنس؛ أن رسول الله ﷺ خَطَبَ أصحابه ذات يوم، وقد كادت الشمس أن تغرب فلم يبقَ منها إلا شِفٌّ[3][4] يسيرٌ، فقال: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَىٰ مِنْهَا إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَىٰ مِنْهُ، وَمَا نَرَىٰ مِنَ الشَّمْسِ إِلَّا يَسِيرًا»**[5].

قلت: هذا حديثٌ مداره علىٰ خلف بن موسىٰ بن خلف العَمِّي، عن أبيه. وقد ذكره ابن حِبَّان في «الثقات»، وقال: ربما أخطأ.

---

(١) رواه مسلم (٨٩١)، وأبو داود (١١٥٤)، والترمذي (٥٣٤)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٥٥٠)، وفي «الصغرىٰ» (١/ ١٨٣)، وابن ماجه (١٢٨٢).

(٢) لوحة (٢٧١ ب).

(٣) الشف: بقية النهار.

(٤) في (ز): (سف يسير).

(٥) حسن: عزاه للبزار من طريق خلف بن موسىٰ وقد وثقه بعضهم وضعفه آخرون، ولا ينزل حديثه عن الحسن، ثم إن للحديث شاهدًا من حديث ابن عمر الآتي، ورواه الضياء في «المختارة» (٢٥٤٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٦١): من طريق خلف بن موسىٰ عن أبيه وقد وثقا، وبقية رجاله رجال الصحيح.

حديث آخر يعضد الذي قبله ويفسره، قال الإمام أحمد: حدثنا الفضل بن دُكَيْنٍ، حدثنا شريكٌ، حدثنا سلمة بن كُهَيْلٍ، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ والشمس علىٰ قُعَيْقِعان[(١)] بعد العصر، فقال: «مَا أَعْمَارُكُمْ فِي أَعْمَارِ مَنْ مَضَىٰ إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ فِيمَا مَضَىٰ»[(٢)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين، حدثنا محمد بن مُطَرِّفٍ، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، قال: سمعت رسول الله يقول: «بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ هَكَذَا». وأشار بأصبعيه: السبابة والوسطىٰ[(٣)]. أخرجاه من حديث أبي حازم سلمة بن دينار[(٤)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عُبَيد[(٥)]، حدثنا الأعمش، عن أبي خالد، عن وهب السُّوَائي قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ إِنْ كَادَتْ [لَتَسْبِقُهَا][(٦)]» وجمع الأعمش بين السبابة والوسطىٰ[(٧)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعي، حدثنا إسماعيل بن عبيد[(٨)] الله، قال: قدم أنس بن مالك علىٰ الوليد بن عبد الملك فسأله: ماذا سمعت من رسول الله ﷺ يذكر به الساعة؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ[(٩)]»[(١٠)].

تفرد به أحمد. وشاهد ذلك أيضًا في «الصحيح» في أسماء رسول الله ﷺ أنه الحاشر الذي يُحْشَرُ الناس علىٰ قدميه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا بَهْزُ بن أسد، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا حميد بن هلال، عن خالد بن عمير قال: خطب عتبة بن غَزْوَان -قال بهز: وقال قبل[(١١)] هذه المرة- خطبنا رسول الله ﷺ قال: فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال[(١٢)]: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصَرْمٍ[(١٣)] وَوَلَّتْ حَذَّاءَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ يَتَصَابُّهَا[(١٤)] صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَىٰ دَارٍ لا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الحَجَرَ يُلْقَىٰ مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيهَا سَبعِينَ عَامًا مَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا، وَاللهِ لَتَمْلَؤُنَّهُ، أَفَعَجِبْتُمْ! وَاللهِ لَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَي الجَنَّةِ مَسِيرَةَ أَرْبَعِينَ

---

(١) قعيقعان: جبل بمكة.
(٢) حسن: رواه أحمد (٢/ ١١٥)، وفيه شريك القاضي: سيئ الحفظ، لكن تقدم ما يشهد للحديث.
(٣) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٢٣٨).
(٤) رواه البخاري (٥٠١ ٣)، ومسلم (٢٩٥٠).
(٥) في (ز): (محمد بن عبد)، والمثبت هو الصواب.
(٦) بياض في (ز).
(٧) رواه أحمد (٥/ ٣٣٨)، وفيه أبو خالد الوالبي قال الحافظ: مقبول. قلت: يشهد له الحديث السابق.
(٨) في (ز): (عبد الله).
(٩) في (ز): (كتين).
(١٠) رواه أحمد (٣/ ٢٢٣)، وفيه انقطاع لكن يشهد له ما تقدم.
(١١) في (ز): (مثل).
(١٢) لوحة (٢٧٢ أ).
(١٣) بصرم: بانقطاع، وحَذَّاء: مسرعة، والصبابة: بقية قليلة.
(١٤) يتصابها: يشربها.

عَامًا، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظُ الزِّحَامِ» وذكر تمام الحديث، انفرد به مسلم[١] .

وقال أبو جعفر بن جرير: حدثني يعقوب، حدثني ابن عُلَيَّةَ، أخبرنا عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي قال: نزلنا المدائن فكنا منها على فَرْسَخٍ، فجاءت الجمعة، فحضر أبي وحضرت معه فخطبنا حذيفة فقال: ألا إن الله يقول: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ ، ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراقٍ، ألا وإن اليوم المضمار[٢] ، وغدا السباق، فقلت لأبي: أيستبق الناس غدًا؟ فقال: يا بني إنك لجاهل، إنما هو السباق بالأعمال.

ثم جاءت الجمعة الأخرى فحضرنا فخطب حذيفة، فقال: ألا إن الله ﷻ يقول: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراقٍ، ألا وإن اليوم المضمار وغدًا السباق، ألا وإن الغاية النار، والسابق من سبق إلى الجنة[٣] .

وقوله: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ، كما ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة. وقد ثبت في «الصحيح» عن ابن مسعود أنه قال: «خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ: الرُّومُ، وَالدُّخَانُ، وَاللِّزَامُ، وَالبَطْشَةُ، وَالقَمَرُ»[٤] . وهذا أمرٌ متفقٌ عليه بين العلماء؛ أي: انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات.

ذكر الأحاديث الواردة في ذلك:

- رواية أنس بن مالك:

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا مَعْمَرٌ، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آيةً، فانشق القمر بمكة مرتين، فقال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[٥] .

ورواه مسلم، عن محمد[٦] بن رافع، عن عبد الرزاق.

وقال البخاري: حدثني عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا سعيد بن أبي عَرُوبةَ، عن قتادة، عن أنس بن مالك؛ أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آيةً، فأراهم القمر شِقَّين، حتى رأوا حِرَاء بينهما[٧] .

---

(١) رواه مسلم (٢٩٦٧).

(٢) أي: اليوم العَمَل في الدُّنيا للاستباق في الجنة، والمِضْمَار: المَوْضِعُ الذي تُضَمَّر فيه الخيل. وتضميرُ الخَيل: هو أن يُظاهِر عليها بالعَلَف حتى تسمَن، ثم لا تُعلف إلّا قُوتًا لتخفَّ. وقيل: تُشدُّ عليها سُرُوجُها وتُجَلَّل بالأجِلَّة حتى تَعْرَق تَحْتَها، فيَذهبُ رَهَلُها ويَشْتَدَّ لحمُها. «النهاية».

(٣) رواه الطبري (٢٢/ ٥٦٩-شاكر)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٥٢٨٥)، و«الزهد» لأبي داود (٢٧٤)، والحاكم (٤/ ٦٠٩) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) رواه البخاري (٤٧٦٧، ٤٨٢٠).

(٥) رواه البخاري (٣٨٦٨)، ومسلم (٢٨٠٢)، وأحمد (٣/ ١٦٠).

(٦) لوحة (٢٧٢ ب).

(٧) رواه البخاري (٣٨٦٨).

وأخرجاه أيضًا من حديث يونس بن محمد المؤدّب، عن شيبان، عن قتادة[(١)] . ورواه مسلم أيضًا من حديث أبي داود الطيالسي، ويحيىٰ القطان، وغيرهما، عن شعبة، عن قتادة به[(٢)] .

- **رواية جبير بن مطعم ﷺ:**

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن كثير، حدثنا سليمان بن كثير، عن حصين بن عبد الرحمن، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: انشق القمر علىٰ عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين: فرقةً علىٰ هذا الجبل، وفرقةً علىٰ هذا الجبل، فقالوا: سحرنا[(٣)] محمد. فقالوا: إن كان سحرنا[(٤)] فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم[(٥)] .

تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه، وأسنده البيهقي في «الدلائل» من طريق محمد بن كثير، عن أخيه سليمان بن كثير، عن حصين بن عبد الرحمن به[(٦)] . وهكذا رواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل وغيره، عن حصين به[(٧)] . ورواه [البيهقي][(٨)] أيضًا من طريق إبراهيم بن طَهْمَان وهُشَيْم، كلاهما عن حُصَين عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده فذكره.

- **رواية عبد الله بن عباس ﷺ:**

قال البخاري: حدثنا يحيىٰ بن بكير، حدثنا بكر، عن جعفر، عن عِرَاك بن مالك، عن عبيد[(٩)] الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباسٍ قال: انشق القمر في زمان رسول الله ﷺ[(١٠)] .

ورواه البخاري أيضًا ومسلم، من حديث بكر بن مضر، عن جعفر بن ربيعة، عن عِرَاكِ بن مالك به مثله[(١١)] .

وقال ابن جرير: حدثنا ابن مثنىٰ[(١٢)] ، حدثنا عبد الأعلىٰ، حدثنا داود بن أبي هند[(١٣)] ، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ قال: قد مضىٰ ذلك، كان قبل الهجرة، انشق القمر حتىٰ رأوا شقيه[(١٤)] .

ورویٰ العَوْفيُّ، عن ابن عباس نحو هذا.

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن عمرو[(١٥)] البزار، حدثنا محمد بن يحيىٰ القُطَعِي، حدثنا محمد بن

---

(١) رواه البخاري (٣٦٣٧)، ومسلم (٣٨٠٢).
(٢) رواه مسلم (٣٨٠٢).
(٣) في (ز): (سحره)، والمثبت موافق لما في «المسند».
(٤) في (ز): (سحره)، والمثبت موافق لما في «المسند».
(٥) صحيح: رواه أحمد (٤/ ٨١)، والترمذي (٣٢٨٥)، والطبري (٢٧/ ٨٦).
(٦) «الدلائل» للبيهقي (٢/ ٢٦٨).
(٧) «تفسير الطبري» (٢٧/ ٨٦).
(٨) سقط من (ز).
(٩) في (ز): (عبد الله)، وهو الصواب.
(١٠) رواه البخاري (٤٨٦٦).
(١١) رواه البخاري (٣٨٧٠)، ومسلم (٢٨٠٣).
(١٢) في (ز): (ابن عيسىٰ)، والمثبت هو الصواب.
(١٣) في (ز): (أبي عبيد)، وهو خطأ.
(١٤) «تفسير الطبري» (٢٧/ ٨٦).
(١٥) لوحة (٢٧٣ أ).

بكر، حدثنا ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباسٍ قال: كُسِفَ القمر علىٰ عهد رسول الله ﷺ فقالوا: سُحِر القمر. فنزلت: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ إلىٰ قوله: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾[١].

- رواية عبد الله بن عمر:

قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا: حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا العباس بن محمد الدّوري، حدثنا وهب بن جرير، عن شعبة، عن الأعمش، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمر في قوله تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ قال: وقد كان ذلك علىٰ عهد رسول الله ﷺ انشق فِلْقَتَين: فِلْقَةً من دون الجبل، وفلقةً من خلف الجبل، فقال النبي ﷺ: «اللّهُمَّ اشْهَدْ»[٢].

وهكذا رواه مسلم، والترمذي، من طرق عن شعبة، عن الأعمش، عن مجاهد به. قال مسلم كرواية مجاهد عن أبي معمرٍ عن ابن مسعود. وقال الترمذي: حسنٌ صحيحٌ[٣].

- رواية عبد الله بن مسعود:

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن ابن أبي نَجِيحٍ، عن مجاهد، عن أبي مَعْمَرٍ، عن ابن مسعودٍ قال: انشق القمر علىٰ عهد رسول الله ﷺ شقين حتىٰ نظروا إليه، فقال رسول الله ﷺ: «اشْهَدُوا»[٤].

وهكذا رواه البخاري ومسلم، من حديث سفيان بن عيينة به[٥]. وأخرجاه من حديث الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمرٍ عبد الله بن سَخْبَرَة، عن ابن مسعودٍ به[٦].

وقال ابن جرير: حدثني عيسىٰ بن عثمان بن عيسىٰ الرملي، حدثنا عمي يحيىٰ بن عيسىٰ، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن رجلٍ، عن عبد الله، قال: كنا مع رسول الله ﷺ بمنىٰ فانشق القمر، فأخذت فرقة خلف الجبل، فقال رسول الله ﷺ: «اشْهَدُوا، اشْهَدُوا»[٧].

قال البخاري: وقال أبو الضحىٰ، عن مسروق، عن عبد الله: بمكة[٨].

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا أبو عوانة، عن المغيرة، عن أبي الضُّحَىٰ، عن مسروق، عن عبدالله بن مسعود، قال: انشق القمر علىٰ عهد رسول الله ﷺ[٩]، فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٥٠)، وفي إسناده ابن جريج وهو مدلس.

(٢) رواه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٦٧) وانظر ما بعده.

(٣) رواه مسلم (٢٨٠١)، والترمذي (٣٢٨٤) وقال: حسن صحيح.

(٤) رواه أحمد (١/ ٣٧٧)، وانظر ما بعده.

(٥) رواه البخاري (٤٨٦٥)، ومسلم (٢٨٠٠).

(٦) رواه البخاري (٤٨٦٤)، ومسلم (٢٨٠٠).

(٧) «تفسير الطبري» (٢٧/ ٨٥)، وفي إسناده رجل مجهول.

(٨) رواه البخاري (٣٨٦٩).

(٩) لوحة (٢٧٣ ب).

كبشة[١]. قال: فقالوا: انظروا ما يأتيكم به السُّفَّار[٢]، فإن محمدًا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم. قال: فجاء السّفَّار فقالوا ذلك[٣].

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا العباس بن محمد الدَّوْري، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا هُشَيْمٌ، حدثنا مغيرة، عن أبي الضحىٰ، عن مسروق، عن عبد الله، قال: انشق القمر بمكة حتىٰ صار فرقتين، فقال كفار قريش أهل مكة: هذا سحرٌ سحركم به ابن أبي كَبْشَة، انظروا السُّفَارُ، فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق، وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سِحْرٌ سحركم به. قال: فسئل السفار، قال: وقدموا من كل وجهةٍ، فقالوا: رأيناه[٤].

رواه ابن جرير من حديث المغيرة به. وزاد: فأنزل الله ﷻ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾[٥]. ثم قال ابن جرير:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن[٦] عُلَيَّةَ، أخبرنا أيوب، عن محمد -هو ابن سيرين- قال: نبئت أن ابن مسعود ﷺ كان يقول: لقد انشق القمر[٧].

وقال ابن جرير أيضًا: حدثني محمد بن عمارة، حدثنا عمرو بن حماد، حدثنا أسباط، عن سماك، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله قال: لقد رأيت الجبل من فَرْج[٨] القمر حين انشق[٩].

ورواه الإمام أحمد عن مُؤَمَّل، عن إسرائيل، عن سِمَاكٍ، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله، قال: انشق القمر علىٰ عهد رسول الله ﷺ، حتىٰ رأيت الجبل من بين فرجتي[١٠] القمر[١١].

وقال ليث عن مجاهد: انشق القمر علىٰ عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «اشْهَدْ يَا أَبَا بَكْرٍ». فقال المشركون: سُحِرَ القمر حتىٰ انشق[١٢].

وقوله: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً﴾ أي: دليلًا وحجةً وبرهانًا ﴿يُعْرِضُوا﴾ أي: لا ينقادون له، بل يعرضون عنه ويتركونه وراء ظهورهم، ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ أي: ويقولون: هذا الذي شاهدناه من الحجج، سحرٌ سحرنا به.

---

(١) كان المشركون يَنْسُبُون النبيَّ ﷺ إلىٰ أبي كَبْشَة، وهو رجُلٌ من خُزاعةَ خالَفَ قُرَيشًا في عِبادة الأوثان وعَبد الشِّعْرَىٰ العَبُورَ، فلمَّا خالفَهم النبي ﷺ في عبادَة الأوثان شَبَّهُوه به، وقيل: إنه كان جَدَّ النبيِّ ﷺ من قِبَلِ أُمِّه فأرادوا أنه نَزَع في الشَّبَه إليه. «النهاية».

(٢) أي: القادمون من السفر.

(٣) صحيح: رواه الطيالسي (٢٩٥).

(٤) صحيح: رواه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٦٧).

(٥) «تفسير الطبري» (٢٨/ ٨٥).

(٦) في (ز): (أبو علية).

(٧) رواه الطبري (٢٧/ ٨٥).

(٨) في (ز): (فرخ).

(٩) المصدر السابق.

(١٠) في (ز): (فرختي).

(١١) صحيح: رواه أحمد (١/ ٤١٣)، والطبري (٢٧/ ٨٥).

(١٢) مرسل: رواه الطبري (٢٧/ ٨٧).

ومعنىٰ ﴿مُسْتَمِرٌّ﴾ أي: ذاهبٌ. قاله مجاهد، وقتادة، وغيرهما؛ أي: باطلٌ مضمحلٌ، لا دوام له.

﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: كذبوا بالحق إذ جاءهم(١)، واتبعوا ما أمرتهم به آراؤهم وأهواؤهم من جهلهم وسخافة عقلهم.

وقوله: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾ قال قتادة: معناه: أن الخير واقعٌ بأهل الخير، والشر واقعٌ بأهل الشر.

وقال ابن جريج: مستقر بأهله. وقال مجاهد: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾ أي: يوم القيامة.

وقال السدي: ﴿مُسْتَقِرٌّ﴾ أي: واقعٌ.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾ أي: من الأخبار عن قصص الأمم المكذبين بالرسل، وما حل بهم من العقاب والنكال والعذاب، مما يتلىٰ عليهم في هذا القرآن ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أي: ما فيه واعظٌ لهم عن الشرك والتمادي علىٰ التكذيب.

وقوله: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ أي: في هدايته تعالىٰ لمن هداه وإضلاله لمن أضله، ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ يعني: أي شيءٍ تغني النذر عمن كتب الله عليه الشقاوة، وختم علىٰ قلبه؟ فمن الذي يهديه من بعد الله؟ وهذه الآية كقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام:١٤٩]، وكذا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١].

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾

يقول تعالىٰ: فتولَّ يا محمد عن هؤلاء الذين إذا رأوا آيةً يعرضون ويقولون: هذا سحرٌ مستمرٌّ، أعرض عنهم وانتظرهم ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُكُرٍ﴾ أي: إلىٰ شيء منكر فظيع، وهو موقف الحساب وما فيه من البلاء، بل والزلازل والأهوال، ﴿خُشَّعًا(٢) أَبْصَارُهُمْ﴾ أي: ذليلة أبصارهم ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ وهي: القبور، ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ أي: كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلىٰ موقف الحساب إجابة للداعي ﴿جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ في الآفاق؛ ولهذا قال: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين ﴿إِلَى الدَّاعِ﴾ لا يخالفون ولا يتأخرون، ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ أي: يوم شديد الهول عَبُوس قَمْطَرِير ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر:٩، ١٠].

---

(١) لوحة (٢٧٤ أ).

(٢) في (ز): «خَاشِعًا أبْصَارُهُم»، وهي قراءة متواترة: قَرَأَ (خَاشِعًا) أَبُو عَمْرٍو وَيَعْقُوبُ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفُ (فِي اخْتِيَارِهِ) وَوَافَقَهُمُ الْيَزِيدِيُّ وَالْأَعْمَشُ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (خُشَّعًا).

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا (١) فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾

يقول تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ﴾ قبل قومك يا محمد ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ أي: صرحوا له بالتكذيب واتهموه بالجنون، ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ قال مجاهد: ﴿وَازْدُجِرَ﴾ أي: استطير جنونًا. وقيل: ﴿وَازْدُجِرَ﴾ أي: انتهروه وزجروه وأوعدوه: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦]. قاله ابن زيد، وهذا متوجه حسن.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ أي: إني ضعيفٌ عن هؤلاء وعن مقاومتهم ﴿فَانْتَصِرْ﴾ أنت لدينك. قال الله تعالىٰ: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ قال السُّدِّي: هو الكثير ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ أي: نبعت جميعُ أرجاء الأرض، حتىٰ التنانير التي هي محال النيران نبعت عيونًا، ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ أي: من السماء ومن الأرض ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أي: أمر مقدر.

قال ابن جُرَيْجٍ، عن ابن عباس: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ كثير، لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده، ولا من السحاب؛ فتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم، فالتقىٰ الماءان علىٰ أمرٍ قد قدر (٢).

وروىٰ ابن أبي حاتم أن ابن الكَوَّاء سأل عليًّا عن المجرة فقال: هي شرج السماء (٣)، ومنها فتحت السماء بماءٍ منهمر (٤).

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾: قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، والقرظي، وقتادة، وابن زيد: هي المسامير، واختاره ابن جرير، قال: وواحدها دسار، ويقال: دَسِير، كما يقال: حبيك وحباك، والجمع حُبُك.

وقال مجاهد: الدسر: أضلاع السفينة. وقال عكرمة والحسن: هو صدرها الذي يضرب به الموج.

وقال الضحاك: الدسر: طرفها وأصلها.

---

(١) لوحة (٢٧٤ ب).

(٢) رواه ابن أبي حاتم (١٨٧٠٥) نحوه.

(٣) الشَّرْجة: مسيل الماء من الحرة إلىٰ السهل، والشرج جنس لها.

(٤) رواه ابن أبي حاتم (١٨٧٠٦)، و«الأدب المفرد» (٧٦٦).

وقال العَوْفي عن ابن عباس: هو كلكلها[(١)].

وقوله: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بأمرنا بمرأىٰ منا وتحت حفظنا وكلاءتنا، ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي: جزاء لهم علىٰ كفرهم بالله وانتصارًا لنوح عليه السلام.

وقوله: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً﴾ قال قتادة: أبقىٰ الله سفينة نوح حتىٰ أدركها أول هذه الأمة. والظاهر أن المراد من ذلك جنس السفن، كقوله تعالىٰ: ﴿وَءَايَةٌ[(٢)] لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝٤١ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس: ٤١، ٤٢]، وقال: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١١، ١٢]؛ ولهذا قال ها هنا: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي: فهل من يتذكر ويتعظ؟

قال الإمام أحمد: حدثنا حجاج، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الأسود، عن ابن مسعودٍ، قال: أقرأني رسول الله ﷺ ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [فقال رجل: يا أبا عبد الرحمن، مُدَّكر أو مُذَّكر؟ قال: أقرأني رسول الله ﷺ: ﴿مُّدَّكِرٍ﴾[(٣)].][(٤)].

وهكذا رواه البخاري: حدثنا يحيىٰ، حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الأسود بن يزيد، عن عبد الله قال: قرأت علىٰ النبي ﷺ: ﴿فَهَلْ مِن مُّذَّكِرٍ﴾ فقال النبي ﷺ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[(٥)].

وروىٰ البخاري أيضًا من حديث شعبة، عن أبي إسحاق، عن الأسود، عن عبد الله، قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[(٦)].

وقال: حدثنا أبو نُعَيم، حدثنا زُهَيْرٌ، عن أبي إسحاق؛ أنه سمع رجلًا يسأل الأسود: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أو ﴿مُّذَّكِرٍ﴾؟ قال: سمعت عبد الله يقرأ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾. وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقرؤها: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ دالًا.

وقد أخرج مسلم هذا الحديث وأهل السنن إلا ابن ماجه، من حديث أبي إسحاق[(٧)].

وقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ أي: كيف كان عذابي لمن كفر بي وكذب رسلي ولم يتعظ بما جاءت به نُذُري؟ وكيف انتصرت لهم، وأخذت لهم بالثأر؟

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ أي: سهلنا لفظه، ويسرنا معناه لمن أراده؛ ليتذكر الناس. كما قال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّمَا

---

(١) الكلكل: الصدر من كل شئ. (٢) لوحة (٢٧٥ أ).

(٣) رواه أحمد (١/ ٣٩٥)، ورواه البخاري (٤٨٧٢-٤٨٧٤)، ورواه مسلم (٨٢٣).

(٤) ما بين المعقوفتين ليست في (ز)، وهي مثبتة في «المسند».

(٥) رواه البخاري (٤٨٧٤). (٦) رواه البخاري (٤٨٧٣).

(٧) رواه مسلم (٨٢٣)، وأبو داود (٣٩٩٤)، والترمذي (٢٩٣٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٥٥٥).

يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ [مريم: ٩٧].

قال مجاهد: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ يعني: هَوَّنَّا قراءته.

وقال السُّدِّي: يسرنا تلاوته على الألسن.

وقال الضحاك عن ابن عباسٍ: لولا أن الله يسره على لسان الآدميين، ما استطاع أحدٌ من الخلق أن يتكلم بكلام الله عَجَّلَ[١].

قلت: ومن تيسيره -تعالىٰ- على الناس تلاوة القرآن ما تَقدّم عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ هَذَا القُرْآنَ[٢] أُنزِلَ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»[٣]. وأوردنا الحديث بطرقه وألفاظه بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا، ولله الحمد والمنة.

وقوله: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ أي: فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يَسَّرَ الله حفظه ومعناه؟

وقال محمد بن كعبٍ القرظي: فهل من منزجرٍ عن المعاصي؟

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الحسن بن رافع، حدثنا ضَمْرَةُ، عن ابن شَوْذَبٍ، عن مَطَرٍ -هو الوراق- في قوله تعالىٰ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ هل من طالب علمٍ فيُعَان عليه؟[٤]

وكذا علقه البخاري بصيغة الجزم، عن مطر الوراق وكذا رواه ابن جرير[٥]، وروي عن قتادة مثله.

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن عادٍ قوم هود: إنهم كذبوا رسولهم أيضًا، كما صنع قوم نوح، وأنه تعالىٰ أرسل ﴿عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾، وهي الباردة الشديدة البرد، ﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ﴾ أي: عليهم. قاله الضحاك، وقتادة، والسُّدِّي. ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ عليهم نحسه ودماره[٦]؛ لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوي بالأخروي.

وقوله: ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾[٧] وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتىٰ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الورع» (١/ ٨٩)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٧٦) إلىٰ البيهقي وابن أبي حاتم.

(٢) لوحة (٢٧٥ ب). (٣) رواه البخاري (٤٩٩١)، ومسلم (٨١٩).

(٤) رواه ابن أبي حاتم (١٨٧٠٧)، والطبري (٢٧/ ٩٧).

(٥) رواه البخاري تعليقًا: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾، ورواه الطبري (٢٧/ ٩٧).

(٦) في (ز): (ودمارهم).

(٧) قال أبو بكر الجزائري حفظه الله: (منقعر) قال القرطبي: سئل المبرد عن ألف مسألةٍ من جملتها قيل له: ما الفرق بين قوله تعالىٰ: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ و﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ وقوله: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ و﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾؟ فقال: كل ما ورد عليك من هذا الباب فإن شئت رددته إلىٰ اللفظ تذكيرًا أو إلىٰ المعنىٰ تأنيثًا. اهـ.

تغيبه عن الأبصار، ثم تنكسه على أم رأسه، فيسقط إلى الأرض، فتثلغ[(١)] رأسه فيبقى جثة بلا رأسٍ؛ ولهذا قال: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝٢٠ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٢١ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ۝٢٣ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۝٢٤ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ۝٢٥ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ۝٢٦ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ۝٢٧ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ۝٢٨ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ۝٢٩ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٣٠ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ۝٣١ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٣٢﴾

وهذا إخبارٌ عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالحًا، ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾، يقولون: لقد خبنا[(٢)] وخسرنا إن سلمنا كُلّنا قيادنا لواحدٍ منا!

ثم تعجبوا من إلقاء الوحي عليه خاصة من دونهم، ثم رموه بالكذب فقالوا: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ أي: متجاوز في حد الكذب. قال الله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾ وهذا تهديدٌ لهم شديدٌ ووعيدٌ أكيدٌ.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ أي: اختبارًا لهم؛ أخرج الله لهم ناقةً عظيمةً عُشراء من صخرةٍ صمّاء طبق ما سألوا؛ لتكون حجة الله عليهم في تصديق صالح عليه السلام فيما جاءهم به.

ثم قال آمرًا لعبده ورسوله صالح: ﴿فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾ أي: انتظر ما يئول إليه أمرهم، واصبر عليهم، فإن العاقبة لك والنصر لك في الدنيا والآخرة، ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ يعني: يوم لهم ويوم للناقة؛ كقوله: ﴿قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥].

وقوله: ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ قال مجاهد: إذا غابت حضروا الماء، وإذا جاءت حضروا اللبن.

ثم قال تعالى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ قال المفسرون: هو عاقر الناقة، واسمه قُدّار بن سالف، وكان أشقى قومه. كقوله: ﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ [الشمس:١٢]. ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ أي: فَجَسر[(٣)] ﴿فَعَقَرَ ۝٢٩ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي: فعاقبتهم، فكيف كان عقابي لهم على كفرهم بي وتكذيبهم رسولي؟ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ أي: فبادوا عن آخرهم لم تبقَ منهم باقيةٌ، وخَمَدوا وهَمَدوا كما يهمد يَبيس الزرع والنبات. قاله غير واحدٍ من المفسرين. والمحتظر -قال السُّدِّي-: هو المرعى بالصحراء حين يبس وتحرق ونسفته الريح.

---

(١) أي: تشدخه.
(٢) لوحة (٢٧٦ أ).
(٣) أي: أقدم.

وقال ابن زيد: كانت العرب يجعلون حِظَارًا على الإبل [والمواشي من يَبِيس] (١) الشوك، فهو المراد من قوله: ﴿كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ﴾.

وقال سعيد بن جُبَير: ﴿كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ﴾: هو التراب المتناثر من الحائط. وهذا قولٌ غريبٌ، والأول أقوى، والله أعلم.

﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ﴿٣٤﴾ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ (٢) عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٤٠﴾﴾

يقول تعالى مخبرًا عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم وخالفوه، وارتكبوا المكروه من إتيان الذكور، وهي الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحدٌ من العالمين؛ ولهذا أهلكهم الله هلاكًا لم يُهلكه أمةً من الأمم، فإنه تعالى أمر جبريل ﷺ، فحمل مدائنهم حتى وصل بها إلى عَنَانِ السماء، ثم قلبها عليهم وأرسلها، وأتبعت بحجارةٍ من سجيلٍ منضودٍ؛ ولهذا قال هاهنا. ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا﴾ وهي: الحجارة، ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾ أي: خرجوا من آخر الليل فنجوا مما أصاب قومهم، ولم يؤمن بلوطٍ من قومه أحدٌ ولا رجل واحد حتى ولا امرأته، أصابها ما أصاب قومها، وخرج نبي الله لوط وبنات له من بين أظهرهم سالمًا لم يَمْسَسْهُ سوء؛ ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا﴾ أي: ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه، فما التفتوا إلى ذلك، ولا أصغوا إليه، بل شكّوا فيه وتماروا به، ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ﴾ وذلك ليلة ورَدَ عليه الملائكة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل في صورة شبابٍ مُردٍ حِسانٍ محنةً من الله بهم، فأضافهم لوط ﷺ [وبعثت امرأته العجوز السوءُ إلى قومها، فأعلمتهم بأضياف لوط] (٣)، فأقبلوا يُهْرَعُونَ إليه من كل مكان، فأغلق لوط دونهم الباب، فجعلوا يحاولون كسر الباب، وذلك عشية، ولوط ﷺ يدافعهم ويمانعهم دون أضيافه، ويقول لهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ﴾ يعني: نساءهم، ﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ [الحجر:٧١] ﴿قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ﴾ أي: ليس لنا فيهن أربٌ، ﴿وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود:٧٩] فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول، خرج عليهم جبريل ﷺ فضرب أعينهم بطرف جناحه، فانطمست أعينهم. يقال: إنها غارت من وجوههم.

---

(١) في (ز): (والراي ثم ييبس). (٢) لوحة (٢٧٦ ب).
(٣) سقط من (ز).

وقيل: إنه لم تبقَ لهم عيون بالكلية، فرجعوا علىٰ أدبارهم يتحسسون بالحيطان، ويتوعدون لوطًا عليه السلام إلىٰ الصباح.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ[(١)] مُّسۡتَقِرّٞ﴾ أي: لا محيد لهم عنه، ولا انفكاك لهم منه، ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٣٩ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾.

﴿وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ ۝٤١ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ ۝٤٢ أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٤٣ أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ۝٤٤ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن فرعون وقومه إنهم جاءهم رسول الله موسىٰ وأخوه هارون بالبشارة إن آمنوا، والنذارة إن كفروا، وأيدهما بمعجزاتٍ عظيمةٍ وآياتٍ متعددةٍ، فكذبوا بها كلها، فأخذهم الله أخذ عزيزٍ مقتدرٍ؛ أي: فأبادهم الله ولم يُبقِ منهم مخبرًا ولا عينًا ولا أثرًا.

ثم قال: ﴿أَكُفَّارُكُمۡ﴾ أي: أيها المشركون من كفار قريش ﴿خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ﴾ يعني: من الذين تقدَّم ذكرهم ممن أُهلكوا بسبب تكذيبهم الرُّسُل، وكفرهم بالكتب. أأنتم خير أم أولئك؟ ﴿أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ أي: أم معكم من الله براءة ألا ينالكم عذاب ولا نكال؟

ثم قال مخبرًا عنهم: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ﴾ أي: يعتقدون أنهم مناصرون بعضهم بعضًا، وأن جمعهم يغني عنهم من أرادهم بسوءٍ، قال الله تعالىٰ: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ أي: سيتفرق شملهم ويغلبون.

قال البخاري: حدثنا إسحاق، حدثنا خالد[(٢)]، عن خالد[(٣)] -وقال أيضًا: حدثنا [محمد، حدثنا عفان بن مسلم][(٤)]، عن وُهيب، عن خالد، عن عكرمة، عن ابن عباسٍ؛ أن النبي ﷺ قال -وهو في قبةٍ له يوم بدر: «أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ اليَوْمِ أَبَدًا»[(٥)]. فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده وقال: حسبك يا رسول الله! ألححت علىٰ ربك. فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾.

وكذا رواه البخاري والنسائي في غير موضعٍ، من حديث خالد -وهو مِهْران الحذاء- به.

---

(١) لوحة (٢٧٧ أ).

(٢) هو ابن عبد الله بن عبد الرحمن الطحان: ثقة حافظ، روىٰ له الجماعة.

(٣) هو خالد بن مهران الحذاء: قال الإمام أحمد: ثبت، ووثقه النسائي، وابن معين، وكان أبو حاتم الرازي يطعن فيه، أخرج له الجماعة.

(٤) في (ز): (محمد بن عفان)، والمثبت هو الصواب.

(٥) رواه البخاري (٤٨٧٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٥٥٧).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو الربيع الزّهراني، حدثنا حماد، عن أيوب، عن عكرمة، قال: لما نزلت: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ قال: قال عمر[1]: أيّ جمعٍ يهزم؟ أيّ جمْعٍ يغلب؟ قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع، وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ فعرفت تأويلها يومئذ[2].

وقال البخاري: حدثنا إبراهيم بن موسىٰ، حدثنا هشام بن يوسف؛ أن ابن جُرَيج أخبرهم قال: وأخبرني يوسف بن ماهَكٍ قال: إني عند عائشة أم المؤمنين، قالت: نزل علىٰ محمدٍ ﷺ بمكة -وإني لجارية ألعب- ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ هكذا رواه هاهنا مختصرًا. ورواه في فضائل القرآن مطولًا[3]، ولم يخرجه مسلم.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾

يخبرنا تعالىٰ عن المجرمين أنهم في ضلالٍ عن الحق، وسُعُرٍ مما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء، وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافرٍ ومبتدعٍ من سائر الفرق.

ثم قال: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي: كما كانوا في سُعُرٍ وشك وتردد أورثهم ذلك النار، وكما كانوا ضُلّالًا سُحبوا فيها علىٰ وجوههم، لا يدرون أين يذهبون، ويقال لهم تقريعًا وتوبيخًا: ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾، كقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]، وكقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلىٰ:١-٣] أي: قدر قدرًا، وهدىٰ الخلائق إليه؛ ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمةُ السنة علىٰ إثبات قَدَرِ الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها[4]، وردّوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات، وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات علىٰ الفرْقة القَدرية الذين نبغوا[5] في أواخر عصر الصحابة. وقد

(١) لوحة (٢٧٧ ب). (٢) مرسل: رواه الطبري (٢٧/ ١٠٨)، وابن أبي حاتم (١٨٧١٣).
(٣) رواه البخاري (٤٩٩٣)، ورواه (٤٨٧٦) مختصرًا.
(٤) قال ابن عثيمين رحمه الله: وفي هذه الآية الكريمة دليلٌ علىٰ أن الإنسان مخلوق لله تعالىٰ، وأن أفعاله مخلوقةٌ لله، وأن كل شيء قد قدر وانتهىٰ، وإذا كان كذلك فيلجأ الإنسان إذا أصابته ضراء إلىٰ الله الخالق، وإذا أراد السراء أيضًا يلتجئ إلىٰ الله الخالق، لا يفخرن ويعجبن بنفسه إذا حصل له مطلوب، ولا ييأسن إذا أصابه المكروب، فالأمر بيد الله.
(٥) أي: خرجوا.

تكلمنا علىٰ هذا المقام مفصلًا وما ورد فيه من الأحاديث في شرح «كتاب الإيمان» من «صحيح البخاري»، ولنذكر هاهنا الأحاديث المتعلقة بهذه الآية الكريمة:

قال[١] أحمد: حدثنا وَكِيعٌ، حدثنا سفيان الثوري[٢]، عن زياد بن إسماعيل[٣] السهمي، عن محمد بن عباد بن جعفر، عن أبي هُرَيرَةَ قال: جاء مشركو قريش إلىٰ النبي ﷺ يخاصمونه في القدر، فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

وهكذا رواه مسلم والترمذي وابن ماجه، من حديث وكيع، عن سفيان الثوري به[٤].

وقال البزار: حدثنا عمرو بن علىٰ، حدثنا الضحاك بن مَخْلَدٍ، حدثنا يونس بن الحارث، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: ما[٥] نزلت هذه الآيات: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ إلا في أهل القدر[٦].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سهل بن صالح الأنطاكي، حدثني قُرَّةُ بن حبيبٍ، عن[٧] كنانة، حدثنا جرير بن حازم، عن سعيد[٨] بن عمرو بن جَعْدَةَ، عن ابن[٩] زُرَارةَ، عن أبيه، عن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، قال: «**نَزَلَتْ فِي أُنَاسٍ مِنْ أُمَّتِي يَكُونُونَ[١٠] فِي آخِرِ الزَّمَانِ يُكَذِّبُونَ بِقَدَرِ اللهِ**»[١١].

وحدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا مَرْوان بن شجاع الجزَري، عن عبد الملك بن جُرَيْجٍ، عن عطاء بن أبي رَبَاحٍ، قال: أتيت ابن عباسٍ وهو يَنزِع[١٢] من زمزم، وقد ابتلّت أسافل ثيابه، فقلت له: قد تُكُلِّم في القدر. فقال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم. قال: فوالله ما نزلت هذه الآية إلا فيهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، أولئك شرار هذه الأمة، فلا تعودوا مرضاهم ولا تُصَلّوا علىٰ موتاهم، إن رأيت أحدًا منهم فقأت عينيه بأصبعيّ هاتين[١٣].

---

(١) لوحة (٢٧٨ أ).
(٢) في (ز): (حدثنا سفيان حدثنا الثوري).
(٣) في (ز): (عن زياد عن ابن إسماعيل)، والمثبت هو الصواب.
(٤) رواه مسلم (٢٦٥٦)، وأحمد (٢/ ٤٤٤).
(٥) في (ز): (لما نزلت).
(٦) حسن لغيره: رواه البزار (١٥١٣)، وفيه يونس بن الحارث: ضعيف، لكن يشهد له ما تقدم في الرواية السابقة.
(٧) في (ز): (من كنانة)، وهو خطأ.
(٨) في (ز): (سعد)، وهو خطأ.
(٩) في (ز): (أبي زرارة)، والمثبت هو الصواب.
(١٠) في (ز): (يكذبون).
(١١) صحيح: رواه الطبراني (٥/ ٢٧٦/ ٥٣١٦)، ويشهد له ما تقدم ويشهد له رواية ابن عباس المذكورة في الباب وفي إسنادها ضعف، لكن بمجموع هذه الروايات وما تقدمها يتقوىٰ الحديث وقد صححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٣٩).
(١٢) أي: يستقي بالدلو.
(١٣) البيهقي (١٠/ ٢٠٥) برقم (٢٠٦٦٩)، وعزاه السيوطي (٧/ ٦٨٣) إلىٰ ابن المنذر وابن أبي حاتم (١٨٧١٥)، وابن مردويه، وفي إسناده ابن جريجٍ، وهو مدلس وقد عنعن.

وقد رواه الإمام أحمد من وجهٍ آخر، وفيه مرفوع، فقال:

حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعي، عن بعض إخوته، عن محمد بن عُبَيد المكي، عن عبد الله ابن عباس قال: قيل له: إن رجلًا قدم علينا يُكَذِّب بالقدر فقال: دلوني عليه -وهو أعمىٰ- قالوا: وما تصنع به يا أبا عباس قال: والذي نفسي بيده لئن استمكنت منه لأعضَّنّ أنفه حتىٰ أقطعه، ولئن وقعت رقبته في يدي[1] لأدقنها؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كَأَنِّي بِنِسَاءِ بَنِي فِهْرٍ يَطُفْنَ بِالخَزْرَجِ، تَصْطَفِقُ أَلْيَاتُهُنَّ مُشْرِكَاتٍ، هَذَا أَوَّلُ شِرْكِ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَنْتَهِيَنَّ بِهِمْ سُوءُ رَأْيِهِمْ حَتَّىٰ يُخْرِجُوا اللهَ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَدَّرَ خَيْرًا، كَمَا أَخْرَجُوهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَدَّرَ شَرًّا**»[2].

ثم رواه أحمد عن أبي المغيرة، عن الأوزاعي، عن العلاء بن الحجاج، عن محمد بن عبيد، فذكر مثله. لم يخرجوه[3].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا سعيد بن[4] أبي أيوب، حدثني أبو صخر، عن نافع قال: كان لابن عمر صديق من أهل الشام يكاتبه، فكتب إليه عبد الله بن عمر: إنه بلغني أنك تكلمت في شيءٍ من القدر، فإياك أن تكتب إليَّ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ يُكَذِّبُونَ بِالقَدَرِ**»[5].

رواه أبو داود، عن أحمد بن حنبل به.

وقال أحمد: حدثنا أنس بن عياض، حدثنا عمر بن عبد الله مولىٰ غُفْرَةَ[6]، عن عبد الله بن عمر؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ، وَمَجُوسُ أُمَّتِي الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَا قَدَرَ. إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ**»[7].

لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه.

وقال أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا رِشْدِين، عن أبي صخرٍ حُمَيد بن زياد، عن نافع، عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ مَسْخٌ، أَلَا وَذَاكَ فِي المُكَذِّبِينَ بِالقَدَرِ وَالزِّنْدِيقِيَّةِ**»[8].

ورواه الترمذي وابن ماجه، من حديث أبي صخر حميد بن زياد به. وقال الترمذي: حسنٌ صحيحٌ غريبٌ[9].

---

(١) لوحة (٢٧٨ ب).

(٢) **ضعيف**: رواه أحمد (١/ ٣٣٠)، وفيه جهالة بعض إخوان الأوزاعي، لكنه بينه في الرواية التي بعده، رواه أحمد (١/ ٣٣٠) وهو العلاء بن الحجاج وضعفه الأزدي. انظر: «ميزان الاعتدال» (٤/ ١٨).

(٣) **ضعيف**: انظر التعليق السابق.

(٤) في (ز): (سعيد عن أبي أيوب).

(٥) **حسن**: رواه أحمد (٢/ ٩٠)، وأبو داود (٤٧١٠).

(٦) في (ز): (غفر).

(٧) **حسن**: رواه أحمد (٢/ ٨٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٠٣٩).

(٨) **حسن**: رواه أحمد (٢/ ١٠٨)، والترمذي (٢١٥٣، ٢١٥٤)، وابن ماجه (٤٠٦١) من طرق عن أبي صخر به.

(٩) انظر التعليق السابق.

وقال أحمد: حدثنا إسحاق بن الطباع، أخبرني مالك، عن زياد بن سعد، عن عمرو بن مسلم، عن طاوس اليماني قال: سمعت ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّىٰ العَجْزُ وَالكَيْسُ»**(١).

ورواه مسلم منفردًا به، من حديث مالك.

وفي الحديث الصحيح: **«اسْتَعِنْ بِاللهِ وَلا تَعْجِزْ، فَإِنْ أَصَابَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، وَلا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ لَكَانَ كَذَا**(٢)**، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ**(٣) **الشَّيْطَانِ»**(٤).

وفي حديث ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال له: **«وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ لَكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ لَمْ يَضُرُّوكَ، جَفَّتِ الأَقْلَامُ وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ»**(٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا الحسن بن سَوَّار، حدثنا الليث، عن معاوية، عن أيوب بن زياد، حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة، حدثني أبي قال: دخلت علىٰ عبادة وهو مريضٌ أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه، أوصني واجتهد لي. فقال: أجلسوني. فلما أجلسوه قال: يا بني، إنك لن(٦) تطعم [طعم](٧) الإيمان، ولم تبلغ حق حقيقة العلم بالله، حتىٰ تؤمن بالقدر خيره وشره. قلت: يا أبتاه، وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك. يا بني، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمُ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. فَجَرَىٰ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ»** يا بني، إن متَّ ولستَ علىٰ ذلك دخلت النار(٨).

ورواه الترمذي عن يحيىٰ بن موسىٰ البَلْخِي، عن أبي داود الطيالسي، عن عبد الواحد بن سليم، عن عطاء بن أبي رباح، عن الوليد بن عبادة، عن أبيه به. وقال: حسنٌ صحيحٌ غريبٌ(٩).

وقال سفيان الثوري، عن منصور، عن رِبْعِيِّ بن خِرَاشٍ، عن رجل، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، بَعَثَنِي بِالحَقِّ، وَيُؤْمِنَ بِالمَوْتِ، وَيُؤْمِنَ بِالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ، وَيُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»**(١٠).

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٥)، وأحمد (٢/ ١١٠).

(٢) في (ز): (هكذا).

(٣) لوحة (٢٧٩ أ).

(٤) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٥) رواه أحمد (١/ ٢٩٣)، والترمذي (٢٥١٦)، والحديث له طرق يتقوىٰ بها، وقد شرحه ابن رجب الحنبلي شرحًا وافيًا في كتابه: «جامع العلوم والحكم».

(٦) في (ز): (لم)، والمثبت موافق لما في «المسند».

(٧) سقط من (ز)، وهي مثبتة في «المسند».

(٨) **حسن**: رواه أحمد (٥/ ٣١٧)، والترمذي (٢١٥٦) وقال: حسن صحيح.

(٩) انظر التعليق السابق.

(١٠) رواه الترمذي (٢١٤٦)، وفي إسناده رجل لم يسم، ولكن أورده بعده عن منصور عن ربعي عن علي، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (١٧٤٤).

وكذا رواه الترمذي من حديث النضر بن شُمَيْل، عن شعبة، عن منصور به. ورواه من حديث أبي داود الطيالسي، عن شعبة، عن منصور، عن ربعي، عن علي فذكره، وقال: «هذا عندي أصح». وكذا رواه ابن ماجه من حديث شريك، عن منصور، عن ربعي، عن علي به.

وقد ثبت في «صحيح مسلم» من رواية عبد الله بن [وهب وغيره، عن أبي هانئ الخولاني، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، عن عبد الله بن](1) عمرو(2)، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**» زاد ابن وهب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود:٧]. ورواه الترمذي وقال: حسنٌ صحيحٌ غريبٌ(3).

وقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾. وهذا إخبارٌ عن نفوذ مشيئته في خلقه كما أخبر بنفوذ قدره فيهم، فقال: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ أي: إنما نأمر بالشيء مرةً واحدةً، لا نحتاج إلىٰ تأكيد بثانية، فيكون ذلك الذي نأمر به حاصلًا موجودًا كلمح البصر، لا يتأخر طرفة عين، وما أحسن ما قال بعض الشعراء:

إذا مـــا أَرَادَ اللهُ أمْـــرًا فإنَّمـــا ... يقُـــولُ لـــهُ كُـــنْ قَولـــةً فَيَكُـــونُ

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ يعني: أمثالكم وسلفكم من الأمم السالفة المكذبين بالرسل، ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي: فهل من متعظٍ بما أخزىٰ الله أولئك، وقدر لهم من العذاب، كما قال: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥٤].

وقوله: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ أي: مكتوب عليهم في الكتب التي بأيدي الملائكة عليهم السلام، ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ أي: من أعمالهم ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ أي: مجموع عليهم، ومسطر في صحائفهم، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر، حدثنا سعيد بن مسلم بن بَانَكَ(4): سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير، حدثني عوف بن الحارث -وهو ابن أخي عائشة لأمها- عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**يَا عَائِشَةُ، إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللهِ طَالِبًا**»(5).

ورواه النسائي وابن ماجه، من طريق سعيد بن مسلم بن بَانَكَ المدني. وثقه أحمد، وابن معين، وأبو حاتم، وغيرهم.

---

(1) سقط من (ز). (2) لوحة (٢٧٩ ب).

(3) رواه مسلم (٢٦٥٣)، والترمذي (٢١٥٧) وقال: حسن صحيح.

(4) في (ز): (ماهك)، والمثبت هو الصواب.

(5) ضعيف: رواه أحمد (٦/ ١٥١)، وفيه عوف بن الحارث. قال الحافظ: مقبول. لكن ثبت الحديث بلفظ آخر من حديث سهل: رواه أحمد (٥/ ٣٣١)، والطبراني (٦/ ١٦٥/ ٥٨٧٢) وإسناده صحيح.

وقد رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة سعيد بن مسلم هذا من وجهٍ آخر، ثم قال سعيد: فحدثت بهذا الحديث عامر بن هشام فقال لي: ويحك يا سعيد بن مسلم! لقد حدثني سليمان بن المغيرة أنه عمل ذنبًا فاستصغره، فأتاه آتٍ في منامه فقال له: يا سليمان (١):

لا تَحْقِرنَّ مِنَ الذنوبِ صَغِيرَا ... إن الصَّغيرَ غدًا يعود كبيرا
إن الصغير ولو تقادم عهده ... عند الإله مُسَطَّرٌ تسطيرا
فازجر هواك عن البطالة لا تكن ... صعب القياد وشمرن تشميرا
إن المُحِبَّ إذا أحب إلهه ... طار الفؤاد وأُلْهِم التفكيرا
فاسأل هدايتك الإله بِنِيَّة (٢) ... فَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هاديًا ونصيرا

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ أي: بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال والسُّعر، والسحب في النَّارِ علىٰ وجوههم، مع التوبيخ، والتقريع، والتهديد.

وقوله: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي: في دار كرامة الله ورضوانه وفضله، وامتنانه، وجوده، وإحسانه، ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ أي: عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها، وهو مقتدرٌ علىٰ ما يشاء مما يطلبون ويريدون.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن عمرو بن أوس، عن عبد الله بن عمرو -يَبْلُغُ به النبي ﷺ- قال: «**الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللهِ [يَوْمَ الْقِيَامَةِ]** (٣) **عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ: الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**» (٤).

انفرد بإخراجه مسلم والنسائي، من حديث سفيان بن عيينة، بإسناده مثله.

آخر تفسير سورة «اقتربت» ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

(وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، حسبنا الله ونعم الوكيل.
يتلوه إن شاء الله تعالىٰ في أول السابع تفسير سورة الرحمن ﷻ والحمد لله رب العالمين) (٥).

---

(١) لوحة (٢٨٠ أ).
(٢) في (ز): (فتتيد).
(٣) سقط من (ز)، وهي مثبتة في «المسند».
(٤) رواه مسلم (١٨٢٧)، والنسائي (٨/ ٢٢١)، وأحمد (٢/ ١٦٠).
(٥) لوحة (٢٨٠ ب).

سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ

تفسير سورة الرحمن وهي مكية

قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا عفان، حدثنا حماد، عن عاصم، عن زرٍّ، أن رجلًا قال [لابن مسعودٍ] (١): كيف تَعْرِفُ هذا الحرف: «ماءٍ غير يَاسِن أو آسِنٍ»؟ فقال: كل القرآن قد قرأت؟ قال: إني لأقرأ المفصل [أجمع] (٢) في ركعةٍ واحدةٍ. فقال: أهذًّا كهذِّ الشعر (٣)، لا أبا لك؟ قد علمت قرائن النبي ﷺ التي كان يقرن قرينتين قرينتين من أول المفصل، وكان أول مفصل ابن مسعود: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ (٤).

وقال أبو عيسىٰ الترمذي: حدثنا [عبد الرحمن بن واقد أبو مسلم] (٥)، حدثنا الوليد بن مسلم، عن زهير بن محمد، عن محمد بن المُنْكَدِرِ، عن جابر قال: خرج رسول الله ﷺ علىٰ أصحابه فقرأ عليهم سورة «الرحمن» من أولها إلىٰ آخرها، فسكتوا فقال: «**لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَىٰ الجِنِّ لَيْلَةَ الجِنِّ، فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ، كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، قَالُوا: لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ -رَبَّنَا- نُكَذِّبُ، فَلَكَ الحَمْدُ**». ثم قال: هذا حديثٌ غريبٌ، لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم، عن زهير بن محمد. ثم حكي عن الإمام أحمد أنه كان لا يعرفه، ينكر رواية أهل الشام عن زهير بن محمد هذا (٦).

ورواه الحافظ أبو بكر البزار، عن عمرو بن مالك، عن الوليد بن مسلم. وعن عبد الله بن أحمد بن شبويه، عن هشام بن عمار، كلاهما عن الوليد بن مسلم به. ثم قال: لا نعرفه يروىٰ إلا من هذا الوجه.

وقال أبو جعفر بن جرير: حدثنا محمد بن عباد بن موسىٰ، وعمرو بن مالك البصري قالا: حدثنا يحيىٰ بن سليم، عن إسماعيل بن أمية، عن نافع، عن ابن عمر؛ أن رسول الله ﷺ قرأ سورة «الرحمن» -أو: قُرِئَت عنده- فقال: «**مَا لِي أَسْمَعُ الجِنَّ أَحْسَنَ جَوَابًا لِرَبِّهَا مِنْكُمْ؟**» قالوا: وما ذاك

---

(١) سقط من (ز)، وهي مثبتة في «المسند».
(٢) سقط من (ز).
(٣) أراد: أتَهُذُّ القُرآن هذًّا فتُسْرِعُ فيه كما تُسْرِعُ في قِرَاءة الشِّعْرِ؟ والهَذُّ: سُرْعَةُ القَطْعِ. «النهاية».
(٤) حسن: رواه أحمد (١/ ٤١٢).
(٥) في (ز): (واقد عبد الرحمن بن أبو مسلم)، والمثبت هو الصواب.
(٦) حسن: رواه الترمذي (٣٢٩١)، والحاكم (٢/ ٤٧٣) وصححه ووافقه الذهبي، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (٦٨) وفيه زهير بن محمد: يروي أهل الشام عنه المناكير كما قال البخاري، فالإسناد ضعيف لكن حسنه الألباني بشاهده الآتي عن ابن عمر. انظر: «الصحيحة» (٣١٥٠).

يا رسول الله؟ قال: «مَا أَتَيْتُ عَلَىٰ قَوْلِ اللهِ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إِلَّا قَالَتِ الجِنُّ: لَا بِشَيْءٍ [مِنْ نِعْمَةِ] (١) رَبِّنَا نُكَذِّبُ» (٢).

ورواه الحافظ البزار عن عمرو بن مالك به. ثم قال: لا نعلمه يروىٰ عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝١٢ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾

يخبر تعالىٰ عن فضله ورحمته بخلقه: أنه أنزل علىٰ عباده القرآن ويسَّر حفظه وفهمه علىٰ من رحِمَهُ، فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ قال الحسن: يعني: النطق. وقال الضحاك، وقتادة، وغيرهما: يعني الخير والشر. وقول الحسن هاهنا أحسن وأقوىٰ؛ لأن السياق في تعليمه تعالىٰ القرآن، وهو أداء تلاوته، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق علىٰ الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين، علىٰ اختلاف مخارجها وأنواعها.

وقوله: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ أي: يجريان متعاقبين بحسابٍ مُقَنَّنٍ لا يختلف ولا يضطرب، ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، وقال تعالىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وعن عكرمة أنه قال: لو جعل الله نور جميع أبصار [الإنس والجن] (٣) والدواب والطير في عيني عبد، ثم كشف حجابًا واحدًا من سبعين حجابًا دون الشمس، لما استطاع أن ينظر إليها. ونور الشمس جزءٌ من سبعين جزءًا من نور الكرسي، ونور الكرسي جزء من سبعين جزءًا من نور العرش، ونور العرش جزءٌ من سبعين جزءًا من نور الستر. فانظر ماذا أعطىٰ الله عبده من النور في عينيه وقت النظر إلىٰ وجه ربه الكريم عيانًا. رواه ابن أبي حاتم.

---

(١) سقط من (ز)، وهي مثبتة في (ح).

(٢) رواه الطبري (٢٧/ ١٢٣)، والبزار (٢٢٦٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٠١)، وفي الإسناد عمرو بن مالك: ضعيف كما في «التقريب»، ومحمد بن عباد: ضعيف كذلك، وذهب الألباني إلىٰ أن أحدهما يتقوىٰ بالآخر فحسن الحديث.

(٣) في (ز): (الجن والإنس).

وقوله: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ قال ابن جرير: اختلف المفسرون في معنىٰ قوله: ﴿وَٱلنَّجْمُ﴾ بعد إجماعهم علىٰ أن الشجر ما قام علىٰ ساق، فروىٰ علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: النجم ما انبسط علىٰ وجه الأرض[١] - يعني: من النبات. وكذا قال سعيد بن جبير، والسُّدِّي، وسفيان الثوري. وقد اختاره ابن جرير[٢].

وقال مجاهد: النجم الذي في السماء. وكذا قال الحسن وقتادة. وهذا القول هو الأظهر والله أعلم؛ لقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ الآية [الحج: ١٨].

وقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ يعني: العدل، كما قال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، وهكذا قال هاهنا: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾ أي: خلق السموات والأرض بالحق والعدل؛ لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل؛ ولهذا قال: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ أي: لا تبخسوا الوزن، بل زِنوا بالحق والقسط، كما قال تعالىٰ ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ [الشعراء: ١٨٢].

وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ أي: كما رفع السماء وضع الأرض ومهدها، وأرساها بالجبال الراسيات الشامخات؛ لتستقر لما علىٰ وجهها من الأنام، وهم: الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم، في سائر أقطارها وأرجائها.

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد: الأنام: الخلق[٣].

﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾ أي: مختلفة الألوان والطعوم والروائح، ﴿وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ أفرده بالذكر لشرفه ونفعه، رطبًا ويابسًا[٤].

«والأكمام» قال ابن جُرَيْجٍ عن ابن عباس: هي أوعية الطلع[٥]. وهكذا قال غير واحدٍ من المفسرين، وهو الذي يطلع فيه القنو ثم ينشق عن العنقود، فيكون بسرًا ثم رطبًا، ثم ينضج ويتناهىٰ يَنْعُه[٦] واستواؤه.

قال ابن أبي حاتم ذُكِرَ عن عمرو بن علي الصيرفي: حدثنا أبو قتيبة، حدثنا يونس بن الحارث

---

(١) ابن أبي حاتم (١٨٧١٧)، والطبري (٢٧/ ١١٦)، وفيه انقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس.

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» (٢٧/ ١١٧). (٣) البخاري تعليقًا (٤/ ١٨٤٦)، والطبري (٢٧/ ١١٩).

(٤) قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نص علىٰ النخل؛ لأن ثمرتها أفضل الثمار فهي حلوىٰ وغذاء وفاكهة، وشجرتها من أبرك الأشجار وأنفعها، حتىٰ إن النبي ﷺ شبه النخلة بالمؤمن.

(٥) ابن أبي حاتم (١٨٧٢١). (٦) اليَنع: النضج.

الطائفي، عن الشعبي قال: كتب قيصر إلىٰ عمر بن الخطاب: أخبرك أن رسلي أتتني من قبلك، فزعمت أن قبلكم شجرةً ليست بخليقة لشيء من الخير، تخرج مثل آذان الحمير، ثم تشقق مثل اللؤلؤ، ثم تخضر فتكون مثل الزمرد الأخضر، ثم تحمر فتكون كالياقوت الأحمر، [ثم][(١)] تَيْنَعُ وتنضج فتكون كأطيب فالوذج أُكِل، ثم تيبس فتكون عصمةً للمقيم وزادًا للمسافر، فإن تكن رسلي صدقتني فلا أرىٰ هذه الشجرة إلا من شجر الجنة. فكتب إليه عمر بن الخطاب: من عمر أمير المؤمنين إلىٰ قيصر ملك الروم، إن رسلك قد صدقوك، هذه الشجرة عندنا، وهي الشجرة التي أنبتها الله علىٰ مريم حين نفست بعيسىٰ ابنها، فاتق الله ولا تتخذ عيسىٰ إلهًا من دون الله، فإن ﴿مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩، ٦٠][(٢)].

وقيل: الأكمام رفاتها، وهو: الليف الذي علىٰ عنق النخلة. وهو قول الحسن وقتادة.

﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ﴾ يعني: التبن.

وقال العَوْفيُّ، عن ابن عباس: ﴿ٱلْعَصْفِ﴾ ورق الزرع الأخضر الذي قطع رءوسه، فهو يسمىٰ العصف إذا يبس[(٣)]. وكذا قال قتادة، والضحاك، وأبو مالك: عصفه: تبنه.

وقال ابن عباس، ومجاهد، وغير واحدٍ: ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ يعني: الورق.

وقال الحسن: هو ريحانكم هذا.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ خضر الزرع.

ومعنىٰ هذا -والله أعلم- أن الحب كالقمح والشعير ونحوهما له في حال نباته عصف، وهو: ما علىٰ السنبلة، وريحان، وهو: الورق الملتف علىٰ ساقها.

وقيل: العصف: الورق أول ما ينبت الزرع بقلًا. والريحان: الورق؛ يعني: إذا أدجن وانعقد فيه الحب. كما قال زيد بن عمرو بن نفيل في قصيدته المشهورة.

وَقُولا له مَن يُنْبِتُ الحَبَّ في الثَّرىٰ ... فَيُصْبِحَ منه البقلُ يَهْتَزُّ رابيا
وَيُخْرِجَ منه حَبَّه في رُءوسه ... فَفِي ذاك آياتٌ لِمَنْ كَانَ واعيا

---

(١) زيادة من (ح).

(٢) ضعف: «كنز العمال» (٣٨٣٢٥)، «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (١/ ١٢٤)، وعزاه السيوطي أيضًا إلىٰ ابن عساكر في «الدر المنثور» (٥/ ٥٠٥)، وابن أبي حاتم (١٨٧٢٢)، و«معجم ابن المقرئ» (٨٧٦)، وإسناده ضعيف لانقطاعه وإرساله، ويونس بن الحارث الطائفي: ضعيف.

(٣) الطبري (٢٧/ ١٢١)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٩٣) إلىٰ ابن المنذر.

وقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[(١)] أي: فبأي الآلاء -يا معشر الثقلين، من الإنس والجن- تكذبان؟ قاله مجاهد، وغير واحدٍ. ويدل عليه السياق بعده؛ أي: النِّعَمُ ظاهرةٌ عليكم وأنتم مغمورون بها، لا تستطيعون إنكارها ولا جحودها، فنحن نقول كما قالت الجن المؤمنون: «اللَّهُمَّ، وَلَا بِشَيْءٍ مِنْ آلَائِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ، فَلَكَ الْحَمْدُ». وكان ابن عباس يقول: «لا بأيِّها يا رب». أي: لا نكذب بشيءٍ منها.

قال الإمام أحمد: حدثنا يحيىٰ بن إسحاق، حدثنا ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عُرْوَةَ، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله ﷺ وهو يقرأ، وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر، والمشركون يستمعون ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[(٢)].

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾

يذكر تعالىٰ خلقه الإنسان من صلصالٍ كالفخار، وخلقه الجان من مارجٍ من نارٍ، وهو: طرف لهبها. قاله الضحاك، عن ابن عباس. وبه يقول عكرمة، ومجاهد، والحسن، وابن زيد.

وقال العَوْفيُّ، عن ابن عباس: ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ من لهب النار، من أحسنها.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ من خالص النار. وكذا قال عكرمة، ومجاهد، والضحاك وغيرهم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»[(٣)].

ورواه مسلم، عن محمد بن رافع وعبد بن حميد، كلاهما عن عبد الرزاق به.

وقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ تقدم تفسيره.

---

(١) قال القاسمي رحمه الله: قال شيخ الإسلام في «متشابه القرآن»: ذكرت هذه الآية إحدىٰ وثلاثين مرة، ثمانية منها ذكرت عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه، ومبدأ الخلق ومعادهم، ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها، بعدد أبواب جهنم، وحسن ذكر الآلاء عقبها؛ لأن من جملة الآلاء: رفع البلاء، وتأخير العقاب. وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنتين وأهلها، بعدد أبواب الجنة، وثمانية أخرىٰ بعدها في الجنتين اللتين هما دون الجنتين الأوليين، أخذًا من قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ فمن اعتقد الثمانية الأولىٰ وعمل بموجبها استحق هاتين الثمانيتين من الله، ووقاه السبعة السابقة. انتهىٰ

(٢) رواه أحمد (٦/ ٣٤٩) برقم (٢٧٠٠٠)، وفيه ابن لهيعة: اختلط.

(٣) رواه مسلم (٢٩٩٦)، وأحمد (٦/ ١٥٣).

﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ يعني: مشرقي الصيف والشتاء، ومغربي الصيف والشتاء. وقال في الآية الأخرىٰ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ [المعارج: ٤٠]، وذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم، وبروزها منه إلىٰ الناس. وقال في الآية الأخرىٰ: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل:٩]. وهذا المراد منه جنس المشارق والمغارب، ولما كان في اختلاف هذه المشارق والمغارب مصالح للخلق من الجنِّ والإنسِ قال: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

وقوله: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ قال ابن عباس: أي أرسلهما.

[وقوله: ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ قال ابن زيد: أي: منعهما أن يلتقيا، بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما] (١).

والمراد بقوله: ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ الملح والحلو، فالحلو هذه الأنهار السارحة بين الناس. وقد قدمنا الكلام علىٰ ذلك في سورة «الفرقان» عند قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان:٥٣]. وقد اختار ابن جرير هاهنا أن المراد بالبحرين: بحر السماء وبحر الأرض، وهو مروي عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وعطية، وابن أبزىٰ.

قال ابن جرير: لأن اللؤلؤ يتولد من ماء السماء، وأصداف بحر الأرض. وهذا وإن كان هكذا ليس المراد بذلك ما ذهب إليه، فإنه لا يساعده اللفظ؛ فإنه تعالىٰ قد قال: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾(٢) أي: وجعل بينهما برزخًا، وهو: الحاجز من الأرض؛ لئلا يبغي هذا علىٰ هذا، وهذا علىٰ هذا، فيفسد كل واحدٍ منهما الآخر، ويزيله عن صفته التي هي مقصودة منه. وما بين السماء والأرض لا يسمىٰ برزخًا وحجرًا محجورًا.

وقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ أي: من مجموعهما، فإذا وجد ذلك لأحدهما كفىٰ (٣) كما قال تعالىٰ: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام:١٣٠] والرسل إنما كانوا في

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (ز)، وهو مثبت من (ح).

(٢) قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: ولو شاء الله عَزَّ وَجَلَّ لساحت مياه البحر علىٰ اليابس من الأرض ودمرتها، إذن البرزخ الذي بينهما هو اليابس من الأرض هذا قول علماء الجغرافيا، وقال بعض أهل العلم: بل البرزخ أمرٌ معنويٌّ يحول بين المالح والعذب أن يختلط بعضهما ببعض، وقالوا: إنه يوجد الآن في عمق البحار عيونٌ عذبةٌ تنبع من الأرض، حتىٰ إن الغواصين يغوصون إليها ويشربون منها كأعذب ماء، ومع ذلك لا تفسدها مياه البحار، فإذا ثبت ذلك فلا مانع من أن نقول بقول علماء الجغرافيا وقول علماء التفسير، والله علىٰ كل شيءٍ قدير.

(٣) قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: فإذا كانت الآية ظاهرها أن اللؤلؤ يخرج منهما جميعًا وجب الأخذ بظاهرها، لكن لا شك أن اللؤلؤ من الماء المالح أكثر وأطيب، لكن لا يمنع أن نقول بظاهر الآية، بل يتعين أن نقول بظاهر الآية، وهذه قاعدة في القرآن والسنة: إننا نحمل الشيء علىٰ ظاهره، ولا نؤول، اللهم إلا لضرورة، فإذا كان هناك ضرورة، فلابد أن نتمشىٰ علىٰ ما تقتضيه الضرورة، أما بغير ضرورة فيجب أن نحمل القرآن والسنة علىٰ ظاهرهما.

الإنس خاصة دون الجن، وقد صح هذا الإطلاق. واللؤلؤ [معروف][(١)]، وأما المرجان فقيل: هو صغار اللؤلؤ. قاله مجاهد، [وقتادة][(٢)]، وأبو رزين، والضحاك. وروي عن علي.

وقيل: كباره وجيده. حكاه ابن جرير عن بعض السلف. ورواه ابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس، وحكاه عن السُّدِّي، عمن حدثه، عن ابن عباس. وروي مثله عن علي، ومجاهد أيضًا، [ومرة][(٣)] الهمداني.

وقيل: هو نوع من الجواهر أحمر اللون.

قال [السُّدِّي][(٤)]، عن أبي مالك، عن مسروق، عن عبد الله قال: المرجان: الخرز الأحمر. قال السُّدِّي: وهو البُسَّذ[(٥)] بالفارسية.

وأما قوله: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [فاطر:١٢]، فاللحم من كل من الأجاج والعذب، والحلية إنما هي من الملح دون العذب.

قال ابن عباس: ما سقطت قط قطرةٌ من السماء في البحر، فوقعت في صدفةٍ إلا صار منها لؤلؤة. وكذا قال عكرمة، وزاد: فإذا لم تقع في صدفةٍ نبتت بها عنبرة. وروي من غير وجهٍ عن ابن عباس نحوه.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا عبد الرحمن بن مَهْدِيّ، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن عبد الله بن عبد الله، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: إذا أمطرت السماء، فتحت الأصداف في البحر أفواهها، فما وقع فيها -يعني: من قطر- فهو اللؤلؤ[(٦)]. إسناده صحيح.

ولما كان اتخاذ هذه الحلية نعمةً علىٰ أهل الأرض، امتنَّ بها عليهم فقال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ يعني: السفن التي تجري ﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾.

قال مجاهد: ما رفع قلعه من السفن فهي منشأة، وما لم يرفع قلعه فليس بمنشأةٍ.

وقال قتادة: ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ يعني المخلوقات. وقال غيره: المنشآت -بكسر الشين[(٧)]- يعني: البادئات.

﴿كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ أي: كالجبال في كبرها، وما فيها من المتاجر والمكاسب المنقولة من قطر إلىٰ قطر، وإقليم إلىٰ إقليم، مما فيه من صلاح للناس في جلب ما يحتاجون إليه من سائر أنواع البضائع؛ ولهذا قال تعالىٰ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

---

(١) في (ز): (فردق). (٢) زيادة من (ح).
(٣) بياض في (ز). (٤) في (ز): (ابن عياش).
(٥) البُسَّذُ -كسُكَّرٍ-: أهمله الجوهريّ، وقال الصاغانيّ: هو المَرْجَانُ، وقيل: هو الجَوْهَر. فارسيٌّ مُعَرَّبٌ. ينظر: «تاج العروس»: (٩/ ٣٧٦).
(٦) رواه ابن أبي حاتم (١٨٧٣٤).
(٧) متواترة: قَرَأَ (الْمُنْشِئَاتُ) حَمْزَةُ وَشُعْبَةُ بِخُلْفٍ عَنْهُ وَوَافَقَهُمَا الْأَعْمَشُ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (الْمُنْشَآتُ).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا العرار ابن سويد، عن عميرة بن سعد قال: كنت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه علىٰ شاطئ الفرات إذ أقبلت سفينةٌ مرفوعٌ شراعها، فبسط عليٌّ يديه ثم قال: يقول الله ﷻ: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾. والذي أنشأها تجري في [بحر من](١) بحوره ما قتلتُ عثمان، ولا [مالأت](٢) علىٰ قتله(٣).

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾

يخبر تعالىٰ أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون، وكذلك أهل السموات، إلا من شاء الله، ولا يبقىٰ أحدٌ سوىٰ وجهه الكريم؛ فإن الرب -تعالىٰ وتقدس- لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبدًا.

قال قتادة: أنبأ بما خلق، ثم أنبأ أن ذلك كله فان.

وفي الدعاء المأثور: «**يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ، يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، بِرَحْمَتِكَ نَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ، وَلا تَكِلْنَا إِلَىٰ أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلا إِلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ**».

وقال الشعبي: إذا قرأت ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾، فلا تسكت حتىٰ تقرأ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾.

وهذه الآية كقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، وقد نعت تعالىٰ وجههُ الكريم في هذه الآية الكريمة بأنه ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ أي: هو أهل أن يجل فلا يعصىٰ، وأن يطاع فلا يخالف، كقوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨]، وكقوله إخبارًا عن المتصدقين: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان:٩]

قال ابن عباس: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ ذو العظمة والكبرياء.

ولما أخبر عن تساوي أهل الأرض كلهم في الوفاة، وأنهم سيصيرون إلىٰ الدار الآخرة، فيحكم فيهم ذو الجلال والإكرام [بحكمه](٤) العدل قال: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

وقوله: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ وهذا إخبارٌ عن غناه عما سواه وافتقار الخلائق إليه في جميع الآنات، وأنهم يسألونه بلسان حالهم وقالهم، وأنه كل يومٍ هو في شأنٍ.

---

(١) زيادة من (ح). (٢) في (ز): (ساءلت).

(٣) رواه ابن أبي حاتم (١٨٧٣٥)، و«فضائل الصحابة» للإمام أحمد (٧٣٩)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣١٤)، والخطيب البغدادي (٦٥٧٩).

(٤) في (ز): (بعلمه).

قال الأعمش، عن مجاهد، عن عبيد بن عمير: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، قال: من شأنه أن يجيب داعيًا [أو][(١)] يعطي سائلًا أو يفك عانيًا، أو يشفي سقيمًا.

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: كل يومٍ هو يجيب داعيًا، ويكشف كربًا، ويجيب مضطرًّا ويغفر ذنبًا.

وقال قتادة: لا يستغني عنه أهل السموات والأرض، يحيي حيًّا، ويميت ميتًا، ويربي صغيرًا، ويفك أسيرًا، وهو منتهىٰ حاجات الصالحين وصريخهم، ومنتهىٰ شكواهم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو اليمان الحِمْصيّ، حدثنا [حريز][(٢)] بن عثمان، عن سُوَيْدِ ابن جبلة -هو الفزاري- قال: إن ربكم كل يومٍ هو في شأن، فيعتق رقابًا، ويعطي رغابًا، ويقحم عقابًا.

وقال ابن جرير: حدثني عبد الله بن محمد بن عمرو [الغُزّي][(٣)]، حدثني إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي، حدثني عمرو بن بكر السَّكْسكي، حدثنا الحارث بن عبدة بن رباح الغساني، عن أبيه، عن منيب ابن عبد الله بن منيب الأزدي، عن أبيه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، فقلنا: يا رسول الله، وما ذاك الشأن؟ قال: «**أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا، وَيُفَرِّجَ كَرْبًا، وَيَرْفَعَ قَوْمًا، وَيَضَعَ آخَرِينَ**»[(٤)].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، وسليمان بن أحمد الواسطي قالا: حدثنا الوزير بن صَبِيحٍ الثقفي أبو روح الدمشقي -والسياق لهشام- قال: سمعت [يونس][(٥)] بن ميسرة بن حَلْبَس، يحدث عن أم الدرداء عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾**» قال: «**مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا، وَيُفَرِّجَ كَرْبًا، وَيَرْفَعَ قَوْمًا، وَيَضَعَ آخَرِينَ**»[(٦)].

[وقد رواه ابن عساكر من طرقٍ متعددةٍ، عن هشام بن عمار به. ثم ساقه من حديث أبي همام الوليد ابن شجاع، عن الوزير بن صَبِيح قال: [ودلنا][(٧)] عليه الوليد بن مسلم، عن مُطَرِّفٍ، عن الشعبي، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ فذكره. قال: والصحيح الأول. يعني إسناده الأول[(٨)].

---

(١) في (ز): (و).
(٢) في (ز): (جرير)، وهو خطأ.
(٣) في (ز): (العبدي)، وهو خطأ.
(٤) رواه البزار (٢٢٦٦-كشف)، والطبري (٢٧/ ١٣٥)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٠): وفيه من لم أعرفهم. وضعف إسناده ابن حجر في «تغليق التعليق» (٤/ ٣٣٣).
قلت: في إسناده عمرو بن بكر السكسكي: متروك.
قلت: ويشهد له الروايات الآتية.
(٥) في (ز): (يوسف)، وهو خطأ.
(٦) رواه ابن أبي حاتم (٨٧٣٧)، وابن ماجة (٢٠٢)، وفي إسناده الوزير بن صبيح: ضعيف، وهو شاهد للحديث السابق وحسنه البوصيري، وحسنه الألباني لشواهده.
(٧) بياض في (ز).
(٨) انظر: «تاريخ دمشق» (١٥/ ١٢٦/ ١).

قلت: وقد روي موقوفًا][(١)]، كما علقه البخاري بصيغة الجزم[(٢)]، فجعله من كلام أبي الدرداء، فالله أعلمُ.

وقال البزار: حدثنا محمد بن المثنىٰ، حدثنا محمد بن الحارث، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن [البيلماني][(٣)]، عن أبيه عن ابنِ عمر، عن النبي ﷺ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، قال: «يَغْفِرُ ذَنْبًا، وَيَكْشِفُ كَرْبًا»[(٤)].

ثم قال ابن جرير: وحدثنا أبو كُرَيْبٍ، حدثنا عبيد الله بن موسىٰ، عن أبي حمزة [الثُّمَالي][(٥)]، عن سعيد بن جُبَيْرٍ، عن ابن عباس، أن الله خلق لوحًا محفوظًا من درةٍ بيضاءَ، دفّتاه ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، عرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، يخلق في كل نظرة، ويحيي ويميت، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء[(٦)].

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾، قال: وعيد من الله للعباد، وليس بالله شغل وهو فارغ[(٧)].

وكذا قال الضحاك: هذا وعيد.

وقال قتادة: قد دنا من الله فراغ لخلقه.

وقال ابن جريج: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ أي: سنقضي لكم.

وقال البخاري[(٨)]: سنحاسبكم، لا يشغله شيءٌ عن شيءٍ، وهو معروفٌ في كلام العرب، يقال: «لأتفرغنَّ لك» وما به شغل، يقول: «لآخذنَّك علىٰ غِرَّتك».

وقوله: ﴿أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ الثقلان: الإنسُ والجنُّ، كما جاء في «الصحيح»: «يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا

---

(١) سقط من (ح).
(٢) علقه البخاري في «صحيحه» كتاب التفسير، باب: ٥٥ - سورة الرحمن.
ووصله البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٦٧)، وعزاه البوصيري إلىٰ أبي يعلىٰ، وفيه إبراهيم بن هشام بن يحيىٰ الغساني؛ قال أبو حاتم وأبو زرعة: كذاب.
(٣) في (ز): (السلماني)، وهو خطأ.
(٤) رواه البزار (٢٢٦٨-كشف)، وفيه محمد بن عبد الرحمن البيلماني: ضعيف.
(٥) في (ز): (اليماني).
(٦) ضعيف: رواه الطبري (٢٧/ ١٣٥)، وفي إسناده أبو حمزة الثمالي: ضعيف.
(٧) تفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٢٦٦)، البيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٧٢) وإسناده منقطع.
(٨) البخاري (٨/ ٦٢١).

الثَّقَلَيْنِ»(١) وفي رواية: «إِلَّا الجِنُّ وَالإِنْسُ». وفي حديث الصور: «الثَّقَلَانِ الإِنْسُ وَالجِنُّ» ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

ثم قال: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ أي: لا تستطيعون هربًا من أمر الله وقدره، بل هو محيطٌ بكم، لا تقدرون على التخلص من حكمه، ولا النفوذ عن حكمه فيكم، أينما ذهبتم أحيط بكم(٢)، وهذا في مقام المحشر، الملائكة محدقة بالخلائق، سبع صفوف من كل جانب، فلا يقدر أحدٌ على الذهاب ﴿إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ أي: إلا بأمر الله، ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢﴾ [القيامة:١٠-١٢]. وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس: ٢٧]؛ ولهذا قال: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الشواظ: هو لهب النار.

وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: الشواظ: الدخان.

وقال مجاهد: هو: اللهيب الأخضر المنقطع. وقال أبو صالح: الشواظ: هو اللهيب الذي فوق النار ودون الدخان. وقال الضحاك: ﴿شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ سيل من نار.

وقوله: ﴿وَنُحَاسٌ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَنُحَاسٌ﴾: دخان النار. وروي مثله عن أبي صالح، وسعيد بن جبير، وأبي سنان.

قال ابن جرير: والعرب تسمي الدخان نُحاسًا -بضم النون وكسرها- و[القراء](٣) مجمعة على الضم، ومن النحاس بمعنى الدخان قول نابغة بني جعدة:

يُضِيءُ كَضَوءِ سِرَاجِ السَّلِيـ ... ـطِ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِيهِ نُحَاسَا

يعني: دُخانًا، هكذا قال.

وقد روى الطبراني من طريق جُوَيْبِر، عن الضحاك؛ أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن الشواظ فقال: هو اللهب الذي لا دخان معه. فسأله شاهدًا على ذلك من اللغة، فأنشده قول أمية بن

---

(١) البخاري (١٣٣٨).

(٢) قال ابن عثيمين رحمه الله: وقد أخطأ غاية الخطإ من زعم أنها تشير إلى ما توصل إليه العلماء من الطيران، حتى يخرجوا من أقطار الأرض ومن جاذبيتها، وإلى أن يصلوا كما يزعمون إلى القمر أو إلى ما فوق القمر، فالآية ظاهرة في التحدي، والتحدي هو توجيه الخطاب إلى من لا يستطيع، ثم نقول: إن هؤلاء هل استطاعوا أن ينفذوا من أقطار السموات، لو فرضنا أنهم نفذوا من أقطار الأرض ما نفذوا من أقطار السموات، فالآية واضحةٌ أنها في مقام التحدي، وأنها لا تشير إلى ما زعم هؤلاء أنها تشير إليه، ونحن نقول: الشيء الواقع لا نكذبه، ولكن لا يلزم من تصديقه أن يكون القرآن دل عليه أو السنة، الواقع واقع، فهم خرجوا من أقطار الأرض، وهذا واقعٌ لا يحتاج إلى دليل، وهذه الآية في سياقها إذا تأملتها وجدت أن هذا التحدي يوم القيامة.

(٣) في (ز): (القراءة).

أبي الصلت في حسان:

ألا مـــن مُبلـــغٌ حَـــسَّان عَنِّـــي مُغَلْغلـــةً[(١)] تـــدبّ إلـــىٰ عُكَـــاظِ

ألـــيس أبُـــوكَ فِينَـــا كـــان قينـــا إلـــىٰ القيِّنَـــات فـــلا[(٢)] بـــي الحَفَـــاظ[(٣)]

يَمَانِيًّـــا يظـــل يـــشب كِيـــرًا[(٤)] ويـــنفخ دائبًـــا لَهَـــبَ الـــشُّواظ

قال: صدقت، فما النحاس؟ قال: هو الدخان الذي لا لهب له. قال: فهل تعرفه العرب؟ قال: نعم، أما سمعت نابغة بني ذبيان يقول:

يُـــضِيءُ كَـــضَوء سَـــراج الـــسَّليط لَـــمْ يَجْعَـــلِ اللهُ فيـــه نُحَاســـا[(٥)]

وقال مجاهد: النحاس: الصُّفْر، يذاب فيصب علىٰ رءوسهم. وكذا قال قتادة. وقال الضحاك: ﴿وَنُحَاسٌ﴾ سيلٌ من نحاسٍ.

والمعنىٰ علىٰ كل قول: لو ذهبتم هاربين يوم القيامة لردتكم الملائكة والزبانية بإرسال اللهب من النار والنحاس المذاب عليكم لترجعوا؛ ولهذا قال: ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ ۝٣٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ۝٣٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٨ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ۝٣٩ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٠ يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ۝٤١ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٢ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٤٣ يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ ۝٤٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٥﴾

يقول تعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ يوم القيامة، كما دلت عليه هذه الآية مع ما شاكلها من الآيات الواردة في معناها، كقوله: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٦]، وقوله: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان:٢٥]، وقوله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ [الانشقاق:١، ٢].

وقوله: ﴿فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ﴾ أي: تذوب كما يذوب الدّرْدي والفضة في السبك، [وتتلون][(٦)] كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها، فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم. وقد قال الإمام أحمد:

---

(١) المغلغلة: الرسالة.

(٢) في (ز): (فسلا).

(٣) القين: العبد، والفسل: النذل، الحفاظ: المحافظة علىٰ المحارم.

(٤) الكير: منفخ الحداد.

(٥) رواه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٤٨) برقم (١٠٥٩٧)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠٨٠٥) فيه جويبر وهو متروك.

(٦) في (ز): (وتلون).

حدثنا أحمد بن عبد الملك، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الصهباء، حدثنا نافع أبو غالب الباهلي، حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تَطِشُّ عَلَيْهِمْ» (١).

قال الجوهري: الطش: المطر الضعيف.

وقال الضحاك، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ قال: هو الأديم الأحمر. وقال أبو كُدَيْنَةَ، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾: كالفرس الورد. وقال العوفي، عن ابن عباس: [تغير] (٢)لونها. وقال أبو صالح: كالبِرْذَون الورد، ثم كانت بعد كالدهان.

وحكىٰ البَغَوِيُّ وغيره: أن الفرس الورد تكون في الربيع صفراء، وفي الشتاء حمراء، فإذا اشتد البرد اغْبَرَّ لونها.

وقال الحسن البصري: تكون ألوانًا. وقال السُّدِّي. تكون كلون البغلة الوردة، وتكون كالمهل كدردي الزيت.

وقال مجاهد: ﴿كَالدِّهَانِ﴾: كألوان الدهان.

وقال عطاء الخراساني: كلون دُهْنِ الوَرْدِ في الصفرة. وقال قتادة: هي اليوم خضراء، ويومئذٍ لونها إلىٰ الحمرة يوم ذي ألوان. وقال أبو الجوزاء: في صفاء الدهن. وقال أبو صالح بن جريج: تصير السماء كالدهن الذائب، وذلك حين يُصيبها حر جهنم.

وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ وهذه كقوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦]، فهذا في حال، وثَمّ حال يسأل الخلائق فيها عن جميع أعمالهم، قال الله تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]؛ ولهذا قال قتادة: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾، قال: قد كانت مسألة، ثم ختم علىٰ أفواه القوم، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: لا يسألهم: هل عملتم كذا وكذا؟ لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يقول: لم عملتم كذا وكذا؟ فهذا قولٌ ثانٍ.

وقال مجاهد في هذه الآية: لا يسأل الملائكة عن المجرم، يُعْرَفُون بسيماهم.

[وهذا قول ثالث. وكأن هذا بعد ما يؤمر بهم إلىٰ النار، فذلك الوقت لا يسألون عن ذنوبهم، بل يقادون إليها ويلقون فيها، كما قال تعالىٰ: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾] (٣)أي: بعلاماتٍ تظهرُ عليهم.

وقال الحسن وقتادة: يعرفونهم باسوداد الوجوه وزرقة العيون.

قلت: وهذا كما يعرف المؤمنون بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء.

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٢٦٦)، وفيه عبد الرحمن بن أبي الصهباء: أورده ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

(٢) في (ز): (يغير).

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).

وقوله: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ أي: تجمع الزبانية ناصيته مع قدميه، ويلقونه في النار كذلك.

وقال الأعمش عن ابن عباس: يؤخذ بناصيته وقدمه، فيكسر كما يكسر الحطب في التنور.

وقال الضحاك: يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلةٍ من وراء ظهره.

وقال السُّدِّي: يجمع بين ناصية الكافر وقدميه، فتربط ناصيته بقدمه، ويُفتل ظهره.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع، حدثنا معاوية بن سلام، عن أخيه زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام -يعني جده- أخبرني عبد الرحمن، حدثني رجلٌ من كندة قال: أتيتُ عائشة فدخلت عليها، وبيني وبينها حجابٌ، فقلتُ: حدثك رسول الله ﷺ أنه يأتي عليه ساعة لا يملك لأحدٍ فيها شفاعة؟ قالت: نعم، لقد سألته عن هذا وأنا وهو في شِعَارٍ واحدٍ، قال: «نَعَمْ حِينَ يُوضَعُ الصِّرَاطُ، وَلا أَمْلِكُ لِأَحَدٍ فِيهَا شَفَاعَةٌ، حَتَّىٰ أَعْلَمَ أَيْنَ يُسْلَكُ بِي؟ وَيَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ، حَتَّىٰ أَنْظُرَ مَاذَا يُفْعَلُ بِي -أو قال: يُوحَىٰ- وَعِنْدَ الجِسْرِ [حِينَ][1] يَسْتَحِدُّ وَيَسْتَحِرُّ» فقالت: وما يستحد وما يستحر؟ قال: «يَسْتَحِدُّ حَتَّىٰ يَكُونَ مِثْلَ شَفْرَةِ السَّيْفِ، وَيَسْتَحِرُّ حَتَّىٰ يَكُونَ مِثْلَ الجَمْرَةِ، فَأَمَّا المُؤْمِنُ فَيُجِيزُهُ[2] لا يَضُرُّهُ، وَأَمَّا المُنَافِقُ فَيَتَعَلَّقُ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَوْسَطَهُ خَرَّ مِنْ قَدَمِهِ فَيَهْوِي بِيَدِهِ إِلَىٰ قَدَمَيْهِ، فَتَضْرِبُهُ الزَّبَانِيَةُ بِخُطَّافٍ فِي نَاصِيَتِهِ وَقَدَمِهِ، فَتَقْذِفُهُ فِي جَهَنَّمَ، فَيَهْوِي فِيهَا مِقْدَارَ خَمْسِينَ عَامًا». قلت: ما ثقل الرجل؟ قالت: ثقل عشر خلفات[3] [سمان][4]، فيومئذٍ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام[5].

هذا حديثٌ غريبٌ جدًّا، وفيه ألفاظ منكر رفعها، وفي الإسناد من لم يُسَمّ، ومثله لا يحتج به، والله أعلم.

وقوله: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي: هذه النار التي كنتم تكذبون بوجودها ها هي حاضرةٌ تشاهدونها عيانًا، يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا وتصغيرًا وتحقيرًا.

وقوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ أي: تارةً يعذبون في الجحيم، وتارةً يسقون من الحميم، وهو الشراب الذي هو كالنحاس المذاب، يقطع الأمعاء والأحشاء، وهذه كقوله تعالىٰ: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١، ٧٢].

وقوله: ﴿ءَانٍ﴾ أي: حار وقد بلغ الغاية في الحرارة، لا يستطاع من شدة ذلك.

---

(١) في (ز): (حتىٰ).
(٢) أي: يقطعه.
(٣) الخلفات: جمع خَلِفة، وهي الحامل من النوق.
(٤) في (ز): (ساني).
(٥) ضعيف: فيه من لم يسم (وانظر تعليق ابن كثير بعد إيراده الحديث)، رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١١٣١)، وابن الأعرابي في «المعجم» (١٤٥١).

قال ابن عباس في قوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ أي: قد انتهىٰ غلْيه، واشتد حرّه. وكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبير، والضحاك، والحسن، والثوري، والسُّدِّي.

وقال قتادة: قد أنَىٰ طبخه منذ خلق الله السموات والأرض. وقال محمد بن كعب القرظي: يؤخذ العبد فيحرّكُ بناصيته في ذلك الحميم، حتىٰ يذوب اللحم ويبقىٰ العظم والعينان في الرأس. وهي كالتي يقول الله تعالىٰ: ﴿فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾. والحميم الآن: يعني الحار. وعن القرظي رواية أخرىٰ: ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ أي: حاضر. وهو قول ابن زيد أيضًا، والحاضر لا ينافي ما روي عن القرظي أولًا أنه الحار، كقوله تعالىٰ: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٥] أي حارة شديدة الحر لا تستطاع. وكقوله: ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب:٥٣] يعني: استواءه ونضجه. فقوله: ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ أي: حميمٍ حارٍّ جدًّا. ولما كان معاقبة العصاة المجرمين وتنعيم المتقين من فضله ورحمته وعدله ولطفه بخلقه، وكان إنذاره لهم عذابه وبأسه مما يزجرهم عما هم فيه من الشرك والمعاصي وغير ذلك، قال ممتنًّا بذلك علىٰ [بريته][1]: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾﴾

قال ابن [شَوْذب][2]، وعطاء الخراساني: نزلت هذه الآية: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ في أبي بكر الصديق[3].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن مصفىٰ، حدثنا بَقيَّة، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن عطية بن قيس في قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾: نزلت في الذي قال: أحرقوني بالنار، لعلي أُضل[4] الله، قال: تاب يومًا وليلةً بعد أن تكلم بهذا، فَقَبِلَ الله منه وأدخله الجنة[5].

والصحيح أن هذه الآية عامةٌ كما قاله ابن عباس وغيره، يقول تعالىٰ: ولمن خاف مقامه بين يدي الله ﷻ يوم القيامة، ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠]، ولم يطغ، ولا آثر الدنيا، وعلم أن الآخرة خيرٌ وأبقىٰ، فأدىٰ فرائض الله، واجتنب محارمه، فله يوم القيامة عند ربه جنتان، كما قال البخاري.

حدثنا عبد الله بن أبي الأسود، حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العَمّي، حدثنا أبو عِمْرانَ الجَوْنيُّ، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا

---

(١) في (ز): (تربيته). (٢) في (ز): (شوذبة).

(٣) ضعيف: فالرواية مرسلة لا تصح.

(٤) أي: أفوته ويخفىٰ عليه مكاني، وقيل: قال: لعلي أغيب عن عذاب الله.

(٥) ضعيف: فيه بقية بن الوليد: مدلس، وأبو بكر بن أبي مريم اختلط، والإسناد مرسل.

وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﷻ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»(١).

وأخرجه بقية الجماعة إلا أبا داود، من حديث عبد العزيز به.

[وقال حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي بكر بن أبي موسىٰ، عن أبيه -قال حماد: ولا أعلمه إلا قد رفعه- في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾، وفي قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ قال: جنتان من ذهب للمقربين، وجنتان من ورق لأصحاب اليمين(٢).](٣).

وقال ابن جرير: حدثنا زكريا بن يحيىٰ بن أبان [المصري](٤)، حدثنا ابن أبي مريم، أخبرنا محمد بن جعفر، عن محمد بن أبي حَرْمَلَةَ، عن عطاء بن يَسَار، أخبرني أبو الدرداء؛ أن رسول الله ﷺ قرأ يومًا هذه الآية: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾، فقلت: وإن زنىٰ وإن سرق؟ فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾، فقلت: وإن زنىٰ وإن سرق؟ فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾. فقلت: وإن زنىٰ وإن سرق يا رسول الله؟ فقال: «وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي الدَّرْدَاءِ»(٥).

ورواه النسائي من حديث محمد بن [أبي](٦) حَرْمَلَةَ به(٧). ورواه النسائي أيضًا عن مؤمَّل بن هشام، عن إسماعيل، عن الجُرَيري، عن موسىٰ، عن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن أبي الدرداء به(٨). وقد روي موقوفًا [علىٰ](٩) أبي الدرداء. وروي عنه أنه قال: إن من خاف مقام ربه لم يزْنِ ولم يسرق.

[وهذه الآية](١٠) عامةٌ في الإنس والجن، فهي من أدل دليلٍ علىٰ أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا؛ ولهذا امتن الله تعالىٰ علىٰ الثقلين بهذا الجزاء فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

ثم نعت هاتين الجنتين فقال: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ أي: أغصان نَضِرَة حسنة، تحمل من كل ثمرةٍ نضيجة فائقة، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. هكذا قال عطاء الخراساني وجماعة: إن الأفنان أغصان الشجَر يمس بعضُها بعضًا.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن علي، حدثنا مسلم بن قتيبة، حدثنا عبد الله بن

---

(١) رواه البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠)، والترمذي (٢٥٣٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٤٤١)، وابن ماجة (١٨٦).

(٢) رواه الطبري (٢٧/ ١٤٦)، ورجاله ثقات.

(٣) سقط من (ز)، وزيادة من (ح)، ووقع بعد صفحتين في (ز).

(٤) بياض في (ز).

(٥) صحيح: الطبري (٢٧/ ١٤٦).

(٦) زيادة من (ح)، والصواب إثباتها.

(٧) النسائي في «الكبرىٰ» (١١٥٦٠، ١١٥٦١). وأحمد (٢/ ٣٥٧)، وصحح إسناده الشيخ شعيب الأرنؤوط وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٨) رواه النسائي في «الكبرىٰ» (١١٥٦١).

(٩) في (ز): (عن).

(١٠) في (ز): (وهذا للأمة).

النعمان، سمعت عكرمة يقول: ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ﴾، يقول: ظِل الأغصان على الحيطان، ألم تسمع قول الشاعر حيث يقول:

مـا هـاجَ شَـوقُكَ مـن هَـديل حَمَامَـةٍ   تَـدْعُو علـىٰ فَـنَنِ الغُـصُونِ حَمَامـا
تَـدْعُو أبـا [فَـرْخَين][١] صـادف [طاويـا][٢]   ذا مخلبـين مـن الـصقور [قَطامـا[٣]][٤]

وحكىٰ البغوي، عن مجاهد، وعكرمة، [والضحاك][٥]، والكلبي: [أنه الغصن المستقيم طوالًا][٦].

قال: وحدثنا أبو سعيدٍ الأشج، حدثنا عبد السلام بن حرب، حدثنا عطاء بن السائب، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس: ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ﴾: ذواتا ألوان.

قال: وقد روي عن سعيد بن جبير، والحسن، والسُّدِّي، [وخُصَيف][٧]، والنضر بن [عربي][٨]، وأبي سِنَان مثل ذلك. ومعنىٰ هذا القول أن فيهما فنونًا من الملاذِ، واختاره ابن جرير.

وقال عطاء: كل غصنٍ يجمع فنونًا من الفاكهة، وقال الربيع بن أنس: ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ﴾: [واسعتا الفناء.

وكل هذه الأقوال صحيحةٌ، ولا منافاة بينها، والله أعلم. وقال قتادة: ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ﴾][٩] ينبئ بفضلها وسعتها ومزيتها علىٰ ما سواها.

وقال محمد بن إسحاق، عن يحيىٰ بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن أسماء قالت: سمعت رسول الله ﷺ -وذكر سدرة المنتهىٰ- فقال: «يَسِيرُ فِي ظِلِّ الفَنَنِ مِنْهَا الرَّاكِبُ مِائَةَ سَنَةٍ -أو قال: يَسْتَظِلُّ فِي ظِلِّ الفَنَنِ مِنْهَا مِائَةُ رَاكِبٍ- فِيهَا فَرَاشُ الذَّهَبِ، كَأَنَّ ثَمَرَهَا القِلَالُ»[١٠].

رواه الترمذي من حديث يونس بن بكير به[١١].

﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ﴾ أي: تسرحان لسقي تلك الأشجار والأغصان [فتثمر][١٢] من جميع الألوان،

---

(١) في (ز): (فرحي) بدون نقط.
(٢) في (ز): (طارقا).
(٣) أي: ميال للحم.
(٤) في (ز): (فطاما).
(٥) زيادة من (ح).
(٦) بياض في (ز).
(٧) بياض في (ز).
(٨) في (ز): (عدىٰ).
(٩) زيادة من (ح).
(١٠) حسن: رواه الترمذي (٢٥٤٤) وقال: حسن صحيح، ورواه الحاكم (٢/ ٤٦٩) وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم ووافقه الذهبي، ورواه هناد في «الزهد» (١١٥)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٣٥) وقد صرح محمد بن إسحاق بالسماع في رواية هناد، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٦٧٧).
(١١) ورد في (ز) بعد هذا الموضع حديث حماد بن سلمة، عن ثابت المشار إليه من صفحتين والصواب موضعه هناك لا هنا؛ ولذا حذفناه هنا.
(١٢) في (ز): (لتنمو).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قال الحسن [البصري] [١]: إحداهما يقال لها: «تسنيم»، والأخرىٰ «السَّلسبيل».

وقال عطية: إحداهما من ماءٍ غير آسنٍ، والأخرىٰ من خمرٍ لذةٍ للشاربين.

ولهذا قال بعد هذا: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ﴾ أي: من جميع أنواع الثمار مما يعلمون وخير مما يعلمون، ومما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قال إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس: «ما في الدُّنيا ثمرةٌ حلوةٌ ولا مُرَّةٌ إلا وهي في الجنَّة حتىٰ الحنظلة» [٢].

وقال ابن عباس: ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء [٣]؛ يعني: أن بين ذلك بونًا عظيمًا، وفرقًا بيِّنًا في التفاضل.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾﴾

يقول تعالىٰ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ يعني: أهل الجنة. والمراد بالاتكاء هاهنا: الاضطجاع. ويقال: الجلوس علىٰ صفة التربع. ﴿عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖ﴾ وهو: ما غلظ من الديباج. قاله عكرمة، والضحاك وقتادة.

وقال أبو عِمْرانَ الجَوْنيُّ: هو الديباج المغرّىٰ [٤] بالذهب. فنبه علىٰ شرف الظهارة بشرف البطانة. وهذا من التنبيه بالأدنىٰ علىٰ الأعلىٰ.

قال أبو إسحاق، عن هُبَيْرَةَ بن يَرِيم، عن عبد الله بن مسعود قال: هذه البطائن، فكيف لو رأيتم الظواهر؟ [٥]

وقال مالك بن دينار: بطائنها من إستبرق، وظواهرها من نور.

وقال سفيان الثوري -أو شريك-: بطائنها من إستبرق وظواهرها من نور جامد.

وقال القاسم بن محمد: بطائنها من إستبرق، وظواهرها من الرحمة.

---

(١) زيادة من (ح).

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٧٠٩) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) رواه الطبري (١/ ٣٩٢ برقم ٥٣٥)، وابن أبي حاتم (٢٦٠)، ورواه أبو نعيم في «صفة الجنة» (١٢٤) ورجاله ثقات، وقال الشيخ مقبل: سنده صحيح علىٰ شرط الشيخين.

(٤) أي: المطلي.

(٥) صحيح: رواه الطبري (٢٧/ ١٤٩)، و«الأمالي» لابن مردويه، و«صفة الجنة» لأبي نعيم (١٥٦)، والحاكم (٢/ ٤٧٥) وصححه علىٰ شرطهما ووافقه الذهبي، والبيهقي في «الشعب» (١٨٣).

وقال ابن شَوْذَبٍ، عن أبي عبد الله الشامي: ذكر الله البطائن ولم يذكر الظواهر، وعلىٰ الظواهر [المحابس[١]][٢]، ولا يعلم ما تحت [المحابس][٣] إلا الله. ذكر ذلك كله الإمام ابن أبي حاتم.

﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ أي: ثمرها قريبٌ إليهم، متىٰ شاءوا [تناولوه][٤] علىٰ أي صفةٍ كانوا، كما قال: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:٢٣]، وقال: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان:١٤] أي: لا تمنع [ممن][٥] تناولها، بل تنحط إليه من أغصانها، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

ولما ذكر الفرش وعظمتها قال بعد ذلك: ﴿فِيهِنَّ﴾ أي: في الفرش ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ أي غضيضات عن غير أزواجهن، فلا يرين شيئًا أحسن في الجنة من أزواجهن. قاله ابن عباس، وقتادة، وعطاء الخراساني، وابن زيد.

وقد ورد أن الواحدة منهن تقول لبعلها: والله ما أرىٰ في الجنة شيئًا أحسنَ منك، ولا في الجنة شيء أحب إلي منك، فالحمد لله الذي جعلك لي وجعلني لك[٦].

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ أي: بل هن أبكارٌ عربٌ أترابٌ، لم يطأهن [أحدٌ][٧] قبل أزواجهن من الإنس والجن. وهذه أيضًا من الأدلة علىٰ دخول مؤمني الجن الجنة.

قال أرطاة بن المنذر: سئل ضَمْرَةُ بن حبيب: هل يدخل الجن الجنة؟ قال: نعم، وينكحون، للجن جنيات، وللإنس إنسيات. وذلك قوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

ثم قال ينعتهن للخطَّاب: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾، [قال مجاهد، والحسن، والسُّدِّي، وابن زيد، وغيرهم: في صفاءِ الياقوتِ وبياض المرجانِ][٨]، فجعلوا المرجان هاهنا اللؤلؤ.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن حاتم، حدثنا عَبِيدةُ بن حُمَيْدٍ، عن عطاء بن السائب، عن عمرو بن ميمون الأودي، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الْمَرْأَةَ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُرَىٰ بَيَاضُ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ حُلَّةً مِنَ الْحَرِيرِ، حَتَّىٰ يُرَىٰ مُخُّهَا، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ فَأَمَّا الْيَاقُوتُ فَإِنَّهُ حَجَرٌ لَوْ أَدْخَلْتَ فِيهِ سِلْكًا ثُمَّ اسْتَصْفَيْتَهُ لَرَأَيْتَهُ مِنْ وَرَائِهِ**»[٩].

---

(١) المحابس: جمع مِحبس، وهو ما يبسط علىٰ وجه الفراش للنوم.

(٢) في (ز): (المحاسن). (٣) في (ز): (المحاسن).

(٤) في (ز): (يتناولوه). (٥) في (ز): (من).

(٦) ضعيف: رواه ابن أبي حاتم (١٨٤١٢)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٥٩٣)، والطبراني في «الأحاديث الطوال» (٣٦) من حديث الصور المشهور، وفيه يزيد بن أبي زياد: ضعيف.

(٧) زيادة من (ح). (٨) زيادة من (ح).

(٩) رواه الترمذي (٢٥٣٦)، وابن أبي حاتم (١٨٧٤٧)، ورجاله ثقات إلا أن عطاء بن السائب اختلط، ولكن يشهد لذلك =

وهكذا رواه الترمذي من حديث عُبَيْدَة بن حميد وأبي الأحوص، عن عطاء بن السائب به. ورواه موقوفًا، ثم قال: وهو أصح.

وقال الإمام أحمد: حدثنا [عفان](١)، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا يونس، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ زَوْجَتَانِ مِنَ الحُورِ العِينِ، عَلَىٰ كُلِّ وَاحِدَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً، يُرَىٰ مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ الثِّيَابِ**»(٢).

تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه. وقد رواه مسلم من حديث إسماعيل بن عُلَيَّةَ، عن أيوب، عن محمد بن سيرين قال: إما تفاخروا وإما تذكروا، الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ فقال أبو هريرة: أو لم يقل أبو القاسم ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَىٰ أَضْوَإِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ، يُرَىٰ مُخُّ [سُوقِهِمَا](٣) مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، وَمَا فِي الجَنَّةِ أَعْزَبُ**»(٤).

وهذا الحديث مُخَرَّجٌ في «الصحيحين»، من حديث هَمّام بن مُنَبِّه وأبي زُرْعَةَ، عن أبي هريرة ﵁(٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا محمد بن طلحة، عن حميد، عن أنس؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ أَوْ مَوْضِعُ قَيْدِهِ** - يعني: سوطه- **مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوِ اطَّلَعَتِ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ إِلَىٰ الأَرْضِ لَمَلأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَطَابَ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَنَصِيفُهَا**(٦) **عَلَىٰ رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»(٧).

ورواه البخاري من حديث أبي إسحاق، عن حميد، عن أنس بنحوه(٨).

وقوله: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ أي: ما لمن أحسن في الدنيا العمل إلا الإحسان إليه في الدار الآخرة. كما قال تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦].

وقال البغوي: أخبرنا أبو سعيد الشَّريحي، حدثنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني ابن فَنجُويه، حدثنا ابن شيبة، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن بَهْرَام، حدثنا الحجاج بن يوسف المُكَتِّبُ، حدثنا بِشْر ابن الحسين، عن الزبير بن عَدِيّ، عن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾، قال: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**يَقُولُ: هَلْ جَزَاءُ مَا**

= آخر الرواية الآتية.

(١) في (ز): (عثمان)، وهو خطأ.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٣٤٥).

(٣) في (ز): (سوقها).

(٤) رواه مسلم (٢٨٣٤).

(٥) رواه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤).

(٦) أي: خمارها.

(٧) رواه البخاري (٢٧٩٦)، وأحمد (٣/ ١٤١).

(٨) انظر التعليق السابق.

أَنْعَمْتُ عَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ إِلَّا الْجَنَّةُ»(١).

ولما كان في الذي ذُكِرَ نعمٌ عظيمةٌ لا يقاومها عملٌ، بل مجرد تفضلٍ وامتنانٍ، قال بعد ذلك كله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

ومما يتعلق بقوله تعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾، ما رواه الترمذي والبغوي، من حديث أبي النضر [هاشم](٢) بن القاسم، عن أبي عقيل الثقفي، عن أبي فروة يزيد بن سِنان الرّهاوي، عن بُكَيْرِ بن فيروز، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الْجَنَّةُ»(٣).

ثم قال الترمذي: غريبٌ، لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر.

وروىٰ البغوي من حديث علي بن حُجْرٍ، عن إسماعيل بن جعفر، عن محمد بن أبي حَرْمَلَة - مولىٰ حويطب بن عبد العزىٰ- عن عطاء بن يَسَار، عن أبي الدرداء؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقص علىٰ المنبر وهو يقول: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾، قلت: وإن زنىٰ وإن سرق يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾. فقلت الثانية: وإن زنىٰ وإن سرق يا رسول الله؟ [فقال رسول الله ﷺ:](٤) ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾. فقلت الثالثة: وإن زنىٰ وإن سرق يا رسول الله؟ [فقال](٥): «وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي الدَّرْدَاءِ»(٦).

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

---

(١) ضعيف جدًّا:في إسناده بشر بن الحسين قال البخاري: فيه نظر، وقال الدارقطني: متروك، وقال ابن عدي: عامة حديثه ليس بمحفوظ، وقال أبو حاتم: يكذب علىٰ الزبير. انظر: «ميزان الاعتدال» (ت/ ١١٩٢).

(٢)في (ز): (بن هاشم)، وهو خطأ.

(٣)رواه الترمذي (٢٤٥٢)، وفيه أبو فروة يزيد بن سنان: ضعيف، وبكير بن فيروز: مقبول.

قلت: لكن للحديث شواهد استوفاها الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٣٣٥)، وللحافظ ابن رجب رسالة في شرح هذا الحديث بعنوان «المحجة في سير الدلجة».

(٤)زيادة من (ح). (٥)زيادة من (ح).

(٦) صحيح:رواه الطبري (٢٧/ ١٤٦)، ورواه النسائي في «الكبرىٰ» (١١٥٦٠) (١١٥٦١).

هاتان الجنتان دون اللتين قبلهما في المرتبة والفضيلة والمنزلة بنص القرآن، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ .

وقد تقدم في الحديث: «جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، [فَالأُولَيَانِ](١) لِلْمُقَرَّبِينَ، وَ[الأُخْرَيَانِ](٢) لِأَصْحَابِ اليَمِينِ».

وقال أبو موسىٰ: جنتان من ذهبٍ للمقربين، وجنتان من فضةٍ لأصحاب اليمين.

وقال ابن عباس: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ من دونهما في [الدرج](٣) .

وقال ابن زيد: من دونهما في الفضل.

والدليل علىٰ شرف الأولين علىٰ الأخريين وجوه: أحدها: أنه نعت [الأولين](٤) قبل هاتين، والتقديم يدل علىٰ الاعتناء ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾. وهذا ظاهر في شرف التقدم وعلوه علىٰ الثاني.

وقال هناك: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾: وهي الأغصان أو الفنون في الملاذ، وقال هاهنا: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ أي: سوداوان من شدة الري.

قال ابن عباس في قوله: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ قد اسودتا من الخضرة، من شدة الري من الماء.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيدٍ الأشج، حدثنا ابن فُضَيْلٍ، حدثنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾: قال: خضراوان(٥) . ورُوي عن أبي أيوب الأنصاري، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن أبي أَوْفَىٰ، وعكرمة، وسعيد بن جُبَيرٍ، ومجاهد -في إحدىٰ الروايات- وعطاء، وعطية العَوْفي، والحسن البصري، ويحيىٰ بن رافع، وسفيان الثوري، نحو ذلك.

وقال محمد بن كعب: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾: ممتلئتان من الخضرة. وقال قتادة: خضراوان من الري ناعمتان. ولا شك في نضارة الأغصان علىٰ الأشجار المشتبكة بعضها في بعض. وقال هناك: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾، وقال هاهنا: ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أي فياضتان. والجري أقوىٰ من النضخ.

وقال الضحاك: ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ أي ممتلئتان لا ينقطعان.

وقال هناك: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾، وقال هاهنا: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ ، ولا شك أن [الأولىٰ](٦) أعم وأكثر في الأفراد والتنويع علىٰ فاكهة، وهي نكرةٌ في سياق الإثبات لا تعم؛ ولهذا

---

(١) في (ز): (فالأولتان).
(٢) في (ز): (والأخيرتان).
(٣) في (ز): (المدرج).
(٤) في (ز): (الأولتين).
(٥) رواه ابن أبي حاتم (١٨٧٥١).
(٦) في (ز): (الأول).

فسر قوله: ﴿وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ﴾ من باب عطف الخاص على العام، كما قرره البخاري وغيره، وإنما أفرد النخل والرمان بالذكر لشرفهما على غيرهما.

قال عبد بن حميد: حدثنا يحيىٰ بن عبد الحميد، حدثنا حصين بن عمر، حدثنا [مخارق](١)، عن طارق بن شهاب، عن عمر بن الخطاب قال: جاء أناسٌ من اليهودِ إلىٰ رسولِ الله ﷺ فقالوا: يا محمد، أفي الجنة فاكهة؟ قال: «**نَعَمْ، فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ**». قالوا: أفيأكلون كما يأكلون في الدنيا؟ قال: «**نَعَمْ، وَأَضْعَافٌ**». قالوا: فيقضون الحوائج؟ قال: «**لَا، وَلَكِنَّهُمْ يَعْرَقُونَ وَيَرْشَحُونَ، فَيُذْهِبُ اللهُ مَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ أَذًىٰ**»(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الفَضْلُ بن دُكَيْنٍ، حدثنا سفيان، عن حماد، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: نخل الجنة سعفها [كسوة](٣) لأهل الجنة، منها مُقَطَّعَاتهم، ومنها حُلَلهم، [وكَرَبُها(٤)](٥) ذهب أحمر، وجذوعها زمردٌ أخضرُ، وثمرها أحلىٰ من العسل، وألين من الزبد، وليس له عجمٌ(٦)(٧).

وحدثنا أبي: حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، حدثنا حماد -هو ابن [سلمة](٨)- عن أبي هارون، عن أبي سعيدٍ الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: «**نَظَرْتُ إِلَىٰ الجَنَّةِ فَإِذَا الرُّمَّانَةُ مِنْ رُمَّانِهَا كَمَثَلِ البَعِيرِ المُقْتَبِ**(٩)»(١٠).

ثم قال: ﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ﴾ قيل: المراد خيراتٌ كثيرةٌ حسنةٌ في الجنة، قاله قتادة. وقيل: خيرات جمع خيرة، وهي المرأة الصالحة الحسنة الخُلُق الحسنة الوجه، قاله الجمهور. وروي مرفوعًا عن أم سلمة(١١). وفي الحديث الآخر الذي سنورده في سورة «الواقعة»: أن الحور العين

---

(١) في (ز): (طارق).

(٢) ضعيف جدًّا: رواه عبد بن حميد (٣٥)، وابن كثير في «مسند الفاروق» (٢/ ٦٠٨)، وفيه الحصين بن عمر الأحمسي: متروك، انظر: «المطالب العالية» لابن حجر (٤٦٧٧).

(٣) في (ز): (أكسوة).

(٤) الكَرَب: أصل السعف، وقيل: مايبقىٰ من أصوله في النخلة بعد القطع.

(٥) في (ز): (كونها).

(٦) العَجَم: النوىٰ.

(٧) رواه ابن أبي حاتم (١٨٧٥٨).

(٨) في (ز): (ابن أسلم)، وهو خطأ.

(٩) أي: الذي شد عليه القتب، وهو رحل صغير علىٰ قدر سنام البعير.

(١٠) ضعيف جدًّا: فيه أبو هارون العبدي: متروك، رواه الحارث بن أسامة في «بغية الحارث»، والدينوري في «المحاسبة» (١١٠٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٩/ ٣٧٩)، وقال العراقي: ضعيف جدًّا «المغني» (٢/ ١٢٦٩).

(١١) ضعيف: رواه الطبري (٢٧/ ١٥٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٣٦٧/ ٢٨٠) وفيه سليمان ابن أبي كريمة: ضعيف.

يُغَنِّين: نحن الخيِّرات الحسان، خُلِقْنَا لأزواجٍ كِرَامٍ. ولهذا قرأ بعضهم: «فِيهِنَّ خَيِّرَاتٌ»، بالتشديد(١) ﴿حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

ثم قال: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾، وهناك قال: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾، ولا شك أن التي قد قَصَرَت طرفها بنفسها أفضل ممن قُصرت، وإن كان الجميع مخدرات.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن جابر، عن القاسم بن أبي بزَّة، عن أبي عبيدة، عن مسروق، عن عبد الله قال: إن لكل مسلمٍ خَيرةً، و[لكل](٢) خَيرةٍ خيمةٌ، ولكل خيمة أربعة أبواب، يدخل عليه كل يوم تحفة وكرامة وهدية لم تكن قبل ذلك، لا [مَرّاحات](٣) ولا [طَمّاحات(٤)](٥)، ولا بخرات ولا ذفرات، حورٌ عينٌ، كأنهن بيضٌ مكنونٌ(٦).

وقوله: ﴿فِى ٱلْخِيَامِ﴾، قال البخاري: حدثنا محمد بن المثنىٰ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد، حدثنا أبو عمران الجوني، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ خَيْمَةٌ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلًا فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنُونَ**»(٧).

ورواه أيضًا من حديث [أبي](٨) عمران به. وقال: «**ثَلَاثُونَ مِيلًا**». وأخرجه مسلم من حديث أبي عمران به. ولفظه: «**إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلٌ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنُ، فَلَا يَرَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا**».

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن أبي الربيع، حدثنا عبد الرزّاق، أخبرنا معمر، عن قتادة، أخبرني خُلَيْد العَصَري، عن أبي الدرداء قال: الخيمة لؤلؤةٌ واحدةٌ، فيها سبعون بابًا من در(٩).

وحدثنا أبي، حدثنا عيسىٰ بن أبي فاطمة، حدثنا جرير، عن هشام، عن محمد بن المثنىٰ، عن ابن عباس في قوله: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾، قال: في خيام اللؤلؤ، وفي الجنة خيمةٌ واحدةٌ من

---

(١) قراءة: قَرَأَ (خَيِّرَاتٌ) بَكْرُ بْنُ حَبِيبٍ وَأَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ وَابْنُ مِقْسَمٍ، وَلَيْسَ فِي الْمُتَوَاتِرِ إِلَّا (خَيْرَاتٌ).
(٢) في (ز): (لعل).
(٣) في (ز): (مرجان).
(٤) امرأة طَمَّاحة: تَكْثُرُ بنظرها يمينًا وشمالًا إلىٰ غير زوجها. «اللسان»: طمح.
(٥) في (ز): (لحماحار).
(٦) رواه ابن أبي حاتم (١٢/ ٢٧٠)، «الزهد» لابن المبارك (١٨٤٩)، وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٢١٩٦).
(٧) رواه البخاري (٣٢٤٣، ٤٨٧٩)، ومسلم (٢٨٣٨).
(٨) زيادة من (ح)، والصواب إثباتها.
(٩) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١٤/ ١٦٣ -دار هجر) إلىٰ ابن أبي حاتم وابن المنذر، وعبد الله ابن الإمام أحمد في «الزهد»، وابن المنذر.

لؤلؤةٍ، أربعة فراسخ في أربعة فراسخ، عليها أربعة آلاف مصراع من الذهب [١].

وقال عبد الله بن وهب: أخبرنا عمرو أن دَرَّاجًا أبا السَّمح حدثه، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ، قال: «أَدْنَىٰ أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً الَّذِي لَهُ ثَمَانُونَ أَلْفَ خَادِمٍ، وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ زَوْجَةً، وَتُنْصَبُ لَهُ قُبَّةٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ وَيَاقُوتٍ، كَمَا بَيْنَ الجَابِيَةِ [٢] وَصَنْعَاءَ» [٣].

ورواه الترمذي من حديث عمرو بن الحارث به.

وقوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ تقدم مثله سواء، إلا أنه زاد في وصف الأوائل بقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

وقوله: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الرفرف: المحابس. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والضحاك، وغيرهما: هي المحابس. وقال العلاء بن بدر: الرفرف على السرير، كهيئة المحابس المتدلي.

وقال عاصم الجحدري: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ يعني: الوسائد. وهو قول الحسن البصري في روايةٍ عنه.

وقال أبو داود الطيالسي، عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ قال: الرفرف: رياض الجنة.

وقوله: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾: قال ابن عباس، وقتادة، والضحاك، والسُّدِّي: العبقري: الزرابي. وقال سعيد بن جبير: هي عتاق الزرابي؛ يعني: جيادها.

وقال مجاهد: العبقري: الديباج.

وسُئل الحسنُ البصري عن قوله: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ فقال: هي بسط أهل الجنة -لا أبا لكم- فاطلبوها. وعن الحسن رواية: أنها المرافق.

وقال زيد بن أسلم: العبقري: أحمر وأصفر وأخضر. وسئل العلاء بن زيد عن العبقري، فقال: البسط أسفل من ذلك. وقال أبو حرزة يعقوب بن مجاهد: العبقري: من ثياب أهل الجنة، لا يعرفه أحدٌ. وقال أبو العالية: العبقري: الطنافس المخْمَلة، إلى الرقة ما هي.

---

(١) رواه الطبري (٢٣/ ٧٩)، والبيهقي في «البعث» (١/ ٣١١) برقم (٢٩١)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤١)، صححه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٧١٦).

(٢) الجابية: قرية بالشام، وصنعاء: عاصمة اليمن.

(٣) ضعيف: رواه الترمذي (٢٥٦٥) وفيه دراج أبو السمح: روايته عن أبي الهيثم ضعيفة، وأيضًا في الإسناد رشدين بن سعد: ضعيف.

وقال [القتيبي] (١): كل ثوب مُوَشًى عند العرب عبقري. وقال أبو عبيدة: هو منسوب إلىٰ أرض يعمل بها الوشي. وقال الخليل بن أحمد: كل شيءٍ يسر من الرجال وغير ذلك يسمىٰ عند العرب عبقريًّا. ومنه قول النبي ﷺ في عمر: «**فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَهُ** (٢)» (٣).

وعلىٰ كل تقدير فصفة [مرافق] (٤) أهل الجنتين الأوليين أرفع وأعلىٰ من هذه الصفة؛ فإنه قد قال هناك: ﴿**مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ**﴾، فنعت بطائن فرشهم وسكت عن ظهائرها، اكتفاءً بما مدح به البطائن بطريق الأولىٰ والأحرىٰ. وتمام الخاتمة أنه قال بعد الصفات المتقدمة: ﴿**هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ**﴾ فوصف أهلها بالإحسان وهو أعلىٰ المراتب والنهايات، كما في حديث جبريل لما سأل عن الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان، فهذه وجوهٌ عديدةٌ في تفضيل الجنتين الأوليين علىٰ هاتين الأخريين، ونسأل الله الكريم الوهاب أن يجعلنا من أهل الأوليين.

ثم قال: ﴿**تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ**﴾ أي: هو أهل أن يجل فلا يعصىٰ، وأن يكرم فيعبد، ويشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسىٰ. وقال ابن عباس: ﴿**ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ**﴾ ذي العظمة والكبرياء. وقال الإمام أحمد: حدثنا موسىٰ بن داود، حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن عمر بن هانئ، عن أبي العذراء، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَجِلُّوا اللهَ يَغْفِرْ لَكُمْ**» (٥).

وفي الحديث الآخر: «**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ المُسْلِمِ، وَذِي السُّلْطَانِ، وَحَامِلِ القُرْآنِ غَيْرِ الغَالِي فِيهِ وَلَا الجَافِي عَنْهُ**» (٦).

وقال الحافظ أبو يعلىٰ: حدثنا أبو يوسف الحميري، حدثنا مؤمل بن إسماعيل، حدثنا حماد، حدثنا حميد الطويل، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**أَلِظُّوا** (٧) **بِيَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**» (٨).

وكذا رواه الترمذي، عن محمود بن غيلان، عن مؤمل بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة به، ثم

---

(١) في (ز): (العتيبي).

(٢) عَبْقَرِيُّ القوم: سَيِّدُهُم وكَبِيرُهُم وقَوِيُّهم، ويَفْرِي فَرِيَّه؛ أي: يَعْمل عَمَله ويقطع قَطْعَه. ويروىٰ: يَفْرِي فَرْيَهُ -بسكون الراء والتخفيف- والعَرب تقول: تَركته يَفْرِي الفَرِيَّ: إذا عَمل العَمل فأجادَه. «النهاية».

(٣) رواه البخاري (٣٦٣٣)، ومسلم (٢٣٩٣).

(٤) زيادة من (ح).

(٥) ضعيف: رواه أحمد (٥/ ١٩٩)، وفيه أبو العذراء: مجهول.

(٦) صحيح: عزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٣١٨) إلىٰ الطبراني في «الأوسط» وقال: في إسناده عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الحوت: وثقه ابن حبان ودحيم وضعفه أبو داود وغيره وبقية رجاله ثقات.

قلت: له شاهد من حديث أبي موسىٰ، رواه أبو داود (٤٨٤٣) وإسناده حسن.

(٧) أي: الزموه واثبتوا عليه وأكثروا من قوله والتلفظ به في دعائكم.

(٨) صحيح: رواه الترمذي (٣٥٢٣) وضعفه، قلت: يشهد له رواية ابن عمر عند أحمد (٤/ ١٧٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧٧١٦) إسنادها حسن، وبهما فالحديث صحيح.

قال: غلط المؤمل فيه، وهو غريبٌ وليس بمحفوظٍ، وإنما يروىٰ هذا [عن][1] حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن، عن النبي ﷺ.

وقال الإمام أحمد: حدثنا [إبراهيم][2] بن إسحاق، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن يحيىٰ بن حسان المقدسي، عن ربيعة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أَلِظُّوا بِذِي الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**». ورواه النسائي من حديث عبد الله بن المبارك به[3].

قال الجوهري: أَلَظَّ فلان بفلان: إذا لزمه.

وقول ابن مسعود: «ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام» أي: الزموا. ويقال: الإلظاظ هو الإلحاح.

قلت: وكلاهما قريبٌ من الآخر -والله أعلم- وهو المداومة واللزوم والإلحاح. وفي «صحيح مسلم» و«السنن الأربعة» من حديث عبد الله بن الحارث، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سلم لا يقعد -يعني: بعد الصلاة- إلا قَدْرَ ما يقول: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**»[4].

آخر تفسير سورة الرحمن، ولله الحمد.

---

(١) في (ز): (غير)، والمثبت موافق لما في «الترمذي». (٢) زيادة من (ح).

(٣) صححه الألباني: رواه أحمد (٤/ ١٧٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧٧١٦، ١١٥٦٣)، وانظر «السلسلة الصحيحة» (١٥٣٦).

(٤) رواه مسلم (٥٩١).

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

تفسير سورة الواقعة وهي مكية

قال أبو إسحاق عن عِكْرِمَة، عن ابن عباسٍ قال: قال أبو بكر: يا رسول الله، قد شِبْتَ؟ قال: «**شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالوَاقِعَةُ، وَالمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ**»(١).

رواه الترمذي وقال: حسنٌ غريبٌ.

وقال الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن مسعود بسنده إلىٰ عمرو بن الربيع بن طارق المصري: حدثنا السُّرِّي بن يحيىٰ الشيباني، عن أبي شجاع، عن أبي ظبية قال: مرض عبد الله مرضه الذي توفي فيه، فعاده عثمان بن عفان فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي. قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي. قال: ألا آمر لك بطبيبٍ؟ قال: الطبيب أمرضني. قال: ألا آمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لي فيه. قال: يكون [لبناتك](٢) من بعدك؟ قال: أتخشىٰ علىٰ بناتي الفقر؟ إني [أمرت](٣) بناتي يقرأن كل ليلةٍ سورة الواقعة، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الوَاقِعَةِ كُلَّ لَيْلَةٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَدًا**»(٤).

ثم قال ابن عساكر: كذا قال والصواب: عن «شجاع»، كما رواه عبد الله بن وهب عن السُّرِّي. وقال عبد الله بن وهب: أخبرني السُّرِّي بن يحيىٰ أن شجاعًا حَدَّثه، عن أبي ظَبْيَة، عن عبد الله بن مسعود، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الوَاقِعَةِ كُلَّ لَيْلَةٍ لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَدًا**». فكان أبو ظبية لا يدعها.

وكذا رواه أبو يعلىٰ، عن إسحاق بن إبراهيم، عن محمد بن مُنِيبٍ، عن [السُّرِّي](٥) بن يحيىٰ، عن شجاع، عن أبي ظَبْيَةَ، عن ابن مسعود به. ثم رواه عن إسحاق بن أبي إسرائيل، عن محمد بن مُنِيبٍ العدني، عن السُّرِّي بن يحيىٰ، عن أبي ظبية، عن ابن مسعود؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الوَاقِعَةِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَدًا**». لم يذكر في سنده «شجاعًا». قال: وقد أمرت بناتي أن يقرأنها كل ليلةٍ.

وقد رواه ابن عساكر أيضًا من حديث حجاج بن نصير وعثمان بن اليمان، عن السري بن يحيىٰ، عن شجاع، عن أبي فاطمة قال: مرض عبد الله، فأتاه عثمان بن عفان يعوده، فذكر الحديث بطوله.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٣٢٩٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٥٥).

(٢) في (ز): (لسانك)، والمثبت من (ح). (٣) في (ز): (آمر)، والمثبت من (ح).

(٤) ضعيف: رواه ابن عبد البر في «التمهيد» (٥/ ٢٦٩)، وابن السني في «اليوم والليلة» (٦٧٤)، ونقل ابن الجوزي عن أحمد قال: هذا حديث منكر، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٢٨٩).

(٥) زيادة من (ح).

قال عثمان بن اليمان: كان أبو فاطمة هذا مولىٰ لعلي بن أبي طالب.

وقال أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا إسرائيل، ويحيىٰ بن آدم، حدثنا إسرائيل، عن سِمَاك بن حرب؛ أنه سمع جابر بن سَمُرَةَ يقول: كان رسول الله ﷺ يصلي الصلوات كنحو من صلاتكم التي تصلون اليوم، ولكنه كان يخفف. كانت صلاته أخف من صلاتكم، وكان يقرأ في الفجر «الواقعة» ونحوها من السور[(١)].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا (٦) وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢)﴾

﴿الْوَاقِعَةُ﴾: اسم من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها، كما قال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: ١٥].

وقوله: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ أي: [ليس][(٢)] لوقوعها إذا أراد الله كونها صارف يصرفها، ولا دافع يدفعها، كما قال: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [الشورىٰ:٤٧]، وقال: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ [المعارج:١، ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ الْحَقُّ ۚ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

ومعنىٰ ﴿كَاذِبَةٌ﴾ -كما قال محمد بن كعب-: لا بد أن تكون. وقال قتادة: ليس فيها [مثنوية[(٣)]][(٤)] ولا ارتداد ولا رجعة.

قال ابن جرير: والكاذبة: مصدر كالعاقبة والعافية.

وقوله: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أي: تخفض أقوامًا إلىٰ أسفل السافلين إلىٰ الجحيم، وإن كانوا في الدنيا أعزّاء. وترفع آخرين إلىٰ أعلىٰ علّيين، إلىٰ النعيم المقيم، وإن كانوا في الدنيا وضعاء. هكذا قال الحسن وقتادة، وغيرهما.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ١٠٤)، والحاكم (١/ ٢٤٠)، وصححه علىٰ شرط مسلم ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في «صفة صلاة النبي ﷺ» (٢/ ٤٣١).

(٢) زيادة من (ح).

(٣) أي: استثناء.

(٤) في (ز): (تنويه).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا يزيد بن عبد الرحمن بن مصعب المعنىٰ، حدثنا حميد ابن عبد الرحمن الرؤاسي، عن أبيه، عن سِمَاكٍ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابن عباس: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ تخفض أناسًا وترفع آخرين[١].

وقال عبيد الله العتكي، عن عثمان بن سراقة، ابن خالة عمر بن الخطاب: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾: الساعة خفضت أعداء الله إلىٰ النار، ورفعت أولياء الله إلىٰ الجنة.

وقال محمد بن كعب: تخفض رجالًا كانوا في الدنيا مرتفعين، وترفع رجالًا كانوا في الدنيا مخفوضين.

وقال السُّدِّي: خفضت المتكبرين، ورفعت المتواضعين.

وقال العَوْفِيّ، عن ابن عباس: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أسمعت القريب والبعيد. وقال عكرمة: خفضت فأسمعت الأدنىٰ، ورفعت فأسمعت الأقصىٰ. وكذا قال الضحاك، وقتادة.

وقوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ أي: حركت تحريكًا فاهتزت واضطربت بطولها وعرضها. ولهذا قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وغير واحدٍ في قوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ أي: زلزلت زلزالًا [شديدًا][٢].

وقال الربيع بن أنس: ترج بما فيها كرج الغربال بما فيه.

وهذه كقوله تعالىٰ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة:١]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج:١].

وقوله: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ أي: فُتِّتَتْ فَتًّا. قاله ابن عباس، ومجاهد، وعِكْرِمَة، وقتادة، وغيرهم. [وقال][٣] ابن زيد: صارت الجبال كما قال الله تعالىٰ: ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل:١٤].

وقوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾، قال أبو إسحاق، عن الحارث، عن علي رضي الله عنه: ﴿هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ كرهَج الغبار يسطع ثم يذهب، فلا يبقىٰ منه شيء.

وقال العَوْفِيّ عن ابن عباس في قوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾: الهباء الذي يطير من النار، إذا اضطرمت يطير منه الشرر، فإذا وقع لم يكن شيئًا.

وقال عكرمة: المنبث: الذي قد ذرته الريح وبثته. وقال قتادة: ﴿هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ كيبيس الشجر الذي تذروه الرياح.

وهذه الآية كأخواتها الدالة علىٰ زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة، وذهابها وتسييرها ونسفها

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١٢/ ٢٧١)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٣٦)، وفي إسناده سِمَاك بن حرب؛ روايته عن عكرمة مضطربة.
(٢) زيادة من (ح). (٣) في (ز): (وقاله).

وصيرورتها كالعهن المنفوش.

وقوله: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾ أي: ينقسم الناس يوم القيامة إلىٰ ثلاثة أصناف: قوم عن يمين العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن، ويؤتون كتبهم بأيمانهم، ويؤخذ بهم ذات اليمين. قال السُّدِّي: وهم جمهور أهل الجنة. وآخرون عن يسار العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر، ويؤتون كتبهم بشمائلهم، ويؤخذ بهم ذات الشمال، وهم عامة أهل النار -عياذًا بالله من صنيعهم- وطائفة سابقون بين يديه وهم أخص وأحظىٰ وأقرب من أصحاب اليمين [الذين][(١)] هم سادتهم، فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء، وهم أقل عددًا من أصحاب اليمين؛ ولهذا قال: ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ وهكذا قسمهم إلىٰ هذه الأنواع الثلاثة في آخر السورة وقت احتضارهم، وهكذا ذكرهم في قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ الآية [فاطر:٣٢]، وذلك علىٰ أحد القولين في الظالم لنفسه كما تقدم بيانه.

قال سفيان الثوري، عن جابر الجعفي، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾ قال: هي التي في سورة الملائكة: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾.

وقال ابن جُرَيْج عن ابن عباس: هذه الأزواج الثلاثة هم المذكورون في آخر السورة وفي سورة الملائكة. وقال يزيد الرقاشي: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾ قال: أصنافًا ثلاثةً. وقال مجاهد: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾ قال: يعني: فرقًا ثلاثةً. وقال ميمون بن مِهْران: أفواجًا ثلاثةً. وقال عُبَيد الله [العتكي][(٢)]، عن عثمان بن سراقة ابن خالة عمر بن الخطاب: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾ اثنان في الجنة، وواحد في النار.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا الوليد بن أبي ثور، عن سِمَاك، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧] قال: الضرباء، قال: كل رجل من كل قوم كانوا يعملون عمله، وذلك بأن الله يقول: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ قال: هم الضرباء[(٣)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبد الله المثنىٰ، حدثنا البراء [الغنوي][(٤)]، حدثنا الحسن،

---

(١) زيادة من (ح). (٢) في (ز): (بن المعلىٰ)، وهو خطأ.

(٣) ضعيف: فيه الوليد بن أبي ثور، قال الحافظ: ضعيف؛ والحديث رواه ابن أبي حاتم (١٨٧٧٤).

(٤) في (ز): (المغنوي)، والمثبت هو الصواب.

عن معاذ بن جبل؛ أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾، ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ فقبض بيده قبضتين فقال: «هَذِهِ لِلْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَهَذِهِ لِلنَّارِ وَلَا أُبَالِي»(١).

وقال أحمد أيضًا: حدثنا حسن، حدثنا ابن لَهِيعَة، حدثنا خالد بن أبي عمران، عن القاسم بن محمد، عن عائشة، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «أَتَدْرُونَ مَنِ السَّابِقُونَ إِلَىٰ ظِلِّ يَوْمِ القِيَامَةِ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «الَّذِينَ إِذَا أُعْطُوا الحَقَّ قَبِلُوهُ، وَإِذَا سُئِلُوهُ بَذَلُوهُ، وَحَكَمُوا لِلنَّاسِ كَحُكْمِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ»(٢).

وقال محمد بن كعب وأبو حَرْزَةَ يعقوب بن مجاهد: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾: هم الأنبياء، عليهم السلام. وقال السُّدِّي: هم [أهل](٣) عليين. وقال ابن أبي نَجِيحٍ، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾، قال: يوشع بن نون سبق إلىٰ موسىٰ، ومؤمن آل «يس» سبق إلىٰ عيسىٰ، وعلي بن أبي طالب سبق إلىٰ محمد رسول الله ﷺ. رواه ابن أبي حاتم، عن محمد بن هارون الفلاس، عن عبد الله بن إسماعيل المدائني [البزاز](٤)، عن شُعَيْبِ بن الضحاك المدائني، عن سفيان بن عُيَيْنَةَ، عن ابن أبي نَجِيحٍ به.

وقال ابن أبي حاتم: وذكر محمد بن أبي حماد، حدثنا مِهْرَانُ، عن خارجة، عن [قُرَّةَ](٥)، عن ابن سِيرين: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ الذين صلوا للقبلتين.

ورواه ابن جرير من حديث خارجة به.

وقال الحسن وقتادة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ أي: من كل أمةٍ.

وقال الأوزاعي، عن عثمان بن أبي سودة أنه قرأ هذه الآية: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ ثم قال: أولهم رواحًا إلىٰ المسجد، وأولهم خروجًا في سبيل الله.

وهذه الأقوال كلها صحيحةٌ، فإن المراد بالسابقين هم المبادرون إلىٰ فعل الخيرات كما أمروا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢٢]، فمن سابق إلىٰ هذه الدنيا وسبق إلىٰ الخير، كان في الآخرة من السابقين إلىٰ الكرامة، فإن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

---

(١) ضعيف: رواه أحمد (٥/ ٢٣٩)، وفيه البراء الغنوي: ضعيف، والإسناد منقطع بين الحسن ومعاذ.

(٢) ضعيف: رواه أحمد (٦/ ٦٧)، وفي إسناده ابن لهيعة: اختلط بعد احتراق كتبه.

(٣) زيادة من (ح).

(٤) في (ز)، و(ح): (البزار) وهو خطأ، والصحيح ما أثبتناه، انظر: «تاريخ بغداد» (١١/ ٦٢).

(٥) في (ز): (مرة)، وهو خطأ.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا يحيىٰ بن زكريا [القزاز][1] الرازي، حدثنا خارجة بن مُصعَبٍ، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عمرو قال: قالت الملائكة: يا رب، جعلت لبني آدم الدنيا فهم يأكلون ويشربون ويتزوجون، فاجعل لنا الآخرة. فقال: لا أفعل. فراجعوا ثلاثًا، فقال: لا أجعل من خلقت بيدي كمن قلت له: كن، فكان. ثم قرأ عبد الله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[2].

وقد روىٰ هذا الأثر الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه: «الرد علىٰ الجهمية»، ولفظه: فقال الله ﷻ: «لَنْ أَجْعَلَ صَالِحَ ذُرِّيَّةِ مَنْ خَلَقْتُ بِيَدِي، كَمَنْ قُلْتُ لَهُ: كُنْ فَكَانَ»[3].

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن هؤلاء السابقين المقربين أنهم ﴿ثُلَّةٌ﴾ أي: جماعة ﴿مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾. وقد اختلفوا في المراد بقوله: ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ و﴿ٱلْءَاخِرِينَ﴾. فقيل: المراد بالأولين: الأمم الماضية، وبالآخرين: هذه الأمة. هذا رواية عن مجاهد، والحسن البصري، رواها عنهما ابن أبي حاتم. وهو اختيار ابن جرير، واستأنس بقوله ﷺ: «نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[4]. ولم يحك غيره ولا عزاه إلىٰ أحد.

ومما يستأنس به لهذا القول، ما رواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد ابن عيسىٰ بن الطباع، حدثنا شريك، عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: لما نزلت: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ شق ذلك علىٰ أصحاب النبي ﷺ، فنزلت: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ فقال النبي ﷺ: «إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ، ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ، بَلْ أَنْتُمْ نِصْفُ أَهْلِ الجَنَّةِ -أَوْ: شَطْرُ أَهْلِ الجَنَّةِ- وَتُقَاسِمُونَهُمُ النِّصْفَ الثَّانِي»[5].

---

(١) في (ز): (الفزاري)، والمثبت هو الصواب، وانظر: «الجرح والتعديل» (٩/ ١٤٥).

(٢) موضوع: رواه الطبراني في «الأوسط» (٦/ ١٩٦) وفيه طلحة بن زيد: كذاب، وأما هذه الرواية فقد رواها ابن أبي حاتم، وفيها خارجة بن مصعب: متروك.

(٣) رواه الدارمي (صـ٣٤)، وصححه الذهبي في «الأربعين» (٧٣)، ورواه عبد الملك بن حبيب في «وصف الفردوس» (٤١).

(٤) رواه البخاري (٢٣٨، ٨٧٦، ٨٩٦) ومواضع أخرىٰ، ورواه مسلم (٨٥٥)، وأحمد (٢/ ٣٧٤).

(٥) إسناد هذا الحديث من رواية أبي هريرة فيها ضعف فشريك هو القاضي: سيئ الحفظ، ومدار الحديث عليه، رواه أحمد (٢/ ٣٩١)، وابن أبي حاتم (١٨٧٧٥)، ولكن ثبت نحوه صحيحًا. انظر: تفسير أول سورة الحج.

ورواه الإمام أحمد، عن أسود بن عامر، عن شريك، عن محمد بياع الملاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، فذكره [١].

وقد روي من حديث جابر نحو هذا، ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق هشام بن عمار: حدثنا عبد ربه بن صالح، عن عروة بن رويم، عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: لما نزلت: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾، ذكر فيها ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾، قال عمر: يا رسول الله، ثلة من الأولين وقليل منا؟ قال: فأمسك آخر السورة سنة، ثم نزل: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾، فقال رسول الله ﷺ: **«يا عُمَرُ، تَعَالَ فَاسْمَعْ مَا قَدْ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ أَلَا وَإِنَّ مِنْ آدَمَ إِلَيَّ ثُلَّةٌ، وَأُمَّتِي ثُلَّةٌ، وَلَنْ نَسْتَكْمِلَ ثُلَّتَنَا حَتَّىٰ نَسْتَعِينَ بِالسُّودَانِ مِنْ رُعَاةِ الإِبِلِ، مِمَّنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ»** [٢].

هكذا أورده في ترجمة «عروة بن رويم»، إسنادًا ومتنًا، ولكن في إسناده نظر. وقد وردت طرقٌ كثيرةٌ متعددةٌ بقوله ﷺ: **«إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ...»** الحديث بتمامه [٣]، وهو مفرد في «صفة الجنة» ولله الحمد والمنة. وهذا الذي اختاره ابن جرير هاهنا فيه نظر، بل هو قولٌ ضعيفٌ؛ لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن، فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها، اللهم إلا أن يقابل مجموع الأمم بهذه الأمة. والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم، والله أعلم.

فالقول الثاني في هذا المقام، هو الراجح، وهو أن يكون المراد بقوله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: من صدر هذه الأمة، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ أي: من هذه الأمة.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا عفان، حدثنا عبد الله بن بكر [المزني] [٤]، سمعت الحسن: أتىٰ علىٰ هذه الآية: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ فقال: أما السابقون، فقد مضوا، ولكن اللهم اجعلنا من أهل اليمين.

ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا أبو الوليد، حدثنا السُّرِّيّ بن يحيىٰ قال: قرأ الحسن: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ثلة ممن مضىٰ من هذه الأمة.

وحدثنا أبي، حدثنا عبد العزيز بن المغيرة المَنْقَري، حدثنا أبو هلال، عن محمد بن سيرين، أنه قال في

---

(١) انظر التعليق السابق.

(٢) **ضعيف**: رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢/ ١٩٦) برقم (٥٠٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٠/ ٢٢٩) برقم (٨١٠٣)، وفيه عروة بن رويم، وروايته عن جابر مرسلة، وفي الإسناد عبد ربه أورده ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

(٣) رواه البخاري (٣٣٤٨).

(٤) في (ز): (المزي)، والمثبت هو الصواب.

هذه الآية: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ قال: كانوا يقولون، أو يرجون، أن يكونوا كلهم من هذه الأمة. فهذا قول الحسن وابن سيرين أن الجميع من هذه الأمة. ولا شك أن أول كل أمة خير من آخرها، فيحتمل أن يعم الأمر جميع الأمم كل أمة بحسبها؛ ولهذا ثبت في الصحاح وغيرها، من غير وجه، أن رسول الله ﷺ قال: «خَيْرُ القُرُونِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»(١) الحديث بتمامه.

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا زياد أبو عمر، عن الحسن، عن عمار بن ياسر، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ المَطَرِ، لا يُدْرَىٰ أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ»(٢)، فهذا الحديث -[بعد](٣) الحكم بصحة إسناده- محمول على أن الدين كما هو محتاج إلىٰ أول الأمة في إبلاغه إلىٰ من بعدهم، كذلك هو محتاج إلىٰ القائمين به في أواخرها، وتثبيت الناس علىٰ السنة وروايتها وإظهارها، والفضل [للمتقدم](٤). وكذلك الزرع الذي يحتاج إلىٰ المطر الأول وإلىٰ المطر الثاني، ولكن العمدة الكبرىٰ علىٰ الأول، واحتياج الزرع إليه آكد، فإنه لولاه ما نبت في الأرض، [ولا تعلق](٥) أساسه فيها؛ ولهذا قال ﷺ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ، إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ». وفي لفظ: «حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»(٦). والغرض أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم، والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلىٰ منزلةً؛ لشرف دينها وعظم نبيها. ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ أنه أخبر أن في هذه الأمة سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب. وفي لفظ: «مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا». وفي آخر: «مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَبْعُونَ أَلْفًا»(٧).

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا هاشم بن مرثد الطبراني، حدثنا محمد -هو ابن إسماعيل بن عياش- حدثني أبي، حدثني ضَمْضَم -يعني ابن زُرْعَة- عن شريح -هو ابن عبيد- عن أبي مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُبْعَثَنَّ مِنْكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ مِثْلَ اللَّيْلِ الأَسْوَدِ زُمْرَةٌ جَمِيعُهَا يُحِيطُونَ الأَرْضَ، تَقُولُ المَلَائِكَةُ: لِمَ جَاءَ مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ أَكْثَرُ مِمَّا جَاءَ مَعَ

---

(١) رواه البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١/ ٣١٩)، وفيه الحسن البصري: يرسل ويدلس. لكن للحديث شواهد عن أنس وعلي وابن عمر وابن عمرو. انظر: «الصحيحة» للألباني (٢٢٨٦)، و«صحيح الجامع» (٣٢٠).

(٣) في (ز): (يبعد).

(٤) في (ز): (متقدم).

(٥) زيادة من (ح).

(٦) رواه البخاري (٣٦٤٠)، ومسلم (١٩٢١) من حديث المغيرة بن شعبة.
ورواه مسلم (١٥٦)، وأحمد (٣/ ٢٨٤) من حديث جابر.
ورواه مسلم (٢٨٨٩)، وابن ماجة (٢٣٥٢) من حديث ثوبان.
ورواه البخاري (٧٤٦٠) من حديث معاذ.

(٧) يشير إلىٰ بعض الأحاديث التي مر تخريجها انظر: تفسير (آل عمران الآية ١١).

الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»[(١)].

وحسن أن يذكر هاهنا الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في «دلائل النبوة» حيث قال: أخبرنا أبو نصر بن قتادة، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، حدثنا جعفر بن محمد بن المستفاض الفريابي، حدثني أبو وهب الوليد بن عبد الملك بن عبد الله بن مُسَرِّح الحرَّاني، حدثنا سليمان بن عطاء القرشي الحراني، عن [مسلمة][(٢)] بن عبد الله الجهني، عن عمه أبي مَشْجَعة بن رِبْعِي، عن ابن زَمْلٍ الجهني ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلىٰ الصبح قال، وهو ثانٍ رجله: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ تَوَّابًا» سبعين مرة، ثم يقول: «سَبْعِينَ بِسَبْعِمِائَةٍ، لا خَيْرَ لِمَنْ كَانَتْ ذُنُوبُهُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِمِائَةٍ». ثم يقول ذلك مرتين، ثم يستقبل الناس بوجهه، وكان يعجبه الرؤيا، ثم يقول: «هَلْ رَأَىٰ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا؟» قال ابن زمل: فقلت: أنا يا رسول الله. فقال: «خَيْرٌ تَلْقَاهُ، وَشَرٌّ تَوَقَّاهُ، وَخَيْرٌ لَنَا، وَشَرٌّ عَلَىٰ أَعْدَائِنَا، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ. اقْصُصْ رُؤْيَاكَ». فقلت: رأيت جميع الناس علىٰ طريق رحب سهل لاحب[(٣)]، والناس علىٰ الجادة منطلقين، فبينما هم كذلك، إذ أشفىٰ[(٤)] ذلك الطريق علىٰ مرج لم تر عيني مثله، يرف رفيفًا يقطر ماؤه، فيه من أنواع الكلإ قال: فكأني[(٥)] بالرعلة[(٦)] الأولىٰ حين أشفوا علىٰ المرج كبّروا، ثم أكبوا[(٧)] رواحلهم في الطريق، فلم يظلموه[(٨)] يمينًا ولا شمالًا. قال: فكأني أنظر إليهم منطلقين. ثم جاءت الرعلة الثانية وهم أكثر منهم أضعافًا، فلما أشفوا علىٰ المرج كبّروا، ثم أكبوا رواحلهم في الطريق، فمنهم [المرتع[(٩)]][(١٠)]، ومنهم الآخذ الضغث[(١١)]. ومضوا علىٰ ذلك. قال: ثم قدم عظم الناس[(١٢)]، فلما أشفوا علىٰ المرج كبروا وقالوا: هذا خير المنزل. كأني أنظر إليهم يميلون يمينًا وشمالًا فلما رأيت ذلك، لزمت الطريق حتىٰ آتي أقصىٰ المرج، فإذا أنا بك يا رسول الله علىٰ منبر فيه سبع درجاتٍ وأنت في أعلاها درجة، وإذا عن يمينك رجل آدم شثل[(١٣)] أقنىٰ، إذا هو تكلم يسمو فيفرع[(١٤)] الرجال طولًا وإذا عن

---

(١) ضعيف: رواه الطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٩٧/ ٣٤٥٥)، وفي «مسند الشاميين» (٣٣)، ورواية شريح عن أبي مالك مرسلة، وفيه محمد بن إسماعيل روايته ضعيفة عن غير الشاميين، وشيخ الطبراني: ضعيف.

(٢) في (ز): (مسلم).

(٣) أي: واسع لا ينقطع، والجادة: وسط الطريق.

(٤) أي: أشرف.

(٥) في (ز)، و(ح): (كانوا)، والمثبت موافق لما في «دلائل النبوة» للبيهقي.

(٦) الرَّعْلة: القطعة من الفرسان.

(٧) أي: ألزموها الطريق.

(٨) أي: فلم يعدلوا عنه.

(٩) أي: الذي يخلي ركابه ترتع.

(١٠) في (ز): (المريع)، والمثبت كما في «الدلائل».

(١١) الضِّغْث: ملء اليد من الحشيش المختلط، وقيل: الحزمة منه ومما أشبهه من البقول، أراد: ومنهم من نال من الدنيا شيئًا.

(١٢) أي: معظمهم.

(١٣) أي: غليظ الأصابع خشنها، والقنا: ارتفاع في أعلىٰ الأنف واحدداب في وسطه.

(١٤) أي: يعلوهم.

يسارك رجل ربعة باذ[١] كثير خيلان الوجه، كأنما حمم شعره[٢] بالماء، إذا هو تكلم أصغيتم إكرامًا له. وإذا أمام ذلك رجل شيخ أشبه الناس بك خلقًا ووجهًا، كلكم تؤمونه تريدونه، وإذا أمام ذلك ناقة عجفاء شارف[٣]، وإذا أنت يا رسول الله كأنك تبعثها. قال: فامتقع لون رسول الله ﷺ ساعةً ثم سُرِّيَ عنه، وقال رسول الله ﷺ: «أَمَّا مَا رَأَيْتَ مِنَ الطَّرِيقِ السَّهْلِ الرَّحْبِ اللَّاحِبِ، فَذَاكَ مَا حُمِلْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الهُدَىٰ وَأَنْتُمْ عَلَيْهِ. وَأَمَّا المَرْجُ الَّذِي رَأَيْتَ فَالدُّنْيَا، مَضَيْتُ أَنَا وَأَصْحَابِي لَمْ نَتَعَلَّقْ مِنْهَا بِشَيْءٍ، وَلَمْ تَتَعَلَّقْ مِنَّا، وَلَمْ نُرِدْهَا وَلَمْ تُرِدْنَا. ثُمَّ جَاءَتِ الرَّعْلَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ بَعْدِنَا وَهُمْ أَكْثَرُ مِنَّا أَضْعَافًا، فَمِنْهُمُ المُرْتِعُ، وَمِنْهُمُ الآخِذُ الضِّغْثَ، وَنَجَوْا عَلَىٰ ذَلِكَ. ثُمَّ جَاءَ عِظَمُ النَّاسِ، فَمَالُوا فِي المَرْجِ يَمِينًا وَشِمَالًا فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. وَأَمَّا أَنْتَ، فَمَضَيْتَ عَلَىٰ طَرِيقَةٍ صَالِحَةٍ، فَلَنْ تَزَالَ عَلَيْهَا حَتَّىٰ تَلْقَانِي. وَأَمَّا المِنْبَرُ الَّذِي رَأَيْتَ فِيهِ سَبْعَ دَرَجَاتٍ وَأَنَا فِي أَعْلَاهَا دَرَجَةً، فَالدُّنْيَا سَبْعَةُ آلَافِ سَنَةٍ، أَنَا فِي آخِرِهَا أَلْفًا. وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي رَأَيْتَ عَلَىٰ يَمِينِي الآدَمُ الشَّثْلُ، فَذَلِكَ مُوسَىٰ ﷺ، إِذَا تَكَلَّمَ يَعْلُو الرِّجَالَ بِفَضْلِ كَلَامِ اللهِ إِيَّاهُ. وَالَّذِي رَأَيْتَ عَنْ يَسَارِي البَاذُّ الرَّبْعَةُ الكَثِيرُ خَيَلَانِ الوَجْهِ، كَأَنَّمَا حُمِّمَ شَعْرُهُ بِالمَاءِ، فَذَلِكَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ، نُكْرِمُهُ لِإِكْرَامِ اللهِ إِيَّاهُ. وَأَمَّا الشَّيْخُ الَّذِي رَأَيْتَ أَشْبَهَ النَّاسِ بِي خَلْقًا وَوَجْهًا فَذَاكَ أَبُونَا إِبْرَاهِيمُ، كُلُّنَا نَؤُمُّهُ وَنَقْتَدِي بِهِ. وَأَمَّا النَّاقَةُ الَّتِي رَأَيْتَ وَرَأَيْتَنِي أَبْعَثُهَا، فَهِيَ السَّاعَةُ، عَلَيْنَا تَقُومُ، لا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلا أُمَّةَ بَعْدَ أُمَّتِي». قال: فما سأل رسول الله ﷺ عن رؤيا بعد هذا إلا أن يجيء الرجل، فيحدثه بها متبرعًا[٤].

وقوله: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ قال ابن عباس: أي مرمولة بالذهب؛ يعني: منسوجة به. وكذا قال مجاهد، وعِكْرِمَة، وسعيد بن جُبَيْر، وزيد بن أسلم، وقتادة، والضحاك، وغيره.

وقال السُّدِّي: مرمولة بالذهب واللؤلؤ. وقال عكرمة: مشبكة بالدر والياقوت. قال ابن جرير: ومنه سمي وضين الناقة الذي تحت بطنها، وهو فعيل بمعنىٰ مفعول؛ لأنه [مضفور][٥]، وكذلك السرر في الجنة مضفورة بالذهب واللآلئ.

وقال: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ﴾ أي: وجوه بعضهم إلىٰ بعض، ليس أحدٌ وراء أحدٍ.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أي: مخلدون علىٰ صفةٍ واحدةٍ، لا يكبرون عنها ولا يشيبون ولا يتغيرون.

---

(١) أي: رث الهيئة متواضع، والخيلان: جمع خال، وهو الشامة في الوجه.

(٢) أي: سوده إذا غسله ونظفه بالماء. (٣) الشارف: الناقة المسنة.

(٤) موضوع: رواه البيهقي في «الدلائل» (٧/ ٣٦)، وفيه سليمان بن عطاء، قال ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٢٥): يروي عن مسلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي مشجعة عن ربعي بأشياء موضوعة.

(٥) في (ز): (نطفور).

﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾، أما الأكواب فهي: الكيزان التي لا خراطيم لها ولا آذان. والأباريق: التي جمعت الوصفين. والكئوس: الهنابات، والجميع من خمر من عين جارية [مَعِين](١)، ليس من أوعية تنقطع وتفرغ، بل من عيونٍ سارحةٍ.

وقوله: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أي: لا تصدع رءوسهم ولا تنزف عقولهم، بل هي ثابتةٌ مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة.

وروى الضحاك، عن ابن عباس، أنه قال: في الخمر أربع خصال: السكر، والصداع، والقيء، والبول. فذكر الله خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال(٢).

وقال مجاهد، وعِكْرِمَةُ، وسعيد بن جُبَيْرٍ، وعطية، وقتادة، والسُّدِّي: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ يقول: ليس لهم فيها صداع رأس.

وقالوا في قوله: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أي: لا تذهب بعقولهم.

وقوله: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي: ويطوفون عليهم بما يتخيرون من الثمار.

وهذه الآية دليلٌ علىٰ جواز أكل الفاكهة علىٰ صفة التخير لها، ويدل علىٰ ذلك حديث [«عِكْراش بن ذؤيب»](٣) الذي رواه الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي في «مسنده»: حدثنا العباس بن الوليد [النَّرْسِي](٤)، حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي سوية، حدثنا عبيد الله بن عِكْراش، [عن أبيه عِكْراش](٥) بن ذؤيب، قال: بعثني بنو مرة في صدقات أموالهم إلىٰ رسول الله ﷺ، فقدمت المدينة فإذا هو جالسٌ بين المهاجرين والأنصار، وقدمت عليه بإبل كأنها عروق الأرطىٰ(٦)، قال: «مَنِ الرَّجُلُ؟» قلت: عِكْراش بن ذؤيب. قال: «ارْفَعْ فِي النَّسَبِ»، فانتسبت له إلىٰ «مُرَّةَ بْنِ عُبَيْدٍ»، وهذه صدقة «مُرَّةَ بْنِ عُبَيْدٍ». فتبسم رسول الله ﷺ. قال: هذه إبل قومي، هذه صدقات قومي. ثم أمر بها أن توسم بميسم إبل الصدقة وتضم إليها. ثم أخذ بيدي فانطلقنا إلىٰ منزل أم سلمة، فقال: «هَلْ مِنْ طَعَامٍ؟» فأتينا بجفنة كثيرة الثريد والوذر(٧)، فجعل يأكل منها، فأقبلت أخبط بيدي في جوانبها، فقبض رسول الله ﷺ بيده اليسرىٰ علىٰ يدي اليمنىٰ، فقال: «يَا

---

(١) في (ز): (يعني).
(٢) ابن أبي حاتم (١٢/ ٨٩).
(٣) في (ز): (علي بن أنس بن ذويبة)، والمثبت هو الصواب.
(٤) في (ز): (المرسي).
(٥) سقط من (ز).
(٦) الأرطىٰ: شجر عروقه حمر طوال ذاهبة في ثرىٰ الرمال الممطورة في الشتاء، تراها -إذا أثيرت- حمرًا مكتنزةً ترف يقطر منها الماء، شبه بها الإبل في اكتنازها وحمرة ألوانها.
(٧) الوَذْر: قطع من اللحم لا عظم فيها، واحدتها وذرة.

عِكْرَاشُ، كُلْ مِنْ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، فَإِنَّهُ طَعَامٌ وَاحِدٌ». ثم أتينا بطبق فيه تمر، أو رطب -شك عبيد الله رطبًا كان أو [تمرًا][(١)]- فجعلت آكل من بين يدي، وجالت يد رسول الله ﷺ في الطبق، وقال: «يَا عِكْرَاشُ، كُلْ مِنْ حَيْثُ شِئْتَ فَإِنَّهُ غَيْرُ لَوْنٍ وَاحِدٍ». ثم أتينا بماء، فغسل رسول الله ﷺ يده ومسح بِبَلَلِ كفيه وجهه وذراعيه ورأسه ثلاثًا، ثم قال: «يَا عِكْرَاشُ، هَذَا الوُضُوءُ مِمَّا غَيَّرَتِ النَّارُ»[(٢)].

وهكذا رواه الترمذي مطولًا وابن ماجة جميعًا، عن محمد بن بشار، عن أبي الهزيل العلاء بن الفضل به. وقال الترمذي: غريبٌ لا نعرفه إلا من حديثه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا بهز بن أسد وعفان -وقال الحافظ أبو يعلىٰ: حدثنا شيبان -قالوا: حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا ثابت، قال: قال أنس: كان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا، فربما رأىٰ الرجل الرؤيا فسأل عنه إذا لم يكن يعرفه، فإذا أثني عليه معروف، كان أعجب لرؤياه إليه. فأتته امرأة فقالت: يا رسول الله، رأيت كأني أتيت فأخرجت من المدينة، فأدخلت الجنة فسمعت وَجبَة[(٣)] انتحبت لها الجنة، فنظرت فإذا فلان ابن فلان، وفلان ابن فلان، فسَمَّتْ اثني عشر رجلًا كان النبي ﷺ قد بعث سريةً قبل ذلك، فجيء بهم عليهم ثياب طلس[(٤)] تشخب أوداجهم، فقيل: اذهبوا بهم إلىٰ نهر البيدخ -أو: البيذخ-قال: فغمسوا فيه، فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر، فأتوا بصحفةٍ من ذهبٍ فيها بُسر، فأكلوا من بُسره ما شاءوا، فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا، وأكلت معهم. فجاء البشير من تلك السرية، فقال: [كان من أمرنا][(٥)] كذا وكذا، وأصيب فلان وفلان. حتىٰ عد اثني عشر رجلًا فدعا رسول الله ﷺ المرأة فقال: «قُصِّي رُؤْيَاكِ» فقصتها، وجعلت تقول: فجيء بفلان وفلان كما قال[(٦)].

هذا لفظ أبي يعلىٰ، قال الحافظ الضياء: وهذا علىٰ شرط مسلم.

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا معاذ بن المثنىٰ، حدثنا علي بن المديني، حدثنا ريحان ابن سعيد، عن عباد بن منصور، عن أيوب، عن أبي قِلابة، عن أبي أسماء، [عن][(٧)] ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا نَزَعَ ثَمَرَةً فِي الجَنَّةِ، عَادَتْ مَكَانَهَا أُخْرَىٰ»[(٨)].

وقوله: ﴿وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾، قال الإمام أحمد: حدثنا سيار بن حاتم، حدثنا جعفر بن

---

(١) في (ز): (هذا).

(٢) ضعيف: رواه الترمذي (١٨٤٩)، وابن ماجة (٣٢٧٤)، وفي إسناده عبيد الله بن عكراش، قال الحافظ: قال البخاري: لا يثبت حديثه، والعلاء بن الفضل: ضعيف.

(٣) الوجبة: السقطة.

(٤) طُلْس: مغبرة، وتشخب: تسيل.

(٥) في (ز): (ما كان من رؤيا).

(٦) صحيح: رواه أحمد (٣/ ١٣٥)، وأبو يعلىٰ (٣٢٨٩).

(٧) في (ز): (هو)، والمثبت هو الصواب.

(٨) ضعيف: رواه الطبراني (٢/ ٢٠٢/ ١٤٤٩)، وفيه عباد بن منصور: مدلس وقد عنعن.

سليمان [الضبعي][١]، حدثنا ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ طَيْرَ الجَنَّةِ كَأَمْثَالِ البُخْتِ**[٢]، **يَرْعَىٰ فِي شَجَرِ الجَنَّةِ**». فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن هذه لطيرٌ ناعمةٌ فقال: «**أَكَلَتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا** -قالها ثلاثا- **وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَأْكُلُ مِنْهَا**». تفرد به أحمد من هذا الوجه[٣].

ورویٰ الحافظ أبو عبد الله المقدسي في كتابه «صفة الجنة» من حديث إسماعيل بن علي الخُطَبِيّ، عن أحمد بن علي الخُيُوطي، عن عبد الجبار بن عاصم، عن عبد الله بن زياد، عن زُرْعَةَ، عن نافع، عن ابن عمر، قال: ذكرت عند النبي ﷺ طوبىٰ، فقال رسول الله ﷺ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، هَلْ بَلَغَكَ مَا طُوبَىٰ؟**» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**طُوبَىٰ شَجْرَةٌ فِي الجَنَّةِ، مَا يَعْلَمُ طُولَهَا إِلَّا اللهُ، يَسِيرُ الرَّاكِبُ تَحْتَ غُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا، وَرَقُهَا الحُلَلُ، يَقَعُ عَلَيْهَا الطَّيْرُ كَأَمْثَالِ البُخْتِ**». فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن هناك لطيرًا ناعمًا؟ قال: «**أَنْعَمُ مِنْهُ مَنْ يَأْكُلُهُ، وَأَنْتَ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ**»[٤].

وقال قتادة في قوله: ﴿وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾: ذكر لنا أن أبا بكر قال: يا رسول الله، إني أرىٰ طيرها ناعمةٌ كما أهلها ناعمون. قال: «**مَنْ يَأْكُلُهَا -وَاللهِ يَا أَبَا بَكْرٍ- أَنْعَمُ مِنْهَا، وَإِنَّهَا لَأَمْثَالُ البُخْتِ، وَإِنِّي لَأَحْتَسِبُ عَلَىٰ اللهِ أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا يَا أَبَا بَكْرٍ**».

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني مجاهد بن موسىٰ، حدثنا مَعْنُ بن عيسىٰ، حدثني ابن أخي ابن شهاب، عن أبيه، عن أنس بن مالك؛ أن رسول الله ﷺ سئل عن الكوثر فقال: «**نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ رَبِّي** ﷻ **فِي الجَنَّةِ، أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ العَسَلِ، فِيهِ طُيُورٌ أَعْنَاقُهَا يَعْنِي كَأَعْنَاقِ الجُزُرِ**[٥]». فقال عمر: إنها لناعمةٌ. قال رسول الله ﷺ: «**آكِلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا**»[٦].

وكذا رواه الترمذي عن عبد بن حميد، عن القَعْنَبِي، عن محمد بن عبد الله بن مسلم بن شهاب، عن أبيه، عن أنس، وقال: حسن.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطَّنَافِسي، حدثنا أبو معاوية، عن عبيد الله بن الوليد [الوَصَّافي][٧]، عن عطية العَوْفِيّ، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَطَيْرًا فِيهِ سَبْعُونَ أَلْفَ رِيشَةٍ، فَيَقَعُ عَلَىٰ صَحْفَةِ الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَنْتَفِضُ، فَيَخْرُجُ مِنْ كُلِّ**

---

(١) في (ز): (الطبيعي)، وهو خطأ.
(٢) **البخت**: نوع من الإبل.
(٣) حسن: رواه أحمد (٣/ ٢٢١)، ويشهد له الروايات الأخرىٰ.
(٤) فيه عبد الله بن زياد: ضعيف، ولكن يشهد له الحديث السابق.
(٥) **الجُزُر**: جمع جزور، وهو البعير.
(٦) حسن صحيح: رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٧٨)، والترمذي (٢٥٤٥)، وإسناده حسن وله شواهد فالحديث صحيح. وانظر: تفسير سورة الكوثر.
(٧) في (ز): (الرصافي)، والمثبت هو الصواب.

رِيشَةٍ -يعني: لونًا- أَبْيَضَ مِنَ اللَّبَنِ، وَأَلْيَنَ مِنَ الزُّبْدِ، وَأَعْذَبَ مِنَ الشَّهْدِ، لَيْسَ مِنْهَا لَوْنٌ يُشْبِهُ صَاحِبَهُ ثُمَّ يَطِيرُ»(١). هذا حديثٌ غريبٌ جدًّا، [والوَصَّافي](٢) وشيخه ضعيفان.

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن صالح -كاتب الليث- حدثني الليث، حدثنا خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن أبي حازم، عن عطاء، عن كعب، قال: إن طائر الجنة كأمثال البخت، يأكل مما خلق من ثمرات الجنة، ويشرب من أنهار الجنة، فيصطففن له، فإذا اشتهىٰ منها شيئًا أتاه حتىٰ يقع بين يديه، فيأكل من خارجه وداخله ثم يطير لم ينقص منه شيءٌ. صحيح إلىٰ كعب(٣).

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إِنَّكَ لَتَنْظُرُ إِلَىٰ الطَّيْرِ فِي الجَنَّةِ فَتَشْتَهِيهِ فَيَخِرُّ بَيْنَ يَدَيْكَ مَشْوِيًّا»(٤).

وقوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِٕ ٱلْمَكْنُونِ﴾ قرأ بعضهم بالرفع، وتقديره: ولهم فيها حور عين. وقراءة الجر(٥) تحتمل معنيين، أحدهما: أن يكون الإعراب علىٰ الإتباع بما قبله؛ لقوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٍ عِينٍ﴾، كما قال: ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وكما قال: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١]. والاحتمال الثاني: أن يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحور العين، ولكن يكون ذلك في القصور، لا بين بعضهم بعضًا، بل في الخيام يطوف عليهم الخدام بالحور العين، والله أعلم.

وقوله: ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِٕ ٱلْمَكْنُونِ﴾ أي: كأنهن اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه، كما تقدم في «سورة الصافات» ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩] وقد تقدم في سورة «الرحمن» وصفهن أيضًا؛ ولهذا قال: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: هذا الذي [أتحفناهم](٦) به مجازاة لهم علىٰ ما أحسنوا من العمل.

ثم قال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ أي: لا يسمعون في الجنة كلامًا لاغيًا، أي: غثًّا خاليًا عن المعنىٰ، أو مشتملًا علىٰ معنًىٰ حقيرٍ أو ضعيفٍ، كما قال: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ [الغاشية: ١١].

---

(١) ضعيف: رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (١٠٦). عبيد الله الوصافي: ضعيف، وشيخه العوفي: شيعي مدلس.

(٢) في (ز): (الرصافي)، والمثبت هو الصواب.

(٣) ضعيف: في إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث: وهو صدوق كثير الخطإ، ويكفي في صحة هذا ما تقدم في الحديث المرفوع.

(٤) ضعيف: رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٤١)، وفي «زوائد الزهد» (١٤٥٢)، وفيه حميد الأعرج: ضعيف. انظر ترجمته في «ميزان الاعتدال» (١/ ٢٣٥٣).

(٥) متواترة: قَرَأَ (وَحُورٍ عِينٍ) حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَأَبُو جَعْفَرٍ وَوَافَقَهُمُ الْحَسَنُ وَالْأَعْمَشُ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (وَحُورٌ عِينٌ).

(٦) في (ز): (ألحقناهم).

أي: كلمة لاغية ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ أي: ولا كلامًا فيه قبحٌ، ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ أي: إلا التسليم منهم بعضهم على بعض، كما قال: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣] وكلامهم أيضًا سالمٌ من اللغو والإثم.

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾

لما ذكر تعالىٰ مآل السابقين -وهم المقربون- عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين -وهم الأبرار- كما قال ميمون بن مِهْرَان: أصحاب اليمين منزلة دون المقربين، فقال: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ أي: أي شيء أصحاب اليمين؟ وما حالهم؟ وكيف مآلهم؟ ثم فسر ذلك فقال: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ . قال ابن عباس، وعِكْرِمَة، ومجاهد، وأبو الأحوص، وقَسَامة بن زُهَير، والسَّفر بن نُسَير[(١)] ، والحسن، وقتادة، وعبد الله بن كثير، والسُّدِّي، وأبو حَرْزَة، وغيرهم: هو الذي لا شوك فيه[(٢)] . وعن ابن عباس: هو المُوقَر بالثمر. وهو رواية عن عِكْرِمَة، ومجاهد، وكذا قال قتادة أيضًا: كنا نُحَدَّث أنه المُوقَر الذي لا شوك فيه.

والظاهر أن المراد هذا وهذا، فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر، وفي الآخرة علىٰ العكس من هذا لا شوك فيه، وفيه الثمر الكثير الذي قد أثقل أصله، كما قال الحافظ أبو بكر أحمد بن سلمان النجّاد.

حدثنا عبد الله بن محمد هو البغوي، حدثني حمزة بن العباس، حدثنا عبد الله بن عثمان، حدثنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر، قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم؛ قال: أقبل أعرابيٌّ يومًا فقال: يا رسول الله، ذكر الله في الجنة شجرةً تؤذي صاحبها؟ فقال رسول الله ﷺ: «وَمَا هِيَ؟». قال: السِّدر، فإن له شوكًا موذيًا، فقال رسول الله ﷺ: «**أَلَيْسَ اللهُ يَقُولُ: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾، خَضَدَ اللهُ شَوْكَهُ، فَجَعَلَ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ ثَمَرَةً، فَإِنَّهَا لَتُنْبِتُ ثَمَرًا تَفَتَّقُ الثَّمَرَةُ مِنْهَا عَنِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ لَوْنًا مِنْ طَعَامٍ، مَا فِيهَا لَوْنٌ يُشْبِهُ الآخَرَ**»[(٣)] .

طريق أخرىٰ: قال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا محمد بن المصفىٰ، حدثنا محمد بن المبارك، حدثنا يحيىٰ بن حمزة، حدثني ثور بن يزيد، حدثني حبيب بن عبيد، عن عُتْبَةَ بن عبدٍ السلمي قال:

---

(١) في (ز): (بشر)، والمثبت هو الصواب من ترجمته. (٢) السدر: شجر النبق.

(٣) صحيح: رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (١٠٨)، وابن المبارك في «الزهد» (٢٦٣)، والحاكم (٢/ ٤٧٦) وصححه ووافقه الذهبي، ورجاله ثقات ولكنه مرسل، ووصله الحاكم (٢/ ٤٧٦) عن أبي أمامة بإسناد صحيح: وانظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧٤٢) ويشهد له الرواية التي بعده أيضًا، رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٠٣).

كنت جالسًا مع رسول الله ﷺ، فجاء أعرابيٌّ فقال: يا رسول الله، أسمعك تذكر في الجنة شجرةً لا أعلم شجرةً أكثر شوكًا منها؟ يعني: الطلح، فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَجْعَلُ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ مِنْهَا ثَمَرَةً مِثْلَ [خُصْوَةِ]**[(١)] **التَّيْسِ المَلْبُودِ**[(٢)]، **فِيهَا سَبْعُونَ لَوْنًا مِنَ الطَّعَامِ، لا يُشْبِهُ لَوْنٌ آخَرَ**»[(٣)].

وقوله: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾: الطلح: شجر عظام يكون بأرض الحجاز، من شجر العضَاه، واحدته طلحة، وهو شجرٌ كثير الشوك، وأنشد ابن جرير لبعض الحداة:

بَشَّرَهَا دَليلهــا وقــالا غــدًا تَـرينَ الطَّلْحَ والجبَالا

وقال مجاهد: ﴿مَّنضُودٍ﴾ أي: متراكم الثمر، يذكر بذلك قريشًا؛ لأنهم كانوا يعجبون من وَجٍّ[(٤)]، وظلاله من طلح وسدر.

وقال السُّدِّي: ﴿مَّنضُودٍ﴾: مصفوف. قال ابن عباس: يشبه طلح الدنيا، ولكن له ثمرٌ أحلىٰ من العسل.

قال الجوهري: والطلح لغة في الطلع.

قلت: وقد روىٰ ابن أبي حاتم من حديث الحسن بن سعد، عن شيخ من همدان قال: سمعت عليًّا يقول: هذا الحرف في ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ قال: طلعٍ منضودٍ، فعلىٰ هذا يكون هذا من صفة السدر، فكأنه وصفه بأنه مخضود وهو الذي لا شوك له، وأنَّ طلعه منضود، وهو كثرة ثمره، والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو معاوية، عن إدريس، عن جعفر بن إياس، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ قال: الموز. قال: وروي عن ابن عباس، وأبي هريرة، والحسن، وعِكْرِمَة، وقسامة بن زهير، وقتادة، وأبي حَزْرَة، مثل ذلك، وبه قال مجاهد وابن زيد -وزاد فقال: أهل اليمن يسمون الموز الطلح. ولم يحك ابن جرير غير هذا القول.

وقوله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾: قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة -يبلُغُ به النبي ﷺ- قال: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لا يَقْطَعُهَا، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾**»[(٥)].

ورواه مسلم من حديث الأعرج به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا سُرَيجٌ، حدثنا فُلَيحٌ، عن هلال بن علي، عن عبد الرحمن بن أبي عَمْرَةَ، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ**

---

(١) في (ز): (حضرة).

(٢) خُصوة التَّيْس المَلْبُود؛ أي: المكْتَنِز اللَّحْم الذي لزِم بَعْضُه بَعْضًا فتَلبَّد. «النهاية».

(٣) رواه أبو نعيم (٦/ ١٠٣) من طريق يحيىٰ بن حمزة به، وعزاه الهيثمي إلىٰ الطبراني (١٠/ ٤١٧) وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٤) وج: موضع بناحية الطائف.

(٥) رواه البخاري (٤٨٨١)، ومسلم (٢٨٢٦).

سَنَةٍ، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾»(١).

وكذا رواه البخاري، عن محمد بن [سِنَان](٢)، عن فُلَيح به، وكذا رواه عبد الرزاق، عن مَعْمَرٍ، عن هَمَّام، عن أبي هريرة. وكذا رواه حماد بن سلمة، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة، والليث بن سعد، عن سعيد المَقْبُرِيّ، عن أبيه، عن أبي هريرة، وعوف، عن ابن سيرين، عن أبي هُرَيرةَ به(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا: حدثنا شعبة، سمعت أبا الضحاك، يحدث عن أبي هُرَيرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا سَبْعِينَ، أَوْ مِائَةَ سَنَةٍ، هِيَ شَجَرَةُ الخُلْدِ**»(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا يزيد بن هارون، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن رسول الله قال: «**فِي الجَنَّةِ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا، وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾**» إسناده جيد، ولم يخرِّجوه(٥).

وهكذا رواه ابن جرير، عن أبي كُرَيْبٍ، عن عبدة وعبد الرحيم، عن محمد بن [عمرو به](٦). وقد رواه الترمذي، من حديث عبد الرحيم بن سليمان به(٧).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مِهْرَان، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن زياد -مولىٰ بني مخزوم- عن أبي هريرة قال: إن في الجنة لشجرةً يسير الراكب في ظلها مائة سنة، اقرءوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾. فبلغ ذلك كعبًا فقال: صدق، والذي أنزل التوراة علىٰ موسىٰ والفرقان علىٰ محمد، لو أن رجلًا ركب حِقَّةً أو جَذَعةً، ثم دار حول تلك الشجرة ما بلغها حتىٰ يسقط هَرَمًا، إن الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه، وإن أفنانها لمن وراء [سور](٨) الجنة، وما في الجنة نهرٌ إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة(٩).

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٤٨٢).

(٢) في (ز): (شيبان)، والمثبت هو الصواب.

(٣) رواه البخاري (٣٢٥٢)، والرواية الثانية رواها عبد الرزاق (٢٠٨٧٧)، والثالثة عند أحمد (٢/ ٤٦٩)، والرابعة عند مسلم (٢٨٢٦).

(٤) **صحيح من غير هذا الطريق دون قوله**: (وهي شجرة الخلد): رواه أحمد (٢/ ٤٥٤)، وهو ضعيف بهذا الإسناد، وعلته أبو الضحاك: مقبول كما في «التقريب»، لكن الحديث ثبت صحيحًا دون قوله: «وهي شجرة الخلد»؛ رواه البخاري (٢٣٥٢، ٤٨٨١)، ومسلم (٢٨٢٦).

(٥) رواه ابن أبي حاتم (١٨٧٨٠).

(٦) في (ز): (عبد ربه)، وهو خطأ.

(٧) رواه الطبري (٢٧/ ١٨٣)، والترمذي (٣٢٨٨).

(٨) في (ز): (ستور).

(٩) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري (٢٧/ ١٨٢)، وفيه زياد مولىٰ بني مخزوم، قال ابن معين: لا شيء. وانظر: «الجرح والتعديل» (٣/ ٥٤٩).

وقال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي: حدثنا محمد بن مِنْهَالٍ الضرير، حدثنا يزيد بن زُرَيع، عن [سعيد][(١)] بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ في قول الله ﷻ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾، قال: «**فِي الجَنَّةِ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لا يَقْطَعُهَا**»[(٢)].

وكذا رواه البخاري، عن روح بن عبد المؤمن، عن يزيد بن زُرَيع، وهكذا رواه أبو داود الطيالسي، عن عمران بن دَاوَر القطان، عن قتادة به. وكذا رواه مَعْمَرٌ، [وأبو][(٣)] هلال، عن قتادة به. وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد وسهل بن سعد، عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الجَوادَ المُضَمَّرَ**[(٤)] **السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا**»[(٥)].

فهذا حديثٌ ثابتٌ عن رسول الله ﷺ، بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد، لتعدد طرقه، وقوة أسانيده، وثقة رجاله.

وقد قال الإمام أبو جعفر بن جرير: حدثنا أبو كُرَيْبٍ، حدثنا أبو بكرٍ، حدثنا أبو حُصَينٍ قال: كنا علىٰ باب في موضع، ومعنا أبو صالح وشقيق -يعني: الضبي- فحدث أبو صالح قال: حدثني أبو هُرَيْرَة قال: إن في الجنة شجرةً يسير الراكب في ظلها سبعين عامًا. قال أبو صالح: أتكذِّبُ أبا هريرة؟ قال: ما أكذِّب أبا هريرة، ولكني أكذِّبك أنت. فشق ذلك علىٰ القراء يومئذ[(٦)].

قلت: فقد أبطل من يكذب بهذا الحديث، مع ثبوته وصحته ورفعه إلىٰ رسول الله ﷺ.

وقال الترمذي: حدثنا أبو سعيدٍ الأشج، حدثنا زياد بن الحسن بن الفُرَات القَزَّاز، عن أبيه، عن جده، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا فِي الجَنَّةِ شَجَرَةٌ إِلَّا سَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ**». ثم قال: حسنٌ غريبٌ[(٧)].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن أبي الربيع، حدثنا أبو عامر العَقَدي، عن [زمعة][(٨)] بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عِكْرِمَة، عن ابن عباس قال: الظل الممدود شجرة في الجنة علىٰ ساق ظلها قدر ما يسير الراكب في نواحيها مائة عام. قال: فيخرج إليها أهل الجنة؛ أهل الغرف وغيرهم، فيتحدثون في ظلها. قال: فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحًا من الجنة

---

(١) في (ز): (حميد)، وهو خطأ.

(٢) رواه أبو يعلىٰ (٢٩٩١، ٣٠٣٨) وإسناده صحيح.

(٣) في (ز): (ابن)، وهو خطأ.

(٤) تضمِيرُ الخَيل: هو أن يُظاهِر عليها بالعَلَف حتىٰ تسمَن، ثم لا تُعلف إلَّا قُوتًا لتخفَّ. وقيل: تُشدُّ عليها سُرُوجُها وتُجَلَّل بالأجِلَّةِ حتىٰ تَعْرَقَ تَحْتَها، فيَذهبَ رَهَلُها ويَشْتَدَّ لحمُها. «النهاية».

(٥) رواه البخاري (٦٥٥٣)، ومسلم (٢٨٢٨) من حديث سهل.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (٢٧/ ٢٨٤).

(٧) حسن: رواه الترمذي (٧٥٢٥)، وانظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧٣٢).

(٨) في (ز): (ربيعة)، والمثبت هو الصواب.

فتحرك تلك الشجرة بكل لهوٍ في الدنيا.

هذا أثرٌ غريبٌ وإسناده جيدٌ قويٌّ حسنٌ(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن يمان، حدثنا سفيان، حدثنا أبو إسحاق، عن عمرو بن ميمون في قوله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ قال: سبعون ألف سنة. وكذا رواه ابن جرير، عن بُنْدار، عن ابن مهدي، عن سفيان مثله. ثم قال ابن جرير:

حدثنا ابن حميد، حدثنا مِهْرَانُ، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ قال: [خمسمائة ألف سنة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو الوليد الطيالسي، حدثنا حصين بن نافع، عن الحسن في قول الله تعالىٰ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ قال:](٢) في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها.

وقال عوف عن الحسن: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لا يَقْطَعُهَا**». رواه ابن جرير.

وقال شبيب عن عِكْرِمَة، عن ابن عباس: في الجنة شَجَر لا يحمل، يُستظَلُّ به. رواه ابن أبي حاتم.

وقال الضحاك، والسُّدِّي، وأبو حَرْزَةَ في قوله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ لا ينقطع، ليس فيها شمسٌ ولا حرٌّ، مثل قبل طلوع الفجر.

وقال ابن مسعود: الجنة سَجْسَج(٣)، كما بين طلوع الفجر إلىٰ طلوع الشمس(٤).

وقد تقدمت الآيات كقوله: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧]، وقوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد:٣٥]، وقوله: ﴿فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات:٤١] إلىٰ غير ذلك من الآيات.

وقوله: ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ قال الثوري: يعني يجري في غير أخدود.

وقد تقدم الكلام عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ الآية [محمد: ١٥]، بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا.

وقوله: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ أي: وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة:٢٥] أي: يشبه الشكلُ الشكلَ، ولكن الطعم غيرُ الطعم. وفي «الصحيحين» في ذكر سدرة المنتهىٰ قال: «**فَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الفِيَلَةِ**

---

(١) رواه الطبري (١٨٧٨١).

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).

(٣) سجسج: أي ظلها معتدل، لا حر ولا برد.

(٤) ابن أبي شيبة (٧/ ٣٠).

وَ[نَبْقُهَا] (١)«مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ» (٢).

وفيهما أيضًا من حديث مالك، عن زيد، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس قال: خُسِفَتِ الشمس، فصلىٰ رسولُ الله ﷺ والناس معه، فذكر الصلاة. وفيه: قالوا: يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئًا في مقامك هذا، ثم رأيناك تكعكعت. قال: «إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا، وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا» (٣).

وقال الحافظ أبو يعلىٰ: حدثنا أبو خَيْثَمَةَ، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا عبيد الله، حدثنا ابن عقيل، عن جابر قال: بينا نحن في صلاة الظهر، إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا معه، ثم تناول شيئًا ليأخذه ثم تأخر، فلما قضىٰ الصلاة قال له أبيّ بن كعب: يا رسول الله، صنعتَ اليومَ في الصلاة شيئًا ما كنت تصنعه؟! قال: «إِنَّهُ عُرِضَتْ عَلَيَّ الجَنَّةُ، وَمَا فِيهَا مِنَ الزَّهْرَةِ وَالنَّضْرَةِ، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا مِنْ عِنَبٍ لِآتِيكُمْ بِهِ، فَحِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَلَوْ أَتَيْتُكُمْ بِهِ لَأَكَلَ مِنْهُ مَنْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا يُنْقِصُونَهُ» (٤).

وروىٰ مسلم، من حديث أبي الزبير، عن جابر نحوه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن بحر، حدثنا هشام بن يوسف، أخبرنا مَعْمَرٌ، عن يحيىٰ بن أبي كثير، عن عامر بن زيد البَكَالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول: جاء أعرابيٌّ إلىٰ رسول الله ﷺ، فسأله عن الحوض وذكر الجنة، ثم قال الأعرابي: فيها فاكهة؟ قال: «نَعَمْ، وَفِيهَا شَجَرَةٌ تُدْعَىٰ طوبَىٰ» فذكر شيئًا لا أدري ما هو، قال: أي شجرِ أرضنا تشبه؟ قال: «لَيْسَتْ تُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ شَجَرِ أَرْضِكَ». فقال النبي ﷺ: «أَتَيْتَ الشَّامَ؟» قال: لا. قال: «تُشْبِهُ شَجَرَةً بِالشَّامِ تُدْعَىٰ الجَوْزَةَ، تَنْبُتُ عَلَىٰ سَاقٍ وَاحِدٍ، وَيَنْفَرِشُ أَعْلَاهَا». قال: ما عظم أصلها؟ قال: «لَوِ ارْتَحَلَتْ جَذَعَةٌ مِنْ إِبِلِ أَهْلِكَ مَا أَحَاطَتْ بِأَصْلِهَا حَتَّىٰ تَنْكَسِرَ تَرْقُوَتُهَا هَرَمًا». قال: فيها عنب؟ قال: «نَعَمْ». قال: فما عظم العنقود؟ قال: «مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْغُرَابِ الأَبْقَعِ، وَلا يَفْتُرُ». قال: فما عظَم الحبَّة؟ قال: «هَلْ ذَبَحَ أَبُوكَ تَيْسًا مِنْ غَنَمِهِ قَطُّ عَظِيمًا؟» قال: نعم. قال: «فَسَلَخَ إِهَابَهُ فَأَعْطَاهُ أُمَّكَ، فَقَالَ: اتَّخِذِي لَنَا مِنْهُ دَلْوًا؟» قال: نعم. قال الأعرابي: فإن تلك الحبة لتشبعني وأهل بيتي؟ قال: «نَعَمْ، وَعَامَّةَ عَشِيرَتِكَ» (٥).

وقوله: ﴿لَّا مَقۡطُوعَةٍ وَلَا مَمۡنُوعَةٍ﴾ أي: لا تنقطع شتاءً ولا صيفًا، بل أكلها دائمٌ مستمرٌّ أبدًا، مهما طلبوا وجدوا، لا يمتنع عليهم بقدرة الله شيء.

---

(١) في (ز): (سعفها). (٢) البخاري (٣٨٨٧).

(٣) رواه البخاري (٧٤٨)، ومسلم (٩٠٧) في صلاة الكسوف.

(٤) عزاه لأبي يعلىٰ ورواه مسلم (٩٠٤) نحوه.

(٥) صحيح لغيره: رواه أحمد (٤/ ١٨٣)، وعزاه المنذري للطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، وصححه الألباني لغيره. انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧٢٩).

قال قتادة: لا يمنعهم من تناولها عودٌ ولا شوكٌ ولا بُعدٌ. وقد تقدم في الحديث: «إِذَا تَنَاوَلَ الرَّجُلُ الثَّمَرَةَ عَادَتْ مَكَانَهَا أُخْرَىٰ».

وقوله: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ أي: عاليةٍ وطيئةٍ ناعمةٍ.

قال النسائي وأبو عيسىٰ الترمذي: حدثنا أبو كُرَيْبٍ، حدثنا رِشْدِين بن سعد، عن عمرو بن الحارث، عن دَرَّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ قال: «ارْتِفَاعُهَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَمَسِيرَةُ مَا بَيْنَهُمَا خَمْسُمِائَةِ عَامٍ»(١).

ثم قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ لا نعرفه، إلا من حديث رشدين بن سعد. قال: وقال بعض أهل [العلم](٢): معنىٰ هذا الحديث: ارتفاع الفرش في الدرجات، وَبُعْدُ ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض.

هكذا قال: إنه لا يعرف هذا إلا من رواية رشدين بن سعد، وهو المصري، وهو ضعيف. وهكذا رواه أبو جعفر بن جرير، عن أبي كُرَيْبٍ، عن رشدين(٣). ثم رواه هو وابن أبي حاتم، كلاهما عن يونس بن عبد الأعلىٰ، عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، فذكره(٤). وكذا رواه ابن أبي حاتم أيضًا عن نُعَيم بن حماد، عن ابن وهب. وأخرجه الضياء في «صفة الجنة» من حديث حرملة عن ابن وهب به مثله. ورواه الإمام أحمد عن حسن بن موسىٰ، عن ابن لَهِيعَةَ، حدثنا دراج، فذكره(٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو معاوية، عن [جُوَيْبِر](٦)، عن أبي سهل -يعني: كثير بن زياد- عن الحسن: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ قال: ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة.

وقوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ جرىٰ الضمير علىٰ غير مذكورٍ، لكن لما دل السياق، وهو ذكر الفرش علىٰ النساء اللاتي يضاجعن فيها، اكتفىٰ بذلك عن ذكرهن، وعاد الضمير عليهن، كما في قوله: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص:٣١، ٣٢] يعني: الشمس، علىٰ المشهور من قول المفسرين.

قال الأخفش في قوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ أضمرهن ولم يذكرهن قبل ذلك. وقال أبو عبيدة:

---

(١) ضعيف: رواه الترمذي (٢٥٤٠) من رواية دراج عن أبي هيثم، وهي رواية ضعيفة كما تقدم في أكثر من موضع، وفيه رشدين بن سعد: ضعيف.

(٢) في (ز): (المعاني).

(٣) رواه الطبري (٢٧/ ١٨٥).

(٤) رواه الطبري (٢٧/ ١٨٥)، وفيه متابعة لرشدين بن سعد، لكن بقيت علته الأخرىٰ وهي رواية دراج عن أبي الهيثم فالإسناد ضعيف.

(٥) رواه أحمد (٣/ ٧٥)، وإسناده ضعيف كسابقه.

(٦) في (ز): (جوهر)، وهو خطأ.

ذكرن في قوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة:٢٢، ٢٣].

فقوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ﴾ أي: أعدناهن في النشأة الآخرة بعدما كُنَّ عجائز رُمْصًا[١]، صرن أبكارًا عربًا؛ أي: بعد الثّيوبة عُدْن أبكارًا عُرُبًا؛ أي: متحببات إلىٰ أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة.

وقال بعضهم: ﴿عُرُبًا﴾ أي: غَنِجات.

قال موسىٰ بن عُبَيدة الرَّبَذِي، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ قال: «**نِسَاءٌ عَجَائِزُ كُنَّ فِي الدُّنْيَا عُمْشًا رُمْصًا**». رواه الترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم. ثم قال الترمذي: غريب، وموسىٰ ويزيد ضعيفان[٢].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف الحمصي، حدثنا آدم -يعني: ابن أبي إياس- حدثنا شيبان، عن جابر، عن يزيد بن مُرَّةَ، عن سلمة بن يزيد قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول في قوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ يعني: «**الثَّيِّبُ وَالأَبْكَارُ اللَّاتِي كُنَّ فِي الدُّنْيَا**»[٣].

وقال عبد بن حُمَيدٍ: حدثنا مصعب بن المقدام، حدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: أتت عجوز فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة. فقال: «**يَا أُمَّ فُلَانٍ، إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ**». قال: فَوَلَّت تبكي، قال: «**أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ، إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾**»[٤].

وهكذا رواه الترمذي في «الشمائل» عن عبد بن حميد.

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا بكر بن سهل الدمياطي، حدثنا عمرو بن هاشم البيروتي، حدثنا سليمان بن أبي كريمة، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة قالت: قلت: يا رسول الله، أخبرني عن قول الله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قال: «**حُورٌ: بِيضٌ، عِينٌ: ضِخَامُ الْعُيُونِ، شُفْرُ**[٥] **الْحَوْرَاءِ بِمَنْزِلَةِ جَنَاحِ النَّسْرِ**». قلت: أخبرني عن قوله: ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾، قال: «**صَفَاؤُهُنَّ صَفَاءُ الدُّرِّ الَّذِي فِي الأَصْدَافِ، الَّذِي لَمْ تَمَسَّهُ الأَيْدِي**». قلت: أخبرني عن قوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن:٧٠]. قال: «**خَيِّرَاتُ الأَخْلَاقِ، حِسَانُ الْوُجُوهِ**». قلت: أخبرني عن قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩]، قال: «**رِقَّتُهُنَّ كَرِقَّةِ الْجِلْدِ الَّذِي رَأَيْتَ فِي دَاخِلِ الْبَيْضَةِ مِمَّا يَلِي الْقِشْرَ،**

---

(١) رُمْصٌ: جمع رمصاء، والرَّمَصُ: وسخ أبيض يجتمع في العين.

(٢) حسن لغيره: رواه الترمذي (٣٢٩٢)، ويزيد الرقاشي: ضعيف. لكن يشهد له الأحاديث المذكورة في الباب.

(٣) رواه الطبري (٢٧/ ١٨٦) وإسناده ضعيف، وعلته جابر الجعفي: ضعيف، قال الدارقطني: ليس بالقوي.

(٤) حسن لغيره: رواه الترمذي في «الشمائل» (٢٤١) والحسن هو البصري، فالإسناد مرسل، وفيه المبارك بن فضالة: مدلس، لكن يشهد له ما تقدم. والحديث حسنه الشيخ الألباني في «غاية المرام» (٣٧٥).

(٥) الشُّفْر: جفن العين الذي ينبت عليه الشعر.

وَهُوَ: الغِرْقِئُ». قلت: يا رسول الله، أخبرني عن قوله: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾. قال: «هُنَّ اللَّوَاتِي قُبِضْنَ فِي دَارِ الدُّنْيَا عَجَائِزَ رُمْصًا شُمْطًا، خَلَقَهُنَّ اللهُ بَعْدَ الكِبَرِ، فَجَعَلَهُنَّ عَذَارَىٰ عُرُبًا مُتَعَشِّقَاتٍ مُحَبَّبَاتٍ، أَتْرَابًا عَلَىٰ مِيلَادٍ وَاحِدٍ». قلت: يا رسول الله، نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: «بَلْ نِسَاءُ الدُّنْيَا أَفْضَلُ مِنَ الحُورِ العِينِ، كَفَضْلِ الظِّهَارَةِ عَلَىٰ البِطَانَةِ[(١)]». قلت: يا رسول الله، وبم ذاك؟ قال: «بِصَلَاتِهِنَّ وَصِيَامِهِنَّ وَعِبَادَتِهِنَّ اللهَ ﷻ أَلْبَسَ اللهُ وُجُوهَهُنَّ النُّورَ، وَأَجْسَادَهُنَّ الحَرِيرَ، بِيضُ الأَلْوَانِ، خُضْرُ الثِّيَابِ، صُفْرُ الحُلِيِّ، مَجَامِرُهُنَّ الدُّرُّ، وَأَمْشَاطُهُنَّ الذَّهَبُ، يَقُلْنَ: نَحْنُ الخَالِدَاتُ فَلَا نَمُوتُ أَبَدًا، وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبْأَسُ أَبَدًا، وَنَحْنُ المُقِيمَاتُ فَلَا نَظْعَنُ أَبَدًا، أَلَا وَنَحْنُ الرَّاضِيَاتُ فَلَا نَسْخَطُ أَبَدًا، طُوبَىٰ لِمَنْ كُنَّا لَهُ وَكَانَ لَنَا». قلت: يا رسول الله، المرأة منا تتزوج زوجين والثلاثة والأربعة، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها، من يكون زوجها؟ قال: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ، إِنَّهَا تُخَيَّرُ فَتَخْتَارُ أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، فَتَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّ هَذَا كَانَ أَحْسَنَ خُلُقًا مَعِي فَزَوِّجْنِيهِ، يَا أُمَّ سَلَمَةَ ذَهَبَ حُسْنُ الخُلُقِ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»[(٢)].

وفي حديث الصور الطويل المشهور أن رسول الله ﷺ يشفع للمؤمنين كلهم في دخول الجنة فيقول الله: «قَدْ شَفَّعْتُكَ وَأَذِنْتُ لَهُمْ فِي دُخُولِهَا». فكان رسول الله ﷺ يقول: «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالحَقِّ، مَا أَنْتُمْ فِي الدُّنْيَا بِأَعْرَفَ بِأَزْوَاجِكُمْ وَمَسَاكِنِكُمْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ بِأَزْوَاجِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ، فَيَدْخُلُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً، [سَبْعِينَ][(٣)] مِمَّا يُنْشِئُ اللهُ، وَثِنْتَيْنِ مِنْ وَلَدِ آدَمَ لَهُمَا فَضْلٌ عَلَىٰ مَنْ أَنْشَأَ اللهُ، بِعِبَادَتِهِمَا اللهَ فِي الدُّنْيَا، يَدْخُلُ عَلَىٰ الأُولَىٰ مِنْهُمَا فِي غُرْفَةٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ، عَلَىٰ سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلٍ بِاللُّؤْلُؤِ، عَلَيْهِ سَبْعُونَ زَوْجًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ وَإِنَّهُ لَيَضَعُ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهَا، ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَىٰ يَدِهِ مِنْ صَدْرِهَا مِنْ وَرَاءِ ثِيَابِهَا وَجِلْدِهَا وَلَحْمِهَا، وَإِنَّهُ لَيَنْظُرُ إِلَىٰ مُخِّ سَاقِهَا كَمَا يَنْظُرُ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ السِّلْكِ فِي قَصَبَةِ اليَاقُوتِ، كَبِدُهُ لَهَا مِرْآةٌ -يعني: وكبدها له مرآة- فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَهَا لَا يَمَلُّهَا وَلَا تَمَلُّهُ، وَلَا يَأْتِيهَا مِنْ مَرَّةٍ إِلَّا وَجَدَهَا عَذْرَاءَ، مَا يَفْتُرُ ذَكَرُهُ، وَلَا تَشْتَكِي قُبُلَهَا إِلَّا أَنَّهُ لَا مَنِيَّ وَلَا مَنِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نُودِيَ: إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا أَنَّكَ لَا تَمَلُّ وَلَا تُمَلُّ، إِلَّا أَنَّ لَكَ أَزْوَاجًا غَيْرَهَا، [فَيَخْرُجُ][(٤)]، فَيَأْتِيهِنَّ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا جَاءَ وَاحِدَةً قَالَتْ: وَاللهِ مَا فِي الجَنَّةِ شَيْءٌ أَحْسَنُ مِنْكَ، وَمَا فِي الجَنَّةِ شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ»[(٥)].

---

(١) بطانة الثوب: ما ولي منه الجسد وكان داخلًا، والظِّهارة: ما علا وظهر ولم يل الجسد.

(٢) منكر: رواه الطبراني (١٣/ ٣٦٧/ ٥٢٠)، وفيه سليمان بن أبي كريمة: ضعيف، قال ابن عدي: وعامة أحاديثه مناكير وهذا منها.

(٣) سقط من (ز). (٤) سقط من (ز).

(٥) تقدم في أكثر من موضع، وإسناده ضعيف.

وقال عبد الله بن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث، عن دَرَّاجٍ، عن ابن حُجَيرةَ، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال له: أَنَطَأُ في الجنة؟ قال: «نَعَمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ دَحْمًا[(١)] دَحْمًا، فَإِذَا قَامَ عَنْهَا رَجَعَتْ مُطَهَّرَةً بِكْرًا»[(٢)].

وقال الطبراني: حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه البغدادي، حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيق الواسطي، حدثنا معلىٰ بن عبد الرحمن الواسطي، حدثنا شريك، عن عاصم الأحول، عن أبي المتوكل، عن أبي سعيدٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ إِذَا جَامَعُوا نِسَاءَهُمْ عُدْنَ أَبْكَارًا»[(٣)].

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا عِمْران، عن قتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُعْطَىٰ المُؤْمِنُ فِي الجَنَّةِ قُوَّةَ كَذَا وَكَذَا فِي النِّسَاءِ». قلت: يا رسول الله، ويطيق ذلك؟ قال: «يُعْطَىٰ قُوَّةَ مِائَةٍ»[(٤)].

ورواه الترمذي من حديث أبي داود وقال: صحيحٌ غريبٌ.

وروىٰ أبو القاسم الطبراني من حديث حسين بن علي الجعفي، عن زائدة، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، هل نَصِلُ إلىٰ نسائنا في الجنة؟ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصِلُ فِي اليَوْمِ إِلَىٰ مِائَةِ عَذْرَاءَ»[(٥)].

قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي: هذا الحديث عندي علىٰ شرط الصحيح، والله أعلم.

وقوله: ﴿عُرُبًا﴾ قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: يعني متحببات إلىٰ أزواجهن، ألم تر إلىٰ الناقة الضبعة[(٦)]، هي كذلك.

وقال الضحاك، عن ابن عباس: العُرُب: العواشق لأزواجهن، وأزواجهن لهن عاشقون. وكذا قال عبد الله بن سَرْجس، ومجاهد، وعكرمة، وأبو العالية، ويحيىٰ بن أبي كثير، وعطية، والحسن، وقتادة، والضحاك، وغيرهم.

وقال [ثور بن][(٧)] زيد، عن عِكْرِمَة قال: سئل ابن عباس عن قوله: ﴿عُرُبًا﴾ قال: هي المِلِقَةُ لزوجها.

---

(١) الدَّحْم: النكاح والوطء.

(٢) حسن: رواه ابن حبان (٧٤٠٢). وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٩٣).

(٣) رواه الطبراني في «الصغير» (١/ ٩١)، وفي إسناده شريك القاضي: سيِّئ الحفظ، لكن يشهد له حديث أبي هريرة السابق.

(٤) حسن لغيره: رواه الطيالسي (٢٠١٢)، والترمذي (٢٦٥٩)، والبيهقي في «البعث» (٣٦٣)، وفيه عمران القطان: صدوق يهم. وقتادة مدلس.

قلت: ويشهد له حديث أبي هريرة: رواه الطبراني في «الأوسط» (٧١٨) ورجاله ثقات، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٦٧).

ويشهد له أيضًا حديث ابن عباس: رواه البيهقي في «البعث» (٣٦٥)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٦٩)، زيد بن أبي الحواري: ضعيف، وبمجموع الطرق فالحديث حسن.

(٥) رواه الطبراني في «الأوسط» (١/ ٢١٩)، (٥/ ٢٦٣). وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٦٧) وانظر الحديث قبله.

(٦) ضَبِعَتِ الناقةُ تَضْبَعُ ضَبْعًا وضَبَعة وضَبَعَتْ وأَضْبَعَتْ واسْتَضْبَعَتْ، وهي مُضْبِعةٌ: اشْتَهَتِ الفَحْلَ. «اللسان»: ضبع.

(٧) في (ز): (أبو).

وقال شعبة، عن سِمَاك، عن عكرمة: هي الغَنِجة (١).

وقال الأجلح بن عبد الله، عن عكرمة: هي الشَّكلة (٢).

وقال صالح بن حَيَّان، عن عبد الله بن بُرَيْدَة في قوله: ﴿عُرُبًا﴾ قال: الشَّكلة بلغة أهل مكة، والغنجة بلغة أهل المدينة.

وقال تميم بن حذلم: [العَرِبَة: الحسنة] (٣)التَّبَعُّل.

وقال زيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن: العُرُبُ: حسنات الكلام.

وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن سهل بن عثمان العسكري: حدثنا أبو علي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿عُرُبًا﴾ قال: «**كَلامُهُنَّ عَرَبِيٌّ**» (٤).

وقوله: ﴿أَتْرَابًا﴾ قال الضحاك، عن ابن عباس يعني: في سنٍّ واحدةٍ، ثلاث وثلاثين سنة.

وقال مجاهد: الأتراب: المستويات. وفي رواية عنه: الأمثال. وقال عطية: الأقران. وقال السُّدِّي: ﴿أَتْرَابًا﴾ أي: في الأخلاق المتواخيات بينهن، ليس بينهن تباغضٌ ولا تحاسدٌ؛ يعني: لا كما كن ضرائر متعاديات.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، عن عبد الله بن الكهف، عن الحسن ومحمد: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ قالا: المستويات الأسنان، يأتلفن جميعًا، ويلعبن جميعًا.

وقد روى أبو عيسى الترمذي، عن أحمد بن منيع، عن أبي معاوية، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَمُجْتَمَعًا لِلْحُورِ العِينِ، يَرْفَعْنَ أَصْوَاتًا لَمْ تَسْمَعِ الخَلَائِقُ بِمِثْلِهَا، يَقُلْنَ: نَحْنُ الخَالِدَاتُ فَلَا نَبِيدُ، وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبْأَسُ، وَنَحْنُ الرَّاضِيَاتُ فَلَا نَسْخَطُ، طوبَىٰ لِمَنْ كَانَ لَنَا وَكُنَّا لَهُ**». ثم قال: هذا حديثٌ غريبٌ (٥).

وقال الحافظ أبو يعلىٰ: حدثنا أبو خَيْثَمَةَ، حدثنا إسماعيل بن عمر، حدثنا ابن أبي ذئب، عن فلان بن عبد الله بن رافع، عن بعض ولد أنس بن مالك، عن أنس؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الحُورَ العِينَ لَيُغَنِّينَ فِي الجَنَّةِ، يَقُلْنَ: نَحْنُ خَيِّرَاتٌ حِسَانٌ، خُبِّئْنَا لِأَزْوَاجٍ كِرَامٍ**» (٦).

---

(١) **الغَنَج**: التكسر والتدلل. (٢) **المرأة الشكلة**: ذات الدَّل.

(٣) ما بين المعقوفتين في (ز): (هي حسن)، والمثبت من «تفسير الطبري».

(٤) ضعيف: عزاه لابن أبي حاتم، وسهل بن عثمان له غرائب، والإسناد منقطع بين ابن أبي حاتم وبينه.

(٥) ضعيف: رواه الترمذي (٢٥٦٧)، وفيه عبد الرحمن بن إسحاق: ضعيف، والنعمان بن سعد لم يوثقه غير ابن حبان، وقال الحافظ: مقبول؛ يعني إذا توبع، وإلا فضعيف. انظر: «تقريب التهذيب» ترجمة (٥٥٣٥). وقال الشيخ الألباني في حكمه على الحديث: «منكر»؛ انظر: «ضعيف الترغيب والترهيب» (٢٢٣١).

(٦) صحيح لغيره: رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٥٤)، والطبراني في «الأوسط» (٧/ ٢٥٧/ ٦٤٩٣) وفيه بعض ولد أنس لم يسم، وفي الرواية الثانية عون بن الخطاب لم يوثقه غير ابن حبان. وله شاهد من حديث ابن عمر ﷺ رواه الطبراني في «الصغير» و«الأوسط» وسنده صحيح. انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧٤٩، ٣٧٥٠).

قلت: إسماعيل بن عُمَرَ هذا هو أبو المنذر الواسطي أحد الثقات الأثبات. وقد روىٰ هذا الحديث الإمام عبد الرحيم بن إبراهيم الملقب بدُحَيْم، عن ابن أبي فُدَيْك، عن ابن أبي ذئب، عن عون بن الخطاب بن عبد الله بن رافع، عن ابنٍ لأنس، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الحُورَ العِينَ يُغَنِّينَ فِي الجَنَّةِ: نَحْنُ الجَوَارِ الحِسَانُ، خُلِقْنَا لِأَزْوَاجٍ كِرَامٍ»(١).

وقوله: ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ أي: خلقن لأصحاب اليمين، [أو: ادخرن لأصحاب اليمين](٢)، أو: زوجن لأصحاب اليمين. والأظهر أنه متعلقٌ بقوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ فتقديره: أنشأناهن لأصحاب اليمين. وهذا توجيه ابن جرير.

رُوِي عن أبي سليمان الدَّاراني قال: صليتُ ليلةً، ثم جلست أدعو، وكان البردُ شديدًا، فجعلت أدعو بيدٍ واحدةٍ، فأخذتني عيني فنمت، فرأيت حوراء لم ير مثلها وهي تقول: يا أبا سليمان، أتدعو بيدٍ واحدةٍ وأنا [أُغذَّىٰ](٣) لك في النعيم من خمسمائة سنة؟!

قلت: ويحتمل أن يكون قوله: ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ متعلقًا بما قبله، وهو قوله: ﴿أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ أي: في [أسنانهم](٤). كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم، من حديث جرير، عن عُمَارةَ بن القعقاع، عن أبي زُرْعَةَ، عن أبي هُرَيرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَىٰ ضَوْءِ أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لا يَبُولُونَ وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَتْفُلُونَ وَلا يَتَمَخَّطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ، وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، أَخْلاقُهُمْ عَلَىٰ خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَىٰ صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ»(٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون وعفان قالا: حدثنا حماد بن سلمة -وروىٰ الطبراني، واللفظ له، من حديث حماد بن سلمة- عن علي بن زيد بن جُدْعَان، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا بِيضًا جِعَادًا مُكَحَّلِينَ، أَبْنَاءَ [ثَلاثِينَ أَوْ](٦) ثَلاثٍ وَثَلاثِينَ، وَهُمْ عَلَىٰ خَلْقِ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي عَرْضِ سَبْعَةِ أَذْرُعٍ»(٧).

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢/ ٤٨٠)، وفي إسناده: عون بن الخطاب، لم يوثقه غير ابن حبان.

(٢) سقط من (ز).

(٣) في (ز): (أعدني).

(٤) في (ز): (أشباههم).

(٥) رواه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤).

(٦) سقط من (ز).

(٧) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٢/ ٢٩٥) من حديث أبي هريرة، وفيه علي بن زيد بن جدعان: ضعيف، لكن يشهد له الروايات المذكورة بعده.
منها ما رواه الترمذي (٢٥٤٨) من حديث معاذ، وفيه شهر بن حوشب: مختلف فيه.
وللحديث شواهد أخرىٰ. انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦٩٨-٣٧٠١).

وروى الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي، عن عمران القطان، عن قتادة، عن شَهْرِ بن حَوْشبٍ، عن عبد الرحمن بن غَنْمٍ، عن مُعَاذ بن جَبَلٍ، أن رسول الله ﷺ قال: «يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ أَبْنَاءَ ثَلَاثِينَ، أَوْ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً». ثم قال: حسنٌ غريبٌ، وقال ابن وهب: أخبرنا عمرو بن الحارث أنّ دَرَّاجًا أبا السمح حَدَّثه عن أبي الهيثم، عن أبي سعيدٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، يُرَدُّونَ بَنِي ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ فِي الجَنَّةِ، لَا يَزِيدُونَ عَلَيْهَا أَبَدًا، وَكَذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ»[(١)].

ورواه الترمذي عن سُوَيْدِ بن نصر، عن ابن المبارك، عن [رشدين][(٢)] بن سعد، عن عمرو بن الحارث به.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا القاسم بن هاشم، حدثنا صفوان بن صالح، حدثنا روَّاد بن الجراح العسقلاني، حدثنا الأوزاعي، عن هارون بن رئاب، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ عَلَىٰ طُولِ آدَمَ سِتِّينَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ المَلِكِ! عَلَىٰ حُسْنِ يُوسُفَ، وَعَلَىٰ مِيلَادِ عِيسَىٰ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَعَلَىٰ لِسَانِ مُحَمَّدٍ، جُرْدٌ مُرْدٌ مُكَحَّلُونَ»[(٣)].

وقال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا محمود بن خالد وعباس بن الوليد قالا: حدثنا عمر، عن الأوزاعي، عن هارون بن رئاب، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يُبْعَثُ أَهْلُ الجَنَّةِ عَلَىٰ صُورَةِ آدَمَ فِي مِيلَادِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ، ثُمَّ يُذْهَبُ بِهِمْ إِلَىٰ شَجَرَةٍ فِي الجَنَّةِ فَيُكْسَوْنَ مِنْهَا، لَا تَبْلَىٰ ثِيَابُهُمْ، وَلَا يَفْنَىٰ شَبَابُهُمْ»[(٤)].

وقوله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ أي: جماعةٌ من الأولين وجماعةٌ من الآخرين.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا المنذر بن شاذان، حدثنا محمد بن بكار، حدثنا سعيد بن بَشِيرٍ، عن قتادة، عن الحسن، عن عمران بن حُصَينٍ، عن عبد الله بن مسعود -قال: وكان بعضهم يأخذ عن بعض- قال: أكرينا[(٥)] ذات ليلة عند رسول الله ﷺ ثم غدونا عليه، فقال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأَنْبِيَاءُ وَأَتْبَاعُهَا بِأُمَمِهَا، فَيَمُرُّ عَلَيَّ النَّبِيُّ، وَالنَّبِيُّ فِي العِصَابَةِ، وَالنَّبِيُّ فِي الثَّلَاثَةِ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ -وتلا

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٥٤٨)، وفيه شهر بن حوشب كثير الاضطراب والإرسال، لكن للحديث شواهد، انظر التعليق السابق.

(٢) في (ز): (رشد)، وهو خطأ.

(٣) **حسن لغيره**: رواه ابن أبي الدنيا (٢١٥)، وفيه رواد بن الجراح: صدوق اختلط بآخره فترك، وصفوان بن صالح: مدلس. لكن للحديث شاهد من حديث المقدام، رواه البيهقي وحسنه المنذري في «الترغيب والترهيب»، وحسنه الشيخ الألباني بمتابعاته وشواهده في «الصحيحة» (٢٥١٢).

(٤) **حسن**: رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٥٥).

(٥) أي: أطلنا وأخرنا.

قتادة هذه الآية: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨]- قال: حَتَّىٰ مَرَّ عَلَيَّ مُوسَىٰ بْنُ عِمْرَانَ فِي كَبْكَبَةٍ[١] مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ». قال: «قُلْتُ: رَبِّي مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا أَخُوكَ مُوسَىٰ بْنُ عِمْرَانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ». قال: «قُلْتُ: رَبِّ فَأَيْنَ أُمَّتِي؟ قَالَ: انْظُرْ عَنْ يَمِينِكَ فِي الظِّرَابِ[٢]». قال: «فَإِذَا وُجُوهُ الرِّجَالِ». قال: «قَالَ: أَرَضِيتَ؟» قال: «قُلْتُ: قَدْ رَضِيتُ رَبِّ. قَالَ: انْظُرْ إِلَىٰ الأُفُقِ عَنْ يَسَارِكَ فَإِذَا وُجُوهُ الرِّجَالِ. قَالَ: أَرَضِيتَ؟ قُلْتُ: رَضِيتُ رَبِّ. قَالَ: فَإِنَّ مَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعِينَ أَلْفًا، يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ». قال: وأنشأ عُكَّاشة بن مُحْصَن من بني أسد -قال سعيد: وكان بَدْريًّا- قال: يا نبي الله، ادع الله أن يجعلني منهم. قال: فقال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ». [قال: أنشأ رجل آخر[٣]]، قال: يا نبي الله، ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ» قال: فقال رسول الله ﷺ: «فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ -فِدَاكُمْ أَبِي وَأُمِّي- أَنْ تَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّبْعِينَ فَافْعَلُوا وَإِلَّا فَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ الظِّرَابِ، وَإِلَّا فَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ الأُفُقِ، فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ نَاسًا كَثِيرًا قَدْ تَأَشَّبُوا [حَوْلَهُ[٤]][٥]». ثم قال: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ». فكبرنا، ثم قال: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ». قال: فكبرنا، قال: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ». قال: فكبرنا. ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ قال: فقلنا بيننا: من هؤلاء [السبعون[٦]] ألفًا؟ فقلنا: هم الذين ولدوا في الإسلام، ولم يشركوا. قال: فبلغه ذلك فقال: «بَلْ هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»[٧].

وكذا رواه ابن جرير من طريقين آخرين عن قتادة به نحوه. وهذا الحديث له طرقٌ كثيرةٌ من غير هذا الوجه في الصحاح وغيرها.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مِهْرَانُ، حدثنا سفيان، عن أبان بن أبي عياش، [عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس[٨]]: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «هُمَا جَمِيعًا مِنْ أُمَّتِي»[٩].

---

(١) الكَبْكَبَة: الجماعة المتضامة من الناس.
(٢) الظِّرَاب: الجبال الصغار.
(٣) بياض في (ز).
(٤) تأشبوا حوله: اجتمعوا إليه وأطافوا.
(٥) في (ز): (أخوا).
(٦) ما بين المعقوفتين في (ز) كلمة غير مفهومة.
(٧) رواه ابن أبي حاتم (١٨٧٩٣)، والطبري (٢٧/ ١٩٠)، وأحمد (١/ ٤٠٣)، وفي إسناده الحسن وقتادة وكلاهما مدلس، ولكن للحديث شاهد من حديث عمران: رواه أحمد (١/ ٤٠١)، والبزار (٣٠٣٨)، وابن حبان (٦٤٣١) وإسناده صحيح.
(٨) سقط من (ز).
(٩) ضعيف: رواه الطبري (٢٧/ ١٩١)، وفي إسناده أبان بن أبي عياش متروك، ولكن الحديث ثابت في «الصحيحين»: رواه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾

لما ذكر تعالىٰ حال أصحاب اليمين، عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال، فقال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ أي: أي شيءٍ هم فيه أصحاب الشمال؟ ثم فَسَّرَ ذلك فقال: ﴿فِى سَمُومٍ﴾ وهو: الهواء الحار ﴿وَحَمِيمٍ﴾ وهو: الماء الحار.

﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ قال ابن عباس: ظل الدخان. وكذا قال مجاهد، وعِكْرِمَةُ، وأبو صالح، وقتادة، والسُّدِّي، وغيرهم. وهذه كقوله تعالىٰ: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٢٩، ٣٤]، ولهذا قال هاهنا: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ وهو الدخان الأسود ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ أي: ليس طيبَ الهبوب ولا حَسَنَ المنظر، كما قال الحسن وقتادة: ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ أي: ولا كريم المنظر. وقال الضحاك: كل شرابٍ ليس بعذبٍ فليس بكريمٍ.

وقال ابن جرير: العرب تتبع هذه اللفظة في النفي، فيقولون: «هذا الطعام ليس بِطَيِّبٍ ولا كريمٍ، هذا اللَّحم ليس بسَمِينٍ ولا كريمٍ، وهذه الدَّار ليست بنظيفةٍ ولا كريمةٍ».

ثم ذكر تعالىٰ استحقاقهم لذلك، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ أي: كانوا في الدار الدنيا منعمين مقبلين علىٰ لذات أنفسهم، لا يلوون علىٰ ما جاءتهم به الرسل.

﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ﴾ أي: يُصَمِّمون ولا [ينوون] (١) توبة ﴿عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ وهو الكفر بالله، وجعل الأوثان والأنداد أربابًا من دون الله.

قال ابن عباس: ﴿ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الشرك. وكذا قال مجاهد، وعِكْرِمَة، والضحاك، وقتادة، والسُّدِّي، وغيرهم.

وقال الشعبي: هو اليمين الغموس.

﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ يعني: أنهم

(١) في (ز): (يتوبون).

يقولون مثل ذلك مكذبين به مستبعدين لوقوعه، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي: أَخْبِرْهُمْ يا محمد أن الأولين والآخرين من بني آدم سيجمعون إلىٰ عَرَصاتِ القيامة، لا نغادر منهم أحدًا، كما قال: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٣-١٠٥]. ولهذا قال هاهنا: ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي: هو موقت بوقتٍ مُحَدَّدٍ، لا يتقدم ولا يتأخر، ولا يزيد ولا ينقص.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ وذلك أنهم يقبضون ويُسْجَرون حتىٰ يأكلوا من شجر الزقوم، حتىٰ يملئوا منها بطونهم، ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ وهي الإبل العطاش، واحدها أهيم، والأنثىٰ هيماء، ويقال: هائم وهائمة.

قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جُبَيْر، وعكرمة: الهِيم: الإبل العطاش الظماء.

وعن عِكْرِمَة أنه قال: الهيم: الإبل المراض، تَمص الماء مَصًّا ولا تَرْوَىٰ.

وقال السُّدِّي: الهيم: داء يأخذ الإبل فلا تَرْوَىٰ أبدًا حتىٰ تموت، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبدًا.

وعن خالد بن معدان: أنه كان يكره أن يشرب شُرْبَ الهيم عَبَّةً واحدةً من غير أن يتنفس ثلاثًا.

ثم قال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ أي: هذا الذي وصفنا هو ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم، كما قال في حق المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧] أي: ضيافة وكرامة.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

يقول تعالىٰ مُقررًا للمعاد، وردًّا علىٰ المكذبين به من أهل الزيغ والإلحاد، من الذين قالوا: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الصافات: ١٦]، وقولهم ذلك صدر منهم علىٰ وجه التكذيب والاستبعاد، فقال: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي: نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئًا مذكورًا، أفليس الذي قدر علىٰ البداءة بقادر علىٰ الإعادة بطريق الأولىٰ [والأحرىٰ](١)؟ فلهذا قال: ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾

---

(١) سقط من (ز).

أي: فهلا تصدقون بالبعث؟ ثم قال مستدلًا عليهم بقوله: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ أي: أنتم تقرونه في الأرحام وتخلقونه فيها، أم الله الخالق لذلك؟

ثم قال: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ أي: صرفناه بينكم.

وقال الضحاك: ساوىٰ فيه بين أهل السماء والأرض.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: وما نحن بعاجزين. ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ أي: نغير خلقكم يوم القيامة، ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: من الصفات والأحوال.

ثم قال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئًا مذكورًا، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة، فهلا تتذكرون وتعرفون أن الذي قدر علىٰ هذه النشأة -وهي البَداءة- قادر علىٰ النشأة الأخرىٰ، وهي الإعادة بطريق الأولىٰ والأحرىٰ، وكما قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال: [﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٦٧]، وقال:][(1)] ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٧-٧٩]، وقال تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٣٦-٤٠].

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٦٧ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝٦٩ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۝٧٠ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝٧٣ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾

يقول: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها، ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ أي: تنبتونه في الأرض ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ أي: بل نحن الذين نُقِرُّه قراره ونُنبته في الأرض.

قال ابن جرير: وقد حدثني أحمد بن الوليد القرشي، حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجَرْمي، حدثنا مخلد بن الحسين، عن هشام، عن محمد، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَقُولَنَّ: زَرَعْتُ، وَلَكِنْ قُلْ: حَرَثْتُ» قال أبو هريرة: ألم تسمع إلىٰ قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣

---

(١) سقط من (ز).

﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ (١).

ورواه البزار، عن محمد بن عبد الرحيم، عن مسلم الجرمي به.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، حدثنا حماد، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمن: لا تقولوا: زرعنا ولكن قولوا: حرثنا (٢).

وروي عن حُجْرٍ المدَرِيِّ أنه كان إذا قرأ: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ وأمثالها يقول: بل أنت يا رب.

وقوله: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ أي: نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا، وأبقيناه لكم رحمةً بكم، ولو نشاء لجعلناه حطامًا؛ أي: لأيبسناه قبل استوائه واستحصاده، ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ ثم فسر ذلك بقوله: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: لو جعلناه حطامًا لظَلْتُم تفكهون في المقالة، تنوعون كلامكم، فتقولون تارةً: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ أي: لَمُلْقَون.

وقال مجاهد، وعكرمة: إنا لمولع بنا، وقال قتادة: معذبون. وتاره تقولون: بل نحن محرومون.

وقال مجاهد أيضًا: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ ملقون للشر؛ أي: بل نحن مُحَارَفون، قاله قتادة؛ أي: لا يثبت لنا مالٌ، ولا ينتج لنا ربحٌ.

وقال مجاهد: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: محدودون (٣)، يعني: لا حظ لنا.

قال ابن عباس، ومجاهد: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾: تعجبون. وقال مجاهد أيضًا: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ تفجعون وتحزنون علىٰ ما فاتكم من زرعكم.

وهذا يرجع إلىٰ الأول، وهو التعجب من السبب الذي من أجله أصيبوا في مالهم. وهذا اختيار ابن جرير.

وقال عكرمة: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ تلاومون. وقال الحسن، وقتادة، والسُّدِّي: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ تندمون. ومعناه إما علىٰ ما أنفقتم، أو علىٰ ما أسلفتم من الذنوب.

قال الكسائي: تفكه من الأضداد، تقول العرب: تفكهت بمعنىٰ [تنعمت] (٤)، وتفكهت بمعنىٰ حزنت.

ثم قال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ يعني: السحاب. قاله ابن عباسٍ، ومجاهد وغير واحدٍ. ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ يقول: بل نحن المنزلون.

---

(١) رواه الطبري (٢٧/ ١٩٨)، ورواه ابن حبان في «صحيحه» (١١٣٥)، وضعفه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم (١٨٨٠٢).

(٣) المحدود: المحروم، وقليل الحظ.

(٤) سقط من (ز).

﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾[(١)] أي: زُعاقًا مُرًّا لا يصلح لشربٍ ولا زرعٍ، ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ أي: فهلا تشكرون نعمة الله عليكم في إنزاله المطر عليكم عذبًا زلالا؟! ﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٠، ١١].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عثمان بن سعيد بن مرة، حدثنا [فُضيل][(٢)] بن مرزوق، عن جابر، عن أبي جعفر، عن النبي ﷺ: أنه إذا شرب الماء قال: «**الحَمْدُ للهِ الَّذِي سَقَانَا عَذْبًا فُرَاتًا بِرَحْمَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِلْحًا أُجَاجًا بِذُنُوبِنَا**»[(٣)].

ثم قال: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ أي: تقدحون من الزناد وتستخرجونها من أصلها.

﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ أي: بل نحن الذين جعلناها مودعةً في موضعها، وللعرب شجرتان: إحداهما: [المرخ][(٤)]، والأخرىٰ: العَفَار، إذا أخذ منهما غصنان أخضران فحُك أحدهما بالآخر، تناثر من بينهما شرر النار.

وقوله: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾ قال مجاهد، وقتادة: أي تُذَكِّر النارَ الكبرىٰ.

قال قتادة: ذكر لنا [أن][(٥)] رسول الله ﷺ قال: «**يَا قَوْمِ، [نَارُكُمْ][(٦)] هَذِهِ الَّتِي تُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ**». قالوا: يا رسول الله إن كانت لكافيةً! قال: «**قَدْ ضُرِبَتْ بِالمَاءِ ضَرْبَتَيْنِ - أو: مَرَّتَيْنِ - حَتَّىٰ يَسْتَنْفِعَ بِهَا بَنُو آدَمَ وَيَدْنُوا مِنْهَا**»[(٧)].

وهذا الذي أرسله قتادة رواه الإمام أحمد في «مسنده»، فقال:

حدثنا سفيان، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «**إِنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَضُرِبَتْ بِالبَحْرِ مَرَّتَيْنِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا جَعَلَ اللهُ فِيهَا مَنْفَعَةً لِأَحَدٍ**»[(٨)].

---

(١) قال القاسمي رحمه الله: قال الإمام ابن الأثير في «المثل السائر»: أدخلت اللام في آية المطعوم، دون آية المشروب، وإنما جاءت كذلك؛ لأن جعل الماء العذب ملحًا أسهل إمكانًا في العرف والعادة، والموجود من الماء الملح، أكثر من الماء العذب، وكثيرًا ما إذا جرت المياهُ العذبة علىٰ الأراضي المتغيرة التربة، أحالتها إلىٰ الملوحة؛ فلم يحتج في جعل الماء العذب ملحًا إلىٰ زيادة تأكيد؛ فلذلك لم تدخل عليه لام التأكيد المفيدة زيادة التحقيق. وأمّا المطعوم فإنّ جعله حطامًا من الأشياء الخارجة عن المعتاد، وإذا وقع فلا يكون إلا عن سخطٍ من الله شديدٍ؛ فلذلك قرن بلام التأكيد، زيادة في تحقيق أمره، وتقرير إيجاده. انتهىٰ.

(٢) في (ز): (فضل)، وهو خطأ.

(٣) ضعيف: فيه عثمان بن سعيد بن مرة: مقبول كما في «التقريب»، وجابر بن يزيد العجلي، ذكره ابن أبي حاتم، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

(٤) في (ز): (المدح).

(٥) سقط من (ز).

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).

(٧) رواه الطبري (٢٧/ ٢٠١) مرسلًا، وسيأتي بعده مسندًا.

(٨) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٢٤٤).

وقال الإمام مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «نَارُ بَنِي آدَمَ الَّتِي يُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ». فقالوا: يا رسول الله إن كانت لكافيةً فقال: «إِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا»(١).

رواه البخاري من حديث مالك، ومسلم من حديث أبي الزناد، ورواه مسلم من حديث عبد الرزاق، عن مَعْمَرٍ، عن همام، عن أبي هريرة به. وفي لفظ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا»(٢).

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عمرو الخلال، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثنا مَعْنُ بن عيسىٰ القزاز، عن مالك، عن عمه أبي [السهيل](٣)، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا مَثَلُ نَارِكُمْ هَذِهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ؟ لَهِيَ أَشَدُّ سَوَادًا مِنْ دُخَانِ نَارِكُمْ هَذِهِ [بِسَبْعِينَ](٤) ضِعْفًا»(٥).

قال الضياء المقدسي: وقد رواه ابن مصعب عن مالك، ولم يرفعه، وهو عندي علىٰ شرط الصحيح.

وقوله: ﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والنضر بن عربي: معنىٰ ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ المسافرين، واختاره ابن جرير، وقال: ومنه قولهم: «أقوت الدار إذا رحل أهلها».

وقال غيره: القيّ والقَوَاء: القفر الخالي البعيد من العمران.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: المقوي هنا الجائع.

وقال ليث ابن أبي سليم، عن مجاهد: ﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ للحاضر والمسافر، لكل طعام لا يصلحه إلا النار. وكذا روىٰ سفيان، عن جابر الجعفي، عن مجاهد.

وقال ابن أبي نَجِيحٍ، عن مجاهد قوله: ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ المستمتعين، الناس أجمعين. وكذا ذكر عن عكرمة.

وهذا التفسير أعم من غيره، فإن الحاضر والبادي من غنيٍّ وفقيرٍ الكل محتاجون للطبخ والاصطلاء والإضاءة وغير ذلك من المنافع. ثم من لطف الله تعالىٰ أن أودعها في الأحجار، وخالص الحديد بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك في متاعه وبين ثيابه، فإذا احتاج إلىٰ ذلك في منزله أخرج زنده وأورىٰ، وأوقد ناره فأطبخ بها واصطلىٰ، واشتوىٰ واستأنس بها، وانتفع بها سائر الانتفاعات. فلهذا أُفرد المسافرون وإن كان ذلك عامًّا في حق الناس كلهم. وقد يستدل له بما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي خِدَاش حَبَّان بن زَيد الشَّرعَبي الشَّامي، عن رجلٍ من المهاجرين من [قَرَن](٦)، أن

(١) رواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٧٥٩).
(٢) رواه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٢).
(٣) في (ز): (سهل)، والمثبت هو الصواب.
(٤) في (ز): (بستين).
(٥) رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٨٥).
(٦) في (ز): (قرر).

رسول الله ﷺ قال: «**المُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: النَّارُ وَالكَلَأُ وَالمَاءُ**»(١).

وروىٰ ابن ماجة بإسنادٍ جيدٍ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلَاثٌ لا يُمْنَعْنَ: المَاءُ وَالكَلَأُ وَالنَّارُ**»(٢).

وله من حديث ابن عباس مرفوعًا مثل هذا وزيادة: «**وَثَمَنُهُ حَرَامٌ**». ولكن في إسناده «عبد الله بن خِرَاش بن حَوْشب» وهو ضعيف(٣)، والله أعلم.

وقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: الذي بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة: [خلق](٤) الماء العذب الزلال البارد، ولو شاء لجعله ملحًا أجاجًا كالبحار المغرقة، وخلق النار المحرقة، وجعل ذلك مصلحةً للعباد، وجعل هذه منفعةً لهم في معاش دنياهم، وزاجرًا لهم في المعاد.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قال جُوَيبر، عن الضحاك: إن الله لا يقسم بشيءٍ من خلقه، ولكنه استفتاحٌ يستفتح به كلامه.

وهذا القول ضعيف. والذي عليه الجمهور أنه قسم من الله ﷻ يقسم بما شاء من خلقه، وهو دليلٌ علىٰ عظمته. ثم قال بعض المفسرين: «لا» هاهنا زائدة، وتقديره: أقسم بمواقع النجوم. ورواه ابن جرير، عن سعيد بن جُبَيْر. ويكون جوابه: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾.

وقال آخرون: ليست «لا» زائدة لا معنىٰ لها، بل يؤتىٰ بها في أول القسم إذا كان مقسمًا به علىٰ منفيٍّ، كقول عائشة ﵂: «لا والله ما مَسَّتْ يدُ رسول الله ﷺ يدَ امرأةٍ قَطُّ»(٥) وهكذا هاهنا تقدير الكلام: «لا أقسم بمواقع النجوم ليس الأمر كما زَعَمْتُم في القرآن أنَّه سحرٌ أو كهانةٌ، بل هو قرآنٌ كريم».

وقال ابن جرير: وقال بعض أهل العربية: معنىٰ قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ فليس الأمر كما تقولون، ثم استأنف القسم بعد فقيل: أقسم.

واختلفوا في معنىٰ قوله: ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾، فقال حكيم بن جُبَيْر، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباسٍ؛ يعني: نجوم القرآن؛ فإنه نزل جملةً ليلة القدر من السماء العليا إلىٰ السماء الدنيا، ثم نزل مُفَرَّقًا في السنين بعد. ثم قرأ ابن عباس هذه الآية.

---

(١) **صححه الألباني**: رواه أبو داود (٣٤٧٧)، وأحمد (٥/ ٣٦٤).

(٢) رواه ابن ماجة (٢٤٧٣)، وقال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله موثقون.

(٣) رواه ابن ماجة (٢٤٧٢)، وفيه عبد الله بن خراش: ضعيف.

(٤) ليست في (ز). (٥) رواه البخاري (٢٧١٣).

وقال الضحاك عن ابن عباس: نزل القرآن جملةً من عند الله من اللوح المحفوظ إلىٰ السَّفَرةِ الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجَّمَته السَّفرة علىٰ جبريل عشرين ليلةً، ونجمه جبريل علىٰ محمد ﷺ عشرين سنةً، فهو قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ نجوم القرآن.

وكذا قال عِكْرِمَة، ومجاهد، والسُّدِّي، وأبو حَزْرَة.

وقال مجاهد أيضًا: ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ في السماء، ويقال: مطالعها ومشارقها. وكذا قال الحسن، وقتادة، وهو اختيار ابن جرير. وعن قتادة: مواقعها: منازلها. وعن الحسن أيضًا: أن المراد بذلك انتثارها يوم القيامة. وقال الضحاك: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ يعني بذلك: الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا مُطِروا، قالوا: مطرنا بنوء كذا وكذا.

وقوله:﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ أي: وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسمٌ عظيمٌ، لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم به عليه،﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ﴾ أي: إن هذا القرآن الذي نزل علىٰ محمدٍ لكتابٌ عظيمٌ.﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ﴾ أي: معظّم في كتاب معظم محفوظ موقر.

قال ابن جرير: حدثني [إسماعيل بن موسىٰ][(١)] ، أخبرنا شريك، عن حكيم -هو ابن جبير- عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس:﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ قال: الكتاب الذي في السماء[(٢)] .

وقال العَوْفِيّ، عن ابن عباس: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ يعني: الملائكة[(٣)] . وكذا قال أنس، ومجاهد، وعِكْرِمَة، وسعيد بن جُبَيْر، والضحاك، وأبو الشعثاء جابر بن زيد، وأبو نَهِيك، والسُّدِّي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغيرهم.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلىٰ، حدثنا ابن ثور، حدثنا معمر، عن قتادة: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ قال: لا يمسه عند الله إلا المطهرون، فأما في الدنيا فإنه يمسه المجوسي النجس، والمنافق الرجس. وقال: وهي في قراءة ابن مسعود: «مَا يَمَسُّهُ إلا الْمُطَهَّرُونَ»[(٤)][(٥)] .

وقال أبو العالية: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ ليس أنتم أصحاب الذنوب.

---

(١) في (ز): (موسىٰ بن إسماعيل)، والمثبت هو الصواب. (٢) رواه الطبري (٢٧/ ٢٠٥).

(٣) قال ابن عثيمين رحمه الله: وذهب بعض المفسرين إلىٰ قول غريب، وقالوا: المراد بقوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ أي: لا يمس القرآن إلا طاهر، ولكن هذا قول ضعيف لا تدل عليه الآية، لأنه لو كان المراد ذلك لقال: (إلا المتطهرون) يعني: المتطهرين ولكنه قال: ﴿ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ أي: من قبل الله ﷻ فهذا القول ضعيف، ولولا أنه يوجد في بعض التفاسير التي بأيدي الناس ما تعرضنا له؛ لأنه لا قيمة له، والصواب أن المراد بذلك الملائكة، فإن قلنا: إن المراد بالكتاب المكنون الصحف التي بأيديهم فواضح في قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ وإذا قيل: المراد به اللوح المحفوظ فكذلك المطهرون قد يمسونه بأمر الله ﷻ، وقد لا يمسونه.

(٤) قراءة: قَرَأَ (مَا يَمَسُّهُ) ابْنُ مَسْعُودٍ، وَلَيْسَ فِي الْمُتَوَاتِرِ إِلَّا (لَا يَمَسُّهُ).

(٥) انظر الطبري (٢٧/ ٢٠٩).

وقال ابن زيد: زَعَمت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين، فأخبر الله تعالىٰ أنه لا يمسه إلا المطهرون كما قال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠-٢١٢].

وهذا القول قولٌ جيدٌ، وهو لا يخرج عن الأقوال التي قبله.

وقال الفراء: لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به.

وقال آخرون: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ أي: من الجنابة والحدث. قالوا: ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب، قالوا: والمراد بالقرآن هاهنا المصحف، كما روىٰ مسلم، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ نهىٰ أن يُسَافَرَ بالقرآن إلىٰ أرض العدو، مخافة أن يناله العدو (١).

واحتجوا في ذلك بما رواه الإمام مالك في «موطئه»، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حَزم: أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم: ألا يمس القرآن إلا طاهر. وروىٰ أبو داود في المراسيل، من حديث الزهري قال: قرأت في صحيفة عند أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم: أن رسول الله ﷺ قال: «**وَلَا يَمَسَّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ**» (٢).

وهذه وِجَادةٌ جيدةٌ. قد قرأها الزهري وغيره، ومثل هذا ينبغي الأخذ به. وقد أسنده الدارقطني عن عمرو بن حزم، وعبد الله بن عمر، وعثمان بن أبي العاص، وفي إسناد كلٍّ منها نظرٌ، والله أعلم.

وقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ أي: هذا القرآن منزلٌ من الله رب العالمين، وليس هو كما يقولون: إنه سحرٌ، أو كهانةٌ، أو شِعرٌ، بل هو الحق الذي لا مِرْية فيه، وليس وراءه حقٌّ نافعٌ.

وقوله: ﴿أَفَبِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ قال العَوْفِيّ، عن ابن عباس: أي مكذبون غير مصدقين؟! وكذا قال الضحاك، وأبو حَزْرَة، والسُّدِّي.

وقال مجاهد: ﴿مُّدْهِنُونَ﴾ أي: تريدون أن تمالئوهم فيه وتركنوا إليهم.

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال بعضهم: يعني: وتجعلون رزقكم بمعنىٰ شكركم «أنكم تكذبون»، [أي: تكذبون بدل الشكر.

وقد روي عن علي، وابن عباس أنهما قرآها: «وتجعلون شُكْرَكُم (٣) أنَّكم تكذبون»] (٤) كما سيأتي.

---

(١) رواه مسلم (١٨٦٩).

(٢) ثبت من طرق لا يخلو كل منها من مقال كما قال ابن كثير، وبهذه الشواهد صححه الشيخ الألباني. انظر «الإرواء» (١/ ١٦٠).

(٣) قراءة: قَرَأَ (شُكْرَكُمْ) عَلِيٌّ وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَلَيْسَ فِي الْمُتَوَاتِرِ إِلَّا (رِزْقَكُمْ).

(٤) سقط من (ز).

وقال ابن جرير: وقد ذكر عن [الهيثم][١] بن عدي: أن من لغة أزد شَنوءَةَ: ما رزق فلانٌ بمعنىٰ: ما شكر فلان.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا إسرائيل، عن عبد الأعلىٰ، عن أبي عبد الرحمن، عن عليط قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾، يقول: «شُكْرَكُمْ ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾، تَقُولُونَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، بِنَجْمِ كَذَا وَكَذَا»[٢].

وهكذا رواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن مُخَوَّل بن إبراهيم النهدي -وابن جرير، عن محمد بن المثنىٰ، عن عبيد الله بن موسىٰ، وعن يعقوب بن إبراهيم، عن يحيىٰ بن أبي بُكَيْرٍ، ثلاثتهم عن إسرائيل به مرفوعًا. وكذا رواه الترمذي، عن أحمد بن مَنِيعٍ، عن حسين بن محمد -وهو المروزي- به. وقال: «حسنٌ غريبٌ». وقد رواه سفيان، عن عبد الأعلىٰ، ولم يرفعه.

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جُبَيْرٍ، عن ابن عباس قال: ما مُطِرَ قومٌ قَطُّ إلا أصبح بعضهم كافرًا يقولون: مُطِرْنَا بنوء كذا وكذا. وقرأ ابن عباس: «وتجعلون شُكْرَكُم أنكم تُكَذِّبون»[٣].

وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلىٰ ابن عباس.

وقال مالك في «الموطأ»، عن صالح بن كَيْسَان، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن زيد بن خالد الجُهَني أنه قال: صلىٰ بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء[٤] كانت من الليل، فلما انصرف أقبل علىٰ الناس فقال: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوَاكِبِ. وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا. فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوَاكِبِ»[٥].

أخرجاه في «الصحيحين»، وأبو داود، والنسائي، كلهم من حديث مالك به.

وقال مسلم: حدثنا محمد بن سلمة المرادي، وعَمْرو بن سَوّاد، حدثنا عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث؛ أن أبا يونس حَدَّثه، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ بَرَكَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ بِهَا كَافِرِينَ، يَنْزِلُ الغَيْثُ، فَيَقُولُونَ: بِكَوْكَبِ كَذَا وَكَذَا»[٦].

تَفَرَّد به مسلم من هذا الوجه.

---

(١) في (ز): (القاسم)، والمثبت هو الصواب.

(٢) **ضعيف**: رواه أحمد (١/ ١٠٨)، ورواه الترمذي (٣٢٩١)، والطبري (٢٧/ ٢٠٧)، وفيه عبد الأعلىٰ بن عامر: ضعيف.

(٣) رواه الطبري (٢٧/ ٢٠٨)، وإسناده صحيح.

(٤) أي: مطر.

(٥) **صحيح**: رواه مالك في «الموطأ» (١/ ١٧٠)، ومن طريقه رواه البخاري (٨٤٦) (١٠٣٨) (٤١٤٧) (٧٥٠٣)، ومسلم (٧١)، وأبو داود (٣٩٠٦)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٨٣٣).

(٦) رواه مسلم (٧٢). كتاب الإيمان، باب: مطرنا بالنوء.

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا سفيان، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ لَيُصَبِّحُ القَوْمَ بِالنِّعْمَةِ أَوْ يُمَسِّيهِمْ بِهَا فَيُصْبِحُ بِهَا قَوْمٌ كَافِرِينَ يَقُولُونَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا**»(١).

قال محمد -هو ابن إبراهيم-: فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب، فقال: ونحن قد سمعنا من أبي هُرَيرة، وقد أخبرني من شهد عمر بن الخطاب ﷺ، وهو يستسقي، فلما استسقىٰ التفت إلىٰ العباس فقال: يا عباس، يا عم رسول الله، كم بقي من نوء الثريا؟ فقال: العلماء يزعمون أنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعًا. قال: فما مضت سابعة حتىٰ مُطِروا(٢).

وهذا مَحمولٌ علىٰ السؤال عن الوقت الذي أجرىٰ الله فيه العادة بإنزال المطر، لا أن ذلك النوء يؤثر بنفسه في نزول المطر؛ فإن هذا هو المنهي عن اعتقاده. وقد تقدم شيءٌ من هذه الأحاديث عند قوله: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر:٢].

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا سفيان، عن إسماعيل بن أمية -أحسبه أو غيره- أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا -ومطروا- يقول: مُطِرنا ببعض [عثانين(٣)](٤) الأسد. فقال: «**كَذَبْتَ! بَلْ هُوَ رِزْقُ اللهِ**»(٥).

ثم قال ابن جرير: حدثني أبو صالح الصراري، حدثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك الأزدي، حدثنا جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: «**مَا مُطِرَ قَوْمٌ مِنْ لَيْلَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ قَوْمٌ بِهَا كَافِرِينَ**». ثم قال: «**﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ يَقُولُ قَائِلٌ: مُطِرْنَا بِنَجْمِ كَذَا وَكَذَا**»(٦).

وفي حديث عن أبي سعيد مرفوعًا: «**لَوْ قُحِطَ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ مُطِرُوا لَقَالُوا: مُطِرْنَا بِنَوْءِ المِجْدَحِ**(٧)»(٨).

وقال مجاهد: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال: قولهم في الأنواء: مُطِرنا بنوء كذا، وبنوء كذا، يقول: قولوا: هو من عند الله، وهو رزقه. وهكذا قال الضحاك وغير واحدٍ.

---

(١) حسن: رواه الطبري (٢٧/ ٢٠٨)، وهو شاهد لما قبله.

(٢) رواه الطبري (٢٧/ ٢٠٨)، والبيهقي (٣/ ٣٥٩) برقم ٦٢٤٧ والحميدي (٢/ ٤٣٢).

(٣) العَثانِين: المَطر بين السحاب والأرض مثل السَّبَل، والسَّبَل: المطر بين السحاب والأرض حين يخرج من السحاب ولم يصل إلىٰ أرض.

(٤) في (ز): (عانين)، والمثبت موافق لما في «الطبري».

(٥) ضعيف: رواه الطبري (٢٧/ ٢٠٨)، وإسناده منقطع.

(٦) رواه الطبري (٢٧/ ٢٠٩)، وفيه محمد بن عبد الملك الأزدي: ليس بالقوي. انظر: «الجرح والتعديل» (٨/ ٥).

(٧) المِجدح: نجم من النجوم، قيل: هو الدبران.

(٨) ضعيف: رواه أحمد (٣/ ٧)، وفيه عتاب بن حنين: مقبول كما في «التقريب».

وقال قتادة: أما الحسن فكان يقول: بئس ما أخذ قومٌ لأنفسهم، لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب. فمعنىٰ قول الحسن هذا: وتجعلون حظكم من كتاب الله أنكم تكذبون به؛ ولهذا قال قبله: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾

يقول تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ﴾ أي: الروح ﴿ٱلْحُلْقُومَ﴾ [أي: الحلق] [١]، وذلك حين الاحتضار كما قال: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٢٦، ٣٠]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ أي: إلىٰ المحتضر وما يُكابده من سكرات الموت، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ أي: بملائكتنا ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ أي: ولكن لا ترونهم. كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦١، ٦٢].

وقوله: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ﴾: معناه: فهلا ترجعُون هذه النفس التي قد بلغت الحلقوم إلىٰ مكانها الأول، ومقرها في الجسد إن كنتم غير مدينين؟

قال ابن عباس: يعني محاسبين. ورُوي عن مجاهد، وعِكْرِمَة، والحسن، وقتادة، والضحاك، والسُّدِّي، وأبي حَزْرَة، مثله.

وقال سعيد بن جُبَيْرٍ، والحسن البَصْري: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ غير مصدقين أنكم تُدانون وتبعثون وتجزون، فردوا هذه النفس. وعن مجاهد: ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ غير موقنين. وقال ميمون بن مِهْران: غير معذبين مقهورين.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ [٢] ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم: إما أن يكون من المقربين، أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين. وإما أن يكون من المكذبين الضالين عن الهدىٰ، الجاهلين بأمر الله؛

(١) سقط من (ز).

(٢) قال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإكليل»: استدل بالآيات هذه علىٰ أن الروح بعد مفارقة البدن منعّمة أو معذّبة، وعلىٰ أن مقر أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكافرين في النار.

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ أي: المحتضر، ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾، وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات، ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ أي: فلهم روحٌ وريحانٌ، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت، كما تقدم في حديث البراء: أن ملائكة الرحمة تقول: «أَيَّتُهَا الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ فِي الجَسَدِ الطَّيِّبِ كُنْتِ تَعْمُرِينَهُ، اخْرُجِي إِلَىٰ رَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ».

قال علي بن طلحة، عن ابن عباس: ﴿فَرَوْحٌ﴾ يقول: راحة وريحان، يقول: مستراحة.

وكذا قال مجاهد: إن الروح الاستراحة.

وقال أبو حَزْرَة: الراحة من الدنيا. وقال سعيد بن جُبَيْر، والسُّدِّي: الروح: الفرح. وعن مجاهد: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾: جنةٌ ورخاءٌ. وقال قتادة: فروح ورحمة. وقال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير: ﴿وَرَيْحَانٌ﴾: ورزق.

وكل هذه الأقوال متقاربةٌ صحيحةٌ، فإن من مات مقربًا حصل له جميعُ ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة، والفرح والسرور والرزق الحسن، ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾.

وقال أبو العالية: لا يفارق أحدٌ من المقربين حتىٰ يُؤْتَىٰ بغصن من ريحان الجنة، فيقبض روحه فيه.

وقال محمد بن كعب: لا يموت أحدٌ من الناس حتىٰ يعلم أمن أهل الجنة هو أم من أهل النار؟

وقد قدمنا أحاديث الاحتضار عند قوله تعالىٰ في سورة إبراهيم: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، ولو كتبت هاهنا لكان حسنًا! ومن جملتها حديث تميم الداري، عن النبي ﷺ يقول: «يَقُولُ اللهُ لِمَلَكِ المَوْتِ: انْطَلِقْ إِلَىٰ [فُلَانٍ فَأْتِنِي بِهِ، فَإِنَّهُ قَدْ جَرَّبْتُهُ بِالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ](١) فَوَجَدْتُهُ حَيْثُ أُحِبُّ، ائْتِنِي بِهِ فَلَأُرِيحَنَّهُ. قَالَ: فَيَنْطَلِقُ إِلَيْهِ مَلَكُ المَوْتِ وَمَعَهُ خَمْسُمِائَةٍ مِنَ المَلَائِكَةِ، مَعَهُمْ أَكْفَانٌ وَحَنُوطٌ مِنَ الجَنَّةِ، وَمَعَهُمْ ضَبَائِرُ الرَّيْحَانِ، أَصْلُ الرَّيْحَانَةِ وَاحِدٌ وَفِي رَأْسِهَا عِشْرُونَ لَوْنًا، لِكُلِّ لَوْنٍ مِنْهَا رِيحٌ سِوَىٰ رِيحِ صَاحِبِهِ، وَمَعَهُمُ الحَرِيرُ الأَبْيَضُ فِيهِ المِسْكُ»(٢).

وذكر تمام الحديث بطوله كما تقدم، وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية:

قال الإمام أحمد: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا هارون، عن بُدَيل بن ميسرة، عن عبد الله بن [شَقِيق](٣)، عن عائشة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ برفع الراء(٤).

---

(١) بياض في (ز).
(٢) ضعيف: علته يزيد الرقاشي: ضعيف.
(٣) في (ز): (سفيان)، وهو خطأ.
(٤) صححه الألباني: رواه أحمد (٦/ ٦٤)، وأبو داود (٣٩٩١)، والترمذي (٢٩٣٩)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٥٦٦).

وكذا رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، من حديث هارون -وهو ابن موسىٰ الأعور- به، وقال الترمذي: لا نعرفه إلا من حديثه.

وهذه القراءة هي قراءة يعقوب وحده، وخالفه الباقون فقرءوا: ﴿فَرَوْحٌ﴾ بفتح الراء(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لَهيعَةَ، حدثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل أنه سمع درّة بنت معاذ تحدث عن أم هانئ: أنها سألت رسول الله ﷺ: أنتزاور إذا متنا ويرىٰ بعضنا بعضًا؟ فقال رسول الله ﷺ: «تَكُونُ النَسَمُ(٢) طَيْرًا يَعْلُقُ بِالشَّجَرِ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ دَخَلَتْ كُلُّ نَفْسٍ فِي جَسَدِهَا»(٣).

هذا الحديث فيه بشارةٌ لكل مؤمنٍ، ومعنىٰ «يَعْلُقُ»: يأكل، ويشهد له بالصحة أيضًا ما رواه الإمام أحمد، عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي، عن الإمام مالك بن أنس، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّمَا نَسَمَةُ المُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الجَنَّةِ حَتَّىٰ يُرْجِعَهُ اللهُ إِلَىٰ جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»(٤). وهذا إسنادٌ عظيمٌ، ومتنٌ قويمٌ.

وفي «الصحيح»: [أن رسول الله ﷺ قال:](٥) «إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ فِي الجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَىٰ قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ بِالعَرْشِ...»(٦) الحديث.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا همام، حدثنا عطاء بن السائب قال: كان أول يوم عرفت فيه عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ: رأيت شيخًا أبيض الرأس واللحية علىٰ حمار، وهو يتبع جنازةً، فسمعته يقول: حدثني فلان بن فلان، سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ». قال: فَأَكَبَّ القوم يبكون فقال: «مَا يُبْكِيكُمْ؟» فقالوا: إنَّا نكره الموت. قال: «لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّهُ إِذَا حُضِرَ ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ فَإِذَا بُشِّرَ بِذَلِكَ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ ﷻ، وَاللهُ ﷻ لِلِقَائِهِ أَحَبُّ ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ فَإِذَا بُشِّرَ بِذَلِكَ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، وَاللهُ لِلِقَائِهِ أَكْرَهُ»(٧).

---

(١) متواترة: قَرَأَ (فَرُوحٌ) رُوَيْسٌ وَرَوْحٍ بِخُلْفٍ عَنْهُ وَوَافَقَهُمَا الْحَسَنُ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (فَرَوْحٌ).

(٢) النَّسَم: واحدها نسمة، وهي: الروح.

(٣) ضعيف: رواه أحمد (٦/ ٤٢٤)، وفيه ابن لهيعة: اختلط، والحديث الذي بعده لا يصلح شاهدًا له؛ لأنه يخصه بالمؤمن، وأما هذا فعلىٰ عمومه.

(٤) صحيح: رواه أحمد (٣/ ٤٥٥)، وابن ماجة (٤٢٧١)، والنسائي (٤/ ١٠٨).

(٥) سقط من (ز). (٦) رواه مسلم (١٨٨٧).

(٧) رواه أحمد (٤/ ٢٥٩)، ورجاله ثقات إلا أن عطاء اختلط، لكن المرفوع من الحديث ثابت في «صحيح مسلم». انظر التعليق الآتي.

هكذا رواه الإمام أحمد، وفي «الصحيح» عن عائشة رضي الله عنها شاهدٌ لمعناه[١].

وقوله: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ أي: وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين، ﴿فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ أي: تبشرهم الملائكة بذلك، تقول لأحدهم: سلام لك؛ أي: لا بأس عليك، أنت إلىٰ سلامةٍ، أنت من أصحاب اليمين.

وقال قتادة وابن زيد: سَلِمَ من عذاب الله، وسَلَّمت عليه ملائكة الله. كما قال عِكْرِمَة: تسلم عليه الملائكة، وتخبره أنه من أصحاب اليمين.

وهذا معنًىٰ حسنٌ، ويكون ذلك كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

وقال البخاري: ﴿فَسَلَٰمٞ لَّكَ﴾ أي: مُسلم لك أنك من أصحاب اليمين. وألغيت [«إن»][٢] وهو: معناها. كما تقول: أنت مُصَدق مسافر عن قليل. إذا كان قد قال: إني مسافرٌ عن قليلٍ. وقد يكون كالدعاء له، كقولك: سقيًا لك من الرجال، إن رفعت «السَّلام» فهو من الدعاء.

وقد حكاه ابن جرير هكذا عن بعض أهل العربية، ومال إليه، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ۝٩٣ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ أي: وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق، الضالين عن الهدىٰ ﴿فَنُزُلٞ﴾ أي: فضيافة ﴿مِّنۡ حَمِيمٖ﴾ وهو [المذاب][٣] الذي يصهر به ما في بطونهم والجلود، ﴿وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ أي: وتقرير له في النار التي تغمره من جميع جهاته.

ثم قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ أي: إن هذا الخبر لهو حق اليقين الذي لا مرية فيه، ولا محيد لأحدٍ عنه.

﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ قال أحمد:

حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا موسىٰ بن أيوب الغافقي، حدثني عمِّي إياس بن عامر، عن عقبة بن عامر الجهني قال: لما نزلت علىٰ رسول الله ﷺ: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ قال: «اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ»

---

(١) رواه مسلم (٢٦٨٤).

(٢) في (ز): (من).

(٣) سقط من (ز).

ولما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١]، قال رسول الله ﷺ: «**اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ**» (١).

وكذا رواه أبو داود، وابن ماجة من حديث عبد الله بن المبارك، عن موسىٰ بن أيوب به.

وقال روح بن عبادة: حدثنا حَجَّاجُ الصَّوافُ، عن أبي الزبير، عن جابرٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ**» (٢).

هكذا رواه الترمذي من حديث روح، ورواه هو والنسائي أيضًا من حديث حماد بن سلمة، من حديث أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ، وقال الترمذي: حسنٌ غريبٌ، لا نعرفه إلا من حديث أبي الزبير.

وقال البخاري في آخر كتابه (٣): حدثنا أحمد بن إشكاب، حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا عُمارة بن القعقاع، عن أبي زُرْعَةَ، عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ**» (٤).

ورواه بقية الجماعة إلا أبا داود، من حديث محمد بن فضيل، بإسناده، مثله (٥).

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٥٥)، وإياس بن عامر الغافقي، لم يرو عنه غير ابن أخيه موسىٰ بن أيوب، وذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

والحديث عند الدارمي (١٣٠٥)، وابن خزيمة (٦٠٠، ٦٧٠)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٨٨٩)، والحاكم (٢/ ٤٧٧) بهذا الإسناد.

وأما الرواية الأخرىٰ فهي عند أبي داود (٨٦٩)، وابن ماجة (٨٨٧).

(٢) رواه الترمذي (٣٤٦٤)، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

ورواه الترمذي (٣٤٦٥)، من رواية حماد بن سلمة به.

(٣) أي: «صحيح البخاري».

(٤) رواه البخاري (٧٥٦٣).

(٥) رواه مسلم (٢٦٩٤)، والترمذي (٣٤٦٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٦٦٦)، وابن ماجة (٣٨٠٦).

سُورَةُ الحَدِيدِ

تَفسيرُ سُورَةِ الحَدِيدِ، وهِيَ مَدَنِيَّةٌ

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن عبد ربه، حدثنا بَقِيَّة بن الوليد، حدثني بحير بن سعد، عن خالد بن مَعْدَان، عن ابن أبي بلال، عن عِرْبَاض بن سارية، أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد، وقال: «إِنَّ فِيهِنَّ آيَةً أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ آيَةٍ»[(١)].

وهكذا رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، من طرق عن بقية به، وقال الترمذي: حسن غريب.

ورواه النسائي عن ابن [أبي السرح][(٢)]، عن ابن وهب، عن معاوية بن صالح، عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان قال: كان رسول الله ﷺ... فذكره[(٣)] مُرْسَلًا لم يذكر عبد الله بن أبي بلال، ولا العرباض بن سارية.

والآية المشار إليها في الحديث هي-والله أعلم-قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ كما سيأتي بيانه إن شاء الله وبه الثقة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ[(٤)]

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾

يخبر تعالىٰ أنه يسبح له ما في السموات والأرض؛ أي: من الحيوانات والنباتات، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:٤٤].

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: الذي قد خضع له كل شيء ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في خلقه، وأمره، وشرعه، ﴿لَهُۥ

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٢٨)، وأبو داود (٥٠٥٧)، والترمذي (٢٩٢٢)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٥٤٩)، وبقية بن الوليد: يدلس تدليس التسوية فلا بد من تصريحه بالسماع في كل طبقات الإسناد، والحديث ضعفه الشيخ الألباني.

(٢) في (ز): (عن ابن المرح)، وهو خطأ.

(٣) في (ز): (يذكره).

(٤) لوحة (٣٤ أ).

﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي: هو المالك المتصرف في خلقهِ فيحيي ويميت، ويعطي من يشاء ما يشاء، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

وقوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ وهذه الآية هي المشار إليها في حديث العرباض بن سارية: أنها أفضل من ألف آية.

وقال أبو داود: حدثنا عباس بن عبد العظيم، حدثنا النضر بن محمد، حدثنا عكرمة -يعنى بن عمار- حدثنا أبو زُمَيْل قال: سألت ابن عباس فقلت: ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟ قلت: والله لا أتكلم به قال: فقال لي: أشيء من شكٍّ؟ قال -وضحك -قال: ما نجا من ذلك أحد قال حتىٰ أنزل الله ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ الآية [يونس:٩٤] قال: وقال لي: إذا وجدت في نفسك شيئًا فقل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١).

وقد اختلفت عبارات المفسرين في هذه الآية وأقوالهم علىٰ نحو من بضعة عشر قولًا.

وقال البخاري: قال يحيىٰ: الظاهر علىٰ كل شيءٍ علمًا والباطن علىٰ كل شيءٍ علمًا.

قال شيخنا الحافظ المزيّ: يحيىٰ هذا هو بن زياد الفراء، له كتاب سماه: «معاني القرآن» (٢).

وقد ورد في ذلك أحاديث، فمن ذلك ما قال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا ابن عياش، عن سُهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ كان يدعو عند النوم: **«اللَّهُمَّ، رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالفُرْقَانِ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَىٰ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ (٣) شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ لَيْسَ (٤) فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ لَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ. اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ»** (٥).

ورواه مسلم في «صحيحه»: حدثني زهير بن حرب، [حدثنا جرير] (٦) عن سُهَيل قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام: **«أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَىٰ شِقِّهِ الأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ، رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الأَرْضِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَىٰ، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ**

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٥١١٠)، وحسن إسناده الشيخ الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٢٦٢).

(٢) انظر ترجمته في «مقدمة التحقيق» في التعريف بأعلام المفسرين.

(٣) لوحة (٣٤ ب).

(٤) في (ز): (ليس يعني فوقك)، والمثبت هو الصواب.

(٥) رواه أحمد (٢/ ٤٠٤).

(٦) ليست في (ز)، والمثبت كما في «صحيح مسلم».

شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ». وكان يروي ذلك، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ(١).

وقد روىٰ الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي في «مسنده» عن عائشة أم المؤمنين نحو هذا، فقال: حدثنا عقبة، حدثنا يونس، حدثنا السري بن إسماعيل، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يأمر بفراشه فيفرش له مستقبل القبلة، فإذا أوىٰ إليه توسد كفه اليمنىٰ، ثم همس -ما يدرىٰ ما يقول- فإذا كان في آخر الليل رفع صوته فقال: «اللَّهُمَّ، رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، إِلَهَ كُلِّ شَيْءٍ، وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالفُرْقَانِ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَىٰ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ»(٢) السري بن إسماعيل هذا ابن عم الشعبي، وهو ضعيفٌ جدًّا، والله أعلم.

وقال أبو عيسىٰ الترمذي عند تفسير هذه الآية: حدثنا عبدُ بن حميد وغير واحد -المعنىٰ واحد- قالوا: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا شيبان بن عبد الرحمن، عن قتادة قال: حدث الحسن، عن أبي هريرة قال: بينما رسول الله ﷺ جالسٌ وأصحابه، إذ أتىٰ عليهم سَحَابٌ فقال نبي الله ﷺ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «هَذَا العَنَانُ(٣)، هَذِهِ رَوَايَا الأَرْضِ تَسُوقُهُ إِلَىٰ قَوْمٍ لا يَشْكُرُونَهُ(٤) وَلا يَدْعُونَهُ(٥)». ثم قال: «هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَكُمْ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم قال «فَإِنَّهَا الرَّقِيعُ(٦)، سَقْفٌ مَحْفُوظٌ، وَمَوْجٌ مَكْفُوفٌ(٧)». ثم قال: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ». ثم قال: «هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «فَإِنَّ فَوْقَ ذَلِكَ سَمَاءً بُعْدُ مَا بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ -حَتَّىٰ عدَّ سبع سموات- مَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ». ثم قال: «هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فَإِنَّ فَوْقَ ذَلِكَ العَرْشَ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ بُعْدُ(٨) مِثْلِ مَا بَيْنَ السَّمَاءَيْنِ». ثم قال: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الَّذِي تَحْتَكُمْ؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فَإِنَّهَا الأَرْضُ». ثم قال: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الَّذِي تَحْتَ ذَلِكَ؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فَإِنَّ تَحْتَهَا أَرْضًا أُخْرَىٰ

---

(١) رواه مسلم (٢٧١٣).

(٢) رواه أبو يعلىٰ (٤٧٤٤)، وفيه السري بن إسماعيل: متروك، لكن يكفي في صحة الحديث ما تقدم.

(٣) العنان: السحاب، والروايا من الإبل: الحوامل للماء، شبه السحاب بها.

(٤) لوحة (٣٥أ).

(٥) أي: لا يعبدونه.

(٦) الرقيع: اسم لسماء الدنيا.

(٧) أي: ممنوع من الاسترسال، حُفظت أن تقع علىٰ الأرض.

(٨) في (ز): (من بعد)، والمثبت كما في «جامع الترمذي».

بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ -حتىٰ عدَّ سبع أرضين- بَيْنَ كُلِّ أَرْضَيْنِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ». ثم قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّكُمْ دَلَّيْتُمْ بِحَبْلٍ إِلَىٰ الأَرْضِ السُّفْلَىٰ لَهَبَطَ عَلَىٰ اللهِ»، ثم قرأ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(١).

ثم قال الترمذي: هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه، ويُروىٰ عن أيوب ويونس -يعني بن عبيد- وعلي بن زيد قالوا: لم يسمع الحسن من أبي هريرة. وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا: إنما هَبَطَ علىٰ علْم الله وقدرته وسلطانه، وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان، وهو علىٰ العرش، كما وصف في كتابه. انتهىٰ كلامه.

وقد روىٰ الإمام أحمد هذا الحديث عن سُريج(٢)، عن الحكم بن عبد الملك، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، فذكره، وعنده: «بُعْدُ مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ»، وقال: «لَوْ دَلَّيْتُمْ أَحَدَكُمْ بِحَبْلٍ إِلَىٰ الأَرْضِ السُّفْلَىٰ السَّابِعَةِ لَهَبَطَ عَلَىٰ اللهِ»، ثم قرأ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٣).

ورواه بن أبي حاتم والبزار من حديث أبي جعفر الرازي، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة... فذكر الحديث، ولم يذكر بن أبي حاتم آخره وهو قوله: «لَوْ دَلَّيْتُمْ بِحَبْلٍ»، وإنما قال: «حَتَّىٰ عَدَّ سَبْعَ أَرَضِينَ، بَيْنَ كُلِّ أَرْضَيْنِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ»، ثم تلا ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٤).

وقال البزار: لم يروه عن النبي ﷺ إلا أبو هريرة(٥).

ورواه ابن جرير، عن بشر، عن يزيد، عن سعيد، عن قتادة: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ ذكر لنا أن نبي الله ﷺ بينما هو جالسٌ في أصحابه إذ ثار عليهم سحابٌ، فقال: «هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» وذكر الحديث مثل سياق الترمذي سواء، إلا أنه مرسلٌ من هذا الوجه، ولعل هذا هو المحفوظ(٦)، والله أعلم. وقد روي من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه وأرضاه، رواه البزار في «مسنده»، والبيهقي في كتاب

---

(١) ضعيف: رواه الترمذي (٣٢٩٤)، وأحمد (٢/ ٣٧١).
والحسن لم يسمع من أبي هريرة، فالحديث ضعيف. وأيضًا في الإسناد قتادة وهو مدلس وقد عنعن، والرواية التي بعده عن أبي ذر لا تصلح شاهدًا فقد حكم بغرابته ونكارته ابن كثير، وقال الذهبي في «التذكرة»: والخبر منكر.

(٢) في (ز): (عن شريح)، والمثبت موافق لما في «المسند».

(٣) انظر التعليق قبل السابق.

(٤) ضعيف: وأبو جعفر الرازي: قال الإمام أحمد: مضطرب الحديث، وقتادة والحسن كلاهما مدلس ولم يصرحا بالسماع، فالحديث ضعيف.

(٥) لوحة (٣٥ ب).

(٦) ضعيف: إسناده مرسل.

«الأسماء والصفات» ولكن في إسناده نظرٌ، وفي متنه غرابةٌ ونكارةٌ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم (١).

وقال ابن جرير عند قوله تعالىٰ ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:١٢] حدثنا ابن عبد الأعلىٰ، حدثنا ابن ثور، عن مَعْمَرٍ، عن قتادة قال: التقىٰ أربعة من الملائكة بين السماء والأرض، فقال بعضهم لبعض: من أين جئت؟ قال أحدهم: أرسلني ربي ﷻ من السماء السابعة وتركته ثَمّ، قال الآخر: أرسلني ربي ﷻ من الأرض السابعة وتركته ثَمّ، قال الآخر: أرسلني ربي من المشرق وتركته ثَمّ، قال الآخر: أرسلني ربي من المغرب وتركته ثَمّ (٢). وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا، وقد يكون الحديث الأول موقوفًا علىٰ قتادة كما روي هاهنا من قوله، والله أعلم.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾

يخبر تعالىٰ عن خلقه السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام (٣)، ثم أخبر باستوائه علىٰ العرش بعد خلقهن، وقد تقدم الكلام علىٰ هذه الآية وأشباهها في سورة «الأعراف» بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يعلم عدد ما يدخل فيها من حب وقطر ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من زرع ونَبات وثمار، كما قال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

وقوله: ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: من (٤) الأمطار، والثلوج والبرَد، والأقدار والأحكام مع الملائكة الكرام، وقد تقدم في سورة «البقرة» أنه ما ينزل من قطرة من السماء إلا ومعها ملك يُقرّرها

---

(١) ضعيف: رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٨٩)، ورواه ابن الجوزي في «العلل» (١/ ٢٧) وقال: هذا حديث منكر، وقال الذهبي في «تذكرة الحفاظ»: الخبر منكر.

(٢) الطبري (٢٧/ ١٥٤)، وإسناده مرسل، وقتادة مدلس وقد عنعنه.

(٣) قال ابن عثيمين رحمه الله: إذا قال قائل: أليس الله قادرًا علىٰ أن يخلقها في لحظة؟
فالجواب: بلىٰ؛ لأن أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون، وإنما خلقها في ستة أيام -والله أعلم- لحكمتين: الحكمة الأولىٰ: أن هذه المخلوقات يترتب بعضها علىٰ بعض، فرتب الله تعالىٰ بعضها علىٰ بعض حتىٰ أحكمها، وانتهىٰ منها في ستة أيام. الحكمة الثانية: أن الله علّم عباده التؤدة والتأني، وأن الأهم إحكام الشيء لا الفراغ منه، حتىٰ يتأنىٰ الإنسان فيما يصنعه، فعلم الله سبحانه عباده التأني في الأمور التي هم قادرون عليها، وكلا الأمرين وجيه، وقد تكون هناك حكم أخرىٰ لا نعلمها، ومع هذا لا نجزم به ونقول: الله أعلم.

(٤) لوحة (٣٦ أ).

في المكان الذي يأمر الله به حيث يشاء تعالىٰ.

وقوله: ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أي: من الملائكة والأعمال، كما جاء في «الصحيح»: «يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ»(١).

وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: رقيبٌ عليكم، شهيدٌ علىٰ أعمالكم حيث أنتم، وأين كنتم، من بر أو بحر، في ليل أو نهار، في البيوت أو القفار، الجميع في علمه علىٰ السواء، وتحت بصره وسمعه، فيسمع كلامكم ويرىٰ مكانكم، ويعلم سركم ونجواكم(٢)، كما قال: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود: ٥]. وقال: ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]، فلا إله غيره ولا رب سواه. وقد ثبت في «الصحيح» أن رسول الله ﷺ قال لجبريل، لما سأله عن الإحسان: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»(٣).

وروىٰ الحافظ أبو بكر الإسماعيلي من حديث نصر بن خزيمة بن جنادة بن محفوظ بن علقمة، حدثني أبي، عن نصر بن علقمة، عن أخيه، عن عبد الرحمن بن عائذ قال: قال عمر: جاء رجلٌ إلىٰ النبي ﷺ فقال: زودني كلمة أعيش بها فقال: «اسْتَحِ اللهَ كَمَا تَسْتَحِي رَجُلًا مِنْ صَالِحِ عَشِيرَتِكَ لا يُفَارِقُكَ».

هذا حديثٌ غريبٌ، وروىٰ أبو نعيم من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري(٤) مرفوعًا: «ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ الإِيمَانَ: مَنْ عَبَدَ اللهَ وَحْدَهُ، وَأَعْطَىٰ زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ فِي كُلِّ عَامٍ، وَلَمْ يُعْطِ الهَرِمَةَ وَلَا الدَّرِنَةَ(٥)، وَلَا الشَّرَطَ(٦) اللَّئِيمَةَ وَلَا المَرِيضَةَ وَلَكِنْ مِنْ أَوْسَطِ أَمْوَالِكُمْ. وَزَكَّىٰ

---

(١) رواه مسلم (١٧٩).

(٢) قال القاسمي رحمه الله: قال الإمام موفق الدين بن قدامة المقدسي رحمه الله في كتاب «ذم التأويل»: فإن قيل: فقد تأولتم آيات وأخبارًا، فقلتم في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ أي: بالعلم، ونحو هذا من الآيات والأخبار، فيلزمكم ما لزمنا؟ قلنا: نحن لم نتأول شيئًا، وحملُ هذه اللفظات علىٰ هذه المعاني ليس بتأويل؛ لأن التأويل صرف اللفظ عن ظاهره، وهذه المعاني هي الظاهر من هذه الألفاظ، بدليل أنه المتبادر إلىٰ الإفهام منها. وظاهر اللفظ هو ما يسبق إلىٰ الفهم منه، حقيقة كان أو مجازًا، ولذلك كان ظاهر الأسماء العرفية، المجاز دون الحقيقة، كاسم الراوية والظعينة وغيرهما من الأسماء العرفية، فإن ظاهر هذا المجاز دون الحقيقة، وصرفها إلىٰ الحقيقة يكون تأويلًا يحتاج إلىٰ دليل، وكذلك الألفاظ التي لها عرف شرعيّ وحقيقة لغوية، كالوضوء والطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحج، إنما ظاهرها العرف الشرعيّ دون الحقيقة اللغوية. وإذا تقرر هذا فالمتبادر إلىٰ الفهم من قولهم: إن الله معك؛ أي: بالحفظ والكلاءة؛ ولذلك قال تعالىٰ فيما أخبر عن نبيه ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

(٣) البخاري (٥٠) (٤٧٧٧)، ومسلم (٨، ٩، ١٠).

(٤) في (ز): (العامري)، وهو خطأ، وعبد الله بن معاوية الغاضري له صحبة، وانظر: «تهذيب الكمال» (١٦/ ١٦٣).

(٥) الهرمة: العجوز الكبيرة، والدرنة: الجرباء، والشَّرَط: رذال المال، وقيل: صغاره وشراره.

(٦) في (ز): (الشرطة)، والمثبت موافق لما في «سنن أبي داود».

نَفْسَهُ» فقال رجل: يا رسول الله، ما تزكية المرء نفسه؟ فقال: «يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ»(١).

وقال نُعَيْم بن حَمّاد رَحِمَهُ اللهُ: حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي(٢)، عن محمد بن مهاجر، عن عُرْوَةَ بن رُوَيم، عن عبد الرحمن بن غَنم، عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَفْضَلَ الإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ». غريب(٣).

وكان الإمام أحمد ينشد هذين البيتين:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلا تَقُل ... خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ: عَلَيَّ رَقِيبُ

وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفَلُ سَاعَةً ... وَلا أَنَّ مَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ يَغِيبُ

وقوله: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ أي: هو المالك للدنيا والآخرة كما قال: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾ [الليل: ١٣]، وهو المحمود علىٰ ذلك، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠]، وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سبأ: ١]. فجميع ما في السموات والأرض ملك له، وأهلهما عبيدٌ أرقاءُ أذلاء بين يديه كما قال: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣-٩٥]. ولهذا قال: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ أي: إليه المرجع يوم القيامة، فيحكم في خلقه بما يشاء، وهو العادل الذي لا يجور ولا يظلم مثقال ذرةٍ، بل إن يكن أحدهم عمل حسنةً واحدةً يضاعفها إلىٰ عشر أمثالها، ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ أي: هو المتصرف في الخلق، يقلب الليل والنهار ويقدرهما بحكمته كما يشاء، فتارةً يطول الليل ويقصر النهار، وتارةً بالعكس، وتارةً يتركهما معتدلين. وتارةً يكون الفصل شتاءً ثم ربيعًا ثم قيظًا ثم خريفًا، وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريده بخلقه، ﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: يعلم السرائر وإن دقت، وإن خفيت.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٥٨٢)، والبيهقي (٤/ ٩٥، ٩٦)، والطبراني في «الصغير» (١/ ٢٠١) من طريق عبد الله بن معاوية الغاضري به، والحديث صححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٠٤٦).

(٢) لوحة (٣٦ ب).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٢٤)، والطبراني في «الأوسط» (٨٧٩٦)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٦٥): (رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وقال: تفرد به عثمان بن كثير). وعثمان بن كثير: ثقة عابد كما في «التقريب»، وعروة بن رويم: صدوق يرسل كثيرًا.

﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(١) ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ(٢) ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾

أمر تعالىٰ بالإيمان به وبرسوله علىٰ الوجه الأكمل، والدوام والثبات علىٰ ذلك والاستمرار، وحث علىٰ الإنفاق مما جعلكم مستخلفين فيه؛ أي: مما هو معكم علىٰ سبيل العارية، فإنه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم، فأرشد تعالىٰ إلىٰ استعمال ما استخلفهم(٣) فيه من المال في طاعته، فإن(٤) يفعلوا وإلا حاسبهم عليه وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه.

وقوله: ﴿مِّمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ فيه إشارة إلىٰ أنه سيكون مخلفًا عنك، فلعل وارثك أن يطيع الله فيه، فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك، أو يعصي الله فيه فتكون قد سعيت في معاونته علىٰ الإثم والعدوان.

قال الإمامُ أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، سمعت قتادة يحدث، عن مُطَرِّف- يعني ابن عبد الله بن الشِّخِّير- عن أبيه قال: انتهيت إلىٰ رسول الله ﷺ وهو يقول: «﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر:١] يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي! وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ(٥) إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟»(٦).

ورواه مسلم من حديث شعبة، به وزاد: «وَمَا سِوَىٰ ذَلِكَ فَذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ»(٧).

وقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ترغيب في الإيمان والإنفاق في الطاعة، ثم قال: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ﴾؟ أي: وأي شيء يمنعكم من الإيمان والرسول بين أظهركم، يدعوكم إلىٰ ذلك ويبين لكم الحجج والبراهين علىٰ صحة ما جاءكم به؟ وقد روينا في الحديث من طُرُق في أوائل شرح «كتاب الإيمان» من «صحيح البخاري»: أن رسول الله ﷺ قال

(١) لوحة (٣٧ أ).

(٢) قال القاسمي رحمه الله في «الإكليل»: في الآية دليل علىٰ أن للصحابة مراتب، وأن الفضل للسابق، وعلىٰ تنزيل الناس منازلهم، وعلىٰ أن أفضلية العمل علىٰ قدر رجوع منفعته إلىٰ الإسلام والمسلمين؛ لأن الأجر علىٰ قدر النصب. انتهىٰ.

(٣) في (ز): (ما استخلفكم).

(٤) في (ز): (فإن لم تفعلوا).

(٥) في (ز): (وهل لك من مال)، والمثبت كما في «المسند»، وفي رواية له: «وما لك من مالك إلا...».

(٦) صحيح: رواه أحمد (٤/ ٢٤)، والحديث عند مسلم. انظر ما بعده.

(٧) رواه مسلم (٢٩٥٨).

يومًا لأصحابه: «أَيُّ المُؤْمِنِينَ[(١)] أَعْجَبُ إِلَيْكُمْ إِيمَانًا؟» قالوا: الملائكة. قال: «وَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ وَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟» قالوا: فالأنبياء. قال: «وَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ وَالوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ؟». قالوا: فنحن؟ قال: «وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ وَلَكِنْ أَعْجَبُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا قَوْمٌ يَجِيئُونَ بَعْدَكُمْ يَجِدُونَ صُحُفًا يُؤْمِنُونَ بِمَا فِيهَا»[(٢)].

وقد ذكرنا طرفًا من هذا في أول سورة «البقرة» عند قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣].

وقوله: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾ كما قال: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [المائدة:٧]. ويعني بذلك: بيعة الرسول ﷺ.

وزعم ابن جرير أن المراد بذلك: الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم، وهو مذهب مجاهد، فالله أعلم.

وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: حججًا واضحاتٍ، ودلائلَ باهراتٍ، وبراهينَ قاطعاتٍ، ﴿لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: من ظلمات الجهل والكفر والآراء المتضادة إلىٰ نور الهدىٰ واليقين والإيمان، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: في إنزاله الكتب وإرساله الرسل لهداية الناس، وإزاحة العلل وإزالة الشبه.

ولما أمرهم أولًا بالإيمان والإنفاق، ثم حثهم علىٰ الإيمان، وبيَّن أنه قد أزال عنهم موانعه، حثهم أيضًا علىٰ الإنفاق. فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: [أنفقوا ولا تخشَوا فقرًا وإقلالًا فإن الذي أنفقتم في سبيله هو مالك السموات والأرض][(٣)]، وبيده مقاليدهما، وعنده خزائنهما، وهو مالك العرش بما حوىٰ، وهو القائل: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩]، وقال: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل:٩٦]، فمن توكل علىٰ الله أنفق، ولم يخش من ذي العرش إقلالًا، وعلم أن الله سيخلفه عليه.

وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾ أي: لا يستوي هذا ومن لم يفعل كفعله، وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديدًا، فلم يكن يؤمن حينئذٍ إلا الصديقون، وأما بعد الفتح فإنه ظهر الإسلام ظهورًا عظيمًا، ودخل الناس في دين الله أفواجًا؛ ولهذا قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ[(٤)] دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

---

(١) لوحة (٣٧ ب).

(٢) لهذا الحديث طرق، أوردها ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير الآية رقم (٣) من سورة البقرة من حديث أبي جمعة الأنصاري، وعمرو بن العاص، وعمر، وأنس رضي الله عنهم وبعض هذه الروايات صحيحة. راجع تخريجها هناك.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (ز). (٤) لوحة (٣٨ أ).

والجمهور على أن المراد بالفتح هاهنا: فتح مكة. وعن الشعبي وغيره أن المراد بالفتح هاهنا: صلح الحديبية، وقد يستدل لهذا القول بما قال الإمام أحمد:

حدثنا أحمد بن عبد الملك، حدثنا زُهيرٌ، حدثنا حُمَيدٌ الطويل، عن أنس قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام، فقال خالد لعبد الرحمن: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها؟ فبلغنا أن ذلك ذُكر للنبي ﷺ فقال: «**دَعُوا لِي أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنْفَقْتُمْ مِثْلَ أُحُدٍ** -أو: **مِثْلَ الجِبَالِ - ذَهَبًا، مَا بَلَغْتُمْ أَعْمَالَهُمْ**»[(١)].

ومعلوم أن إسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة، وكانت هذه المشاجرة بينهما في بني جَذيمة الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد بعد الفتح، فجعلوا يقولون: «صَبَأْنَا، صَبَأْنَا»، فلم يحسنوا أن يقولوا: «أَسْلَمْنَا»، فأمر خالد بقتلهم وقتل من أسر منهم، فخالفه عبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عمر وغيرهما. فاختصم خالد وعبد الرحمن بسبب ذلك[(٢)]، والذي في «الصحيح» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ**[(٣)]»[(٤)].

وروى ابن جرير، وابن أبي حاتم، من حديث ابن وهب: أخبرنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية، حتى إذا كنا بعسفان قال رسول الله ﷺ: «**يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ أَعْمَالَكُمْ مَعَ أَعْمَالِهِمْ**» فقلنا: من هم يا رسول الله أقريش؟ قال: «**لا، وَلَكِنْ أَهْلُ اليَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا**». فقلنا: أهم خيرٌ منا يا رسول الله؟ قال: «**لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ جَبَلٌ مِنْ ذَهَبٍ فَأَنْفَقَهُ، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِكُمْ وَلا نَصِيفَهُ، أَلَا إِنَّ هَذَا فَضْلُ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ، ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ**[(٥)] **دَرَجَةً**

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٣/ ٢٦٦)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٩): (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح).

(٢) البخاري (٤٣٣٩، ٧١٨٩).

(٣) المُد: ربع الصاع، والنصيف: نصف المُد. قال البيضاوي: (معنى الحديث: لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهبًا من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعام أو نصيفه، وسبب التفاوت ما يقارن الأفضل من مزيد الإخلاص وصدق النية.
قلت: وأعظم من ذلك في سبب الأفضلية: عظم موقع ذلك لشدة الاحتياج إليه، وأشار بالأفضلية بسبب الإنفاق إلى الأفضلية بسبب القتال، كما وقع في الآية: [من أنفق من قبل الفتح وقاتل] فإن فيها إشارة إلى موقع السبب الذي ذكرته؛ وذلك أن الإنفاق والقتال كان قبل فتح مكة عظيمًا لشدة الحاجة إليه وقلة المعتني به، بخلاف ما وقع بعد ذلك؛ لأن المسلمين كثروا بعد الفتح ودخل الناس في دين الله أفواجًا، فإنه لا يقع ذلك الموقع المتقدم والله أعلم).
«فتح الباري»: (٧/ ٣٤).

(٤) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

(٥) لوحة (٣٨ ب).

﴿مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾»[١]. [وهذا[٢] الحديث غريبٌ بهذا السياق، والذي في «الصحيحين» من رواية جماعة، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد -ذكر الخوارج-: «تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»[٣] الحديث.

ولكن روىٰ ابن جرير هذا الحديث من وجهٍ آخر، فقال: حدثني ابن البرقي، حدثنا بن أبي مريم، أخبرنا محمد بن جعفر، أخبرني زيد بن أسلم، عن أبي سعيد التمار، عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: «يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ تُحَقِّرُونَ أَعْمَالَكُمْ مَعَ أَعْمَالِهِمْ». قلنا: من هم يا رسول الله؟ قريش؟ قال: «لَا، وَلَكِنْ أَهْلُ الْيَمَنِ؛ لِأَنَّهُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، وَأَلْيَنُ قُلُوبًا». وأشار بيده إلىٰ اليمن، فقال: «هُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، أَلَا إِنَّ الْإِيمَانَ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ». فقلنا: يا رسول الله، هم خير منا؟ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ جَبَلٌ مِنْ ذَهَبٍ يُنْفِقُهُ مَا أَدَّىٰ مُدَّ أَحَدِكُمْ وَلَا نَصِيفَهُ». ثم جمع أصابعه ومد خنصره، وقال: «أَلَا إِنَّ هَذَا فَضْلُ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾»[٤]][٥].

فهذا السياق ليس فيه ذكر الحديبية، فإن كان ذلك محفوظًا كما تقدم، فيحتمل أنه أنزل قبل الفتح إخبارًا عما بعده، كما في قوله تعالىٰ في سورة «المزمل» - وهي مكيةٌ، من أوائل ما نزل -: ﴿وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية [المزمل:٢٠] فهي بشارةٌ بما يستقبل، وهكذا هذه والله أعلم.

وقوله: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ يعني: المنفقين قبل الفتح وبعده، كلهم لهم ثوابٌ علىٰ ما عملوا، وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء كما قال: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٥]. وهكذا الحديث الذي في «الصحيح»: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ»[٦] وإنما نبَّه بهذا لئلا يُهدرَ جانب الآخر بمدح الأول دون الآخر، فيتوهم متوهمٌ ذمه؛ فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه، مع تفضيل الأول عليه؛ ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل، ومن فعل ذلك بعد ذلك، وما ذلك إلا لعلمه بقصد الأول

---

(١) الطبري (٢٧/ ٢٢١)، وفي إسناده هشام بن سعد، قال الحافظ في «التقريب»: صدوق له أوهام.
(٢) من هنا ساقط من (ز). (٣) رواه مسلم (١٠٦٤). (٤) رواه الطبري (٢٧/ ٢٢١).
(٥) إلىٰ هنا ينتهي السقط. (٦) رواه مسلم (٢٦٦٤).

وإخلاصه التام، وإنفاقه في حال الجهد والقلة والضيق. وفي الحديث: «سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفٍ»(١) ولا شك عند أهل الإيمان أن الصديق أبا بكر ﷺ له الحظ الأوفر من هذه الآية، فإنه سيّد من عمل بها من سائر أمم الأنبياء، فإنه أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله ﷻ ولم يكن لأحدٍ عنده نعمة يجزيه بها.

وقد قال أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي عند تفسير هذه الآية: أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد، أخبرنا أحمد بن إسحاق بن أيوب، أخبرنا محمد بن يونس، حدثنا العلاء بن عمرو الشيباني، حدثنا أبو إسحاق الفزاري، حدثنا سفيان بن سعيد، عن آدم بن علي، عن ابن عمر قال: كنت عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر الصديق، وعليه عباءة قد خَلَّها في صدره بخلال(٢)، [فنزل جبريل فقال: مالي أرىٰ أبا بكر عليه عباءةٌ قد خَلَّها في صدره بِخلالٍ؟](٣) فقال: «أَنْفَقَ مَالَهُ عَلَيَّ(٤) قَبْلَ الْفَتْحِ» قال: فإن الله يقول: «اقْرَأْ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: أَرَاضٍ أَنْتَ عَنِّي فِي فَقْرِكَ هَذَا أَمْ سَاخِطٌ؟» فقال رسول الله: «يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ اللهَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: أَرَاضٍ أَنْتَ عَنِّي فِي فَقْرِكَ هَذَا أَمْ سَاخِطٌ؟» فقال أبو بكر ﷺ: أسخط علىٰ ربي ﷻ؟ إني عن ربي راضٍ(٥).

هذا الحديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه.

وقوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال عمر بن الخطاب ﷺ: هو الإنفاق في سبيل الله(٦)، وقيل: هو النفقة علىٰ العيال، والصحيح أنه أعم من ذلك، فكل من أنفق في سبيل الله بنيةٍ خالصةٍ وعزيمةٍ صادقةٍ دخل في عموم هذه الآية؛ ولهذا قال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾ كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٧) [البقرة: ٢٤٥] أي: جزاءٌ جميلٌ ورزقٌ باهرٌ -وهو الجنةُ- يوم القيامة.

---

(١) **حسن**: رواه النسائي (٢٥٢٧)، وفي «الكبرىٰ» (٢٣٠٧) (٢٤٤٣)، وابن حبان (٣٣٤٧)، والحاكم (١/ ٤١٦)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٤/ ١٨١) من طريق صفوان بن عيسىٰ عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا به. وحسن إسناده الشيخ الألباني كما في «تخريج مشكلة الفقر» (١١٩).

(٢) أي: جمعها علىٰ صدره بخلال، والخِلال: عود يخل به الثوب؛ أي: يثقب.

(٣) ليست في (ز)، وهي مثبتة في «تفسير البغوي» (٨/ ٣٤). (٤) لوحة (٣٩ أ).

(٥) أبو نعيم (٧/ ١٠٥) في «الحلية»، وفي «فضائل الصحابة» (١/ ١١٣) برقم (٦٣)، وفي «معجم ابن المقرئ» (١/ ١٦٧) برقم (١٦٦)، و«تاريخ بغداد» (٢/ ١٠٦).

وقال ابن حبان في «المجروحين» (١٨٥١٢) برقم (٨١٩): العلاء بن عمرو: شيخ يروي عن أبي إسحاق الفزاري العجائب، لا يجوز الاحتجاج به، وقال الذهبي في الميزان: هو كذاب.

(٦) أثر عمر بن الخطاب، ابن أبي حاتم (٢/ ٢١٤)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ١٢٧) إلىٰ عبد بن حميد. فيه موسىٰ بن أبي كثير، قال ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٢٤٠): يروي المناكير، فلما كثر ذلك في روايته بطل الاحتجاج به إلّا فيما وافق الثقات.

(٧) في (ز): ﴿... وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ مثل آية «الحديد» والصواب ما أثبتناه.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ قال أبو الدحداح الأنصاري: يا رسول الله، وإن الله ليريد منا القرض؟ قال: «نَعَمْ، يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ». قال: أرني يدك يا رسول الله قال: فناوله يده قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي -وله حائطٌ فيه ستمائة نخلةٍ، وأم الدحداح فيه وعيالها- قال: فجاء أبو الدحداح فناداها: يا أم الدحداح. قالت: لبيك. فقال: اخرجي، فقد أقرضته ربي ﷻ -وفي رواية: أنها قالت له: رَبح بيعك يا أبا الدحداح. ونقلت منه متاعها وصبيانها، وإن رسول الله ﷺ قال: «كَمْ مِنْ عَذْقٍ رَدَاحٍ(١) فِي الجَنَّةِ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ». وفي لفظ: «رُبَّ نَخْلَةٍ مُدَلَّاةٍ عُرُوقُهَا دُرٌّ وَيَاقُوتٌ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الجَنَّةِ»(٢).

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ(٣) أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المؤمنين المتصدقين: أنهم يوم القيامة يسعىٰ نورهم بين أيديهم في عَرصات القيامة، بحسب أعمالهم، كما قال عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال: علىٰ قدر أعمالهم يمرون علىٰ الصراط، منهم مَن نوره مثل الجبل، ومنهم مَن نوره مثل النخلة، ومنهم مَن نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نورًا مَن نورُهُ في إبهامه يتَّقد مرةً ويطفأ أخرىٰ، ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير(٤).

وقال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «مِنَ المُؤْمِنِينَ مَنْ يُضِيءُ نُورُهُ مِنَ المَدِينَةِ إِلَىٰ عَدَنِ أَبْيَنَ وَصَنْعَاءَ فَدُونَ ذَلِكَ، حَتَّىٰ إِنَّ مِنَ المُؤْمِنِينَ مَنْ يُضِيءُ نُورُهُ مَوْضِعَ قَدَمَيْهِ»(٥).

---

(١) العَذْق: النخلة، والعِذْق: العرجون بما فيه من الشماريخ، والرَّداح: العظيم الثقيل.

(٢) رواه ابن أبي حاتم (٢٤٣٠)، والطبري (٢/ ٥٩٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٠١/ ٧٦٤)، وإسناده ضعيف، وعلته حميد بن عطاء الأعرج: ضعيف، قال ابن حبان: يروي عن عبد الله بن الحارث عن ابن مسعود نسخة كأنها موضوعة.
قلت: لكن الحديث ثبت نحوه بسند صحيح: رواه أحمد (٣/ ١٤٦)، والحاكم (١/ ٢٠)، وابن حبان (٧١٦٠) من حديث أنس.

(٣) لوحة (٣٩ ب).

(٤) رواه الطبري (٢٧/ ٢٢٣).

(٥) الطبري (٢٧/ ٢٢٢)، وسنده منقطع.

وقال سفيان الثوري، عن حُصَين، عن مجاهد، عن جُنَادة بن أبي أمية قال: إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم، وسيماكم وحُلاكم، ونجواكم ومجالسكم، فإذا كان يوم القيامة قيل: يا فلان، هذا نورك. يا فلان، لا نور لك. وقرأ: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ (١).

وقال الضحاك: ليس لأحدٍ إلا يعطىٰ نورًا يوم القيامة، فإذا انتهوا إلىٰ الصراط طفئ نور المنافقين، فلما رأىٰ ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طُفئ نور المنافقين، فقالوا: ربنا، أتمم لنا نورنا.

وقال الحسن في قوله: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني: علىٰ الصراط.

وقد قال ابن أبي حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا أبو عبيد (٢) الله ابن أخي ابن وهب، أخبرنا عمي، عن يزيد ابن أبي حبيب، عن سعيد بن مسعود: أنه سمع عبد الرحمن بن جُبَيْر يحدث: أنه سَمِعَ أبا الدرداء وأبا ذر يخبران عن النبي ﷺ قال: «**أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالسُّجُودِ، وَأَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ بِرَفْعِ رَأْسِهِ، فَأَنْظُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَأَعْرِفُ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ**». فقال له رجل: يا نبي الله، كيف تعرف أمتك من بين الأمم، ما بين نوح إلىٰ أمتك؟ قال: «**أَعْرِفُهُمْ، مُحَجَّلُونَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، وَلَا يَكُونُ (٣) لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ غَيْرُهُمْ، وَأَعْرِفُهُمْ يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَأَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ، وَأَعْرِفُهُمْ بِنُورِهِمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ**» (٤).

وقوله: ﴿وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ قال الضحاك: أي وبأيمانهم كتبهم، كما قال: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الإسراء:٧١].

وقوله: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: [يقال لهم: بشراكم اليوم جنات، أي] (٥): لكم البشارة بجناتٍ تجري من تحتها الأنهار، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: ماكثين فيها أبدًا ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ وهذا إخبارٌ منه تعالىٰ عما يقع يوم القيامة في العرصات من الأهوال المزعجة، والزلازل العظيمة، والأمور الفظيعة، وإنه لا ينجو يومئذ إلا من آمن بالله ورسوله، وعمل بما أمر الله به، وترك ما عنه زجر.

---

(١) صحيح: حصين هو بن عبد الرحمن السلمي أبو الهذيل الكوفي (ابن عم منصور بن المعتمر) قال ابن حجر فيه: ثقة تغير حفظه في الآخر، وقال الذهبي: ثقة حجة من شيوخ سفيان الثوري.
والأثر له شاهد عند ابن أبي شيبة (٨/ ٢٢٨) من رواية عبد الله بن عمير، وله شاهد آخر عند الحاكم (١٤/ ١٥) والبيهقي (٢/ ٨٧) و«البعث والنشور» وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (١٣٧٧) من رواية يزيد بن شجرة الصحابي وقال الشيخ: مثل هذا لا يُقال بالرأي، فسبيل الموقوف فيه سبيل المرفوع (٢/ ٦٧).

(٢) في (ز): (أبو عبد الله)، وهو خطأ.

(٣) لوحة (٤٠ أ).

(٤) حسن لغيره: رواه ابن أبي حاتم (١٨٨٢٠)، ورواه أحمد (٥/ ١٩٩) من طريق ابن لهيعة، وبالجملة فالإسناد حسن، وصححه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ. انظر: «صحيح الترغيب» (١٨٠).

(٥) ليست في (ز).

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبدة بن سليمان، حدثنا ابن المبارك، حدثنا صفوان بن عمرو، حدثني سليم بن عامر قال: خرجنا علىٰ جنازةٍ في بابِ دمشق، ومعنا أبو أمامة الباهلي، فلما صلىٰ علىٰ الجنازة وأخذوا في دفنها، قال أبو أمامة: أيها الناس، إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات، وتوشكون أن تظعنوا منه إلىٰ منزل آخر، وهو هذا -يشير إلىٰ القبر- بيت الوحدة، وبيت الظلمة، [وبيت الدود][1]، وبيت الضيق، إلا ما وسع الله، ثم تنتقلون منه إلىٰ مواطن يوم القيامة، فإنكم في بعض تلك المواطن حتىٰ[2] يغشىٰ الناس أمر من الله، فتبيض وجوه وتسود وجوه، ثم تنتقلون منه إلىٰ منزل آخر فتغشىٰ الناسَ ظلمةٌ شديدةٌ، ثم يقسم النور فيعطىٰ المؤمن نورًا، ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئًا، وهو المثل الذي ضربه الله في كتابه، قال: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ﴾ إلىٰ قوله: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]، فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضيء الأعمىٰ بنور البصير، ويقول المنافقون للذين آمنوا: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾ وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين حيث قال: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء:١٤٢]. فيرجعون إلىٰ المكان الذي قسم فيه النور، فلا يجدون شيئًا فينصرفون إليهم وقد ضرب بينهم بسور له باب، ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ الآية[3]. يقول سليم بن عامر: فما يزال المنافق مغترًّا حتىٰ يقسم النور، ويميز الله بين المؤمن والمنافق[4].

ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا يحيىٰ بن عثمان، حدثنا ابن حيوة، حدثنا أرطأة بن المنذر، حدثنا يوسف بن الحجاج، عن أبي أمامة قال: تُبعَثُ ظلمةٌ يوم القيامة، فما من مؤمن ولا كافر يرىٰ كفه[5]، حتىٰ يبعث الله بالنور إلىٰ المؤمنين بقدر أعمالهم، فيتبعهم المنافقون فيقولون: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾[6].

وقال العَوْفيُّ، والضحاك، وغيرهما، عن ابن عباس: بينما الناس في ظلمةٍ إذ بعث الله نورًا فلما رأىٰ المؤمنون النور توجهوا نحوه، وكان النور لهم دليلًا من الله إلىٰ الجنة، فلما رأىٰ المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم، فأظلم الله علىٰ المنافقين، فقالوا حينئذ: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ فإنا كنا معكم في الدنيا. قال المؤمنون: ﴿ٱرۡجِعُواْ﴾ من حيث جئتم من الظلمة، فالتمسوا هنالك النور[7].

---

(١) ليست في (ز). (٢) في (ز): (يوم يغشىٰ).

(٣) لوحة (٤٠ ب).

(٤) الحاكم (٢/ ٤٣٤)، وصححه ووافقه الذهبي وابن أبي حاتم (١٢/ ٢٨٣)، وابن المبارك في «الزهد» (١/ ١٠٨) برقم (٣٦٨).

(٥) في (ز): (يرىٰ فيه). (٦) رواه ابن أبي حاتم (١٨٨٢٢).

(٧) الطبري (٢٣/ ١٨٢)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٣) إلىٰ ابن مردويه والبيهقي في «البعث».

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا الحسن[(١)] بن علوية القطان[(٢)]، حدثنا إسماعيل بن عيسىٰ العطار، حدثنا إسحاق بن بشر أبو[(٣)] حذيفة، حدثنا ابن جريج، عن ابن أبي مُلَيْكة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَدْعُو النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَسْمَائِهِمْ سِتْرًا مِنْهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَأَمَّا عِنْدَ الصِّرَاطِ فَإِنَّ اللهَ يُعْطِي كُلَّ مُؤْمِنٍ نُورًا، وَكُلَّ مُنَافِقٍ نُورًا، فَإِذَا اسْتَوَوْا عَلَىٰ الصِّرَاطِ سَلَبَ اللهُ نُورَ المُنَافِقِينَ وَالمُنَافِقَاتِ فَقَالَ المُنَافِقُونَ: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ وَقَالَ المُؤْمِنُونَ: ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم: ٨]. فَلَا يَذْكُرُ عِنْدَ ذَلِكَ أَحَدٌ أَحَدًا»[(٤)].

وقوله: ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ قال الحسن، وقتادة: هو حائطٌ بين الجنة النار.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هو الذي قال الله تعالىٰ: ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞ﴾ [الأعراف:٤٦]. وهكذا روي عن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وغير واحدٍ، وهو الصحيح.

﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾ أي: الجنة وما فيها ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ أي: النار. قاله قتادة، وابن زيد، وغيرهما.

قال ابن جرير: وقد قيل: إن ذلك السور سورُ بيت المقدس عند وادي جهنم.

ثم قال: حدثنا ابن البرقي[(٥)]، حدثنا عمرو بن أبي سلمة، عن سعيد بن عطية بن قيس، عن أبي العوام -مؤذن بيت المقدس- قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: إن[(٦)] السور الذي ذكر الله في القرآن: ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ هو السور الشرقي باطنه[(٧)] المسجد وما يليه، وظاهره وادي جهنم[(٨)].

ثم روي عن عُبادة بن الصامت، وكعب الأحبار، وعلي بن الحسين زين العابدين، نحو ذلك. وهذا محمول منهم علىٰ أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنىٰ ومثالًا لذلك، لا أن هذا هو الذي أريد من القرآن هذا الجدار المعين ونفس المسجد وما وراءه من الوادي المعروف بوادي جهنم؛ فإن الجنة في السموات في أعلىٰ عليين، والنار في الدركات أسفل سافلين. وقول كعب الأحبار: إن الباب

---

(١) في (ز): (حدثنا الحسين)، والمثبت هو الصواب.
(٢) في (ز): (العطار)، وهو خطأ.
(٣) في (ز): (ابن حذيفة)، وهو خطأ.
(٤) رواه الطبراني في «الكبير» (١١/ ١٢٢ برقم ١١٢٤٢)، وفي سنده: إسحاق بن بشر: متروك.
(٥) في (ز): (ابن أبي البرقي)، والمثبت هو الصواب.
(٦) لوحة (٤١ أ).
(٧) في (ز): (في باطن المسجد).
(٨) الحاكم (٤/ ٦٤٣)، وصححه وقال: علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح. قلت: ومثله لا يقال بالرأي، لكن عبد الله بن عمرو ممن أخذوا من كتب بني إسرائيل فلا يحكم بصحة الخبر.

المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذي هو أحد أبواب المسجد، فهذا من إسرائيلياته وتُرّهاته.

وإنما المراد بذلك: سورٌ يُضرَب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين، فإذا انتهىٰ إليه المؤمنون دخلوه من بابه، فإذا استكملوا دُخولهم أغلق الباب وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب، كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين: أما كنا معكم في الدار الدنيا، نشهد معكم الجمعات، ونصلي معكم الجماعات، ونقف معكم بعرفات، ونحضر معكم الغزوات، ونؤدي معكم سائر الواجبات؟ ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ أي: فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين: بلىٰ، قد كنتم معنا، ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾ قال بعض السلف: أي فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي: أخرتم التوبة من وقتٍ إلىٰ وقتٍ.

وقال قتادة: ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالحق وأهله ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ أي: بالبعث بعد الموت ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾ أي: قلتم: سيغفر لنا. وقيل: غرتكم الدنيا ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: ما زلتم في هذا حتىٰ جاء الموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ أي: الشيطان.

قال قتادة: كانوا علىٰ خدعةٍ من الشيطان، والله ما زالوا عليها حتىٰ قذفهم الله في النار.

ومعنىٰ هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين: إنكم كنتم معنا أي بأبدان[1] لا نية لها ولا قلوب معها، وإنما كنتم في حيرةٍ وشكٍّ فكنتم تُراءون الناس ولا تذكرون الله إلا قليلًا.

قال مجاهد: كان المنافقون مع المؤمنين أحياء يناكحونهم ويغشونهم ويعاشرونهم، وكانوا معهم أمواتًا، ويعطون النور جميعًا يوم القيامة، ويطفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السور، ويُماز بينهم حينئذٍ.

وهذا القول من المؤمنين لا ينافي قولهم الذي أخبر الله به عنهم، حيث يقول -وهو أصدق القائلين-: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر: ٣٨-٤٧]، فهذا إنما خرج منهم علىٰ وجه التقريع لهم والتوبيخ. ثم قال تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، كما قال تعالىٰ هاهنا: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: لو جاء أحدكم اليوم بملء الأرض ذهبًا ومثله معه ليفتدىٰ به من عذاب الله ما قبل منه.

وقوله: ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: هي مصيركم وإليها منقلبكم.

وقوله: ﴿هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي: هي أولىٰ بكم من كل منزل علىٰ كفركم وارتيابكم، ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ[1] ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾

يقول الله تعالىٰ: أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله؛ أي: تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن، فتفهمه[2] وتنقادُ له وتسمع له وتطيعه.

قال عبد الله بن المبارك: حدثنا صالح المُرِّي[3]، عن قتادة، عن ابن عباس أنه قال: إن الله استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم علىٰ رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن، فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ الآية، رواه ابن أبي حاتم، عن الحسن بن محمد بن الصباح، عن حسين المروزي، عن ابن المبارك به[4].

ثم قال هو ومسلم: حدثنا يونس بن عبد الأعلىٰ[5]، [أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن

---

(١) قال القرطبي رحمه الله: وهذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ كانت سبب توبة الفضيل بن عياض وابن المبارك رحمهما الله تعالىٰ. ذَكَرَ أبو المطرف عبدالرحمن بن مروان القلاني قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن رشيق، قال: حدثنا علي بن يعقوب الزيات، قال: حدثنا إبراهيم بن هشام، قال: حدثنا زكريا بن أبي أبان، قال: حدثنا الليث بن الحارث، قال: حدثنا الحسن بن داهر، قال: سئل عبد الله بن المبارك عن بدء زهده قال: كنت يومًا مع إخواني في بستان لنا، وذلك حين حملت الثمار من ألوان الفواكه، فأكلنا وشربنا حتىٰ الليل فنمنا، وكنت مولعًا بضرب العود والطنبور، فقمت في بعض الليل فضربت بصوت يقال له: راشين السحر، وأراد سنان يغني، وطائر يصيح فوق رأسي علىٰ شجرة، والعود بيدي لا يجيبني إلىٰ ما أريد، وإذا به ينطق كما ينطق الإنسان -يعني العود الذي بيده- ويقول: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قلت: بلىٰ والله! وكسرت العود، وصرفت من كان عندي، فكان هذا أول زهدي وتشميري. وبلغنا عن الشعر الذي أراد ابن المبارك أن يضرب به العود:

ألم يأن لي منك أن ترحما ... وتعص العواذل واللوما
وترثي لصب بكم مغرم ... أقام علىٰ هجركم مأتما
يبيت إذا جنه ليله ... يراعي الكواكب والأنجما
وماذا علىٰ الظبي لو أنه ... أحل من الوصل ما حرما

وأما الفضيل بن عياض فكان سبب توبته أنه عشق جاريةً فواعدته ليلًا، فبينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع قارئًا يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فرجع القهقرىٰ وهو يقول: بلىٰ والله قد آن فآواه الليل إلىٰ خربة وفيها جماعة من السابلة، وبعضهم يقول لبعض: إن فضيلًا يقطع الطريق. فقال الفضيل: أواه! أراني بالليل أسعىٰ في معاصي الله، قوم من المسلمين يخافونني! اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي إليك جوار بيتك الحرام.

(٢) في (ز): (فتهمه).　　(٣) في (ز): (المدني).

(٤) رواه ابن أبي حاتم (١٨٨٢٥)، وصالح المري قال الحافظ: ضعيف. انظر: «التقريب» (٢٨٤٥).

(٥) لوحة (٤٢ أ).

الحارث، عن سعيد بن أبي هلال -يعني الليثي- عن عون بن عبد الله][(١)]، عن أبيه، عن ابن مسعود ﷺ قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ الآية إلا أربع سنين.

كذا رواه مسلم في آخر الكتاب. وأخرجه النسائي عند تفسير هذه الآية، عن هارون بن سعيد الأيلي، عن ابن وهب به[(٢)] وقد رواه ابن ماجة من حديث موسىٰ بن يعقوب الزمعي، عن أبي حازم، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، مثله، فجعله من «مسند بن الزبير»[(٣)].

لكن رواه البزار في «مسنده» من طريق موسىٰ بن يعقوب، عن أبي حازم، عن عامر، عن ابن الزبير، عن ابن مسعود، فذكره[(٤)].

وقال سفيان الثوري، عن المسعودي، عن القاسم قال: مَلَّ أصحاب رسول الله ﷺ مَلَّة[(٥)]، فقالوا: حدِّثنا يا رسول الله. [فأنزل الله تعالىٰ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف:٣] قال: ثم ملوا مَلَّة فقالوا: حدِّثنا يا رسول الله][(٦)]، فأنزل الله تعالىٰ[(٧)]: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر:٢٣]. ثم ملوا ملة[(٨)] فقالوا: حدثنا يا رسول الله. فأنزل الله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[(٩)].

وقال قتادة: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ذُكِرَ لنا أن شداد بن أوس كان يروي عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ الْخُشُوعُ**»[(١٠)].

وقوله: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ نهىٰ الله المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب قبلهم من اليهود والنصارىٰ، لما تطاول عليهم الأمدُ بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمنًا قليلًا ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا علىٰ الآراء المختلفة والأقوال المؤتفكة، وقلدوا الرجال في دين الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم، فلا يقبلون موعظةً، ولا تلين قلوبهم بوعدٍ ولا وعيدٍ.

---

(١) ليست في (ز).
(٢) مسلم (٣٠٢٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٥٦٨).
(٣) رواه ابن ماجة (٣٣٨٠).
(٤) البزار (١٤٤٥).
(٥) في (ز): (مكة).
(٦) ليست في (ز).
(٧) في (ز): (نزلت).
(٨) في (ز): (مكة).
(٩) رواه ابن أبي حاتم (١٨٨٢٦)، وهذه الرواية مرسلة، لكنها ثابتة بإسناد حسن، تقدم تخريجها أول سورة يوسف الآية (٣) وليس فيه سبب نزول هذه الآية.
(١٠) رواه الطبري (٢٧/ ٢٢٨)، وإسناده منقطع، لكن وصله الطبراني في «الكبير» (١/ ٢٩٥، ٧١٩٩) بإسناد فيه ضعف، وللحديث شاهد من حديث أبي الدرداء، رواه الطبراني وحسنه المنذري في «الترغيب»، وقال الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب»: حسن صحيح.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ أي: في الأعمال، فقلوبهم فاسدة، وأعمالهم باطلة. كما قال: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة:١٣]؛ أي: فسدت قلوبهم فقست، وصار من سجيتهم تحريف الكلم عن مواضعه، وتركوا الأعمال التي أمروا بها، وارتكبوا ما نهوا عنه؛ ولهذا نهىٰ الله المؤمنين[١] أن يتشبهوا بهم في شيءٍ من الأمور الأصلية والفرعية.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن [عمار][٢]، حدثنا شهاب بن خِراش، حدثنا حجاج بن دينار، عن منصور بن المعتمر، عن الربيع بن عَمِيلة الفزاري قال: حدثنا عبد الله بن مسعود حديثًا ما سمعت أعجب إليّ منه، إلا شيئًا من كتاب الله -أو: شيئًا قاله النبي ﷺ- قال: «إنَّ بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فَقَسَتْ قلوبهم اخترعوا كتابًا من عند أنفسهم، استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم واستلذته، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم فقالوا: تعالَوْا ندعُ بني إسرائيل إلىٰ كتابنا هذا، فمَن تابعنا عليه تركناه، ومَن كَرِهَ أن يُتَابِعَنَا قتلناه. ففعلوا ذلك، وكان فيهم رجلٌ فقيهٌ، فلما رأىٰ ما يصنعون عَمَدَ إلىٰ ما يعرف من كتاب الله فكَتَبَهُ في شيءٍ لطيفٍ، ثم أدرجه، فجعله في قَرْنٍ ثم عَلَّقَ ذلك القرن في عُنُقِهِ، فلمَّا أكثروا القتل قال بعضهم لبعض: يا هؤلاء، إنكم قد أَفْشَيْتُم القتل في بني إسرائيل، فادعوا فلانًا فاعرضوا عليه كتابكم، فإنَّه إن تابعكم فسيتابعكم بقيَّة النَّاس، وإن أبىٰ فاقتلوه. فدعوا فلانًا ذلك الفقيه فقالوا: تؤمن بما في كتابنا؟ قال: وما فيه؟ اعرضوه عليَّ. فعرضوه عليه إلىٰ آخره، ثم قالوا: أتُؤْمِن بهذا؟ قال: نعم، آمنت بما في هذا [وأشار بيده إلىٰ القرن -فتركوه، فلمَّا مات][٣] نبشوه فوجدوه مُتَعَلِّقًا ذلك القرن، فوجدوا فيه ما يعرف من كتاب الله، فقال بعضهم لبعض: يا هؤلاء، ما كنَّا نسمع هذا أصابه فتنة. فافترقت بنو إسرائيل علىٰ ثنتين وسبعين ملة، وخير مِلَلهم ملة أصحاب [ذي][٤] القرن[٥]».

قال ابن مسعود: [وإنكم][٦] أوشك بكم إن بقيتم -أو: بقي من بقي منكم- أن تروا أمورًا تنكرونها، لا تستطيعون لها غِيَرًا[٧]، فبحسب المرء منكم أن يعلم الله من قلبه أنه لها كاره[٨].

وقال أبو جعفر الطبري: حدثنا ابن[٩] حميد، حدثنا جرير، عن مغيرة، عن أبي معشر، عن

---

(١) لوحة (٤٢ ب).
(٢) ليست في (ز).
(٣) ليست في (ز)، ومكانها: (فذكره)؛ والمثبت هو الصواب.
(٤) بياض في (ز).
(٥) في (ز): (الفرق).
(٦) ليست في (ز).
(٧) أي: تغييرًا.
(٨) ابن أبي حاتم (١٨٨٣٠)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٦/ ٩٥، ٩٦).
(٩) في (ز): (أبو حميد)، وهو خطأ.

إبراهيم قال: جاء عتريس بن عُرقوب إلىٰ ابن مسعود فقال: يا [عبد الله] (١) هلك من لم يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر. فقال عبد الله: هلك من لم يعرف قلبُه معروفًا، ولم ينكر قلبُه منكرًا؛ إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمدُ وقست قلوبهم، اخترعوا كتابًا من بين أيديهم وأرجلهم، استهوته قلوبهم واستحلته (٢) ألسنتهم، وقالوا: نعرض [علىٰ] (٣) بني إسرائيل هذا الكتاب فمن آمن به تركناه، ومن كفر به قتلناه. قال: فجعل رجلٌ منهم كتاب الله في قَرْنٍ، ثم جعل القرن بين ثندوتيه (٤) فلما قيل له: أتؤمن بهذا؟ قال: آمنت به -ويومئ إلىٰ القرن بين ثَنْدُوتيه- ومالي لا أؤمن بهذا الكتاب؟ فمن خير مِلَلِهم اليوم مِلَّة صاحب القَرن.

وقوله: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ فيه إشارة إلىٰ أنه تعالىٰ يلين القلوب بعد قسوتها، ويَهدي الحَيَارىٰ بعد ضَلتها، ويفرِّج الكروب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث (٥) الهتَّان الوابل كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعد ما كانت مقفلةً لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الإضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعال، وهو الحكم العدل في جميع الفعال، اللطيف الخبير الكبير المتعال (٦).

﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩﴾

يخبر تعالىٰ عما يثيب به المُصَّدقين والمُصَّدقات بأموالهم علىٰ أهل الحاجة والفقر والمسكنة، ﴿وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ أي: دفعوه بنيةٍ خالصةٍ ابتغاء وجه الله، لا يريدون جزاءً ممن أعطوه ولا شكورًا؛ ولهذا قال: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمۡ﴾ أي: يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها، ويزداد علىٰ ذلك إلىٰ سبعمائة ضعف وفوق ذلك ﴿وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ أي: ثوابٌ جزيلٌ حسنٌ، ومرجعٌ صالحٌ ومآبٌ ﴿كَرِيمٞ﴾.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ هذا تمام لجملة، وصف المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون.

قال العَوْفيُّ، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ هذه مفصولة

---

(١) في «ز»: (يا أبا عبد الله)، وهو خطأ، فكنية ابن مسعود هي: (أبو عبد الرحمن)، والمثبت موافق لما في «تفسير الطبري»، وط: الشعب.

(٢) لوحة (٤٣ أ).

(٣) ليست في (ز).

(٤) الثندوتان للرجل: كالثديين للمرأة.

(٥) في (ز): بالبعث.

(٦) انظر التخريج السابق.

﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾.

وقال أبو الضحىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ ثم استأنف الكلام فقال: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ وهكذا قال مسروق، والضحاك، ومقاتل بن حيان، وغيرهم.

وقال الأعمش عن[1] أبي الضحىٰ، عن مسروق، عن عبد الله في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ قال: هم ثلاثه أصناف: يعني المصدقين، والصديقين، والشهداء، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩] ففرق بين الصديقين والشهداء، فدل علىٰ أنهما صنفان. ولا شك أن الصديق أعلىٰ مقامًا من الشهيد، كما رواه الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ، في كتابه «الموطأ»، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يَسَار، عن أبي سعيدٍ الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ مِنَ المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ**». قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «**بَلَىٰ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ**»[2].

اتفق البخاري ومسلم علىٰ إخراجه من حديث مالك به.

وقال آخرون: بل المراد من قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فأخبر عن المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون وشهداء. حكاه ابن جرير عن مجاهد.

ثم قال ابن جرير: حدثني صالح بن حرب أبو مَعْمَر، حدثنا إسماعيل بن يحيىٰ، حدثنا ابن عَجْلان، عن زيد بن أسلم، عن البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مُؤْمِنُو أُمَّتِي شُهَدَاءُ**». قال: ثم تلا النبيُّ ﷺ هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ۖ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ هذا حديثٌ غريبٌ[3].

وقال أبو إسحاق، عن عمرو بن ميمون في قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ۖ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ قال: يجيئون يوم القيامة معًا كالإصبعين.

وقوله: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: في جنات النعيم، كما جاء في «الصحيحين»[4]: «**إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ فِي الجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَىٰ تِلْكَ القَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ اطِّلَاعَةً فَقَالَ: مَاذَا تُرِيدُونَ؟ فَقَالُوا: نُحِبُّ أَنْ تَرُدَّنَا إِلَىٰ الدَّارِ الدُّنْيَا فَنُقَاتِلَ فِيكَ فَنُقْتَلَ كَمَا**

---

(١) لوحة (٤٣ ب). (٢) البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١).

(٣) الطبري (٢٧/ ٢٣١)، وفي سنده: إسماعيل بن يحيىٰ: متهم بالكذب.

(٤) قال في «الشعب»: كذا، ولم يقع لنا إلا في «صحيح مسلم». قلت: وهكذا ذكر هاني الحاج في «التحبير» (ص: ١١١).

قُتِلْنَا أَوَّلَ مَرَّةٍ. فَقَالَ: إِنِّي قَضَيْتُ أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لا يَرْجِعُونَ»[١] [٢].

وقوله: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ أي: لهم عند ربهم أجرٌ جزيلٌ ونورٌ عظيمٌ يسعى بين أيديهم، وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا في الدار الدنيا من الأعمال، كما قال الإمام أحمد:

حدثنا يحيىٰ بن إسحاق، حدثنا ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن أبي يزيد الخولاني قال: سمعت فضالة بن عُبَيدٍ يقول: سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «الشُّهَدَاءُ أَرْبَعَةٌ: رَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَيِّدُ الإِيمَانِ، لَقِيَ العَدُوَّ فَصَدَقَ اللهَ فَقُتِلَ، فَذَلِكَ الَّذِي يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهِ هَكَذَا -ورفع رأسه حتىٰ سقطت قَلَنْسُوة رسول الله ﷺ أو قلنسوة عمر- وَالثَّانِي: مُؤْمِنٌ لَقِيَ العَدُوَّ فَكَأَنَّمَا يُضْرَبُ ظَهْرُهُ بِشَوْكِ الطَّلْحِ[٣]، جَاءَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ[٤] فَقَتَلَهُ، فَذَاكَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ، وَالثَّالِثُ: رَجُلٌ مُؤْمِنٌ خَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا لَقِيَ العَدُوَّ فَصَدَقَ اللهَ حَتَّىٰ قُتِلَ، فَذَاكَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ، وَالرَّابِعُ: رَجُلٌ مُؤْمِنٌ أَسْرَفَ عَلَىٰ نَفْسِهِ إِسْرَافًا كَثِيرًا، لَقِيَ العَدُوَّ فَصَدَقَ اللهَ حَتَّىٰ قُتِلَ، فَذَاكَ فِي الدَّرَجَةِ الرَّابِعَةِ»[٥].

وهكذا رواه علي بن المديني، عن أبي داود الطيالسي، عن ابن المبارك، عن ابن لهيعة، وقال: هذا إسنادٌ مصريٌّ صالحٌ. ورواه الترمذي من حديث ابن لهيعة وقال: حسنٌ غريبٌ[٦].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ لما ذكر السعداء ومآلهم، عطف بذكر الأشقياء وبيَّن حالهم.

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١)﴾

يقول تعالىٰ مُوهنًا أمر الحياة الدنيا ومحقرا لها: ﴿أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ أي: إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا، كما قال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ

---

(١) لوحة (٤٤ أ). (٢) رواه مسلم (١٨٨٧).

(٣) الطلح: شجر عظيم من شجر العضاه، وهذا كناية عن ارتعاد فرائصه من الفزع والخوف.

(٤) أي: لا يعرف راميه.

(٥) ضعيف: رواه أحمد (١/ ٢٣)، وفي السند: ابن لهيعة، وهو ضعيف كما تقدم مرارًا، وأبو يزيد الخولاني: مجهول، والحديث ضعفه الألباني كما في «الضعيفة» (٢٠٠٤).

(٦) الطيالسي (١٢٣)، والترمذي (١٦٤٤) وهو من طريق ابن لهيعة، فالإسناد ضعيف كما تقدم.

ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾(١) [آل عمران: ١٤].

ثم ضرب تعالىٰ مثل الحياة الدنيا في أنها زهرةٌ فانيةٌ ونعمةٌ زائلةٌ فقال: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ وهو: المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الشورىٰ: ٢٨]

وقوله: ﴿غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ أي: يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث؛ وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار، فإنهم أحرص شيءٍ عليها وأميل الناس إليها(٢)، ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ أي: يهيج ذلك الزرع فتراه مصفرًّا بعد ما كان خضرًا نضرًا، ثم يكون بعد ذلك كله [حطامًا](٣)، أي(٤): يصير يَبَسًا متحطمًا، هكذا الحياة الدنيا تكون أولًا شابةً، ثم تكتهل، ثم تكون عجوزًا شوهاءَ، والإنسان كذلك في أول عمره وعنفوان شبابه غضًّا طريًّا لين الأعطاف، بهي المنظر، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه وَيَنْفَد بعض قواه، ثم يكبر فيصير شيخًا كبيرًا، ضعيف القوىٰ، قليل الحركة، يعجزه الشيء اليسير، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤]. ولما كان هذا المثل دالًّا علىٰ زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنةٌ لا محالة، حَذّر من أمرها ورغّب فيما فيها من الخير، فقال: ﴿وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ أي: وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا: إما عذابٌ شديدٌ، وإما مغفرةٌ من الله ورضوانٌ.

وقوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ أي: هي متاعٌ فانٍ غارٌّ لمن ركن إليه، فإنه يغتر بها وتعجبه حتىٰ يعتقد أنه لا دار سواها ولا معادَ وراءها، وهي حقيرةٌ قليلةٌ بالنسبة إلىٰ الدار الآخرة.

قال ابن جرير: حدثنا علي بن حرب الموصلي، حدثنا المحاربي، حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. اقْرَءُوا: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾**»(٥) وهذا الحديث ثابت في «الصحيح» بدون هذه

---

(١) لوحة (٤٤ ب).

(٢) قال ابن عثيمين رحمه الله: والكفار هم الكافرون بالله عز وجل؛ لأن الكافر تعجبه الدنيا ويفرح بها ويُسَرُّ بها، وقلبه متعلقٌ بها ليس له هَمٌّ إلا ما يراه من زينتها ولهوها، فهو قد أعجب الكفار بالله، وخص الكفار؛ لأن الكفار هم الذين يستحسنون الدنيا ويعجبون بها وتتعلق قلوبهم بها، أما المؤمنون فهم علىٰ العكس لا يهمهم إلا ما فيه مصلحة الآخرة، وقيل: إن المراد بالكفار هنا: الزراع، ولكن هذا ليس بصحيح؛ لأن إطلاق الكفار علىٰ الزراع نادرٌ جدًّا، هذا إن صح، والذين يقولون: إن المراد بهم الزراع يقولون: لأن الزارع يكفر الحب؛ أي: يستره في الأرض، ولكن ما قررناه أولًا هو الصواب: أن المراد بالكفار، هم الكفار بالله.

(٣) ليست في (ز). (٤) في (ز): (إلىٰ أن).

(٥) رواه الطبري (٢٧/ ٢٣٢)، وإسناده حسن.

الزيادة[١]، والله أعلم.

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا ابن نمير ووَكِيع، كلاهما عن[٢] الأعمش، عن شقيق[٣]، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لَلْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ»[٤].

انفرد بإخراجه البخاري في «الرقاق»، من حديث الثوري، عن الأعمش به[٥].

ففي هذا الحديث دليلٌ علىٰ اقتراب الخير والشر من الإنسان، وإذا كان الأمر كذلك؛ فلهذا حثه الله علىٰ المبادرة إلىٰ الخيرات، وفعل الطاعات، وترك المحرمات، التي تكفر عنه الذنوب والزلات، وتحصل له الثواب والدرجات، فقال تعالىٰ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ والمراد: جنس السماء والأرض، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. وقال هاهنا: ﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ أي: هذا الذي أهلهم الله له هو من فضله ومنه عليهم وإحسانه إليهم، كما قدَّمنا في «الصحيح»: أن فقراء المهاجرين قالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدُّثور بالدرجات العلىٰ والنعيم المقيم. قال: «وَمَا ذَاكَ؟». قالوا: يُصلُّون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويُعتقون ولا نُعْتِق. قال: «أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ سَبَقْتُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ: تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ». قال: فرجعوا فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال ما فعلنا، ففعلوا مثله! فقال رسول الله ﷺ: «ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ»[٦].

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ[٧] ٢٤﴾

يخبر تعالىٰ عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية فقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ أي: في الآفاق وفي نفوسكم ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ أي: من قبل أن

---

(١) البخاري (٦٤١٥)، ومسلم (١٨٨١).

(٢) لوحة (٤٥ أ).

(٣) في (ز): (عن سبق)، والمثبت هو الصواب.

(٤) صحيح: رواه أحمد (١/ ٢٤٢). وانظر ما بعده.

(٥) رواه البخاري (٦٣٢٦).

(٦) البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥).

(٧) قال أبو بكر الجزائري حَفِظَهُ اللَّهُ: في الآية تحذير من الجزع وقلة الصبر في السير إلىٰ الله تعالىٰ بالتخلي عن حب العاجلة. فقد ذكرهم بأن التولي؛ أي: الرجوع بعد الضرب في طريق الآخرة حيث الجوار الكريم مما يسبب تخلي الرب عن العبد، فإنه تعالىٰ غنيٌّ حميدٌ لا حاجة له إلىٰ طاعة العباد ولا إلىٰ حمدهم.

نخلق الخليقة ونبرأ النسمة[١].

وقال بعضهم: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ عائدٌ علىٰ النفوسِ. وقيل: عائدٌ علىٰ المصيبة. والأحسنُ عوده علىٰ الخليقة والبرية؛ لدلالة الكلام عليها، كما قال ابن جرير:

حدثني يعقوب، حدثنا ابن عُلَيَّةَ، عن منصور بن عبد الرحمن قال: كنت جالسًا مع الحسن، فقال رجلٌ: سَلْهُ عن قوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ فسألته عنها، فقال: سبحان الله! ومن يشك في هذا؟ كل مصيبةٍ بين السماء والأرض، ففي كتاب الله من قبل أن يبرأ النسمة[٢].

وقال قتادة: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ قال: هي السنون. يعني: الجَدْبَ، ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ يقول: الأوجاع والأمراض. قال: وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبة قدم، ولا خلجان عرق إلا بذنب، وما يعفو[٣] الله عنه أكثر.

وهذه الآية الكريمة من أَدَلِّ دليلٍ علىٰ القَدَريةِ نُفاة العلم السابق -قبحهم الله- وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا حيوة، وابن لهيعة، قالا: حدثنا أبو هانئ الخولاني: أنه سمع أبا عبد الرحمن الحُبُلي يقول: سمعت عبد الله بن عَمرو بن العاص يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قَدَّرَ اللهُ المَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»[٤].

ورواه مسلم في «صحيحه»، من حديث عبد الله بن وهب وحيوة بن شريح ونافع بن يزيد، وثلاثتهم[٥]، عن أبي هانئ به. وزاد ابن وَهب: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ». ورواه الترمذي وقال: حسنٌ صحيحٌ.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ أي: أن علمه تعالىٰ الأشياء قبل كونها وكتابته[٦] لها طبق ما يوجد في حينها سهل علىٰ الله ﷻ؛ لأنه يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

وقوله: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡ﴾ أي: أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها، وتقديرنا الكائنات قبل وجودها؛ لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم، وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم، فلا تأسوا علىٰ ما فاتكم، فإنه لو قدر شيءٌ لكان ﴿وَلَا

(١) لوحة (٤٥ ب).

(٢) الطبري (٢٧/ ٢٣٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠/ ٢٤٩)، وابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (١/ ١٦)، ومنصور بن عبد الرحمن هو البصري الأشل، قال فيه ابن حجر: صدوق يهم، وقال أبو حاتم: لا يحتج به، وقال الذهبي: وثقه جماعة.

(٣) في (ز): وما يغفر.

(٤) رواه أحمد (٢/ ١٦٩).

(٥) مسلم (٢٦٥٣).

(٦) في (ز): وكتابته.

تَفْرَحُوا بِمَآ أَتَاكُمْ﴾ أي: جاءكم، ويقرأ: ﴿ءَاتَىٰكُمْ [1]﴾ أي: أعطاكم. وكلاهما متلازم؛ أي: لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم، فإن ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم، وإنما هو عن قدر [2] [الله ورزقه لكم، فلا تتخذوا نعم الله أشرًا وبطرًا، تفخرون بها على الناس؛ ولهذا] [3] قال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي: مختالٍ في نفسه متكبر، فخور أي: على غيره.

وقال عكرمة: ليس أحدٌ إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفَرَح شكرًا والحزن صبراً.

ثم قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ أي: يفعلون المنكر ويحضون الناس عليه، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي: عن أمر الله وطاعته ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ كما قال موسى عليه السلام: ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨].

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ [4] وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾

يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالمعجزات، والحجج الباهرات، والدلائل القاطعات، ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وهو: النقل المصدق ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ وهو: العدل. قاله مجاهد، وقتادة، وغيرهما. وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة، كما قال: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧]، وقال: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، وقال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧]؛ ولهذا قال في هذه الآية: ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: بالحق والعدل وهو: اتباع الرسل فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا به، فإن الذي جاءوا به هو الحق الذي ليس وراءه حقٌّ، كما قال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] أي: صدقًا في الإخبار، وعدلًا في الأوامر والنواهي. ولهذا يقول المؤمنون إذا تبوءوا غرف الجنات، والمنازل العاليات، والسرر المصفوفات: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ أي: وجعلنا الحديد رادعًا لمن أبى الحق وعانده بعد

---

(١) متواترة: قَرَأَ (أَتَاكُمْ) أَبُو عَمْرٍو وَوَافَقَهُ الْحَسَنُ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (آتَاكُمْ).

(٢) لوحة (٤٦ أ). (٣) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).

(٤) قال ابن عثيمين رحمه الله: أي من ينصر دينه، وأنت تنكر على من يفسر القرآن بخلاف ظاهره؟! فالجواب: أننا لا ننكر على من يفسر القرآن بخلاف ظاهره إذا كان في ذلك دليلٌ صحيحٌ، والدليل على أن المراد: ينصر دينه قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ ليس به حاجةٌ، ولا يحتاج إلى أحدٍ، فهو قويٌّ عزيزٌ غالبٌ، غالب بقوة، لا يلحقها ضعف.

قيام الحجة عليه؛ ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنةً توحىٰ إليه السور المكية، وكلها جدالٌ مع المشركين، وبيانٌ وإيضاحٌ للتوحيد، وتبيانٌ ودلائل، فلما قامت الحجة علىٰ من خالف منهم(١)، شَرَعَ اللهُ الهجرةَ، وأمرهم بالقتال بالسيوف، وضرب الرقاب والهام لمن خالف(٢) القرآن وكذب به وعانده.

وقد رویٰ الإمامُ أحمد وأبو داود، من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن حسان بن عطية، عن أبي المنيب الجرشي الشامي، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ حَتَّىٰ يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»(٣).

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يعني: السلاح كالسيوف، والحراب(٤)، والسنان، والنصال، والدروع، ونحوها. ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ أي: في معايشهم كالسكة، والفأس، والقدوم، والمنشار، والإزميل، والمجرفة، والآلات التي يستعان بها في الحراثةِ والحياكةِ والطبخِ والخَبْزِ وما لا قوام للناس بدونه، وغير ذلك.

قال عِلْباءُ بن أحمد، عن عِكْرِمةَ؛ أن ابن عباس قال: ثلاثة أشياء نزلت مع آدم: السندان، والكلْبَتان والميقعَة(٥) -يعني المطرقة. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم(٦).

وقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: من نيته في حمل السلاح نصرة الله ورسله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: هو قويٌّ عزيزٌ، ينصر من نصره من غير احتياجٍ منه إلىٰ الناس، وإنما شرع الجهاد ليبلو بعضكم ببعض.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾

يخبر تعالىٰ أنه منذ بعث نوحًا ﷺ، لم يرسل بعده رسولًا ولا نبيًّا إلا من ذريتِهِ، وكذلك إبراهيم

---

(١) في (ز): (تخلف منهم). (٢) لوحة (٤٦ ب).

(٣) **صححه الألباني**: رواه أحمد (٢/ ٥٠) (٢/ ٩٢)، وأبو داود (٤٠٣١) وفي إسناده عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان: صدوق يخطئ.

وللحديث طرق أوردها الألباني في «الإرواء» وحكم علىٰ الحديث بالصحة.

(٤) في (ز): (والجعاب). (٥) في (ز): (والمنفقة).

(٦) رواه الطبري (٢٧/ ٢٣٧)، وفي إسناده محمد بن حميد: حافظ ضعيف.

عَلَيْهِ السَّلَامُ، خليلُ الرحمن، لم ينزل من السماءِ كتابًا ولا أرسل رسولًا ولا أوحىٰ إلىٰ بشرٍ من بعده، إلا وهو من سلالته كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [يعني] حتىٰ كان آخر أنبياء بني إسرائيل عيسىٰ ابن مريم الذي بشر من بعده بمحمد -صلوات الله وسلامه عليهما- ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا(1) عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾.

وهو الكتاب الذي أوحاه الله إليه ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ وهم الحواريون ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ أي: رأفة وهي الخشية ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالخلق.

وقوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ أي: ابتدعتها أمة النصارىٰ ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: ما شرعناها لهم، وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم(2).

---

(1) لوحة (٤٧ أ).

(2) قال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: رأيت في كثيرٍ من مؤلفات علماء المسيحيين المتأخرين ذم بدعة الرهبنة وما كان لتأثيرها في النفوس والأخلاق من المفاسد والأضرار، فقد قال صاحب «ريحانة النفوس» منهم، في الباب السابع عشر، في الرهبنة:

إن الرهبنة قد نشأت من التوهم بأن الانفراد عن معاشرة الناس، واستعمال التقشفات والتأملات الدينية، هي ذات شأنٍ عظيمٍ، ولكن لا يوجد سندٌ لهذا الوهم في الكتب المقدسة؛ لأن مثال المسيح، ومثال رسله يضادانه باستقامة، فإنهم لم يعتزلوا عن الاختلاط بالناس؛ لكي يعيشوا بالانفراد، بل إنما كانوا دائمًا مختلطين بالعالم، يعلّمون وينصحون. ونحن نقول بكل جراءةٍ: إنه لا يوجد في جميع الكتاب المقدس مثال للرهبنة، ولا يوجد أمرٌ من أوامره يلزم بها، بل العكس، فإن روح الكتاب وفحواه يضادّ كل دعوىٰ مبنية علىٰ العيشة المنفردة المقرونة بالتقشفات، ولكن مع أن الكتاب المقدس لا يمدح العيشة الانفرادية، فقد ظهر الميل الشديد إليها في الكنيسة، في أواخر الجيل الثاني وأوائل الجيل الثالث، وأيد الباحثين المقاومين لها وقتئذ أنها عادة سرت للمسيحيين من الهنود الوثنيين السمانيين، فإن لهم أنواعًا كثيرةً من عباداتٍ تأمر كهنتها بالبتولية والامتناع عن أكل اللحم وأمورًا أخرىٰ مقرونةً بخرافاتٍ.

ثم قال: ومع أن الرهبنة حصلىٰ عليها مقاومة من العقلاء، امتدت وانتشرت في المسكونة، وكان ابتداؤها في مصر في الجيل الرابع، علىٰ أثر اشتهار أحد الرهبان وممارسته التقشفات، بسبب الاضطهاد الذي أصابه، وآثر لأجله الطواف في البراري، فرارًا من أيادي مضطهديه...

ثم امتدت من مصر إلىٰ فلسطين وسورية إلىٰ أكثر الجهات؛ توهمًا بأن رسم المسيحية الكاملة لا يوجد إلا في المعيشة الضيقة القشفة... وأما بدعة العزوبة والتبتل، فنشأت من حضّ بولس عليها، وترغيبهم فيها، كما أفصح عنه كلامه في آخر الفصل السابع من رسالته الأولىٰ.... إن هذه العادة لا يوجد لها برهان في الكتاب المقدس، وإنما دخلت بالتدريج، لما خامرهم من توهم أفضلية البتولية، وظنهم أنها أزكىٰ من الزواج، ومدح من جاء علىٰ أثرهم لها مدحًا بالغًا النهاية في الإطراء، فحسبوها من الواجبات الأدبية المأمور بها، ووضع نظام وقوانين لوجوبها في الجيل الثالث، حتىٰ قاومتها كنائس أخرىٰ، ورفضت بدعة البتولية وقوانينها، لمغايرتها للطبيعة، ومضادتها لنص الكتب الإلهية، واستقرائها أديرة الراهبات، بأنها في بعض الأماكن كانت بيوتًا للفواحش والفساد.

وفي كتاب «البراهين الإنجيلية ضد الأباطيل الباباوية»: إن ذم الزيجة خطأ؛ لأنها عمل الأفضل؛ لأن الرسول أخبر بأن الزواج خير من التوقد بنار الشهوة، وإن الأكثرين من رسل المسيح كانوا ذوي نساء تجول معهم. ومن المعلوم أن الطبيعة البشرية تغصب الإِنسَانَ علىٰ استيفاء حقها، ومن العدل أن تستوفيه.... ولذلك نرىٰ كثيرين من الأساقفة والقسوس والشمامسة، لا بل الباباوات المدعين بالعصمة، قد تكردسوا في هوة الزنا لعدم تحصنهم بالزواج الشرعي... وكأن الراهب ينذر علىٰ نفسه مقاومة أمرٍ قبيحٍ، ويعدم وجود ألوف ألوف، ربما كانت تتولد من ذريته، فكأنه قد قتلها. وهذا النذر لم تأمر به الشريعة الإنجيلية قطّ؛ فالطريقة الرهبانية هي اختراعٌ شيطانيٌّ قبيحٌ، لم يكن له رسمٌ في الكتب المقدسة، ولا في أجيال الكنيسة الأولىٰ، وهو مضر علىٰ أنفس الرهبان، وعلىٰ الشعب، فمن يقاومه

وقوله: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ فيه قولان، أحدهما: أنهم قصدوا بذلك رضوان الله، قاله سعيد ابن جبير، وقتادة.

والآخر: ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله.

وقوله: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي: فما قاموا بما التزموه حق القيام. وهذا ذمٌّ لهم من وجهين، أحدهما: في الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله. والثاني: في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربةٌ يقربهم إلىٰ الله ﷻ.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا إسحاق بن أبي حمزة أبو يعقوب الرازي، حدثنا السندي بن عبدويه[(١)]، حدثنا بُكَير[(٢)] بن معروف، عن مُقاتِل بن حَيَّان، عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، عن جده بن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يَا ابْنَ مَسْعُودٍ». قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقُوا عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؟ لَمْ يَنْجُ مِنْهَا إِلَّا ثَلَاثُ فِرَقٍ، قَامَتْ بَيْنَ الْمُلُوكِ وَالْجَبَابِرَةِ بَعْدَ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ﵇ فَدَعَتْ إِلَىٰ دِينِ اللهِ وَدِينِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، فَقَاتَلَتِ الْجَبَابِرَةُ فَقُتِلَتْ فَصَبَرَتْ وَنَجَتْ، ثُمَّ قَامَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يَكُنْ لَهَا قُوَّةٌ بِالْقِتَالِ، فَقَامَتْ بَيْنَ الْمُلُوكِ وَالْجَبَابِرَةِ فَدَعَوْا إِلَىٰ دِينِ اللهِ وَدِينِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، فَقُتِلَتْ، وَقُطِّعَتْ بِالْمَنَاشِيرِ، وَحُرِّقَتْ بِالنِّيرَانِ، فَصَبَرَتْ وَنَجَتْ. ثُمَّ قَامَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يَكُنْ لَهَا قُوَّةٌ بِالْقِتَالِ وَلَمْ تُطِقِ الْقِيَامَ بِالْقِسْطِ، فَلَحِقَتْ بِالْجِبَالِ فَتَعَبَّدَتْ وَتَرَهَّبَتْ، وَهُمُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ ﷻ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾»[(٣)].

وقد رواه ابن جرير بلفظ آخر من طريق أخرىٰ فقال: حدثنا يحيىٰ بن أبي طالب، حدثنا داود بن المحبر، حدثنا الصَّعِق بن حَزْن، حدثنا عقيل الجعدي، عن أبي إسحاق[(٤)] الهمداني، عن سُوَيد بن غفلة، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «اخْتَلَفَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، نَجَا مِنْهُمْ ثَلَاثٌ وَهَلَكَ سَائِرُهُمْ...» وذكر نحو ما تقدم، وفيه: ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَصَدَّقُونِي، ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ وَهُمُ الَّذِينَ كَذَّبُونِي وَخَالَفُونِي»[(٥)].

= يقاوم الشيطان. وهؤلاء الرهبان لا نفع منهم للرعية، إنما هم كالأمراء الذين يتخذون لأنفسهم قصورًا خارج العمران، فيتنعمون وحدهم في أديرتهم، ويسلبون أموال الشعب بالحيل والمخادعات وهم كسالىٰ بطَّالون، يعيشون من أتعاب غيرهم، خلافًا لسلوك رسل المسيح والمبشرين القدماء، الذين لم نرَ واحدًا منهم انفرد عن العالم في مكان نزهته، واحتال بأن يعيش من أتعاب الشعب؛ إن بولس كان يخدم الكنائس، ويعيش من شغل يديه، وهو يوصي بأن الذي لا يعمل، فلا يطعم. ولا تتسع الصحف لشرح جميع الأضرار التي وقعت علىٰ العالم بسبب الرهبنات. انتهىٰ. وهو حجةٌ عليهم منهم.

(١) في (ز): (السري بن عبد ربه)، والمثبت هو الصواب. (٢) في (ز): (بكر)، وهو خطأ.

(٣) ضعيف: رواه ابن أبي حاتم (١٨٨٣٤)، وشيخ المصنف لم أعرفه والسندي بن عبدويه، ذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: يغرب.

[ولا يفرح بهذه المتابعة][(١)] لحال داود بن المحبر[(٢)]، فإنه أحد الوضاعين للحديث، لكن قد أسنده أبو يعلىٰ، وسنده عن شيبان بن فرُّوخ، عن الصَّعِق بن حَزْن، به مثل ذلك فقوي الحديث من هذا الوجه[(٣)].

وقال ابن جرير، وأبو عبد الرحمن النسائي -[واللفظ له][(٤)]-: أخبرنا الحسين بن حُرَيْث، حدثنا الفضل بن موسىٰ، عن سفيان بن سعيد، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس ﵄ قال: كان ملوك بعد عيسىٰ ﵇ بدلت التوراة والإنجيل، فكان منهم مؤمنون يقرءون التوراة والإنجيل، فقيل لملوكهم: ما نجد شيئًا أشد من شتم يشتمونا هؤلاء، إنهم يقرءون: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، هذه الآيات[(٥)]، مع ما يعيبوننا به من أعمالنا في قراءتهم، فادعهم فليقرءوا كما نقرأ، وليؤمنوا كما آمنَّا. فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل، إلا ما بدلوا منها، فقالوا: ما تريدون إلىٰ ذلك؟ دعونا: فقالت طائفةٌ منهم: ابنوا لنا أسطوانة[(٦)]، ثم ارفعونا إليها، ثم أعطونا شيئًا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم. وقالت طائفةٌ: دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا. وقالت طائفةٌ: ابنوا لنا دورًا في الفيافي، ونحتفر الآبار [ونحترث البقول][(٧)] فلا نرد عليكم ولا نمر بكم. وليس أحدٌ من القبائل إلا له حميم فيهم[(٨)]، ففعلوا ذلك فأنزل الله ﷻ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ والآخرون[(٩)] قالوا: نَتَعَبَّدُ كما تَعَبَّدَ فلان، ونسيح كما ساح فلان، ونتخذ دورًا كما اتخذ فلان، وهم علىٰ شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم فلما بُعث النبي ﷺ ولم يبقَ[(١٠)] منهم إلا القليل، انحط منهم رجلٌ من صومعته، وجاء سائح من سياحته، وصاحب الدير من ديره، فآمنوا به وصدقوه، فقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أجرين بإيمانهم بعيسىٰ ابن مريم[(١١)] والتوراة والإنجيل، وبإيمانهم بمحمد ﷺ وتصديقهم قال: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨]: القرآن، واتباعهم النبي ﷺ قال: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الذين يتشبهون بكم ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[(١٢)].

---

(١) في (ز): (ولا يفرح بهذه المبالغة)، وفي كثير من المطبوعات: (ولا يقدح في هذه المتابعة)!!.
(٢) في (ز): (المجير).
(٣) لا، بل لم يقوَ، فإنه وإن ارتفعت علة داود بن المحبر، فما زال الإسناد معلولًا بالصعق بن حزن.
(٤) ليست في (ز).
(٥) في (ز): هؤلاء الآيات.
(٦) أي: منارة مرتفعة.
(٧) ليست في (ز).
(٨) أي: فلذلك قبلوا منهم هذا الكلام وتركوهم من القتل.
(٩) أي: الذين بقوا عند الملك.
(١٠) لوحة (٤٨ أ).
(١١) في (ز): ابن مريم ونصب أنفسهم والتوراة. والمثبت من «النسائي».
(١٢) رواه الطبري في «التفسير» (٢٧/ ٢٣٩)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٥٦٧)، ورجال إسناده ثقات عدا عطاء بن السائب: اختلط، والفضل بن موسىٰ: ثقة ثبت إلا أن له غرائب.

هذا السياق فيه غرابةٌ، وسيأتي تفسير هاتين الآيتين الأخريين على غير هذا، والله أعلم.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا أحمد بن عيسى، حدثنا عبد الله بن وهب، حدثني سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء: أن سهل بن أبي أمامة حدثه أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك بالمدينة زمان عمر بن عبد العزيز وهو أمير، وهو يصلي صلاةً خفيفة[(١)] كأنها صلاة مسافرٍ أو قريبًا منها، فلما سلم قال: يرحمك الله، أرأيت هذه الصلاة المكتوبة، أم شيء تنفلته؟ قال: إنها المكتوبة، وإنها صلاة رسول الله ﷺ ما أخطأت إلا شيئًا سهوت عنه، إن رسول الله ﷺ كان يقول: «**لا تُشَدِّدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فَيُشَددَ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَشُدِّدَ عَلَيْهِمْ، فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارَاتِ، رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ**». ثم غدوا من الغد فقالوا: نركب فننظر ونعتبر قال: نعم، فركبوا جميعًا، فإذا هم بديار قفر قد باد أهلها وانقرضوا وفنوا، خاوية على عروشها فقالوا: تعرف هذه الديار؟ قال: ما أعرفني بها وبأهلها. هؤلاء أهل[(٢)] الديار، أهلكهم البغي والحسد، إن الحسد يطفئ نور الحسنات، والبغي يصدق ذلك أو يكذبه، والعين تزني والكف والقدم والجسد واللسان، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه[(٣)].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا [يَعْمَرُ][(٤)]، حدثنا عبد الله، أخبرنا سفيان، عن زيد العَمِّي، عن أبي إياس، عن[(٥)] أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ رَهْبَانِيَّةٌ، وَرَهْبَانِيَّةُ هَذِهِ الأُمَّةِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ**»[(٦)].

ورواه الحافظ أبو يعلى، عن عبد الله بن محمد بن أسماء، عن عبد الله بن المبارك به، ولفظه: «**لِكُلِّ أُمَّةٍ رَهْبَانِيَّةٌ، وَرَهْبَانِيَّةُ هَذِهِ الأُمَّةِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[(٧)].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا حسين -هو ابن محمد- حدثنا [ابن عياش][(٨)] -يعني إسماعيل- عن الحجاج [بن مروان الكلاعي، وعقيل بن مدرك السلمي][(٩)]، عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه أن رجلًا جاءه فقال: أوصني فقال: سألت عما سألت عنه رسول الله ﷺ من قبلك، أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله

---

(١) في (ز): خفيفة وقعة.

(٢) في (ز): هؤلاء على الديار.

(٣) رواه أبو يعلى (٦/ ٣٦٥)، والحديث عند أبي داود (٤٩٠٤)، وفيه: سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء: مقبول كما في «التقريب»، وضعفه الشيخ الألباني كما في «الضعيفة» (٣٤٦٨).

(٤) في (ز): (معمر)، والمثبت هو الصواب.

(٥) لوحة (٤٨ ب).

(٦) رواه أحمد (٣/ ٢٦٦)، وفيه زيد العمي، وثقه أحمد، وضعفه أبو زرعة، والحديث عند أبي يعلى (٧/ ٢١٠).

(٧) انظر التخريج السابق.

(٨) في (ز): (عياض)، والمثبت من «المسند».

(٩) ليست في (ز)، والمثبت من «المسند».

وتلاوة القرآن، فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض. تفرد به أحمد(١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٨) لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)﴾

قد تقدم في رواية النسائي عن ابن عباس: أنه حمل هذه الآية على مؤمني أهل الكتاب، وأنهم يؤتون أجرهم مرتين كما في الآية التي في القصص، وكما في حديث الشعبي عن أبي بُرْدَةَ، عن(٢) أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِي فَلَهُ أَجْرَانِ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّىٰ حَقَّ اللهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَرَجُلٌ أَدَّبَ أَمَتَهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ»(٣). أخرجاه في «الصحيحين».

ووافق ابن عباس على هذا التفسير الضحاك، وعتبة بن أبي حكيم، وغيرهما، وهو اختيار ابن جرير. وقال سعيد بن جبير: لما افتخر أهلُ الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله هذه الآية في حق هذه الأمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ أي: ضعفين، وزادهم: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ يعني: هدًى يُتبصَّر به من العمى والجهالة، ويغفر لكم. فضلهم بالنور والمغفرة. ورواه ابن جرير عنه.

وهذه الآية(٤) كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال:٢٩].

وقال سعيد بن عبد العزيز: سأل عمر بن الخطاب حَبْرًا من أحبارِ يهود: [كم](٥) أفضل ما ضعفت لكم حسنة؟ قال: كفل ثلاثمائة وخمسون حسنة. قال: فحمد الله عمر على أنه أعطانا كفلين. ثم ذكر سعيد قول الله ﷻ: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ قال سعيد: والكفلان في الجمعة مثل ذلك. رواه ابن جرير.

ومما يؤيد هذا القول ما رواه الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا أيوب، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالًا فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ إِلَىٰ نِصْفِ النَّهَارِ عَلَىٰ قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ أَلَا فَعَمِلَتِ اليَهُودُ. ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَىٰ صَلَاةِ العَصْرِ عَلَىٰ قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ أَلَا فَعَمِلَتِ النَّصَارَىٰ. ثُمَّ قَالَ: مَنْ

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٨٢)، وفيه: الحجاج بن مروان: ليس بالمشهور.

(٢) في (ز): (أبي بردة عن أبيه أبي موسى).

(٣) البخاري (٩٧) (٢٥٤٤) (٢٥٤٧) (٢٥٥١)، ومسلم (١٥٤).

(٤) لوحة (٤٩ أ).

(٥) ليست في (ز).

يَعْمَلُ لِي مِنْ صَلَاةِ العَصْرِ إِلَىٰ غُرُوبِ الشَّمْسِ عَلَىٰ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ؟ أَلَا فَأَنْتُمُ الَّذِي عَمِلْتُمْ. فَغَضِبَتِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ، وَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقَلُّ عَطَاءً. قَالَ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَإِنَّمَا هُوَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ»(١).

قال أحمد: وحدثناه مُؤَمَّلٌ، عن سفيان، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، نحو حديث نافع، عنه(٢).

انفرد بإخراجه البخاري، فرواه عن سليمان بن حرب، عن حماد، [عن أيوب](٣)، عن نافع به، وعن قتيبة، عن الليث، عن نافع، بمثله(٤).

وقال البخاري: حدثني محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، عن بُرَيدٍ(٥)، عن أبي بردة، عن أبي موسىٰ، عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ المُسْلِمِينَ وَاليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلًا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ عَلَىٰ أَجْرٍ مَعْلُومٍ، فَعَمِلُوا إِلَىٰ نِصْفِ النَّهَارِ فَقَالُوا: لَا حَاجَةَ لَنَا فِي أَجْرِكَ الَّذِي شَرَطْتَ لَنَا، وَمَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ. فَقَالَ لَهُمْ: لَا تَفْعَلُوا، أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ وَخُذُوا أَجْرَكُمْ كَامِلًا فَأَبَوْا وَتَرَكُوا، وَاسْتَأْجَرَ آخَرِينَ بَعْدَهُمْ فَقَالَ: أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمْ وَلَكُمُ الَّذِي شَرَطْتُ لَهُمْ مِنَ الأَجْرِ، فَعَمِلُوا حَتَّىٰ إِذَا كَانَ حِينَ صَلَّوُا العَصْرَ قَالُوا: مَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ، وَلَكَ الأَجْرُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فِيهِ. فَقَالَ: أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ؛ فَإِنَّ مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ شَيْءٌ يَسِيرٌ. فَأَبَوْا، فَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا أَنْ يَعْمَلُوا لَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ، فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّىٰ غَابَتِ الشَّمْسُ، فَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الفَرِيقَيْنِ [كِلَيْهِمَا]، فَذَلِكَ مَثَلُهُمْ وَمَثَلُ مَا قَبِلُوا مِنْ(٦) هَذَا النُّورِ» انفرد به البخاري(٧) ولهذا قال تعالىٰ: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ أي: ليتحققوا أنهم لا يقدرون علىٰ رَدّ ما أعطاه الله، ولا [علىٰ] إعطاء ما منع الله، ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

قال ابن جرير: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ أي: ليعلم، وقد ذكر عن ابن مسعود أنه قرأها: «لِكَيْ يَعْلَمَ»(٨). وكذا حطَّان بن عبد الله، وسعيد بن جبير، قال ابن جرير: لأن العرب تجعل «لا» صلة في كل كلام دخل في أوله أو آخره جحد غير(٩) مصرح، فالسابق كقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف:١٢]، ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٠٩]، ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء:٩٥].

آخر تفسير سورة الحديد.

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٦).
(٢) رواه أحمد (٢/ ١١١)، وإسناده صحيح.
(٣) ليست في (ز)، وهي مثبتة من «صحيح البخاري».
(٤) البخاري (٢٢٦٨).
(٥) في (ز): (يزيد)، وهو خطأ.
(٦) لوحة (٤٩ ب).
(٧) رواه البخاري (٢٢٧١).
(٨) قراءة: قَرَأَ (لِكَيْ) ابْنُ مَسْعُودٍ، وَلَيْسَ فِي الْمُتَوَاتِرِ إِلَّا (لِئَلَّا).
(٩) في (ز): (عن مصرح).

سُورَةُ المُجَادَلَةِ

تفسير سورة المجادلة وهي مدنية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١﴾

قال الإمام أحمد: حدَّثنا أبو معاوية، حدَّثنا الأعمش، عن تميم[1] بن سلمة، عن عُرْوَةَ، عن عائشة قالت: الحمدُ لله الذي وَسِعَ سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلةُ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ تكلِّمه وأنا في ناحيةِ البيت، ما أسمع ما تقول، فأنزل الله ﷻ: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾ إلىٰ آخر الآية[2].

وهكذا رواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقًا فقال: وقال الأعمش، عن تميم[3] بن سلمة، عن عروة، عن عائشة، فذكره وأخرجه النسائي، وابن ماجه، وابن أبي حاتم، وابن جرير من غير وجهٍ، عن الأعمش به[4].

وفي روايةٍ لابن أبي حاتم عن الأعمش، عن تميم[5] بن سلمة، عن عروة[6]، عن عائشة، أنها قالت: تبارك الذي أوعىٰ سمعه كل شيءٍ، إني لأسمع كلام خَوْلة بنت ثعلبة، ويخفىٰ عليَّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلىٰ رسول الله ﷺ، وهي تقول: يا رسول الله، أكَلَ شبابي، ونَثَرتُ له بطني، حتىٰ إذا كَبِرَتْ سِنِّي، وانقطع ولدي، ظَاهَرَ مِنِّي، اللَّهمَّ إنِّي أشكو إليك، قالت: فما برحت حتىٰ نزل جبريل بهذه الآية: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾ وقال: وزوجها أوس بن الصامت[7].

وقال ابن لَهِيعَةَ، عن أبي الأسود، عن[8] عروة: هو[9] أوس بن الصامت، وكان أوس [امرأً][10] به لَمَمٌ، فكان إذا أخذه لممه واشتدَّ به يُظَاهِرُ من امْرَأَته، وإذا ذهب لم يقُل شيئًا، فأتت رسول الله تستفتيه في ذلك، وتشتكي إلىٰ الله، فأنزل الله: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآية.

---

(١) في (ز): (سهم)، وهو خطأ.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٦/ ٤٦) وانظر ما بعده.

(٣) في (ز): (سهم)، وهو خطأ.

(٤) البخاري تعليقًا (١٣/ ٣٧٢)، والنسائي (٨/ ١٦٨)، وابن ماجه (١٨٨)، وابن أبي حاتم (١٨٨٣٩)، والطبري (٢٨/ ٥، ٦).

(٥) في (ز): (سهم)، وهو خطأ.

(٦) في (ز): (عن عبدة)، وهو خطأ.

(٧) صحيح: رواه ابن أبي حاتم (١٨٨٤٠).

(٨) لوحة (٥٠ أ).

(٩) في (ز): (عن أوس)، والمثبت هو الصواب.

(١٠) سقط من (ز).

وهكذا روىٰ هشام[(١)] بن عروة، عن أبيه: أن رجلًا كان به لممٌ، فذكر مثله.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا موسىٰ بن إسماعيل أبو[(٢)] سلمة، حدَّثنا جرير -يعني ابن حازم- قال: سمعت أبا يزيدَ يحدث قال: لَقِيَتِ امرأةٌ عُمَرَ -يقال لها: خَوْلة بنت ثعلبة- وهو يسير مع النَّاسِ، فاستوقفته فوقف لها ودنا منها وأصغىٰ إليها رأسه، ووضع يديه علىٰ منكبيها حتىٰ قضت حاجتها وانصرفت، فقال له رجلٌ: يا أمير المؤمنين، حبست رجالات قريش علىٰ هذه العجوز؟! قال: ويحك! وتدري من هذه؟ قال: لا، قال: هذه امرأة سمع الله شكواها مِن فوق سبع سموات، هذه خَوْلة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عنِّي إلىٰ الليل ما انصرفت [عنها][(٣)] حتىٰ تقضي حاجتها إلىٰ أن تحضر صلاةٌ فأصَلِّيها، ثم أرجع إليها حتىٰ تقضي حاجتها[(٤)].

هذا منقطع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب، وقد روي مِن غير هذا الوجه، وقال ابن أبي حاتم أيضًا: حدَّثنا المنذر بن شاذان، حدَّثنا يَعْلىٰ، حدَّثنا زكريا عن عامر قال: المرأة التي جادلت في زوجها خولة بنت الصامت، وأمها مُعَاذة التي أنزل الله فيها: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣] صوابه: خولة امرأة أوس بن الصامت.

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ[(٥)] ﴿٤﴾﴾

---

(١) في (ز): (همام بن عروة)، وهو خطأ.

(٢) في (ز): (ابن سلمة)، والمثبت هو الصواب.

(٣) سقط من (ز).

(٤) رواه ابن أبي حاتم (١٨٨٤١) وإسناده منقطع.

(٥) قال العلامة السعدي رحمه الله: وفي هذه الآيات عدة أحكام:

منها: لطف الله بعباده واعتناؤه بهم، حيث ذكر شكوىٰ هذه المرأة المصابة، وأزالها ورفع عنها البلوىٰ، بل رفع البلوىٰ بحكمه العام لكل من ابتلي بمثل هذه القضية.

ومنها: أن الظهار مختصٌّ بتحريم الزوجة؛ لأن الله قال: ﴿مِن نِّسَآئِهِم﴾ [المجادلة:٢] فلو حرم أمته، لم يكن ذلك ظهارًا، بل هو من جنس تحريم الطعام والشراب، تجب فيه كفارة اليمين فقط.

ومنها: أنه لا يصح الظهار من امرأةٍ قبل أن يتزوجها؛ لأنها لا تدخل في نسائه وقت الظهار، كما لا يصح طلاقها، سواء نَجَّز ذلك أو علَّقه... ومنها: أنه يكره للرجل أن ينادي زوجته ويسميها باسم محارمه، كقوله «يا أمي» «يا أختي» ونحوه؛ لأن ذلك يشبه المحرم.

ومنها: أن الكفارة إنما تجب بالعود لما قال المظاهر، علىٰ اختلاف القولين السابقين، لا بمجرد الظهار.

ومنها: أنه يجزئ في كفارة الرقبة، الصغير والكبير، والذكر والأنثىٰ، لإطلاق الآية في ذلك.

ومنها: أنه يجب إخراجها إن كانت عتقًا أو صيامًا قبل المسيس، كما قيده الله، بخلاف كفارة الإطعام، فإنه يجوز المسيس والوطء في أثنائها.

ومنها: أنه لا بد من إطعام ستين مسكينًا، فلو جمع طعام ستين مسكينًا، ودفعها لواحدٍ أو أكثر من ذلك، دون الستين لم يجز ذلك؛ لأن الله قال: ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا سعد بن إبراهيم ويعقوب قالا: حدَّثنا أبي، حدَّثنا محمَّد بن إسحاق، حدثني مَعْمَرُ بن عبد الله بن حنظلة، عن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن خويلة بنت ثعلبة قالت: فيَّ -والله- وفي أوس بن الصامت أنزل الله صَدْرَ سورة «المجادلة»، قالت: كنت عنده وكان شيخًا كبيرًا قد ساء خلقه، قالت: فدخل عليَّ يومًا فراجعته بشيءٍ فغضب، فقال: أنتِ عليَّ كظهر أُمِّي[1]. قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعةً، ثم دخل عليَّ فإذا هو يريدني عن نفسي، قالت: قلت: كلَّا والَّذي نفس خويلة بيده، لا تخلُصُ إليَّ وقد قلتَ ما قلتَ، حتىٰ يحكم الله ورسوله فينا بحكمه، قالت: فواثبني وامتنعت منه، فغلبته بما تغلب[2] به المرأة الشيخ الضعيف، فألقيته عني، قالت: ثم خرجتُ إلىٰ بعض جاراتي، فاستعرت منها ثيابًا، ثم خرجتُ حتىٰ جئتُ رسول الله ﷺ، فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه، وجعلت أشكو إليه ما ألقىٰ من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول: «**يَا خُوَيْلَةُ ابْنُ عَمِّكِ شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَاتَّقِي اللهَ فِيهِ**». قالت: فوالله ما برحت حتىٰ نزل فيَّ القرآن، فتغشىٰ رسول الله ﷺ ما كان يتغشَّاه، ثم سُرِّيَ عنه، فقال لي: «**يَا خُوَيْلَةُ قَدْ أَنْزَلَ اللهُ فِيكِ وَفِي صَاحِبِكِ**». ثم قرأ عليَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قالت: فقال لي رسول الله ﷺ: «**مُرِيهِ فَلْيُعْتِقْ رَقَبَةً**». قالت: فقلت: يا رسول الله، ما عنده ما يعتق، قال: «**فَلْيَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ**». قالت: فقلت: والله إنه شيخٌ كبيرٌ، ما به من صيام، قال: «**فَلْيُطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا وَسْقًا[3] مِنْ تَمْرٍ**». قالت: فقلت: يا رسول الله، ما ذاك عنده، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**فَإِنَّا سَنُعِينُهُ بِعَرَقٍ[4][5] مِنْ تَمْرٍ**»، قالت: فقلت: يا رسول الله، وأنا سأعينه بعَرَقٍ[6] آخر، قال: «**فَقَدْ أَصَبْتِ وَأَحْسَنْتِ، فَاذْهَبِي فَتَصَدَّقِي بِهِ عَنْهُ، ثُمَّ اسْتَوْصِي بِابْنِ عَمِّكِ خَيْرًا**». قالت: ففعلت[7].

ورواه أبو داود في كتاب الطلاق من «سننه» من طريقين، عن محمَّد بن إسحاق بن يسار، به وعنده: خولة بنت ثعلبة، ويقال فيها: خولة بنت مالك بن ثعلبة. وقد تصغَّر فيقال: خُوَيلة. ولا منافاة بين هذه الأقوال، فالأمر فيها قريبٌ. والله أعلم.

هذا هو الصحيح في سبب نزول صدر هذه السورة، فأمَّا حديث سَلَمةَ بن صَخْرٍ فليس فيه أنَّه كان سبب النُّزول، ولكن أمر بما أنزل الله في هذه السُّورة، من العتق أو الصيام، أو الإطعام، كما قال الإمام أحمد:

---

(١) لوحة (٥٠ ب). (٢) في (ز): (مما فعلت).

(٣) الوَسْق: ستون صاعـًا، والصاع: أربعة أمداد، والمُد: مجموع كفي الرجل المعتدل.

(٤) في (ز): (بفرق).

(٥) العَرَق: زنبيل منسوج من نسائج الخوص، وكل شيء مضفور فهو عَرَقٌ وعرَقَةٌ.

(٦) في (ز): (بفرق).

(٧) البخاري (٤٩٠٧) ومسلم (٢٥٨٤)، وأحمد (٣/ ٣٩٢).

حدَّثنا يزيد بن هارون، أخبرنا محمَّد بن إسحاق، عن محمَّد بن عمرو بن عطاء، عن سُلَيمان بن يَسَارٍ، عن سلمة بن صخرٍ الأنصاري قال: كنتُ امرأً قد أُوتِيتُ من جماع النِّساء[١] ما لم يُؤْتَ غيري، فلمَّا دخل رمضان تظهَّرت من امرأتي حتىٰ ينسلخ رمضان، فَرَقًا من أن أصيب في ليلتي شيئًا فأتابع في ذلك إلىٰ أن يدركني النَّهار، وأنا لا أقدر أن أنزع، فبينا هي تخدمني[٢] من اللَّيل إذ تكشَّف لي منها شيءٌ، فوثبت عليها، فلمَّا أصبحتُ غدوتُ علىٰ قومي فأخبرتهم خبري وقلت: انطلقوا معي إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فَأُخْبِرَه بأمري. فقالوا: لا والله لا نفعل؛ نتخوَّف أن ينزل فينا -أو: يقول فينا رسول الله ﷺ- مقالةً يبقىٰ علينا عارُهَا، ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدا لك، قال: فخرجتُ حتىٰ أتيتُ النَّبيَّ ﷺ، فأخبرته خبري. فقال لي: «أَنْتَ بِذَاكَ»، فقلت: أنا بذاك. فقال: «أَنْتَ بِذَاكَ»، فقلت: أنا بذاك، قال: «أَنْتَ بِذَاكَ»، قلت: نعم، ها أنا ذا فأمض فيَّ حكم الله تعالىٰ فإنِّي صابرٌ له. قال: «أَعْتِقْ رَقَبَةً». قال: فضربت صفحة رقبتي بيدي وقلت: لا والذي بعثك بالحق ما أصبحت أملك غيرها، قال: «فَصُمْ شَهْرَيْنِ»، قلت: يا رسول الله، وهل أصابني ما أصابني إلا في الصِّيام؟ قال: «فَتَصَدَّقْ»، فقلت: والذي بعثك بالحق، لقد بتنا ليلتنا هذه وَحْشَىٰ[٣] ما لنا عشاء. قال: «اذْهَبْ إِلَىٰ صَاحِبِ صَدَقَةِ بَنِي زُرَيْقٍ فَقُلْ لَهُ فَلْيَدْفَعْهَا إِلَيْكَ، فَأَطْعِمْ عَنْكَ مِنْهَا وَسْقًا مِنْ تَمْرٍ سِتِّينَ مِسْكِينًا، ثُمَّ اسْتَعِنْ بِسَائِرِهِ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ عِيَالِكَ». قال: فرجعت إلىٰ قومي فقلت: وجدت عندكم الضِّيقَ وسوءَ الرَّأي، ووجدت عند رسول الله ﷺ السَّعَة والبركة، قد أمر لي بصَدَقَتِكُم، فادفعوها إليَّ، فدفعوها إليَّ.

وهكذا رواه أبو داود، وابن ماجه، واختصره الترمذي وحَسَّنه[٤].

وظاهر السِّياق: أنَّ هذه القصَّة كانت بعد قصَّة أوس بن الصَّامت وزوجته خُوَيلَة بنت ثعلبة، كما دلَّ عليه سياق تلك وهذه بعد التأمُّل.

قال خُصَيف، عن مجاهد، عن ابن عبَّاس: أوَّل مَن ظاهر مِن امرأته أوس بن الصَّامت، أخو عبادة ابن الصَّامت، وامرأته خولة بنت ثعلبة بن مالك، فلمَّا ظاهر منها خَشِيت أن يكون ذلك طلاقًا، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنَّ أوسًا ظاهر مِنِّي، وإنا إن افترقنا هلكنا، وقد نَثَرتُ بطني منه، وقَدمتْ صُحْبَتُهُ، وهي تشكو ذلك وتبكي، ولم يكن جاء في ذلك شيء، فأنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فدعاه رسول الله[٥] ﷺ فقال: «أَتَقْدِرُ عَلَىٰ رَقَبَةٍ تُعْتِقُهَا؟»، قال: لا والله يا رسول الله ما أقدر عليها، قال: فجمع له رسول الله ﷺ، حتىٰ أعتق عنه، ثم راجع أهله، رواه بن جرير، ولهذا ذهب ابنُ عبَّاسٍ والأكثرون إلىٰ ما قلناه، والله أعلم.

---

(١) لوحة (٥١ أ). (٢) في (ز): (تحدثني).

(٣) رَجُلٌ وَحْشٌ مِن قَوم أَوْحَاش: إذا كان جائعـًا لا طَعَامَ له، وقد أَوْحَشَ: إذا جاعَ، وتَوحَّش للدَّواء: إذا احْتَمَىٰ لَهُ، وجاء في رواية التِّرمِذيِّ: لَقد بِتْنا لَيْلَتنا هَذِهِ وَحْشَىٰ، كأنه أراد جَماعةً وَحْشَىٰ. «النهاية».

(٤) انظر ما تقدم. (٥) لوحة (٥١ ب).

فقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ أصل الظِّهار مشتقٌّ من الظَّهر، وذلك أنَّ الجاهليَّة كانوا إذا تَظَاهَر أحدٌ مِن امرأته قال لها: أنت عليَّ كَظَهْرِ أُمِّي، ثمَّ في الشَّرع كان الظِّهار في سائر الأعضاء قياسًا علىٰ الظَّهر، وكان الظِّهار عند الجاهليَّة طلاقًا، فأرخص الله لهذه الأمَّة، وجعل فيه كفَّارةً، ولم يجعله طلاقًا كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم، هكذا قال غير واحدٍ من السَّلف.

قال ابن جرير: حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ، حدَّثنا عبيد الله بن موسىٰ، عن أبي حمزة، عن عِكْرِمة، عن ابن عبَّاس قال: كان الرَّجلُ إذا قال لامرأته في الجاهلية: أنت عليَّ كظَهْرِ أُمِّي، حُرِّمت عليه، فكان أوَّلَ مَن ظاهر في الإسلام أَوْسٌ، وكان تحته ابنة عم له يقال لها: «خُوَيلة بنت ثعلبة»[1]. فظاهر منها، فأُسْقِطَ في يديه، وقال: ما أراكِ إلا قد حَرُمْتِ عَلَيَّ. وقالت له مثل ذلك، قال: فانطلقي إلىٰ رسول الله ﷺ، فأتت رسول الله فوجدت عنده ماشطةً تمشط رأسه، فقال: «يَاخُوَيْلَةُ، مَا أُمِرْنَا فِي أَمْرِكِ بِشَيْءٍ» فأنزل الله علىٰ رسوله ﷺ، فقال: «يَا خُوَيْلَةُ، أَبْشِرِي» قالت: خيرًا. قال: فقرأ عليها: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾.

قالت: وأيُّ رقبةٍ لنا؟ والله ما يجد رقبة غيري. قال: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ قالت: والله لولا أنَّه يشرب في اليوم ثلاث مرَّاتٍ لذَهَبَ بصرُهُ! قال: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ قالت: مِن أين؟ ما هي إلا أكلة إلىٰ مثلها! قال: فدعا بشطر وَسْقٍ -ثلاثين صاعًا، والوسق: ستون صاعًا- فقال: «لِيُطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا وَلْيُرَاجِعْكِ» وهذا إسنادٌ جيدٌ قويٌّ، وسياقٌ غريبٌ.

وقد روي عن أبي العالية نحو هذا، فقال ابن أبي حاتم:

حدَّثنا محمَّد بن عبد الرحمن [الهروي][2]، حدَّثنا عليُّ بن عاصم، عن داود بن أبي هند، عن أبي العالية قال: كانت خولة بنت دُلَيج تحت رجلٍ من الأنصار، وكان ضرير البصر فقيرًا سيِّئَ الخلق، وكان طلاق أهل الجاهلية إذا أراد الرجل أن يطلق امرأته، قال: «أنتِ عليَّ كظهر أُمِّي». وكان لها منه عَيِّل أو عيلان[3]، فنازعته يومًا في شيء فقال: «أنتِ عليَّ كظهر أُمِّي». فاحتملت عليها ثيابها حتىٰ دخلت علىٰ النَّبيِّ ﷺ. وهو في بيت عائشة، وعائشة تغسل شق رأسه، فقدمت عليه ومعها عَيِّلُها، فقالت: يا رسول الله، إن زوجي ضرير البَصَرِ، فقير لا شيء له سيِّئ الخُلُق، وإني نازعته في شيءٍ فغضب، فقال: «أنتِ عليَّ كظهر أُمِّي»، ولم يرد به الطلاق، ولي منه عيل أو عيلان، فقال: «مَا أَعْلَمُكِ إِلَّا قَدْ حَرُمْتِ عَلَيْهِ» فقالت: أشكو إلىٰ الله ما نزل بي وأبا صبيتي، قال: ودارت عائشة فغسلت شق رأسه الآخر، فدارت معها، فقالت: يا رسول الله، زوجي[4] ضريرُ البصر، فقيرٌ سيِّئ الخلق، وإن لي منه عَيِّلًا أو عَيِّلين، وإني نازعته في شيء فغضب، وقال: «أنتِ عليَّ كظهر أُمِّي»، ولم يرد به الطلاق!

---

(١) في (ز): (خويلة بنت خويلد)، وهو خطأ.
(٢) ليست في (ز).
(٣) لوحة (٥٢ أ).
(٤) في (ز): (زوجها).

قالت: فرفع إلي رأسه وقال: «مَا أَعْلَمُكِ إِلَّا قَدْ حَرُمْتِ عَلَيْهِ». فقالت: أشكو إلىٰ الله ما نزل بي وأبا صَبيتي؟ قال: ورأت[1] عائشة وجه النَّبيِّ ﷺ تغيَّر، فقالت لها: «وَرَاءَكِ وَرَاءَكِ؟» فتنحت، فمكث رسول الله ﷺ في غشيانه ذلك ما شاء الله، فلما انقطع الوحي قال: «يَا عَائِشَةُ، أَيْنَ المَرْأَةُ» فدعتها، فقال لها رسول الله ﷺ: «اذْهَبِي فَأْتِينِي بِزَوْجِكِ»، فانطلقت تسعىٰ فجاءت به، فإذا هو -كما قالت- ضرير البصر، فقير سيِّئ الخُلُق، فقال النَّبيُّ ﷺ: «أَسْتَعِيذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾» قال النَّبيُّ ﷺ: «أَتَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسَّهَا؟»، قال: لا. قال: «أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟»، قال: والذي بعثك بالحق، إني إذا لم آكل المرَّتين والثَّلاث يكاد أن يعشو بصري. قال: «أَفَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟»، قال: لا إلا أن تعينني. قال: فأعانه رسول الله ﷺ فقال: «أَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا»، قال: وحَوَّل اللهُ الطلاقَ، فجعله ظِهَارًا[2].

ورواه ابن جرير، عن ابن المثنىٰ، عن عبد الأعلىٰ، عن داود، سمعت أبا العالية، فذكر نحوه، بأَخْصَرَ من هذا السياق.

وقال سعيد ابن جبير: كان الإيلاء والظهار من طلاق الجاهلية، فوقَّت الله الإيلاء أربعة أشهر، وجعل في الظِّهار الكفَّارة. رواه بن أبي حاتم بنحوه.

وقد استدلَّ الإمام [مالك][3] علىٰ أنَّ الكافر لا يدخل في هذه الآية بقوله: ﴿مِنكُم﴾ فالخطاب للمؤمنين، وأجاب الجمهورُ بأنَّ هذا خرج مَخْرَجَ الغَالِب فلا مفهوم له، واستدلَّ[4] الجمهور عليه بقوله: ﴿مِن نِّسَائِهِمْ﴾ علىٰ أنَّ الأَمَة لا ظهار منها[5]، ولا تدخل في هذا الخطاب.

وقوله: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ أي: لا تصير المرأة بقول الرجل: «أنتِ عليَّ كأُمِّي» أو «مثل أُمِّي» أو «كظَهْرِ أُمِّي» وما أشبه ذلك، لا تَصِيرُ أُمَّه بذلك، إنَّما أُمُّه الَّتي ولدته؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ أي: كلامًا فاحشًا باطلًا ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ أي: عمَّا كان منكم في حال الجاهليَّة. وهكذا أيضًا عمَّا خرج من سَبْق اللِّسان، ولم يقصد إليه المتكلم، كما رواه أبو داود: أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يقول لامرأته: يا أختي. فقال: «أُخْتُكَ هِيَ؟» فهذا إنكار ولكِن لم يحرِّمها عليه بمجرَّد ذلك؛ لأنَّه لم يقصده، ولو قصده لحرمت عليه؛ لأنَّه لا فرق علىٰ الصَّحيح بين الأُمِّ وبين غيرها من سائر المحارِم؛ من أختٍ وعمَّةٍ وخالةٍ وما أشبه ذلك.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ اختلف السَّلف والأئمَّة في المراد بقوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ فقال بعضُ النَّاس: العَوْد هو أن يعود إلىٰ لفظ الظِّهار فيكرره، وهذا القول باطل، وهو

---

(١) في (ز): (ودارت).
(٢) ضعيف: رواه الطبري (٢٨/ ١) وإسناده مرسل.
(٣) في (ز): (وقد استدل الإمام بذلك).
(٤) لوحة (٥٢ ب).
(٥) في (ز): (علىٰ أن الآية لا ظهار فيها).

اختيار ابن حزم[(١)] وقول داود، وحكاه أبو عمر بن عبد البر عن بُكَيْر[(٢)] بن الأشج والفراء، وفرقة من أهل الكلام.

وقال الشافعي: هو أن يمسكها بعد الظِّهار [زمانًا][(٣)] يمكنه أن يُطلِّق فيه فلا يُطلِّق.

وقال أحمد بن حنبل: هو أن يعود إلىٰ الجماع أو يعزم عليه فلا تحل له حتىٰ يكفر بهذه الكفَّارة. وقد حكي عن مالك: أنه العزم علىٰ الجماع أو الإمساك، وعنه أنَّه الجماع.

وقال أبو حنيفة: هو أن يعود إلىٰ الظِّهار بعد تحريمه، ورفع ما كان عليه أمر الجاهليَّة، فمتىٰ تظاهر الرجل من امرأته فقد حرَّمها تحريمًا لا يرفعه إلا الكفَّارة، وإليه ذهب أصحابه، والليث بن سعد.

وقال ابن لَهِيعة: حدثني عطاء، عن سعيد بن جبير: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ يعني: يريدون أن يعودوا في الجماع الذي حَرَّمُوه علىٰ أنفسهم.

وقال الحسن البصري: يعني الغشيان في الفرج، وكان لا يرىٰ بأسًا أن يغشىٰ فيما دون الفرج قبل أن يكفر.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ والمسُّ: النِّكاح، وكذا قال عطاء، والزهري، وقتادة، ومقاتل بن حيان.

وقال الزهري: ليس له أن يُقبِّلَها ولا يمسها حتىٰ يُكَفِّر.

وقد روي أهل السنن من حديث عكرمة، عن ابن عبَّاس أن رجلًا[(٤)] قال: يا رسول الله، إني ظاهرت من امرأتي فوقعتُ عليها قبل أن أكفِّر، فقال: «مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ ذَلِكَ يَرْحَمُكَ اللهُ؟». قال: رأيت خلخالها في ضوء القمر. قال: «فَلَا تَقْرَبْهَا حَتَّىٰ تَفْعَلَ مَا أَمَرَكَ اللهُ ﷻ»[(٥)].

وقال الترمذي: حسنٌ غريبٌ صحيح، ورواه أبو داود والنسائي من حديث عكرمة مرسلًا. قال النسائي: وهو أولىٰ بالصواب.

وقوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: فإعتاق رقبة كاملة من قبل أن يتماسا، فهاهنا الرقبة مطلقة غير مقيدة بالإيمان، وفي كفَّارة القتل مقيدة بالإيمان، فحَمَلَ الشَّافعي رَحِمَهُ اللهُ ما أطلق هاهنا علىٰ ما قيد هناك لاتِّحاد الموجَب، وهو عتق الرقبة، واعتضد في ذلك بما رواه عن مالك بسنده، عن معاوية بن الحكم السُّلَمي، في قصة الجارية السوداء، وأن رسول الله ﷺ قال: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»[(٦)]. وقد رواه أحمد في مسنده، ومسلم في صحيحه.

---

(١) في (ز): (وهو اختيار ابن جرير).
(٢) في (ز): (بكر).
(٣) في (ز): (بعد الظهار ما يمكنه).
(٤) لوحة (٥٣ أ).
(٥) حسن: رواه أبو داود (٢٢٢٣)، والترمذي (١١٩٩)، والنسائي (٦/ ١٦٧)، وابن ماجه (٢٠٦٥)، وقال الترمذي: حسن غريب صحيح، والحديث حسنه الألباني كما في «الإرواء» (٧/ ١٧٩)، وحسنه من قبله الحافظ في «فتح الباري» (٩/ ٤٣٣).
(٦) رواه مسلم (٥٣٧)، وأحمد (٥/ ٤٤٧).

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدَّثنا يوسف بن موسىٰ، حدَّثنا عبد الله بن نمير، عن إسماعيل بن مسلم، عن عمرو بن دينار، عن طاوس، عن ابن عبَّاس قال: أتىٰ رسول الله ﷺ رجل فقال: إني تظاهرت من امرأتي، ثم وقعت عليها قبل أن أكفر، فقال رسول الله ﷺ: «أَلَمْ يَقُلِ اللهُ ﴿مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾»؟ قال: أعجبتني، قال: «أَمْسِكْ حَتَّىٰ تُكَفِّرَ»، ثم قال البزار: لا يروي عن ابن عبَّاس [بأحسن من][(١)] هذا، وإسماعيل بن مسلم تكلم فيه، وروىٰ عنه جماعة كثيرة من أهل العلم، وفيه من الفقه أنه لم يأمره إلا بكفارة واحدة[(٢)].

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ أي: تزجرون به ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: خبير بما يصلحكم، عليم بأحوالكم.

وقوله: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ وقد تقدَّمت الأحاديث الواردة بهذا علىٰ الترتيب، كما ثبت في الصحيحين في قصة الذي جامع امرأته في رمضان[(٣)]. ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ أي: شرعنا هذا لهذا.

وقوله: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أي: محارمه فلا تنتهكوها.

وقوله: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: الذين لم يؤمنوا ولا التزموا بأحكام هذه الشريعة، لا تعتقدوا أنَّهم ناجون من البلاء، كلَّا ليس الأمر كما زعموا، بل لهم عذاب أليم، أي: في الدنيا والآخرة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ[(٤)] وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾

يخبر تعالىٰ عمن شاقُّوا الله ورسوله وعاندوا شرعه ﴿كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: أُهِينُوا ولُعِنُوا وأُخْزُوا، كما فعل بمن أشبههم ممن قبلهم ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: واضحات لا يخالفها ولا يُعَانِدُها إلا كافرٌ فاجرٌ مكابرٌ، ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: في مقابلة[(٥)] ما استكبروا عن اتِّباع شرع الله، والانقياد له، والخضوع لديه.

---

(١) في (ز): (فأخبرني).

(٢) ضعيف: رواه البزار (٤٨٣٣)، والطبراني (١١/ ١٥ برقم ١٠٨٨٧)، والحاكم (٢/ ٢٠٥) وصححه، وفيه: إسماعيل ابن مسلم: ضعيف.

(٣) رواه البخاري (١٩٣٦)، ومسلم (١١١١).

(٤) لوحة (٥٣ ب).

(٥) في (ز): (في قبالة).

ثم قال: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ وذلك يوم القيامة، يجمع الله الأولين والآخرين في صعيدٍ واحدٍ ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ أي: يخبرهم بالَّذي صنعوا من خيرٍ وشرٍ ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ أي: ضبطه الله وحفظه عليهم، وهم قد نَسُوا ما كانوا عليه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: لا يَغِيبُ عنه شيء، ولا يخفىٰ ولا ينسىٰ شيئًا.

ثم قال تعالىٰ مخبرًا عن إحاطة علمه بخلقه واطلاعه عليهم، وسماعه كلامهم، ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ أي: من سِرِّ ثلاثة ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ أي: يطلع عليهم يسمع كلامهم، وسِرَّهم، ونجواهم، ورسله أيضًا مع ذلك تكتب ما يتناجون به، مع علم الله وسمعه لهم، كما قال: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [التوبة: ٧٨] وقال ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]؛ ولهذا حكىٰ غير واحد الإجماع علىٰ أنَّ المراد بهذه الآية معية علم الله تعالىٰ ولا شكَّ في إرادة ذلك ولكن سمعه أيضًا مع عِلْمِه محيط بهم، وبصره نافذ فيهم، فهو سبحانه مطَّلِع علىٰ خلقه، لا يغيب عنه من أمورهم شيء.

ثم قال: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ قال الإمام أحمد: افتتح الآية بالعلم، واختتمها بالعلم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ(1) بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾.

قال ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد في قوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ قال: اليهود وكذا قال مقاتل ابن حيان، وزاد: كان بين النَّبيِّ ﷺ وبين اليهود موادعةٌ، وكانوا إذا مَرَّ بهم رجلٌ من أصحاب النَّبيِّ ﷺ جلسوا يتناجون بينهم، حتىٰ يظنُّ المؤمن أنهم يتناجَوْن بقتله، أو: بما يكره المؤمن، فإذا رأىٰ المؤمن ذلك خَشيهم، فترك طريقه عليهم، فنهاهم النَّبيُّ ﷺ عن النجوىٰ، فلم ينتهوا وعادوا إلىٰ النَّجوىٰ، فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾(2).

---

(١) لوحة (٥٤ أ).

(٢) مرسل: لم يسنده لأحد، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٦٩) إلىٰ ابن أبي حاتم (١٨٨٤٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثني سفيان بن حمزة، عن كثير عن زيد، عن رُبَيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه، عن جده قال: كنَّا نتناوَبُ رسول الله ﷺ، نبيت عنده؛ يطرُقه من اللَّيل أمرٌ وتبدو له حاجة، فلما كانت ذات ليلة كَثُر أهل النُّوب والمحتسبون حتىٰ كنا أندية نتحدث، فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «**مَا هَذَا النَّجْوَىٰ؟ أَلَمْ تُنْهَوْا عَنِ النَّجْوَىٰ؟**»، قلنا: تُبْنَا إلىٰ الله يا رسول الله، إنا كنَّا في ذكر المسيح فَرَقًا منه. فقال: «**أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنْهُ؟**». قلنا: بلىٰ يا رسول الله، قال: «**الشِّرْكُ الخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يَعْمَلُ لِمَكَانِ رَجُلٍ**»(١). هذا إسناد غريب، وفيه بعض الضعفاء.

وقوله: ﴿وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ [وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي: يتحدثون فيما بينهم بالإثم، وهو ما يختصُّ بهم، والعدوان](٢)، وهو ما يتعلق بغيرهم، ومنه معصية الرَّسول ومخالفته، يُصِرُّون عليها ويتواصَوْنَ بها.

وقوله: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ قال ابن أبي حاتم:

حدَّثنا أبو سعيد الأشج، حدَّثنا ابن نمير، عن الأعمش، [عن مسلم](٣) عن مسروق، عن عائشة قالت: دخل علىٰ رسول الله ﷺ يهود فقالوا: السَّام عليك يا أبا القاسم، فقالت عائشة: وعليكم السَّام واللَّعنة قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ**(٤)**، إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الفُحْشَ وَلا التَّفَحُّشَ**»، قلت: ألا تسمعهم يقولون: السَّام عليك؟ فقال رسول الله: «**أَوَ مَا سَمِعْتِ، أَقُولُ وَعَلَيْكُمْ؟**». فأنزل الله: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾(٥).

وفي رواية في الصَّحيح أنَّها قالت لهم: عليكم السَّام والذَّامُ واللَّعنة. وأن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّهُ يُسْتَجَابُ لَنَا فِيهِمْ، وَلا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِينَا**»(٦).

وقال ابن جرير: حدَّثنا بشر، حدَّثنا يزيد، حدَّثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس مع أصحابه، إذ أتىٰ عليهم يهودي فسلَّم عليهم، فردوا عليه، فقال نبي الله ﷺ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا قَالَ؟**»، قالوا: سلَّم يا رسول الله، قال: «**بَلْ قَالَ: سَامٌ عَلَيْكُمْ، أَيْ: تُسَامُونَ دِينَكُمْ**». قال رسول الله: «**رُدُّوهُ**»، فردوه عليه، فقال نبي الله: «**أَقُلْتَ: سَامٌ عَلَيْكُمْ؟**»، قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «**إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ فَقُولُوا: عَلَيْكَ**» أي: عليك ما قلت(٧).

وأصل حديث أنس مخرَّج في الصَّحيح، وهذا الحديث في الصَّحيح عن عائشة بنحوه(٨).

---

(١) **ضعيف**: فيه ربيح بن عبد الرحمن: مقبول كما في «التقريب». (٢) ليست في (ز).

(٣) ليست في (ز)، وهي ثابتة في «مسلم»، و «المسند». (٤) لوحة (٥٤ ب).

(٥) **صحيح**: رواه ابن أبي حاتم (١٨٨٤٣) وانظر ما بعده.

(٦) رواه البخاري (٢٩٣٥)، ومسلم (٢١٦٥). (٧) رواه الطبري (٢٨/ ١٥).

(٨) رواه البخاري (٦٩٢٦)، والطبري (٢٨/ ١٥).

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ أي: يفعلون هذا، ويقولون ما يحرفون من الكلام وإيهام السَّلام، وإنَّما هو شتم في الباطن، ومع هذا يقولون في أنفسهم: لو كان هذا نبيًّا لعذَّبنا الله بما نقول له في الباطن؛ لأنَّ الله يَعْلَمُ ما نُسِرُّه، فلو كان هذا نبيًّا حقًّا لأوشك أن يعاجلنا الله بالعقوبة في الدنيا، فقال الله تعالىٰ: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: جهنَّم كفايتهم في [الدَّار الآخرة][1] ﴿يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ .

وقال الإمامُ أحمد: حدَّثنا عبد الصمد، حدَّثنا حماد، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو؛ أنَّ اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: سامٌ عليك، ثم يقولون في أنفسهم: ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾؟، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ إسناد حسن ولم يخرجوه[2] .

وقال العَوْفي، عن ابن عبَّاس: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ قال: كان المنافقون يقولون لرسول الله إذا حيَّوه: «سامٌ عليك»، قال الله: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

ثم قال الله مُؤَدِّبًا عباده المؤمنين ألا يكونوا مثل الكفرة والمنافقين[3] : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي: كما يتناجىٰ به الجهلة من كفرة أهل الكتاب ومَن مَالأَهُم علىٰ ضَلالِهِم من المنافقين، ﴿وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي قد أحصاها عليكم، وسيجزيكم بها.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا بَهْزُ وعفان قالا أخبرنا همام، حدَّثنا قتادة، عن صفوان بن مُحْرِز قال: كنت آخذًا بيد ابن عمر، إذ عرض له رجل فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوىٰ يوم القيامة؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ**[4] **وَيَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ، وَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، وَيَقُولُ لَهُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ حَتَّىٰ إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَىٰ فِي نَفْسِهِ أَنْ قَدْ هَلَكَ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ يُعْطَىٰ كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ، أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ**».

أخرجاه في الصحيحين، من حديث قتادة[5] .

ثم قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: إنَّما النَّجوىٰ -وهي المُسارَّة- حيث يتوهم منها مؤمن سوءًا ﴿مِنَ

---

(١) في (ز): (في الدنيا والآخرة). (٢) حسن: رواه أحمد (٢/ ١٧٠).

(٣) لوحة (٥٥ أ).

(٤) «كَنَفه» يعني: سِتْره. ينظر: «النهاية» لابن الاثير: (٤/ ٢٠٥)، و«مجموع فتاوىٰ العثيمين»: (٣/ ١٧٦).

(٥) رواه البخاري (٤٦٨٥)، ومسلم (٢٧٦٨)، وأحمد (٢/ ٧٤).

﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يعني: إنَّما يصدر هذا مِن المتناجين[١] عن تسويل الشَّيطان وتزيينه، ﴿لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أي: ليسوءَهُم، وليس ذلك بضارِّهم شيئًا إلا بإذن الله، ومن أَحَسَّ مِن ذلك شيئًا فليستعذ بالله ولْيَتوكَّل علىٰ الله، فإنَّه لا يَضُرُّه شيءٌ بإذن الله.

وقد وردت السُّنَّة بالنَّهي عن التَّناجي حيث يكون في ذلك تأذٍ علىٰ مؤمن.

كما قال الإمام أحمد:

حدَّثنا وكيع وأبو معاوية قالا حدَّثنا الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَيَنَّ اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ». وأخرجاه من حديث الأعمش[٢].

وقال عبد الرزاق، أخبرنا مَعْمَر، عن أيوب، [عن نافع][٣]، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ[٤]: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَىٰ اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ إِلَّا بِإِذْنِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ»[٥]. انفرد بإخراجه مسلم عن أبي الربيع وأبي كامل، كلاهما عن حماد بن زيد، عن أيوب به.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾

يقول تعالىٰ مؤدبًا عباده المؤمنين، وآمرًا لهم أن يُحْسِن بعضهم إلىٰ بعض في المجالس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ﴾ وقُرِئ ﴿فِي ٱلۡمَجۡلِسِ[٦]﴾[٧] ﴿فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ وذلك أنَّ الجزاء من جنس العمل، كما جاء في الحديث الصحيح: «مَنْ بَنَىٰ للهِ مَسْجِدًا بَنَىٰ اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ»[٨] وفي الحديث الآخر: «وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، [وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ][٩] وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»[١٠]. ولهذا أشباه كثيرة؛ ولهذا قال: ﴿فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾.

قال قتادة: نزلت هذه الآية في مجالس الذكر، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مُقبلًا ضَنُّوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ، فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض.

---

(١) في (ز): (الكفرة المنافقين). (٢) رواه البخاري (٦٢٩٠)، ومسلم (٢١٨٤) من حديث ابن مسعود.

(٣) ليست في (ز)، والصواب إثباتها.

(٤) لوحة (٥٥ ب)، وقع سقط في مصورتنا من المخطوطة قدر خمسة لوحات وقد قمنا بمطابقتها علىٰ ط «الشعب».

(٥) رواه مسلم (٢١٨٣). (٦) في (ز): (تفسحوا في المجلس) وقرئ (في المجالس).

(٧) في (ز): «تفسحوا في المجلس»، وقرئ «في المجالس»، وكلاهما قراءة متواترة: قَرَأَ (الْمَجَالِسِ) عَاصِمٌ وَوَافَقَهُ الْحَسَنُ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (الْمَجْلِسِ).

(٨) رواه البخاري (٤٥٠)، ومسلم (٥٣٣).

(٩) سقط من (ز)، وهو مثبت في «صحيح مسلم».

(١٠) رواه مسلم (٢٦٩٩).

وقال مُقَاتِل بن حَيَّان: أُنزلت هذه الآية يوم جُمُعة، وكان رسول الله ﷺ يومئذٍ في الصُّفَّة، وفي المكان ضِيق، وكان يُكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناسٌ من أهل بدر وقد سبقوا إلىٰ المجالس، فقاموا حيال رسول الله ﷺ، فقالوا: السلام عليك أيها النَّبيُّ ورحمة الله وبركاته، فرد النَّبيُّ ﷺ عليهم، ثم سلَّموا علىٰ القوم بعد ذلك، فردوا عليهم، فقاموا علىٰ أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم، فعرف النَّبيُّ ﷺ ما يحملهم علىٰ القيام، فلم يُفْسَح لهم، فشَقَّ ذلك علىٰ النَّبيِّ ﷺ، فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار، من غير أهل بدر: «قُمْ يَا فُلَانُ، وَأَنْتَ يَا فُلَانُ». فلم يزل يقيمهم بعدَّة النَّفر الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين والأنصار من أهل بدر، فشق ذلك علىٰ من أُقيم من مجلسه، وعرف النَّبيُّ ﷺ الكراهةَ في وجوههم، فقال المنافقون: ألستم تزعمون أنَّ صاحبكم هذا يعدل بين النَّاس؟! والله ما رأيناه قبلُ عَدَل علىٰ هؤلاء، إن قومًا أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب لنبيهم، فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه. فبلغنا أن رسُول الله ﷺ قال: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا فَسَحَ لِأَخِيهِ»، فجعلوا يقومون بعد ذلك سِرَاعًا، فَتَفَسَّحَ القومُ لإخوانهم، ونزلت هذه الآية يوم الجمعة. رواه ابن أبي حاتم[١].

وقد قال الإمامُ أحمد، والشافعي: حدَّثنا سُفيان، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسُول الله ﷺ قال: «لا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ فَيَجْلِسَ فِيهِ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا».

وأخرجاه في الصَّحيحين من حديث نافع، به[٢].

وقال الشافعي: أخبرنا عبد المجيد، عن ابن جُريج قال: قال سُليمان بن موسىٰ، عن جابر بن عبد الله، أن رسُول الله ﷺ قال: «لا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: افْسَحُوا»[٣]. علىٰ شرط السنن، ولم يخرجوه.

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: حدَّثنا عبد الملك بن عمرو، حدَّثنا فُلَيْح، عن أيوب بن عبد الرحمن بن [أبي][٤] صَعْصَعة[٥]، عن يعقوب بن أبي يعقوب، عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لا يُقِمِ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسْ فِيهِ، وَلَكِنْ افْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ»[٦].

ورواه أيضًا عن سُرَيج بن يونس، [ويونس][٧] بن محمَّد المُؤدب، عن فُلَيْح، به. ولفظه: «لا يَقُومُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ مِنْ مَجْلِسِهِ، وَلَكِنِ افْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ». تفرد به أحمد[٨].

---

(١) مرسل: عزاه لابن أبي حاتم (١٨٨٤٦)، وإسناده مرسل.

(٢) رواه البخاري (٦٢٧٠)، ومسلم (٢١٧٧)، وأحمد (٢/ ١٦، ١٠٢) من حديث ابن عمر، ورواه أحمد (٢/ ٣٣٨، ٥٢٣) من حديث أبي هريرة.

(٣) رواه الشافعي (٦٦٥).

(٤) سقط من (ز)، والصواب إثباتها.

(٥) الوارد في «المسند» عند هذا الموطن: (فليح، عن أيوب، عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة)، وما أثبتناه هو الصواب كباقي الروايات.

(٦) رواه أحمد (٢/ ٥٢٣)، وإسناده صحيح.

(٧) سقط من (ز)، وإثباتها موافق لما في «المسند».

(٨) رواه أحمد (٢/ ٣٣٨).

وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوَارِد إذ جاء علىٰ أقوال: فمِنهُم مَن رخَّص في ذلك محتجًا بحديث: «قُومُوا إِلَىٰ سَيِّدِكُمْ»(١)، ومنهم من منع من ذلك محتجًا بحديث: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(٢) ومنهم مَن فَصَّلَ فقال: يجوز عند القدوم مِن سفر، وللحَاكِم في مَحَلِّ ولايته، كما دلَّ عليه قصَّة سعد بن مُعاذ، فإنَّه لما استقدمه النَّبيُّ ﷺ حاكمًا في بني قُرَيظة فرآهُ مقبلًا قال للمسلمين: «قُومُوا إِلَىٰ سَيِّدِكُمْ»، وما ذاك إلا ليكون أنفذ لحكمه، والله أعلم، فأمَّا اتِّخاذه ديدنًا فإنَّه مِن شعار العجم، وقد جاء في «السنن»: أنَّه لم يكن شخص أحبَّ إليهم من رسُول الله ﷺ، وكان إذا جاء لا يقومون له، لما يعلمون من كراهته لذلك(٣).

وفي الحديث المروي في «السنن»: أن رسول الله ﷺ كان يجلس حيث انتهىٰ به المجلس(٤)، ولكن حيث يجلس يكون صدر ذلك المجلس، وكان الصحابة ﷺ يجلسون منه علىٰ مراتبهم، فالصِّدِّيق يجلسه عن يمينه، وعُمر عن يساره، وبين يديه غالبًا عثمان وعلي؛ لأنَّهما كانا ممن يكتب الوحي، وكان يأمرهم بذلك، كما رواه مسلم من حديث الأعمش، عن عمارة بن عُمير، عن أبي مَعْمَر، عن أبي مسعود، أن رسول الله ﷺ كان يقول: «[لِيَلِنِي](٥) مِنكُمْ أُولُوا الأَحْلَامِ وَالنُّهَىٰ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»(٦). وما ذاك إلا ليعقلوا عنه ما يقوله، صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا أمر أولئك النَّفر بالقيام ليجلس الذين وَرَدُوا من أهل بدر، إمَّا لتقصير أولئك في حقِّ البَدْرِيِّين، أو ليأخذ البدريون من العلم بنصيبهم، كما أخذ أولئك قبلهم، أو تعليمًا بتقديم الأفاضل إلىٰ الأمام.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا وَكِيع، عن الأعمش، عن عُمَارة بن عمير التيمي، عن أبي مَعْمر، عن أبي مسعود قال: كان رسُول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: «اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلَامِ وَالنُّهَىٰ، ثُمَّ الَّذِين يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ». قال أبو مسعود: فأنتم اليوم أشد اختلافًا(٧).

وكذا رواه مسلم وأهل السنن -إلا الترمذيَّ- من طرق، عن الأعمش به(٨).

---

(١) رواه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨).
(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي (٢٧٥٩)، وأحمد (٤/ ٩١).
(٣) رواه أحمد (٣/ ١٣٢)، والترمذي (٢٧٥٦) وقال: حسن، والبغوي في «شرح السنة» (١٢/ ٢٩٤ برقم ٣٣٢٩) وقال: حسن صحيح.
(٤) رواه أبو داود (٤٨٢٥)، والترمذي (٢٧٢٥)، وأحمد (٥/ ٩١، ٩٨) كلهم من حديث جابر بن سمرة بلفظ: «كنا إذا انتهينا إلىٰ النبي ﷺ جلس أحدنا حيث ينتهي».
وعند الطبراني في «الكبير» (١٦/ ٢٦ برقم ١٧٨٦) في حديث طويل جاء فيه: «يجلس حيث ينتهي به المجلس»، وانظر: «السلسلة الصحيحة» للشيخ الألباني (١/ ٥٨٣).
(٥) في (ز): (ليليني) بإثبات الياء، والمثبت من «صحيح مسلم» بحذفها، وهو الأصح.
(٦) رواه مسلم (٤٣٢).
(٧) رواه مسلم (٤٣٢)، وأحمد (٤/ ١٢٢)، وأصحاب «السنن» إلا الترمذي.
(٨) مسلم (٤٣٢)، وأبو داود (٦٧٤)، والنسائي (٢/ ٨٧)، وابن ماجه (١٧٦).

وإذا كان هذا أمره لهم في الصَّلاة أن يليه العُقلاء ثم العلماء، فبطريق الأولىٰ أن يكون ذلك في غير الصلاة.

ورویٰ أبو داود من حديث مُعاوية بن صالح، عن أبي الزَّاهِرية، عن كَثير بن مُرة، عن عبد الله بن عمر أن رسُول الله ﷺ قال: «**أَقِيمُوا الصُّفُوفَ، وَحَاذُوا بَيْنَ المَنَاكِبِ، وَسُدُّوا الخَلَلَ، وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ، وَلَا تَذَرُوا فُرُجَاتٍ لِلشَّيْطَانِ، وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللهُ**»[١].

ولهذا كان أُبي بن كَعْب -سيِّد القُرَّاء- إذا انتهىٰ إلىٰ الصَّفِّ الأول انتزع منه رجلًا يكون من أفناء الناس[٢]، ويدخل هو في الصف المُقدم، ويحتج بهذا الحديث: «**لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلَامِ وَالنُّهَىٰ**»[٣]. وأما عبد الله بن عمر فكان لا يجلس في المكان الذي يقوم له صاحبه عنه[٤]، عملًا بمقتضىٰ ما تقدَّم مِن روايته الحديث الذي أوردناه. ولنقتصر علىٰ هذا المقدار من الأنموذج المتعلق بهذه الآية، وإلا فبسطه يحتاج إلىٰ غير هذا الموضع، وفي الحديث الصحيح: بينا رسول الله ﷺ جالس، إذ أقبل ثلاثة نَفَر، فأما أحدهم فوجد فُرْجة في الحَلْقة فدخل فيها، وأما الآخر فجلس وراء الناس، وأدبر الثالث ذَاهِبًا، فقال رسُول الله ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَبَرِ الثَّلَاثَةِ؛ أَمَّا الأَوَّلُ: فَأَوَىٰ إِلَىٰ اللهِ فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الثَّانِي: فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ**»[٥].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا عَتَّابُ بن زياد، أخبرنا عبد الله، أخبرنا أُسامة بن زيد، عن عمرو بن شُعيب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو، أن رسُول الله ﷺ قال: «**لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا**»، ورواه أبو داود والترمذي، من حديث أُسامة بن زيد الليثي، به. وحسَّنه الترمذي[٦].

وقد رُوي عن ابن عبَّاس، والحسن البَصْري وغيرهما أنهم قالوا في قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ﴾ يعني: في مجالس الحَرْب، قالوا: ومعنىٰ قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ أي: انهضوا للقتال.

وقال قتادة: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ أي: إذا دُعيتم إلىٰ خير فأجيبوا.

وقال مُقَاتل بن حَيَّان: إذا دعيتم إلىٰ الصلاة فارتفعوا إليها.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أَسلم: كانوا إذا كانوا عند النَّبيِّ ﷺ في بيته فأرادوا الانصراف أَحَبّ

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٦٦٦).

(٢) فلان من أفناء الناس: إذا لم تُعيَّن قبيلته. «فتح الباري»: (٦/ ٢٦٤).

(٣) رواه النسائي (٢/ ٦٩)، وأحمد (٥/ ١٤٠)، وابن خزيمة (٣/ ٣٣)، وإسناده صحيح.

(٤) رواه مسلم (٢١٧٧).

(٥) رواه البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦).

(٦) حسن: رواه أبو داود (٤٨٤٥)، والترمذي (٢٧٥٣) وحسنه، وأحمد (٢/ ٢١٣).

كل منهم أن يكون هو آخرهم خروجًا من عنده، فرُبَّما يشقُّ ذلك عليه ﷺ، وقد تكون له الحاجة، فأُمروا أنهم إذا أمروا بالانصراف أن ينصرفوا، كقوله: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟﴾ [النور:٢٨].

وقوله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: لا تعتقدوا أنه إذا فَسح أحد منكم لأخيه إذا أقبل، أو إذا أمر بالخروج فخرج، أن يكون ذلك نقصًا في حقه، بل هو رِفْعَة ومَزِيَّة عند الله، والله تعالىٰ لا يُضيِّع ذلك له، بل يجزيه بها في الدنيا والآخرة، فإنَّ مَن تواضع لأمرِ الله رَفع الله قَدْرَهُ، ونَشر ذكره؛ ولهذا قال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: خبير بمن يستحقُّ ذلك وبمَن لا يستحقه.

قال الإمامُ أحمد: حدَّثنا أبو كَامِل، حدَّثنا إبراهيم، حدَّثنا ابن شِهَاب، عن أبي الطُّفَيْل -عامر بن واثلة-، أن نافع بن عبد الحارث لَقِيَ عُمر بن الخطاب بعُسْفان -وكان عمر استعمله علىٰ مكة- فقال له عمر: مَن اسْتَخْلَفْتَ علىٰ أهل الوَادِي؟ قال: استخلفتُ عليهم ابْنُ أَبْزَىٰ، قال: [وما ابن أبزىٰ؟ فقال][1]: رجل مِن مَوَالينا، فقال عُمر [بن الخطاب]: استخلفت عليهم مولًىٰ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّه قَارِئٌ لكتاب الله، عَالم بالفَرَائِض، قاضٍ، فقال عمر رضي الله عنه: أَمَا إنَّ نبيَّكم ﷺ قد قال: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ قَوْمًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»[2].

وهكذا رواه مسلم من غير وجه، عن الزهري به. ورُوِيَ من غير وجهٍ عن عمر بنحوه، وقد ذكرتُ فضل العِلم وأهله، وما ورد في ذلك من الأحاديث مُستقصاةً في شرح «كتاب العلم» من «صحيح البخاري»، ولله الحمدُ والمنَّة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يُنَاجِي رسُول الله ﷺ؛ أي: يُساره فيما بينه وبينه أن يُقَدِّم بين يدي ذلك صَدقة تُطهره وتزكيه وتؤهله لأن يصلح لهذا المقام؛ ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾.

ثم قال: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟﴾ أي: إلا من عَجز عن ذلك لفقده، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فما أَمَر بها إلا مَن قدر عليها.

ثم قال: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ أي: أَخِفْتُم مِن استمرار هذا الحكم عليكم مِن وجوب الصَّدقة قبل مُناجاة الرسول، ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، فنسخ وجوب ذلك عنهم.

---

(١) سقط من (ز)، وهو مثبت في «المسند».
(٢) رواه مسلم (٨١٧)، وأحمد (١/ ٣٥).

وقد قيل: إنَّه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوىٰ عَليّ بن أبي طالب ﷺ.

قال ابن أبي نَجِيح، عن مُجاهد قال: نُهوا عن مُناجاة النَّبيِّ ﷺ حتىٰ يتصدقوا، فلم يناجه إلا علي بن أبي طالب، قَدَّم دينارًا صدقة تصدَّق به، ثم ناجىٰ النَّبيَّ ﷺ فسأله عَن عشر خصال، ثم أنزلت الرخصة(١).

وقال لَيْثُ بن أبي سُلَيم، عن مُجاهد، قال علي ﷺ: آيةٌ في كتاب الله ﷻ لم يعمل بها أحدٌ قبلي، ولا يعمل بها أحد بَعْدِي، كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم، فكنتُ إذا ناجيتُ رسُولَ الله ﷺ تصدقتُ بدرهم، فنُسِخَت ولم يعمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي، ثم تلا هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾ الآية(٢).

وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن حُمَيد، حدَّثنا مِهْران، عن سُفيان، عن عثمان بن المُغيرة، عن سالم ابن أبي الجعد، عن علي بن عَلْقَمة الأَنْمَاري، عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «مَا تَرَىٰ(٣)، دِينَارٌ؟». قال: لا يُطيقون. قال: «نِصْفُ دِينَارٍ؟» قال: لا يُطيقون. قال: «مَا تَرَىٰ؟»، قال: شَعيرة، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّكَ زَهِيدٌ». قال: قال عَلِيٌّ: فبِيْ خَفَّف اللهُ عن هذه الأمَّة(٤)، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾، فنزلت: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖ﴾.

ورواه الترمذي عن سُفيان بن وَكِيع، عن يحيىٰ بن آدم، عن عُبيد الله الأَشْجَعي، عن سُفيان الثوري، عن عُثمان بن المُغيرة الثقفي، عن سالم بن أبي الجَعْد، عن عليّ بن عَلْقَمة الأَنْمَاري، عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾ إلىٰ آخرها، قال لي النَّبيُّ ﷺ: «مَا تَرَىٰ، دِينَارٌ؟»، قلتُ: لا يطيقونه. وذكره بتمامه مثله، ثم قال: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ، إنما نعرفه من هذا الوجه». ثم قال: ومعنىٰ قوله: «شَعِيرة»: يعني: وزن شعيرة من ذهب(٥).

ورواه أبو يَعْلىٰ، عن أبي بكر بن أبي شَيبة، عَن يحيىٰ بن آدم، به.

وقال العَوْفي، عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾ إلىٰ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾: كان المُسلمون يُقدمون بين يدي النجوىٰ صدقة، فلما نزلت الزَّكاة نسخ هذا.

---

(١) إسناده مرسل، وانظر ما بعده.

(٢) فيه ليث بن أبي سليم: اختلط فلم يتميز حديثه فترك، والرواية الأولىٰ عن مجاهد مرسلة، وقد ورد عند الحاكم (٢/ ٤٨٢) من طريق مجاهد موصولًا ورجاله ثقات، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، لكني أخشىٰ أن يكون هناك سقط في «المستدرك» وتداخلٌ في الأحاديث، فإن الكلام فيه لا يستقيم (فراجعه)، ورواه كذلك عبد الرزاق كما أورده ابن كثير عند آخر تفسير الآية، وبالجملة فعندي أن الأثر حسن إن شاء الله.

(٣) أي: ما ترىٰ في مقدار الصدقة التي تُقدم بين يدي النجوىٰ؟

(٤) ضعيف: رواه الطبري (٢٨/ ٢١)، والترمذي (٣٢٩٧)، وفيه علي بن علقمة الأنماري: مقبول كما في «التقريب».

(٥) انظر التخريج السابق.

وقال عَلِيُّ بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس [في][1] قوله: ﴿فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾ وذلك أن المُسلمين أكثروا المسائل علىٰ رسُول الله ﷺ حتىٰ شقُّوا عليه، فأراد الله أن يُخفف عن نبيه ﷺ، فلما قال ذلك [صبر كثير][2] من النَّاس وكفوا عن المسألة، فأنزل الله بعد هذا: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، فوسع اللهُ عليهم ولم يُضيق[3].

وقال عِكْرمة والحسن البَصْري في قوله: ﴿فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾: نسختها الآية التي بعدها ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖ﴾ إلىٰ آخرها.

وقال سعيد [بن أبي عروبة][4] عن قتاده ومقاتل بن حيان: سأل الناس رسول الله ﷺ، حتىٰ أَحْفَوْه بالمسألة، فقطعهم الله بهذه الآية، فكان الرجل منهم إذا كانت له الحاجة إلىٰ نبي الله ﷺ فلا يستطيع أن يقضيها حتىٰ يقدم بين يديه صدقة، فاشتد ذلك عليهم، فأنزل الله الرخصة بعد ذلك: ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾[5].

وقال مَعْمَر، عن قتادة: ﴿إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾ إنَّها منسوخة: ما كانت إلا ساعة من نهارٍ، وهكذا روىٰ عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن مجاهد قال علي: ما عَمِل بها أحدٌ غيري حتىٰ نُسخت وأحسبه قال: وما كانت إلا ساعة[6].

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٦﴾ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ المنافقين في موالاتهم الكفَّار في الباطن، وهُم في نفس الأمر لا معهم ولا مع المؤمنين، كما قال تعالىٰ: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾ [النساء:١٤٣] وقال هاهنا: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ يعني: اليهود، الذين كان المنافقون يمالئونهم ويوالونهم في الباطن، ثم قال: ﴿مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ﴾ أي: هؤلاء المنافقون، ليسوا في الحقيقة لا منكم أيُّها المؤمنون، ولا من الذين تولَّوْهُم وهم اليهود.

---

(١) ليست في (ز). (٢) في (ز): (حين كثر)، والمثبت موافق لما في «الطبري».

(٣) ضعيف: رواه عن ابن عباس عليُّ بنُ أبي طلحة وهو إسناد ضعيف منقطع، ورواه عن قتادة ومقاتل إلىٰ النبي ﷺ فالإسناد بذلك مرسل.

(٤) ليست في (ز). (٥) انظر التخريج السابق.

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٨١، ٣٠٨٢).

ثم قال: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يعني: المنافقين يَحْلِفُون علىٰ الكذب وهم عالمون بأنَّهم كاذبون فيما حلفوا، وهي اليَمِين الغَمُوس، ولا سِيَّما في مثل حالهم اللَّعين، عياذًا بالله منه فإنَّهم كانوا إذا لَقُوا الَّذِين آمنوا قالوا: آمنا، وإذا جاءوا الرَّسول حَلَفُوا بالله له أنَّهم مؤمنون، وهم في ذلك يَعْلَمُون أنَّهم يكذبون فيما حلفوا به؛ لأنَّهم لا يعتقدون صدق ما قالوه، وإن كان في نفس الأمر مطابقًا؛ ولهذا شَهِدَ الله بكذبهم في أيمانهم وشهادتهم لذلك.

ثم قال: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: أرصد الله لهُم علىٰ هذا الصَّنيع العذاب الأليم علىٰ أعمالهم السَّيِّئة، وهي موالاة الكافرين ونصحهم، ومعاداة المؤمنين وغشهم؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: أَظْهَرُوا الإيمان وأَبطَنُوا الكفر، واتَّقوا بالأيمان الكَاذِبَة، فظَنَّ كثيرٌ ممن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقهم فاغترَّ بهم، فحصل بهذا صدٌّ عن سبيل الله لبَعْضِ النَّاس ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: في مقابلة ما امتهنوا من الحلف باسم الله العظيم في الأيمان الكاذبة الحانثة.

ثم قال: ﴿لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: لن يدفع ذلك عنهم بأسًا إذا جاءهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

ثم قال: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي: يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا يغادر منهم أحدًا ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي: يحلفون بالله ﷻ أنهم كانوا علىٰ الهدىٰ والاستقامة، كما كانوا يحلفون للنَّاس في الدُّنيا؛ لأنَّ مَن عاش علىٰ شيءٍ مات عليه وبعث عليه[١]، ويعتقدون أنَّ ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند النَّاس، فَيُجْرُون عليهم الأحكام الظَّاهرة؛ ولهذا قال: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي: حلفهم ذلك لربهم ﷻ.

ثم قال منكرًا عليهم حسبانهم ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ فأكد الخبر عنهم بالكذب.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا ابن نفيل، حدَّثنا زهير، عن سِمَاك بن حرب، حدثني سعيد بن جُبَير؛ أن ابن عبَّاس حدثه: أن النَّبيَّ ﷺ كان في ظِلِّ حجرة من حُجَره، وعنده نفر من المسلمين قد كاد يَقلِصُ عنهم الظل، قال: «**إِنَّهُ سَيَأْتِيكُمْ إِنْسَانٌ يَنْظُرُ بِعَيْنَيْ شَيْطَانٍ، فَإِذَا أَتَاكُمْ فَلَا تُكَلِّمُوهُ**». فجاء رجلٌ أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ فكلَّمه، فقال: «**عَلَامَ تَشْتُمُنِي أَنْتَ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ؟**» -نفر دعاهم بأسمائهم- قال: فانطلق الرجل فدعاهم، فحلفوا له واعتذروا إليه، قال فأنزل الله، ﷻ: ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾[٢].

---

(١) قال الشيخ أبو بكر الجزائري حفظه الله: صح الحديث بأن من مات علىٰ شيء يبعث عليه، ولما مات المنافقون علىٰ النفاق بُعثوا عليه؛ فلذا يحلفون لله تعالىٰ أنهم كانوا مؤمنين كما هم يحلفون في الدنيا بأنهم مؤمنون وهم كاذبون، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام]، وهذا في عرصات القيامة.

(٢) حسن: رواه أحمد (١/ ٢٤٠)، والطبري (٢٨، ٢٣، ٢٥) من طرق عن سماك به، وفي بعضها رواه عنه شعبة وهو ممن روىٰ عنه قبل الاختلاط، والحديث حسنه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه علىٰ الطبري.

وهكذا رواه الإمامُ أحمد من طريقين، عن سماك، به ورواه ابن جرير، عن محمَّد بن المثنى، عن غُنْدَر، عن شعبة، عن سماك، به نحوه وأخرجه أيضًا من حديث سفيان الثوري، عن سماك، بنحوه[١]. إسناد جيد ولم يخرجوه.

وحال هؤلاء كما أخبر الله تعالىٰ عن المشركين حيث يقول: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٣، ٢٤].

ثم قال: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ أي: استحوذ على قلوبهم الشيطان حتىٰ أنساهم أن يذكروا الله ﷻ وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه؛ ولهذا قال أبو داود:

حدَّثنا أحمد بن يونس، حدَّثنا زائدة، حدَّثنا السائب بن حُبَيش، عن مَعْدان بن أبي طلحة اليَعْمَري، عن أبي الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ، لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ القَاصِيَةَ**»[٢]. قال زائدة: قال السَّائب: يعني الصَّلاة في الجماعة.

ثم قال تعالىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ يعني: الذين استحوذ عليهم الشَّيطان فأنساهم ذكر الله، ثم قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

يقولُ تعالىٰ مخبرًا عن الكفَّار المعاندين المحادِّين لله ورسوله، يعني: الذين هم في حَدٍّ والشَّرع في حَدٍّ، أي: مُجَانِبُون للحقِّ مشاقُّون له، هم في ناحيةٍ والهدىٰ في ناحية ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ أي: في الأشقياء المُبْعَدِين المطرودين عن الصَّواب، الأذلِّين في الدُّنيا والآخرة.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ أي: قد حكم وكتب في كتابه الأوَّل وقَدَرِهِ الَّذي لا يُخالَف ولا يُمانَع، ولا يبدل، بأن النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدُّنيا والآخرة، وأنَّ العاقبة للمتقين، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾. [غافر: ٥١، ٥٢]، وقال هاهنا: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: كتب القويُّ العزيزُ أنه الغالب لأعدائِه، وهذا قَدَرٌ مُحْكَمٌ وأمرٌ مُبْرَمٌ، أنَّ العاقبة والنُّصرة للمؤمنين في الدُّنيا والآخرة.

---

(١) انظر التخريج السابق. (٢) حسن: رواه أبو داود (٥٤٧).

ثم قال تعالىٰ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ أي: لا يُوادُّون المحادِّين ولو كانوا من الأقربين، كما قال تعالىٰ: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وقد قال سعيد بن عبد العزيز وغيره: أنزلت هذه الآية ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إلىٰ آخرها في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح، حين قتل أباه يوم بدر[١].

ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جَعَلَ الأمر شورىٰ بعده في أولئك السِّتَّة رضي الله عنهم: «ولو كان أبو عبيدة حيًّا لاستخلفته»[٢].

وقيل في قوله: ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ في الصِّدِّيق، هَمَّ يومئذٍ بقتل ابنه عبد الرَّحمن ﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾ في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذٍ[٣] ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ في عمر قَتَلَ قريبًا له يومئذ أيضًا، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذٍ، والله أعلم.

قلت: ومِن هذا القبيل حين استشار رسول الله ﷺ المسلمين في أسارىٰ بدر، فأشار الصِّدِّيق بأن يُفادَوا، فيكونَ ما يؤخذ منهم قوةً للمسلمين، وهم بنو العم والعشيرة، ولعلَّ الله أن يهديهم، وقال عمر: لا أرىٰ ما رأىٰ يا رسول الله، هل تُمكِّني من فلان -قريب لعمر- فأقتله، وتمكِّن عليًّا من عقيل، وتمكِّن فلانًا من فلان؛ ليعلم الله أنَّه ليست في قلوبنا هوادةٌ للمشركين... القصة بكاملها[٤].

وقوله: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ أي: مَنِ اتَّصف بأنَّه لا يُوادُّ مَن حادَّ الله ورسولَهُ ولو كان أباه أو أخاه، فهذا ممَّن كتب الله في قَلْبه الإيمان؛ أي: كتب له السَّعادة وقرَّرها في قلبه وزَيَّن الإيمان في بصيرته.

وقال السُّدِّي: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ جعل في قلوبهم الإيمان.

وقال ابن عبَّاس: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ أي: قوَّاهم.

---

(١) مرسل: لم يذكر له إسنادًا متصلًا.

(٢) أورده السيوطي في «جامع الأحاديث» (٢٩٦٦٠)، وكذا المتقي الهندي في «كنز العمال» (٣٦٦٥٤)، وهو عند ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٤١٣)، والحاكم (٣/ ٢٦٨).

(٣) قال في ط «الشعب» كذا، ولم نجده فيما أتيح لنا من كتب السيرة والأنساب.

(٤) حسن: انظر تفسير سورة الأنفال الآية (٦٧).

وقوله: ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ كل هذا تقدَّم تفسيره غير مرَّة.

وفي قوله: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ سِرٌّ بديعٌ، وهو أنَّه لما سخطوا علىٰ القَرَائِب والعشائر في الله عوَّضَهُم الله بالرِّضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النَّعيم المقيم[(١)]، والفوز العظيم، والفضل العميم.

وقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي: هؤلاء حِزْبُ الله؛ أي: عباد الله وأهل كرامته.

وقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرهم في الدنيا والآخرة، في مقابلة ما أخبر عَن أولئك بأنَّهم حزب الشَّيْطان، ثم قال: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا هارون بن حميد الواسطي، حدَّثنا الفضل بن عَنْبَسَةَ، عن رجل قد سماه -يقال هو: عبد الحميد بن سليمان، انقطع من كتابي- عن الذَّيَّال بن عبادٍ قال: كتب أبو[(٢)] حازم الأعرج إلىٰ الزهري: اعلم أنَّ الجاه جاهان: جاهٌ يُجْرِيه اللهُ علىٰ أيدي أوليائه لأوليائه، وأنَّهم الخامل ذكرُهُم، الخفيَّة شخوصُهُم، ولقد جاءت صفتهم علىٰ لسان رسول الله ﷺ. «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الأَخْفِيَاءَ**[(٣)] **الأَتْقِيَاءَ الأَبْرِيَاءَ، الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا**[(٤)]**، وَإِذَا حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوْا**[(٥)]**، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الهُدَىٰ، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ سَوْدَاءَ مُظْلِمَةٍ**» فهؤلاء أولياء الله تعالىٰ الذين قال الله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

وقال نُعَيم بن حَمَّاد: حدَّثنا محمَّد بن ثور، عن يونس، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ، لا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ وَلا لِفَاسِقٍ عِنْدِي يَدًا وَلا نِعْمَةً، فَإِنِّي وَجَدْتُ فِيمَا أَوْحَيْتَهُ إِلَيَّ:** ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾» قال سفيان: يرون أنها نزلت فيمن يخالط السُّلطان. ورواه أبو أحمد العسكري[(٦)].

آخر تفسير سورة المجادلة، ولله الحمد.

---

(١) لوحة (٦٠ ب)، إلىٰ هنا انتهىٰ السقط.
(٢) في (ز): (ابن حازم).
(٣) **الخفي**: الخامل الذكر، المعتزل عن الناس، الذي يُخْفِي عنهم مكانه ليتعبد.
(٤) أي: لم يلتفت أحدٌ إلىٰ معرفة حالهم ومكانهم، ولا ينظر أحدٌ إلىٰ أنهم أحياء أو أموات.
(٥) أي: إلىٰ المجالس والأمور المهمة.
(٦) **مرسل ضعيف**: فالحسن البصري تابعي فالإسناد مرسل، ونعيم بن حماد: صدوق يخطئ.

سُورَةُ الحَشْرِ

تفسير سورة الحشر[1]، وهي مدنية

قال سعيد بن منصور: حدَّثنا هُشَيمٌ، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عبَّاس: سورة الحشر؟ قال: أنزلت في بني النَّضير. ورواه البخاري ومسلم من وجه آخر، عن هُشَيْم، به[2].

ورواه البخاري من حديث أبي عَوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عبَّاس: سورة الحشر؟ قال: [قُل][3]: سورة النَّضير[4].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم[5] مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾

يُخْبِرُ تعالىٰ أنَّ جميع ما في السموات وما في الأرض مِن شيءٍ يُسَبِّحُ له ويُمَجِّدُه ويُقَدِّسُهُ، ويُصَلِّي له ويُوَحِّدُه كقوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]. وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: منيع الجناب ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في قدره وشرعه.

وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: يهودَ بني النَّضير. قاله ابن عبَّاس، ومجاهد، والزُّهري، وغير واحدٍ: كان رسول الله ﷺ لما قَدِم المدينة هادنهم وأعطاهم عهدًا وذمةً، علىٰ ألا يقاتلهم ولا يقاتلوه، فنقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه، فأحَلَّ الله بهم بَأْسَهُ الَّذي لا مَرَدَّ له، وأنزل عليهم قضاءه الذي لا يُصَدُّ، فأجلاهم النَّبيُّ ﷺ، وأخرجهم مِن حُصُونِهم الحصينة التي ما طمع فيها المسلمون، وظَنُّوا هم أنَّها مانعتهم مِن بأس الله، فمَا أَغْنَىٰ عنهم من الله شيئًا، وجاءهم ما لم

---

(١) في بعض النسخ: «وكان ابن عباس يقول: سورة بني النضير».
(٢) البخاري (٤٨٨٢)، ومسلم (٣٠٣١).
(٣) ليست في (ز).
(٤) البخاري (٤٨٨٣).
(٥) لوحة (٦١ أ).

يكن ببالهم، وسيَّرهم رسول الله وأجلاهم من المدينة، فكان منهم طائفةٌ ذهبوا إلىٰ أَذْرِعاتٍ من أعالي الشَّام، وهي أرض المحشر والمنشر، ومنهم طائفةٌ ذهبوا إلىٰ خيبر، وكان قد أنزلهم منها علىٰ أن لهم ما حَمَلَتْ إبلهم، فكانوا يخربون ما في بيوتهم من المنقولات التي يمكن أن تحمل معهم؛ ولهذا قال: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ أي: تفكروا في عاقبة من خالف أمر الله وخالف رسوله، وكذَّب كتابه، كيف يحلُّ به من بأسه المخزي له في الدنيا، مع ما يَدَّخِرُه له في الآخرة من العذاب الأليم.

قال أبو داود: حدَّثنا محمَّد بن داود وسفيان، حدَّثنا عبد الرزاق، أخبرنا مَعْمَرٌ، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن رجلٍ من أصحاب النَّبيِّ ﷺ، أنَّ كفار قريش كتبوا إلىٰ [ابن أُبَيٍّ، ومن](١) كان يعبد معه الأوثان من الأوس والخزرج، ورسول الله ﷺ يومئذٍ بالمدينة قبل وقعة بدر: إنَّكم(٢) آويتم صاحبنا، وإنَّا نقسم بالله لتقاتلنه، أو لتخرجنه(٣)، أو لنسيرن إليكم بأَجْمَعِنَا، حتىٰ نقتل مُقَاتِلَتكُم ونستبيح نساءكم، فلما بلغ ذلك عبد(٤) الله بن أبي ومن كان معه من عبدة الأوثان، اجتمعوا(٥) لقتال النَّبيِّ ﷺ، فلما بلغ ذلك النَّبيَّ ﷺ لقيهم، فقال: «**لَقَدْ بَلَغَ وَعِيدُ قُرَيْشٍ مِنْكُمُ المَبَالِغَ، مَا كَانَتْ تَكِيدُكُمْ بِأَكْثَرَ مِمَّا تُرِيدُ أَنْ تَكِيدُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ، تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا أَبْنَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ؟**»، فلما سمعوا ذلك من النَّبيِّ ﷺ تفرَّقوا، فبلغ ذلك كفار قريش، فكتبت كفَّار قريش بعد وقعة بدر إلىٰ اليهود: إنَّكم أهل الحَلْقَة والحصون، وإنَّكم لتقاتلُنَّ صاحبنا(٦) أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خَدَمِ نسائكم شيء -وهي الخلاخيل- فلمَّا بلغ كتابُهُم النَّبيَّ ﷺ اجتمعت(٧) بنو النَّضير بالغدر، فأرسلوا إلىٰ النَّبيِّ ﷺ: اخرج إلينا في ثلاثين رجلًا من أصحابك وليخرج منا ثلاثون [حبرًا، حتىٰ نلتقي بمكان المنصف(٨) فيسمعوا منك، فإن صدقوك وآمنوا بك آمَنَّا بك](٩)، فلما كان الغد غَدَا عليهم رسول الله ﷺ [بالكتائب](١٠) فحصرهم، قال لهم: «**إِنَّكُمْ وَاللهِ لَا تَأْمَنُوا عِنْدِي إِلَّا بِعَهْدٍ تُعَاهِدُونِي عَلَيْهِ**». فأبَوْا أن يعطوه عهدًا، فقَاتَلَهُم يومهم ذلك، ثم غَدَا الغد علىٰ بني قريظة بالكتائب، وترك بني النضير، ودعاهم إلىٰ أن يعاهدوه، فعاهدوه، فانصرف عنهم، وغَدَا إلىٰ بني النضير بالكَتَائِب فقاتلهم، حتىٰ نزلوا علىٰ الجلاء. فجلت بنو النَّضير، واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم وأبواب

---

(١) في (ز): (إلىٰ ابن أم رب)، والمثبت من «أبي داود».
(٢) لوحة (٦١ ب).
(٣) في (ز): (أو لنخرجنكم)، والمثبت موافق لما في «أبي داود».
(٤) في (ز): (ولد عبد الله)، والمثبت موافق لما في «أبي داود».
(٥) في (ز): (أحملوا)، والمثبت كما في «أبي داود».
(٦) في (ز): (مع صاحبنا)، والمثبت موافق لما في «سنن أبي داود».
(٧) في (ز): (أيقنت)، والمثبت كما في «أبي داود».
(٨) المنصف: الموضع الوسط بين الموضعين.
(٩) بياض في (ز)، والمثبت كما في «أبي داود».
(١٠) ليست في (ز).

بيوتهم وخشبها، وكان نخل[1] بني النضير لرسول الله ﷺ خاصَّة، أعطاه الله إيَّاها وخصَّه بها، فقال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [يقول: بغير قتال][2]، فأعطى النَّبيُّ ﷺ أكثرها للمهاجرين، قسَّمها بينهم، وقسَّم منها لرَجُلَيْنِ مِن الأنصار وكانا ذَوَيْ حاجةٍ، ولم يقسم مِن الأنصار غيرَهُما، وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ الَّتي في أيدي بني فاطمة[3].

وَلْنذكرْ ملخصَ غزوةِ بني النضير علىٰ وجه الاختصار، وبالله المستعان.

وكان سبب ذلك فيما ذكره أصحاب المغازي والسِيَر: أنَّه لما قُتِل أصحابُ بئر مَعُونة، من أصحاب رسول الله ﷺ، وكانوا سبعين، وأفلت منهم عمرو بن أميَّة الضَّمْرِي، فلمَّا كان في أثناء الطريق راجعًا إلىٰ المدينة قتل رجلين من بني عامر، وكان معهما عهد من[4] رسول الله ﷺ وأمان لم يعلم به عمرو، فلمَّا رجع أخبر رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «لَقَدْ قَتَلْتَ رَجُلَيْنِ، لَأَدِيَنَّهُمَا» وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد، فخرج رسول الله ﷺ إلىٰ بني النضير يستعينهم في دية ذينك الرجلين، وكانت منازل بني النَّضير ظاهر المدينة علىٰ أميال منها شرقِيَّها.

قال محمَّد بن إسحاق بن يسار في كتابه «السيرة»: ثم خرج رسول الله إلىٰ بني النضير، يستعينهم في دِيَةِ ذَيْنِك القتيلين من بني عامر، اللذيْنِ قتل عمرو بن أمية الضمري؛ للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقد لهما، فيما حدثني يزيد بن رُومان، وكان بين بني النضير وبني عامر عَقْدٌ وحِلْفٌ، فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذَيْنِك القتيلين قالوا: نعم، يا أبا القاسم، نعينك علىٰ ما أحببت، مما استعنت بنا عليه. ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل علىٰ مثل حاله هذه، ورسول الله ﷺ إلىٰ جنب جدار من بيوتهم، فَمَن رجلٌ يعلو علىٰ هذا البيت، فيلقيَ عليه صخرةً، فيريحَنا منه؟ فانتُدِب لذلك عمرُو بن جحاش بن كعب أحدُهم، فقال: أنا لذلك، فصعِدَ ليلقيَ عليه صخرةً كما قال، ورسول الله ﷺ في نفرٍ من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعلي ﷺ، فأتىٰ رسول الله ﷺ الخبر من السَّماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعًا إلىٰ المدينة، فلما استلبث[5] النَّبيَّ ﷺ أصحابُهُ قاموا في طلبه فلقُوا رجلًا مقبلًا من المدينة، فسألوه عنه، فقال: رأيته داخلًا المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتىٰ انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر بما كانت يهودُ أرادت من الغَدْرِ به، وأمر رسولُ الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم، ثم سار حتىٰ نزل بهم فتحصَّنوا منه في الحصون، فأمر رسولُ الله ﷺ بقطع النَّخل والتَّحريق فيها، فنادَوْه: أَنْ يا محمَّدُ، قد كنت تَنْهَىٰ عن الفساد وتَعِيبُه علىٰ مَن صَنَعَهُ، فما بال قَطعِ النَّخل وتحريقِهَا؟

---

(١) في (ز): (كل بني النضير).
(٢) بياض في (ز)، والمثبت موافق لما في «أبي داود».
(٣) صححه الألباني: رواه أبو داود (٣٠٠٤).
(٤) لوحة (٦٢ أ).
(٥) أي: استبطأ.

وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج، منهم عبد الله بن أُبَيّ بن سلول، ووديعة، ومالك بن أبي قَوْقَل[(١)]، وسُوَيد، وداعس، قد[(٢)] بعثوا إلىٰ بني النضير: أَنِ اثْبُتُوا وتَمَنَّعوا فإنَّا لن نَسْلِمَكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خَرَجنا معكم فتربَّصُوا ذلك مِن نصرهم، فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله ﷺ أن يُجْلِيَهُم ويَكُفَّ عن دمائهم، علىٰ أنَّ لهم ما حملتِ الإبل مِن أموالهم إلا الحلقة، ففعل، فاحتملوا من أموالهم ما استقلَّت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نِجافِ[(٣)] بابه، فيضعه علىٰ ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا إلىٰ خيبر، ومنهم من سار إلىٰ الشَّام، وَخَلُّوا الأموال إلىٰ رسول الله ﷺ، فكانت لرسول الله خاصَّةً يضعها حيث شاء، فقسمها علىٰ المهاجرين الأوَّلين دون الأنصار، إلا أن سهل بن حُنَيفٍ وأبا دُجانة سِمَاك بن خَرَشَة ذكرا فَقْرًا، فأعطاهما رسول الله ﷺ.

قال: ولم يَسْلَم من بني النضير إلا رجلان: يامين بن عُمَير[(٤)] بن كعب ابن عمِّ عمرو بن جحاش، وأبو سعد بن وهب أسلما علىٰ أموالهما فأحرزاها[(٥)].

قال ابن إسحاق: قد حدثني بعض آل يامين: أن رسول الله ﷺ قال ليامين: «**أَلَمْ تَرَ مَا لَقِيتُ مِنِ ابْنِ عَمِّكَ، وَمَا هَمَّ بِهِ مِنْ شَأْنِي**». فجَعَل يامين بن عُمَير لرجل جُعْلًا علىٰ أن يقتل عمرو بن جحاش، فقتله فيما يزعمون[(٦)].

قال ابن إسحاق: ونزل في بني النَّضير سورة الحشر بأسرها.

وهكذا روىٰ يونس بن بُكَيْر[(٧)]، عن ابن إسحاق، بنحو ما تقدم.

فقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: بني النضير ﴿مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾.

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا ابن أبي عمر، حدَّثنا سفيان، عن أبي سعد، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ قال: مَن شَكَّ في أنَّ أرض المحشر هاهنا -يعني الشام- فَلْيَتْلُ هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ قال لهم رسول الله ﷺ: «**اخْرُجُوا**». قالوا: إلىٰ أين؟ قال: «**إِلَىٰ أَرْضِ الْمَحْشَرِ**»[(٨)].

وحدَّثنا أبو سعيدٍ الأشج، حدَّثنا أبو أسامة، عن عوف، عن الحسن قال: لما أجلىٰ رسول الله ﷺ بني النضير، قال: «**هَذَا أَوَّلُ الْحَشْرِ، وَأَنَا عَلَىٰ الأَثَرِ**»[(٩)].

---

(١) في (ز): (أبي نوفل). (٢) لوحة (٦٢ ب).
(٣) **النجاف** -بوزن كتاب-: العتبة التي بأعلىٰ الباب. (٤) في (ز): (عمرو).
(٥) الطبري (٢٣/ ٢٧١) طبعة الرسالة، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٤٢٨)، و«سيرة ابن هشام» (٣/ ٨٠).
(٦) «سيرة ابن هشام» (٤/ ١٤٦)، و«عيون الأثر» لابن سيِّد الناس (٤/ ١٦٤).
(٧) في (ز): (بكر).
(٨) **ضعيف**: رواه ابن أبي حاتم (١٨٨٥٠)، وفيه أبو سعد البقَّال: ضعيف مدلس. انظر «التقريب» (٢٣٨٩).
(٩) **ضعيف**: إسناده مرسل، رواه الطبري (٢٨/ ٢٩).

ورواه ابن جرير، عن بُنْدَارٍ، عن ابن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن به.

وقوله: ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ﴾ أي: في مدة حصاركم لهم وَقِصَرها، وكانت ستَّة أيَّام، مع شدَّة حصونهم ومَنَعَتِهَا؛ ولهذا قال[1]: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾ أي: جاءَهُم مِن أمر الله مَا لم يَكُن لهُم في بالٍ، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦].

وقوله: ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ أي: الخوفَ والهَلَعَ والجَزَعَ، وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد حاصرهم الذي نُصِرَ بالرُّعْبِ مسيرةَ شهرٍ، صلوات الله وسلامه عليه؟!

وقوله: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قد تقدَّم تفسير ابن إسحاق لذلك، وهو نقض ما استحسنوه مِن سقوفهم وأبوابهم، وتَحملها علىٰ الإبل، وكذا قال عروة بن الزبير، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغير واحدٍ.

وقال مقاتل بن حيان: كان رسول الله ﷺ يقاتلهم، فإذا ظهر علىٰ دَرْبٍ أو دارٍ، هدم حيطانها لِيَتَّسِعَ المكان للقتال، وكان اليهود إذا علَوْا مكانًا أو غلبوا علىٰ دربٍ أو دارٍ، نقبوا من أدبارها ثم حصنوها ودرّبوها[2][3]، يقول الله تعالىٰ: ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[4].

وقوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ أي: لولا أن كَتَبَ الله عليهم هذا الجلاء، وهو النَّفي مِن ديارهم وأموالهم، لكان لهم عند الله عذابٌ آخر من القَتْل والسَّبْي، ونحو ذلك، قاله الزُّهري، عن عُرْوَةَ، والسُّدِّي وابن زيد؛ لأنَّ الله قد كتب عَلَيْهِم أنَّه سيُعَذِّبُهم في الدَّار الدُّنيا مع ما أعَدَّ لهم في الآخرة من العذاب في نار جهنَّم.

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا عبد الله بن صالح -كاتب الليث- حدثني الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزُّبير قال: ثم كانت وقعة بني النضير، وهم طائفةٌ من اليهود، علىٰ رأس ستة أشهر من وقعة بدرٍ، وكان منزلهم بناحية من المدينة، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتىٰ نزلوا علىٰ الجلاء، وأن لهم ما أَقَلَّت[5] الإبل من الأموال والأمتعة إلا الحلقة، وهي السلاح، فأجلاهم رسول الله ﷺ قِبَلَ الشَّام، قال: والجلاء أنَّه كُتب عليهم في آيٍ من التَّوراة، وكانوا مِن سبط لم يصبهم الجلاء قبل ما سلط عليه رسول الله ﷺ، وأنزل الله فيهم: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلىٰ قوله[6]: ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[7].

---

(١) لوحة (٦٣ أ).
(٢) في (ز): (ودبروها)، والمثبت من «الدر المنثور».
(٣) أي: جعلوا لها دروبًا، وهي الطرق.
(٤) مُعْضَل: لأنه من رواية مقاتل بن حيان.
(٥) أي: حملت.
(٦) لوحة (٦٣ ب).
(٧) ضعيف: رواه ابن أبي حاتم (١٨٨١٩)، وفيه عبد الله بن صالح: صدوق يخطئ، والإسناد أيضًا مرسل.

وقال عكرمة: الجلاء: القتل، وفي رواية عنه: الفناء، وقال قتادة: الجلاء: خروج الناس من البلد إلىٰ البلد. وقال الضَّحَّاكُ: أجلاهم إلىٰ الشام، وأعطىٰ كلَّ ثلاثةٍ بعيرًا وسِقاءً، فهذا الجلاء.

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أحمد بن كامل القاضي، حدَّثنا محمَّد بن سعدٍ العَوْفي، حدثني أبي، عن عمي، حدثني أبي عن جدي، عن ابن عبَّاس قال: كان النَّبيُّ ﷺ قد حَاصَرَهُم حتىٰ بلغ منهم كل مَبْلَغٍ، فأعطَوْه ما أراد منهم، فصالحهم علىٰ أن يحقِنَ لهم دماءهم، وأن يخرجهم من أرضهم ومن ديارهم وأوطانهم، وأن يسيرهم إلىٰ أَذْرِعاتِ الشام، وجعل لكلِّ ثلاثةٍ منهم بعيرًا وسِقاءً، والجلاء: إخراجهم من أرضهم إلىٰ أرض أخرىٰ(١).

وروي أيضًا من حديث يعقوب بن محمَّد الزهري(٢)، عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمَّد ابن مسلمة(٣)، عن أبيه، عن جده، عن محمَّد بن مسلمة(٤)؛ أنَّ رسول الله ﷺ بعثه إلىٰ بني النَّضير، وأمره أن يُؤَجِّلَهُم في الجلاء ثلاثَ ليالٍ(٥).

وقوله: ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ أي: حتمٌ لازمٌ لا بدَّ لهم منه.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: إنما فعلَ الله بِهِم ذلك وسَلَّط عليهم رسوله وعباده المؤمنين؛ لأنَّهم خالفوا الله ورسوله، وكذَّبوا بما أنزل الله علىٰ رسله المتقدِّمين في البشارة بمحمَّد ﷺ، وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم، ثم قال: ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ اللِّين: نوع من التَّمر، وهو جيِّد. قال أبو عبيدة: وهو ما خالف العجوة والبَرْنيَّ من التمر. وقال كثيرون من المفسرين: اللِّينة: ألوان التَّمر سوىٰ العجوة.

قال ابن جرير: هو جميع النَّخل، ونقله عن مجاهد: وهو البُوَيرة(٦) أيضًا؛ وذلك أن رسول الله ﷺ لما حاصرهم أمر بقطع نخيلهم إهانةً لهم، وإرهابًا وإرعابًا لقلوبهم.

فروىٰ محمَّد بن إسحاق عن يزيد بن رُومان، وقتادة، ومقاتل بن حيان أنهم قالوا: [فبعث بنو النضير](٧) يقولون لرسول الله ﷺ: إنَّك تنهىٰ عن الفساد، فما بالُك تأمر بقطع الأشجار؟! فأنزل الله هذه الآية الكريمة؛ أي: ما قطعتم وما تركتم من الأشجار، فالجميع بإذن الله ومشيئته وقدرته ورضاه، وفيه نكايةٌ بالعدو وخزيٌ لهم، وإرغامٌ لأنوفهم(٨).

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٥٩). وإسناده ضعيف.
تنبيه: مجموع هذه الروايات تدل علىٰ أن لها أصلًا فيقوي بعضها بعضًا.

(٢) في (ز): (الزبيري)، وهو خطأ.

(٣) في (ز): (محمد بن مسلم)، وهو خطأ.

(٤) في (ز): (محمد بن سلمة)، وهو خطأ.

(٥) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٦٠)، وفي إسناده محمود بن محمد، صدوق كثير الوهم والرواية عن الضعفاء.

(٦) البُوَيرة: موضع كان به نخلهم.

(٧) بياض في (ز)، والمثبت من مصادر التخريج.

(٨) لوحة (٦٤ أ).

وقال الحافظ أبو يعلىٰ في «مسنده»: حدَّثنا سفيان بن وكيع، حدَّثنا حفص، عن ابن جُرَيج، عن سليمان بن موسىٰ، عن جابر، وعن أبي الزبير، عن جابر قال: رَخَّص لهم في قطع النَّخل، ثم شدَّد عليهم، [فأتَوُا النَّبيَّ ﷺ فقالوا:](١) يا رسول الله، علينا إثمٌ فيما قطعنا؟ أو علينا وزر فيما تركنا؟ فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(٢).

وقال مجاهد: نهىٰ بعض المهاجرين بعضًا عن قطع النخل، وقالوا: إنَّما هي مغانم المسلمين، فنزل القرآن بتصديق مَن نهىٰ عن قطعه، وتحليل من قطعه من الإثم، وإنما قطعُه وتَرْكُه بإذنه، وقد روي نحو هذا مرفوعًا، فقال النسائي: أخبرنا الحسن بن محمَّد، عن عفان، حدَّثنا حفص بن غياث، حدَّثنا حبيب بن أبي عمرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس، في قوله: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قال: يستنزلونهم من حصونهم وأمروا بقطع النخل، فحاك في صدورهم، فقال المسلمون: قطعنا بعضًا وتركنا بعضًا، فلنسألنَّ رسول الله ﷺ: هل لنا فيما قطعنا مِن أجرٍ؟ وهل علينا فيما تركنا مِن وزرٍ؟ فأنزل الله: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾(٣).

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا عبد الرحمن، حدَّثنا سفيان، عن موسىٰ بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر؛ أن رسول الله ﷺ قطع نخل بني النضير وحَرَّق(٤).

وأخرجه صاحبا «الصحيح» من رواية موسىٰ بن عقبة، بنحوه ولفظ البخاري من طريق عبد الرزاق، عن ابن جريج، عن موسىٰ بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر قال: حاربت النضيرُ وقريظة، فأَجْلَىٰ بني النضير، وأَقرَّ قريظة ومَنَّ عليهم، حتىٰ حاربت قريظةُ، فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين، إلا بعضَهم لَحِقُوا بالنَّبيِّ ﷺ فأمَّنهم وأسلموا، وأجلىٰ يهودَ المدينة كلهم بني قَيْنُقَاع، وهم رهط عبد الله بن سلام، ويهود بني حارثة، وكلَّ يهود بالمدينة(٥).

ولهما أيضًا عن قتيبة، عن الليث بن سعد، عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ حَرَّق نخل بني النضير وقطع -وهي البُوَيرةُ- فأنزل الله ﷻ فيه: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(٦).

---

(١) في (ز): (فقالوا للنبي ﷺ).

(٢) حسن لغيره: رواه أبو يعلىٰ (٤/ ١٣٥)، وفيه سفيان بن وكيع: ضعيف، وفيه عنعنة ابن جريج، وهو مدلس، ولكن يشهد له الرواية الثانية التي ساقها ابن كثير من حديث ابن عباس، ورجالها ثقات غير أن حفص بن غياث تغيَّر قليلًا في آخر عمره.

(٣) رواه النسائي في «الكبرىٰ» (١١٥٧٤) ورجاله ثقات غير أن حفص بن غياث تغير في آخر عمره، ويشهد لها الرواية السابقة كما تقدم.

(٤) رواه أحمد (٢/ ٧) وانظر الآتي.

(٥) البخاري (٣٠٢١)، ومسلم (١٧٤٦)، وأحمد (٢/ ٧).

(٦) البخاري (٤٨٨٤)، ومسلم (١٧٤٦).

وللبخاري رَحِمَهُ اللَّهُ من رواية جُوَيْرِية بنِ أسماءَ، عن نافع، عن عبد الله [بن عمر][(١)]؛ أن رسول الله ﷺ حَرَّق نخل بني النَّضير وقطع البويرة[(٢)]. ولها يقول حسان [بن ثابت] رضي الله عنه:

وَهَانَ عَلَىٰ سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ ... حَرِيقٌ بِالبُوَيرَةِ مُسْتَطِيرُ[(٣)]

فأجابه أبو سفيان بن الحارث[(٤)] يقول:

أَدَامَ اللهُ ذَلِكَ مِنْ صَنِيعٍ ... وَحَرَّقَ فِي نَوَاحِيهَا السَّعِيرُ
سَتَعْلَمُ أَيُّنَا مِنْهَا بِنُزْهٍ[(٦)] ... وَتَعْلَمُ أَيَّ أَرْضَينَا نَضِيرُ[(٥)]

كذا رواه البخاري ولم يذكره ابن إسحاق.

وقال محمَّد ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بني النضير وقتل ابن الأشرف:

لَقَدْ خَزِيَتْ بِغَدْرَتِهَا الحُبُورُ[(٧)] ... كَذَاكَ الدَّهْرُ ذُو صَرْفٍ يَدُورُ
وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِرَبٍّ ... عَظِيمٍ أَمْرُهُ أَمْرٌ كَبِيرُ
وقَدْ أُوتُوا مَعًا فَهْمًا وَعِلْمًا ... وَجَاءَهُمُ مِنَ اللهِ النَّذِيرُ
نَذِيرٌ صَادِقٌ أَدَّىٰ كِتَابًا ... وَآيَاتٍ مُبَيَّنَةً تُنِيرُ
فَقَالُوا مَا أَتَيْتَ بِأَمْرِ صِدْقٍ ... وَأَنْتَ بِمُنْكَرٍ مِنَّا جَدِيرُ
فَقَالَ: بَلَىٰ لَقَدْ أَدَّيْتُ حَقًّا ... يُصَدِّقُنِي بِهِ الفَهِمُ الخَبِيرُ
فَمَنْ يَتْبَعْهُ يُهْدَ لِكُلِّ رُشْدٍ ... وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ يُجْزَ الكَفُورُ
فَلَمَّا أُشْرِبُوا غَدْرًا وَكُفْرًا ... وَجَدَّ بِهِمْ عَنِ الحَقِّ النُّفُورُ
أَرَىٰ اللهُ النَّبِيَّ بِرَأْيِ صِدْقٍ ... وَكَانَ اللهُ يَحكُمُ لا يَجُورُ
فَأَيَّدَهُ وَسَلَّطَهُ عَلَيْهِمْ ... وَكَانَ نَصِيرَهُ نِعْمَ النَّصِيرُ
فَغُودِرَ مِنْهُمُو كَعْبٌ صَرِيعًا ... فَذَلَّتْ بَعْدَ مَصْرَعِهِ النَّضِيرُ
عَلَىٰ الكَفَّيْنِ ثَمَّ وَقَدْ عَلَتْهُ ... بِأَيْدِينَا مُشَهَّرَةٌ ذُكُورُ[(٨)]

---

(١) ليست في (ز). (٢) قوله: (وقطع البويرة) في «صحيح البخاري»: (وقطع وهي البويرة).
(٣) لوحة (٦٤ ب). (٤) في (ز): (أبو سفيان بن حرب).
(٥) البخاري (٢٣٢٦). (٦) النُّزْه: البعد.
(٧) **الحُبُور**: جمع حِبْر، وهو العالم، أراد بهم علماء اليهود.
(٨) **مشهرة ذكور**: سيوف مسلولة من أغمادها، وذكور: جمع ذَكَر، وهو القوي الصلب.

بِـــأَمْرِ مُحَمَّـــدٍ إِذْ دَسَّ لَـــيْلًا ... إِلَـــىٰ كَعْـــبٍ أَخَـــا كَعْـــبٍ يَـــسِيرُ
فَمَـــاكَرَهُ فَأَنْزَلَـــهُ بِمَكْـــرٍ ... وَمَحْمُـــودٌ أَخُـــو ثِقَـــةٍ جَـــسُورُ
فَتِلْـــكَ بَنُـــو النَّـضِيرِ بِـــدَارِ سَـــوْءٍ ... أَبَـــارَهُمْ بِمَـــا اجْتَرَمُـــوا[١] المُبِيـــرُ
غَـــدَاةَ أَتَـــاهُمْ فِـــي الزَّحْـــفِ رَهْـــوًا[٢] ... رَسُـــولُ اللهِ وَهْـــوَ بِهِـــمْ[٣] بَـــصِيرُ
وَغَـــسَّانُ الحُمَـــاةُ مُـــوَازِرُوهُ ... عَلَـــىٰ الأَعْـــدَاءِ وَهْـــوَ لَهُـــمْ وَزِيـــرُ
فَقَـــالَ: الـــسَّلْمَ[٤] وَيْحَكُـــمُ فَـــصَدُّوا ... وَحَـــالَفَ أَمْـــرَهُمْ كَـــذِبٌ وَزُورُ[٥]
فَـــذَاقُوا غِـــبَّ أَمْـــرِهِمُ دَبَـــالًا[٦] ... لِكُـــلِّ ثَلَاثَـــةٍ مِـــنْهُمْ بَعِيـــرُ
وَأُجْلُـــوا عَامِـــدِينَ لِقَيْنُقَـــاعٍ ... وَغُـــودِرَ مِـــنْهُمُ نَخْـــلٌ وَدُورُ

قال: وكان مما قيل من الأشعار في بني النضير قولُ ابن لُقَيم العَبْسِيّ -ويقال: قالها قيس بن بحر ابن طريف- قال ابن هشام: الأشجعي:

أَهْلِـــي فِـــدَاءٌ لِامْـــرِئٍ غَيْـــرِ هَالِـــكٍ ... أَحَـــلَّ اليَهُـــودَ بِالحَـــسِيِّ المُـــزَنَّمِ
يَقِيلُـــونَ[٧] فِـــي جَمْـــرِ الغَـــضَاةِ[٨] وَبُـــدِّلُوا ... أُهَيْـــضِبَ عُـــودًا بِـــالوَدِيِّ[٩] المُكَمَّـــمِ
فَـــإِنْ يَـــكُ ظَنِّـــي صَـــادِقًا بِمُحَمَّـــدٍ ... يَـــرَوْا خَيْلَـــهُ بَـــيْنَ الـــصَّلَا وَيَرَمْـــرَمِ[١٠]
يَـــؤُمُّ بِهَـــا عَمْـــرُو بْـــنَ بُهْثَـــةَ إِنَّهُـــمْ ... عَـــدُوٌّ وَمَـــا حَـــيٌّ صَـــدِيقٌ كَمُجْـــرِمِ
عَلَـــيْهِنَّ أَبْطَـــالٌ مَـــسَاعِيرُ[١١] فِـــي الـــوَغَىٰ ... يَهُـــزُّونَ أَطْـــرَافَ الوَشِـــيجِ[١٢] المُقَـــوَّمِ
وَكُـــلُّ رَقِيـــقِ الـــشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّـــدٍ ... [تُـــوُورِثَ][١٣] مِـــنْ أَزْمَـــانِ عَـــادٍ وَجُـــرْهُمِ
فَمَـــنْ مُبْلِـــغٌ عَنِّـــي قُرَيْـــشًا رِسَـــالَةً ... فَهَـــلْ بَعْـــدَهُم في المَجْـــدِ مِـــن مُتَكَـــرِّمِ
بِـــأَنَّ أَخَـــاكُم -فَـــاعْلَمُنَّ- مُحَمَّـــدًا ... تَلِيـــدُ النَّـــدَىٰ بَـــيْنَ الحَجُـــونِ وَزَمْـــزَمِ
فَـــدِينُوا لَـــهُ بِـــالحَقِّ تَجْـــسُمْ أُمُـــورُكُمْ ... وَتَـــسْمُوا مِـــنَ الـــدُّنْيَا إِلَـــىٰ كُـــلِّ مُعْظَـــمِ

---

(١) أي: اكتسبوا.
(٢) يقال: (جاءت الخيل والإبل رهواً)، أي: ساكنة، وقيل: متتابعة.
(٣) في (ز): (وهو لهم نصير)، والمثبت من «سيرة ابن هشام».
(٤) لوحة (٦٥ أ).
(٥) في (ز): (السلام).
(٦) الدَّبَال: النفايات.
(٧) في (ز): (يقولون).
(٨) **الغَضَاة**: واحدة الغَضَىٰ، وهو شجر.
(٩) **الودي**: صغار النخل، والمكمم: الذي خرج من طلعه.
(١٠) **الصلا ويرمرم**: موضعان.
(١١) **المساعير**: الذين يسعرون الحرب ويثيرونها.
(١٢) **الوشيج**: الرماح.
(١٣) في (ز): (تورثن).

نَبِيٌّ تَلافَتْهُ(١)(٢) مِنَ اللهِ رَحْمَةٌ ... وَلا تَسْأَلُوهُ أَمْرَ غَيْبٍ مُرَجَّمِ
فَقَدْ كَانَ فِي بَدْرٍ لَعَمْرِي عِبْرَةٌ ... لَكُمْ يَا قُرَيْشُ وَالقَلِيبِ المُلَمَّمِ
غَدَاةَ أَتَىٰ فِي الخَزْرَجِيَّةِ عَامِدًا ... إِلَيْكُمْ مُطِيعًا لِلْعَظِيمِ المُكَرَّمِ
مُعَانًا بِرُوحِ القُدْسِ يَنْكِي(٣) عَدُوَّهُ ... رَسُولًا مِنَ الرَّحْمَنِ حَقًّا بِمَعْلَمِ(٤)
رَسُولًا مِنَ الرَّحْمَنِ يَتْلُو كِتَابَهُ ... فَلَمَّا أَنَارَ الحَقُّ لَمْ يَتَلَعْثَمِ
أَرَىٰ أَمْرَهُ يَزْدَادُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ... عُلُوًّا لِأَمْرٍ حَمَّهُ(٥) اللهُ مُحْكَمِ

وقد أورد ابن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ هاهنا أشعارًا كثيرةً، فيها آدابٌ ومواعظُ وحِكَمٌ، وتفاصيلُ للقصَّة، تركْنَا باقيَهَا اختصارًا واكتفاء بما ذكرناه، ولله الحمد والمنَّة.

قال ابن إسحاق: كانت وقعة بني النضير بعد [وقعة أُحُدٍ وبعد بِئْرِ مَعُونَةَ، وحكى البخاري، عن الزهري، عن عروة أنه قال: كانت وقعة بني النضير بعد](٦) بدر بستة أشهر(٧).

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ(٨) رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾

يقول تعالىٰ مُبَيِّنًا لمال الفيء وما صفته؟ وما حكمه؟ فالفيء: كل مال أخذ من الكفار بغير قتالٍ ولا إيجافِ خيلٍ ولا ركابٍ، كأموال بني النَّضير هذه، فإنَّها مما لم يُوجف المسلمون عليه بِخَيْلٍ ولا رِكَابٍ؛ أي: لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمُصَاوَلَةِ، بل نزل أولئك مِن الرُّعب الَّذي أَلْقَىٰ الله في قلوبهم مِن هيبة رسول الله ﷺ، فأفاءه الله علىٰ رسوله؛ ولهذا تصرَّف فيه كما شاء، فردَّه علىٰ المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله ﷻ في هذه الآيات، فقال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ﴾ أي: من بني النَّضير ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ يعني: الإبل، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: هو قديرٌ لا يُغالَبُ ولا يُمانَعُ، بل هو القاهر لكلِّ شيءٍ.

ثم قال: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ أي: جميع البلدان التي تُفتح هكذا، فحكمها حكم

---

(١) في (ز): (تلاقيه).
(٢) أي: تداركته.
(٣) نكىٰ عدوه: أصاب منه.
(٤) المَعْلَم: الموضع المرتفع المشرف.
(٥) أي: قدَّره.
(٦) ليست في (ز).
(٧) رواه البخاري تعليقًا (كتاب المغازي) حديث بني النضير.
(٨) لوحة (٦٥ ب).

أموال بني النَّضِير؛ ولهذا قال: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ إلىٰ آخرها والتي بعدها، فهذه مصارفُ أموال الفيء ووجوهه.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا سفيان، عن عمرو ومَعْمَر، عن الزهري، عن مالك بن أوس بن الحَدَثان، عن عمر رضي الله عنه قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله إلىٰ رسوله مما لم يُوجف المسلمون عليه بخيلٍ ولا ركابٍ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصةً فكان يُنْفِقُ علىٰ أهله منهَا نفقةَ سَنَتِهِ -وقال مَرَّةً: قوت سنته- وما بقي جعله في الكُرَاع والسِّلاح في سبيل الله عز وجل(١).

هكذا أخرجه أحمد هاهنا مختصرًا، وقد أخرجه الجماعة في كتبهم -إلا ابنَ ماجه-(٢) من حديث سفيان، عن عمرو بن دينار، عن الزهري به، وقد رويناه مطولًا.

فقال أبو داود رحمه الله:

حدَّثنا الحسن بن علي ومحمَّد بن يحيىٰ بن فارس -المعنىٰ واحد- قالا: حدَّثنا بشرُ بن عُمَر الزهراني، حدَّثني مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن مالك بن أوس قال: أرسل إليَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين تعالىٰ النَّهار، فجئته فوجدته جالسًا علىٰ سَرِيرٍ مُفضيًا إلىٰ رُماله(٣)، فقال حين دخلت عليه(٤): يا مالِ، إنَّه قد دَفَّ(٥) أهل أبيات مِن قومك، وقد أمرت فيهم بشيءٍ، فاقسم فيهم، قلت: لو أمرتَ غيري بذلك؟ فقال: خُذْهُ، فجاءه «يرفأ»(٦)، فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك في عثمان بن عفَّان، وعبد الرحمن بن عوف، والزُّبير بن العوَّام، وسعد بن أبي وقَّاص؟ فقال: نعم. فأَذِنَ لهم فدخلوا، ثم جاءه «يرفأ» فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك في العبَّاس وعلي؟ قال: نعم. فأذن لهم فدخلوا، فقال العبَّاس: يا أمير المؤمنين، اقضِ بيني وبين هذا -يعني: عليًّا- فقال بعضهم: أجل يا أمير المؤمنين، اقْضِ بَيْنَهُما وأَرِحْهُمَا، قال مالك بن أوس: خُيِّل إليَّ أنهما قَدَّما أولئك النَّفر لذلك، فقال عمر رضي الله عنه: اتَّئِدَا، ثم أقبل علىٰ أولئك الرَّهط فقال: أَنْشُدكم بالله الَّذِي بِإِذْنِه تقوم السَّماء والأرض، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «لا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ». قالوا: نعم. ثم أقبل علىٰ عليٍّ والعبَّاس فقال: أنشدُكُما بالله الذي بإذنه تقوم السَّماء والأرض، هل تعلمان أن رسول الله ﷺ قال: «لا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ». فقالا: نعم. فقال: فإنَّ الله خَصَّ رسوله بخاصَّةٍ لم يخُصَّ بها أحدًا من النَّاس، فقال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١/ ٢٥) ورواه الجماعة كما سيأتي.

(٢) البخاري (٣٠٩٤)، ومسلم (١٢٥٧)، وأبو داود (٢٩٩٣، ٢٩٦٥)، والترمذي (١٧١٩)، والنسائي (٧/ ١٣٢)، وأحمد (١/ ٢٥).

(٣) أي: موصلًا جسده إلىٰ رماله، ورمال السرير: ما ينسج في وجهه بالسعف.

(٤) لوحة (٦٦ أ). (٥) أي: جاءوا مسرعين.

(٦) يرفأ: اسم غلام لعمر رضي الله عنه.

مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ فكان الله أفاء إلىٰ رسوله أموال بني النضير، فوالله ما استأثر بها عليكم ولا أخذها[1] دونكم، فكان رسول الله ﷺ يأخذ منها نفقةَ سَنَةٍ -أو: نفقته ونفقة أهله سنة- ويجعل ما بَقِيَ أسوةَ[2] المالِ، ثم أقبل علىٰ أولئك الرهط فقال: أَنْشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السَّماء والأرض: هل تعلمون ذلك؟ قالوا: نعم. ثم أقبل علىٰ عليٍّ والعبَّاس فقال: أنشدُكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض: هل تعلمان ذلك؟ قالا: نعم. فلما تُوفي رسول الله ﷺ قال أبو بكر: «أَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللهِ»، فجئت أنتَ وهذا إلىٰ أبي بكر، تطلب أنت ميراثك عن ابن أخيك، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، فقال أبو بكر ﵁: قال رسول الله ﷺ: «لا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ»، والله يعلم إنَّه لصادقٌ بارٌّ راشدٌ تابعٌ للحقِّ. فوَلِيَها أبو بكر، فلما تُوُفِّيَ قلتُ: أنا وَلِيُّ رسول الله ﷺ ووليُّ أبي بكر، فَولِيتُها ما شاء الله أَن أَلِيَهَا، فجئتَ أنتَ وهذا، وأنتما جَميعٌ وأَمْرُكُمَا واحد، فسأَلْتُمَانِيهَا، فقلت: إن شِئْتُما فأنا أدفعها إليكُمَا علىٰ أنَّ عليكما[3] عهدَ اللهِ أَن تَلِيَاها بالَّذي كان رسول الله ﷺ يَلِيهَا، فأخذتماها مِنِّي علىٰ ذلك، ثم جِئْتُمَانِي لأقضي بينكما بغير ذلك، والله لا أقضي بينكما بغير ذلك حتىٰ تقوم الساعة، فإن عَجَزتُما عنها فَرُدَّاها إليَّ[4].

أخرجوه من حديث الزهري[5] به[6].

وقال الإمامُ أحمد: حدَّثنا عارم وعفان قالا: حدَّثنا معتمر، سمعت أبي يقول: حدَّثنا أنس بن مالك، عن نبيِّ الله ﷺ أنَّ الرَّجُل كان يَجْعَل له مِن ماله النَّخلاتِ، أو كما شاء الله، حتىٰ فُتِحَت عليه قريظة والنَّضير، قال: فجعل يَرُدُّ بعد ذلك، قال: وإنَّ أهلي أمروني أن آتي النَّبيَّ ﷺ فأسأله الذي كان أهله أعطوه أو بعضه، وكان نبي الله ﷺ قد أعطاه أمَّ أيمن، أو كما شاء الله، قال: فسألتُ النَّبيَّ ﷺ فأعطانيهن[7]، فجاءت أم أيمن فجعلت الثوبَ في عنقي وجعلت تقول: كلَّا والله الذي لا إله إلا هو لا يُعطِيكَهُنَّ وقد أعطانيهن، أو كما قالت، فقال نبي الله: «لَكِ كَذَا وَكَذَا»، قال: وتقول: كلَّا والله. قال ويقول: «لَكِ كَذَا وَكَذَا». قال: وتقول: كلَّا والله، قال: ويقول: «لَكِ كَذَا وَكَذَا»، قال: حتَّىٰ أعطاها، حسبت أنَّه قال: عشرة أمثال أو قالَ قريبًا مِن عشرة أمثاله، أو كما قال[8].

رواه البخاريُّ ومسلم من طُرُقٍ عن معتمر به[9].

وهذه المصارف المذكورة في هذه الآية هي المصارف المذكورة في خُمس الغَنيمة، وقد قدمنا

---

(١) في (ز): (أحرزها)، والمثبت كما في «سنن أبي داود» و«صحيح مسلم».
(٢) أي: بحيث لا ينفرد به أحد.
(٣) لوحة (٦٦ ب).
(٤) رواه أبو داود (١٩٦٣).
(٥) في (ز): (الترمذي)، وهو خطأ.
(٦) البخاري (٣٠٩٤)، ومسلم (١٧٥٧)، وأبو داود (٢٩٦٣)، والترمذي (١٦١٠)، والنسائي (٦/ ٤٨٣).
(٧) في (ز): (فأعطاني)، والمثبت كما في «المسند».
(٨) رواه أحمد (٣/ ٢١٩)، وانظر ما بعده.
(٩) البخاري (٤١٢٠)، ومسلم (١٧٧١)، وأحمد (٣/ ٢١٩).

الكلام عليها في سورة «الأنفال» بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا، ولله الحمد.

وقوله: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ أي: جعلنا هذه المصارف لمال الفيء؛ لئلا يبقىٰ مأكلةً يتغلب عليها الأغنياء ويتصرفون فيها، بمحض الشهوات والآراء، ولا يصرفون منه شيئًا إلىٰ الفقراء.

وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ أي: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنَّه إنَّما يأمر بخيرٍ وإنَّما ينهىٰ عن شرٍّ.

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا يحيىٰ بن أبي طالب، حدَّثنا عبد الوهاب، حدَّثنا سعيد[١]، عن قتادة، عن الحسن العَوْفي، عن يحيىٰ بن الجزار، عن مسروق قال: جاءت امرأةٌ إلىٰ ابن مسعود فقالت: بَلَغَنِي أنَّك تنهىٰ عن الواشمة والوَاصِلَة[٢]، أشيءٌ وَجَدْتَهُ في كتاب الله أو عن رسول الله ﷺ؟ [قال: بلىٰ، شيءٌ وجدته في كتاب الله وعن رسول الله ﷺ][٣]. قالت: والله لقد تصفحت ما بين دَفَّتَي المصحف[٤] فما وجدت فيه الذي تقول!. قال: فما وجدت فيه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾؟ قالت: بلىٰ. قال: فإنِّي سمعت رسول الله ﷺ ينهىٰ عن الواصلة والواشمة والنَّامصة[٥]، قالت: فلعلَّه في بعض أهلك، قال: فادخلي فانظري، فدخلت [فَنَظَرت] ثم خرجَت، قالت: ما رأيتُ بأسًا، فقال لها: أَمَا حَفِظْتِ وصيَّة العبد الصَّالح: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾[٦].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا عبد الرحمن، حدَّثنا سفيان، عن منصور، [عن إبراهيم][٧] عن علقمة، عن عبد الله -هو ابن مسعود- قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمُتَنَمِّصات، والمُتفَلِّجات[٨] للحُسْنِ، المغيِّرات خلق الله ﷻ، قال: فبلغ امرأة في البيت يقال لها: «أم يعقوب»،

---

(١) في (ز): (معبد)، والمثبت هو الصواب.

(٢) الوَشْمُ: أن يُغْرَزَ الجِلْدُ بإبْرةٍ، ثم يُحْشَىٰ بكُحْلٍ أو نِيلٍ فيَزرَقّ أثَرُه أو يَخْضَرُّ، والمُسْتَوْشِمة والمُوتَشِمة: التي يُفْعَل بها ذلك. «النهاية»: (٥/ ١٨٩). والواصلة: التيِ تَصِلُ شَعْرَها بشَعْرٍ آخرَ زُورٍ، والمُسْتَوصِلة: التي تأمُرُ مَن يَفْعَلُ بها ذلك. «النهاية»: (٥/ ١٩٢).

(٣) ليست في (ز)، وهي مثبتة في «تفسير ابن أبي حاتم». (٤) لوحة (٦٧ أ).

(٥) النامصة: التي تنتف الشعر من وجهها.

(٦) رواه ابن أبي حاتم (٥٣/ ١٨٨)، وفي إسناده الحسن العَوْفي: ضعيف، لكن الحديث ثابت صحيح، وسيأتي بأسانيد صحيحة انظر ما بعده.

(٧) سقط من (ز)، وهي مثبتة في «البخاري ومسلم والمسند».

(٨) المُتفلجات: المراد مفلجات الأسنان؛ بأن تبرُدَ ما بين أسنانها الثنايا والرَّبَاعِيات، وهو من الفَلَج، وهي فرجة بين الثنايا والرباعيات، وتفعل ذلك العجوز ومن قاربتها في السن؛ إظهارًا للصغر وحسن الأسنان؛ لأن هذه الفرجة اللطيفة بين الأسنان تكون للبنات الصغار، فاذا عجزت المرأة كبرت سنها وتوحشت فتبردها بالمبرد لتصير لطيفة حسنة المنظر وتوهم كونها صغيرة، ويقال له أيضا: الوَشْر، ومنه: لعن الواشرة والمستوشرة، وهذا الفعل حرام علىٰ الفاعلة والمفعول بها لهذه الأحاديث؛ ولأنه تغيير لخلق الله تعالىٰ ولأنه تزوير ولأنه تدليس. «شرح مسلم» للنووي: (١٤/ ١٠٦).

فجاءت إليه فقالت: بلغني أنَّك قلت كيتَ وكيتَ، قال: ما لي لا ألعن مَن لعن رسولُ الله ﷺ وفي كتاب الله. فقالت: إنِّي لأقرأُ ما بين لَوْحَيْهِ فما وجدته، فقال: إن كنت قرأتيه فقد وجدتيه. أما قرأت: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾؟ قالت: بلىٰ. قال: فإنَّ النَّبيَّ ﷺ نهىٰ عنه. قالت: إني لأَظُنُّ أهلَك يفعلونه. قال: اذهبي فانظري. فذهَبت فلم تَرَ مِن حاجتها شيئًا، فجاءت فقالت: ما رأيتُ شيئًا. قال: لو كانت كذلك لم تُجَامِعْنَا[(١)][(٢)].

أخرجاه في «الصَّحيحين»، من حديث سفيان الثوري[(٣)].

وقد ثبت في «الصحيحين» أيضًا عن أبي هُرَيرة؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَائْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ»[(٤)].

وقال النَّسائي: أخبرنا أحمد بن سعيد، حدَّثنا يزيد، حدَّثنا منصور بن حيان، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عُمَرَ وابن عبَّاس: أنَّهما شَهِدَا علىٰ رسول الله ﷺ: أنَّه نَهَىٰ عن الدُّبَّاء والحَنْتَم والنَّقير والمزَفَّتِ، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[(٥)].

وقوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ أي: اتَّقوه في امتثال أوامره وترك زواجره؛ فإنَّه شديد العِقَاب لمن عَصَاهُ وخالف أَمْرَهُ وأَبَاهُ، وارتكب ما عنه زجره ونَهَاهُ.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً[(٦)] مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

يقول تعالىٰ مُبيِّنًا حال الفُقَرَاء المستحِقِّين لمال الفَيْءِ أنَّهم ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ أي: خرجوا من دِيَارِهم وخالفوا قَوْمَهُم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ أي: هؤلاء الذين صَدَقوا قولهم بفعلهم، وهؤُلاءِ هم سادات المُهَاجِرِينَ.

---

(١) لفظ مسلم: (لم نجامعها)، قال النووي: قال جماهير العلماء: معناه لم نصاحبها، ولم نجتمع نحن وهي، بل كُنا نطلقها ونفارقها. «شرح مسلم».

(٢) صحيح: رواه أحمد (١/ ٤٣٣)، وانظر ما بعده.

(٣) البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥).

(٤) البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

(٥) صحيح: رواه النسائي في «الكبرىٰ» (١١٥٧٨).

(٦) لوحة (٦٧ ب).

ثم قال تعالىٰ مادحًا للأنصار، ومُبيِّنًا فضلهم وشَرَفَهُم وكَرَمَهُم وعدم حَسَدهم، وإيثارهم مع الحاجة، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: سكنوا دار الهجرة من قبل المُهَاجِرين وآمنوا قبل كثيرٍ منهم.

قال عمر: وأُوصِي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أَن يَعْرِفَ لهم حقهم، ويحفظ لهم كرامتهم، وأُوصِيهِ بالأنصار خيرًا الذين تبوَّءوا الدَّار والإيمان من قبل، أن يقبل من محسنهم، وأَن يَعْفُوَ عن مسيئهم. رواه البخاري هاهنا أيضًا(١).

وقوله: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: مِنْ كَرَمهم وشرف أنفسهم، يُحبُّون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا يزيد، حدَّثنا حميد، عن أنس قال: قال المهاجرون: يا رسول الله، ما رأينا مثل قوم قَدِمْنَا عليهم أحسنَ مواساةً في قليل، ولا أحسنَ بذلًا في كثير، لقد كَفَونا المؤنة(٢)، وأشركونا في المهنأ(٣)، حتىٰ لقد خَشِينا أن يذهبوا بالأجر كله! قال: «**لا، مَا أَثْنَيْتُمْ**(٤) **عَلَيْهِمْ وَدَعَوْتُمُ اللهَ لَهُمْ**»(٥).

لم أَرَهُ في الكتب مِن هذا الوجه.

وقال البخاري: حدَّثنا عبد الله بن محمَّد، حدَّثنا سفيان، عن يحيىٰ بن سعيد، سمع أنس بن مالك حين خرج معه إلىٰ الوليد قال: دعا النَّبيُّ ﷺ الأَنْصَارَ أن يُقطع لهم البحرين، قالوا: لا إلا أن تُقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها. قال: «**إِمَّا لا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي، فَإِنَّهُ سَيُصِيبُكُمْ [بَعْدِي]**(٦) **أُثْرَةٌ**»(٧). تفرد به البخاري من هذا الوجه(٨).

قال البخاري: حدَّثنا الحكم بن نافع، أخبرنا شعيب، حدَّثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قالت الأنصار: اقسم بيننا وبين إخواننا النَّخيل. قال: لا. فقالوا: تكفونا المؤنَةَ ونَشْرَكْكُم في الثمرة؟ قالوا: سمعنا وأطعنا(٩). تفرد به دون مسلم.

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ أي: ولا يجدون(١٠) في أنفسهم حسدًا للمهاجرين فيما فَضَّلَهُم اللهُ بِه من المَنْزِلَةِ والشَّرف، والتَّقديم في الذِّكر والرُّتبة.

---

(١) رواه البخاري (٣٧٠٠).
(٢) أي: تحملوا عنا مؤنة الخدمة في عمارة الدُّور والنخيل وغيرهما.
(٣) المهنأ: ما يأتيك بلا تعب، والمعنىٰ: أشركونا في ثمار نخيلهم.
(٤) أي: ما دمتم تدعون لهم بخير، فإن دعاءكم يقوم بحسناتهم إليكم.
(٥) صحيح: رواه أحمد (٣/ ٢٠٠).
(٦) ليست في (ز)، وهي مثبتة في «صحيح البخاري».
(٧) الأُثْرَةُ: الاسمُ من آثَر يُؤثِرُ إيثارًا، إذا أعْطىٰ، أراد: أنَّه يُستأثر عليكم فيُفضَّل غيرُكم في نَصيبه مِنَ الفَيْءِ، والاسْتِئْثَار: الانْفِرَادُ بالشيء. «النهاية».
(٨) البخاري (٣٧٩٤).
(٩) البخاري (٢٣٢٥).
(١٠) لوحة (٦٨ أ).

قال الحسن البصري: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ يعني: الحسد.

﴿مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ قال قتادة: يعني فيما أعطى إخوانهم، وكذا قال ابن زيد، ومما يستدل به على هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد حيث قال: حدَّثنا عبد الرزاق، حدَّثنا مَعْمَرٌ، عن الزهري، عن أنس قال: كنا جُلوسًا مع رسول الله ﷺ فقال: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ». فطلع رجلٌ من الأنصار تَنْطِفُ[١] لحيتُهُ مِن وضوئه، قد تعَلَّق نعليه بيده الشِّمال، فلمَّا كان الغدُ. قال رسول الله ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل[٢] المرَّة الأولى. فلمَّا كان اليوم الثَّالث. قال رسول الله ﷺ مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرجل على مثل حالته الأولى فلما قام رسول الله ﷺ تَبِعَه عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال: إني لاحيت[٣] أبي فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رَأَيت أن تُؤْوِيَنِي[٤] إليك حتى تَمْضِي [فعلتَ][٥]، قال: نعم. قال أنس: فكان عبد الله يحدِّث أنَّه بات معه تلك الثَّلاث اللَّيالي فلم يَرَهُ يقوم من اللَّيل شيئًا، غير أنَّه إذا تَعارَّ[٦] تقلَّب على فراشه، ذكر الله وكَبَّر، حتى يقوم لصلاةِ الفجر، قال عبد الله: غيرَ أنِّي لم أسمعه يقول إلا خيرًا، فلما مضت الثلاث ليالٍ وَكِدْتُ أن أحتقر عمله، قلت: يا عبد الله، لم يكن بيني وبين أبي غَضَبٌ ولا هَجْرٌ[٧]، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مِرَارٍ[٨]: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ». فطلعت أنت الثَّلاث مِرَارٍ[٩][١٠] فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملكَ فأقتدي به، فلَمْ أَرَكَ تعمل كثيرَ عَمَلٍ، فما الذي بلغ بك ما قال رسولُ الله ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت. فلما وَلَّيْتُ دَعَانِي فقال: ما هُوَ إلا ما رَأَيْتَ، غير أنِّي لا أجدُ في نفسي لأحدٍ مِن المسلمين غِشًّا، ولا أحسدُ أحدًا على خيرٍ أعطاه الله إيَّاه، قال عبد الله: هذه التي بَلَغَتْ بِكَ، وهي التي لا تطاق[١١].

ورواه النسائي في «اليوم والليلة»[١٢]، عن سُوَيد بن نصر، عن ابن المبارك، عن معمر به وهذا إسنادٌ صحيحٌ على شرط «الصحيحين»، لكن رواه عقيل وغيره عن الزهري، عن رجلٍ، عن أنسٍ[١٣]. فالله أعلم.

---

(١) تنطف: تقطر.
(٢) في (ز): (قبل)، والمثبت كما في «المسند».
(٣) لاحَيْتُه مُلاَحاةً ولِحَاء: إذا نَازَعْتَه. «النهاية».
(٤) في (ز): (توريني).
(٥) بياض في (ز)، وهي مثبتة في «المسند».
(٦) تعار: استيقظ.
(٧) في (ز): (ولا هجرة)، والمثبت كما في «المسند».
(٨) في (ز): (مرات).
(٩) في (ز): (الثلاث المرات)، والمثبت كما في «المسند».
(١٠) مرار: جمع مرة.
(١١) صحيح: رواه أحمد (٣/ ١٦٦).
(١٢) النسائي في «اليوم والليلة» (٣/ ١٦٦).
(١٣) قال أبو الحجاج المِزي رحمه الله: قال حمزة بن محمد الكِنانيُّ الحافظ: لم يسمعه الزهريُّ من أنس؛ رواه عن رجل، عن أنس؛ كذلك رواه عقيل وإسحاق بن راشد وغير واحد، عن الزهريِّ؛ وهو الصواب. وقال ابن حجر: وقد ظهر أنه معلولٌ. «تحفة الأشراف» -مع (النكت الظِراف)-: (١/ ٣٩٥). وفي متنه نكَارةٌ أيضًا.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ [(١)] حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ يعني ﴿مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ المهاجرون. قال: وتكلم في أموال بني النضير بعض من تكلم من الأنصار، فعاتبهم الله في ذلك، فقال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال: وقال رسول الله: «إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ تَرَكُوا الأَمْوَالَ وَالأَوْلَادَ وَخَرَجُوا إِلَيْكُمْ». فقالوا: أموالنا بيننا قطائع، فقال رسول الله ﷺ: «أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ؟». قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «هُمْ قَوْمٌ لا يَعْرِفُونَ العَمَلَ، فَتَكْفُونَهُمْ وَتُقَاسِمُونَهُمُ الثَّمَرَ». فقالوا: نعم يا رسول الله[(٢)].

وقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ يعني: حاجة؛ أي: يقدِّمون المحاويج علىٰ حاجةِ أنفسهم، ويبدءون بالنَّاس قبلهم في حال احتياجهم إلىٰ ذلك.

وقد ثبت في «الصحيح» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جَهْدُ المُقِلِّ»[(٣)]. وهذا المقام أعلىٰ من حال الذين وَصَف اللهُ بقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان: ٨]. وقوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فإنَّ هؤلاء يتصَدَّقون وهم يُحِبُّون ما تصدَّقوا به، وقد لا يكون لهم حاجةٌ إليه ولا ضرورة به، وهؤلاء آثَرُوا علىٰ أنفسهم مع خَصَاصَتِهِم وحاجَتِهِم إلىٰ ما أنفقوه، ومِن هذا المقام تصدق الصِّدِّيق ﷺ بجميع ماله، فقال له رسول الله ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟». فقال: أبقيت لهم الله ورسوله[(٤)].

وهذا الماء الذي عُرِضَ علىٰ عكرمة وأصحابه يَوْمَ اليَرْمُوكِ، فكلٌّ منهم يأمر بِدَفْعِهِ إلىٰ صاحِبِهِ، وهو جَرِيحٌ مثقَلٌ أحوجَ ما يكون إلىٰ الماء، فرَدَّه الآخر إلىٰ الثَّالث، فما وصل إلىٰ الثَّالث حتىٰ ماتوا عن آخرهم ولم يَشْرَبْهُ أحدٌ منهم رضي الله عنهم وأرضاهم[(٥)].

وقال البخاري: حدَّثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثير، حدَّثنا أبو أسامة، حدَّثنا فُضيل بن غَزوان، حدَّثنا أبو حازم الأشجعي، عن أبي هُرَيرة قال: أتىٰ رجلٌ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أصابني الجهدُ، فأرسل إلىٰ نسائه فلم يجد عندهن شيئًا، فقال النَّبيُّ ﷺ: «أَلَا رَجُلٌ يُضَيِّفُ هَذَا اللَّيْلَةَ يَرْحَمُهُ اللهُ». فقام رجلٌ من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلىٰ أهله فقال لامرأته: ضَيفُ رسول الله ﷺ[(٦)] لا تَدَّخريه شيئًا، فقالت: والله ما عندي إلا قوتُ الصِّبْيَة، قال: فإذا أراد الصبيةُ العَشَاءَ فنوِّميهم وتعالَيْ فأطفئِي السِّراج ونَطوِي بطوننا اللَّيلة. ففعلَت، ثمَّ غدا الرَّجُل علىٰ رسول الله ﷺ، فقال: «لَقَدْ عَجِبَ اللهُ ﷻ -أَوْ: ضَحِكَ- مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ». وأنزل الله ﷻ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[(٧)].

---

(١) لوحة (٦٨ ب). (٢) رواه الطبري (٢٨/ ٤١- ٤٢).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (١٤٤٩)، وأحمد (٣/ ٤١١).

(٤) حسن: رواه أبو داود (١٦٨٠)، والترمذي (٣٦٧٥)، والحاكم (١/ ٤١٣) وصححه.

(٥) هذه القصة واهية لا أعلم لها سندًا متصلًا. (٦) لوحة (٦٩ أ).

(٧) البخاري (٣٧٩٨، ٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤).

وكذا رواه البخاري في موضع آخر، ومسلم والترمذي والنسائي من طرق، عن فضيل بن غزوان، به نحوه. وفي رواية لمسلم تسمية هذا الأنصاري بأبي طلحة ﷺ[١].

وقوله: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي: من سَلِم من الشح فقد أفلح وأنجح.

قال أحمد: حدَّثنا عبد الرزاق، أخبرنا داود بن قيس الفراء، عن[٢] عُبَيد الله بن مِقْسَم، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «**إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَىٰ أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**».

انفرد بإخراجه مسلم، فرواه عن القَعْنَبِيّ، عن داود بن قيس به[٣].

وقال الأعمش وشعبة، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحارث، عن زهير بن الأقمر، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الفُحْشَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ، وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ؛ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَمَرَهُمْ بِالظُّلْمِ فَظَلَمُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالفُجُورِ فَفَجَرُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا**»[٤].

ورواه أحمد وأبو داود من طريق شعبة، والنسائي من طريق الأعمش، كلاهما عن عمرو بن مُرَّة به[٥].

وقال الليث، عن يزيد بن الهادِ عن سُهَيل بن أبي صالح، عن صفوان بن أبي يزيد، عن القعقاع بن اللَّجْلاج[٦] عن أبي هريرة، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي جَوْفِ عَبْدٍ أَبَدًا، وَلَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا**»[٧].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا عبدة بن سليمان، أخبرنا ابن المبارك، حدَّثنا المسعودي، عن جامع بن شداد، عن الأسود بن هلال قال: جاء رجلٌ إلىٰ عبد الله فقال: يا أبا عبد الرحمن، إنِّي أخاف أن أكون قد هلكت فقال له عبد الله: وما ذاك؟ قال: سمعت الله يقول[٨]: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ وأنا رجلٌ شحيحٌ، لا أكاد أن أخرج من يديَّ شيئًا! فقال عبد الله: ليس ذلك بالشُّحِّ الذي ذكَر الله في القرآن، إنَّما الشُّحُّ الَّذِي ذكر الله في القرآن أَن تأكل مَالَ أخيك ظلمًا، ولكن ذلك البخل، وبئس الشَّيءُ البخل[٩].

---

(١) البخاري (٣٧٩٨)، ومسلم (٢٠٥٤)، والترمذي (٣٣٠١)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٨٥٢)، وقال الترمذي: حسن صحيح.
(٢) في (ز): (قيس الفراء وعبيد الله)، وفي «المسند»: (عن عبد الله)، والصواب ما أثبتناه، وصوبه الأرنؤوط في ط. «الرسالة».
(٣) رواه مسلم (٢٥٧٨)، وأحمد (٣/ ٣٢٣).
(٤) صحيح: رواه أبو داود (١٦٩٨)، وأحمد (٢/ ١٥٩)، ويشهد له حديث جابر السابق.
(٥) انظر ما قبله.
(٦) في (ز): (الجلاح)، والمثبت من «المسند»، وهو الصواب.
(٧) حسن: رواه النسائي (٦/ ١٣، ١٤)، وأحمد (٢/ ٣٤٠) من طرق عن أبي هريرة.
(٨) لوحة (٦٩ ب).
(٩) ابن أبي حاتم (١٨٨٥٥)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٩٦) إليه وإلىٰ: (الفِرْيابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب»).

وقال سفيان الثوري، عن طارق بن عبد الرحمن، عن سعيد بن جبير، عن أبي الهَيَّاج الأسدي قال: كنت أطوف بالبيت، فرأيت رجلًا يقول: اللَّهمَّ قِني شُحَّ نفسِي. لا يزيد علىٰ ذلك، فقلت له، فقال: إنِّي إذا وُقِيتُ شحَّ نفسي لم أَسْرِقْ ولم أَزْنِ ولم أفعل، وإذا الرَّجل عبد الرَّحمن بن عوف رضي الله عنه. رواه ابن جرير[١].

وقال ابن جرير: حدثني محمَّد بن إسحاق، حدَّثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، حدَّثنا إسماعيل بن عيَّاش، حدَّثنا مُجَمِّع بن جارية[٢] الأنصاري، عن عمِّه يزيد بن جارية[٣]، عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: «بَرِيء مِنَ الشُّحِّ مَنْ أَدَّىٰ الزَّكَاةَ، وَقَرَىٰ الضَّيْفَ، وَأَعْطَىٰ فِي النَّائِبَةِ»[٤].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ هؤلاء هم القسم الثَّالث ممَّن يستحقُّ فقراؤهم من مالِ الفيءِ، وهم المهاجرون ثمَّ الأنصار، ثم التَّابعون بإحسان، كما قال في آية براءة: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٠] فالتَّابعون لهم بإحسانٍ هم: المُتَّبِعُون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة، الدَّاعون لهم في السِّرِّ والعلانية؛ ولهذا قال في هذه الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ﴾ أي: قائلين: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ أي: بغضًا وحسدًا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ وما أحسنَ ما استنبط الإمام مالك من هذه الآية الكريمة! أنَّ الرَّافضيَّ الذي يسبُّ الصَّحابة ليس له في مالِ الفيءِ نصيبٌ لعدم اتِّصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا موسىٰ بن عبد الرحمن المسروقي، حدَّثنا محمَّد بن بشر، حدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم[٥] بن مهاجر، عن أبيه، عن عائشة أنَّها قالت: أُمِرُوا أن يستغفروا لهم، فسَبُّوهُم! ثم قرأت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ الآية[٦].

= ورجاله ثقات غير ما يخشىٰ من اختلاط المسعودي عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة، فقد اختلط ببغداد، قال أبو الحسن بن القطان: اختلط حتىٰ كان لا يعقل، فضعف حديثه وكان لا يتميز في الأغلب ما رواه قبل اختلاطه مما رواه بعد.

(١) رواه الطبري (٢٨/ ٤٣)، وإسناده حسن.

(٢) في (ز): (حارثة)، وهو خطأ.

(٣) في (ز): (عن عمر بن زيد بن حارثة).

(٤) ضعيف: رواه الطبري (٢٨/ ٤٣)، ورجاله ثقات غير أن إسماعيل بن عياش روايته عن غير أهل بلده ضعيفة وهذا منها فالإسناد ضعيف.

(٥) لوحة (٧٠ أ).

(٦) ابن أبي حاتم (٨٨٥٦)، وفي إسناده إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر: ضعيف لكن يشهد له ما رواه مسلم في «التفسير» (٣٠٢٢).

وقال إسماعيل بن عُلَية، عن عبد الملك بن عمير، عن مسروق، عن عائشة قالت: أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمَّدٍ ﷺ، فسببتموهم، سمعتُ نبيكم ﷺ يقول: «لا تَذْهَبُ هَذِهِ الأُمَّةُ حَتَّىٰ يَلْعَنَ آخِرُهَا أَوَّلَهَا». رواه البغوي[(١)].

وقال أبو داود: حدَّثنا مُسَدَّدٌ، حدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدَّثنا أيوب، عن الزهري قال: قال عمر رضي الله عنه: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ قال الزهري: قال عمر: هذه لرسول الله ﷺ خاصة، قُرىٰ عربية: [فَدَكَ وكذا][(٢)] وكذا، فما[(٣)] أفاء الله علىٰ رسوله من أهل القرىٰ فلله وللرسول ولذي القربي واليتامي والمساكين وابن السبيل وللفقراء الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ فاستوعبت هذه الآية الناس[(٤)]، فلم يبقَ أحدٌ من المسلمين إلا له فيها حقٌّ -قال أيوب: أو قال: حظ- إلا بعض من تملكون من أرِقَّائكم. كذا رواه أبو داود، وفيه انقطاع[(٥)].

وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن عبد الأعلىٰ، حدَّثنا ابن ثور، عن مَعْمَرٍ، عن أيوب، عن عكرمة بن خالد، عن مالك بن أوس بن الحَدَثان قال: قرأ عمر بن الخطاب: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ حتىٰ بلغ ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]، ثم قال هذه لهؤلاء، ثم قرأ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ هذه الآية [الأنفال: ٤١]، ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ﴾ حتىٰ بلغ للفقراء ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ ثم قال: استوعبت هذه الآية المسلمين عامة، وليس أحدٌ إلا له فيها حق، ثم قال: لئن عشت ليأتين الراعي -وهو بسَرو[(٦)] حِمير- نصيبه فيها، لم يعرق فيها جبينه[(٧)].

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١١﴾

---

(١) رواه البغوي (٨/ ٨٠) ط: طيبة، وعبد الملك بن عمير: مدلس وقد عنعن.

(٢) سقط من (ز)، وهي مثبتة في «سنن أبي داود». (٣) في (ز): (مما)، والمثبت من «النسائي».

(٤) أي: فالفئ لهم عموماً لا يُخمَّس، ولكن يكون جملة لمصالح المسلمين، وهذا مذهب الجمهور خلافاً للشافعي فعنده يُخمس.

(٥) **حسن لغيره**: رواه أبو داود (٢٩٦٦)، وفيه انقطاع؛ فالزهري لم يسمع عمر، ويشهد له رواية الطبري الآتية، وصححه الألباني. انظر «الإرواء» (٥/ ٨٣، ٨٤).

(٦) السَّرْو: ما انْحدَر من الجبل وارتفع عن الوادي في الأصل، والسَّرْو أيضا: محلَّة حِمْيَر. «النهاية».

(٧) **صحيح**: رواه الطبري (٢٨/ ٣٧).

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ
(١٢) لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ (١) قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا
يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا
وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ (١٤) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٧)﴾

يخبر تعالىٰ عن المنافقين كعبد الله بن أُبي وأضرابِهِ، حين بعثوا إلىٰ يهود بني النَّضير يَعِدُونهم النَّصر من أنفسهم، فقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ قال الله تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: لكاذبون فيما وعدوهم به إمَّا أنَّهم قالوا لهم قولًا ومِن نِيَّتِهم ألا يَفُوا لهم به، وإمَّا أنَّهم لا يقع منهم الذي قالوه؛ ولهذا قال: ﴿وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ أي: لا يُقَاتِلُون معهم ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ أي: قاتلوا معهم ﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ وهذه بشارةٌ مستقلَّةٌ بنفسها.

ثم قال تعالىٰ: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: يخافون منكم أكثر من خَوْفِهم مِن الله، كقوله: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧]؛ ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾.

ثم قال: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ يعني: أنهم من جُبنهم وهَلَعهم لا يَقدِرُون علىٰ مواجهة جَيْش الإسلام بالمُبَارزَةِ والمقابلة بل إمَّا في حصونٍ أو مِن وراء جُدُرٍ محاصرين، فيُقَاتِلُون للدَّفع عنهم ضرورةً.

ثم قال: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ أي: عداوتهم فيما بينهم شديدةٌ، كما قال: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الانعام: ٦٥]؛ ولهذا قال: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ أي: تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين، وهم مختلفون غاية الاختلاف.

قال إبراهيم النخعي: يعني: أهل الكتاب والمنافقين ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾.

ثم قال: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال مجاهد، والسدي،

(١) لوحة (٧٠ ب) من هنا وقع سقط من مصوَّرَتِنا من المخطوطة قدر ستة لوحات من (٧١: ٧٦)، وقد قمنا بمطابقته علىٰ ط «الشعب»، وعدة طبعات أخرىٰ.

ومقاتل بن حيَّان: [يعني] كمثل ما أصاب كفَّار قريش يوم بَدْرٍ.

وقال ابن عبَّاس: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ يعني: يهود بني قينقاع، وكذا قال قتادة، ومحمَّد بن إسحاق.

وهذا القول أشبه بالصَّواب، فإنَّ يهود بني قينقاع كان رسول الله ﷺ قد أجلاهم قبل هذا.

وقوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ﴾ يعني: مثل هؤلاءِ اليهودِ في اغترارِهم بالَّذين وعدوهم النصر من المنافقين، وقول المنافقين لهم: ﴿وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ﴾ ثم لما حقَّت الحقائق وجَدَّ بهم الحِصَار والقتال، تخلَّوْا عنهم وأسلموهم للهلكة، مثالهم في هذا كمثل الشيطان إذ سَوَّل للإنسان -والعياذ بالله- الكُفْرَ، فإذا دخل فيما سوَّله تبرَّأ منه وتنَصَّلَ، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

وقد ذكر بعضُهُم هاهنا قصَّةً لبعض عُبَّاد بني إسرائيل هي كالمثال لهذا المثل، لا أنَّها المرادة وحدها بالمَثَلِ، بل هي منه مع غيرها من الوقائع المشاكِلَة لها، فقال ابن جرير:

حدَّثنا خلاد بن أسلم، أخبرنا النضر بن شُمَيْل، أخبرنا شعبة، عن أبي إسحاق، سمعت عبد الله بن نَهيك قال: سمعت عليًّا رضي الله عنه يقول: إنَّ راهبًا تعبَّد سِتِّين سنةً، وإنَّ الشَّيطان أراده فأعْياه، فعَمَدَ إلىٰ امرأةٍ فأَجَنَّها ولها إخوة، فقال لإخوَتِها: عليكم بهذا القِسِّ فيداويها، قال: فجاءوا بها إليه فداواها، وكانت عنده، فبينما هو يومًا عندها إذ أعجبته، فأتاها فحملت، فعمد إليها فقتلها، فجاء إخوتها، فقال الشيطان للراهب: أنا صاحِبُك، إنَّك أَعْيَيْتَنِي، أنا صنعت هذا بك فأَطِعْنِي أُنَجِّك مما صنعت بك، فَاسْجُد لي سجدةً، فسجد له، فلمَّا سجد له قال: إني بَرِيءٌ منك، إنِّي أخاف الله رَبَّ العالمين، فذلك قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

وقال ابن جرير: حدثني يحيىٰ بن إبراهيم المسعودي، حدَّثنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن عمارة، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ قال: كانت امرأةٌ ترعىٰ الغنم، وكان لها أربعة أخوة، وكانت تأوي باللَّيل إلىٰ صومعة راهبٍ، قال: فنزل الرَّاهب ففَجَرَ بها، فحمَلَتْ، فأتاه الشَّيطان فقال له: اقْتُلْهَا ثمَّ ادفنها، فإنَّك رجل مُصدَّق يسمع قولك، فقتلها ثم دفنها. قال: فأتىٰ الشيطانُ إخوتها في المنام فقال لهم: إن الرَّاهب صاحب الصَّومعة فَجَرَ بأُخْتِكُم، فلمَّا أحبلها قتلها ثم دفنها في مكانِ كذا وكذا. فلمَّا أصبحوا قال رجلٌ منهم: واللهِ لقد رأيتُ البارحة رؤيا ما أدري أَقُصُّها عليكم أم أترك؟ قالوا: لا بل قُصَّها علينا. قال: فقَصَّها، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت

---

(١) صحيح: رواه الطبري (٢٨/ ٤٩) ومثله لا يقال بالرأي، فهو في حكم المرفوع، وقد رواه عن ابن مسعود (٢٨/ ٤٩) وهو شاهد لرواية عليّ بن أبي طالب.

ذلك، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك. فقالوا: فوَالله ما هذا إلا لشيءٍ. قال: فانطلقوا فاستعدَوْا ملكهم علىٰ ذلك الراهب، فأتوه فأنزلوه ثم انطلقوا به فلَقِيَه الشَّيطان فقال: إنِّي أنا الذي أوقعتك في هذا، ولن يُنَجِّيَكَ منه غيري، فاسجد لي سجدةً واحدةً وأُنَجِّيك مما أوقعتك فيه، قال: فسجد له، فلما أتوا به مَلكهم تَبَرأ منه، وأُخِذَ فقتل[١].

وكذا روي عن ابن عبَّاس، وطاوس، ومقاتل بن حيان، نحو ذلك، واشتهر عند كثيرٍ من الناس أنَّ هذا العابد هو بَرْصِيصَا، والله أعلم. وهذه القصَّة مخالفة لقصة جُرَيج العابد، فإنَّ جريجًا اتَّهمَتْهُ امرأة بَغِيٌّ بنفسها، وادعت أن حَمْلَهَا منه، ورفعت أمره إلىٰ ولي الأمر، فأمر به فأنزل مِن صومعته وخُرِّبت صومعته وهو يقول: ما لكم؟ ما لكم؟ فقالوا: يا عدوَّ الله، فعلت بهذه المرأة كذا وكذا، فقال جريج: اصبروا، ثم أخذ ابنها وهو صغير جدًّا ثم قال: يا غلام، من أبوك؟ قال: أبي الراعي -وكانت قد أمكنته من نفسها فحملت منه- فلما رأىٰ بنو إسرائيل ذلك عظَّموه كلُّهم تعظيمًا بليغًا وقالوا: نعيد صومعتك مِن ذهب، قال: لا بل أعيدوها من طينٍ، كما كانت[٢].

وقوله: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا﴾ أي: فكانت عاقبة الآمر بالكُفرِ والفاعل له، ومصيرهما[٣] إلىٰ نار جهنَّم خالدين فيها، ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: جزاء كل ظالم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾

قال الإمامُ أحمد: حدَّثنا محمَّد بن جعفر، حدَّثنا شعبة، عن عون بن أبي جُحَيْفَةَ، عن المنذر بن جرير، عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدرِ النَّهار، قال: فجاءه قوم حُفَاةٌ عُراةٌ مُجْتابي النِّمار - أو: العَبَاء- مُتَقَلِّدي السيوف عامتهم من مُضَرَ، بل كُلُّهُم مِن مُضَرَ، فتغيَّر وجه رسول الله ﷺ لِمَا رأىٰ بهم من الفاقة، قال: فدخل ثمَّ خرج، فأمر بلالًا فأذن وأقام الصلاة، فصلىٰ ثم خطب، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلىٰ آخر الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. وقرأ الآية التي في الحشر: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾، «تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ -حتَّىٰ قال: وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ». قال: فجاء رجلٌ من الأنصار بصُرَّةٍ كادت كفُّه تعجزُ

---

(١) رواه الطبري (٢٨/ ٤٩).

(٢) البخاري (٣٤٣٦).

(٣) في بعض النسخ: (وتصيرهما).

عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع النَّاس حتىٰ رأيت كومين من طعامٍ وثيابٍ، حتىٰ رأيت رسول الله ﷺ يتهلل وجهه كأنه مُذْهَبَة[(١)]، فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»[(٢)].

انفرد بإخراجه مسلم من حديث شعبة بإسناد مثله[(٣)].

فقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أمر بتقواه، وهي تشمل فعل ما به أمر، وترك ما عنه زجر.

وقوله: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ أي: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادَّخرتم لأنفسكم من الأعمال الصَّالحة ليوم مَعَادِكُم وعرضكم علىٰ ربكم ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ تأكيدٌ ثانٍ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: اعلموا أنَّه عالمٌ بجميع أعمالكم وأحوالكم لا تَخفَىٰ عليه منكم خَافِيَةٌ، ولا يغيب عنه من أموركم جَليلٌ ولا حَقِيرٌ.

وقال ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: لا تَنْسَوا ذكر الله فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم[(٤)] التي تَنفَعُكُم في معادكم، فإنَّ الجزاء مِن جِنْسِ العمل؛ ولهذا قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أي: الخارجون عن طاعة الله، الهَالِكُونَ يوم القيامة، الخاسرون يوم معادهم، كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩].

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدَّثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحَوْطي، حدَّثنا [أبو][(٥)] المغيرة، حدَّثنا حَريز بن عثمان، عن نعيم بن نَمحة قال: كان في خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أما تعلمون أنَّكم تَغدُون وتَرُوحون لأجلٍ معلومٍ؟ فمَنِ استطاع أن يَقْضِيَ الأجل وهو في عمل الله ﷻ فليفعل، ولن تنالوا ذلك إلا بالله، ﷻ. إنَّ قومًا جعلوا آجالهم لِغَيْرِهِم، فنهاكم الله أن تكونوا أمثالهم: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ أين مَن تعرفون مِن إخوانكم؟ قَدِمُوا علىٰ ما قدَّمُوا في أيَّام سلفهم، وحلُّوا بالشِّقْوَة والسَّعادة، أين الجبَّارون الأوَّلون الَّذين بَنَوْا المَدائِنَ وحَفَّفُوها[(٦)] بالحوائط؟

---

(١) مُذْهَبَة: فيها وجهان، أحدهما: فضة مُذهبة، فهو أبلغ في حسن الوجه وإشراقه، والثاني: شَبَّهه في حُسْنه ونوره بالمذهبة من الجلود، وجمعها مذاهب، وهي: شيء كانت العرب تصنعه من جلود وتجعل فيها خطوطًا مُذهبةً يرىٰ بعضها أثر بعض، وأما سبب سروره ﷺ ففرحًا بمبادرة المسلمين إلىٰ طاعة الله تعالىٰ وبذل أموالهم لله وامتثال أمر رسول الله ﷺ، ولدفع حاجة هؤلاء المحتاجين، وشفقة المسلمين بعضهم علىٰ بعض، وتعاونهم علىٰ البر والتقوىٰ، وينبغي للإنسان إذا رأىٰ شيئًا من هذا القَبيل أن يفرح ويظهر سروره ويكون فرحه لما ذكرناه. «شرح مسلم» للنووي.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٤/ ٣٥٨)، وانظر ما بعده.

(٣) رواه مسلم (١٠١٧).

(٤) في (ز): (العمل الصالح أنفسكم الذي).

(٥) ليست في (ز)، والصواب إثباتها.

(٦) كذا في «الكبير» والذي في طبعات ابن كثير: (حصنوها) والذي في «الكبير» أولىٰ إذ هو المطابق للواقع لأنهم كانوا يَحُفُّون المدن بالحوائط وفي البساتين.

قد صاروا تحت الصَّخر والآبار، هذا كتاب الله لا تَفْنَىٰ عجائِبُهُ فاستضيئوا منه ليوم ظلمة، [واستنصحوا كتابه وتبيانه][(١)] إنَّ الله أثنىٰ علىٰ زَكَرِيَّا وأهلِ بيتِهِ فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، لا خير في قولٍ لا يراد به وجه الله، ولا خيرَ في مالٍ لا ينفق في سبيل الله، ولا خيرَ فيمن يغلب جهلُهُ حلمَهُ، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم[(٢)].

هذا إسنادٌ جيِّدٌ، ورجاله كلهم ثقات، وشيخ حَريز بن عثمان، وهو نعيم بن نمحة، لا أعرفه بنفي ولا إثبات، غير أن أبا داود السِّجِسْتاني قد حكم بأن شيوخ حَريز كلَّهم ثقات، وقد روي لهذه الخطبة شواهد من وجوه أُخَرَ، والله أعلم.

وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي: لا يستوي هؤلاء وهؤلاء في حكم الله يوم القيامة، كما قال: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]، وقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ﴾ الآية [غافر: ٥٨]. قال: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]؟ في آياتٍ أُخَر دالَّاتٍ علىٰ أن الله سبحانه يُكْرِم الأبرار، ويُهين الفجَّار؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ أي: النَّاجون المسلمون من عذاب الله ﷻ.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

يقول تعالىٰ مُعَظِّمًا لأمر القرآن، ومُبَيِّنًا علوَّ قدره، وأنَّه ينبغي وأن تَخْشَعَ له القلوب، وتتصدع عند سماعه لما فيه مِنَ الوَعْدِ الحق والوعيد الأكيد: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ أي: فإذا كان الجبل في غِلْظَتِه وقَساوَتِهِ، لو فهم هذا القرآن فتدبَّر ما فيه، لخشع وتصدَّع مِن خوف الله ﷻ فكيف يَليقُ بكم أيُّها البشر أَلَّا تَلينَ قلوبكم وتخشع، وتتصدَّعَ مِن خشية الله، وقد فَهِمْتُم عن الله أمره وتَدَبَّرْتُم كتابه؟! ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

---

(١) زيادة من «الدر المنثور»، ومكانه في (ز) غير واضح، وفي «الكبير»: (واتضحوا بسانه وبيانه).
(٢) الحاكم (٢/ ٤١٥)، الطبراني في «الكبير» (١/ ٦٠).

قال العَوْفي: عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا﴾ إلىٰ آخرها، يقول: لَو أَنِّي أنزلت هذا القرآن علىٰ جبلٍ حَمَّلته إيَّاه، لتَصدَّع وخشع مِن ثقله، ومن خشية الله، فأمر اللهُ النَّاس إذا نزل عليهم القرآنُ أن يأخذوه بالخشية الشَّديدة والتَّخشُّع، ثم قال: كذلك يَضْرِب الله الأمثال للنَّاس لعلهم يتفكَّرون، وكذا قال قتادة، وابن جرير.

وقد ثبت في الحديث المتواتر(١): أن رسول الله ﷺ لما عُمِلَ له المنبر، وقَد كان يوم الخطبة يقف إلىٰ جانب جِذْعٍ من جذوع المسجد، فلما وُضِع المنبر أول ما وضع، وجاء النَّبيُّ ﷺ ليخطب فجاوز الجِذْع إلىٰ نحو المنبر، فعند ذلك حَنَّ الجذع وجعل يَئِنُّ كما يَئِنُّ الصَّبِيُّ الَّذِي يُسَكَّنُ، لما كان يُسمَع من الذِّكر والوحي عنده، ففي بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصري بعد إيراده: «فأنتُم أحقُّ أن تَشْتَاقُوا إلىٰ رسول الله ﷺ مِن الجِذْع». وهكذا هذه الآية الكريمة، إذا كانت الجبال الصُّمُّ لو سمعت كلام الله وفَهِمَتْهُ، لخشعت وتصدَّعت من خشيته فكيف بكم وقَد سَمِعْتُم وفهمتم؟! وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الآية [الرعد: ٣١]. وقد تقدَّم أنَّ معنىٰ ذلك: أي: لكان هذا القرآن، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤].

ثم قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أخبر تعالىٰ أنَّه الذي لا إله إلا هو فلا رب غيره، ولا إله للوجود سواه، وكل ما يعبد من دونه فباطلٌ، وأنَّه عالم الغيب والشهادة؛ أي: يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنَّا فلا يخفىٰ عليه شيءٌ في الأرض، ولا في السَّماء من جليلٍ وحقيرٍ وصغيرٍ وكبيرٍ، حتىٰ الذَّر(٢) في الظلمات.

وقوله: ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ قد تقدَّم الكلام علىٰ ذلك في أوَّل التَّفسير، بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا. والمراد أنَّه ذو الرَّحمة الواسعة الشَّاملة لجميع المخلوقات، فهو رحمن الدُّنيا والآخرة ورحيمهما، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

وقوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾ أي: المالك لجميع الأشياء المُتَصرِّفُ فيها بلا ممانعةٍ ولا مدافعةٍ. وقوله: ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ قال وهب بن منبِّه: أي: الطاهر. وقال مجاهد، وقتادة: أي: المبارك. وقال ابن جريج: تقدسه الملائكة الكرام. ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ أي: من جميع العُيُوبِ والنَّقائص؛ بكماله في ذاته وصفاته وأفعاله.

---

(١) البخاري (٣٥٨٣).
(٢) الذَّرُّ: النمل الصغير، واحدتها ذرة.

وقوله: ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ قال الضَّحَّاكُ، عن ابن عبَّاس: أي: أَمَّنَ [خلقه من][1] أن يَظْلِمَهُم. وقال قتادة: أمَّن بقوله: إنَّه حقٌّ. وقال ابن زيد: صَدَّق عبادَه المؤمنين في إيمانهم به.

وقوله: ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ قال ابن عبَّاسٍ وغير واحدٍ: أي: الشَّاهد علىٰ خلقه بأعمالهم، بمعنىٰ: هو رقيب عليهم، كقوله: ﴿كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩]، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٤٦]، وقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ الآية [الرعد:٣٣].

وقوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: الَّذي قد عزَّ كل شيءٍ فقهرَهُ، وغلب الأشياء فلا يُنَال جَنَابُهُ؛ لعزَّته وعظمته وجبروته وكبريائه؛ ولهذا قال: ﴿ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ أي: الَّذي لا تَلِيقُ الجَبْرِيَّة إلا له، ولا التَّكبُّر إلا لعظمته، كما تقدم في «الصَّحيح»: «**العَظَمَةُ إِزَارِي، وَالكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ**»[2].

وقال قتادة: الجبار: الذي جَبَرَ خلقه علىٰ ما يشاء.

وقال ابن جرير: الجبار: المصلحُ أمورَ خلقه، المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم.

وقال قتادة: المتكبر: يعني عن كلِّ سوء.

ثم قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وقوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ الخلق: التَّقدير، والبَراء: هو الفَرْيُ، وهو التَّنفيذ وإبراز ما قَدَّره وقَرَّره إلىٰ الوجود، وليس كلُّ مَن قدر شيئًا ورَتَّبه يَقْدِر علىٰ تنفيذه وإيجاده سوىٰ الله ﷻ. قال الشاعر يمدح آخر

وَلأَنْـــتَ تَفْـــرِي مَـــا خَلَقْـــتَ وَبَعْـــ ـــضُ القَـــوْمِ يَخلُـــقُ ثُـــمَّ لا يَفْـــرِي

أي: أنت تنفذ ما خلقت؛ أي: قدرت، بخلاف غيرك فإنه لا يستطيع ما يريد، فالخلق: التقدير، والفري: التَّنفيذ، ومنه يقال: قَدَّر الجلَّاد ثم فَرَىٰ؛ أي: قطع علىٰ ما قدره بحسب ما يريده.

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ أي: الذي إذا أراد شيئًا قال له: كن، فيكون علىٰ الصفة التي يريد، والصورة التي يختار، كقوله: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الإنفطار: ٨] ولهذا قال: ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ أي: الذي ينفذ ما يريد إيجاده علىٰ الصفة التي يريدها.

وقوله: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ قد تقدم الكلام علىٰ ذلك في «سورة الأعراف»، وذكر الحديث المروي في «الصحيحين» عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: «**إِنَّ للهِ تَعَالَىٰ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ**»[3]. وتقدم سياق الترمذي

---

(١) ليست في (ز). (٢) مسلم (٢٦٢٠).

(٣) البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧)، والترمذي (٣٥٠٦).

وابن ماجه له، عن أبي هريرة أيضًا، وزاد بعد قوله: «وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ» -واللفظ للترمذي-: «هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، المَلِكُ، القُدُّوسُ، السَّلَامُ، المُؤْمِنُ، المُهَيْمِنُ، العَزِيزُ، الجَبَّارُ، المُتَكَبِّرُ، الخَالِقُ، البَارِئُ، المُصَوِّرُ، الغَفَّارُ، القَهَّارُ، الوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الفَتَّاحُ، العَلِيمُ، القَابِضُ، البَاسِطُ، الخَافِضُ، الرَّافِعُ، المُعِزُّ، المُذِلُّ، السَّمِيعُ، البَصِيرُ، الحَكَمُ، العَدْلُ، اللَّطِيفُ، الخَبِيرُ، الحَلِيمُ، العَظِيمُ، الغَفُورُ، الشَّكُورُ، العَلِيُّ، الكَبِيرُ، الحَفِيظُ، المُقِيتُ، الحَسِيبُ، الجَلِيلُ، الكَرِيمُ، الرَّقِيبُ، المُجِيبُ، الوَاسِعُ، الحَكِيمُ، الوَدُودُ، المَجِيدُ، البَاعِثُ، الشَّهِيدُ، الحَقُّ، الوَكِيلُ، القَوِيُّ، المَتِينُ، الوَلِيُّ، الحَمِيدُ، المُحْصِي، المُبْدِئُ، المُعِيدُ، المُحْيِي، المُمِيتُ، الحَيُّ، القَيُّومُ، الوَاجِدُ، المَاجِدُ، الوَاحِدُ، الصَّمَدُ، القَادِرُ، المُقْتَدِرُ، المُقَدِّمُ، المُؤَخِّرُ، الأَوَّلُ، الآخِرُ، الظَّاهِرُ، البَاطِنُ، الوَالِيُّ، المُتَعَالِي، البَرُّ، التَّوَّابُ، المُنْتَقِمُ، العَفُوُّ، الرَّءُوفُ، مَالِكُ المُلْكِ، ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ، المُقْسِطُ، الجَامِعُ، الغَنِيُّ، المُغْنِي، [المَانِعُ][1]، الضَّارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ، الهَادِي، البَدِيعُ، البَاقِي، الوَارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ». وسياق ابن ماجه بزيادةٍ ونقصانٍ، وتقديمٍ وتأخيرٍ، وقد قدَّمنا ذلك مبسوطًا مطوَّلًا بطرقه وألفاظه بما أَغْنَىٰ عن إعادته هنا[2].

وقوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ كقوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: فلا يُرامُ جَنابُهُ ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في شَرْعِهِ وقَدَرِهِ.

وقد قال الإمام أحمد: حدَّثنا أبو أحمد الزبيري، حدَّثنا خالد -يعني: ابن طهْمَان، أبو العلاء الخفَّاف- حدَّثنا نافع ابن أبي نافع، عن مَعقِلِ بن يسار، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثُمَّ قَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الحَشْرِ، وَكَّلَ اللهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يُمْسِي، وَإِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ مَاتَ شَهِيدًا، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي كَانَ بِتِلْكَ المَنْزِلَةِ»[3].

ورواه الترمذي عن محمود بن غَيْلان، عن أبي أحمد الزبيري به، وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

آخر تفسير سورة الحشر.

---

(١) سقط من (ز).

(٢) هذا السياق ضعيف، وقد تقدم تحقيق ذلك انظر الآية (١) من سورة الفاتحة.

(٣) رواه أحمد (٥/ ٢٦)، والترمذي (٢٩٢٣)، وفيه خالد بن طهمان: صدوق لكنه اختلط.

سُورَةُ المُمْتَحَنَةِ

تفسير سورة الممتحنة وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ
ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ
تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن
يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ
أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾

كان سبب نُزول صدر هذه [السُّورة](١) الكريمة قصة حاطب بن أَبي بَلْتَعة، وذلك أنَّ حاطبًا هذا كان رجلًا من المهاجرين، وكان من أهل بدرٍ أيضًا، وكان له بمكَّة أولادٌ ومالٌ، ولم يكن مِن قريشٍ أنفسهم، بل كان حليفًا لعثمان، فلما عَزَم رسول الله ﷺ علىٰ فتح مكَّة لما نقض أهلها العهد، فأمر النَّبيُّ ﷺ المسلمين بالتجهيز لغزوهم، وقال: «اللَّهُمَّ، عَمِّ عَلَيْهِمْ خَبَرَنَا». فعَمَدَ حاطب هذا فكتب كتابًا، وبعثه مع امرأةٍ مِن قريشٍ إلىٰ أهل مكَّة، يعلمهم بما عزم عليه رسول الله ﷺ [مِن غزوهم](٢)، ليتَّخِذَ بذلك عندهم يدًا، فأطلع الله رسوله علىٰ ذلك استجابةً لدُعائِه، فبعث في أثر المرأة فأخذ الكتاب منها(٣)، وهذا بَيِّنٌ في هذا الحديث المتَّفقِ علىٰ صِحَّتِهِ.

قال الإمامُ أحمد:

حدَّثنا سفيان، عن عَمْرو، أخبرني حَسَنُ بن محمَّد بن علي، أخبرني عُبَيد الله بن أبي رافع -وقال مرة: إنَّ عبيد الله بن أبي رافع أخبره: أنه سَمِع عليًّا ﵁، يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد، فقال: «انْطَلِقُوا حَتَّىٰ تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ(٤)، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوهُ مِنْهَا». فانطلقنا تَعَادَىٰ(٥) بنا خيلنا حتىٰ أتينا الرَّوضة، فإذا نحن بالظَّعينة، قلنا: أخرجي الكتاب. قالت: ما معي كتاب،

---

(١) في (ز): (هذه الآية).   (٢) ليست في (ز).

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٤٣٥/ ١٠٥٢)، وفي «الصغير» (٢/ ٧٣)، وفيه يحيىٰ بن سليمان بن فضلة وهو ضعيف.

(٤) روضة خاخ: موضع علىٰ اثني عشر ميلًا من المدينة، والظَّعينة: المرأة.

(٥) أي: تتسابق.

قلنا: لَتُخْرِجِنَّ الكتاب أو لنُلقِيَنَّ الثِّياب. قال: فأخرجت الكتاب من عِقَاصِها[١]، فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: مِن حاطب بن أبي بلتعة إلىٰ ناسٍ من المشركين بمكَّة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟». قال: لا تعجل عليَّ، إني كنت امرأً مُلصَقًا في قريشٍ، ولم أكن من أَنْفُسِهِم، وكان مَن معك من المهاجرين لهم قَرَابَاتٌ يحمون أهليهم بمكَّة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النَّسب فيهم أن أَتَّخِذَ فيهم يدًا يحمون بها قرابتي، وما فَعَلْتُ ذلك كفرًا ولا ارتدادًا عن دِينِي ولا رِضًا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ صَدَقَكُمْ». فقال عمر: دعني أضربْ عنق هذا المنافق، فقال: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ إِلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[٢].

وهكذا أخرجه الجماعة إلا ابنَ ماجه، من غير وجهٍ، عن سفيان بن عُيَينة، به، وزاد البخاري في كتاب المغازي: فأنزل الله السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾[٣]. وقال في كتاب التفسير: قال عمرو: ونزلت فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ قال[٤]: لا أدري الآية في الحديث أو قول[٥] عمرو. قال البخاري: قال علي -يعني: ابن المديني-: قيل لسفيان في هذا: نزلت ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾؟ فقال سفيان: هذا في حديث الناس، حفظته من عمرو، ما تركت منه حرفًا، وما أرىٰ أحدًا حفظه غيري[٦].

وقد أخرجاه في «الصحيحين» من حديث حُصَينِ بن عبد الرحمن، عن سعد بن عُبَيدَةَ، عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي، عن عليٍّ قال: بعثني رسول الله ﷺ وأبا مَرْثَدٍ، والزبير بن العوام، وكلنا فارس، وقال: انطلقوا حتىٰ تأتوا روضةَ خاخٍ، فإن بها امرأةً من المشركين معها كتاب من حاطب إلىٰ المشركين: فأدركناها تسير علىٰ بعيرٍ لها حيث قال رسول الله ﷺ فقلنا: الكتابُ؟ فقالت: ما معي كتاب. فأنَخْناها فالتمسنا فلم نرَ كتابًا، فقلنا: ما كذب رسول الله ﷺ! لَتُخْرِجِنَّ الكتاب أو لَنُجَرِّدَنَّكِ. فلما رأت الجِدَّ أهوت إلىٰ حُجْزتها[٧] وهي مُحتَجِزةٌ بكساءٍ فأخرجته، فانطلقنا بها إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال عمر: يا رسول الله، قد خان اللهَ ورسولَهُ والمؤمنين، فَدعني فلأضرِب عنقه. فقال: «مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا صَنَعْتَ؟». قال: والله ما بي إلا أن أكون مؤمنًا بالله ورسوله، أردت أن تكون لِي عند القوم يَدٌ يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحدٌ من أصحابك إلا له هنالك مِن عشيرته مَن يدفع الله به عن أهله وماله،

---

(١) أي: من ذوائبها المضفورة.
(٢) رواه أحمد (١/ ٧٩-٨٠)، وانظر ما بعده.
(٣) رواه البخاري (٤٢٧٤).
(٤) يعني: البخاري.
(٥) في المطبوع: (قال عمرو)، والمثبت كما في البخاري.
(٦) رواه البخاري (٤٨٩٠).
(٧) الحُجْزة: موضع شد الإزار، واحتجزت المرأة فهي محتجِزَة: إذا شدت مِئْزرها علىٰ العورة وما لا تحل مباشرته.

فقال: «صَدَقَ، لا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا». فقال عمر: إنَّه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلأضرب عنقه. فقال: «أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟» فقال: «لَعَلَّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ إِلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ -أو: قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ». فدَمِعت عينا عُمر، وقال: الله ورسوله أعلم.

هذا لفظ البخاري في «المغازي» في غزوة بدر[١].

وقد روي من وجهٍ آخَر عن عليٍّ، قال ابن أبي حاتم:

حدَّثنا علي بن الحسن الهِسِنْجَاني، حدَّثنا عبيد بن يعيش، حدَّثنا إسحاق بن سليمان الرازي، عن أبي سِنان -هو سعيد بن سنان- عن عمرو بن مُرَّةَ الجَمَلي، عن أبي البَخْتَرِي الطائي[٢]، عن الحارث، عن عليٍّ قال: لما أراد النَّبيُّ ﷺ أن يأتي مكَّة، أسرَّ إلىٰ أناسٍ مِن أصحابه أنَّه يريد مكَّة، فيهم حَاطب بن أبي بلتعة وأفشىٰ في النَّاس أنَّه يُرِيدُ خيبر، قال: فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلىٰ أهل مكة أن رسول الله ﷺ يريدكم. فأُخْبِر رسول الله ﷺ قال: فبعثني رسول الله ﷺ وأبا مَرْثَدٍ، وليس منَّا رجلٌ إلا وعنده فرس، فقال: «ائْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بِهَا امْرَأَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوهُ مِنْهَا». فانطلقنا حتىٰ رأيناها بالمكان الذي ذَكَرَ رسول الله ﷺ. فقلنا لها: هاتِ الكتاب. فقالت: ما معي كتاب، فوَضَعْنا مَتَاعها وفتَّشْنَاها فلم نجده في متَاعِهَا، فقال أبو مرثد: لعلَّه ألا يكون معها. فقلت: ما كَذَبَ رسول الله ﷺ ولا كَذَبْنَا، فقلنا لها: لتخرجِنَّه أو لنُعرينَّك. فقالت: أَمَا تتقون الله؟! ألستم مسلمين؟ فقلنا: لتخرجنه أو لنعرينَّك، قال عمرو بن مرة: فأخرجته من حُجْزَتها. وقال حبيب بن أبي ثابت: أخرجته من قُبُلها، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة، فقام عمر فقال: يا رسول الله، خان الله ورسوله، فائْذَن لي فلأضرب عنقه، فقال رسول الله: «أَلَيْسَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا؟»، قالوا: بلىٰ، وقال عمر: بلىٰ، ولكنَّه قد نكث وظاهر أعداءك عليك، فقال رسول الله ﷺ: «فَلَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ إِلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ». ففاضت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم، فأرسل رسول الله ﷺ إلىٰ حاطب فقال: «يَا حَاطِبُ، مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا صَنَعْتَ؟». فقال: يا رسول الله، إنِّي كنت امرأً مُلصَقًا في قريشٍ، وكان لي بها مالٌ وأهلٌ، ولم يكن مِن أصحابك أحدٌ إلا وله بمكَّة مَن يمنع أهلَهُ وماله، فكتبت إليهم بذلك ووالله -يا رسول الله- إنِّي لمؤمنٌ بالله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: «صَدَقَ حَاطِبٌ، فَلَا تَقُولُوا لِحَاطِبٍ إِلَّا خَيْرًا»، قال حبيب بن أبي ثابت: فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ الآية[٣].

---

(١) رواه البخاري (٣٩٨٣)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٢) في (ز): (عن أبي إسحاق البختري)، والمثبت من «الطبري»، وهو الصواب.

(٣) إسناده ضعيف: ولم أقف عليه في المطبوع عند ابن أبي حاتم، وعلته سعيد بن سنان، قال الحافظ: صدوق له أوهام، وفيه علة أخرىٰ وهو الحارث الأعور: كذبه الشعبي، وفي حديثه ضعف.

وهكذا رواه ابن جرير عن ابن حميد عن مِهْرانَ، عن أبي سنان -سعيد بن سنان- بإسناده مثله.

وقد ذكر ذلك أصحاب المغازي والسير، فقال محمَّد بن إسحَاق بن يَسَار في «السيرة»:

حدثني محمَّد بن جعفر بن الزبير، عن عُرْوَةَ بن الزبير وغيره من علمائنا قال: لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلىٰ مكَّة، كتب حاطِب بن أبي بلتعة كتابًا[(١)] إلىٰ قريشٍ يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأةً -زعم محمَّد بن جعفر أنَّها مِن مُزَيْنة، وزعم غيره أنَّها: سارة، مولاة لبني عبد المطلب- وجعل لها جُعلًا علىٰ أن تبلغه قُرِيشًا فجعلته في رَأْسِها، ثم فَتَلَتْ عليه قرونها، ثم خرجت به، وأتىٰ رسولَ اللهِ ﷺ الخبرُ من السَّماء بما صنع حاطب، فبعث عليَّ بن أبي طالب والزُّبير بن العوام فقال: «أَدْرِكَا امْرَأَةً قَدْ كَتَبَ مَعَهَا حَاطِبٌ بِكِتَابٍ إِلَىٰ قُرَيْشٍ، يُحَذِّرُهُمْ[(٢)] مَا قَدْ أَجْمَعْنَا لَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ».

فخرجا حتىٰ أدركاها بالخُلَيْفَة -خليفة بني أبي أحمد[(٣)] - فاستنزلاها بالخليفة، فالتمسا في رحلها فلم يجدَا شيئًا، فقال لها علي بن أبي طالب: إنِّي أحلف بالله ما كَذَبَ رسول الله وما كذبنا ولتُخْرِجِنَّ لنا هذا الكتاب أو لنكشفنَّك، فلما رأت الجِدَّ منه قالت: أعرض، فأعرض، فحلت قُرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه، فأتىٰ به رسول الله ﷺ فدعا رسول الله حاطبًا فقال: «يَا حَاطِبُ مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ هَذَا؟». فقال: يا رسول الله، أما والله إني لمؤمنٌ بالله ورسوله ما غَيَّرتُ ولا بَدَّلتُ، ولكنِّي كنتُ امرأً ليس لي في القَوْمِ مِن أهلٍ ولا عشيرةٍ، وكان لي بين أَظْهُرِهِم وَلَدٌ وأهلٌ فصانعتهم عليهم، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، دَعْنِي فَلأَضْرِبْ عنقه، فإنَّ الرجل قد نافق، فقال رسول الله ﷺ: «وَمَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ! لَعَلَّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ إِلَىٰ أَصْحَابِ بَدْرٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ». فأنزل الله ﷻ في حاطب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] إلىٰ آخر القصة[(٤)].

وروىٰ مَعْمَرٌ، عن الزهري، عن عُرْوَةَ نحو ذلك، وهكذا ذكر مقاتل بن حيان: أن هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة: أنه بعث سارة مولاة بني هاشم، وأنَّه أعطاها عشرة دراهم، وأنَّ رسول الله ﷺ بعث في أثرها عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ﵄ فأدركاها بالجُحْفة... وذكر

---

(١) لوحة (٧٦ ب) إلىٰ هنا ينتهي السقط. (٢) في (ز): (يخبرهم).

(٣) في (ز): بالحليفة حليفة ابن أبي أحمد، بالحاء المهملة في الموضعين، وقد ضبطه أبو ذر الخُشَني في «شرح السيرة» بالخاء المعجمة والفاء، مستفاد من ط «الشعب».

(٤) رواه في «السيرة النبوية» (٤/ ٨٥٨) وإسناده صحيح إلىٰ عروة وهو تابعي فالإسناد مرسل، لكن يشهد له ما تقدم في الروايات السابقة.

تمام القصة كنحو ما تقدم. وعن السُّدِّي قريبًا منه[١]. وهكذا قال العَوْفي، عن ابن عبَّاس، ومجاهد وقتادة، وغير واحدٍ: أن هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة.

فقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ﴾ يعني: المشركين والكفَّار الذين هم محارِبُون لله ولرسوله وللمؤمنين، الذين شرع الله عداوَتهم ومصارَمَتهم[٢]، ونهىٰ أن يُتَّخذوا أولياءَ وأصدقاءَ وأَخِلَّاء، كما قال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [المائدة: ٥١].

وهذا تهديدٌ شديدٌ ووعيدٌ أكيدٌ، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧] وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤]. وقال تعالىٰ: [﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ][٣] إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]؛ ولهذا قَبِلَ رسول الله ﷺ عُذْرَ حاطب لما ذكر أنه إنما فعل ذلك مصانعةً لقريشٍ، لأجل ما كان له عندهم مِن الأموال والأولاد.

ويذكر هاهنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد:

حدَّثنا مصعب بن سلام، حدَّثنا الأجلح، عن قيس بن أبي مسلم، عن ربعي بن حراش، سمعت حُذيفة يقول: ضَرَبَ لنا رسول الله ﷺ أمثالًا واحدًا وثلاثةً وخمسةً وسبعةً وتسعةً، وأحدَ عشَرَ -قال: فضرب لنا منها مثلًا وترك سائرها، قال: «**إِنَّ قَوْمًا كَانُوا أَهْلَ ضَعْفٍ وَمَسْكَنَةٍ، قَاتَلَهُمْ أَهْلُ تَجَبُّرٍ وَعَدَاءٍ، فَأَظْهَرَ اللهُ أَهْلَ الضَّعْفِ عَلَيْهِمْ، فَعَمَدُوا إِلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَاسْتَعْمَلُوهُمْ وَسَلَّطُوهُمْ، فَأَسْخَطُوا اللهَ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ**»[٤].

وقوله: ﴿يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ﴾ هذا مع ما قبله مِن التَّهْيِيج علىٰ عداوتهم وعَدَمِ موالاتهم؛ لأنَّهم أخرجوا الرَّسول وأصحابه مِن بين أَظْهُرِهم، كراهةً لما هُم عليه من التَّوحيد وإخلاص العبادة لله وحده؛ ولهذا قال: ﴿أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ﴾ أي: لَمْ يكن لكم عندهم ذنبٌ إلا إيمانكم[٥] بالله رب العالمين، كقوله: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]، وكقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ [الحج: ٤٠].

---

(١) لوحة (٧٧ أ). (٢) في (ز): (ومضاربتهم). (٣) ليست في (ز).

(٤) رواه أحمد (٥/ ٤٠٧) وفيه قيس بن أبي مسلم: وثقه ابن حبان وأورده البخاري في «التاريخ» ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

(٥) في (ز): (لم يكن لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم).

وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي﴾ أي: إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء، إن[1] كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي باغين لمرضاتي عنكم فلا تُوالُوا أعدائي وأعداءكم، وقد أخرجُوكم مِن دِيَارِكُم وأموالكم حنقًا عليكم وسخطًا لدينكم.

وقوله: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ أي: تَفْعَلُونَ ذلك وأنا العالم بالسَّرائر والضَّمائر والظَّواهر ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ أي: لو قَدَرُوا عليكم لما اتَّقوا[2] فيكم مِن أذًىٰ ينالونكم به بالمقال والفِعَال. ﴿وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: ويَحْرِصُون علىٰ ألا تنالوا خيرًا، فهم عداوتهم لكم كامنةٌ وظاهرةٌ، فكيف توالون مثل هؤلاء؟! وهذا تَهْييجٌ علىٰ عداوتهم أيضًا.

وقوله: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: قراباتكم لا تنفعكم عِندَ الله إذا أراد الله بكم سوءًا، ونفعهم لا يَصِلُ إليكم إذا أرضيتموهم بما يسخط الله، ومَن وافق أَهْلَهُ علىٰ الكفر ليرضيهم فقد خاب وخَسِرَ وضَلَّ عمله، ولا ينفعه عند الله قَرَابَتُهُ مِن أحدٍ، ولو كان قريبًا إلىٰ نبيٍّ من الأنبياء.

قال الإمامُ أحمد: حدَّثنا عفان، حدَّثنا حماد، عن ثابت، عن أنسٍ، أن رجلًا قال: يا رسول الله: أين أبي؟ قال: «فِي النَّارِ» فلما قَفَّىٰ[3] دعاه فقال: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ». ورواه مسلم وأبو داود، من حديث حماد بن سلمة به[4].

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٥ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٦﴾

يقول تعالىٰ لعِبَادِهِ المؤمنين الَّذين أمرهم بمُصَارَمَةِ الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتَّبَرِّي منهم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أي: وأَتْبَاعِهِ الَّذين آمنوا معه ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ[5] إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ﴾ أي: تبرأنا منكم ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي: بدينكم وطريقكم،

---

(١) لوحة (٧٧ ب). (٢) في (ز): (لما أبقوا فيكم).

(٣) في (ز): (فلما بقي)، والمثبت موافق لما في «المسند».

(٤) رواه مسلم (٢٠٣)، وأبو داود (٤٧١٨)، وأحمد (٣/ ٢٦٨).

(٥) في (ز): (إذ قالوا أمر مبهم)، وليست بآية.

﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾ يعني: وقد شُرِعَتِ(١) العداوة والبغضاء مِن الآن بَيْنَنا وبينكم، ما دُمْتُم علىٰ كُفْرِكُم فنحن أبدًا نتبرَّأُ منكم ونَبْغَضُكُم ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ أي: إلىٰ أن تُوَحِّدُوا الله فتَعْبُدُوهُ وحده لا شَرِيكَ له، وتخلعوا ما تعبدون معه مِن الأندادِ والأوثانِ.

وقوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ أي: لكم في إبراهيمَ وقومِهِ أسوةٌ حسنةٌ تتأسون بها، إلا في استغفار إبراهيم لأَبِيهِ، فإِنَّه إنَّما كان عن مَوعِدةٍ وعدها إيَّاه، فلمَّا تَبَيَّنَ له أنَّه عدوٌّ لله تبرأ منه، وذلك أنَّ بعض المؤمنين كانوا يَدْعُون لآبائِهم الَّذِين ماتوا علىٰ الشِّرك ويَسْتَغْفِرُون لهم، ويقولون: إنَّ إبراهيم كان يَسْتَغْفِرُ لأبيه، فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٣، ١١٤]. وقال تعالىٰ في هذه الآية الكريمة: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ أي: ليس لكم في ذَلِك أسوةٌ؛ أي: في الاستغفار للمُشْرِكِينَ، هكذا قال ابن عبَّاس، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل، والضَّحَّاكُ وغير واحدٍ.

ثم قال تعالىٰ مخبِرًا عن قول إبراهيم والَّذِين معه، حِينَ فارقوا قومهم وتَبَرَّءُوا منهم، فلَجَئُوا إلىٰ الله وتضرَّعوا إليه فقالوا: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [أي: توكَّلْنا عليك في جميع الأُمُورِ، وسَلَّمنا أُمُورَنا إليك، وفَوَّضْناها إليكَ ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾](٢) أي: المَعَاد في الدَّار الآخرة.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قال مجاهد: معناه: لا تُعَذِّبْنا بأيديهم، ولا بعذابٍ مِن عندك، فيقولوا: لو كان هؤلاء علىٰ حقٍّ ما أصابهم هذا، وكذا قال الضَّحَّاكُ.

وقال قتادة لا تُظْهِرهم علينا فيفتتنوا بذلك، يرون أنَّهم إنَّما ظهروا علينا لحَقٍّ هم عليه، واختاره ابن جرير.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: لا تُسَلِّطْهُم علينا فيَفْتِنُونا.

وقوله: ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي: واستر ذُنُوبَنا عن غيرك، واعْفُ عنها فيما بيننا وبَيْنَكَ، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: الذي لا يُضَامُ مَن لَاذَ بجنابك ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أقوالك، وأفعالك، وشرعك، وقدرك.

ثم قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ وهذا تأكيدٌ لما تقدَّم ومستثنىٰ منه ما تقدَّم أيضًا؛ لأنَّ هذه الأسوة المثبتة(٣) هاهنا(٤) هي الأُولىٰ بعينها.

وقوله: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ تهييجٌ إلىٰ ذلك [لكلِّ مؤمنٍ](٥) بالله والمعاد.

---

(١) لوحة (٧٨ أ). (٢) ليست في (ز).
(٣) في (ز): (المبينة). (٤) لوحة (٧٨ ب). (٥) في (ز): (كل مقر).

وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي: عمَّا أمر الله به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ كقوله: ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨].

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس: ﴿ٱلْغَنِيُّ﴾ الذي قد كَمُل في غِنَاه، وهو الله، هذه صفته لا تَنْبَغِي إلَّا له، ليس له كفءٌ، وليس كمثله شيءٌ، سبحان الله الواحد القهار. ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ المستحمِدُ إلىٰ خَلْقِه؛ أي: هو المحمود في جميع أَفْعَاله، وأقواله، لا إله غيره، ولا رب سواه.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً[1] وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾

يقول تعالىٰ لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ أي: محبَّةً بعد البِغْضَة، ومودَّةً بعد النَّفرة، وأُلْفَةً بعد الفرقة. ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ أي: علىٰ ما يشاء من الجمع بين الأشياء المتنافرة، والمتباينة، والمختلفة، فيؤلف بين القلوب بعد العَدَاوَةِ، والقَسَاوَةِ، فتصبح مجتمعة متَّفِقَةً، كما قال تعالىٰ ممتنًّا علىٰ الأنصار: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ الآية [آل عمران: ١٠٣]. وكذا قال لهم النَّبيُّ ﷺ: «أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللهُ بِي؟»[2]. وقال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٢ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣]. وفي الحديث «أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا، فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا، فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا»[3]، وقال الشاعر:

وَقَدْ يَجْمَعُ اللهُ الشَّتِيتَيْنِ[4] بَعْدَمَا ... يَظُنَّانِ كُلَّ الظَّنِّ أَلَّا تَلَاقِيَا

(١) قال الشيخ أبو بكر الجزائري تَخْفَظُلْلَلهُ: هذا بعد أن يُسْلِمَ الكافرون ويوحِّد المشركون، وفعلًا فقد أسلم قوم منهم بعد فتح مكة ووالاهم المسلمون كأبي سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وحكيم بن حزام، ومن مظاهر هذه المودة: تزوُّجُ النبيِّ ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان، وبذلك لانت عَرِيكة أبي سفيان واسترخت شَكِيمته في العداوة، حتىٰ إنه لما بلغه تزوجُ النبي ﷺ بها قال: ذلك الفحل لا يقدح أنفه؛ أي: لا يُضرب أنفه، وهي كلمة مدح.

(٢) رواه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (١٩٩٨)، والحديث صححه الألباني في «غاية المرام» (٤٧٢).

(٤) أي: المحبين المتباعدين.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: يغفر للكافرين كُفْرَهُم إذا تابوا منه وأنابوا إلىٰ رَبِّهِم وأسلموا له، وهو الغفور الرَّحيم بكلِّ مَن تاب إليه من أيِّ ذنبٍ كان.

وقد(١) قال مقاتل بن حيان: إن هذه الآية نزلت في أبي سفيان -صخر بن حرب- فإنَّ رسول الله ﷺ تزوَّج ابنته فكانت هذه مودَّةَ ما بينه وبينه(٢).

وفي هذا الذي قاله مقاتل نظر؛ فإن رسول الله تزوج بأمِّ حبيبة بنت أبي سفيان قبل الفتح، وأبو سفيان إنَّما أسلم ليلة الفتح بلا خلاف(٣).

وأحسن من هذا ما رواه بن أبي حاتم حيث قال:

قُرئ علىٰ محمَّد بن عَزيزٍ: حدثني سلامة، حدثني عقيل، حدثني ابن شهاب؛ أن رسول الله ﷺ استعمل أبا سفيان بن حرب علىٰ بعض اليمن، فلمَّا قُبِضَ رسول الله ﷺ أقبل فلقي ذا الخمار مرتدًّا، فقاتله، فكان أول مَن قاتل في الرِّدَّةِ وجاهد عن الدِّين(٤).

قال ابن شهاب: وهو ممَّن أنزل الله فيه: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وفي «صحيح مسلم»، عن ابن عبَّاس: أن أبا سفيان قال: يا رسول الله، ثلاثٌ أَعْطِنِيهِنَّ. قال: «نَعَمْ»، قال: تؤمِّرني أقاتل الكفَّار كما كنت أقاتل المسلمين، قال: «نَعَمْ»، قال: ومعاوية تجعله كاتبًا بين يديك. قال: «نَعَمْ». قال: وعندي أحسنُ العرب وأجملُه(٥)، أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها... الحديث. وقد تقدم الكلام عليه(٦).

---

(١)لوحة (٧٩أ). (٢) إسناده مرسل.

(٣)رواه مسلم (٢٥٠١). (٤)رواه ابن أبي حاتم (١٨٨٦٣)، وإسناده مرسل.

(٥)في (ز): (وأكمله).

(٦)رواه مسلم (٢٥٠١). وفي الحديث إشكال:

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ:(واعلم أن هذا الحديث من الأحاديث المشهورة بالإشكال، ووجه الإشكال: أن أبا سفيان إنما أسلم يوم فتح مكة سنة ثمان من الهجرة، وهذا مشهور لا خلاف فيه، وكان النبيُّ ﷺ قد تزوج أم حبيبة قبل ذلك بزمان طويل ... قال القاضي: والذي في مسلم هنا أنه زوجها أبو سفيان غريبٌ جدًّا وخبرها مع أبي سفيان حين ورد المدينة حال كُفْره مشهور، ولم يزد القاضي علىٰ هذا. وقال ابن حزم: هذا الحديث وهمٌ من بعض الرواة؛ لأنه لا خلاف بين الناس أن النبي ﷺ تزوج أم حبيبة قبل الفتح بدهر، وهي بأرض الحبشة وأبوها كافر، وفي رواية عن ابن حزم أيضًا أنه قال: موضوع. قال: والآفة فيه من عكرمة بن عمار الراوي عن أبي زميل. وأنكر الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله هذا علىٰ ابن حزم، وبالغ في الشناعة عليه. قال: وهذا القول من جسارته فإنه كان هَجُومًا علىٰ تخطئة الأئمة الكبار وإطلاق اللسان فيهم. قال: ولا نعلم أحدًا من أئمة الحديث نسب عكرمة بن عمار إلىٰ وضع الحديث، وقد وثقه وكيع ويحيىٰ بن معين وغيرهما. وكان مستجاب الدعوة. قال: وما توهمه ابن حزم من منافاة هذا الحديث لتقدم زواجها غلط منه وغفلة، لأنه يحتمل أنه سأله تجديد عقد النكاح تطييبًا لقلبه؛ لأنه كان ربما يرىٰ عليها غضاضة من رياسته ونسبه أن تُزَوَّج بنته بغير رضاه، أو أنه ظن أن إسلام الأب في مثل هذا يقتضي تجديد =

وقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ أي: لا ينهاكم عن الإحسان إلىٰ الكفرة الَّذين لا يقاتلونكم في الدِّين، كالنِّساء والضَّعفة منهم ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ أي: تُحْسِنُوا إليهم ﴿وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ أي: تعدلوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

قال الإمامُ أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: حدَّثنا أبو معاوية، حدَّثنا هشام بن عروة، عن فاطمة بنت المنذر، عن أسماء -هي بنت أبي بكر رضي الله عنهما- قالت: قَدِمَتْ أُمِّي وهي مشركةٌ في عهد قريشٍ إذ عاهدوا، فأتيتُ النَّبيَّ ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن أمي قدمت وهي راغبةٌ، أفأصلها؟ قال: «نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ» أخرجاه[1].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا عارم، حدَّثنا عبد الله بن المبارك، حدَّثنا مصعب بن ثابت، حدَّثنا عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه قال: قدمت قُتَيلةُ علىٰ ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا: ضِبابٍ وقَرَظٍ[2] وسمن، وهي مشركةٌ، فأبت أسماء أن تقبل هَدِيَّتَهَا وتدخلها بيتها، فسألت عائشة النَّبيَّ ﷺ فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ إلىٰ آخر الآية، فأمرها أن تقبل هديتها، وأن تدخلها بيتها[3].

وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، من حديث مصعب بن ثابت[4] به. وفي رواية لأحمد وابن جرير: «قُتَيلة بنت [عبد][5] العزي بن [عبد][6] أسعد، من بني مالك بن حسل. وزاد ابن أبي حاتم: «في المدَّة التي كانت بين قريشٍ ورسول الله ﷺ».

وقال أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار: حدَّثنا عبد الله بن شبيب، حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدَّثنا أبو قتادة العدوي، عن ابن أخي الزهري، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة وأسماء أنَّهما قالتا: قَدِمت علينا أُمُّنا المدينة، وهي مشركةٌ، في الهدنة التي كانت بين قريش وبين رسول الله ﷺ، فقلنا:

= العقد، وقد خَفِيَ أوضحُ من هذا علىٰ أكبرَ مرتبةً من أبي سفيان، ممن كثر علمه وطالت صحبته، هذا كلام أبي عمرو رحمه الله. وليس في الحديث أن النبي ﷺ جدَّد العقد، ولا قال لأبي سفيان أنه يحتاج إلىٰ تجديده فلعله ﷺ أراد بقوله: «نعم». أن مقصودك يحصل وإن لم يكن بحقيقة عقد. والله أعلم).اهـ

وفي «البداية والنهاية» (٦/ ١٤٩) ط. هجر: (... والأحسن في هذا أنه أراد أن يزوجه ابنته الأخرىٰ مُرة لما رأىٰ في ذلك من الشرف له واستعان بأختها أم حبيبة كما في «الصحيحين» وإنما وهم الراوي في تسميته أمَّ حبيبة، وقد أوردنا لذلك جزءًا مفردًا).اهـ

(١) رواه البخاري (٢٦٢٠)، ومسلم (١٠٠٣).

(٢) كذا في (ز) و«المسند»، وفي بعض النسخ (صناب وأقط)، والضِباب: جمع ضَبٌّ وهو الحيوان المعروف، وأما الصناب فهو طعام يعمل من الخردل. والقَرَظ: قال السندي: «ورق يدبغ به، قيل: ولعله وأقط». والأقِطَ: اللبن المجفف.

(٣) ضعيف بهذا السياق: رواه أحمد (٤/ ٤)، وابن أبي حاتم (١٨٨٦٤)، وفيه مصعب بن ثابت: لين الحديث، ولكن انظر الحديث السابق.

(٤) لوحة (٧٩ ب). (٥) ليست في (ز)، والصواب إثباتها.

(٦) سقط من (ز)، وهي مثبتة في «المسند».

يا رسول الله، إن أُمَّنا قدمت علينا المدينة راغبةً، أفنصلها؟ قال: «نَعَمْ، فَصِلَاهَا»(١).

ثم قال: وهذا الحديث لا نعلمه يروىٰ عن الزهري، عن عروة، عن عائشة إلا من هذا الوجه.

قلت: وهو منكرٌ بهذا السياق؛ لأنَّ أمَّ عائشة هي أمُّ رومان، وكانت مسلمةً مهاجرةً وأم أسماء غيرها، كما هو مصرحٌ باسمها في هذه الأحاديث المتقدمة والله أعلم.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ تقدم تفسير ذلك في سورة «الحجرات»، وأورد الحديث الصحيح: «المُقْسِطُونَ عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ العَرْشِ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ، وَأَهَالِيهِمْ، وَمَا وَلُوا»(٢).

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ أي: إنَّما ينهاكم عن موالاة هؤلاء الذين ناصبوكم العَدَاوَةَ، فقاتلوكم وأخرجوكم، وعاونوا علىٰ إخراجكم، ينهاكم الله عن موالاتهم ويأمركم بمُعَادَاتِهِم. ثم أكَّد الوعيد علىٰ موالاتهم فقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠) وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ (١١)﴾

تقدَّم في سورة «الفتح» ذكر صلح الحديبية الذي وقع بين رسول الله ﷺ(٣) وبين كفار قريش، فكان فيه: «علىٰ ألَّا يأتيك منَّا رجل(٤) -وإن كان علىٰ دينك- إلا رَدَدْتَهُ إلينا(٥)». وفي رواية: «علىٰ أنَّه لا يأتيك منَّا أحدٌ -وإن كان علىٰ دينك- إلا رَدَدْتَه [إلينا]». وهذا قول عروة، والضَّحَّاكِ، وعبد الرحمن بن زيد، والزهري، ومقاتل، والسُّدِّي؛ فعلىٰ هذه الرواية تكون هذه الآية مخصصةً للسُّنَّةِ، وهذا مِن أحسن أمثلة ذلك، وعلىٰ طريقة بعض السَّلف ناسخة، فإن الله ﷻ أمر عباده المؤمنين إذا جاءهم النِّساء مهاجرات أَن يَمْتَحِنُوهُنَّ، فإن عَلِموهن مؤمنات فلا يرجعوهنَّ إلىٰ الكفَّار، لا هُنَّ حلٌّ لهم ولا هم يحلون لهنَّ(٦).

---

(١) منكر: رواه البزار، وفيه عبد الله بن شبيب: ضعيف، والحديث فيه نكارة؛ لأن أم عائشة هي أم رُومان، وهي ليست (أم أسماء) فقد تقدم أن أمها: (قتيلة بنت عبد العزىٰ)، وانظر كلام ابن كثير بعد إيراده الحديث.

(٢) رواه مسلم (١٨٢٧)، والنسائي (٨/ ٢٢١)، وأحمد (٢/ ١٦٠).

(٣) لوحة (٨٠ أ). (٤) في (ز): (أحد).

(٥) في (ز): (إلينا وإن كان علىٰ دينك) مكررة.

(٦) تقدم تخريج هذه الأخبار في سورة الفتح.

وقد ذكرنا في ترجمة عبد الله بن [أبي][(١)] أحمد بن جحش، من «المسند الكبير»، من طريق أبي بكر بن أبي عاصم، عن محمَّد بن يحيىٰ الذُّهْلي، عن يعقوب بن محمَّد، عن عبد العزيز بن عمران، عن مُجَمِّعِ بن يعقوب، عن حسين بن أبي لُبانة[(٢)]، عن عبد الله بن أبي أحمد قال: هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيطٍ في الهجرة، فخرج أخواها عمارة والوليد حتىٰ قدما علىٰ رسول الله ﷺ، فكلَّماه فيها أن يردها إليهما، فنقض الله العهد بَيْنَه وبين المشركين في النِّساءِ خاصَّةً، ومنعهن أن يُرْدَدْنَ إلىٰ المشركين، وأنزل الله آيةَ الامتحان[(٣)].

قال ابن جرير: حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ، حدَّثنا يونس بن بُكَيْرٍ، عن قيس بن الربيع، عن الأغر بن الصباح، عن خليفة بن حُصَينٍ، عن أبي نصر الأسدي قال: سُئِل ابنُ عبَّاسٍ: كيف كان امتحانُ رسول الله ﷺ النساءَ؟ قال: كان يمتحنهن: بالله ما خَرجت مِن بُغض زوجٍ؟ وبالله ما خَرجت رَغبةً عَن أرضٍ إلىٰ أرضٍ؟ وبالله ما خرجت التماسَ دنيا؟ وبالله ما خرجت إلا حبًّا لله ولرسوله؟[(٤)].

ثم رواه من وجهٍ آخر، عن الأغر بن الصباح به[(٥)].

وكذا رواه البزَّار من طريقه، وذكر فيه أنَّ الَّذي كان يحلِّفُهنَّ عن أمرِ رسولِ الله ﷺ له عمرُ بن الخطاب[(٦)].

وقال العَوْفي، عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ كان امتحانهنَّ أن يَشهدْنَ أنْ لا إله إلا اللهُ، وأنَّ محمَّدًا عبد الله ورسوله.

وقال مجاهد: ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ فاسألوهنَّ: عمَّا جاء بهنَّ؟ فإن كَانَ بهنَّ غضبٌ علىٰ أزواجهنَّ أو سَخْطةٌ أو غيره، ولم يُؤْمِنَّ فارجعوهن إلىٰ أزواجهن.

وقال عكرمة: يقال لها: ما جاء بك إلا حُبُّ الله ورسوله؟ وما جاء بك عشق رجلٍ منا، ولا فرارٌ مِن زوجك[(٧)]؟ فذلك قوله: ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾.

وقال قتادة: كانت مِحْنَتهن أن يُسْتَحلَفْن بالله: ما أخرجكن النُّشوز؟ وما أخرجكنَّ إلا حب الإسلام وأَهْلِهِ وحِرصٌ عليه؟ فإذا قُلْنَ ذلك قُبِلَ ذلك منهنَّ.

وقوله: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ فيه دلالةٌ علىٰ أن الإيمان يُمْكِنُ الاطلاع عليه يقيناً.

---

(١) سقط من (ز)، والصواب إثباتها. (٢) في (ز): (حنين بن أبي أبانة).

(٣) ضعيف جدًّا: في إسناده عبد العزيز بن عمران: متروك.

(٤) ضعيف: رواه الطبري (٢٨/ ٦٧)، وفيه أبو نصر الأسدي: مجهول. وفيه انقطاع لأنه لم يسمع من ابن عباس.

(٥) رواه الطبري (٢٨/ ٦٧) وإسناده ضعيف.

(٦) رواه البزار (١٥١٧ - زوائد البزار)، وإسناده ضعيف كسابقه. (٧) لوحة (٨٠ ب).

وقوله: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ هذه الآية هي التي حَرَّمَتِ المسلمات علىٰ المشركين، وقد كان جائزًا في ابتداءِ الإسلام أن يتزوَّج المشرك المؤمنة؛ ولهذا كان أبو[1] العاص بن الربيع زوج ابنة النَّبيِّ ﷺ زينب ؓ وقد كانت مسلمةً وهو علىٰ دينِ قومِهِ، فلمَّا وقع في الأسارىٰ يوم بدر بعثت امرأتُهُ زينب في فِدَائِهِ بقلادةٍ لها كانت لأمها خديجة، فلما رآها رسول الله ﷺ رَقَّ لها رقَّةً شَديدَةً، وقال للمسلمين: «إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا فَافْعَلُوا»[2]. ففعلوا، فأطلقه رسول الله ﷺ علىٰ أن يبعث ابنته إليه، فوفىٰ له بذلك وصَدَقَهُ فيما وعده، وبعثها إلىٰ رسول الله ﷺ مع زيد بن حارثة ؓ فأقامت بالمدينة من بعد وقعة بدر، وكانت سنة اثنتين إلىٰ أن أسلم زوجها العاص بن الربيع سنة ثمانٍ [فردَّها عليه][3] بالنِّكاح الأوَّل، ولم يحدث لها صَدَاقًا، كما قال الإمام أحمد:

حدَّثنا يعقوب، حدَّثنا أبي، حدَّثنا ابن إسحاق، حدَّثنا داود بن الحصين، عن عكرمة عن ابن عبَّاس، أنَّ رسول الله ﷺ رَدَّ ابنته زينبَ علىٰ أبي العاص [بن الرَّبيع][4] وكانت هجرتها قبل إسلامه بسِتٍّ سنين- علىٰ النِّكاح الأوَّل، ولم يُحْدِثْ شهادةً ولا صَدَاقًا[5].

ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه. ومنهم من يقول: «بعد سنتين»، وهو صحيحٌ؛ لأن إسلامه كان بعد تحريم المسلمات علىٰ المشركين بسنتين. وقال الترمذي: «ليس بإسناده بأس، ولا نعرف وجه هذا الحديث، ولعله جاء من حفظ داود بن الحصين. وسمعت عبد بن حميد يقول: سمعت يزيد بن هارون يذكر عن ابن إسحاق هذا الحديث، وحديث ابن الحجاج -يعني ابن أرطاة- عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه، أنَّ رسول الله ﷺ ردَّ ابنته علىٰ أبي العاص بن الرَّبيع بمهرٍ جديدٍ ونكاحٍ جديدٍ[6][7]. فقال يزيد: حديث ابن عبَّاسٍ أجودُ إسنادًا والعمل علىٰ حديث عمرو بن شعيب».

قلتُ: وقد رَوَىٰ حديث الحجاج بن أرطاة، عن عمرو بن شعيب الإمامُ أحمد والترمذي وابن ماجه، وضعَّفه الإمام أحمد وغير واحدٍ، والله أعلم.

وأجاب الجمهور عن حديث ابن عبَّاس بأن ذلك كان قضية عين، يحتمل أنَّه لم تنقضِ عِدَّتُها منه؛ لأنَّ الذي عليه الأكثرون أنها متىٰ انقضت العدة ولم يُسْلم انفسخَ نِكاحُها منه.

---

(١) في (ز): (أبي العاص).
(٢) حسن: رواه أحمد (٦/ ٢٧٦)، وأبو داود (٢٦٩٢).
(٣) ليست في (ز).
(٤) زيادة من «المسند».
(٥) صحيح: رواه أبو داود (١٢٤٠)، وابن ماجه (٢٠٠٩)، والترمذي (١١٤٣)، وأحمد (١/ ٢٦١)، وداود بن حصين ثقة إلا في عكرمة، لكن للحديث شواهد استوفاها الألباني في «الإرواء» (١٩٢١) وصححه.
(٦) لوحة (٨١ أ).
(٧) ضعيف: رواه الترمذي (١١٤٤)، وفيه الحجاج بن أرطأة: كثير الخطأ والتدليس. وروايته هذه تخالف رواية ابن عباس السابقة.

وقال آخرون: بل إذا انقضت العدَّة هي بالخيار، إن شاءت أقامت علىٰ النِّكاح واستمرت، وإن شاءت فسخته وذهبت فتزوجت، وحملوا عليه حديث ابن عبَّاس، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ﴾ يعني: أزواج المهاجرات من المشركين، ادفعوا إليهم الذي غرموه عليهن من الأَصْدِقَة. قاله ابن عبَّاس، ومجاهد وقتادة، والزهري، وغير واحدٍ.

وقوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ يعني: إذا أعطيتموهن أَصْدِقَتَهُن فانكحوهنَّ؛ أي: تزوجوهن بشرطه من انقضاء العدَّة والوَلِيِّ وغير ذلك.

وقوله: ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾ تحريمٌ من الله ﷻ علىٰ عباده المؤمنين نكاح المشركات، والاستمرار معهن. وفي «الصحيح»، عن الزهري، عن عروة، عن المِسْوَرِ ومَرْوان[1] بن الحكم: أن رسول الله ﷺ لما عاهد كفار قريشٍ يوم الحديبية جاء نساءٌ من المؤمناتِ، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾ فطلق عمر بن الخطاب يومئذٍ امرأتين، تزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرىٰ صفوان بن أمية[2].

وقال ابن ثور، عن مَعْمَرٍ، عن الزهري: أنزلت هذه الآية علىٰ رسول الله ﷺ، وهو بأسفل الحديبية، حين صالحهم علىٰ أنه من أتاه منهم رده إليهم، فلما جاءه النِّساء نزلت هذه الآية، وأمره أن يَرُدَّ الصَّداق إلىٰ أزواجهن، وحكم علىٰ المشركين مثل ذلك إذا جاءتهم امرأةٌ من المسلمين أن يَرُدُّوا الصَّداق إلىٰ زوجها، وقال: ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾[3].

وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وقال: وإنما حكم الله بينهم بذلك، لِأَجْل ما كان بينَهم وبينَهم من العهد.

وقال محمَّد بن إسحاق، عن الزهري[4]: طلَّق عمرُ يومئذٍ قريبةَ بنت أبي أُمَيَّة بن المغيرة، فتزوجها معاوية، وأم كلثوم بنت عمرو بن جَرْوَل الخزاعية، وهي أم عُبَيدِ الله، فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم، رجل من قومه، وهما علىٰ شركهما، وطلق طلحةُ بن عبيد الله أروىٰ بنتَ ربيعة[5] بن الحارث بن عبد المطلب، فتزوجها بعده خالد بن سعيد بن العاص[6].

وقوله: ﴿وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ﴾ أي: وطالبوا بما أنفقتم علىٰ أزواجكم اللاتي يذهبن إلىٰ الكفَّار، إن ذهبن، ولْيُطالِبُوا بما أنفقوا علىٰ أزواجهم اللاتي هاجرن إلىٰ المسلمين.

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ﴾ أي: في الصلح واستثناء النِّساء منه، والأمر بهذا كله هو حكم الله يحكم به بين خلقه: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ أي: عليمٌ بما يُصْلِحُ عباده حكيمٌ في ذلك.

---

(١) في (ز): (عن المسور بن مروان)، وهو خطأ. (٢) رواه البخاري (٢٧٣١).

(٣) مرسل: رواه الطبري (٢٨/ ٧٠) عن الزهري، وهو من صغار التابعين فالإسناد مرسل.

(٤) لوحة (٨١ ب). (٥) في (ز): (بنت التعة).

(٦) إسناده مرسل: انظر: «السيرة» لابن هشام (٣/ ٧٩٠).

ثم قال: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ قال مجاهد، وقتادة: هذا في الكفَّار الَّذين ليس لهم عهدٌ، إذا فَرّت[1] إليهم امرأةٌ ولم يدفعوا إلىٰ زوجها شيئًا، فإذا جاءت منهم امرأةٌ لا يدفع إلىٰ زوجها شيءٌ، حتىٰ يدفع إلىٰ زوج الذاهبة إليهم مثل نفقته عليها.

وقال ابن جرير: حدَّثنا يُونسُ، حدَّثنا ابن وهب، أخبرني يونس، عن الزهري قال: أَقَرَّ المؤمنون بحُكْمِ الله، فأدّوا ما أُمِرُوا به مِن نفقاتِ المشركين التي أنفقوا علىٰ نسائهم، وأبىٰ المشركون أن يُقِرُّوا بحُكْمِ الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين، فقال الله للمؤمنين به: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ فلو أنَّها ذهبت بعد هذه الآية امرأةٌ من أزواج المؤمنين إلىٰ المشركين، رَدَّ المؤمنون إلىٰ زوجها النَّفقة التي أنفق عليها من العَقبِ الذي بأيديهم، الذي أُمِرُوا أن يردوه علىٰ المشركين من نفقاتهم التي أنفقوا علىٰ أزواجهم اللاتي آمَنَّ وهاجرنَ، ثم ردوا إلىٰ المشركين فضلًا إن كان بقي لهم. والعقب: ما كان [بأيدي المؤمنين][2] من صداق [نِسَاءِ][3] الكفَّار حين[4] آمنَّ وهاجرنَ[5].

وقال العَوْفي، عن ابن عبَّاس في هذه الآية: يعني: إن لَحِقت امرأةُ رجلٍ من المهاجرين بالكفَّار، أمر له رسول الله ﷺ أنه يُعْطَىٰ من الغَنِيمَةِ مثلَ ما أنفق.

وهكذا قال مجاهد: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ أصبتم غنيمةً من قريشٍ أو[6] غيرهم ﴿فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ يعني: مهر مثلها. وهكذا قال مسروق، وإبراهيم، وقتادة، ومقاتل، والضَّحَّاكُ، وسفيان بن حسين، والزهري أيضًا.

وهذا لا ينافي الأول؛ لأنه إن أمكن الأول فهو أولىٰ، وإلَّا فمن الغنائم اللَّاتي تؤخذ من أيدي الكفار. وهذا أوسع، وهو اختيار ابن جرير، ولله الحمد والمنَّة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

قال البخاري: [حدثنا إسحاق][7]، حدَّثنا يعقوب بن إبراهيم، حدَّثنا ابن أخي ابن شهاب، عن عمِّه قال: أخبرني عروة أنَّ عائشةَ زوجَ النَّبيِّ ﷺ، أخبرته: أنَّ رسول الله ﷺ كان يَمْتَحِنُ مَنْ هاجر إليه من

---

(١) في (ز): (إذا قرب).
(٢) زيادة من «الطبري»، ومكانه في (ز): علي.
(٣) سقط من (ز).
(٤) في (ز): (من آمن).
(٥) مرسل: رواه الطبري (٢٨/ ٧٥).
(٦) لوحة (٨٢ أ).
(٧) سقط من (ز)، وهي مثبتة في «البخاري».

المُؤْمِنَاتِ بهذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قال عروة: قالت عائشة: فمَن أقرَّ بهذا الشرط من المؤمنات، قال لها رسول الله ﷺ: «قَدْ بَايَعْتُكِ» كلامًا، ولا والله ما مَسَّت يدُهُ يدَ امرأةٍ قَطُّ في المبايعة، ما يبايعهن إلا بقوله: «قَدْ بَايَعْتُكِ عَلَىٰ ذَلِكَ» هذا لفظ البخاري[(١)].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدَّثنا سفيان، عن محمَّد بن المُنْكَدِر، عن أميمة بنت رُقَيقة[(٢)] قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نساءٍ لنبايعه، فأخذ علينا ما في القرآن: ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ الآية، وقال: «فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ». قلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، قلنا: يا رسول الله، ألا تصافِحُنَا؟ قال «إِنِّي لا أُصَافِحُ النِّسَاءَ، إِنَّمَا قَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ كَقَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ»[(٣)].

هذا إسنادٌ صحيحٌ، وقد رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، من حديث سفيان بن عيينة - والنَّسائي أيضًا من حديث الثوري- ومالك بن أنس كلِّهم، عن محمَّد بن المنكدر، به. وقال الترمذي: حسنٌ صحيحٌ، لا نعرفه إلا من حديث محمَّد بن المنكدر[(٤)].

وقد رواه أحمد أيضًا من حديث محمَّد بن إسحاق، عن محمَّد بن المنكدر، عن أميمة به. وزاد: «ولم يصافح منَّا امرأةً»[(٥)]. وكذا رواه ابن جرير من طريق موسىٰ بن عقبة، عن محمَّد بن المنكدر، به. ورواه ابن أبي حاتم من حديث[(٦)] أبي جعفر الرازي، عن محمَّد بن المنكدر: حدثتني أميمة بنت رقيقة -وكانت أختَ خديجةَ خالةَ فاطمة- مِن فِيها إلىٰ فِيَّ، فذكره[(٧)].

وقال الإمامُ أحمد: حدَّثنا يعقوب، حدَّثنا أبي، عن ابن إسحاق، حدثني سليط بن أيوب بن الحكم بن سُلَيم، عن أمهِ سلمىٰ بنت قيس -وكانت إحدىٰ خالات رسول الله ﷺ قد صَلَّت معه القبلتين، وكانت إحدىٰ نساء بني عدي بن النجار- قالت: جئت رسول الله ﷺ نبايعه في نسوةٍ من الأنصار، فلما شرط علينا: ألا نشرك بالله شيئًا، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتانٍ نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروفٍ، قال: «وَلا تَغْشُشْنَ أَزْوَاجَكُنَّ». قالت: فبايعناه، ثم انصرفنا، فقلت لامرأةٍ منهن: ارجعي فسَلِي رسول الله ﷺ: ما غِشُّ أزواجنا؟ قال: فسألته فقال: «تَأْخُذُ مَالَهُ، فَتُحَابِي بِهِ غَيْرَهُ»[(٨)].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا إبراهيم بن أبي العبَّاس، حدَّثنا عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم بن محمَّد بن حاطب، حدثني أبي، عن أمه عائشة بنت قُدَامة -يعني: ابن مظعون- قالت: أنا مع أمي رائطة

---

(١) رواه البخاري (٤٨٩١). (٢) في (ز): (رقية)، وهو خطأ.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٣٥٧)، والترمذي (١٥٩٧)، والنسائي (٧/ ١٤٩)، وابن ماجه (٢٨٧٤).

(٤) انظر التخريج السابق. (٥) رواه أحمد (٦/ ٣٥٧).

(٦) لوحة (٨٢ ب). (٧) رواه الطبري (٢٨/ ٨٠).

(٨) **ضعيف**: رواه أحمد (٦/ ٣٧٩)، وفيه سليط بن أيوب، قال الحافظ: مقبول.

[بنت سفيان][١] الخزاعية، والنَّبيُّ ﷺ يبايع النِّسوةَ ويقول: «**أُبَايِعُكُنَّ عَلَىٰ أَنْ لا تُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا، وَلا تَسْرِقْنَ، وَلا تَزْنِينَ، وَلا تَقْتُلْنَ أَوْلادَكُنَّ، وَلا تَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ تَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُنَّ وَأَرْجُلِكُنَّ، وَلا تَعْصِينَنِي فِي مَعْرُوفٍ**». [قالت: فأطرقن. فقال لهنَّ النَّبيُّ ﷺ][٢] : «**قُلْنَ: نَعَمْ فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ**». فَكُنَّ يقلن وأقول معهنَّ، وأمي [تُلقِّني: قولي][٣] أَيْ بُنَيَّةُ، نعم؛ [فيما استطعتُ][٤]. فكنت أقول كما يقلن[٥].

وقال البخاري: حدَّثنا [أبو][٦] مَعْمَرٍ، حدَّثنا عبد الوارث، حدَّثنا أيوب، عن حفصة بنت سيرين، عن أم عطية قالت: بَايَعْنَا رسولَ الله ﷺ، فقرأ علينا: ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ ونهانا عن النِّياحة، فقبضت امرأةٌ يدها، قالت: أسعدتْني[٧] فلانة أريد أن أَجْزِيَهَا. فما قال لها رسول الله ﷺ شيئًا، فانطلقت ورجعت فبايعها[٨].

ورواه مسلم. وفي رواية: «فما وَفَّىٰ منهنَّ امرأةٌ غيرَها، وغيرَ أمِّ سليم ابنة مِلْحان»[٩].

وللبخاري عن أم عطية قالت: أخذ علينا رسول الله ﷺ عند البيعة ألا ننوح، فما وَفَّت منَّا امرأة غيرَ خمسِ نسوةٍ: أمُّ سليم، وأمُّ العلاء، وابنةُ أبي سَبْرَة امرأة معاذ، وامرأتان، أو: ابنة أبي[١٠] سَبرة، وامرأة معاذ، وامرأة أخرىٰ[١١].

وقد كان رسول الله ﷺ يتعاهدُ النساءَ بهذه البيعة يوم العيد، كما قال البخاري:

حدَّثنا محمَّد بن عبد الرحيم، حدَّثنا هارون بن معروف، حدَّثنا عبد الله بن وهب، أخبرني ابن جُرَيج: أن الحسن بن مسلم أخبره، عن طاوس، عن ابن عبَّاس قال: شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسولِ الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فكلُّهُم يُصَلِّيها قبل الخطبة ثم يخطب بَعدُ، فنزل نبيُّ الله ﷺ، فكأنِّي أنظر إليه حين يُجلِّسُ الرِّجالَ بيده، ثم أقبل يَشقُّهم حتىٰ أتىٰ النِّساء مع بلالٍ، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ حتىٰ فرغ من الآية كلها، ثم قال حين فرغ: «**أَنْتُنَّ عَلَىٰ ذَلِكَ؟**». فقالت امرأةٌ واحدةٌ، ولم يجبه غيرها: نعم يا رسول الله -لا يدري الحسن من هي- قال: «**فَتَصَدَّقْنَ**»، قال: وبسط بلالٌ ثوبه فجعلن يُلْقِينَ الفَتَخَ[١٢] والخواتيم في ثوب بلال[١٣].

(١) سقط من (ز).
(٢) ليست في (ز)، وهي مثبتة في «المسند».
(٣) في (ز): (تقول)، والمثبت كما في «المسند».
(٤) سقط من (ز)، وهي مثبتة في «المسند».
(٥) صحيح لغيره: رواه أحمد (٦/ ٣٦٥)، وفيه عبد الرحمن بن عثمان: فيه مقال، لكن يشهد له الروايات السابقة، والله أعلم.
(٦) ليست في (ز)، والمثبت من «البخاري».
(٧) أي: عاونتها في النياحة.
(٨) رواه البخاري (٤٨٩٢)، ومسلم (٩٣٦).
(٩) مسلم (٩٣٦).
(١٠) لوحة (٨٣ أ).
(١١) رواه البخاري (١٣٠٦).
(١٢) الفَتَخ: واحدها فَتَخَة، وهي خواتيم كبار تلبس في الأيدي، وربما وضعت في أصابع الأرجل.
(١٣) رواه البخاري (٤٨٩٥).

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا خلف بن الوليد، حدَّثنا [ابن][(١)] عياش، عن سليمان بن سُليم، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: جاءت أميمة بنت رقيقة إلىٰ رسول الله ﷺ تبايعه علىٰ الإسلام، فقال: «أُبَايِعُكِ عَلَىٰ أَلَّا تُشْرِكِي بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقِي، وَلَا تَزْنِي، وَلَا تَقْتُلِي وَلَدَكِ، وَلَا تَأْتِي بِبُهْتَانٍ تَفْتَرِينَهُ بَيْنَ يَدَيْكِ وَرِجْلَيْكِ، وَلَا تَنُوحِي، وَلَا تَبَرَّجِي تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ»[(٢)].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا سفيان، عن الزهري، عن أبي إدريس الخَوْلاني، عن عبادة بن الصامت قال: كنا عند رسول الله ﷺ في مجلسٍ فقال: «تُبَايِعُونِي عَلَىٰ أَلَّا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ -قرأ الآية التي أخذت علىٰ النساء ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾- فَمَنْ وَفَّىٰ مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَىٰ اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ، فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَهُوَ إِلَىٰ اللهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ». أخرجاه في «الصحيحين»[(٣)].

وقال محمَّد بن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب، عن مرثد بن عبد الله اليَزني عن أبي عبد الله[(٤)] عبد الرحمن بن عُسَيلة الصُّنابحي[(٥)]، عن عبادة بن الصَّامت قال: كُنْتُ فيمن حضر العقبة الأولىٰ، وكنَّا اثنَيْ عشرَ رجلًا فبايعنا رسول الله ﷺ علىٰ بَيْعَةِ النِّساء، وذلك قبل أن يفرض الحرب، علىٰ ألا نشرك بالله شيئًا، ولا نسرق، ولا نَزْني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتانٍ نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروفٍ، وقال: «فَإِنْ وَفَّيْتُمْ فَلَكُمُ الجَنَّةُ»[(٦)] رواه ابن أبي حاتم.

وقد روىٰ ابن جرير من طريق العَوْفي، عن ابن عبَّاس: أنَّ رسول الله ﷺ أمر عمر بن الخطاب فقال: «قُلْ لَهُنَّ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ يُبَايِعُكُنَّ عَلَىٰ أَلَّا تُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا» -وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التي شقَّت بطن حمزة مُنكرة في النساء- فقالت: «إِنِّي إِنْ أَتَكَلَّمْ يَعْرِفْنِي، وَإِنْ عَرَفَنِي قَتَلَنِي». وإنَّما تنكَّرتُ فَرَقًا من رسول الله ﷺ، فسكت النِّسوة اللَّاتي مع هند[(٧)]، وأَبَيْنَ أن يتكلَّمن، فقالت هند وهي مُنَكَّرةٌ: كيف تقبل من النِّساء شيئًا لم تقبله من الرِّجال؟ ففطن إليها رسول الله وقال لعمر: «قُلْ لَهُنَّ: وَلَا تَسْرِقْنَ». قالت هند: والله إني لأُصِيبُ مِن أبي سفيان الهَنَات، ما أدري أيحلهن لي أم لا؟ قال أبو سفيان: ما أصبتِ مِن شيءٍ مضىٰ أو قد بقي، فهو لكِ حلالٌ، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها، فدعاها فأخذت بيده[(٨)]، فعاذت به، فقال: «أَنْتِ هِنْد؟». قالت: عفا الله عمَّا سلف، فصرف عنها رسول الله ﷺ فقال: «وَلَا يَزْنِينَ»، فقالت: يا رسول الله، وهل تزني الحرَّة؟ قال: «لَا وَاللهِ مَا تَزْنِي الحُرَّةُ». فقال:

---

(١) في (ز): (حدثنا عباس)، والمثبت هو الصواب، وهو موافق لما في «المسند».
(٢) حسن: رواه أحمد (٢/ ١٩٦) بإسناد حسن، ويشهد له ما تقدم من الأحاديث السابقة.
(٣) رواه البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٠٩).
(٤) لوحة (٨٣ ب).
(٥) في (ز): (الصالحي)، والمثبت هو الصواب كما في «التقريب».
(٦) حسن صحيح: إسناده حسن من أجل ابن إسحاق، ويشهد لصحته الرواية السابقة.
(٧) في (ز): (مع هذا).
(٨) في (ز): (فأخذت به)، والمثبت كما في «الطبري».

«وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ». قالت هند: أنت قتلتهم يوم بدر، فأنت وهم أبصر، قال: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ قال: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قال: منعهن أن يَنُحْنَ، وكان أهل الجاهلية يمزقن الثِّياب ويخدِشْنَ الوجوه، ويقطعن الشُّعور، ويدعون بالثبور، والثبور: الويل[١].

وهذا أثرٌ غريبٌ، وفي بعضه نكارة، والله أعلم؛ فإن أبا سفيان وامرأته لما أسلما لم يكن رسول الله ﷺ يخيفهما، بل أظهرا الصفاء والود له، وكذلك كان الأمر من جانبه ﷺ لهما.

وقال مقاتل بن حيان: أنزلت هذه الآية يوم الفتح، فبَايَعَ رسول الله ﷺ الرِّجال علىٰ الصَّفا، وعمر يبايع النِّساء تحتها عن رسول الله ﷺ فذكر بقيَّته كما تقدَّم وزاد: فلمَّا قال: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ قالت[٢] هند: رَبَّيْنَاهُم صغارًا فقتلتموهم كبارًا، فضحك عمر بن الخطاب حتىٰ استلقىٰ. رواه بن أبي حاتم[٣].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا نصر بن علي، حدَّثتني غبطة بنت [عمرو][٤]، حدثتني عمتي، عن جدَّتِها[٥] عن عائشة قالت: جاءت هند بنت عتبة إلىٰ رسول الله ﷺ لتبايعه، فنظر إلىٰ يدها فقال: «اذْهَبِي فَغَيِّرِي[٦] يَدَكِ». فذهبت فغيرتها [بحنَّاء، ثم][٧] جاءت فقال: «أُبَايِعُكِ عَلَىٰ أَلَّا تُشْرِكِي بِاللهِ شَيْئًا»، فبايعها وفي يدها سواران مِن ذهبٍ، فقالت: ما تقول في هذين السوارين؟ فقال: «جَمْرَتَانِ مِنْ جَمْرِ جَهَنَّمَ»[٨].

فقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ أي: من جاءك منهن يبايع علىٰ هذه الشروط فبايعها، ﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ﴾ أي: أموال الناس الأجانب، فأمَّا إذا كان الزَّوج مقصِّرًا في نفقتها، فلها أن تأكل من ماله بالمعروف، ما جرت به عادة أمثالها، وإن كان بغير علمه؛ عملًا بحديث هند بنت عتبة أنها قالت: يا رسول الله، إنَّ أبا سفيان رجلٌ شَحِيحٌ لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني، فهل عليَّ جناحٌ إن أخذت من ماله بغير علمه؟ فقال رسول الله ﷺ: «خُذِي مِنْ مَالِهِ بِالمَعْرُوفِ مَا يَكْفِيكِ وَيَكْفِي بَنِيكِ»[٩]. أخرجاه في «الصحيحين».

وقوله: ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ كقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٣٢]. وفي حديث سَمُرة ذكرُ عقوبة الزُّناة بالعذاب الأليم في نار الجحيم[١٠].

---

(١) ضعيف: رواه الطبري (٢٨/ ٧٨)، وفيه عطية العوفي: وهو شيعي مدلس، وانظر تعليق ابن كثير بعده.

(٢) لوحة (٨٤ أ).

(٣) إسناده مرسل: رواه ابن أبي حاتم (١٨٨٧٢).

(٤) في (ز): (غبطة بنت سليمان)، وكذا عند «ابن أبي حاتم»، والمثبت موافق لما في «سنن أبي داود»، وهو الصواب.

(٥) في (ز): (حدثني عمي عن جدي)، والمثبت من «أبي داود».

(٦) في (ز): (اذهبي معه بريدك).

(٧) ليست في (ز).

(٨) ضعيف: رواه ابن أبي حاتم (١٨٨٧٣)، وهو عند أبي داود (٤١٦٥)، وغبطة بنت عمرو: مقبولة، والحديث ضعفه الشيخ الألباني.

(٩) رواه البخاري (٢٢١١)، ومسلم (١٧١٤).

(١٠) رواه البخاري (٧٠٤٧).

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا عبد الرزاق، أخبرنا مَعْمَرٌ، عن الزهري، عن عُرْوة، عن عائشة قالت: جاءت فاطمة بنت عتبة تبايع رسول الله ﷺ فأخذ عليها: ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ﴾ الآية، قالت: فوضعت يدها على رَأْسِهَا حياءً، فأعجبه ما رأى مِنْهَا، فقالت عائشة: أَقِرِّي أيتها المرأة، فوالله ما بايعنا إلا على هذا، قالت: فنعم إذًا، فبايعها بالآية[١].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيدٍ الأشج، حدَّثنا ابن فضيل، عن حصين، عن عامر -هو الشعبي- قال: بايع رسول الله ﷺ النساء، وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه، ثم قال: «وَلَا تَقْتُلْنَ أَوْلَادَكُنَّ». فقالت امرأةٌ: تقتل آباءهم وتوصِّينا بأولادهم؟ قال: وكان بعد ذلك إذا جاءت النِّساء يُبَايِعْنَهُ، جمعهن فعرض عليهنَّ، فإذا أقررن رجعن[٢].

وقوله: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ وهذا يشمل قتله بعد[٣] وجوده، كما كان أهل الجاهليَّة يقتلون أولادهم خشية الإملاق، ويعم قتله وهو جنين، كما قد[٤] يفعله بعض الجهلة من النِّساء، تطرح نفسها؛ لئلَّا تحبل إمَّا لغرضٍ فاسدٍ أو ما أشبهه.

وقوله: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ قال ابن عبَّاس: يعني لا يُلْحِقْنَ بأزواجهن غيرَ أولادهم. وكذا قال مقاتل.

ويؤيِّد هذا الحديثُ الذي رواه أبو داود: حدَّثنا أحمد بن صالح، حدَّثنا ابن وهب، حدَّثنا عمرو - يعني: ابن الحارث- عن ابن الهاد، عن عبد الله بن يونس، عن سعيد المَقْبُري، عن أبي هريرة أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول حين نزلت آية الملاعنة: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَدْخَلَتْ عَلَىٰ قَوْمٍ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ، فَلَيْسَتْ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ، وَلَنْ يُدْخِلَهَا اللهُ جَنَّتَهُ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ جَحَدَ وَلَدَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، احْتَجَبَ اللهُ مِنْهُ، وَفَضَحَهُ عَلَىٰ رُءُوسِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ»[٥].

وقوله: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ يعني: فيما أمرتهن به من معروفٍ، ونهيتهن عنه من منكر.

قال البخاري: حدَّثنا عبد الله بن محمَّد، حدَّثنا وهب بن جرير، حدَّثنا أبي قال: سمعت الزبير، عن عِكْرِمة، عن ابن عبَّاسٍ في قوله: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قال: إنَّما هو شرط شَرَطه الله للنِّساء[٦].

وقال ميمون بن مِهْرَان: لم يجعل الله لنبيِّه طاعةً إلا لمعروفٍ، والمعروف: طاعة.

وقال ابن زيد: أمر الله بطاعة رسوله، وهو خِيرة الله من خلقه، في المعروف. وقد قال غيره عن ابن عبَّاس، وأنس بن مالك، وسالم بن أبي الجَعْدِ، وأبي صالح، وغير واحدٍ: نهاهن يومئذٍ عن النوح. وقد تقدم حديث أم عطية في ذلك أيضًا.

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٦/ ١٥١).
(٢) ضعيف: إسناده مرسل.
(٣) في (ز): (قبل وجوده).
(٤) لوحة (٨٤ ب).
(٥) ضعيف: رواه أبو داود (٢٢٦٢)، وفيه عبد الله بن يونس: مجهول.
(٦) رواه البخاري (١٨٩٣).

وقال ابن جرير: حدَّثنا بشر، حدَّثنا يزيد، حدَّثنا سعيد، عن قتادة في هذه الآية: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ أخذ عليهنَّ النِّياحة، ولا تحدثن الرِّجال إلا رجلًا منكنَّ محرمًا، فقال عبد الرحمن بن عوف: يا نبي الله، إن لنا أضيافًا، وإنا نغيب عن نسائنا، فقال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ أُولَئِكَ عَنَيْتُ، لَيْسَ أُولَئِكَ عَنَيْتُ**»[(١)].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرْعَةَ، حدَّثنا إبراهيم بن موسىٰ الفرَّاء، أخبرنا ابن أبي زائدة، حدثني مبارك، عن الحسن قال: كان فيما أخذ النَّبيُّ ﷺ: «**أَلَّا تُحَدِّثْنَ الرِّجَالَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ ذَاتَ مَحْرَمٍ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ يُحَدِّثُ المَرْأَةَ حَتَّىٰ يَمْذِيَ بَيْنَ فَخِذَيْهِ**»[(٢)].

وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن حميد، حدَّثنا هارون، عن عمرو، عن عاصم عن ابن سيرين، عن أمِّ عطية الأنصارية قالت: كان فيما اشتُرط علينا من المعروف حين بايعنا ألا ننوح، فقالت امرأة من بني فلان: إن بني فلانٍ أسعدوني، فلا حتىٰ أَجْزِيَهم، فانطلقت فأسعَدتَهم ثم جاءت فبايعت، قالت: فما وفَىٰ منهن غيرُها[(٣)]، وغيرُ أم سليم ابنة مِلْحان أم أنس بن مالك[(٤)].

وقد روىٰ البخاري[(٥)] هذا الحديث من طريق حفصة بنت سيرين، عن أم عطية نُسَيبة الأنصارية ﵂ وقد رُوي نحوُه من وجهٍ آخر أيضًا.

وقال ابن جرير: حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ، حدَّثنا أبو نُعَيمٍ، حدَّثنا عُمَر بن فَرُّوخ القَتَّات، حدثني مصعب بن نوح الأنصاري قال: أدركت عجوزًا لنا كانت فيمن بايع رسول الله ﷺ. قالت: فأتيته لأبايعه، فأخذ علينا فيما أخذ ألا تنُحْنَ، فقالت عجوز: يا رسول الله إن ناسًا قد كانوا أسعدوني علىٰ مصائب أصابتني، وأنهم قد أصابتهم مصيبةٌ، فأنَا أريد أُسْعِدُهم. قال: «**فَانْطَلِقِي فَكَافِئِيهِمْ**». فانطلقت فكافأتهم، ثم إنها أتته فبايعته، وقال: هو المعروف الذي قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾[(٦)].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدَّثنا القَعْنَبِيُّ، حدَّثنا الحجاج بن صفوان، عن أسيد بن [أبي][(٧)] أسيد البراد، عن امرأة من المبايعات قالت: كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ: أن لا نعصيه في معروفٍ: أن لا نَخمِشَ وجوهًا ولا ننشرَ شعرًا، ولا نشقَّ جيبًا، ولا ندعوَ ويلًا[(٨)].

وقال ابن جرير: حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ، حدَّثنا وَكِيعٌ، عن يزيد مولي الصهباء، عن شهر بن حَوشب، عن أم سلمة، عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قال: «**النَّوْح**»[(٩)].

---

(١) مرسل: رواه الطبري (٢٨/ ٧٨) وإسناده مرسل، وهو من أقسام الضعيف.

(٢) مرسل كسابقه: رواه ابن أبي حاتم (١٨٨٧٥). (٣) لوحة (٨٥ أ).

(٤) رواه الطبري (٢٨/ ٢٩)، وانظر ما بعده.

(٥) صحيح البخاري (٧٢١٥).

(٦) ضعيف: رواه الطبري (٢٨/ ٧٩)، وفيه مصعب بن نوح: مجهول.

(٧) سقط من (ز)، والصواب إثباتها.

(٨) صحيح: رواه ابن أبي حاتم (١٨٨٧٦)، وأبو داود (٣١٣١)، وصححه الشيخ الألباني.

(٩) ضعيف: رواه الطبري (٢٨/ ٨٠)، والترمذي (٣٣٠٤)، وابن ماجه (١٥٧٩)، وفيه شهر بن حوشب: كثير الإرسال والأوهام.

ورواه الترمذي في «التفسير»، عن عبد بن حُمَيدٍ، عن أبي نُعَيمٍ -وابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وكيع- كلاهما عن يزيد بن عبد الله الشيباني مولى الصهباء به، وقال الترمذي: حسنٌ غريبٌ.

وقال ابن جرير: حدَّثنا محمَّد بن سنان[1] القزاز، حدَّثنا إسحاق بن إدريس، حدَّثنا إسحاق بن عثمان أبو[2] يعقوب، حدثني إسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية، عن جدته أم عطية قالت: لما قدم رسول الله ﷺ جمع نساء الأنصار في بيت، ثم أرسل إلينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقام على الباب وسلم علينا، فرددن -أو: فرددنا عليه السلام، ثم قال: «أنا رُسولُ رسولِ الله ﷺ إليكنَّ». قالت: فقلنا: مرحبًا برسول الله وبرسول رسول الله، فقال: «تبايِعْنَ على ألا تشركن بالله شيئًا، ولا تَسْرِقْنَ ولا تَزْنِين؟» قالت: فقلنا: نعم، قالت: فمد يده من خارج الباب -أو: البيت- ومددنا أيدينا من داخل البيت، ثم قال: «اللَّهمَّ اشهد». قالت: وأمرنا في العيدين أن نخرج فيه الحُيَّض والعواتق، ولا جمعة علينا، ونهانا عن اتِّباع الجنائز، قال إسماعيل: فسألت جدتي عن قوله: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قالت: النِّياحة[3].

وفي «الصحيحين» من طريق الأعمش[4]، عن عبد الله بن مُرة، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ»**[5].

وفي «الصَّحيحين» أيضًا عن أبي موسى: أن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة، والحالقة، والشاقة[6][7].

وقال الحافظ أبو يعلى: حدَّثنا هُدْبَةُ بن خالد، حدَّثنا أبان بن يزيد، حدَّثنا يحيى بن [أبي][8] كثير: أن زيدًا حدثه: أن أبا سلام حدثه: أن أبا مالكٍ الأشعري حدَّثه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ»**. وقال: **«النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٍ مِنْ جَرَبٍ»**[9]. ورواه مسلم

---

(١) في (ز): (محمد بن يسار)، والمثبت موافق لما في «الطبري».

(٢) في (ز): (بن يعقوب)، وكذلك في مخطوط «الطبري»، وصوبه في ط: التركي (٢٢/ ٦٠١)، والمثبت هو الصواب من كتب الرجال.

(٣) **ضعيف**: رواه الطبري (٢٨/ ٨٠)، وفيه محمد بن سنان القزَّاز شيخ الطبري: ضعيف، وإسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية، قال الحافظ: مقبول.

(٤) لوحة (٨٥ ب).

(٥) رواه البخاري (١٢٩٧)، ومسلم (١٠٣).

(٦) **الصالقة**: التي ترفع صوتها عند المصيبة، **والحالقة**: التي تحلق شعرها عند المصيبة، **والشاقة**: التي تشق ثوبها عند المصيبة. «شرح مسلم».

(٧) رواه البخاري (١٢٩٦)، ومسلم (١٠٤).

(٨) ليست في (ز)، والصواب إثباتها.

(٩) رواه مسلم (٢٩٨٣)، وأبو يعلى (١٥٧٧).

في «صحيحه» منفردًا به من حديث أبان بن يزيد العطار به[١]. وعن أبي سعيدٍ: أن رسول الله ﷺ لعن النَّائحة والمستمعة. رواه أبو داود[٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾

ينهىٰ تبارك وتعالىٰ عن موالاة الكافرين في آخر «هذه السورة» كما نهىٰ عنها في أولها فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: اليهود، والنصارىٰ، وسائر الكفار، ممن غضب الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والإبعاد، فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء، وأخلَّاء، وقد يَئِسُوا من الآخرة؛ أي: من ثواب الآخرة ونَعِيمِهَا في حكم الله ﷻ. وقوله: ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ فيه قولان، أحدهما: كما يئس الكفار الأحياء من قراباتهم الذين في القبور أن يجتمعوا بِهِم بعد ذلك؛ لأنَّهم لا يعتقدون بعثًا ولا نشورًا، فقد انقطع رجاؤهم منهم فيما يعتقدونه.

قال العَوْفي، عن ابن عبَّاسٍ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ إلىٰ آخر السورة؛ يعني: من مات من الذين كفروا فقد يئس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم أو يبعثهم الله ﷻ.

وقال الحسن البصري: ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ قال: الكفارُ الأحياءُ قد يئسوا من الأموات.

وقال قتادة: كما يئس الكفار أن يرجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا، وكذا قال الضَّحَّاكُ. رواهن ابن جرير.

والقول الثاني[٣]: معناه: كما يئس الكفار الذين هم في القبور مِن كلِّ خيرٍ.

قال الأعمش، عن أبي الضُّحَىٰ، عن مسروق، عن ابن مسعود: ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ قال: كما يئس هذا الكافر إذا مات وعايَنَ ثوابه واطلع عليه. وهذا قول مجاهد، وعكرمة، ومقاتل، وابن زيد، والكلبي، ومنصور. وهو اختيار ابن جرير.

آخر تفسير سورة الممتحنة ولله الحمد والمنَّة.

---

(١) مسلم (٩٣٤)، وأحمد (٥/ ٣٤٢، ٣٤٣).
(٢) ضعيف: رواه أبو داود (٣١٢٨)، وفيه عطية العوفي: شيعي مدلس، والحسن بن عطية: ضعيف.
(٣) لوحة (٨٦ أ).

سُورَةُ الصَّفِّ

تفسير سورة الصف وهي [مدنية]

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: حدَّثنا يحيىٰ بن آدم، حدَّثنا ابن المبارك، عن الأوزاعي، عن يحيىٰ بن أبي كثيرٍ، عن أبي سلمة -وعن عطاء بن يسار، عن أبي سلمة، عن عبد الله بن سلام قال: تذاكرنا: أيُّكم يأتي رسول الله ﷺ فيسأله: أي الأعمال أحب إلىٰ الله؟ فلم يقم أحدٌ منَّا، فأرسل رسول الله ﷺ إلينا رجلًا فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة؛ يعني: سورة الصف كلها. هكذا رواه الإمام أحمد[١].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا العبَّاس بن الوليد بن مَزْيد البيروتي قراءة قال: أخبرني أبي، سمعت الأوزاعي، حدثني يحيىٰ بن أبي كثير، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن، حدثني عبد الله بن سلام. أنَّ أناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: لو أرسلنا إلىٰ رسول الله نسأله عن أحب الأعمال إلىٰ الله ﷻ؟ فلم يذهب إليه أحدٌ منا، وَهِبْنَا أن نسأله عن ذلك، قال: فدعا رسول الله ﷺ أولئك النَّفر رجلًا رجلًا حتىٰ جمعهم، ونزلت فيهم هذه السورة: «سبح» الصف، قال عبد الله بن سلام: فقرأها علينا رسول الله ﷺ كلها. [قال أبو سلمة: وقرأها علينا عبد الله بن سلام كلها][٢]، قال يحيىٰ بن أبي كثير وقرأها علينا أبو سلمة كلها، قال الأوزاعي: وقرأها علينا يحيىٰ بن أبي كثيرٍ [كلها][٣]، قال أبي: وقرأها علينا الأوزاعي كلها[٤].

وقد رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: حدَّثنا محمَّد بن كثير، عن الأوزاعي، عن يحيىٰ بن [أبي][٥] كثير، عن أبي سلمة، عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلم: أي الأعمال أحب إلىٰ الله ﷻ لعملناه، فأنزل الله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ قال عبد الله بن سلام: فقرأها علينا رسول الله ﷺ[٦]. قال أبو سلمة: فقرأها علينا ابن سلام. قال يحيىٰ: فقرأها علينا أبو سلمة. قال ابن كثير: فقرأها علينا الأوزاعي.

قال عبد الله: فقرأها علينا ابن كثير.

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٤٥٢).

(٢) ليست في (ز).

(٣) ليست في (ز).

(٤) رواه ابن أبي حاتم مختصرًا (١٨٨٨٠).

(٥) ليست في (ز)، والصواب إثباتها.

(٦) لوحة (٨٦ ب).

ثم قال الترمذي: وقد خولف محمَّد بن كثير في إسناد هذا الحديث عن الأوزاعي، فروىٰ ابن المبارك، عن الأوزاعي، عن يحيىٰ بن أبي كثير، عن هلال بن أبي ميمونة، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن سلام -أو: عن أبي سلمة، عن عبد الله بن سلام[١].

قلت: وهكذا رواه الإمام أحمد، عن يَعْمَر، عن ابن المبارك به.

قال الترمذي: وروىٰ الوليد بن مسلم هذا الحديث عن الأوزاعي، نحوَ روايةِ محمَّد بن كثير.

قلت: وكذا رواه الوليد بن يزيد، عن الأوزاعي، كما رواه ابن كثير.

قلت: وقد أخبرني بهذا الحديث الشيخ المسند أبو العبَّاس أحمد بن أبي طالب الحجار قراءة عليه وأنا أسمع، أخبرنا أبو المُنَجَّا عبد الله بن عُمَر بن اللَّتي أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسىٰ بن شُعَيب السَّجْزيُّ قال: أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن المظفر بن محمَّد بن داود الداودي، أخبرنا أبو محمَّد عبد الله بن أحمد بن حَمَّوَية السرَخْسِيُّ، أخبرنا عيسىٰ بن عُمَر بن عمران السمرقندي، أخبرنا الإمام الحافظ أبو محمَّد عبد الله بن عبد الرحمن الدارميّ بجميع مسنده أخبرنا محمَّد بن كثير، عن الأوزاعي... فذكر بإسناده مثله، وتسلسل لنا[٢] قراءتها إلىٰ شيخنا أبي العبَّاس الحجار، ولم يقرأها؛ لأنه كان أُمِّيًّا، وضاق الوقت عن تلقينها إيَّاه، ولكن أخبرني الحافظ الكبير أبو عبد الله محمَّد ابن أحمد بن عثمان الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: أخبرنا القاضي تقي الدِّين سليمان بن الشيخ أبي عمر، أخبرنا أبو المنُجَّا بن اللَّتي فذكره بإسناده، وتسلسل لي من طريقه وقرأها عليَّ بكمالها، ولله الحمد والمنَّة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ① يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ② كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ③ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ④﴾

تقدَّم الكلام علىٰ قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ غير مرةٍ، بما أغنىٰ عن إعادته.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾؟ إنكارٌ علىٰ مَن يَعِدُ عِدَةً، أو يقول قولًا لا يفي به، ولهذا استدلَّ بهذه الآية الكريمة [مَن ذهب][٣] مِن علماء السَّلَف إلىٰ أنَّه يجب الوفاء بالوعد مطلقًا، سواء ترتب عليه غُرم للموعود أم لا، واحتجوا أيضًا من السُّنَّة بما ثبت[٤] في «الصحيحين» أن

(١) «سنن الترمذي» (٣٣٦٢).
(٢) في (ز): (وتسلسل إليَّ).
(٣) ليست في (ز).
(٤) لوحة (٨٦ أ مكرر).

رسول الله ﷺ قال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»(١) وفي الحديث الآخر في «الصحيح»: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّىٰ يَدَعَهَا»(٢) -فذكر منهن إخلاف الوعد، وقد استقصينا الكلام علىٰ هذين الحديثين في أول «شرح البخاري»، ولله الحمد والمنَّة؛ ولهذا أكَّد الله تعالىٰ هذا الإنكار عليهم بقوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

وقد روىٰ الإمام أحمدُ وأبو داود، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: أتانا رسول الله ﷺ في بيتنا وأنا صبيٌّ قال: فذهبت لأخرج لألعب، فقالت أمي: يا عبد الله: تعالَ أُعْطِكَ، فقال لها رسول الله ﷺ: «وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ؟». قالت: تمرًا، فقال: «أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تَفْعَلِي كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ»(٣).

وذهب الإمام مالك رحمه الله، إلىٰ أنَّه إذا تعلَّق بالوعد غُرمٌ علىٰ الموعود وجب الوفاء به، كما لو قال لغيره: «تزوَّج ولك عليَّ كلَّ يومٍ كذا». فتزوجَ، وجب عليه أن يعطيه ما دام كذلك؛ لأنَّه تعلَّق به حقُّ آدميٍّ، وهو مبنيٌّ علىٰ المضايقة، وذهب الجمهور إلىٰ أنَّه لا يجب مطلقًا، وحملوا الآية علىٰ أنها نزلت حين تمنَّوْا فَرضِيَّة الجهاد عليهم، فلما فُرِضَ نكَلَ عنه بعضهم، كقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ [وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾] [النساء: ٧٧، ٧٨]. وقال تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ الآية [محمَّد: ٢٠] وهكذا هذه الآية معناها، كما قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاسٍ في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ قال: كان ناسٌ من المؤمنين قبل أن يُفرَضَ الجهاد يقولون: لَوَدِدْنا أن الله ﷻ دلَّنا علىٰ أحبِّ الأعمال إليه، فنعملَ به، فأخبر الله نَبيَّه أن أحب الأعمال إيمانٌ به(٤) لا شَكَّ فيه، وجهادُ أهلِ معصيته الَّذِين خالفوا الإيمان ولم يُقِرُّوا به. فلمَّا نزل الجهاد كره ذلك أناسٌ من المؤمنين، وشَقَّ عليهم(٥) أمره، فقال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾؟ وهذا اختيار ابن جرير.

---

(١) البخاري (٣٣/ ٢٦٨٢/ ٦٠٩٥)، ومسلم (٥٩). (٢) البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).
(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٩١)، وأحمد (٣/ ٤٤٧)، وصححه الشيخ الألباني لشواهده في «الصحيحة» (٧٤٨).
(٤) في (ز): (إيمان بالله). (٥) لوحة (٨٦ ب مكرر).

وقال مقاتل بن حَيَّانٍ: قال المؤمنون: لو نعلم أحبَّ الأعمال إلىٰ الله لعملنا به، فدلَّهم الله علىٰ أحب الأعمال إليه، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ فبيَّن لهم، فابتُلُوا يوم أحد بذلك، فولَّوْا عن النبيِّ ﷺ مدبرين، فأنزل الله في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾؟ وقال: «أَحَبُّكُمْ إِلَيَّ مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِي»[١].

ومنهم من يقول: أنزلت في شأن القتال، يقول الرجل: «قاتلت»، ولم يقاتل وطعنت ولم يطعن و «ضَرَبْتُ»، ولم يضرب و «صَبَرْتُ»، ولم يصبر.

وقال قتادة والضَّحَّاكُ: نزلت توبيخًا لقوم كانوا يقولون: «قَتَلْنَا، ضَرَبْنا، طَعَنَّا، وفعلنا». ولم يكونوا فعلوا ذلك.

وقال ابن يزيد: نزلت في قوم من المنافقين، كانوا يَعِدُون المسلمين النصرَ، ولا يَفُون لهم بذلك.

وقال مالك عن زيد بن أسلمَ: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾؟ قال: في الجهاد.

وقال ابن أبي نَجِيحٍ، عن مجاهد: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾، [فما بين ذلك:][٢] في نفرٍ من الأنصار، فيهم عبد الله بن رواحة، قالوا في مجلس: لو نعلم أيَّ الأعمال أحبُّ إلىٰ الله، لعملنا بها حتىٰ نموت، فأنزل الله هذا فيهم، فقال عبد الله بن رواحة: لا أبرح حبيسًا في سبيل الله حتىٰ أموت، فقُتل شهيدًا.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا فروة بن أبي المَغْراء، حدَّثنا علي بن مُسْهِرٍ عن داود بن أبي هند، عن أبي حرب بن أبي الأسود الدِّيلي عن أبيه قال: بعث أبو موسىٰ إلىٰ قراء أهل البصرة، فدخل عليه منهم ثلاثمائة رجلٍ، كلهم قد قرأ القرآن، فقال: أنتم قراء أهل البصرة وخيارهم، وقال: كنا نقرأ سورةً كنا نشبهها بإحدىٰ المسبحات، فأُنْسِيناها، غير أني قد حفظت منها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ فتكتب شهادة في أعناقكم، فتسألون عنها يوم القيامة[٣].

ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ فهذا إخبارٌ منه تعالىٰ بمحبَّةِ عباده المؤمنين إذا اصْطَفُّوا مواجهين لأَعْداءِ الله في حَوْمة الوغىٰ، يقاتلون في سبيل الله مَن كفر بالله؛ لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظَّاهر العالي علىٰ سائر الأديان.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا علي بن عبد الله، حدَّثنا هُشَيْمٌ، قال مُجالد أخبرنا عن أبي الودَّاك، عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ[٤]: «ثَلَاثَةٌ يَضْحَكُ اللهُ إِلَيْهِمْ: الرَّجُلُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ، وَالقَوْمُ إِذَا صَفُّوا لِلصَّلَاةِ، وَالقَوْمُ إِذَا صَفُّوا لِلْقِتَالِ»[٥].

---

(١) إسناده مرسل: لم يثبت في ذلك حديث ولا أثر إلا عن ابن عباس رواه الطبري (٢٨/ ٨٣-٨٤) وإسناده ضعيف.

(٢) بياض في (ز)، والمثبت من ط. «الشعب».

(٣) رواه ابن أبي حاتم (١٨٨٨١)، وإسناده حسن.

(٤) لوحة (٨٧ أ).

(٥) ضعيف: رواه أحمد (٣/ ٨٠)، وابن ماجه (٢٠٠)، وفيه مجالد بن سعيد: ليس بالقوي.

ورواه ابن ماجه من حديث مجالد، عن أبي الوَدَّاكِ جَبْرِ بن نَوْف به.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا أبو نُعَيم الفضل بن دُكَيْنٍ، حدَّثنا الأسود -يعني ابن شيبان- حدَّثني يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّيرِ قال: قال مُطَرِّفٌ: كان يبلغني عن أبي ذر حديث كنت أشتهي لقاءه، فلقيته فقلت: يا أبا ذر، كان يبلغني عنك حديث، فكنت أشتهي لقاءك، فقال: لله أبوك! فقد لقيت، فهات. فقلت: كان يبلغني عنك أنك تزعم أن رسول الله ﷺ حدَّثكم أن الله يحب ثلاثةً ويبغض ثلاثةً؟ قال: أجل، فلا إخالُني أكذب علىٰ خليلي ﷺ، قلت: فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله؟ قال: رجلٌ غزا في سبيل الله، خرج محتسبًا مجاهدًا فلقي العدو فقُتِل، وأنتم تجدونه في كتاب الله المنزل، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ وذكر الحديث(١).

هكذا أورد هذا الحديث من هذا الوجه بهذا السياق، وبهذا اللفظ واختصره، وقد أخرجه الترمذي والنسائي من حديث شعبة، عن منصور بن المعتمر، عن رِبْعِيِّ بن حِرَاشٍ، عن زيد بن ظَبْيانٍ، عن أبي ذرٍّ بأبسط من هذا السياق(٢) وأتم وقد أوردناه في موضعٍ آخر، ولله الحمد.

وعن كعب الأحبار أنه قال: يقول الله تعالىٰ لمحمَّدٍ ﷺ: «عبدي المتوكل المختار ليس بفَظٍّ ولا غَليظٍ ولا صَخَّابٍ في الأسواق، ولا يجزي بالسيئةِ السيئةَ، ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة، وهجرته بطابةَ، وملكه بالشام، وأمته الحَمَّادون يحمَدُون الله علىٰ كلِّ حالٍ، وفي كل منزلةٍ، لهم دَوِيٌّ كدوي النَّحل في جو السماء بالسَّحَر، يُوَضُّون أطرافهم، ويأتزرون علىٰ أنصافهم، صفهم في القتال مثل صفهم في الصلاة». ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ رُعاة الشمس، يُصَلُّونَ الصلاة حيث أدركتهم، ولو علىٰ ظهر [دابة](٣)»(٤) رواه بن أبي حاتم.

وقال سعيد بن جبير في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ لا يقاتل العدو إلا أن يُصَافَّهُم، وهذا تعليم من الله للمؤمنين، قال: وقوله: ﴿صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ مُلْتَصِقٌ بعضه في بعضٍ، من الصَّفِّ في القتال.

وقال مقاتل بن حيان: ملتصق(٥) بعضه إلىٰ بعض.

وقال ابن عبَّاس: ﴿صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ مُثبَّتٌ، لا يزول، ملصَقٌ بعضه ببعض.

وقال قتادة: ﴿صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ ألم ترَ إلىٰ صاحب البنيان، كيف لا يحب أن يختلف

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١٨٨٨٢)، وانظر ما بعده.

(٢) صحيح من هذا الطريق: فرجاله كلهم ثقات، وأما رواية الترمذي (٢٥٧٠، ٢٥٧١)، والنسائي (٣/ ٢٠٧) التي أشار إليها المصنف فإسنادها ضعيف، والعلة فيه زيد بن ظبيان؛ قال الحافظ: مقبول.

(٣) هذه الكلمة غير مقروءة في (ز).

(٤) رواه ابن أبي حاتم (١٨٨٨٣)، موقوفًا علىٰ كعب الأحبار.

(٥) لوحة (٨٧ ب).

بنيانه؟ فكذلك الله ﷻ [يحب أن لا][(١)] يختلف أمره، وإن الله صَفَّ المؤمنين في قتالهم وَصَفَّهُمْ في صلاتهم، فعليكم بأمر الله، فإنَّه عصمةٌ لمن أخذ به، أورد ذلك كله ابن أبي حاتم.

وقال ابن جرير: حدثني سعيد بن عَمرو السَّكُوني، حدَّثنا بَقِيَّة بن الوليد، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن يحيىٰ بن جابر الطائي، عن أبي بَحْرية قال: كانوا يكرهون القتال علىٰ الخيل، ويستحبون القتال علىٰ الأرض؛ لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ قال: وكان أبو بحرية يقول: إذا رأيتموني التفتُّ في الصف [فَجَئُوا][(٢)] في لَحيي[(٣)].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦﴾

يقول تعالىٰ مخبراً عن عبده ورسوله وكليمه موسىٰ بن عمران عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ أي: لم توصلون الأذىٰ إليَّ وأنتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرِّسالة؟. وفي هذا تسليةٌ لرسول الله ﷺ فيما أصاب من الكفَّار من قومه وغيرهم، وأمر له بالصبر؛ ولهذا قال: «رَحْمَةُ اللهِ عَلَىٰ مُوسَىٰ: لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»[(٤)] وفيه نهيٌ للمؤمنين أن ينالوا من النَّبيِّ ﷺ أو يُوصِّلوا إليه[(٥)] أذىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: فلما عدلوا عن اتِّباع الحق مع علمهم به، أزاغ الله قلوبهم عن الهدىٰ، وأسكنها الشَّكَّ والحيرة والخِذْلان، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠] وقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] ولهذا قال[(٦)] الله تعالىٰ في هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ يعني: التوراة قد بَشَّرت بي، وأنا مصداقُ ما أخبرت عنه، وأنا مُبَشِّرٌ بمن بعدي، وهو الرسول النَّبيُّ الأُمِّيُّ العربيُّ المكيُّ أحمد، فعيسىٰ عليه السلام وهو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملأ

---

(١) ليست في (ز)، ومكانها: (أن).

(٢) في (ز): (فجثوا)، والمثبت موافق لما في «الطبري»، ومعناه: دفع بجمع كفه في الصور أو العنق.

(٣) ضعيف: رواه الطبري (٢٨/ ٨٦)، وفيه بقية بن الوليد: مدلس، وأبو بكر بن أبي مريم: ضعيف، وكان قد سُرق بيته فاختلط.

(٤) البخاري (٤٣٣٥). (٥) في (ز): (أو يوصلوه). (٦) لوحة (٨٨ أ).

بني إسرائيل مبشرًا بمحمَّد، وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي لا رسالة بعده ولا نبوة، وما أحسنَ ما أورد البخاري الحديثَ الذي قال فيه:

حدَّثنا أبو اليَمَان، حدَّثنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرني محمَّد بن جُبَير بن مُطعم، عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِهِ الكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدَمِي، وَأَنَا العَاقِبُ»(١).

ورواه مسلم، من حديث الزهري، به نحوه.

وقال أبو داود الطيالسيُّ: حدَّثنا المسعودي، عن عمرو بن مُرَّة، عن أبي عُبَيدة، عن أبي موسىٰ قال: سَمَّىٰ لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماءً، منها ما حفظنا فقال: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَالحَاشِرُ، وَالمُقَفِّي، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَالتَّوْبَةِ، وَالمَلْحَمَةِ».

ورواه مسلم من حديث الأعمش، عن عمرو بن مُرَّة به(٢).

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

قال ابن عبَّاس: ما بعث الله نبيًّا إلا أخذ عليه العهد: لئن بعث محمَّد وهو حي ليتبعنه، وأخذ عليه أن يأخذ علىٰ أُمَّتِه لئن بُعِثَ محمَّدٌ وهم أحياء ليتبعُنَّهُ وينصرُنَّه.

وقال محمَّد بن إسحاق: حدثني ثور بن يَزيد، عن خالد بن مَعْدَانَ، عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا: يا رسول الله، أَخْبِرْنَا عن نفسك. قال: «دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَىٰ عِيسَىٰ، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ بُصْرَىٰ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ»(٣).

وهذا إسنادٌ جَيِّدٌ، ورُوي له شواهد من وجوهٍ أُخَرَ.

فقال الإمام أحمد:

حدَّثنا عبد الرحمن بن مهدي(٤)، حدَّثنا معاوية بن صالح، عن سعيد بن سُوَيد الكلبي، عن عبد الأعلىٰ بن هلال السلمي، عن العِرْبَاض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي عِنْدَ اللهِ لَخَاتَمُ

---

(١) البخاري (٤٨٩٦)، ومسلم (٢٣٥٤). (٢) مسلم (٢٣٥٥)، والطيالسي (٤٩٢) نحوه.

(٣) رواه ابن هشام في «السيرة» (١/ ١٠٧) ورجاله ثقات، وفيه خالد بن معدان: يرسل كثيرًا، ولكن للحديث شواهد تقويه، وصححه الألباني في «الصحيحة»، وانظر ما بعده.

(٤) لوحة (٨٨ ب).

النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنجَدِلٌ[1] فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَىٰ بِي، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ، وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ يَرَيْنَ»[2].

وقال أحمد أيضًا: حدَّثنا أبو النضر، حدَّثنا الفرج بن فَضَالة، حدَّثنا لقمان بن عامر قال: سمعت أبا أمامة قال: قلت: يا نبي الله، ما كان بَدْءُ أمرك؟ قال: «دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَىٰ عِيسَىٰ، وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ»[3].

وقال أحمد أيضًا: حدَّثنا حسن بن موسىٰ: سمعت حُدَيجًا أخا زهير بن معاوية، عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عتبة، عن عبد الله بن مسعود قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلىٰ النجاشي ونحن نحوٌ من ثمانين رجلًا منهم: عبد الله بن مسعود، وجعفر، وعبد الله بن [عُرْفُطة][4] وعثمان بن مظعون، وأبو موسىٰ. فأَتَوْا النجاشي، وبعثَت قريشٌ عمرَو بن العاص، وعمارة بن الوليد بهديةٍ، فلما دخلا علىٰ النَّجاشي سَجَدَا له، ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله، ثم قالا له: إن نفرًا من بني عمنا نزلوا أرضك، ورغبوا عنا وعن ملتنا، قال: فأين هم؟، قالا: هم في أرضك، فابعث إليهم، فبعث إليهم، فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم، فاتَّبعوه فسلَّم ولم يسجد، فقالوا له: ما لك لا تسجد للملك؟ قال: إنَّا لا نسجد إلا لله ﷻ. قال: وما ذاك؟ قال: إنَّ الله بعث إلينا رسوله، فأمرنا ألا نسجد لأحدٍ إلا لله ﷻ، وأمرنا بالصَّلاة والزَّكاة.

قال عمرو بن العاص: فإنَّهم يخالفونك في عيسىٰ ابن مريم، قال: ما تقولون في عيسىٰ ابن مريم وأمه؟ قالوا: نقول كما قال الله ﷻ: هو كلمة الله ورُوحُه ألقاها إلىٰ العَذْراء البَتُول[5]، التي لم يمسها بَشَرٌ ولم يَفْرِضْها[6] ولد، قال: فرفع عودًا من الأرض ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، والله ما يزيدون علىٰ الذي نقول فيه، ما يساوي هذا، مرحبًا بكم وبِمَنْ جئتم من عنده، أشهد أنَّه رسول الله، وأنَّه الذي نَجِدُ في الإنجيل، وأنَّه الذي بَشَّر به عيسىٰ ابن مريم، انزلوا حيث شئتم، وَالله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتىٰ أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه. وأمَرَ بهدية الآخَرين فردت[7] إليهما، ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتَّىٰ أدرك بدرًا، وزعم أن النَّبيَّ ﷺ استغفر له حين بلَغه موته[8] وقد رُويت

---

(١) أي: مُلْقًىٰ علىٰ الجَدَالة، وهي الأرض.

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٢٧)، وفيه سعيد بن سويد، قال البخاري: لا يتابَعُ في حديثه، وذكره ابن حبان في «الثقات».
وفي الإسناد أيضًا عبد الأعلىٰ بن هلال ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، لكن يشهد للحديث ما قبله وما بعده.

(٣) حسن صحيح: رواه أحمد (٥/ ٢٦٢)، وإسناده حسن، ويَرْقَىٰ للصحة لما تقدم، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة».

(٤) بياض في (ز)، والمثبت موافق لما في «المسند». (٥) البتول: المنقطعة عن الرجال، لاشهوة لها فيهم.

(٦) أي: لم يؤثر فيها، ولم يحزها. (٧) لوحة (٨٩ أ).

(٨) رواه أحمد (١/ ٤٦٠)، وفيه أبو إسحاق: مدلس وقد عنعن، وفيه حُديج بن معاوية: صدوق يخطئ.

هذه القصةُ عن جعفر وأم سلمة ﵄، وموضع ذلك كتاب «السيرة». والمقصد أن الأنبياء -عليهم السلام- لم تزل تَنْعَتُه وتحكيه في كتبها علىٰ أممها، وتأمرهم باتِّباعه ونصره وموازرته إذا بعث، وكان ما[1] اشتهر الأمر في أهل الأرض علىٰ لِسانِ إبراهيم الخليل والد الأنبياء بعده، حين دعا لأهل مكّة أن يبعث الله فيهم رسولًا منهم، وكذا علىٰ لسان عيسىٰ ابن مريم؛ ولهذا قالوا: «أخبرنا عن بَدْء أمرك» يعني: في الأرض، قال: «دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ» أي: ظهر في أهل مكة أثرُ ذلك [والإرهاصُ][2] بذكره صلوات الله وسلامه عليه.

وقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ قال ابن جُرَيج وابن جرير: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ أحمد، أي: المبشر به في الأعصار المتقادمة، المُنَوَّه بذكره في القرون السَّالفة، لمَّا ظهر أمره وجاء بالبينات قال الكفرة والمخالفون: ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾

يقول تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ أي: لا أحد أظلم ممن يفتري الكذب علىٰ الله ويجعل له أندادًا وشركاءَ، وهو يُدْعَىٰ إلىٰ التَّوحيد والإخلاص؛ ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ثم قال: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: يحاولون أن يَرُدُّوا الحق بالبَاطل، ومثلهم في ذَلِكَ كمثل [مَن يُرِيدُ أن][3] يُطفِئَ شعاع الشَّمس بفِيهِ، وكما أنَّ هذا مستحيلٌ كذلك ذاكَ مستحيلٌ؛ ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ وقد تقدَّم الكلام علىٰ هاتين الآيتين في سورة «براءة»، بما فيه كفاية، ولله الحمد والمنَّة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ[4] وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

تقدَّم في حديث عبد الله بن سلام أن الصحابة ﵃ أرادوا أن يسألوا عن أحب الأعمال إلىٰ الله ﷿ ليفعلوه، فأنزل الله هذه السورة، ومن جملتها هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ثم فسر هذه

---

(١) كذا في (ز) وفي المطبوع أيضًا، ولعل ابن كثير ﵀ يقصد أن يقول: وكان أول ما اشتهر الأمر؛ أي: أول اشتهار أمر النبي ﷺ.
(٢) بياض في (ز)، والمثبت من ط «الشعب». (٣) ليست في (ز). (٤) لوحة (٨٩ ب).

التجارة العظيمة التي لا تبور، والتي هي محصِّلَة للمقصود ومُزِيلة للمحذور فقال: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: مِن تجارة الدُّنيا، والكدِّ لها والتَّصدِّي لها وحدها.

ثم قال: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي: إن فعلتم ما أمرتكم به ودَلَلْتُكُم عليه، غفرت لكم الزلات، وأدخلتكم الجنَّات، والمساكن الطيِّبات، والدَّرجات العاليات؛ ولهذا قال: ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

ثم قال: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ [أي: وأزيدكم علىٰ ذلك زيادة تحبونها،](١) وهي: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ أي: إذا قاتلتم في سبيله ونصرتم دينه، تكفل الله بنصركم، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمَّد: ٧] وقال تعالىٰ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠] وقوله ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ أي: عاجل فهٰذِه الزِّيادة هي خير الدُّنيا موصول بنعيم الآخرة، لمن أطاع الله ورسوله، ونصر الله ودينه؛ ولهذا قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ(٢) فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ (١٤)﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده المُؤْمِنين أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم، بأقوالهم، وأفعالهم، وأنفسهم، وأموالهم، وأن يستجيبوا لله ولرسوله، كما استجاب الحواريون لِعيسَىٰ حين قال: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؟ أي: مُعِينِيَّ في الدعوة إلىٰ الله ﷻ؟ ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ -وهم أتباع عيسىٰ عليه السلام(٣)-: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أي: نحن أنصارك علىٰ ما أُرسِلتَ به ومُوَازِروك علىٰ ذلك؛ ولهذا بعثهم دعاةً إلىٰ الناسِ في بلادِ الشَّام في الإسرائيليين واليونانيين. وهكذا كان رسول الله ﷺ يقول في أيام الحج: «مَنْ رَجُلٌ يُؤْوِينِي حَتَّىٰ أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي، [فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي](٤)»(٥) حتىٰ قيَّض الله ﷻ له الأوس والخزرج من أهل المدينة، فبايعوه ووازروه، وشارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر

---

(١) سقط من (ز).

(٢) قال الشيخ القاسمي رحمه الله: ليس التشبيه علىٰ ظاهره، من تشبيه كون المؤمنين أنصار الله بقول عيسىٰ عليه السلام، إذ لا وجه لتشبيه الكون بالقول، بل هو مؤول بجعل التشبيه باعتبار المعنىٰ، إما علىٰ تقدير: قل لهم، كما قال عيسىٰ عليه السلام؛ لظهوره فيه، وانصباب الكلام إليه، أو تقدير: كونوا أنصار الله، كما كان الحواريون حين قال لهم عيسىٰ عليه السلام: من أنصاري إلىٰ الله؟

(٣) لوحة (٩٠ أ). (٤) سقط من (ز).

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٦)، وابن ماجه (٢٠١)، وأحمد (٣/ ٣٢٢)، وصححه الألباني، وسبق في تفسير سورة آل عمران الآية (٥٢-٥٤).

إن هو هاجر إليهم، فلما هاجر إليهم بمَن معه من أصحابه وَفَوا له بما عاهدوا الله عليه؛ ولهذا سماهم الله ورسوله: الأنصار، وصار ذلك عَلَمًا عليهم رضي الله عنهم وأرضاهم، وقوله: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ أي: لما بلَّغ عيسىٰ ابن مريم عليه السلام رسالة رَبِّه إلىٰ قومه، ووازره مَن وازره من الحواريين، اهتدت طائفةٌ من بني إسرائيل بما جاءهم به، وضَلَّت طائفةٌ فخرجت عمَّا جاءهم بِهِ، وجحدوا نبوَّته، ورَمَوْه وأُمَّه بالعظائم، وهم اليهود -عليهم لعائن الله المتتابعة إلىٰ يوم القيامة- وغَلَتْ فيه طائفةٌ ممن اتبعه، حتىٰ رفعوه فوق ما أعطاه الله من النُّبوَّة، وافترقوا فِرَقًا وشِيَعًا، فمن قائلٍ منهم: إنه ابن الله، وقائل: إنه ثالث ثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس، ومن قائلٍ: إنه الله، وكل هذه الأقوالِ مفصلةٌ في سورة النساء.

وقوله: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ أي: نصرناهم علىٰ من عَادَاهُم من فِرَق النصارىٰ، ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ أي: عليهم، وذلك ببعثة محمَّد ﷺ، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله.

حدثني أبو السائب، حدَّثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المِنْهالِ -يعني ابن عمرو- عن سعيد بن جُبَيرٍ، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: لما أراد الله عز وجل أن يرفع عيسىٰ إلىٰ السماء، خرج إلىٰ أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلًا من عين في البيت، ورأسه يقطر ماءً، فقال: إن منكم من يكفر بي اثنتي عشر مَرَّةً بعد أن آمن بي، قال: ثم قال: أيكم يُلْقَىٰ عليه شبهي فيُقْتَل مكاني، ويكون معي في درجتي؟ قال: فقام شابٌّ من أَحْدَثِهم سنًّا، فقال: أنا، قال: فقال له: اجلس، ثم أعاد عليهم، فقام الشَّاب فقال: أنا، فقال له: اجلس، ثم عاد عليهم فقام الشاب، فقال: أنا، فقال: نعم، أنت ذاك، قال: فَأُلقِي عليه شبه عيسىٰ، ورُفع عيسىٰ عليه السلام من روزَنةٍ في البيت إلىٰ السماء، قال: وجاء الطَّلَبُ من اليهود، فأخذوا شِبهَه فقتلوه[1] وصلبوه، وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرَّة بعد أن آمن به، فتفرقوا فيه ثلاث فرقٍ، فقالت فرقة: كان الله فينا ما شاء، ثم صعِدَ إلىٰ السماء، وهؤلاء اليعقوبيَّة. وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء، ثم رفعه إليه وهؤلاء النسطوريَّة، وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه إليه، وهؤلاء المسلمون فتَظَاهَرتِ الكافرتان علىٰ المسلمة، فقتلوها، فلم يزل الإسلام طامسًا حتىٰ بعث الله محمَّدًا ﷺ ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ يعني: الطائفة التي كفرتِ من بني إسرائيل في زمن عيسىٰ، والطائفة التي آمنت في زمن عيسىٰ، ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ بإظهار محمَّد ﷺ دينهم علىٰ دين الكفار ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾[2].

---

(١) لوحة (٩٠ ب).

(٢) رواه الطبري (٢٨/ ٩٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٥٩١)، وإسناده صحيح، وسبق عند تفسير سورة النساء الآية (١٥٥-١٥٩).

هذا لفظه في كتابه عند تفسير هذه الآية الكريمة. وهكذا رواه النَّسائي عند تفسير هذه الآية من «سننه»، عن أبي كُرَيْبٍ عن محمَّد بن العلاء، عن أبي معاوية، بمثله سواء.

فأمة محمَّد ﷺ لا يزالون ظاهرين علىٰ الحق، حتىٰ يأتي أمر الله وهم كذلك، وحتىٰ يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما وردت بذلك الأحاديث الصِّحاح، والله أعلم.

[آخر تفسير سورة الصف، ولله الحمد والمنة](١).

---

(١) ليست في (ز).

سُورَةُ الجُمُعَةِ

تفسير سورة الجمعة وهي [مدنية]

عن ابن عبَّاس، وأبي هريرة: «أنَّ رسول الله ﷺ كان يقرأُ في صلاةِ الجُمُعَةِ بسورة الجُمُعَةِ والمنافقين». رواه مسلم في «صحيحه»[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ① هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ② وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ③ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ④﴾

يُخبِر تعالىٰ أنه يُسبِّح له ما في السموات وما في الأرض؛ أي: من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها، كما قال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤].

ثم قال: ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾ أي: هو مالك السموات والأرض المتصرف فيهما بحكمه، وهو ﴿الْقُدُّوسِ﴾ أي: المنزَّه عن النَّقائص، الموصوف بصفات الكَمال ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ تقدم تفسيره غير مرةٍ.

وقوله[2] تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ الأُمِّيُّون هم: العرب كما قال تعالىٰ: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣١٤] وتخصيص الأُمِّيِّين بالذِّكر لا ينفي من عداهم، ولكن المنَّة عليهم أبلغ وآكد، كما في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] وهو ذكر لغيرهم يتذكَّرُون به، وكذا قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] وهذا وأمثاله لا ينافي قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] وقوله: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] وقوله إخبارًا عن القرآن: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: ١٧]، إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلىٰ جميع الخلق أحمرهم وأسودهم، وقد قدمنا تفسير ذلك في سورة الأنعام، بالآيات والأحاديث الصحيحة، ولله الحمد والمنَّة.

---

(١) مسلم (٨٧٧، ٨٧٩).
(٢) لوحة (٩١ أ).

وهذه الآية هي مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم، حين دعا لأهل مكَّة أن يبعث الله فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آياته ويُزكِّيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فبعثه الله ﷻ وله الحمد والمنَّة علىٰ حين فَتْرةٍ من الرسل، وطمُوس من السبل، وقد اشتدت الحاجة إليه، وقد مَقَتَ اللهُ أهلَ الأرض عربَهُم وعَجَمَهُم، إلا بقايا من أهل الكتاب -أي: نزرًا يسيرًا- [ممن تمسك][1] بما بعث الله به عيسىٰ ابن مريم عليه السلام ولهذا قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ وذلك أنَّ العرب كانوا قديمًا متمسكين بدين إبراهيم الخليل عليه السلام فبدلوه وغيروه، وقلبوه وخالفوه، واستبدلوا بالتَّوحيد شركًا وباليقين شكًّا، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله، وكذلك أهل الكِتَابَيْنِ قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأوَّلوها، فبعث الله محمَّدًا -صلوات الله وسلامه عليه- بشرعٍ عظيمٍ كاملٍ شاملٍ لجميع الخلق، فيه هدايتهم، والبيان لجميع ما يحتاجون إليه مِن أمر معاشهم ومَعَادِهِم، والدَّعوة لهم إلىٰ ما يقربهم إلىٰ الجنَّة، ورضا الله عنهم، والنَّهي عمَّا يُقَرِّبهم إلىٰ النَّار وسَخَطِ الله، حاكمٌ فاصلٌ لجميع الشبهات والشُّكوك والرِّيَب، في الأصول والفروع، وجمَعَ له تعالىٰ -وله الحمد والمنَّة- جميع المحاسن ممن كان قبله، وأعطاه ما لم يُعطِ أحدًا من الأولين، ولا يعطيه أحدًا من الآخرين، فصلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلىٰ يوم الدين.

وقوله: ﴿وَءَاخَرِينَ[2] مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ قال الإمام أبو عبد الله البخاري رحمه الله:

حدَّثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدَّثنا سليمان بن بلال، عن ثور، عن أبي الغَيث، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنَّا جلوسًا عند النَّبيِّ ﷺ فأُنزلت عليه سورة الجمعة: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ قالوا: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعهم حتىٰ سئل ثلاثًا، وفينا سلمان الفارسي، فوضع رسول الله ﷺ يده علىٰ سلمان ثم قال: «لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ -أو: رَجُلٌ- مِنْ هَؤُلَاءِ»[3].

ورواه مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن جرير، من طرقٍ عن ثور بن زيد الدِّيلي عن سالم أبي الغيث، عن أبي هريرة به[4].

ففي هذا الحديث دليل علىٰ أنَّ هذه السورة مدنية، وعلىٰ عموم بعثته ﷺ إلىٰ جميع الناس؛ لأنَّه فسَّر قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ بفارس؛ ولهذا كتب كتبه إلىٰ فارس والرُّوم وغيرهم من الأمم، يدعوهم إلىٰ الله ﷻ وإلىٰ اتِّباع ما جاء به؛ ولهذا قال مجاهد وغير واحدٍ في قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ قال: هم الأعاجم، وكل من صدق النَّبيَّ ﷺ مِن غير العرب.

---

(١) بياض في (ز)، والمثبت من طبعة «الشعب».
(٢) لوحة (٩١ ب).
(٣) البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦).
(٤) مسلم (٢٥٤٦)، والترمذي (٣٣٠٧)، والطبري (٢٨/ ٩٦)، وابن أبي حاتم (١٨٨٩٠).

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا إبراهيم بن العلاء الزُّبَيْدي حدَّثنا الوليد بن مسلم، حدَّثنا أبو محمَّد عيسىٰ بن موسىٰ، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي أَصْلَابِ أَصْلَابِ أَصْلَابِ رِجَالٍ [مِنْ أَصْحَابِي رِجَالًا][1] وَنِسَاءً مِنْ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ» ثم قرأ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ يعني: بقيَّةَ مَنْ بَقِيَ من أمة محمَّد ﷺ[2].

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي: ذو العزة والحكمة في شرعه، وقدره.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ يعني: ما أعطاه الله محمَّدًا ﷺ من النُّبوَّة العظيمة، وما خصَّ به أمَّته من بعثته ﷺ إليهم.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ[3] ⁕٥⁕ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ⁕٦⁕ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ⁕٧⁕ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى[4] تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ⁕٨⁕﴾

يقول تعالىٰ ذامًّا لليهود الذين أُعطُوا التوراة وحُمِّلُوها للعمل بها، فلم يعملوا بها، مثلهم في ذلك كمثل الحِمَار يحملُ أسفارًا؛ أي: كمثل الحمار إذا حمل كتبًا لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملًا حسيًّا[5] ولا يدري ما عليه. وكذلك هؤلاء في حملِهم الكتابَ الذي أُوتُوه، حفظوه لفظًا ولم يفهموه ولا عملوا بِمُقْتَضَاه، بل أوَّلوه، وحرَّفوه وبدَّلوه فهم أسوأُ حالًا من الحمير؛ لأن الحمار لا فهمَ له، وهؤلاء لهم فهُومٌ لم يستعملوها؛ ولهذا قال في الآية الأخرىٰ: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ⁕١٧٩⁕﴾ [الأعراف: ١٧٩] وقال هاهنا: ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

---

(١) سقط من (ز)، وهو مثبت في «تفسير ابن أبي حاتم».

(٢) رواه ابن أبي حاتم (١٨٨٩١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٠٩)، والطبراني في «الكبير» (٦/ ٢٠١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٠٨): (إسناده جيد)، وصححه الألباني في «الظلال» (٣٠٩).

(٣) قال الشيخ أبو بكر الجزائري رحمه الله: قال بعض العلماء: أبطل الله ادعاء اليهود في ثلاث آياتٍ من هذه السورة، افتخروا بأنهم أولياء الله وأحباؤه فكذبهم قوله: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾ وبأنهم أهل الكتاب فشبههم بالحمار يحمل أسفارًا، وبالسبت فشرع الله للمسلمين الجمعة فلم يبقَ لهم ما يفخرون به علىٰ المسلمين.

أنشد بعضهم عائبًا بعض من يحمل رواية الحديث وهو لا يفهم المراد منها:

إن الـــرُّواةَ علـــىٰ جهـــلٍ بمـــا حَمَلُـــوا ... مثـــلُ الجِمَـــال عليهـــا يُحْمَـــل الـــوَدَعُ

لا الـــوَدَعُ ينفعـــه حمـــلُ الجِمَـــال لـــه ... ولا الجِمَـــالُ بحمـــل الـــوَدَعِ تنتفـــعُ

الوَدَعُ والواحدة ودعة: مناقيف صغار تخرج من قاع البحر.

(٤) لوحة (٩٢ أ). (٥) في (ز): (حقيقيًّا).

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا ابن نُمَيرٍ، عن مجالد، عن الشعبي، عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ، فَهُوَ كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا، وَالَّذِي يَقُولُ لَهُ: أَنْصِتْ، لَيْسَ لَهُ جُمُعَةٌ»(١).

ثم قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: إن كنتم تزعمون أنكم علىٰ هدًىٰ، وأنَّ محمَّدًا وأصحابه علىٰ ضلالةٍ، فادعوا بالمَوْت علىٰ الضَّالِّ مِن الفئتين ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما تزعمونه.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بما يعلمون لهم من الكفر، والظلم، والفجور ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وقد قدَّمنا في سورة «البقرة» الكلام علىٰ هذه المباهلة لليهود، حيث قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٩٤-٩٦] وقد أسلفنا الكلام هناك وبيَّنَّا أن المراد أن يدعوا علىٰ الضَّالِّ من أنفسهم أو خصومهم، كما تقدَّمت مباهلة النَّصارىٰ في آل عمران: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران:٦١] ومباهلة المشركين في سورة مريم: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ(٢) لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم:٧٥].

وقد قال الإمامُ أحمد: حدَّثنا إسماعيل بن يزيد الرَّقِّي أبو يزيد(٣)، حدَّثنا فرات، عن عبد الكريم بن مالك الجَزَري، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس قال: قال أبو جهل -لعنه الله-: إن رأيتُ محمَّدًا عند الكعبة لآتينَّه حتىٰ أطأ علىٰ عُنُقه، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لَوْ فَعَلَ لَأَخَذَتْهُ المَلَائِكَةُ عِيَانًا، وَلَوْ أَنَّ اليَهُودَ تَمَنَّوُا المَوْتَ لَمَاتُوا وَرَأَوْا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ، وَلَوْ خَرَجَ الَّذِينَ يُبَاهِلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَرَجَعُوا لَا يَجِدُونَ مَالًا وَلَا أَهْلًا»(٤).

رواه البخاريُّ والتِّرمذي، والنَّسائي، من حديث عبد الرزاق عن معمر، [عن عبد الكريم، به قال البخاري: «وتابعه عمرو](٥) بن خالد، عن عبيد الله بن عمرو، عن عبد الكريم». ورواه النسائي، أيضًا عن عبد الرحمن بن عبد الله الحلَبي، عن عبيد الله بن عمرو الرقي به أتم(٦).

---

(١) ضعيف: رواه أحمد (١/ ٢٣٠)، وفيه مجالد بن سعيد: ليس بالقوي. (٢) لوحة (٩٢ ب).

(٣) في (ز): (حدثنا أبو يزيد)، والمثبت موافق لما في «المسند»، وهو الصواب.

(٤) البخاري (٤٩٥٨)، وأحمد (١/ ٢٤٨)، والترمذي (٣٣٤٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٠٦١).

(٥) سقط من (ز).

(٦) صحيح: رواه البخاري (٤٩٥٨) تعليقًا، والترمذي (٣٣٤٨)، وأحمد (١/ ٢٤٨).

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ كقوله تعالىٰ في سورة النساء: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء:٧٨].

وفي «معجم الطبراني» من حديث معاذ بن محمَّد الهُذَلي، عن يونس، عن الحسن، عن سَمُرَةَ مرفوعًا: «مَثَلُ الَّذِي يَفِرُّ مِنَ المَوْتِ كَمَثَلِ الثَّعْلَبِ تَطْلُبُهُ الأَرْضُ بِدَيْنٍ، فَجَاءَ يَسْعَىٰ حَتَّىٰ إِذَا أَعْيَا وَانْبَهَرَ دَخَلَ جُحْرَهُ، فَقَالَتْ لَهُ الأَرْضُ: يَا ثَعْلَبُ دَيْنِي، فَخَرَجَ لَهُ حُصَاصٌ[1]، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّىٰ تَقَطَّعَتْ عُنُقُهُ، فَمَاتَ»[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾

إنَّما سُمِّيَتِ الجمعةُ جمعةً؛ لأنَّها مُشْتَقَّةٌ من الجمع، فإنَّ أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مَرَّةً بالمعابد الكبار وفيه كَمُلَ جميع الخلائق، فإنَّه اليوم السَّادس من السِّتَّة التي خلق الله فيها السَّموات والأرض، وفيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنَّة، وفيه أُخْرِجَ منها، وفيه تقوم الساعة. وفيه ساعةٌ لا يوافقها عبدٌ مؤمنٌ يسأل الله فيها خيرًا إلا أعطاه إياه، كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحاح.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا الحسن بن عرفة، حدَّثنا عَبِيدةُ بن حُمَيدٍ[3]، عن منصور، عن أبي مَعْشَرٍ، عن إبراهيم، عن علقمة، عن قَرْثَع الضَّبِّي، حدَّثنا سلمان قال: قال أبو القاسم ﷺ[4]: «يَا سَلْمَانُ، مَا يَوْمُ الجُمُعَةِ؟» قلت: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله ﷺ: «يَوْمٌ جُمِعَ فِيهِ أَبَوَاكَ، أَوْ: أَبُوكُمْ»[5]. وقد رُوي عن أبي هُريرة من كلامه نحو هذا، فالله أعلم.

---

(١) الحُصَاص: شدة العدو وحدته.

(٢) ضعيف: رواه الطبراني (٧/ ٢٦٨/ ٦٩٢٢)، والعُقَيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢٠٠)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٤٠٥)، وفي سماع الحسن لسمرة غيرَ حديث العقيقة خلاف بين العلماء، وهو مدلس وقد عنعن. انظر: «جامع التحصيل» (١/ ١٦٦)، وفي الإسناد معاذ بن محمد الهذلي أورده الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٤/ ١٣٢)، ونقل عن العقيلي قوله: لا يتابَعُ علىٰ رفع حديثه، وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، ومعاذ في حديثه وهم، ولا يتابع علىٰ رفعه وإنما هو موقوف علىٰ سمرة.

قلت: الموقوف: رواه العقيلي(٤/ ٢٠٠)، والرَّامَهُرْمُزِي في «الأمال» (ص١٠٠) وقال العقيلي: هذا أشبه من حديث معاذ وأولىٰ. انتهىٰ، ولكن الموقوف أيضًا ضعيف؛ ففيه إسحاق بن الربيع: فيه لين، وهو أيضًا من طريق الحسن عن سمرة.

(٣) في (ز): (عبيدة بن حماد)، وهو خطأ، وعبيدة بن حميد هو: ابن صهيب المعروف بالحذاء.

(٤) لوحة (٩٣ أ).

(٥) رواه أحمد (٥/ ٤٤٠)، وابن أبي حاتم (١٨٨٩٥)، والنسائي (٣/ ١٠٤)، ورجاله ثقات.

وقد كان يقال له في اللُّغة القديمة يوم العَرُوبة، وثبت أنَّ الأمم قبلنا أمروا به فَضَلُّوا عنه، واختار اليهود يوم السَّبت الذي لم يقع فيه خلق، واختار النَّصارىٰ يومَ الأحد الذي ابتدئ فيه الخلق، واختار الله لهذه الأمَّة [يوم] الجمعة الذي أكمل الله فيه الخَليقَةَ، كما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الرزاق، عن مَعْمَرٍ، عن همام بن مُنَبِّهٍ قال: هذا ما حدَّثنا أبو هُرَيرةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «**نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِمْ، فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللهُ لَهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ، اليَهُودُ غَدًا، وَالنَّصَارَىٰ بَعْدَ غَدٍ**»(١) لفظ البخاري.

وفي لفظ لمسلم: «**أَضَلَّ اللهُ عَنِ الجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَىٰ يَوْمُ الأَحَدِ، فَجَاءَ اللهُ بِنَا فَهَدَانَا اللهُ لِيَوْمِ الجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ القِيَامَةِ، نَحْنُ الآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالأَوَّلُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، المَقْضِيُّ بَيْنَهُمْ قَبْلَ الخَلَائِقِ**»(٢).

وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ أي: اقصِدُوا، واعمِدُوا، واهتَمُّوا في مَسيركم إليها، وليس المراد بالسَّعي هاهنا المشي السريع، وإنما هو الاهتمام بها، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ [الإسراء: ١٩] وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود ﵄ يقرآنها: «فَامْضُوا إلىٰ ذكر الله». فأما المشي السريع إلىٰ الصلاة فقد نُهِيَ عنه، لما أخرجاه في «الصحيحين»، عن أبي هُرَيرةَ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الإِقَامَةَ فَامْشُوا إِلَىٰ الصَّلَاةِ وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ وَالوَقَارُ، وَلَا تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا**»(٣). لفظ البخاري.

وعن أبي قتادة قال: بينما نحن نُصَلي مع النَّبيِّ ﷺ إذ سمع جَلَبَةَ رجالٍ، فلمَّا صلَّىٰ قال: «**مَا شَأْنُكُمْ؟**». قالوا: استعجلنا إلىٰ الصَّلاة، قال: «**فَلَا تَفْعَلُوا، إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ [فَامْشُوا]**(٤) **وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ والوقَارِ فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا**»(٥). أخرجاه.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا مَعْمَرٌ، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة، ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ، وَلَكِنِ ائْتُوهَا تَمْشُونَ، وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ وَالوَقَارُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ**(٦) **فَأَتِمُّوا**»(٧).

رواه التِّرمذي، من حديث عبد الرزاق كذلك وأخرجه من طريق يزيد بن زُرَيعٍ، عن معمر، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة بمثله(٨).

---

(١) البخاري (٧٠٣٦)، ومسلم (٨٥٥).
(٢) مسلم (٨٥٦).
(٣) البخاري (٦٣٦)، ومسلم (٦٠٢).
(٤) سقط من (ز).
(٥) البخاري (٦٣٥)، ومسلم (٦٠٣).
(٦) لوحة (٩٣ ب).
(٧) رواه عبد الرزاق (٣٤٠٤).
(٨) الترمذي (٣٢٧).

قال الحسن: أما والله ما هو بالسعي على الأقدام، ولقد نُهوا أن يأتوا الصَّلاة إلا وعليهم السَّكينَة والوقار، ولكن بالقلوب والنيَّة والخشوع.

وقال قتادة في قوله: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ يعني: أن تسعىٰ بقلبك وعملك، وهو المشي إليها، وكان يتأوَّلُ قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ [الصافات: ١٠٢] أي: المشي معه، روي عن محمَّد بن كعب، وزيد بن أسلم، وغيرهما نحو ذلك.

ويستحب لمَنْ جاء إلىٰ الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه إليها، لما ثبت في «الصحيحين» عن عبد الله بن عُمَر أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ»(١).

ولهما عن أبي سعيد ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: [«غُسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَىٰ كُلِّ مُحْتَلِمٍ»(٢). وعن أبي هُرَيرة، قال: قال رسول الله ﷺ:](٣) «حَقٌّ للهِ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، يَغْسِلُ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ»(٤). رواه مسلم.

وعن جابر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «عَلَىٰ كُلِّ رَجُلٍ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ غُسْلُ يَوْمٍ، وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ»(٥). رواه أحمد، والنسائي، وابن حبان.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا يحيىٰ بن آدم، حدَّثنا ابن المبارك، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن أوس بن أوس الثقفي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ غَسَّلَ وَاغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَىٰ وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنَ الإِمَامِ وَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ أَجْرُ سَنَةٍ، أَجْر صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا». وهذا الحديث له طرق وألفاظ، وقد أخرجه أهل السنن الأربعة وحَسَّنَهُ الترمذي(٦).

وعن أبي هُريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ(٧) الذِّكْرَ»(٨) [أخرجاه](٩).

---

(١) البخاري (٨٧٧)، ومسلم (٨٤٤).
(٢) البخاري (٨٧٩)، ومسلم (٨٤٦).
(٣) سقط من (ز).
(٤) مسلم (٨٤٩).
(٥) أحمد (٣/ ٣٠٤)، والنسائي (٣/ ٩٣)، ويشهد له ما تقدَّم.
(٦) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٩)، وأبو داود (٣٤٥)، والترمذي (٤٩٦)، والنسائي (٣/ ٩٥)، وابن ماجه (١٠٨٧)، وصححه الألباني.
(٧) لوحة (٩٤ أ).
(٨) البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠).
(٩) ليست في (ز).

ويستحب له أن يلبس أحسن ثيابه، ويتطيَّب ويتسوَّك، ويتنظَّف ويتطهَّر. وفي حديث أبي سعيد المتقدم: «**غُسْلُ يَوْمِ الجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَىٰ كُلِّ مُحْتَلِمٍ، وَالسِّوَاكُ، وَأَنْ يَمَسَّ مِنْ طِيبِ أَهْلِهِ**»(١).

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا يعقوب، حدَّثنا أبي، عن محمَّد بن إسحاق، حدثني محمَّد بن إبراهيم التيمي، عن عمران بن أبي يحيىٰ، عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبي أيوب الأنصاري: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَمَسَّ مِنْ طِيبِ [أَهْلِهِ] -إِنْ كَانَ عِنْدَهُ- وَلَبِسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّىٰ يَأْتِيَ المَسْجِدَ فَيَرْكَعَ -إِنْ بَدَا لَهُ- وَلَمْ يُؤْذِ أَحَدًا، ثُمَّ أَنْصَتَ إِذَا خَرَجَ إِمَامُهُ حَتَّىٰ يُصَلِّيَ، كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَىٰ**»(٢).

وفي «سنن أبي داود» وابن ماجه، عن عبد الله بن سلام ﷺ أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول علىٰ المنبر: «**مَا عَلَىٰ أَحَدِكُمْ لَوِ اشْتَرَىٰ ثَوْبَيْنِ لِيَوْمِ الجُمُعَةِ سِوَىٰ ثَوْبَيْ مِهْنَتِهِ**»(٣). وعن عائشة ﷺ: أن رسول الله ﷺ خطَب النَّاس يوم الجمعة، فرأىٰ عليهم ثياب النِّمار(٤)، فقال: «**مَا عَلَىٰ أَحَدِكُمْ إِنْ وَجَدَ سَعَةً أَنْ يَتَّخِذَ ثَوْبَيْنِ لِجُمُعَتِهِ، سِوَىٰ ثَوْبَيْ مِهْنَتِهِ**». رواه ابن ماجه(٥).

وقوله تعالىٰ: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ﴾ المراد بهذا النِّداء هو النِّداء الثَّاني الَّذي كان يُفْعَل بين يدي رسول الله ﷺ إذا خرج فجلس علىٰ المنبر، فإنَّه كان حينئذٍ يؤذن بين يديه، فهذا هو المراد، فأمَّا النِّداء الأوَّل الذي زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ فإنَّما كان هذا لكثرة النَّاس، كما رواه البخاري رَحِمَهُ اللهُ حيث قال:

حدَّثنا آدم -هو ابن أبي إياس- حدَّثنا ابن أبي ذئب، عن الزُّهري، عن السَّائب بن(٦) يزيد قال: كان النداء يوم الجمعة أولهُ إذا جلس الإمام علىٰ المنبر علىٰ عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر، فلمَّا كان عثمان وكَثُرَ(٧) النَّاس، زاد النِّداء الثَّاني علىٰ الزَّوْرَاء؛ يعني: يُؤَذَّن به علىٰ الدار التي تسمىٰ بالزوراء، وكانت أرفع دار بالمدينة، بقرب المسجد(٨).

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا أبو نعيم، حدَّثنا محمَّد بن راشد المكحولي، عن مكحول: أنَّ النِّداء كان في يوم الجمعة مؤذنٌ واحدٌ حين يخرج الإمام، ثم تُقام الصَّلاة، وذلك النِّداء الذي يحرم عنده البيع الشراء إذا نُودِي به، فأمر عثمان ﷺ أن ينادىٰ(٩) قبل خروج الإمام حتىٰ يجتمع النَّاس(١٠).

---

(١) متفق عليه: تقدم قريبًا. (٢) حسن صحيح: رواه أحمد (٥/ ٤٢٠).
(٣) صحيح: رواه أبو داود (١٠٧٨)، وابن ماجه (١٠٩٥) من حديث ابن سلام.
(٤) النمار: جمع نَمِرة، وهي: ثياب يلبسها الأعراب. (٥) رواه ابن ماجه (٨٩٩)، وانظر ما سبق.
(٦) في (ز): (السائب عن يزيد)، والمثبت هو الصواب.
(٧) في (ز): (كان عثمان بعد زمن وكثر الناس)، والمثبت كما في «الصحيحين».
(٨) البخاري (٩١٢). (٩) لوحة (٩٤ ب). (١٠) رواه ابن أبي حاتم (١٨٨٩٦).

وإنَّما يؤمر بحضور الجمعة [الرِّجال][١] الأحرار دون النِّساءِ والعبيدِ والصِّبيانِ، ويعذر المسافرُ والمريضُ، وقيِّمُ المريض، وما أشبه ذلك من الأعذار، كما هو مقرَّر في كتب الفروع.

وقوله: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ أي: اسعوا إلىٰ ذكر الله واتركوا البيع إذا نودي للصَّلاة: ولهذا اتَّفق العلماء [ﷺ] علىٰ تحريم البيع بعد النِّداء الثَّاني، واختلفوا: هل يصحُّ إذا تعاطاه متعاطٍ أم لا؟ علىٰ قولين، وظاهر الآية عدم الصِّحَّةِ كما هو مقرَّر في موضعه، والله أعلم.

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: ترككم البيع وإقبالكم إلىٰ ذكر الله وإلىٰ الصَّلاة خيرٌ لكم؛ أي: في الدُّنيا والآخرة إن كنتم تعلمون.

وقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ أي: فُرِغَ منها ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ لَمَّا حَجَر عليهم في التَّصرُّف بعد النِّداء وأمرهم بالاجتماع، أَذِنَ لهم بَعْدَ الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء مِن فضل الله، كما كان عِراك بن مالك ﷺ إذا صلَّىٰ الجمعة انصرف فوقف علىٰ باب المسجد، فقال: اللهم إني أجبتُ دعوتَك، وصليتُ فريضتَك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني مِن فضلك، وأنت خيرُ الرَّازقين، رواه ابن أبي حاتم[٢].

وروي عن بعض السَّلف أنَّه قال: مَن باع واشترىٰ في يوم الجمعة بعد الصَّلاة، بارك الله له سبعين مرَّة؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾.

وقوله: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: حال بيعكم وشرائكم، وأَخْذِكم وعَطائكم، اذكروا الله ذكرًا كثيرًا، ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدَّار الآخرة؛ ولهذا جاء في الحديث: «مَنْ دَخَلَ سُوقًا مِنَ الأَسْوَاقِ فَقَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، [لَهُ المُلْكُ][٣] وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كُتِبَتْ لَهُ أَلْفُ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَ عَنْهُ أَلْفُ أَلْفِ سَيِّئَةٍ»[٤].

وقال مجاهد: لا يكون العبد من الذَّاكرين الله كثيرًا، حتىٰ يذكر الله [قائمًا][٥] وقاعدًا ومضطجعًا.

﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾

يعاتب تبارك وتعالىٰ علىٰ ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلىٰ التِّجارة التي قدمت المدينة يومئذٍ، فقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ أي: علىٰ المنبر[٦] تخطب، هكذا ذكره غير واحدٍ من التابعين، منهم: أبو العالية، والحسن، وزيد بن أسلم، وقتادة.

---

(١) ليست في (ز). (٢) ابن أبي حاتم (١٨٨٩٧) بدون ذكر السند. (٣) ليست في (ز).

(٤) رواه الترمذي (٣٤٢٤)، وابن ماجه (٢٢٣٥)، وأحمد (١/ ٤٧)، والحاكم (١/ ٥٣٨) وصححه، وفيه عمرو بن دينار البصري الأعور: ليس بالقوي. ورواه الترمذي من طريق أخرىٰ (٣٤٢٨)، وفي إسناده أزهر بن سنان: ضعيف. والحديث حسنه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٥) ليست في (ز). (٦) لوحة (٩٥ أ).

وزعم مقاتل بن حيان: أن التجارة كانت لِدِحْيَة بن خليفة قبل أن يسلم، وكان معها طبل، فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله ﷺ قائمًا على المنبر إلا القليل منهم. وقد صَحَّ بذلك الخبر، فقال الإمام أحمد:

حدَّثنا ابن إدريس، عن حُصَينٍ، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر قال: قَدِمَتْ عِيرٌ المدينةَ، ورسول الله ﷺ يخطب، فخرج الناس وبقي اثنا عشر رجلًا فنزلت: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾(١). أخرجاه في «الصحيحين»، من حديث سالم به.

وقال الحافظ أبو يعلىٰ: حدَّثنا زكريا بن يحيىٰ، حدَّثنا هُشَيمٌ، عن حُصَينٍ، عن سالم بن أبي الجعد وأبي سفيان، عن جابر بن عبد الله قال: بينما النَّبيُّ ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقدمت عِيرٌ إلىٰ المدينة، فابتدرها أصحابُ رسول الله ﷺ، حتىٰ لم يبقَ مع رسول الله ﷺ إلا اثنا عشر رجلًا فقال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ تَتَابَعْتُمْ حَتَّىٰ لَمْ يَبْقَ مِنْكُمْ أَحَدٌ، لَسَالَ بِكُمُ الوَادِي نَارًا**» ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ وقال: كان في الاثني عشر الذين ثبَتُوا مع رسول الله ﷺ: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما(٢).

وفي قوله: ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ دليلٌ علىٰ أن الإمام يخطب يوم الجمعة قائمًا، وقد رَوَىٰ مسلم في «صحيحه» عن جابر بن سَمُرَةَ قال: كانت للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما، يقرأ القرآن ويذكر الناس(٣)، ولكن هاهنا شيء ينبغي أن يُعلَم وهو: أن هذه القصة قد قيل: إنها كانت لما كان رسول الله ﷺ يقدِّم الصلاة يوم الجمعة علىٰ الخطبة، كما رواه أبو داود في كتاب المراسيل: حدَّثنا محمود بن خالد، عن الوليد، أخبرني أبو معاذ بُكَير بن مَعروف، أنه سمع مُقَاتِلَ بن حَيَّان يقول: «كان رسول الله ﷺ يصلِّي يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين، حتىٰ إذا كان يومٌ والنَّبيُّ ﷺ يخطب، وقد صلَّىٰ الجمعة، فدخل رجلٌ فقال: إن دحيةَ بن خليفة قد قدمَ بتجارة؛ يعني: فانفضوا، ولم يَبْقَ معه إلا نفرٌ يسيرٌ»(٤).

وقوله: ﴿قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ﴾ أي: الذي عند الله من الثواب في الدار الآخرة ﴿خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾(٥) أي: لمن توكَّل عليه، وطلب الرِّزق في وقته.

آخر تفسير سورة الجمعة، ولله الحمد والمنة.

---

(١) رواه البخاري (٢٠٥٨)، ومسلم (٨٦٣).
(٢) رواه أبو يعلىٰ (١٩٧٩)، ورجاله ثقات غير أن هشيمًا مدلس وقد عنعن.
(٣) مسلم (٨٦٢). (٤) مرسل: رواه أبو داود في «المراسيل» (٦٢). (٥) لوحة (٩٥ ب).

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

تفسير سورة المنافقون وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤)﴾

يقول تعالىٰ مخبراً عن المنافقين: إنَّهم إنَّما يتفوَّهون بالإسلام إذا جاءوا النَّبيَّ ﷺ فأمَّا في باطنِ الأمر فَلَيْسُوا كذلك، بل علىٰ الضِّدِّ من ذلك؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ أي: إذا حَضَروا عندك واجهوك بذلك، وأظهروا لك ذلك، وليسوا كما يقولون: ولهذا اعترض بجملةٍ مخبرةٍ أنَّه رسول الله، فقال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾.

ثم قال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: فيما أخبروا به، وإن كان مطابقًا للخارج؛ لأنَّهم لم يكونوا يعتقدون صحَّة ما يقولون ولا صِدْقَه؛ ولهذا كذَّبهم بالنِّسبة إلىٰ اعتقادهم.

وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: اتَّقَوْا النَّاس بالأيمان الكاذبة والحَلْفات[١] الآثمة؛ لِيُصَدَّقُوا فيما يقولون، [فاغترَّ بهم مَن لا يعرف جليَّة أمرهم، فاعتقدوا أنَّهم مسلمون فربَّما اقْتَدىٰ بهم فيما يَفْعَلُون][٢] وصَدَّقَهم فيما يقولون، وهم مِن شأنهم أنَّهم كانوا في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خَبالًا فحَصَلَ بهذا القدر ضررٌ كبيرٌ علىٰ كثيرٍ من النَّاس ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ولهذا كان الضَّحَّاكُ بن مُزاحمٍ يقرؤها: «اتَّخَذُوا إِيمَانَهُمْ جُنَّةً»[٣] أي: تصديقهم الظَّاهر جُنَّةً؛ أي: تقيةً يتَّقون به القتل، والجمهور يقرؤها: ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾ جمع يمين.

---

(١) في (ز): (والحلفان).

(٢) ما بين المعكوفتين سقط من (ز).

(٣) شاذة: قَرَأَ (إِيمَانَهُمْ) الحَسَنُ، وَلَيْسَ فِي المُتَواتِرِ إِلَّا (أَيْمَانَهُمْ).

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [أي: إنَّما قُدِّر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلىٰ الكفران، واستبدالهم الضَّلالة بالهدىٰ ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾](١) أي: فلا يَصِلُ(٢) إلىٰ قلوبهم هدًىٰ، ولا يخلص إليها خير، فلا تَعِي ولا تهتدي.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ أي: كانوا أشكالًا حسنةً وذَوِي فصاحةٍ وألسنةٍ، إذا سمعهم السَّامع يُصْغِي إلىٰ قولهم لبلاغتهم، وهم مع ذلك في غاية الضَّعفِ والخَوَرِ والهلع والجَزَعِ والجُبْنِ؛ ولهذا قال: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: كلَّما وقع أمر أو كائنةٌ أو خوفٌ يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم، كما قال تعالىٰ: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٩] فهم جَهَامات(٣) وصُوَر بلا معاني، ولهذا قال: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف يُصرَفون عن الهُدىٰ إلىٰ الضَّلال.

وقد قال الإمام أحمد: حدَّثنا يزيد، حدَّثنا عبد الملك بن قُدامة الجُمَحي، عن إسحاق بن بكر بن أبي الفرات، عن سعيد بن أبي سعيد المَقْبُري. عن أبيه، عن أبي هريرة ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ لِلْمُنَافِقِينَ عَلَامَاتٍ يُعْرَفُونَ بِهَا: تَحِيَّتُهُمْ لَعْنَةٌ، وَطَعَامُهُمْ نُهْبَةٌ(٤)، وَغَنِيمَتُهُمْ غُلُولٌ، وَلا يَقْرَبُونَ المَسَاجِدَ إِلَّا هَجْرًا(٥) وَلا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا دُبْرًا(٦)، مُسْتَكْبِرِينَ لا يَأْلَفُونَ وَلا يُؤْلَفُونَ، خُشُبٌ بِاللَّيْلِ(٧)، صُخُبٌ بِالنَّهَارِ»(٨). وقال يزيد مرَّةً: سُخُبٌ بالنَّهار.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٦ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟

---

(١) ما بين المعكوفتين سقط من (ز). (٢) لوحة (٩٦ أ).

(٣) والجَهَام: السَّحابُ الذي لا ماءَ فيه، وقد استعمل في الذي لا خير فيه.

(٤) النُّهْبَة: ما يختلس.

(٥) أي: معرضين عنها، يقال: هجرت الشيء هَجْرًا، إذا تركته وأغفلته.

(٦) أي: آخر الوقت.

(٧) أي: إذا جَنَّ عليهم الليلُ سَقَطُوا نياماً كأنهم خُشُبٌ، فإذا أصْبحوا تَسَاخَبُوا علىٰ الدنيا شُحًّا وحِرصًا، والسَّخَب والصَّخَب: بمعنىٰ الصِّياح. «النهاية».

(٨) ضعيف: رواه أحمد (٢/ ٢٩٣)، والبزار (٨٤٤٤)، وأمالي ابن بشران (٣٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٧٠٢)، وفيه عبد الملك بن قدامة الجمحي، قال الحافظ: ضعيف، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١١٢): رواه أحمد، والبزار، وفيه عبد الملك بن قدامة الجمحي وثقه يحيىٰ بن معين وغيره، وضعفه الدارقطني وغيره.
قلت: وفي الإسناد أيضًا إسحاق بن بكر بن أبي الفراش: مجهول.

﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المنافقين -عليهم لعائن الله- أنَّهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ﴾ أي: صَدُّوا وأعرضوا عمَّا قيل لهم، استكبارًا عن ذلك، واحتقارًا لما قيل لهم ولهذا قال[1]: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ ثم جازاهم علىٰ ذلك فقال: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ كما قال في سورة «براءة» وقد تقدَّم الكلام علىٰ ذلك، وإيراد الأحاديث المرويَّة هنالك.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا ابنُ أبي عُمَرَ العَدَني قال: قال سفيان: ﴿لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ﴾ قال ابن أبي عمر: حوَّلَ سفيان وجهه علىٰ يمينه، ونظر بعينه شَزْرًا، ثم قال: هم هذا.

وقد ذكر غير واحدٍ من السلف أن هذا السِّياق كلَّه نزل في عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول كما سنورده قريبًا إن شاء الله تعالىٰ، وبه الثِّقة وعليه التكلان.

وقد قال محمَّد بن إسحاق في «السيرة»: ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة -يعني مَرْجعَه من أحد- وكان عبد الله بن أبي بن سلول -كما حدَّثني ابن شهاب الزهري- له مقام يَقُومه كلَّ جُمُعةٍ لا ينكر، شرفًا له من نفسه ومن قومه، وكان فيهم شريفًا، إذا جلس النَّبيُّ ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب النَّاس قام، فقال: أيها الناس، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم، أكرمكم الله به، وأعزَّكم به، فانصروه وعزِّروه، واسمعوا له وأطيعوا، ثم جلس، حتىٰ إذا صنع يوم أُحد ما صَنَع -يعني: مرجعه بثلث الجيش- ورجع النَّاس قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا: اجلس أي عدوَّ الله، لستَ لذلك بأهل، وقد صنعتَ ما صنعتَ، فخرج يتخطىٰ رقاب النَّاس وهو يقول: والله لكأنَّما قلتُ بَجْرًا[2]؛ أن قُمت أشدد أمره، فلَقِيَهُ رجالٌ من الأنصار بباب المسجد فقالوا: ويلك، ما لك؟ قال: قمتُ أشدد أمره، فوثب علي رجالٌ مِن أصحابه يجذبونني ويعنِّفونني، لكأنَّما قلت بَجْرًا، أن قمت أشدد أمره، قالوا: ويلك، ارجعْ يستغفرْ لك رسول الله ﷺ، فقال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي[3].

وقال قتادة والسُّدِّي: أنزلت هذه الآية في عبد الله بن أُبي، وذلك أنَّ غلامًا من قرابته انطلق إلىٰ رسول الله ﷺ فحدَّثه بحديثٍ عنه وأمرٍ شديدٍ، فدعاه رسول الله ﷺ، فإذا هو يحلف بالله ويتبرأ من

---

(١) لوحة (٩٦ ب).
(٢) أي: أمرًا عظيمًا.
(٣) مرسل: رواه ابن هشام في «السيرة» (٣/ ٦١٨).

ذلك، وأقبلت الأنصار علىٰ ذلك الغلام[١] فلاموه وعَذَموه[٢][٣] وأنزل الله فيه ما تسمعون، وقيل لعدو الله: لو أتيت رسول الله ﷺ؟ فجعل يلوي رأسه؛ أي: لست فاعلًا[٤].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا أبو الربيع الزهراني، حدَّثنا حماد بن زيد، حدَّثنا أيوب، عن سعيد بن جبير: أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل منزلًا لم يرتحل حتىٰ يصلِّي فيه، فلما كانت غزوة تبوك بلغه أنَّ عبدَ الله بن أبي بن سلول قال: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ فارتحل قبل أن ينزل آخر النهار، وقيل لعبد الله بن أبي: ائت النَّبيَّ ﷺ حتىٰ يستغفر لك. فأنزل الله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ﴾[٥].

وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلىٰ سعيد بن جبير. وقوله: إن ذلك كان في غزوة تبوك، فيه نظر، بل ليس بجيِّد؛ فإن عبد الله بن أبي بن سلول لم يكن ممَّن خرج في غزوة تبوك، بل رجع بطائفةٍ من الجيش، وإنَّما المشهور عند أصحاب المغازي والسير أن ذلك كان في غزوة المُرَيْسِيع، وهي غزوة بني المُصْطَلِق.

قال يونس بن بُكَيْرٍ، عن ابن إسحاق: حدَّثني محمَّد بن يحيىٰ بن حَبَّان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عُمَرَ بن قتادة، في قصة بني المُصْطَلِق: فبينا رسول الله مقيمٌ هناك، اقتتل علىٰ الماء جَهجاه بن سعيد الغِفَاري[٦] -وكان أجيرًا- لعمر بن الخطاب، وسنان بن وَبْر[٧] قال ابن إسحاق: فحدَّثني محمَّد بن يحيىٰ بن حَبَّان قال: ازدحما علىٰ الماء فاقتتلا فقال سنان: يا معشر الأنصار، وقال الجَهْجَاه: يا معشر المهاجرين -وزيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أبي- فلمَّا سمعها قال: قد ثاورُونا[٨] في بلادنا، والله ما مثلُنا وجلابيب قريش[٩] هذه إلا كما قال القائل: «سَمِّن كلبكَ يأكُلْك»، والله لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، ثم أقبل علىٰ مَن عنده مِن قومه وقال: هذا ما صنعتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أمَا والله لو كَفَفْتُم عنهم لتحولوا عنكم في بلادكم إلىٰ غيرها، فسمعها زيد بن أرقم، فذهب بها إلىٰ رسول الله ﷺ وهو غُلَيِّمٌ، وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأخبره الخبر، فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله مُرْ عَبَّاد بن بِشر[١٠] فليضرب عنقه، فقال ﷺ: «فَكَيْفَ إِذَا

---

(١) لوحة (٩٧ أ). (٢) في (ز): (وعرموه).

(٣) عذموه: أخذوه بألسنتهم ولاموه.

(٤) مرسل: رواه الطبري (٢٨/ ٧١)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٢٦).

(٥) مرسل: رواه ابن أبي حاتم (١٨٩٠٠) وإسناده مرسل؛ لأنه من رواية سعيد بن جبير وهو تابعي، وفي المتن نكارة؛ انظر تعليق الحافظ ابن كثير.

(٦) في (ز): (المغافري).

(٧) في (ز): (سنان بن يزيد)، والمثبت من «ابن هشام».

(٨) المثاورة: المواثبة.

(٩) جلابيب قريش: لَقَبٌ لَقَّبَ به المشركون من أسلم من المهاجرين، وأصل الجلابيب: الأُزُرُ الغِلاظ، كانوا يلتحفون بها، فلقبوهم بذلك.

(١٠) لوحة (٩٧ ب).

تَحَدَّثَ النَّاسُ -يَا عُمَرُ- أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ؟ لا وَلَكِنْ نَادِ يَا عُمَرُ فِي الرَّحِيلِ».

فلمَّا بلغ عبد الله بن أبي أنَّ ذلك قد بلغ رسولَ الله ﷺ، أتاه فاعتذر إليه، وحلف بالله ما قال ما قال عليه زيد بن أرقم، وكان عند قومه بمكان، فقالوا: يا رسول الله، عسىٰ أن يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل.

وراح رسول الله ﷺ مُهجِّرًا في ساعةٍ كان لا يروح فيها، فلَقِيَه أُسَيْد بن الحُضَيْر فسلم عليه بتحيَّة النُّبوَّة، ثم قال: والله لقد رُحتَ في ساعةٍ مُنكَرَةٍ ما كنت تروح فيها، فقال رسول الله ﷺ: «**أَمَا بَلَغَكَ مَا قَالَ صَاحِبُكَ ابْنُ أُبَيٍّ؟ زَعَمَ أَنَّهُ إِذَا قَدِمَ المَدِينَةَ سَيُخْرِجُ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ**»، قال: فأنت -يا رسول الله- العزيزُ وهو الذَّليل، ثم قال: يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وإنَّا لَنَنْظِمُ له الخرزَ لِنُتَوِّجه، فإنَّه ليرىٰ [أن][1] قد اسْتَلَبْتَه ملكًا.

فسار رسول الله ﷺ بالنَّاس حتىٰ أمسوا، وليلته حتىٰ أصبحوا، وصَدْرَ يومه حتىٰ اشتد الضُّحىٰ. ثم نزل بالنَّاس ليشغلهم عمَّا كان من الحديث، فلم يأمن الناس أن وجدوا مَس الأرض فناموا، ونزلت سورة المنافقين[2].

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو بكر بن إسحاق، أخبرنا بشر بن موسىٰ، حدَّثنا الحُميدي، حدَّثنا سفيان، حدَّثنا عمرو بن دينار، سمعت جابر بن عبد الله يقول: كنا مع رسول الله ﷺ في غَزَاةٍ فكَسَعَ[3] رجلٌ من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال الأنصاري: ياللأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال رسول الله ﷺ: «**مَا بَالُ دَعْوَىٰ الجَاهِلِيَّةِ؟ دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**»، وقال عبد الله بن أبي بن سلول، وقد فعلوها، والله لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، قال جابر: وكان الأنصار بالمدينةِ أكثر مِن المهاجرين حين قَدِمَ رسولُ الله ﷺ ثم كثر المهاجرون بعد ذلك، فقال عمر: دَعْنِي أضرب عنق هذا المنافق، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**دَعْهُ؛ لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**»[4].

ورواه الإمام أحمد عن حسين بن محمَّد المَرْوَزي، عن سفيان[5] بن عيينة، ورواه البخاري عن الحُمَيدي، ومسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره، عن سفيان به نحوه[6].

---

(١) ليست في (ز).

(٢) رواه ابن إسحاق في «السيرة» (٣/ ٧٥٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٥٢) والرواية مرسلة ولكن انظر ما بعده.

(٣) كَسَعَهُ: ضرب دبره.

(٤) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٥٣)، والحديث في «الصحيحين» كما سيذكر المصنف. انظر ما بعده.

(٥) لوحة (٩٨ أ).

(٦) البخاري (٤٩٠٧)، ومسلم (٢٥٨٤)، وأحمد (٣/ ٣٩٢).

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا محمَّد بن جعفر، حدَّثنا شعبة، عن الحكم، عن محمَّد بن كعب القُرَظي، عن زيد بن أرقم قال: كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فقال عبد الله بن أبي: لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذل، قال: فأتيت النَّبيَّ ﷺ فأخبرته، قال: فحلف عبد الله بن أبيٍّ أنَّه لم يكن شيء مِن ذلك، قال: فلامَنِي قومي وقالوا: ما أردتَ إلىٰ هذا؟ قال: فانطلقت فنمتُ كئيبًا حَزِينًا، قال: فأرسل إليَّ نبيُّ الله ﷺ فقال: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَنْزَلَ عُذْرَكَ وَصَدَّقَكَ». قال: فنزلت هذه الآية ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ حتىٰ بلغ: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾[(١)].

ورواه البخاري عند هذه الآية، عن آدم بن أبي إياس، عن شعبة ثم قال: «وقال ابن أبي زائدة، عن الأعمش، عن عمرو، عن ابن أبي ليلىٰ، عن زيد، عن النَّبيِّ ﷺ ورواه الترمذي والنسائي عندها أيضًا من حديث شعبة به»[(٢)].

طريق أخرىٰ عن زيد: قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدَّثنا يحيىٰ بن آدم، ويحيىٰ بن أبي بُكَيرٍ[(٣)] قال: حدَّثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق قال: سمعت زيد بن أرقم -وقال [ابن أبي بُكَير][(٤)] عن زيد بن أرقم- قال: خرجت مع عمِّي في غزاةٍ، فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول لأصحابه: لا تُنْفِقُوا علىٰ من عند رسول الله، ولئن رجعنا إلىٰ المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فذكرت ذلك لعَمِّي فذكره عَمِّي لرسول الله ﷺ فأرسل إلي رسول الله ﷺ فحدثته فأرسل إلىٰ عبد الله بن أُبَيٍّ بن سلول [وأصحابه][(٥)] فحلفوا ما قالوا: فكَذَبني رسول الله ﷺ وصَدَّقه، فأصابني هَمٌّ لم يصبني مثله قط، وجلست في البيت، فقال عَمِّي: ما أردت إلا أن كذَّبك[(٦)] رسول الله ﷺ ومَقَتَك، قال: حتىٰ أنزل الله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ قال: فبعث إليَّ رسول الله ﷺ فقرأها رسول الله عليَّ، ثم قال: «إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ»[(٧)].

ثم قال أحمد أيضًا: حدَّثنا حسن بن موسىٰ، حدَّثنا زهير، حدَّثنا أبو إسحاق: أنه سمع زيد بن أرقم يقول: خرجنا مع رسول الله[(٨)] ﷺ في سفر، فأصاب النَّاسَ شدةٌ، فقال عبد الله بن أبي لأصحابه: لا تُنْفِقُوا علىٰ مَن عند رسول الله حتىٰ ينفضوا مِن حولِهِ، وقال: لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٣٦٨) وانظر ما بعده.

(٢) رواه البخاري تعليقًا بعد الحديث (٤٩٠٢) ووصله النسائي (٢/ ٤٣١).

(٣) في (ز): (أبي بكر)، وهو خطأ.

(٤) في (ز): (أبو بكر).

(٥) ليست في (ز)، وهي مثبتة في «المسند».

(٦) في (ز): (يكذبك)، والمثبت كما في «المسند».

(٧) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٣١٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ٥٤)، والحاكم (٤/ ٥٤) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وفيه أبو سعد الأزدي مقبول، ولكن يشهد له ما تقدم.

(٨) لوحة (٩٨ ب).

الأذل، فأتيت النَّبيَّ ﷺ فأخبرته بذلك، فأرسل إلىٰ عبد الله بن أبي فسأله، فاجتهد يمينَه ما فعل، فقالوا: كذب زيد يا رسول الله، فوقع في نفسي مما قالوا، حتىٰ أنزل الله تصديقي: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ قال: ودعاهم رسول الله ﷺ ليستغفر لهم، فَلَوَّوْا رءوسهم. وقوله تعالىٰ: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ قال: كانوا رجالًا أجمل شيء[(١)].

وقد رواه البخاري ومسلم والنسائي، من حديث زهير ورواه البخاري أيضًا والترمذي من حديث إسرائيل، كلاهما عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السَّبيعيِّ الهَمْداني الكوفي، عن زيد به[(٢)].

طريق أخرىٰ عن زيد: قال أبو عيسىٰ الترمذي: حدَّثنا عبد بن حُمَيدٍ، حدَّثنا عبيد الله بن موسىٰ، عن إسرائيل، عن السُّدِّي، عن أبي سعد الأزدي قال: حدَّثنا زيد بن أرقم قال: غزونا مع رسول الله ﷺ وكان معنا أناسٌ من الأعراب، فكنا نَبتَدرُ الماء[(٣)]، وكان الأعراب يسبقوننا، يسبق الأعرابي أصحابه يملأ الحوض، ويجعل حوله حجارةً، ويجعل النِّطع[(٤)] عليه حتىٰ يجيء أصحابه، قال: فأتىٰ رجل من الأنصار الأعرابي، فأرخىٰ زِمَام ناقته لتشرب، فأبىٰ أن يدعه، فانتزع حجرًا ففاض الماء، فرفع الأعرابي خشبةً، فضرب بها رأس الأنصاري فشجَّه، فأتىٰ عبدَ الله بن أبيٍّ رأسَ المنافقين فأخبره، وكان من أصحابه، فغَضِبَ عبد الله بن أُبَيٍّ، ثم قال: لا تنفقوا علىٰ مَن عند رسول الله حتىٰ ينفضوا من حوله؛ يعني الأعراب، وكانوا يحضرون رسول الله ﷺ عند الطعام، فقال عبد الله لأصحابه: إذا انفضُّوا مِن عند محمَّدٍ فائتُوا محمَّدًا بالطعام، فليأكل هُو ومَن عنده، ثم قال لأصحابه: إذا رجعتُم إلىٰ المدينةِ فليخرج الأعزُّ منها الأذلَّ، قال زيد: وأنا رِدْفُ عَمِّي، فسمعت عبد الله فأخبرت عمي، فانطلق فأخبر رسول الله ﷺ، فأرسل إليه رسول الله، فحلف وجحد، قال: فصدقه رسول الله ﷺ وكذَّبَني، فجاء إليَّ عمي فقال: ما أردت [إلا][(٥)] أن مقتك رسول الله ﷺ[(٦)] وكذَّبكَ المسلمون، فوقع عليَّ مِن الغَمِّ ما لم يقع علىٰ أحدٍ قط، فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ في سفر وقد خَفَقْتُ برأسي[(٧)] من الهَمِّ، إذ أتاني رسول الله ﷺ فَعَرَكَ أذني، وضحك في وجهي، فما كان يسرني أن لي بها الخُلْدَ في [الدُّنيا][(٨)]، ثم إن أبا بكر لحقني وقال: ما قال لك رسول الله ﷺ قلت: ما قال ليٰ رسول الله شيئًا، غير أن عَرَكَ أذني وضحك في وجهي، فقال: أبشر، ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لأبي بكر، فلما أن أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين[(٩)].

---

(١) صحيح: أحمد (٤/ ٣٧٣).

(٢) رواه البخاري (٤٩٠٣)، ومسلم (٢٧٧٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٥٩٨).

(٣) أي: نسارع إليه. (٤) النِّطع: بساط من الجلد. (٥) سقط من (ز).

(٦) لوحة (٩٩ أ). (٧) أي: نكسته من شدة الهم. (٨) سقط من (ز).

(٩) رواه الترمذي (٣٣١٠)، وفيه أبو سعد الأزدي: قال الحافظ: مقبول يعني إذا توبع، ولم أجد له متابع.

انفرد بإخراجه الترمذي وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وهكذا رواه الحافظ البيهقي عن الحاكم عن [أبي العبَّاس محمَّد بن أحمد المحبوبي، عن سعيد بن مسعود، عن][1] عبيد الله بن موسىٰ، به وزاد بعد قوله «سورة المنافقين» ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ حتىٰ بلغ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ حتىٰ بلغ: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾[2].

وقد روىٰ عبد الله بن لهيعة، عن أبي الأسود عن عُروَةَ بن الزبير في «المغازي»، وكذا ذكر موسىٰ بن عقبة في «مغازيه» أيضًا هذه القصة بهذا السياق، ولكن جعلا الذي بَلَّغَ رسول الله ﷺ كلام عبدالله بن أبي ابن سلول إنَّما هو أوس بن أرقم[3]، من بني الحارث بن الخزرج، فلعله مبلغ آخر، أو تصحيف من جهة السَّمع، والله أعلم[4].

وقد قال ابن أبي حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ: حدَّثنا محمَّد بن عزيز الأَيْلي، حدَّثنا سلامة، حدَّثني عقيل، أخبرنىٰ محمَّد بن مسلم، أنَّ عروة بن الزبير وعمرو بن ثابت الأنصاري أخبراه: أن رسول الله ﷺ غزا غزوة المُرَيْسِيع، وهي التي هدم[5] رسول الله ﷺ فيها مناة الطاغية التي كانت بين قفا المُشَلَّل[6] وبين البحر، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فكسر مناة، فاقتتل رجلان في غزوة رسول الله ﷺ تلك، أحدهما من المهاجرين، والآخر من بَهْزٍ، وهم حلفاء الأنصار، فاستعلىٰ الرجل الذي من المهاجرين علىٰ البهزي، فقال البهزي: يا معشر الأنصار، فنصره رجال من الأنصار، وقال المهاجري: يا معشر المهاجرين، فنصره رجال من المهاجرين، حتىٰ كان بين أولئك الرجال من المهاجرين والرجال من الأنصار شيء من القتال، ثم حُجز بينهم فانكفأ كل منافقٍ، أو: رجل في قلبه مرض[7] إلىٰ عبد الله بن أبيِّ بن سلول، فقال: قد كنتَ تُرْجَىٰ وتَدفع فأصبحت لا تضر ولا تنفع، قد تناصرت علينا الجلابيب، وكانوا يَدْعُون كُلَّ حديثِ هجرةٍ[8]: الجلابيب، فقال عبد الله بن أبي عدو الله: والله لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قال مالك بن الدخْشُم[9]، وكان من المنافقين: أولم أقل لكم لا تنفقوا علىٰ من عند رسول الله حتىٰ ينفضوا. فسمع بذلك عمرُ بن الخطاب، فأقبل يمشي حتىٰ جاء رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن النَّاس، أضربْ عنقه، يريد عمرُ:

---

(١) بياض في (ز) قدر كلمة، والمثبت من «المستدرك».

(٢) «دلائل النبوة» (٤/ ٥٤)، وهو كسابقه.

(٣) في (ز): (أوس بن أقرم).

(٤) ضعيف: رواه البيهقي في «الدلائل» (٤/ ٥٦)، وفيه ابن لهيعة: اختلط. والإسناد أيضًا مرسل.

(٥) في (ز): (هدم فيها) فتكررت كلمة «فيها» مرتين.

(٦) المُشَلَّل: موضع بين مكة والمدينة.

(٧) لوحة (٩٩ ب).

(٨) في (ز): (أهجره).

(٩) في (ز): (الدخشن)، والمثبت هو الصواب.

عبدَ الله بن أبي، فقال رسول الله ﷺ لعمر: «أَوَ قَاتِلَهُ أَنتَ إِنْ أَمَرْتُكَ بِقَتْلِهِ؟»، قال: عمر: نَعَم والله لئن أمرتني بقتله لأضربَنَّ عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «اجْلِسْ». فأقبل أسيدُ بن الحضير، وهو أحد الأنصار، ثم أحد بني عبد الأشهل، حتىٰ أتىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذَنْ لي في هذا الرَّجل الَّذِي قد أفتن النَّاس حتىٰ أضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «أَوَقَاتِلُهُ أَنتَ إِنْ أَمَرْتُكَ بِقَتْلِهِ؟»، قال: نعم، والله لئن أمرتني بقتله لأضربنَّ بالسَّيف تحت قُرط أذنيه، فقال رسول الله ﷺ: «اجْلِسْ»، ثم قال رسول الله ﷺ: «آذِنُوا بِالرَّحِيلِ»، فَهَجَّرَ بالنَّاس، فسار يومَهُ وليلته والغَد حتىٰ مَتَعَ النَّهار(١)، ثم نزل، ثم هَجَّر بالناس مثلها، فَصبح بالمدينة في ثلاث سارها من قفا المُشلَّل، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أرسل إلىٰ عمر فدعاه، فقال له رسول الله: «أَيْ عُمَرُ، أَكُنْتَ قَاتِلَهُ لَوْ أَمَرْتُكَ بِقَتْلِهِ؟» قال عمر: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «وَاللهِ لَوْ قَتَلْتَهُ يَوْمَئِذٍ لَأَرْغَمْتَ أُنُوفَ رِجَالٍ لَوْ أَمَرْتُهُمُ اليَوْمَ بِقَتْلِهِ امْتَثَلُوهُ فَيَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنِّي قَدْ وَقَعْتُ عَلَىٰ أَصْحَابِي فَأَقْتُلُهُمْ صَبْرًا». وأنزل الله ﷻ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ إلىٰ قوله: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ الآية(٢).

وهذا سياقٌ غريبٌ، وفيه أشياء نفيسة لا توجد إلا فيه.

وقال محمَّد بن إسحاق بن يسار: حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن عَبدَ الله بن عبدِ الله بن أبي، يعنىٰ لما بلغه ما كان من أمر أبيه أتىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنَّه بلغني أنَّك تريد قتل عبد الله بن أُبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلًا(٣) فمُرْني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوَالله لقد عَلِمَت الخزرج ما كان لها مِن رجل أبرَّ بوالده مِنِّي، إنِّي أخشىٰ أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلىٰ قاتل عبد الله بن أبي يَمْشِيَ في النَّاس، فأقتله، فأقتل مؤمنًا بكافرٍ، فأدخل النَّار، فقال رسول الله ﷺ: «بَلْ نَتَرَفَّقُ بِهِ وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ، مَا بَقِيَ مَعَنَا»(٤).

وذكر عكرمةُ وابن زيد وغيرهما: أنَّ النَّاس لما قفلوا راجعين إلىٰ المدينة، وقف عبدُ الله بن عبد الله هذا علىٰ باب المدينة، واستَلَّ سيفه، فجعل النَّاس يمُرُّون عليه، فلمَّا جاء أبوه عبد الله بن أبي قال له ابنه: وراءك، فقال: ما لك؟ ويلك، فقال: والله لا تجوز مِن هاهنا حتىٰ يأذنَ لك رسول الله ﷺ فإنَّه العزيز وأنت الذَّليل، فلما جاء رسول الله ﷺ، وكان إنما يسير ساقة(٥)، فشكا إليه عبد الله

---

(١) أي: امتد وطال.

(٢) مرسل: عزاه لابن أبي حاتم هكذا مرسلًا.

(٣) لوحة (١٠٠ أ).

(٤) مرسل: رواه في «السيرة النبوية» (٣/ ٧٦٠) والإسناد مرسل.

(٥) كان ﷺ يسوق أصحابه؛ أي: يُقدمهم أمامه ويمشي خلفهم كأنه يسوقهم؛ تواضعًا وإرشادًا إلىٰ ندب مشي كبير القوم وراءهم، ولا يدع أحدًا يمشي خلفه، أو ليختبر حالهم وينظر إليهم حال تصرفهم في معاشهم وملاحظتهم لإخوانهم، فيربي من يستحق التربية ويكمل من يحتاج التكميل ويعاقب من يليق به المعاقبة، ويؤدب من يناسبه التأديب، وهذا شأن المولىٰ مع رعيته، أو لأن الملائكة كانت تمشي خلف ظهره، أو لغير ذلك. «الشمائل الشريفة» للسيوطي.

ابن أبيٍّ ابنه، فقال ابنه عبد الله: والله يا رسول الله لا يدخلها حتىٰ تأذن له، فأذن له رسول الله ﷺ فقال: أما إذ أذن لك رسول الله ﷺ فَجُزِ الآن(١).

وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي في «مسنده»: حدَّثنا سفيان بن عُيينة، حدَّثنا أبو هارون المدني قال: قال عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول لأبيه: والله لا تدخل المدينة أبدًا حتىٰ تقول: رسولُ الله ﷺ الأعَزُّ وأنا الأذلُّ، قال: وجاء إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إنَّه بلغني أنك تريد أن تقتل أَبِي، فوَّالذي بعثك بالحق ما تأملت وجهه قط هيبة له، لئن شئت أن آتيك برأسه لآتِيَنَّك، فإنِّي أكره أن أرىٰ قاتل أبي(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ(٣) وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

يقول تعالىٰ آمرًا لعباده المؤمنين بكثرةِ ذكره وناهيًا لهم عن أن تَشْغَلَهُم الأموال والأولاد عن ذلك ومخبرًا لهم بأنَّه مَن التهىٰ بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خُلِقَ [له](٤) من طاعة ربه وذكره، فإنه من الخاسرين الذين يَخْسَرُون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ثم حَثَّهم علىٰ الإنفاق في طاعته(٥) فقال: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فكلُّ مُفرِّطٍ يندم عند الاحتضار، ويسأل طول المدَّة ولو شيئًا يسيرًا، يستعتب ويستدرك ما فاته، وهيهات! كان ما كان، وأتىٰ ما هو آتٍ، وكل بحسب تفريطه، أما الكفار فكما قال الله تعالىٰ: [﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

وقال تعالىٰ:](٦) ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ أي: لا يُنْظِر أحدًا بعد حلول أجله، وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقًا في قوله وسؤاله، ممن لو رُدَّ لعاد إلىٰ شر مما كان عليه؛ ولهذا

---

(١) مرسل: لأنه من رواية عكرمة وابن زيد، ولم يسوقا السند.

(٢) مرسل: رواه الحميدي (٢/ ٥٢٠)، ورجاله ثقات لكنه مرسل.

(٣) قال الشيخ أبو بكر الجزائري رحمه الله: ذكر الله هنا مستعمل في الحقيقة والكناية فيشمل الذكر باللسان وهو فعل سائر الطاعات، والذكر بالقلب: وهو التذكر الموجب للطاعة.

(٤) ليست في (ز). (٥) لوحة (١٠٠ ب). (٦) ليست في (ز).

قال: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

وقال أبو عيسىٰ الترمذي: حدَّثنا عبد بن حميد، حدَّثنا جعفر بن عون، حدَّثنا أبو جَنابٍ الكلبي، عن الضَّحَّاكِ بن مُزاحم، عن ابن عبَّاس قال: مَن كان له مالٌ يُبَلِّغُه حجَّ بيت رَبِّه، أو تجب عليه فيه زكاةٌ، فلم يفعل، سأل الرجعة عند الموت، فقال رجلٌ: يا ابن عبَّاس، اتَّق الله، فإنَّما يسأل الرَّجعة الكفَّار، فقال: سأتلو عليك بذلك قرآنًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ [وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ](١) وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ قال: فما يوجب الزكاة؟ قال: إذا بلغ المال مائتين فصاعدًا، قال: فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والبعير.

ثم قال: حدَّثنا عبد بن حُميدٍ، حدَّثنا عبد الرزاق، عن الثوري، عن يحيىٰ بن أبي حَيَّة -وهو أبو جناب الكلبي- عن الضَّحَّاكِ، عن ابن عبَّاس، عن النَّبيِّ ﷺ بنحوه(٢).

ثم قال: وقد رواه سفيان بن عيينة وغيره، عن أبي جَنابٍ، عن الضَّحَّاكِ، عن ابن عبَّاس، من قوله، وهو أصح، وضعَّف أبا جناب الكلبي.

قلت: رواية الضَّحَّاكِ عن ابن عبَّاس فيها انقطاع، والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا ابن نُفَيلٍ، حدَّثنا سليمان بن عطاء، عن مسلمة الجهني، عن عمه -يعني أبا مشجعة بن رِبْعِي- عن أبي الدرداء ﷺ قال: ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة في العمر [فقال: «إِنَّ اللهَ لا يُؤَخِّرُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا، وَإِنَّمَا الزِّيَادَةُ فِي العُمْرِ](٣) أَنْ يَرْزُقَ اللهُ العَبْدَ ذُرِّيَّةً صَالِحَةً يَدْعُونَ لَهُ، فَيَلْحَقُهُ دُعَاؤُهُمْ فِي قَبْرِهِ»(٤).

آخر تفسير سورة «المنافقون»(٥) ولله الحمد [والمنَّة](٦).

---

(١) في (ز): مكان هذه الآيات كتب: (إلىٰ قوله).

(٢) ضعيف: رواه الترمذي (٣٣١٣) وفيه أبو جناب الكلبي: ضعيف، ورواية الضَّحَّاكِ عن ابن عبَّاس: منقطعة.

(٣) ليست في (ز)، والمثبت كما عند «ابن أبي حاتم».

(٤) منكر: رواه الترمذي (٢/ ١٣٤) وابن عدي (٣/ ١١٣٣)، وفيه سليمان بن عطاء، قال ابن حبان: يروي أشياء موضوعة لا تشبه أحاديث الثقات، فلست أدري التخليط فيها منه أو من مسلمة بن عبد الله؟ انظر «المجروحين» (٤١٢). وقال البخاري: في حديثه المناكير، وقال أبو زرعة: منكر الحديث. انظر «تهذيب الكمال» (١٢/ ٤٣)، وقال الحافظ: منكر الحديث. «التقريب» (٢٥٩٤).

(٥) في (ز): (المنافقين). (٦) لوحة (١٠١ أ).

سُورَةُ التَّغَابُنِ

تفسير سورة التغابن وهي مدنية، وقيل: مكية

قال الطبراني: حدَّثنا محمَّد بن هارون بن محمَّد بن بكار الدمشقي، حدَّثنا العبَّاس بن الوليد الخلال، حدَّثنا الوليد بن الوليد، حدَّثنا ابن[1] ثوبان، عن عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله بن عَمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا مَكْتُوبٌ فِي تَشْبِيكِ رَأْسِهِ خَمْسُ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ التَّغَابُنِ» أورده ابن عساكر في ترجمة «الوليد بن صالح» وهو غريبٌ جدًّا، بل منكرٌ[2].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾

هذه السُّورة هي آخر المُسبِّحات، وقد تقدَّم الكلام على تسبيح المخلوقات لبارئها ومالكها؛ ولهذا قال: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ أي: هو المتصرِّف في جميع الكائنات، المحمود على جميع ما يخلقه ويقدره.

[وقوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: مهما أراد كان بلا ممانع ولا مدافع، وما لم يشأ لم يكن.][3]

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ أي: هو الخالق لكم على هذه الصفة، وأراد منكم ذلك، فلا بدَّ مِن وجود مؤمنٍ وكافرٍ، وهو البصير بمَن يستحِقُّ الهداية ممن يستحق الإضلال، وهو شهيد على أعمال عباده، وسَيَجْزِيهِم بها أتمَّ الجزاء؛ ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

---

(١) في (ز): (أبو ثوبان)، والمثبت هو الصواب.

(٢) منكر: رواه الطبراني في «الأوسط» (١٧٦٣)، وفي «مسند الشاميين» (٩٠) فيه الوليد بن الوليد، قال في «الموضوعات»: موضوع، قال ابن حبان: لا يحل الاحتجاج بالوليد، وتعقبه في «اللآلئ» قال: قلت في «الميزان» قال أبو حاتم: صدوق، وفي «الضعفاء» لابن حبان: روى عن ابن ثوبان نسخة أكثرها مقلوب، وقال أبو نعيم: روى عن ابن ثوبان موضوعات. ورواه البخاري في «الكبير» عن ابن عمرو موقوفًا. قلت: ولا يصح.

(٣) ليست في (ز).

ثم قال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: بالعدل والحكمة، ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾ أي: أحسن أشكالكم، كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:٦-٨].

وكقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا[1] وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الآية [غافر: ٦٤] وقوله: ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ أي: المرجع والمآب.

ثم أخبر تعالىٰ عن علمه بجميع الكائنات السَّمائيَّة والأرضيَّة والنفسيَّة، فقال: ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ[2] وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ۝٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الأمم الماضين، وما حَلَّ بهم مِن العذاب والنَّكال؛ في مخالفةِ الرُّسُلِ والتَّكذيب بالحق، فقال: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ﴾ أي: خَبَرُهم وما كان مِن أمرهم ﴿فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾ أي: وَخِيمَ تكذيبِهم ورديءَ أفعالهم، وهو ما حلَّ بهم في الدُّنيا من العقوبة والخِزْيِ ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ أي: في الدَّار الآخرة مضافٌ إلىٰ هذا الدُّنيَوِيُّ. ثم علَّل ذلك فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالحجج والدَّلائل والبراهين ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا﴾؟ أي: استبعدوا أن تكون الرسالة في البشر، وأن يكون هُداهم علىٰ يدي بشر مثلِهم ﴿فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ﴾ أي: كذبوا بالحق ونكلوا عن العمل ﴿وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُ﴾ أي: عنهم ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾.

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝٨ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين والكفار والملحدين أنَّهم يزعمون أنهم لا يُبْعَثون: ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡ﴾ أي: لتُخبَرُنَّ[3] بجميع أعمالكم، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ أي: بعثكم ومجازاتكم.

---

(١) في (ز): (فراشًا)، وهو خطأ. (٢) لوحة (١٠١ ب).

(٣) في (ز): (لتجزن).

وهذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله ﷺ أن يقسم بربه عَجَّلَ على وقوع المَعَاد ووجوده، فالأولى: في سورة يونس: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس:٥٣] والثانية: في سورة سبأ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ الآية [سبأ:٣] والثالثة: هي هذه [﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.](١)

ثم قال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ يعني: القرآن ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: فلا تخفى عليه من أعمالكم خافية.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ وهو يوم القيامة، سُمِّي بذلك؛ لأنَّه يجمع فيه الأولون والآخرون في صَعيدٍ واحدٍ، يسمعهم الدَّاعي وَيَنْفُذُهُم(٢) البَصَر، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ(٣) مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ قال ابن عبَّاس: هو اسم من أسماء يوم القِيَامَةِ. وذلك أنَّ أهل الجنَّة يغبنُون أهل النَّار. وكذا قال قتادة ومجاهد. وقال مقاتل بن حيان: لا غبنَ أعظمُ من أن يدخل هؤلاء إلى الجنَّة، ويُذْهَب بأولئك إلى النَّار. قلت: وقد فسَّر ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ وقد تقدم تفسير مثل هذه غيرَ مرَّةٍ.

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٢) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٣)﴾

يقول تعالى مخبرًا بما أخبر به في سورة الحديد: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ [الحديد:٢٢] وهكذا قال هاهنا: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قال ابن عبَّاس: بأمر الله؛ يعني: عن قدره ومشيئته.

﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: ومن أصابته مصيبةٌ فعلم أنها بقضاء الله وقدره،

---

(١) ليست في (ز).

(٢) ينفذهم: يخترقهم ويجاوزهم لاستواء الصعيد، و(ينفدهم)، أي: يَبْلُغ أوّلَهم وآخرَهم حتى يراهم كُلَّهم ويَسْتوعِبَهم، مِن نَفِدَ.

(٣) لوحة (١٠٢ أ).

فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله، هدىٰ الله قلبه، وعوَّضه عما فاته من الدنيا هُدًىٰ في قلبه، ويقينًا صادقًا، وقد يُخْلِفُ عليه ما كان أخذ منه، أو خيرًا منه.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ يعني: يَهْدِ قلبه لليقين، فيعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليُخْطِئَه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وقال الأعمش، عن أبي ظَبْيان قال: كنا عند علقمة فقرئ عنده هذه الآية: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ فسئل عن ذلك فقال: هو الرَّجل تُصِيبُهُ المصيبة، فيعلم أنَّها مِن عند الله، فيَرْضَىٰ ويُسَلِّم. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم. وقال سعيد بن جبير، ومقاتل بن حيان: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ يعني: يسترجع، يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] وفي الحديث المتفق عليه: «**عَجَبًا لِلْمُؤْمِنِ، لا يَقْضِي اللهُ لَهُ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ، إِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ**»[(١)].

وقال أحمد: حدَّثنا حسن، حدَّثنا ابن لَهِيعَةَ، حدَّثنا الحارث[(٢)] بن يزيد، عن علي بن رَبَاح؛ أنه سمع جُنَادة بن أبي أميَّة يقول: سمعت عبادة بن الصامت يقول: إنَّ رجلًا أتىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أيُّ العمل أفضل؟ قال: «**إِيمَانٌ بِاللهِ، وَتَصْدِيقٌ بِهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ**». قال: أريد أهونَ مِن هذا يا رسول الله [قال: السماحة والصبر. قال: أريد أهون من ذلك يا رسول الله][(٣)]. قال: «**لَا تَتَّهِمِ اللهَ فِي شَيْءٍ، قَضَىٰ لَكَ بِهِ**»[(٤)]. لم يخرجوه.

وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ أمرٌ بطاعة الله ورسوله فيما شرع، وفعل ما به أمر، وترك ما عنه نَهَىٰ وزجر، ثم قال: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: إن نكلتُمْ عن العمل فإنَّما عليه ما حُمِّلَ من البلاغ، وعليكم ما حُمِّلْتم من السَّمع والطاعة. قال الزهري: من الله الرسالة، وعلىٰ الرسول البلاغ وعلينا التَّسليم، ثم قال تعالىٰ مخبرًا أنه الأحد الصَّمد، الَّذي لا إله غيره، فقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ فالأول خَبرٌ عن التوحيد، ومعناه معنىٰ الطلب، أي: وحدوا الإلهية له، وأخلصوها لديه، وتوكَّلوا عليه، كما قال تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩].

---

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩) وأحمد (٤/ ٢٣٢)، (٦/ ١٥)، وقول الحافظ ابن كثير: (المتفق عليه) وهمٌ.

(٢) لوحة (١٠٢ ب).

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (ز)، وهو مثبت في «المسند».

(٤) رواه أحمد (٥/ ٣١٨) وفيه ابن لهيعة: اختلط، لكن له شواهد أخرىٰ يستفاد منها أن ما ذكر من أفضل الأعمال. بدون ذكر هذا الترتيب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ[١] وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الأزواج والأولاد: إن منهم مَن هو عدوُّ الزَّوج والوالد، بمعنىٰ: أنَّه يُلتهىٰ به عن العمل الصالح، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿فَٱحۡذَرُوهُمۡ﴾ قال ابن زيد: يعني علىٰ دينكم.

وقال مجاهد: ﴿إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ﴾ قال: يحملُ الرَّجل علىٰ قطيعة الرَّحم أو معصية ربِّه، فلا يستطيع الرَّجل مع حُبِّه إلا أن يطيعه.

وقال ابن أبي حاتم، حدَّثنا أبي، حدَّثنا محمَّد بن خلف العَسْقَلاني[٢] حدَّثنا الفِرْيابي، حدَّثنا إسرائيلُ، حدَّثنا سمَاك بن حرب، عن عِكْرمة، عن ابن عبَّاس -وسأله رجلٌ عن هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ[٣] ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡ﴾- قال: فهؤلاء رجال أسلموا من مكَّة، فأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ فأبىٰ أزواجهم وأولادهم أن يَدَعوهم، فلما أَتَوْا رسولَ الله ﷺ رأوا الناسَ قد فقُهُوا في الدِّين، فهَمُّوا أن يعاقبوهم، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾[٤].

وكذا رواه الترمذي عن محمَّد بن يحيىٰ، عن الفريابي -وهو محمَّد بن يوسف- به وقال: حسنٌ صحيحٌ. ورواه ابن جرير والطبراني، من حديث إسرائيل به، ورُوي من طريق العَوْفي، عن ابن عبَّاس، نحوه، وهكذا قال عكرمة مولاه سواء.

---

(١) قال الشيخ أبو بكر الجزائري ﷀ: الآية عامة في الرجال والنساء فكما يكون للرجل من امرأته وولده عدوٌّ يكون كذلك للمرأة من زوجها وولدها عدو، ووجب الحذر علىٰ المؤمنين، ويكون الحذر بوجهين: إما لضرر في البدن وإما لضرر في الدين، وضرر البدن يتعلق بالدنيا وضرر الدين يتعلق بالآخرة فحذر الله تعالىٰ العبد من ذلك وأنذره به.

(٢) في (ز): (الصيدلاني). (٣) لوحة (١٠٣ أ).

(٤) رواه الترمذي (٣٣١٤) والطبري (٢٨/ ١٢٤) ورجاله ثقات، لكنه من رواية سماك عن عكرمة (مضطربة) ومع ذلك فقد قال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الحاكم (٢/ ٤٩٠) وأقره الذهبي (٢/ ٤٩٠)، وسكت عنه الوادعي في «الصحيح المسند من أسباب النزول».

وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ يقول تعالىٰ: إنَّما الأموال والأولاد فتنة، أي: اختبار وابتلاء من الله لخلقه؛ ليعلم من يطيعه ممن يعصيه.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ﴾ أي: يوم القيامة ﴿أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ كما قال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا زيد بن الحُبَاب، حدَّثني حُسَينُ بن واقِدٍ، حدَّثني عبد الله بن بُرَيدَةَ، سمعت أبي[(١)] بريدةَ يقول: كان رسول الله ﷺ يخطب، فجاء الحسن والحسين ﵄ عليهما قميصانِ أحمرانِ يمشيانِ ويعثرانِ، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر، فحملهما فوضعهما بين يديه، ثم قال: «**صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ، نَظَرْتُ إِلَىٰ هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّىٰ قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا**»[(٢)].

ورواه أهل السنن من حديث حُسَينِ بن واقد، به وقال الترمذي: حسنٌ غريبٌ، إنما نعرفه من حديثه.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا سُرَيجُ بن النعمان، حدَّثنا هُشَيْمٌ، أخبرنا مجالد، عن الشعبي، حدَّثنا الأشعث بن قيس قال: قَدِمْتُ علىٰ رسول الله ﷺ في وفد كِنْدَةَ[(٣)]، فقال لي: «**هَلْ لَكَ مِنْ وَلَدٍ؟**» قلت: غُلامٌ وُلِدَ لي في مَخرَجِي إليك من ابنة جَمْد[(٤)]، وَلَوَدِدْتُ أَنَّ بمكانه: شبعَ القوم. قال: «**لا تَقُولَنَّ ذَلِكَ، فَإِنَّ فِيهِمْ قُرَّةَ عَيْنٍ، وَأَجْرًا إِذَا قُبِضُوا**»، ثم قال: «**وَلَئِنْ قُلْتَ ذَاكَ: إِنَّهُمْ لَمَجْبَنَةٌ مَحْزَنَةٌ**[(٥)] **إنهم لمجبنة محزنةٌ**»[(٦)] تفرد به الإمام أحمد ﵀[(٧)].

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدَّثنا محمود بن بكر، حدَّثنا أبي، عن عيسىٰ [بن أبي وائل][(٨)] عن ابن أبي ليلىٰ، عن عطية، عن أبي سعيدٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الوَلَدُ ثَمَرَةُ القُلُوبِ، وَإِنَّهُمْ مَجْبَنَةٌ مَبْخَلَةٌ مَحْزَنَةٌ**»[(٩)] ثم قال: لا يعرف إلا بهذا الإسناد.

---

(١) في (ز): (سمعت أبا بريدة).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٢٥٤) وأبو داود (١١٠٩)، والترمذي (٣٧٧٦)، والنسائي (٣/ ١٠٨)، وابن ماجه (٣٦٠٠).

(٣) في (ز): (وفد كثير)، والمثبت كما في «المسند». (٤) تحرف في بعض النسخ إلىٰ (جد).

(٥) أي: سببٌ للجبن والحزن، يريد: لو قلت هذا القول لصدقت فيه.

(٦) ضعيف: رواه أحمد (٥/ ٢١١)، وفيه مجالد بن سعيد: ليس بالقوي، ولكن قوله: «إنهم مجبنة محزنة» يشهد لصحته الرواية الآتية.

(٧) لوحة (١٠٣ ب). (٨) ليست في (ز).

(٩) حسن لغيره: رواه البزار، وفيه عطية العَوْفي: شيعي مدلس لكن يشهد له ما تقدم. وانظر: «صحيح الجامع» (٧٠٣٧).

وقال الطبراني: حدَّثنا هاشم بن مرثد، حدَّثنا محمَّد بن إسماعيل بن عياش، حدَّثني أبي، حدَّثني ضَمْضَمُ بنُ زُرْعَةَ، عن شريح بن عبيد، عن أبي مالك الأشعري؛ أن رسول الله ﷺ قال: «لَيْسَ عَدُوُّكَ الَّذِي إِنْ قَتَلْتَهُ كَانَ فَوْزًا لَكَ، وَإِنْ قَتَلَكَ دَخَلْتَ الجَنَّةَ، وَلَكِنِ الَّذِي لَعَلَّهُ عَدُوٌّ لَكَ وَلَدُكَ الَّذِي خَرَجَ مِنْ صُلْبِكَ، ثُمَّ أَعْدَىٰ عَدُوٌّ لَكَ مَالُكَ الَّذِي مَلَكَتْ يَمِينُكَ»(١).

وقوله تعالىٰ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ أي: جهدكم وطاقتكم، كما ثبت في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَائْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ»(٢).

وقد قال بعض المفسرين -كما رواه مالك، عن زيد بن أسلم- إنَّ هذه الآيةَ العظيمةَ ناسخةٌ للتي في «آل عمران» وهي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرْعَةَ، حدَّثني يحيىٰ بن عبد الله بن بُكَيْرٍ، حدَّثني ابن لَهِيعةَ، حدَّثني عطاء -هو ابن دينار- عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ قال: لما نزلت هذه الآية اشتد علىٰ القوم العمل، فقاموا حتىٰ وَرِمَت عراقيبُهُم وتقرَّحت جباهُهُم، فأنزل الله تخفيفًا علىٰ المسلمين: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ فنسخت الآية الأولىٰ(٣).

ورُوِيَ عن أبي العالية، وزيد بن أسلم، وقتادة، والربيع بن أنس، والسُّدِّي، ومُقاتل بن حَيَّان، نحو ذلك.

وقوله: ﴿وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ أي: كونوا منقادين لما يأمركم الله به ورسوله، ولا تَحِيدوا عنه يَمْنةً ولا يسرةً، ولا تقدِّموا بين يَدَي الله ورسوله، ولا تتخلَّفوا عمَّا به أمرتم، ولا تركبوا ما عنه زُجرتم.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ أي: وابذلوا مما رزقكم الله علىٰ الأقارب والفقراء والمساكين وذوي الحَاجات، وأحسنوا إلىٰ خلق الله كما أحسن إليكم، يكن خيرًا لكم في الدنيا والآخرة(٤)، وإن لا تفعلوا يكن شرًّا لكم في الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ تقدم تفسيره في سورة «الحشر» وذكر الأحاديث الواردة في معنىٰ هذه الآية، بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا، ولله الحمد والمنَّة.

وقوله: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ أي: مهما أنفقتم من شيءٍ فهو يُخْلِفه، ومهما تصدَّقتم من شيءٍ فعليه جزاؤه، ونزل ذلك منزلة القرض له، كما ثبت في «الصحيح» أن الله تعالىٰ

---

(١) ضعيف: رواه الطبراني (٣/ ٣٣٣)، وفيه محمَّد بن إسماعيل بن عياش: ضعيف.

(٢) البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

(٣) مرسل: رواه ابن أبي حاتم (١٨٩٠٥) (١٨٩٠٦) وهي من رواية سعيد بن جبير تابعي.

(٤) لوحة (١٠٤ أ).

يقول: «مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ ظَلُومٍ وَلَا عَدِيمٍ»؟![1] ولهذا قال: ﴿يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ﴾ كما تقدَّم في سورة البقرة: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ أي: ويكفر عنكم السيئات؛ ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾ أي: يجزي على القليل بالكثير[2] ﴿حَلِيمٌ﴾ أي: يعفو ويصفح ويغفر ويستر، ويتجاوز عن الذنوب والزلات والخطايا والسيئات.

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ تقدم تفسيره غير مرة.

آخر تفسير سورة التغابن ولله الحمد والمنة.

---

(١) رواه مسلم (٧٥٨).

(٢) في (ز): (القليل والكثير).

سُورَةُ الطَّلَاقِ

تفسير سورة الطلاق، وهي مدنية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١﴾

خُوطب النَّبيُّ ﷺ أولًا تشريفًا وتكريمًا(1)، ثم خاطب الأمّة تبعًا فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا محمَّد بن ثَوَابِ بن سعيدٍ الهَبَّاري، حدَّثنا أسباط بن محمَّد، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة، فأتت أهلها، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ فقيل له: راجعها فإنَّها صوَّامةٌ قوَّامةٌ، وهي من أزواجك ونسَائِكَ في الجنَّة(2).

ورواه ابن جرير، عن ابن بشار(3)، عن عبد الأعلىٰ، عن سعيد، عن قتادة... فذكره مرسلًا.

---

(1) قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله: في سياق كلامه علىٰ حقوق نبينا الكريم ﷺ وما فضَّله الله تعالىٰ به: (ومن ذلك: أنه خصه في المخاطبة بما يليق به فقال: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗا﴾ [النور:٦٣]، فنهىٰ أن يقولوا: يا محمد، أو يا أحمد، أو يا أبا القاسم، و لكن يقولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، وكيف لا يخاطبونه بذلك و الله ﷻ أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحدًا من الأنبياء، فلم يَدْعُهُ باسمه في القرآن قط، بل يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥﴾ [الأحزاب]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾ [المزمل]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢﴾ [المدثر]، مع أنه سبحانه قد قال: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ﴾ [البقرة:٣٥]، ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ [هود:٤٦]، ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآ﴾ [هود:٧٦]، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف:١٤٤]، ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [ص:٢٦]، ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ [المائدة:١١٠]... هذا إلىٰ خصائصَ له أخر يطول تَعْدادها). «الصارم المسلول»: (٣/ ٨٠١-٨٠٨) باختصار.

(2) ضعيف: رواه ابن أبي حاتم (١٨٩٠٧) وفيه قتادة بن دِعَامة: مدلس، وسعيد بن أبي عَرُوبة: اختلط، والراوي عنه أسباطٌ لا يعلم روىٰ عنه قبل الاختلاط أو بعده، ورواه الطبري (٢٨/ ١٢٣). مرسلًا وهو الأصح، ومعلوم أن المرسل من أقسام الضعيف.

(3) لوحة (١٠٤ ب).

وقد ورد من غير وجه: أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها[١].

وقال البخاري: حدَّثنا يحيىٰ بن بُكَيْرٍ، حدَّثنا الليث، حدثنا[٢] عقيل، عن ابن شهاب، أخبرني سالم: أن عبد الله بن عمر أخبره: أنَّه طلَّق امرأةً له وهي حائضٌ، فذكر عمرُ لرسول الله ﷺ فتغيظ رسول الله ﷺ منه[٣] ثم قال: «**لِيُرَاجِعْهَا، ثُمَّ يُمْسِكْهَا حَتَّىٰ تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضَ فَتَطْهُرَ، فَإِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا فَلْيُطَلِّقْهَا طَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَمَسَّهَا، فَتِلْكَ العِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللهُ ﷻ**»[٤].

هكذا رواه البخاري هاهنا وقد رواه في مواضعَ من كتابه، ومسلمٌ، ولفظه: «**فَتِلْكَ العِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللهُ أَنْ يُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ**».

ورواه أصحاب الكتب والمسانيد من طرقٍ متعددةٍ وألفاظٍ كثيرةٍ ومواضعُ استقصائِها كتبُ الأحكام.

وأَمَسُّ لفظٍ يورَد هاهنا ما رواه مسلم في «صحيحه»، من طريق ابن جُرَيْجٍ: أخبرني أبو الزبير: أنه سمع عبد الرحمن بن أيمن -مولىٰ عَزة- يسأل ابن عمر، وأبو الزبير [يسمع ذلك:][٥] كيف ترىٰ في رجلٍ طلَّق امرأته حائضًا؟ فقال: طلَّق ابن عمر امرأتَهُ حائضًا علىٰ عهد رسول الله ﷺ، [فسأل عمر رسولَ الله ﷺ فقال: إن عبد الله بن عمر طلق امرأته وهي حائض،][٦] فقال رسول الله ﷺ: «**لِيُرَاجِعْهَا**» فردَّها، وقال: «**إِذَا طَهُرَتْ فَلْيُطَلِّقْ أَوْ يُمْسِكْ**». قال ابن عمر: وقرأ النَّبيُّ ﷺ: «**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ فِي قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ**»[٧].

وقال الأعمش، عن مالك بن الحارث، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله في قوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ قال: الطهر من غير جماع[٨]. وروي عن ابن عمر وعطاء، ومجاهد، والحسن، وابن سيرين، وقتادة، وميمون بن مِهْران، ومقاتل بن حيَّان مثل ذلك، وهو رواية عن عكرمةَ، والضَّحَّاكِ.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس في قوله تعالىٰ: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ قال: لا يطلقها وهي حائضٌ ولا في طهْرٍ قد جامعها[٩] فيه، ولكن: يتركها حتىٰ إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة[١٠].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٢٨٣)، والنسائي (٦/ ٢١٣)، وابن ماجه (٢٠١٦).

(٢) في (ز): (حدثنا الليث وعقيل)، والمثبت هو الصواب كما في «صحيح البخاري».

(٣) في (ز): (فيه). (٤) البخاري (٤٩٠٨)، ومسلم (١٤٧١).

(٥) سقط من (ز). (٦) سقط من (ز). (٧) مسلم (١٤٧١).

(٨) رواه الطبري (٢٨/ ١٣٠)، وابن أبي شيبة (١٧٧٣٨)، وصححه الحافظ في «الفتح» (٩/ ٣٤٦).

(٩) في (ز): (جامعتها).

(١٠) رواه الطبري (٢٨/ ١٣١).

وقال عكرمة: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ العدة: الطهر، والقُرءُ: الحيضة، أن يطلقها حُبْلَىٰ مستبينًا حملها، ولا يطلقها وقد طاف عليها، ولا يدري حبلىٰ هي أم لا؟

ومن هاهنا أخذ الفقهاء أحكام الطلاق وقسَّموه إلىٰ: طلاق سنَّةٍ وطلاق بِدْعَةٍ، فطلاق السُّنَّة: أن[1] يُطلِّقها طاهرًا مِن غير جماعٍ، أو حاملًا قد استبَانَ حملها، والبدعي: هو أن يُطَلِّقَهَا في حالِ الحيض، أو في طهرٍ قَدْ جامعها فيه، ولا يدري أَحَمَلت أم لا؟ وطلاقٌ ثالثٌ لا سنة فيه ولا بدعة، وهو طلاق الصَّغيرة والآيِسَة، وغير المدخول بها، وتحرير الكلام في ذلك وما يتعلَّق به مستقصًىٰ في كتب الفروع، والله تعالىٰ أعلم.

وقوله ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ أي: احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها؛ لئلا تطول العدة علىٰ المرأة فتمتنع من الأزواج ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أي: في ذلك.

وقوله: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ أي: في مدَّة العدَّة لها حقُّ السُّكنىٰ علىٰ الزَّوج ما دامت مُعْتَدَّةً منه، فليس للرجل أن يُخْرِجَهَا، ولا يجوز لها أيضًا الخروج؛ لأنَّها معتقَلَة[2] لحقِّ الزَّوج أيضًا.

وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ أي: لا يخرجن من بُيوتِهِنَّ إلا أن تَرْتَكِبَ المرأة فاحشةً مبينةً، فتخرج من المنزل، والفاحشة المبينة تشمل[3] الزِّنا، كما قاله ابن مسعود، وابن عبَّاس، وسعيد بن المُسَيَّب، والشعبي، والحسن، وابن سيرين، ومجاهد، وعِكْرمة، وسعيد بن جبير، وأبو قِلابة، وأبو صالح، والضَّحَّاكُ، وزيد بن أسلم، وعطاء الخُراساني، والسُّدِّي، وسعيد بن أبي هلال، وغيرهم، وتشمل ما إذا نشزت المرأة، أو بَذَت[4] علىٰ أَهْلِ الرَّجل وآذتهم في الكلام والفعال، كما قاله أبي بن كعب، وابن عبَّاس، وعكرمة، وغيرهم.

وقوله: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: شرائعه ومحارمه ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾ أي: يخرج عنها ويتجاوَزُهَا إلىٰ غيرها ولا يأتمر بها ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ أي: بفعل ذلك.

وقوله: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ أي: إنما أبقينا المطلَّقة في منزل الزَّوج في مدَّة العدة، لعلَّ الزَّوج يندمُ علىٰ طلاقها ويخلق الله في قَلْبِهِ رَجْعَتَهَا، فيكون ذلك أَيْسَرَ وأسهلَ.

قال الزُّهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن فاطمة بنت قيس في قوله: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ قالت: هي الرجعة، وكذا قال الشعبي، وعطاء، وقتادة، والضَّحَّاكُ، ومقاتل بن حيان،

---

(١) لوحة (١٠٥ أ). (٢) في (ز): (متعلقة). (٣) في (ز): (كمثل الزنا).

(٤) بذت: من البَذَاء، وهو: الفُحْش في القول، يقال: بَذَوْتُ علىٰ القوم بَذَاءً.

والثوري، ومن هاهنا ذهب مَن ذهب مِن السَّلف ومَن تابعهم، كالإمام أحمدَ بنِ حنبل رحمه الله: إلىٰ أنَّه لا تجب السُّكنَىٰ للمبتوتة[١]، وكذا المتوفَّىٰ عنها زوجُها، واعتمدوا[٢] أيضًا علىٰ حديث فاطمة بنت قيس الفِهْريَّة، حين طلقها زوجها أبو عمرِو بنُ حفص آخرَ ثلاثِ تطليقاتٍ، وكان غائبًا عنها باليَمَنِ، فأرسل إليها بذلك، فأرسل إليها وكيله بشعير -يعني نفقة- فتَسَخَّطته فقال: والله ليس لكِ علينا نفقةٌ، فأتت رسول الله ﷺ، فقال: «لَيسَ لَكِ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ». ولمسلم: «وَلا سُكنَىٰ»، وأمرها أن تَعْتَدَّ فِي بيت أُمِّ شَرِيك، ثم قال: «تِلْكَ امْرَأَةٌ يَغْشَاهَا أَصْحَابِي، اعْتَدِّي عِنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَعْمَىٰ تَضَعِينَ ثِيَابَكِ»[٣] الحديث.

وقد رواه الإمام أحمد من طريقٍ أخرىٰ بلفظٍ آخر، فقال: حدَّثنا يحيىٰ بن سعيد، حدَّثنا مجالد، حدَّثنا عامر قال: قدمت المدينة فأتيت فاطمة بنت قيس، فحدثتني أن زوجها طلقها علىٰ عهد النَّبيِّ ﷺ فبعثه رسول الله ﷺ في سَرِيَّةٍ، قالت: فقال لي أخوه: اخرجي من الدَّار، فقلت: إن لي نفقةً وسكنىٰ حتىٰ يحل الأجل، قال: لا، قالت: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إنَّ فلانًا طلَّقَنِي، وإنَّ أخاه أخرجني ومَنَعَنِي السُّكنىٰ والنَّفقة، [فأرسل إليه][٤] فقال: «مَا لَكَ وَلِابْنَةِ آلِ قَيْسٍ»، قال: يا رسول الله، إنَّ أخي طلَّقها ثلاثًا جميعًا، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «انْظُرِي يَا بِنْتَ آلِ قَيْسٍ، إِنَّمَا النَّفَقَةُ وَالسُّكْنَىٰ لِلْمَرْأَةِ عَلَىٰ زَوْجِهَا مَا كَانَتْ لَهُ عَلَيْهَا رَجْعَةٌ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهَا رَجْعَةٌ فَلَا نَفَقَةَ وَلا سُكْنَىٰ، اخْرُجِي فَانْزِلِي عَلَىٰ فُلَانَةٍ». ثم قال: «إِنَّهُ يُتَحَدَّثُ إِلَيْهَا، انْزِلِي عَلَىٰ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَإِنَّهُ أَعْمَىٰ لا يَرَاكِ» وذكر تمام الحديث[٥].

وقال أبو القاسم الطبراني: حدَّثنا أحمد بن عبد الله البزار التُّسْتَرِيُّ، حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف، حدَّثنا بكر بن بكار، حدَّثنا سعيد بن يزيد البجلي، حدَّثنا عامر الشعبي: أنه دخل علىٰ فاطمة بنت قيس أخت الضَّحَّاكِ بن قيس القرشي، وزوجها أبو عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي فقالت: إن أبا عمرو بن حفص أرسل إليَّ وهو منطلقٌ في جيشٍ إلىٰ اليمن بطلاقي، فسألتُ أولياءَهُ النَّفقة عليَّ والسكنىٰ، فقالوا: ما أرسل إلينا في ذلك شيئًا، ولا أوصانا به، فانطلقتُ إلىٰ رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن أبا عمرو بن حفص أرسل إلي بطلاقي، فطلبت السكنىٰ والنَّفقة عليَّ، فقال أولياؤه: لم يرسل إلينا في ذلك بشيءٍ. فقال رسول الله ﷺ:

(١) أي: المُطلقة طلاقًا بائنًا لا رجعة فيه. (٢) لوحة (١٠٥ ب).
(٣) مسلم (١٤٨٠)، وأحمد (٦/ ٣٧٣) والنسائي (٦/ ١٤٤). (٤) ليست في (ز)، وهي مثبتة في «المسند».
(٥) رواه أحمد (٦/ ٣٧٣)، وفي إسناده مجالد بن سعيد ليس بالقوي، لكن يشهد لحديثه الرواية السابقة.

«إِنَّمَا النَّفَقَةُ وَالسُّكْنَىٰ لِلْمَرْأَةِ إِذَا كَانَ لِزَوْجِها عَلَيْها رَجْعَةٌ، فَإِذَا كَانَتْ لا [١] تَحِلُّ لَهُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَلا نَفَقَةَ لَها وَلا سُكْنَىٰ» [٢].

وكذا رواه النَّسائي عن أحمد بن يحيىٰ الصوفي، عن أبي نُعَيم الفضل بن دُكَيْنٍ، عن سعيد بن يزيد وهو الأَحْمَسِي البَجَلي الكوفي. قال أبو حاتم الرازي: وهو شيخ يروىٰ عنه [٣].

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ [٤] وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا [٥] ﴿٣﴾﴾

يقول تعالىٰ: فإذا بلغت المعتدَّات أجلهن؛ أي: شارفْنَ [٦] علىٰ انقضاء العدَّة وقاربن ذلك، ولكن لم تفرغ العدَّة بالكليَّة، فحينئذٍ إمَّا أن يعزم الزَّوج علىٰ إمساكها، وهو رَجْعَتُها إلىٰ عصمةِ نكاحه والاستمرار بها علىٰ ما كانت عليه عنده ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: محسنًا إِلَيْهَا في صحبتها، وإما أن يَعْزِمَ علىٰ مفارقتها ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: مِن غير مقابحةٍ ولا مشاتمةٍ ولا تعنيفٍ، بل يُطلِّقها علىٰ وجهٍ جميلٍ وسبيلٍ حسنٍ.

وقوله: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أي: علىٰ الرَّجعة إذا عَزمتم عليها، كما رواه أبو داود وابن ماجه، عن عمران بن حُصَينٍ: أنَّه سُئِلَ عن الرجل يُطلِّق امرأته ثم يقع بها، ولم يَشْهَدْ علىٰ طلاقِهَا ولا علىٰ رَجْعَتِها، فقال: طلَّقتَ لغير سُنَّةٍ، ورجعتَ لغير سُنَّةٍ، وأشهِدْ علىٰ طلاقها وعلىٰ رجعتها، ولا تَعُدْ [٧].

---

(١) لوحة (١٠٦ أ).

(٢) رواه الطبري (٢٤/ ٣٨٢) وإسناده صحيح. (٣) النسائي (٦/ ١٤٤).

(٤) قال الشيخ القاسمي رحمه الله: قال الزَّمَخْشَرِي: قيل: فائدة الإشهاد أن لا يقع بينهما التجاحد، وأن لا يُتَّهم في إمساكها؛ ولئلا يموت أحدهما فيدَّعِيَ الباقي ثبوت الزوجية ليرث.

(٥) قال الشيخ أبو بكر الجزائري حفظه الله: روىٰ القرطبي عن الربيع بن خثيم قوله: إن الله تعالىٰ قضىٰ علىٰ نفسه أن من توكل عليه كفاه، ومن آمن به هداه، ومن أقرضه جازاه، ومن وثق به نجاه، ومن دعاه أجاب له، وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن:١١] ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣]. ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ [التغابن:١٧] ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].

(٦) في (ز): (سافرن).

(٧) صحيح: رواه أبو داود (٢١٨٦)، وابن ماجه (٢٠٢٥).

وقال ابن جُرَيجٍ: كان عطاء يقول: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ قال: لا يجوز في نكاحٍ ولا طلاقٍ ولا رِجاعٍ إلا شاهدًا عدلٍ، كما قال الله ﷻ إلَّا أن يكون مِن عذرٍ.

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ أي: هذا الَّذي أمرناكم به من الإشهاد وإقامة الشَّهادة، إنَّما يأتمر به مَن يؤمن بالله [واليوم الآخر][1] وأنَّه شرع هذا، ومَن يخاف عقاب الله في الدَّار الآخرة.

ومن هاهنا ذهب الشافعي -في أحد قوليه- إلىٰ وجوب الإشهاد في الرَّجعة، كما يجب عنده في ابتداء النكاح، وقد قال بهذا طائفةٌ من العلماء، ومن قال بهذا يقول: إنَّ الرَّجعة لا تصحُّ إلا بالقول لِيَقَعَ الإشهاد عليها.

وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي: ومَن يتَّقِ الله فيما أمره به، وتَرَكَ ما نهاه عنه، يجعلْ له مِن أمره مخرجًا، ويرزقْهُ مِن حيثُ لا يحتسب؛ أي: مِن جهةٍ لا تخطرُ ببالِهِ.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا يزيد، أخبرنا كَهْمس بن الحسن، حدَّثنا أبو السَّلِيل، عن أبي ذرٍّ قال: جعل[2] رسول الله ﷺ يتلو عَلَيَّ هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ حتىٰ فرغ من الآية، ثم قال: «يَا أَبَا ذَرٍّ، لَوْ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ أَخَذُوا بِهَا كَفَتْهُمْ». وقال: فجعل يتلوها ويُرددها علي حتىٰ نَعست، ثم قال: «يَا أَبَا ذَرٍّ، كَيْفَ تَصْنَعُ إِنْ[3] أُخْرِجْتَ مِنَ الْمَدِينَةِ؟» قلتُ: إلىٰ السَّعة والدَّعة أنطلق، فأكون حمامةً مِن حمام مكَّة، قال: «كَيْفَ تَصْنَعُ إِنْ أُخْرِجْتَ مِنْ مَكَّةَ؟». قال: قلت: إلىٰ السَّعة والدَّعة، وإلىٰ الشَّام والأرض المقدَّسة، قال: «وَكَيْفَ تَصْنَعُ إِنْ أُخْرِجْتَ مِنَ الشَّامِ؟». قلت: إذًا -والذي بعثك بالحق- أضعُ سيفي علىٰ عاتقي، قال: «أَوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ؟». قلت: أو خير من ذلك؟ قال: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا»[4].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أحمد بن منصور الرمادي[5]، حدَّثنا يعلىٰ بن عبيد، حدَّثنا زكريا، عن عامر، عن شُتَير[6] بن شكَل قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: إنَّ أجمع آيةٍ في القرآن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] وإن أكثر آيةٍ في القرآن فرجًا: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[7].

---

(١) ليس في (ز).

(٢) لوحة (١٠٦ ب). (٣) في (ز): (إذا)، والمثبت كما في «المسند».

(٤) ضعيف: رواه أحمد (٥/ ١٧٨) ورجاله ثقات إلا أن أبا السليل لم يدرك أبا ذر، فالإسناد منقطع.

(٥) في (ز): (الرياذي). (٦) في (ز): (شتيل)، وهو خطأ.

(٧) تقدم رقم (٤٦) من سورة النحل.

وفي «المسند»: حدَّثني مهدي بن جعفر، حدَّثنا الوليد بن مسلم، عن الحكم بن مصعب، عن محمَّد بن علي بن عبد الله بن عبَّاس، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عبَّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ جَعَلَ اللهُ [لَهُ](١) مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»(٢).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ يقول: يُنَجِّيه مِن كلِّ كربٍ في الدُّنيا والآخرة ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

وقال الربيع بن خُثَيم: ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ أي: من كل شيءٍ ضاق علىٰ النَّاس.

[وقال عكرمة: من طلق كما أمره الله يجعل له مخرجًا، وكذا رُوِيَ عن ابن عبَّاس، والضَّحَّاكِ.](٣)

وقال ابن مسعود، ومسروق: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ يعلم أن الله إن شاء منع، وإن شاء أَعْطىٰ ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي: مِن حيث لا يدري.

وقال قتادة: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ أي: من شُبُهَاتِ الأمور والكُرَبِ عند الموت، ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ ومِن حيث لا يرجو أو لا يأمُلُ.

وقال السُّدِّي: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ يطلق للسُّنَّة، ويراجع للسُّنَّة، وزعم أن رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له: «عوف بن مالك الأشجعي» كان له ابنٌ، وأنَّ المشركين أسروه، فكان فيهم، وكان أبوه يأتي رسول الله ﷺ فيشكو إليه مكانَ ابنه وحالَهُ التي هو بها وحاجتَهُ، فكان رسول الله ﷺ يأمره بالصبر، ويقول(٤) له: «إِنَّ اللهَ سَيَجْعَلُ لَكَ فَرَجًا» فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرًا أَنِ انفلت ابنه من أيدي العَدُوِّ فمَرَّ بغنمٍ مِن أغنام العدوِّ، فاستاقها فجاء بها إلىٰ أبيه، وجاء معه [بغنًىٰ](٥) قد أصابه من الغنم، فنزلت فيه هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ رواه ابن جرير، وروي أيضًا من طريق سالم بن أبي الجعد مرسلًا نحوه(٦).

---

(١) ليست في (ز)، وهي مثبتة في «المسند».

(٢) ضعيف: رواه أبو داود (١٥١٨)، وابن ماجه (٣٨١٩)، وفيه الحكم بن مصعب: مجهول.

(٣) لوحة (١٠٧ أ).

(٤) ما بين المعكوفتين ليس في (ز).

(٥) بياض في (ز)، والزيادة من «الطبري».

(٦) مرسل: رواه الطبري (٢٨/ ١٣٨). وله طريق أخرىٰ عن ابن عبَّاس، عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٩٦). إلىٰ الخطيب في «تاريخه»، وإسناده ضعيفٌ جدًّا، فيه جُوَيْبِر: متروك، والضَّحَّاكُ لم يلقَ ابن عبَّاس.

وقال الإمام أحمد، حدَّثنا وكيع، حدَّثنا سفيان، عن(١) عبد الله بن عيسىٰ، عن عبد الله بن أبي الجعد، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ، وَلا يَرُدُّ القَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلا يَزِيدُ فِي العُمْرِ إِلَّا البِرُّ**».

ورواه النسائي وابن ماجه، من حديث سفيان -وهو الثوري- به(٢).

وقال محمَّد بن إسحاق: جاء مالك الأشجعي إلىٰ رسول الله ﷺ فقال له: أُسِرَ ابني عوفٌ. فقال له رسول الله ﷺ: «**أَرْسِلْ إِلَيْهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ يَأْمُرُكَ أَنْ تُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**». وكانوا قد شدُّوه بالقِدِّ(٣) فسقط القِدُّ عنه، فخرج، فإذا هو بناقة لهم فركبها، وأقبل فإذا بسَرْح(٤) القوم الذين كانوا قد شدُّوه فصاح بهم، فاتَّبع أولُها آخرَها، فلم يَفْجَأْ أبويه إلا وهو ينادي بالباب، فقال أبوه: عوف وربِّ الكعبة، فقالت أمُّه: وا سوأتاه، وعوف [كيف يقدم]؟!(٥) لما هو فيه من القد، فاستبقا الباب والخادم، فإذا عوف قد ملأ الفناء إبلًا فقصَّ علىٰ أبيه أمره وأمر الإبل، فقال أبوه: قِفَا حتىٰ آتي رسول الله ﷺ فأسأله عنها، فأتىٰ رسول الله ﷺ فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل، فقال له رسول الله ﷺ: «**اصْنَعْ بِهَا مَا أَحْبَبْتَ، وَمَا كُنْتَ صَانِعًا بِمَالِكَ**». ونزل: ﴿**وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾ رواه ابن أبي حاتم(٦).

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا علي بن الحسين، حدَّثنا محمَّد بن علي بن الحسن بن شقيق(٧)، حدَّثنا إبراهيم بن الأشعث، حدَّثنا الفضيل بن عياض، عن هشام بن حسان(٨) عن عمران بن حُصَين قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنِ انْقَطَعَ إِلَىٰ اللهِ كَفَاهُ اللهُ كُلَّ مَئُونَةٍ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ، وَمَنِ انْقَطَعَ إِلَىٰ الدُّنْيَا وَكَلَهُ إِلَيْهَا**»(٩).

وقوله: ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ**﴾ قال الإمام أحمد: حدَّثنا يونس، حدَّثنا ليث، حدَّثنا قيس بن الحجاج، عن حَنَشٍ الصنعاني، عن عبد الله بن عبَّاس: أنَّه حدَّثه أنَّه ركب خلف

---

(١) في (ز): (سفيان بن عبد الله بن عيسىٰ)، والمثبت هو الصواب.
(٢) رواه أحمد (٥/ ٢٧٧) وهو ضعيف؛ لجهالة عبد الله بن أبي الجعد.
(٣) القِدُّ: وتر القوس.
(٤) السرح: الماشية.
(٥) بياض في (ز).
(٦) مرسل: لأنه من رواية ابن إسحاق وهو لم يدرك مالكًا الأشجعي، والحديث رواه ابن أبي حاتم (١٨٩١١).
(٧) في (ز): (الحسن بن سفيان)، والمثبت من «الجرح والتعديل».
(٨) في (ز): (هشام بن الحسن)، وهو خطأ.
(٩) حسن لغيره: رواه ابن أبي حاتم (١٨٩١٣)، فيه إبراهيم بن الأشعث: ضعيف، ويشهد له حديث ابن مسعود الآتي.

رسول الله ﷺ يومًا فقال له رسول الله ﷺ: «يَا غُلَامُ، إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: [احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ،](١) احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ(٢) فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ». وقد رواه الترمذي من حديث اللَّيث بن سعد، وابن لَهِيعةَ به، وقال: حسنٌ صحيحٌ(٣).

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا وَكيعٌ، حدَّثنا بشير بن سلمان، عن سيار أبي الحكم، عن طارق بن شهاب، عن عبد الله -هو ابن مسعود- قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَزَلَ بِهِ حَاجَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ كَانَ قَمِنًا أَنْ لَا تُسَهَّلَ حَاجَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللهِ أَتَاهُ اللهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ، أَوْ بِمَوْتٍ آجِلٍ»(٤).

ثم رواه عن عبد الرزاق، عن سفيان، عن بشير، عن سيار أبي حمزة، ثم قال: وهو الصَّواب، وسيار أبو الحكم لم يحدث عن طارق(٥).

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ أي: مُنفِذٌ قضاياه وأحكامَهُ في خلقه بما يريده ويشاؤه ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ كقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾

يقول تعالىٰ مبينًا لعدة الآيسة -وهي التي قد انقطع عنها الحيض لكبرها-: إنَّها ثلاثةُ أشهرٍ، عوضًا عن الثَّلاثة قروء في حقِّ مَن تحيض، كما دلَّت علىٰ ذلك آية «البقرة» وكذا الصِّغار اللَّائي لم يبلغْنَ سنَّ الحيض أنَّ عدَّتهن كعدة الآيسَةِ ثلاثةُ أشهرٍ؛ ولهذا قال: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾.

وقوله: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما -وهو قول طائفة من السَّلف، كمجاهد، والزهري، وابن زيد-: أي إن رَأَيْنَ دمًا وشَكَكْتُم في كونه حيضًا أو استحاضةً، وارتبتم فيه.

---

(١) سقط من (ز)، وهي مثبتة في الحديث.

(٢) لوحة (١٠٧ ب).

(٣) رواه أحمد (١/ ٢٩٣)، والترمذي (٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح، وللحافظ ابن رجب شرح وافٍ لهذا الحديث في كتابه «جامع العلوم والحكم».

(٤) صحيح: رواه أحمد (١/ ٤٤٢) وصححه الألباني في «صحيح الجامع».

(٥) رواه أحمد (١/ ٤٤٢).

والقول الثَّاني: إن ارتبتم في حكم عدَّتهن، ولم تعرفوه فهو ثلاثة أشهرٍ، وهذا مرويٌّ عن سعيد بن جبير، وهو اختيار ابن جرير، وهو أظهر في المعنىٰ، وَاحتَجَّ عليه بما رواه عن أبي كُرَيْبٍ وأبي السائب قالا: حدَّثنا ابن إدريس، أخبرنا مطرِّفٌ، عن عمرو بن سالم قال: قال أبي بن كعب: يا رسول الله، إنَّ عِددًا مِن عِدد النساء لم تذكر في الكتاب: الصغار والكبار وأولات الأحمال قال: فأنزل الله ﷻ: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ[1] أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ﴾[2].

ورواه ابن أبي حاتم بأبسط من هذا السياق فقال: حدَّثنا أبي، حدَّثنا يحيىٰ بن المغيرة، أخبرنا جرير، عن مُطرِّفٍ، عن عمر بن سالم، عن أبي بن كعب قال: قلت لرسول الله ﷺ: إنَّ ناسًا من أهل المدينة لما أنزلت هذه الآية التي في «البقرة» في عدة النِّساء قالوا: لقد بقي من عدة النساء عِدَدٌ لم يُذكَرْن في القرآن: الصِّغار والكِبَار اللَّائي قد انقطع عنهنَّ الحيض، وذوات الحمل، قال: فأنزلت الَّتِي في «النِّساء القصرىٰ»[3]: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ [فَعِدَّتُهُنَّ][4] ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ﴾[5].

وقوله: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ﴾ يقول تعالىٰ: ومَن كانت حاملًا فعدتها بوضعه، ولو كان بعد الطلاق أو الموت بفُوَاق[6] ناقة في قول جمهور العلماء من السَّلف والخلف، كما هو نَصُّ هذه الآية الكريمة، وكما وردت به السُّنَّة النَّبويَّة، وقد رُوي عن علي وابن عبَّاس ﵃ أنَّهما ذهبا في المتوفَّىٰ عنها زوجُها أنها تعتد بأبعد الأجلين من الوَضْعِ أو الأَشْهُر، عملًا بهذه الآية الكريمة، والتي في سورة «البقرة». وقد قال البخاري: حدَّثنا سعد[7] بن حفص، حدَّثنا شيبان، عن يحيىٰ قال: أخبرني أبو سلمة قال: جاء رجل إلىٰ ابن عبَّاس -وأبو هريرة جالس- فقال: أفتني في امرأةٍ ولدت بعد زوجها بأَرْبَعِينَ ليلة، فقال: ابن عبَّاس آخر الأجلين، قلت أنا: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ

---

(١) لوحة (١٠٨ أ).

(٢) ضعيف: رواه الطبري (٢٨/ ١٤١) وابن أبي حاتم (١٨٩١٥)، وابن أبي شيبة، وفيه عمرو بن سالم، قال الحافظ: مقبول، وعمرو بن سالم لم يدرك أبي بن كعب. انظر: «تهذيب الكمال» (٣٤/ ٦٩).

(٣) المقصود بسورة «النساء القصرىٰ» هي هذه السورة (الطلاق)، وسميت بذلك لتسميتهم سورة النساء الرابعة من القرآن بـ(سورة النساء الطولىٰ) للفرق في عدد الآيات بينهما.

(٤) في (ز): مكان هذه الكلمة: (إلىٰ قد يئست).

(٥) انظر التخريج السابق.

(٦) في (ز): (بفراق).

(٧) في (ز): (سعيد بن حفص)، وهو خطأ، وهو سعد بن حفص الطَّلْحي أبو محمد الكوفي المعروف بالضخم، من شيوخ البخاري.

﴿أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي -يعني أبا سلمة- فأرسل ابن عبَّاس غلامه كُرَيبًا إلىٰ [أم سلمة][(١)] يسألها، فقالت: قُتِلَ زوج سُبَيْعَةَ الأسلميَّةِ وهي حبلىٰ، فوضعت بعد موتِهِ بأربعين ليلةً، فَخُطِبَت، فأنكحها رسول الله ﷺ وكان أبو السَّنابل فيمن خطبها[(٢)].

هكذا أورد البخاري هذا الحديث هاهنا مختصرًا. وقد رواه هو ومسلم وأصحاب الكتب مطولًا من وجوهٍ أُخَر، وقال الإمام أحمد: حدَّثنا حماد بن أسامة، أخبرنا هشام، عن أبيه، عن المِسْوَر بن مَخْرَمَةَ؛ أنَّ سُبَيْعَةَ الأسلمية تُوفي عنها زوجُها وهي حامل، فلم تمكث إلا ليالِيَ حتىٰ وضعت، فلما تَعَلَّتْ[(٣)] مِن نِفاسها خُطبت، فاستأذنت رسول الله ﷺ في النِّكاح، فأذن لها أن تُنكح فنُكحت[(٤)]. ورواه البخاري في «صحيحه»، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه من طرق عنها.

كما قال مسلم بن الحجاج: حدَّثني أبو الطاهر، أخبرنا ابن وهب، حدَّثني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، حدَّثني عبيد الله بن[(٥)] عبد الله بن عُتبة: أن أباه كتب إلىٰ عمر بن عبد الله بن الأرقم الزهري يأمره أن يدخل علىٰ سُبَيعةَ بنت الحارث الأسلمية، فيسألها عن حديثها، وعمَّا قال لها رسول الله ﷺ حين استفتته، فكتب عُمر بن عبد الله [إلىٰ عبد الله بن عتبة][(٦)] يخبره أن سبيعة [أخبرته][(٧)] أنها كانت تحت سَعد[(٨)] بن خَوْلة -وكان ممن شهد بدرًا- فتُوُفِّي عنها في حجة الوداع وهي حاملٌ، فلم تَنشَبْ أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تَعَلَّتْ مِن نِفَاسِها تجملت للخُطَّابِ، فدخل عليها أبو السَّنَابِل بن بَعْكَك، فقال لها: مالي أراكِ متجمِّلةً؟! لعلَّك تَرجِين النِّكاح، إنَّك والله ما أنتِ بناكح حتَّىٰ تَمرَّ عليك أربعة أشهرٍ وعشرٌ، قالت سُبَيعَة: فلمَّا قال لي ذلك جَمعتُ عليّ ثيابي حين أمسيتُ، فأتيتُ رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك، فأفتاني بأنِّي قد حَلَلتُ حين وضعتُ حملي، وأمرني بالتَّزويج إن بدا لي[(٩)].

هذا لفظ مسلم.

ورواه البخاري مختصرًا[(١٠)].

---

(١) ليست في (ز)، وهي مثبتة في «البخاري».

(٢) رواه البخاري (٤٩٠٩).

(٣) أي: طهرت.

(٤) البخاري (٥٣٢٠)، ومسلم (١٤٨٤) وأحمد (٤/ ٣٢٧)، وأبو داود (٢٣٠٦)، والنسائي (٦/ ١٩٦)، وابن ماجه (٣٠٢٩).

(٥) لوحة (١٠٨ ب).

(٦) ليست في (ز)، وهي مثبتة من «صحيح مسلم».

(٧) ليست في (ز)، والمثبت كما في «صحيح مسلم».

(٨) في (ز): (سعيد)، وهو خطأ.

(٩) مسلم (١٤٨٤).

(١٠) البخاري (٥٣١٩).

ثم قال البخاري بعد ذلك؛ أي: بعد رواية الحديث الأول عند هذه الآية: وقال سليمان بن حرب وأبو النعمان: حدَّثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن محمَّد -هو ابن سيرين- قال: كنت في حلقةٍ فيها عبد الرَّحمن بن أبي ليلىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ: وكان أصحابه يعظمونه، فذكر آخر الأجلين، فحدَّثتُ بحديث سُبَيعةَ بنت الحارث عن عبد الله بن عتبة، قال: فَضَمَّزَ لي[1] بعض أصحابه، وقال محمَّد: فَفَطِنْتُ له فقلت له: إني لجريءٌ أن أكذبَ علىٰ عبد الله وهو في ناحية الكوفة، قال: فاستحيا، وقال: لكنَّ عَمَّه لم يقُلْ ذلك[2]، فلقيت أبا عطية مالك بن عامر فسألته، فذهب يحدِّثني بحديث سُبَيعةَ، فقلت: هل سمعت عن عبد الله فيها شيئًا؟ فقال: كنا عند عبد الله فقال: أتجعلون عليها التَّغليظَ، ولا تجعلون عليها الرُّخصة؟ نزلت سورة «النساء القُصْرىٰ» بعد «الطُّولىٰ»: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[3].

ورواه ابن جرير، من طريق سفيان بن عيينة وإسماعيل بن عُلَيَّةَ، عن أيوب به مختصرًا.

ورواه النسائي في التَّفسير عن محمَّد بن عبد الأعلىٰ، عن خالد بن الحارث، عن ابن[4] عون، عن محمَّد بن سيرين فذكره.

وقال ابن جرير: حدَّثني زكريا بن يحيىٰ بن أبان المصري، حدَّثنا سعيد بن أبي مريم، حدَّثنا محمَّد بن جعفر، حدَّثني ابن شُبْرُمَة الكوفي، عن إبراهيم، عن علقمة بن قيس؛ أن عبد الله بن مسعود قال: مَن شاء لاعنته، ما نزلت: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ إلَّا بعد[5] آية المتوفَّىٰ عنها زوجها، قال: وإذا وضعت المتوفىٰ عنها زوجها فقد حلَّت، يريد بآية المتوفىٰ عنها زوجها ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤][6].

وقد رواه النسائي من حديث سعيد بن أبي مريم به[7].

ثم قال ابن جرير: حدَّثنا أحمد بن مَنِيع، حدَّثنا محمَّد بن عبيد، حدَّثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي قال: ذُكِرَ عند ابن مسعود آخر الأجلين، فقال: من شاء قاسمته بالله إنَّ هذه الآية التي في «النِّساء القُصْرَىٰ» نزلت بعد الأربعة الأشهر والعشر، ثم قال: أَجَلُ الحاملِ أن تضع ما في بطنها[8].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدَّثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان،

---

(١) أي: أسكتني.
(٢) يعني: عبدالله بن مسعود لا يقول بأبعد الأجلين.
(٣) البخاري (٤٩١٠)، والطبري (٢٨/ ١٤٣)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٠٤٣).
(٤) في (ز): (أبي عون)، وهو خطأ.
(٥) لوحة (١٠٩ أ).
(٦) تفسير الطبري (٢٨/ ١٤٣).
(٧) النسائي (٦/ ١٩٧).
(٨) تفسير الطبري (٢٨/ ١٤٣).

عن الأعمش، عن أبي الضُّحىٰ، عن مسروق قال: بلغ ابن مسعودٍ أن عليًّا ﷺ يقول: آخر الأجلين. فقال: من شاء لاعنته، إن الَّتِي في النِّساء القُصرىٰ نزلت بعد البقرة: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾. ورواه أبو داود وابن ماجه، من حديث أبي معاوية، عن الأعمش[١].

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدَّثني محمَّد بن أبي بكر المقدّمي، أخبرنا عبد الوهاب الثقفي، حدَّثنا المثنىٰ، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو، عن أبي بن كعب قال: قلت للنبي ﷺ: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ المطلقة ثلاثًا أو المتوفَّىٰ عنها؟ فقال: «هِيَ المُطَلَّقَةُ ثَلَاثًا وَالمُتَوَفَّىٰ عَنْهَا»[٢].

هذا حديث غريبٌ جدًّا، بل منكر؛ لأن في إسناده المثنىٰ بنَ الصَّباحِ، وهو متروك الحديث بمرَّة ولكن رواه ابن أبي حاتم بسندٍ آخر، فقال: حدَّثنا محمَّد بن داود السِّمْناني، حدَّثنا عمرو بن خالد - يعني: الحَرَّاني- حدَّثنا ابن لَهِيعة، عن عمرو بن شعيب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي بن كعب، أنَّه لما نزلت هذه الآية قال لرسول الله ﷺ: لا أدري أمشتركة أم مبهمة؟ قال رسول الله ﷺ: «أَيَّةُ آيَةٍ؟». قال: ﴿أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ المتوفىٰ عنها والمطلَّقة؟ قال: «نَعَمْ»[٣].

وكذا رواه ابن جرير، عن أبي كُرَيْبٍ، عن موسىٰ بن داود، عن ابن لهيعة، به، ثم رواه عن أبي كُرَيب أيضًا، عن مالك بن إسماعيل، عن ابن عيينة، عن عبد الكريم بن أبي المُخَارِق أنَّه حدَّث عن أبيّ بن كعب قال: سألت رسول الله ﷺ عن: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ قال: «أَجَلُ[٤] كُلِّ حَامِلٍ أَنْ تَضَعَ مَا فِي بَطْنِهَا»[٥]، عبد الكريم هذا ضعيفٌ، ولم يدرك أُبيًّا.

وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ أي: يسهل له أمره، وييسره عليه، ويجعل له فرجًا قريبًا ومخرجًا عاجلًا.

ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾ أي: حكمه وشرعه أنزله إليكم بواسطة رسوله ﷺ ﴿وَمَن

---

(١) أبو داود (٢٣٠٧)، وابن ماجه (٢٠٣٠).

(٢) ضعيف: فيه المثنىٰ بن الصباح قال أحمد: مضطرب الحديث، واختلف فيه قول ابن معين، فقال مرة: ثقة، وقال مرة: ضعيف يكتب حديثه ولا يترك، وقال أبو حاتم وأبو زرعة: لين الحديث، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال في موضع آخر: متروك الحديث، وقال ابن عدي: وقد ضعفه الأئمة المتقدمون، والضعف علىٰ حديثه بيِّن، وقال يحيىٰ بن سعيد: كان منه اختلاط في عطاء. انظر: «تهذيب الكمال» (٢٧/ ٢٠٣)، وقال الحافظ: ضعيف اختلط بآخره وكان عابدًا. رواه عبد الله بن الإمام أحمد (٥/ ١١٦).

(٣) رواه ابن أبي حاتم (١٨٩١٧)، وانظر ما قبله.

(٤) لوحة (١٠٩ ب).

(٥) رواه الطبري (٢٨/ ١٤٣) وفيه عبد الكريم بن أبي المُخَارِق: ضعيف، وهو أيضًا لم يدرك أُبيًّا، ولكن اعلم أن معنىٰ هذه الأحاديث صحيح، وهو ظاهر الآية.

يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ أي: يذهب عنه المحذور، ويجزل له الثَّواب على العمل اليَسِير.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾

يقول تعالىٰ آمِرًا عباده إذا طلَّق أحدُهم المرأةَ أن يُسكنَها في منزلٍ حتَّىٰ تنقضي عدتها، فقال: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ أي: عندكم، ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ قال ابن عبَّاس، ومجاهد، وغير واحدٍ: يعني سَعَتكم، حتىٰ قال قتادة: إن لم تجد إلا جنب بيتك فأسكنها فيه.

وقوله: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ قال مقاتل بن حيان: يعني يُضَاجِرُها لتفتدي منه بمالها أو تخرج من مسكنه.

وقال الثوري، عن منصور، عن أبي الضُّحَىٰ: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ قال: يطلقها، فإذا بقي يومان راجعها.

وقوله: ﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ قال كثير من العلماء منهم ابن عبَّاس، وطائفة من السَّلف، وجماعات من الخلف: هذه في البائن، إن كانت حاملًا أنفق عليها حتىٰ تضعَ حملها، قالوا: بدليل أنَّ الرجعيَّة تجب نفقتها، سواء كانت حاملًا أو حائلًا.

وقال آخرون: بل السِّياق كله في الرجعيات، وإنَّما نصَّ علىٰ الإنفاق علىٰ الحامل وإن كانت رَجْعِيَّةً؛ لأنَّ الحمل تطول مدَّته غالبًا، فاحْتِيجَ إلىٰ النَّصِّ علىٰ وجوب الإنفاق إلىٰ الوضع؛ لئلا يتوهم أنَّه إنَّما تجب النَّفقة بمقدار مدة العدة.

واختلف العلماء: هل النَّفقة لها بواسطة الحمل، أم للحمل وحده؟ علىٰ قولين منصوصين عن الشَّافعي وغيره، ويتفرَّع عليها مسائل مذكورة في علم الفروع.

وقوله: ﴿فَإِنْ[1] أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أي: إذا وضعن حملهن وهنَّ طوَالِق، فقد بِنَّ بانقضاء عدتهن، ولها حينئذٍ أن ترضع الولد، ولها أن تمتنع منه، ولكن بعد أن تغذيه باللبَأ، وهو باكورة اللبن الذي لا قوام للولد غالبًا إلا به، فإن أرضعت استحقت أجر مثلها، ولها أن تعاقد أباه أو وليَّه علىٰ ما يتَّفِقَان عليه

(١) لوحة (١١٠ أ).

مِن أجرةٍ؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ وقوله: ﴿وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖ﴾ أي: ولتكن أموركم فيما بينكم بالمعروف، مِن غير إضرارٍ ولا مضارَّةٍ[1]، كما قال تعالىٰ في سورة «البقرة»: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وقوله: ﴿وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ﴾ أي: وإن اختلف الرَّجل والمرأة، فطلبت المرأة في أجرة الرَّضاع كثيرًا ولم يُجِبْها الرَّجل إلىٰ ذلك، أو بذل الرَّجل قليلًا ولم تُوافِقْه عليه، فليسترضع[2] له غيرها، فلو رَضِيت الأُم بما استؤجرت عليه الأجنبيَّة فهي أحقُّ بولدها.

وقوله: ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ أي: لينفق علىٰ المولود والده، أو وليه، بحسب قدرته، ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ كقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

روىٰ ابن جرير: حدَّثنا ابن حميد، حدَّثنا حَكَّامٌ، عن أبي سنان قال: سأل عمر بن الخطاب عن أبي عبيدة، فقيل: إنَّه يلبس الغليظ من الثِّياب، ويأكل أخشن الطعام، فبعث إليه بألف دِينَارٍ، وقال للرَّسول: انظر ما يصنع بها إذا هو أخذها: فمَا لَبِث أَن لبس اللَّيِّن من الثِّياب، وأكل أطيب الطعام، فجاءه الرَّسول فأخبره، فقال: رحمه الله تأوَّل هذه الآية: ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾[3].

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في «معجمه الكبير»: حدَّثنا هاشم بن مرثد[4] الطبراني، حدَّثنا محمَّد بن إسماعيل بن عياش، أخبرني أبي، أخبرني ضَمْضَم بن زُرْعَةَ، عن شُرَيح بن عبيد، عن[5] أبي مالك الأشعري -واسمه الحارث- قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، كَانَ لِأَحَدِهِمْ عَشَرَةُ دَنَانِيرَ، فَتَصَدَّقَ مِنْهَا بِدِينَارٍ، وَكَانَ لِآخَرَ عَشْرُ أَوَاقٍ، فَتَصَدَّقَ مِنْهَا بِأُوقِيَّةٍ، وَكَانَ لِآخَرَ مِائَةُ أُوقِيَّةٍ، فَتَصَدَّقَ مِنْهَا بِعَشْرِ أَوَاقٍ**». فقال رسول الله ﷺ[6]: «**هُمْ فِي الأَجْرِ**[7] **سَوَاءٌ، كُلٌّ قَدْ تَصَدَّقَ بِعُشْرِ مَالِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦ﴾**» هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه[8].

وقوله: ﴿سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا﴾ وعدٌ منه تعالىٰ، ووعده حقٌّ، وهو لا يخلفه، وهذه كقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا﴾ [الشرح: ٥، ٦].

---

(١) في (ز): (ولا مضاررة).   (٢) في (ز): (فلترضع له).

(٣) رواه الطبري (٢٨/ ١٤٩)، وفيه محمَّد بن حميد: حافظ ضعيف.

(٤) كذا في (ز)، وهو الصواب، وفي ط. «الشعب»: (هاشم بن مزيد)، وهو خطأ.

(٥) في (ز): (عبيد بن أبي مالك)، والمثبت هو الصواب.

(٦) لوحة (١١٠ ب).   (٧) في (ز): (هم في الآخرة).

(٨) ضعيف: رواه الطبراني (٣/ ٣٣١/ ٣٤٣٩) وفيه محمَّد بن إسماعيل بن عياش: ضعيف.

وقد روىٰ الإمام أحمد حديثًا يَحسُنُ أن نذكره هاهنا، فقال: حدَّثنا هاشم بن القاسم، حدَّثنا عبد الحميد بن بَهْرَام، حدَّثنا شَهْرُ بن حَوْشَبٍ قال: قال أبو هريرة: بينما رَجُلٌ وامرأةٌ له في السلف الخالي لا يقدران علىٰ شيءٍ، فجاء الرَّجل مِن سفره، فدخل علىٰ امرأته جائعًا قد أصاب مَسْغَبَةً شديدةً، فقال لامرأته: عندك شيء؟ قالت: نعم، أبشر، أتاك[1] رزق الله، فاستحثَّها، فقال: ويحك! ابتغي إن كان عندك شيءٌ، قالت نعم، هُنَيهةً، ترجو رحمة الله، حتىٰ إذا طال عليه الطَّوَىٰ[2][3] قال: ويحك! قومي فابتغي إن كان عندك شيءٌ فائْتِينِي به، فإنِّي قد بُلغتُ[4] وجَهِدتُ. فقالت: نعم، الآن يُنضج التنور فلا تعجل، فلما أن سكت عنها ساعةً وتحيّنت أن يقول لها، قالت من عند نفسها: لو قمتُ فنظرتُ إلىٰ تنوري؟ فقامَتْ فنظرَت إلىٰ تَنورها ملآن من جُنُوبِ الغنم، ورَحْيَيْهَا تطحنَان. فقامت إلىٰ الرحىٰ فنفضتها، واستخرجت ما في تنورها من جُنُوب الغنم.

قال أبو هريرة: فوالذي نفس أبي القاسم بيده، هو قول محمَّدﷺ: «**لَوْ أَخَذَتْ مَا فِي رَحْيَيْهَا وَلَمْ تَنْفُضْهَا لَطَحَنَتْهَا إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**»[5].

وقال في موضعٍ آخر: حدَّثنا أبو عامر، حدَّثنا أبو بكر، عن هشام، عن محمَّد -وهو ابن سيرين- عن أبي هريرة قال: دخل رجل علىٰ أهله، فلمَّا رأىٰ ما بهم من الحاجة خرج إلىٰ البَرِّيَّة، فلمَّا رأت امرأته قامت إلىٰ الرَّحىٰ فوضعتها، وإلىٰ التَّنُّورِ فسَجَرته[6]، ثم قالت: اللَّهمَّ ارزقنا. فنظرت، فإذا الجفنة قد امتلأت، قال: وذهبت إلىٰ التَّنُّورِ فوجدته ممتلئًا، قال: فرجع الزَّوج قال: أصبتم بعدي شيئًا؟ قالت امرأته: نعم، مِن رَبِّنا، قام إلىٰ الرحىٰ، فذكر ذلك للنبيﷺ فقال النَّبيُّﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ لَوْ لَمْ تَرْفَعْهَا، لَمْ تَزَلْ تَدُورُ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**»[7].

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ[8] إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾

---

(١) في (ز): (أنا لي رزق)، والمثبت كما في «المسند».

(٢) في (ز): (الطول)، والمثبت كما في «المسند».

(٣) الطوىٰ: خلو البطن.

(٤) أي: جهدت، فالعطف عطف تفسير.

(٥) رواه أحمد (٢/ ٤٢١)، وفيه شهر بن حوشب: صدوق كثير الأوهام والإرسال، والإسناد منقطع. ورواه أحمد (٢/ ٥١٣) من طريق محمَّد بن سيرين به وهو متابع للإسناد الأول.

(٦) أي: أحمته.

(٧) رواه أحمد (٢/ ٥١٣)، وانظر التعليق السابق.

(٨) لوحة (١١١ أ).

يقول تعالىٰ متوعِّدًا لمن خالف أمره، وكذب رسله، وسلك غير ما شرعه، ومخبرًا عمَّا حلَّ بالأمم السَّالفة بسبب ذلك، فقال: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ ﴾ أي: تمرَّدت وطغت واستكبرت عن اتِّباع أمر الله ومتابعة رسله، ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ أي: منكرًا فظيعًا.

﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴾ أي: غِبَّ مخالفتها، وندموا حيث لا ينفعهم النَّدم ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي: في الدَّار الآخرة، مع ما عَجَّلَ لهم في الدُّنيا.

ثم قال بعد ما قصَّ مِن خبر هؤلاء: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: الأفهام المستقيمة، لا تكونوا مثلهم فيُصِيبَكُم ما أصابهم يا أولي الألباب ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: صدقوا بالله ورسله، ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ يعني: القرآن. كقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقوله: ﴿ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ قال بعضهم: ﴿رَّسُولًا﴾ منصوب علىٰ أنَّه بدل اشتمال وملابسة؛ لأنَّ الرَّسول هو الَّذي بلغ الذكر.

وقال ابن جرير: الصَّواب أنَّ الرَّسول ترجمة عن الذِّكر؛ يعني: تفسيرًا له، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ أي: في حال كونها بيِّنةً واضحةً جليَّةً ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [إبراهيم: ١]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] [أي: مِن ظلمات الكفر والجهل إلىٰ نُور الإيمان والعِلْم، وقد سَمَّىٰ الله تعالىٰ الوَحيَ الَّذي أنزله نورًا لما يحصل به من الهُدَىٰ كما سمَّاه روحًا لما يحصل بِهِ مِن حياة القُلُوب فقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٥٢]](١) وقوله: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ قد تقدَّم تفسير مثل هذا غير مرَّةٍ بما أغنىٰ عن إعادته.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن قدرته التَّامَّةِ وسلطانه العظيم؛ ليكون ذلك باعثًا علىٰ تعظيم ما شرع من الدِّين القويم ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾(٢)كقوله تعالىٰ إخبارًا عن نوح أنَّه قال لقومه: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ

(١) ما بين المعكوفتين سقط من (ز).

(٢) لوحة (١١١ ب).

خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [نوح: ١٥] وقال تعالىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [الإسراء: ٤٤]. وقوله تعالىٰ ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي: سبعًا أيضًا، كما ثبت في الصحيحين «مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»[١]. وفي «صحيح البخاري»: «خُسِفَ بِهِ إِلَىٰ سَبْعِ أَرَضِينَ»[٢]. وقد ذُكِرت طرقه وألفاظه وعزوه في أول «البداية والنِّهاية» عند ذكر خلق الأرض ولله الحمد والمنَّة.

ومَن حمل ذلك علىٰ سبعة أقاليم فقد أبعد النُّجْعة، وأغرق في النَّزع وخالف القرآن والحديث بلا مستندٍ، وقد تقدَّم في سورة الحديد عند قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] ذكر الأرضين السبع، وبعد ما بينهن وكثافة كل واحدةٍ منهن خمسمائة عام، وهكذا قال ابن مسعود وغيره، وكذا في الحديث الآخر «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ وَالأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ فِي الكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ»[٣].

وقال ابن جرير: حدَّثنا عمرو بن علي، حدَّثنا وَكِيعٌ، حدَّثنا الأعمش عن إبراهيم بن مُهَاجِرٍ عن مجاهد، عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ قال: لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم وكفركم تكذيبكم[٤] بها[٥].

وحدَّثنا ابن حميد حدَّثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد القُمِّيُّ الأشعري، عن جعفر بن أبي المغيرة الخُزاعي، عن سعيد بن جبير، قال: قال رجلٌ لابن عبَّاس: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ الآية. فقال ابن عبَّاس: ما يؤمنك إن أخبرتك بها فتكفر[٦].

وقال ابن جرير: حدَّثنا عمرو بن علي ومحمَّد بن المثنىٰ قالا: حدَّثنا محمَّد بن جعفر حدَّثنا شعبة عن عمرو بن مُرَّةَ، عن أَبِي الضُّحىٰ عن ابن عبَّاس في هذه الآية ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ قال عمرو: قال في كلِّ أرضٍ مثل إبراهيم ونحو ما علىٰ الأرض من الخلق؛ وقال ابن المثنىٰ في حديثه في كل سماء إبراهيم[٧].

---

(١) البخاري (٢٤٥٣)، ومسلم (١٦١٢). (٢) البخاري (٣١٩٦).

(٣) انظر تفسير سورة البقرة الآية (٢٥٤).

(٤) في (ز): (وكفرتم بتكذيبكم).

(٥) رواه الطبري (٢٨/ ١٥٣) ورجاله ثقات، عدا إبراهيم بن مهاجر: صدوق لين الحفظ.

(٦) رواه الطبري (٢٨/ ١٣٥)، وفيه محمَّد بن حميد: حافظ ضعيف، وجعفر بن أبي المغيرة يرويه عن سعيد بن جبير، وقد تقدم أن روايته عنه خاصة ضعيفة.

(٧) رواه الطبري (٢٨/ ١٣٥)، ورجاله ثقات، لكن هذه الأخبار لا تقال بالرأي، وشرط قبولها أن يكون الراوي لم يروِ من كتب بني إسرائيل، ومعلوم أن ابن عبَّاس ممن رَوَوْا من كتب بني إسرائيل.

وقد وروى البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» هذا الأثر عن ابن عبَّاس بأبسط من هذا السياق فقال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدَّثنا أحمد بن يعقوب، حدَّثنا عبيد بن غنام النَّخَعي، أخبرنا علي بن حكيم، حدَّثنا شَريك، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحىٰ، عن ابن عبَّاس أنه قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ قال[1]: سبع أرضين في كلِّ أرض نبي كنبيكم، وآدم كآدم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسىٰ كعيسىٰ[2].

ثم رواه البيهقي من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحىٰ عن ابن عبَّاس في قول الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ قال: في كل أرض نحو إبراهيم عليه السلام[3]، ثم قال البيهقي: إسناد هذا عن ابن عبَّاس صحيح وهو شاذٌّ بمرة لا أعلم لأبي الضُّحىٰ عليه متابعًا، والله أعلم.

قال الإمام أبو بكر عبد الله بن محمَّد بن أبي الدنيا القرشي في كتابه «التفكر والاعتبار» حدَّثني إسحاق بن حاتم المدائني، حدَّثنا يحيىٰ بن سليمان، عن عثمان بن أبي دهرش[4] قال: بلغني أن رسول الله ﷺ انتهىٰ إلىٰ أصحابه وهم سكوت لا يتكلمون، فقال: «**مَا لَكُمْ لَا تَتَكَلَّمُونَ؟**» فقالوا: نتفكَّرُ في خلق الله ﷻ قال: «**فَكَذَلِكَ فَافْعَلُوا تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللهِ وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِيهِ، فَإِنَّ بِهَذَا المَغْرِبِ أَرْضًا بَيْضَاءَ نُورُهَا سَاحَتُهَا** -أو قال: **سَاحَتُهَا نُورُهَا- مَسِيرَةُ الشَّمْسِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، بِهَا خلقٌ من خَلْقِ اللهِ تَعَالَىٰ لَمْ يَعْصُوا اللهَ طَرْفَةَ عَيْنٍ قَطُّ**» قالوا: فأين الشيطان عنهم؟ قال: «**مَا يَدْرُونَ خُلِقَ الشَّيْطَانُ أَمْ لَمْ يُخْلَقْ؟**» قالوا: أمن ولد آدم؟ قال «**لَا يَدْرُونَ خُلِقَ آدَمُ أَمْ لَمْ يُخْلَقْ؟**»[5].

وهذا حديثٌ مرسلٌ وهو منكرٌ جدًّا، وعثمان بن أبي دهرش ذكره ابن أبي حاتم في كتابه فقال: روىٰ عن رجلٍ من آل الحكم بن أبي العاص وعنه سفيان بن عيينة ويحيىٰ بن سليم الطائفي وابن المبارك سمعت أبي يقول ذلك.

آخر تفسير سورة الطلاق.

---

(١) لوحة (١١٢ أ).

(٢) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٦٧)، وفي إسناده شَريك القاضي: صدوق يخطئ كثيرًا. فالإسناد ضعيف.

(٣) تقدم: انظر التعليق قبل السابق.

(٤) في (ز): (دهرس)، والمثبت هو الصواب بالشين المعجمة، وانظر: «الجرح والتعديل» (٦/ ١٤٩)، و«التاريخ الكبير» (٦/ ٢٢٠).

(٥) منكر: والإسناد مرسل، وعثمان بن أبي دهرش ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

تفسير سورة التحريم وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ
أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ
اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣)
إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ [(١)] وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ
قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (٥)﴾

اختلُف في سبب نزول صدر هذه السورة، فقيل: نزلت في شأن ماريَّة، وكان رسول الله ﷺ قد حرَّمها، فنزل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ الآية.

قال أبو عبد الرحمن النَّسائي: أخبرنا إبراهيم بن يونس بن محمَّد، حدَّثنا أبي، حدَّثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس: أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤُها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتىٰ حرَّمها، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ إلىٰ آخر الآية [(٢)].

وقال ابن جرير: حدَّثني ابن عبد الرحيم البَرْقي حدَّثنا ابن أبي مريم، حدَّثنا أبو غسان، حدَّثني زيد [(٣)] بن أسلم: أن رسول الله ﷺ أصاب أم إبراهيم في بيت بعض نسائه، فقالت: أيْ رسولَ اللهِ، في بيتي وعلىٰ فراشي؟! فجعلها عليه حرامًا، فقالت: أيْ رسولَ اللهِ، كيف يَحْرُم عليك الحلال؟ فحلف لها بالله لا يصيبها، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [(٤)] قال زيد بن أسلم: فقوله أنت عليَّ حرام لغو.

وهكذا روىٰ عبد الرحمن بن زيد، عن أبيه.

وقال ابن جرير أيضًا: حدَّثنا يونس، حدَّثنا ابن وهب، عن مالك، عن زيد بن أسلم، قال: قال لها: «أَنْتِ عَلَيَّ حَرَامٌ، وَوَاللهِ لا أَطَؤُكِ».

---

(١) لوحة (١١٢ ب).

(٢) صحيح: رواه النسائي (٧/ ٧١) والحاكم (٢/ ٤٩٣).

(٣) في (ز): (يزيد)، وهو خطأ.

(٤) مرسل: رواه الطبري (٢٨/ ١٥٥).

وقال سفيان الثوري وابن عُلَيَّة، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن مسروق قال: آلىٰ رسول الله ﷺ وحرم، فعُوتِبَ في التَّحريم، وأمر بالكفَّارة في اليمين، رواه ابن جرير، وكذا روي عن قتادة، وغيره، عن الشعبي نفسه، وكذا قال غير واحد من السَّلف، منهم الضَّحَّاك، والحسن، وقتادة، ومقاتل بن حيان، وروىٰ العَوْفي، عن ابن عبَّاس القصة مطولة.

وقال ابن جرير: حدَّثنا سعيد بن يحيىٰ، حدَّثنا أبي، حدَّثنا محمَّد بن إسحاق، عن الزهري، عن عُبَيْد الله بن عبد الله، عن ابن عبَّاس قال: قلت لعمر بن الخطاب من المرأتان؟ قال: عائشة وحفصة. وكان بَدْء الحديث في شأن أم إبراهيم القبطية، أصابها النَّبيُّ ﷺ في بيت حفصة في نَوْبتها فوَجَدت حفصة، فقالت: يا نبي الله، لقد جئت إليَّ شيئًا ما جئت إلىٰ أحد من أزواجك، في يومي، وفي دَوْري، وعلىٰ فراشي. قال: «**أَلَا تَرْضَينَ أَنْ أُحَرِّمَهَا فَلَا أَقْرَبَهَا؟**». قالت: بلىٰ، فحرَّمها وقال[(١)]: «**لا تَذْكُرِي ذَلِكَ لِأَحَدٍ**». فذكرته لعائشة، فأظهره الله عليه، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾ الآيات فبلغنا أنَّ رسول الله ﷺ كفَّر عن يمينه، وأصاب جاريته[(٢)].

وقال الهيثم بن كُلَيب في مسنده: حدَّثنا أبو قِلابة عبد الملك بن محمَّد الرقاشي، حدَّثنا مسلم بن إبراهيم، حدَّثنا جرير بن حازم، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر قال: قال النَّبيُّ ﷺ لحفصة: «**لا تُخْبِرِي أَحَدًا، وَإِنَّ أُمَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيَّ حَرَامٌ**». فقالت: أتحرِّم ما أَحَلَّ الله لك؟! قال: «**فَوَاللهِ لا أَقْرَبُهَا**». قال: فلم يقربها حتىٰ أخبرت عائشة، قال فأنزل الله: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾[(٣)].

وهذا إسنادٌ صحيح، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب السِّتَّة، وقد اختاره الحافظ الضِّياء المقدسي في كتابه «المستخرج».

وقال ابن جرير أيضًا: حدَّثني يعقوب بن إبراهيم، حدَّثنا ابن علية، حدَّثنا هشام الدَّسْتُوائي قال: كتب إليَّ يحيىٰ يحدث عن يعلىٰ[(٤)] بن حكيم، عن سعيد بن جبير: أن ابن عبَّاس كان يقول في الحرام: يمين يكفرها، وقال ابن عبَّاس: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[(٥)] [الأحزاب: ٢١] يعني: أن رسول الله ﷺ حرم جاريته فقال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾؟ إلىٰ قوله: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ فكفَّر يمينه، فصَيَّر الحرام يمينًا.

---

(١) لوحة (١١٣ أ).

(٢) حسن صحيح: رواه الطبري (٢٨/ ١٥٦) وفيه ابن إسحاق: مدلس وقد عنعن، ولكن يشهد له ما رواه الطبري عن عمر (٢٨/ ١٥٨) بإسناد صحيح، وهو المذكور في الكتاب بعد وانظر الحديث ( ) الآتي.

(٣) صحيح: رواه الطبري (٢٨/ ١٥٨)، والضياء في «المختارة» (٣٠٠).

(٤) في (ز): (يحيىٰ بن حكيم)، والمثبت موافق لما في «الطبري».

(٥) البخاري (٤٩١١)، ومسلم (١٤٧٣)، والطبري (٢٨/ ١٥٧).

ورواه البخاري عن معاذ بن فَضَالة، عن هشام، هو الدستوائي، عن يحيىٰ، هو ابن أبي كثير، عن ابن حكيم -وهو يعلىٰ- عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس في الحرام: يمين تُكفر، وقال ابن عبَّاس: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]. ورواه مسلم من حديث هشام الدَّسْتُوائي به(١).

وقال النسائي: أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد بن علي، حدَّثنا مَخْلَد -هو ابن يزيد- حدَّثنا سفيان، عن سالم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس قال: أتاه رجل فقال: إني جعلت امرأتي عَلَيَّ حَرَامًا، قال: كذبتَ ليس عليك بحرام، ثم تلا هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [عليك](٢) أغلظ الكفَّارات، عتق رقبة(٣).

تفرَّد به النَّسائي مِن هذا الوجه، بهذا اللفظ(٤).

وقال الطبراني: حدَّثنا محمَّد بن زكَريا، حدَّثنا عبد الله بن رجاء، حدَّثنا إسرائيل، عن مسلم، عن مجاهد، عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ قال: حرم رسول الله ﷺ سُرِّيَّته(٥).

ومن هاهنا ذهب مَن ذهب مِن الفقهاء ممن قال بوجوب الكفارة(٦) علىٰ مَن حرَّم جاريته أو زوجته أو طعامًا أو شرابًا أو ملبسًا أو شيئًا من المباحات، وهو مذهب الإمام أحمد وطائفة، وذهب الشَّافعي إلىٰ أنَّه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجةَ والجاريةَ، إذا حَرَّم عينيهما أو أطلق التَّحريم فيهما في قوله، فأمَّا إن نوىٰ بالتَّحريم طلاق الزَّوجة أو عتق الأَمَةِ، نَفَذ فيهما.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثني أبو عبد الله الظهراني أخبرنا حفص بن عمر العَدَني، أخبرنا الحكم بن أبان، حدَّثنا عكرمة، عن ابن عبَّاس قال: نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ في المرأة التي وهبت نفسها للنَّبيِّ ﷺ(٧).

وهذا قول غريب، والصَّحيح أنَّ ذلك كان في تَحْريمِه العَسَلَ، كما قال البخاري عند هذه الآية: حدَّثنا إبراهيم بن موسىٰ، أخبرنا هشام بن يوسف، عن ابن جُرَيْج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن عائشة قالت: كان النَّبيُّ ﷺ يشرب عسلًا عند زينب بنت جَحش، ويمكث عندها، فتواطأتُ أنا وحفصةُ علىٰ: أيتُنا دخلَ عليها، فلتقل له: أكلتَ مَغَافِيرَ؟ إني أجد منك ريح مغافير، قال: «**لا وَلَكِنِّي**

---

(١) انظر التعليق السابق. (٢) سقط من (ز).

(٣) النسائي (٦/ ١٥١).

(٤) رواه البخاري (٢/ ٤٩) كتاب التفسير.

(٥) رواه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٨٦). انظر البزار (٢٢٧٤ – كشف).

(٦) لوحة (١١٣ ب).

(٧) ضعيف: رواه ابن أبي حاتم (١٨٩٢١) وفيه حفص بن عمر العدني: ضعيف، وضعفه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢١٧).

كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، فَلَنْ أَعُودَ لَهُ، وَقَدْ حَلَفْتُ لا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا»[١]، ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾[٢].

هكذا أورد هذا الحديث هاهنا بهذا اللفظ، وقال في كتاب «الأيمان والنذور»: حدَّثنا الحسن بن محمَّد، حدَّثنا الحجاج، عن ابن جريج قال: زعم عطاء أنَّه سمع عُبَيد بن عمير يقول: سمعتُ عائشةَ تزعم أنَّ رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جَحش ويشرب عندها عَسَلًا فتواصيتُ أنا وحفصة أن أيتَنا دخل عليها النَّبيّ ﷺ فَلْتَقُلْ: إني أجد منك ريح مغافير؛ أكلت مغافير؟ فدخل علىٰ إحداهما النَّبيُّ ﷺ فقالت ذلك له، فقال: «لا بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَلَنْ أَعُودَ لَهُ». فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ إلىٰ: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ لعائشة وحفصة، ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ لقوله: «بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا». وقال إبراهيم بن موسىٰ، عن هشام: «وَلَنْ أَعُودَ لَهُ، وَقَدْ حَلَفْتُ، فَلَا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا»[٣].

وهكذا رواه في كتاب «الطلاق» بهذا الإسناد، ولفظه قريب منه[٤]، ثم قال: المغافير: شبيه بالصمغ، يكون في الرِّمث فيه[٥] حلاوة، أغفر الرِّمث: إذا ظهر فيه، واحدها مغفور، ويقال: مغافير. وهكذا قال الجوهري، قال: وقد يكون المغفور أيضًا للعُشر والثُّمام والسَّلَم والطلح. قال: والرِّمث، بالكسر: مرعىٰ من مراعي الإبل، وهو من الحَمْض. قال: والعرفط: شجر من العِضَاة ينضَح المغفُور منه.

وقد روىٰ مسلم هذا الحديث في كتاب «الطلاق» من صحيحه، عن محمَّد بن حاتم، عن حجاج بن محمَّد، عن ابن جُرَيج، أخبرني عطاء، عن عُبيد بن عمير، عن عائشة، به، ولفظه كما أورده البخاري في «الأيمان والنذور»[٦].

ثم قال البخاري في كتاب «الطلاق»: حدَّثنا فروة بن أبي المَغْراء، حدَّثنا علي بن مُسْهِرٍ، عن هشام بن عُرْوَة، عن أبيه، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يحب الحَلوىٰ والعَسل، وكان إذا انصرف من العصر دخل علىٰ نِسَائِه، فيدنو من إحداهنَّ، فدخل علىٰ حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس، فَغِرْتُ فسألت عن ذلك، فقيل لي: أهدت لها امرأة مِن قومها عُكَّة[٧] عَسَل، فسقت النَّبيَّ ﷺ منه شربة، فقلت: أما والله لَنَحْتَالَنَّ له، فقلت لسودةَ بنت زَمْعَةَ: إنَّه سيدنو منك، فإذا دَنَا منك فقولي: أكلتَ مغَافير؟

---

(١) رواه البخاري (٤٩١٢).

(٢) كذا في (ز)، وكأن الآية جزء من الحديث، والذي في «البخاري» أن كلمة (أحدًا) هي ختام الحديث، وبعدها: «باب ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾».

(٣) البخاري (٦٦٩١). (٤) كتاب الطلاق (٥٢٦٧).

(٥) لوحة (١١٤ أ). (٦) مسلم (١٤٧٤).

(٧) العُكَّة: وعاء من جلد يختص بالسمن والعسل.

فإنه سيقول لكِ لا، فقولي له: ما هذه الريح التي أجد؟ فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل، فقولي: جَرَسَتْ نحلُه العُرفُط، وسأقول ذلك، وقولي أنت له يا صفية ذلك، قالت -تقول سودة-: والله ما هو إلَّا أن قام علىٰ الباب، فأَرَدْتُ أن أُنَادِيه بما أمرتني فرقًا منك، فلما دنا منها قالت له سودة: يا رسول الله، أكلت مغافير؟ قال: «**لا**»، قالت: فما هذه الريح التي أجد منك؟ قال: «**سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ**»، قالت: جَرَسَت نَحلُه العرفط. فلما دار إليَّ قلت نحو ذلك، فلما دار إلىٰ صفيَّة قالت له مثل ذلك، فلمَّا دار إلىٰ حفصة قالت له: يا رسول الله، ألا أسقيك منه؟ قال: «**لا حَاجَةَ لِي فِيهِ**». قالت -تقول سودة-: والله لقد حَرَمْنَاه، قلت لها: اسكتي [(١)].

هذا لفظ البخاري. وقد رواه مسلم عن سُوَيد بن سَعيد، عن علي بن مُسْهِر به، وعن أبي كُرَيْب وهارون بن عبد الله والحسن بن بشر، ثلاثتهم عن أبي أسامة، حماد بن أسامة، عن هشام بن عروة به، وعنده قالت: وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه الريح؛ يعني: الريح الخبيثة؛ ولهذا قلن له: أكلت مغافير لأن ريحها فيه شيء، فلما قال: «**بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا**»، قلن [(٢)]: جَرَسَت نحلُه العرفط، أي: رَعَت نحلُه شَجَر العرفط الذي صَمغُه المغافير؛ فلهذا ظهر ريحُه في العسل الذي شربته [(٣)].

قال الجوهري: جَرَسَت نحلُه العُرْفُط [تَجْرِس] [(٤)]: إذا أكلته، ومنه قيل للنحل: جوارس، قال الشاعر:

تَظَلُّ عَلَىٰ الثَّمْرَاءِ مِنْهَا جَوَارِسُ

وقال: الجَرْس والجِرْس: الصوت الخفي، ويقال: سمعت جَرْس [الطير: إذا سمعتَ صوت مناقيرها علىٰ شيء تأكله، وفي الحديث: «**فَيَسْمَعُونَ جَرْسَ**] [(٥)] **طَيْرِ الجَنَّةِ**»، قال الأصمعي: كنت في مجلس شُعبة قال: «**فَيَسْمَعُونَ جَرْشَ طَيْرِ الجَنَّةِ**» بالشين المعجمة فقلت: «**جَرْسَ**»؟! فنظر إليَّ فقال: خذوها عَنه، فإنَّه أعلم بهذا منَّا.

والغرض أنَّ هذا السياق فيه أن حفصة هي الساقية للعسل، وهو من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، عن خالته عائشة. وفي طريق ابن جريج عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن عائشة أن زينب بنت جَحش هي التي سقت العسل، وأن عائشة وحفصة تواطأتا وتظاهرتا عليه، فالله أعلم. وقد يقال: إنهما واقعتان، ولا بُعْدَ في ذلك، إلَّا أن كونَهما سببًا لنزول هذه الآية فيه نظر، والله أعلم.

---

(١) رواه البخاري (٥٢٦٨).
(٢) لوحة (١١٤ ب).
(٣) رواه مسلم (١٤٧٤).
(٤) ليست في (ز).
(٥) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).

ومما يدل علىٰ أن عائشة وحفصة ﷺ هما المتظاهرتان الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال: حدَّثنا عبد الرزاق، أخبرنا مَعْمَر، عن الزهري، عن عُبَيد الله بن عبد الله بن أبي ثور، عن ابن عبَّاس قال: لم أزل حريصًا علىٰ أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النَّبيِّ ﷺ اللَّتَيْن قال الله تعالىٰ: ﴿إِن نَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ حتىٰ حَجَّ عمر وحججت معه، فلما كان ببعض الطريق عدَلَ عمر وعَدَلْتُ معه بالإداوة، فتبرَّز ثم أتاني، فسكبت علىٰ يديه فتوضأ، فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النَّبيِّ ﷺ اللَّتان قال الله تعالىٰ: ﴿إِن نَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾؟ فقال عمر: واعجبا لك يا ابن عبَّاس، قال الزهري: كره والله ما سأله عنه ولم يكتمه، قال: هي حفصة وعائشة. قال: ثم أخذ يسوق الحديث. قال: كنا مَعشَرَ قريش قومًا نَغلبُ النِّساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قومًا تَغلِبُهم نساؤهم، فطفِقَ نساؤنا يتعلمن من نسائهم، قال: وكان منزلي في دار بني أمية بن زيد بالعَوَالي، قال: فغضِبْتُ يومًا علىٰ امرأتي فإذا هي تراجعني، فأنكرت أن تُرَاجِعني، فقالت: ما تنكر أن أراجعك؟ فوالله إنَّ أزواج النَّبيِّ ﷺ[1] ليراجِعْنَهُ، وتَهْجُرْهُ إحداهنَّ اليوم إلىٰ اللَّيل، قال: فانطلقت فدخلت علىٰ حفصة فقلت: أَتُرَاجِعِين رسول الله ﷺ؟ قالت: نعم، قلت: وتهجره إحداكنَّ اليوم إلىٰ اللَّيل؟ قالت: نعم، قلت: قد خابَ مَن فعل ذلك منكنَّ وخَسِرَ، أفتأمنُ إحداكنَّ أن يغضب الله عليها لغضب رسوله، فإذا هي قد هلكت؟ لا تراجعي رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئًا، وسَلِيني من مالي ما بدا لك، ولا يغرنَّك أَنْ كانت جارتك هي أوسمَ وأحبَّ إلىٰ رسول الله ﷺ منك، يريد عائشة، قال: وكان لي جار من الأنصار، وكنا نتناوب النُّزول إلىٰ رسول الله ﷺ يَنْزِل يومًا وأَنْزِل يومًا، فيأتيني بخبر الوَحْي وغيره، وآتيه بمثل ذلك، قال: وكنا نتحدَّث أن غَسَّان تُنعِل[2] الخيل لتغزونا، فنزل صاحبي يومًا ثم أتىٰ عشاء، فضرب بابي ثم ناداني، فخرجت إليه فقال: حدث أمر عظيم! فقلت: وما ذاك؟ أجاءت غسَّان؟ قال: لا، بل أعظم من ذلك وأطول! طلَّق رسول الله ﷺ نساءه، فقلت: قد خابت حفصةُ وخَسِرت، قد كنت أَظُنُّ هذا كائنًا، حتىٰ إذا صلَّيتُ الصُّبح شددتُ عليَّ ثيابي ثمَّ نزلت، فدخلت علىٰ حفصة وهي تبكي فقلت: أطلَّقكُنَّ رسول الله ﷺ فقالت: لا أدري، هو هذا معتزل في هذه المشرُبَة[3] فأتيت غُلَامًا له أسودَ فقلت: اسْتَأْذِنْ لعمر، فدخل الغلام ثم خرج إليَّ فقال: ذكرتك له فصَمَتَ، فانطلقت حتىٰ أتيت المنبر، فإذا عنده رهط جلوسٌ يبكي بعضهم، فجلست قليلًا ثم غلبني ما أجد، فأَتَيْتُ الغلام فقلت: استأذن لعُمرَ. فدخل ثمَّ خرج فقال: قد ذَكَرْتُكَ له فصَمَتَ، فخرجت فجلست إلىٰ المنبر، ثم غلبني ما أَجِد فأتيت الغُلَام فقلت: اسْتَأْذِن لعمر، فدخل ثم خرج إليَّ فقال: قد ذكرتك له فصَمَتَ. فولَّيْتُ مدبرًا فإذا الغلام يدعوني فقال: ادخل، قد أَذِن لك،

---

(١) لوحة (١١٥ أ).

(٢) أي: يجعلون لخيلهم نعالًا، والمعنىٰ: يتأهبون لقتالنا.

(٣) المَشْرَبة: الغرفة العالية.

فدخلتُ فسلَّمتُ علىٰ رسول الله ﷺ فإذا هو متكئٌ علىٰ رُمَال (١) حَصِير (٢).

قال الإمام أحمد: وحدَّثناه يعقوب في حديث صالح: رُمَال حصير قد أثر في جنبه، فقلت: أطلَّقت يا رسول الله نِسَاءَك؟ فرفع رأسه إليَّ وقال: «لا»، فقلت: الله أكبر، ولو رأيتنا يا رسول الله وكنَّا معشرَ قريشٍ قومًا نغلب النِّساء، فلمَّا قدمنا المدينة وجدنا قومًا تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا (٣) يتعلَّمنَ مِن نسائهم، فغضبت علىٰ امرأتي يومًا، فإذا هي تراجعني، فأنكرت أن تراجعني، فقالت: ما تنكر أن أراجعك؟ فوَالله إنَّ أزواج النَّبيِّ ﷺ ليُراجِعْنَه، وتهجره إحداهنَّ اليوم إلىٰ اللَّيل، فقلت: قد خاب مَن فعل ذلك منكنَّ وخَسِر، أفتأمنُ إحداكنَّ أن يغضب الله عليها لغضب رسوله، فإذا هي قد هلكت؟، فتبسَّم رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، فَدَخَلت علىٰ حفصة فقلت: لا يغُرنَّكِ أن كانت جارتُكِ هي أوسمَ وأَحَبَّ إلىٰ رسول الله ﷺ منك، فتبسَّم أخرىٰ، فقلت: أستأنس يا رسول الله؟ قال: «نَعَمْ»، فجلست فرفعت رأسي في البيت، فوالله ما رأيت في البيت شيئًا يرُدُّ البصر إلا أَهَبَةً (٤) ثلاثةً فقلت: ادعُ اللهَ يا رسول الله أن يوسع علىٰ أُمَّتِك، فقد وسَّع علىٰ فارس والروم، وهم لا يعبدون الله، فاستوىٰ جالسًا وقال: «**أَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ؟ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا**». فقلت: استغفر لي يا رسول الله. وكان أَقسَم أن لا يدخل عليهنَّ شهرًا؛ مِن شدَّة مَوْجِدَتِهِ عليهنَّ حتىٰ عاتبه الله، ﷻ (٥).

وقد رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي، من طرق، عن الزهري، به (٦).

وأخرجه الشيخان من حديث يحيىٰ بن سعيد الأنصاري، عن عُبَيد بن حُنَين، عن ابن عبَّاس، قال: مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطَّاب عن آية، فما أستطيع أن أسأله هيبةً له، حتىٰ خرج حاجًّا فخرجت معه، فلمَّا رجعنا وكنَّا ببعض الطريق، عدَلَ إلىٰ الأَرَاكِ لحاجةٍ له، قال: فوقفت حتىٰ فرغ، ثم سِرْتُ معه فقلت: يا أمير المؤمنين، من اللَّتان تظاهرتا علىٰ النَّبيِّ ﷺ؟.

هذا لفظ البخاري، ولمسلم: مَنِ المرأتان اللَّتان قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾؟ قال: عائشة وحفصة. ثم ساق الحديث بطوله، ومنهم من اختصره (٧).

---

(١) الرُّمال: مَا رُمِلَ -أي: نُسِج-..والمراد: أن السرير كان قد نُسِج وجْهُه بالسَّعَف، ولم يكن علىٰ السَّرير وِطاء سوىٰ الحَصِير. «النهاية».

(٢) صحيح: رواه أحمد (١/ ٣٣)، ورواه البخاري (٢٤٦٨) ومسلم (١٤٧٩).

(٣) لوحة (١١٥ ب).

(٤) أَهَبة: جمع إِهَاب -علىٰ غير قياس-، وهو: الجلد قبل الدباغ، وقيل: هو الجلد مطلقًا دُبغَ أو لم يدبغ، والذي يظهر: أن المراد به هنا جِلْدٌ شُرِعَ في دبغه ولم يكمل؛ لقوله في رواية سِمَاك بن الوليد: فإذا أَفِيْق مُعلق، والأَفِيق -بوزن: عظيم-: الجلد الذي لم يتمَّ دباغه. «فتح الباري»: (٩/ ٢٨٨).

(٥) رواه أحمد (١/ ٣٣).

(٦) البخاري (٢٤٦٨)، ومسلم (١٤٧٩)، والترمذي (٣٣١٥)، والنسائي (٤/ ١٣٧).

(٧) البخاري (٤٩١٣)، ومسلم (١٤٧٩).

وقال مسلم أيضًا: حدَّثني زهير بن حرب، حدَّثنا عمر بن يونس الحنفي، حدَّثنا عكرمة بن عمار، عن سِماك بن الوليد -أبي زُمَيل- حدَّثني عبد الله بن عبَّاس، حدَّثني عمر بن الخطَّاب قال: لما اعتزل نبي الله ﷺ نساءه، دخلت المسجد، فإذا النَّاس يَنكُتُون[١] بالحصىٰ، ويقولون: طلَّق رسول الله ﷺ نساءَهُ![٢] وذلك قبل أن يُؤمَر بالحجاب، فقلت: لأعلمن ذلك اليوم... فذكر الحديث في دخوله علىٰ عائشة وحفصة، ووعظِهِ إيَّاهما، إلىٰ أن قال: فدخلت، فإذا أنا برباحٍ غلامِ رسول الله ﷺ علىٰ أُسْكُفَّة المشرُبة، فناديت فقلت: يا رَبَاح، استأذنْ لي علىٰ رسول الله ﷺ... فذكر نحو ما تقدَّم، إلىٰ أن قال: فقلت يا رسول الله ما يَشُقُّ عليك مِن أمر النِّساء، فإن كنت طلقتهنَّ فإنَّ الله معك وملائكتَهُ وجبريلَ وميكائيلَ وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك، وقلَّما تكلمتُ -وأحمد الله- بكلام إلا رجوتُ أن يكون الله يصدِّق قولي، ونزلت هذه الآية، آية التَّخيير: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ فقلت: أطلقتهنَّ؟ قال: «لا». فقمت علىٰ باب المسجد فناديت بأعلىٰ صوتي: لم يطلق نساءه، ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر[٣].

وكذا قال سعيد بن جبير، وعكرمة، ومقاتل بن حيَّان، والضَّحَّاك، وغيرهم: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أبو بكر وعمر.

زاد الحسن البصري: وعثمان.

وقال [ليث بن أبي][٤] سليم، عن مجاهد: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: علي بن أبي طالب.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا علي بن الحسين، حدَّثنا محمَّد بن [أبي][٥] عمر، حدَّثنا محمَّد بن جعفر بن محمَّد بن [علي بن][٦] الحسين قال: أخبرني رجل ثقة يرفعه إلىٰ علي قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: هو علي بن أبي طالب. إسناده ضعيف، وهو منكر جدًّا[٧].

وقال البخاري: حدَّثنا عمرو بن عون، حدَّثنا هُشَيم، عن حُميد، عن أنس، قال: قال عمر: اجتمع نساء النَّبيِّ ﷺ في الغيْرَةِ عليه، فقلت لهن: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ فنزلت هذه الآية[٨].

---

(١) أي: يضربون به الأرض، كفعل المهموم المفكر.
(٢) لوحة (١١٦ أ).
(٣) مسلم (١٤٧٩).
(٤) سقط من (ز).
(٥) ليست في (ز)، والمثبت هو الصواب.
(٦) سقط من (ز)، والمثبت هو الصواب.
(٧) منكر: رواه ابن أبي حاتم (١٨٩٢٣) وفيه من لم يسمَّ، وانظر تعليق ابن كثير بعده.
(٨) البخاري (٤٩١٦).

وقد تقدَّم أنَّه وافق القرآن في أماكنَ، منها في نزول الحجاب، ومنها في أسارىٰ بدر، ومنها قوله: لو اتَّخذْتَ مِن مقام إبراهيم مصلًّىٰ؟ فأنزل الله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا الأنصاري، حدَّثنا حُمَيد، عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب: بلغني شيء كان بين أمهات[١] المؤمنين وبين النَّبيِّ ﷺ فاستقريتهنَّ أقول: لتكفُّنَّ عن رسول الله أو ليبدلَنَّه الله أزواجًا خيرًا منكنَّ. حتىٰ أتيت علىٰ آخر أُمَّهات المؤمنين، فقالت: يا عمر، أما في رسول الله ما يَعِظُ نساءه، حتىٰ تَعِظَهُنَّ؟! فأمسكتُ، فأنزل الله ﷻ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾[٢].

وهذه المرأة التي رَدَّته عمَّا كان فيه من وَعْظ النساء هي أم سلمة، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري.

وقال الطبراني، حدَّثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني، حدَّثنا إسماعيل البجلي، حدَّثنا أبو عَوانة، عن أبي سنان، عن الضَّحَّاك، عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ قال: دخلت حفصة علىٰ النَّبيِّ ﷺ في بيتها وهو يَطأ مارية، فقال لها رسول الله ﷺ: «**لا تُخْبِري عائِشَةَ حَتَّىٰ أُبَشِّرَكِ**[٣] **بِبِشارَةٍ، فَإِنَّ أَباكِ يَلِي الأَمْرَ مِنْ بَعْدِ أَبِي بَكْرٍ إِذَا أَنَا مِتُّ**»، فذهبت حفصة فأخبرَتْ عائشة، فقالت عائشة لرسول الله ﷺ: مَن أنبأك هذا؟ قال: ﴿نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ فقالت عائشة: لا أنظرُ إليكَ حتىٰ تحرم مارية فحرَّمها، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾[٤].

إسناده فيه نظر، وقد تبين مما أوردناه تفسيرُ هذه الآيات الكريمات. ومعنىٰ قوله: ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ﴾ ظاهر.

وقوله ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ أي: صائمات، قاله أبو هريرة، وعائشة، وابن عبَّاس، وعكرمة، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء، ومحمَّد بن كعب القُرَظي، وأبو عبد الرحمن السُّلَمي، وأبو مالك، وإبراهيم النَّخَعي، والحسن، وقتادة، والضَّحَّاك، والربيع بن أنس، والسُّدِّي، وغيرهم، وتقدم فيه حديث مرفوع عند قوله: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ من سورة «براءة»، ولفظه: «**سِياحَةُ هَذِهِ الأُمَّةِ الصِّيامُ**»[٥][٦].

---

(١) لوحة (١١٦ ب).

(٢) صحيح: عزاه لابن أبي حاتم، وقد ثبت نحوه في «صحيح البخاري». وقد تقدم، ورواه ابن حبان (٦٨٩٦)، وأحمد (١٦٠).

(٣) في (ز): (حتىٰ أنزل)، والمثبت موافق لما في «المعجم الكبير».

(٤) ضعيف: رواه الطبراني (١٢/ ١١٧/ ١٢٦٤٠) والضَّحَّاك لم يسمع من ابن عبَّاس فالإسناد منقطع.

(٥) قيل للصائم: سائحٌ؛ لأن الذي يَسِيح في الأرض مُتعبِّد يَسِيح، ولا زَادَ له ولا ماء، فحين يَجِد يَطْعَم، والصَّائِم يُمْضِي نَهاره لا يأكُل ولا يشرب شيئًا فشُبِّه به. «النهاية».

(٦) تقدم (٢٦٥) من سورة التوبة.

وقال زيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن: ﴿سَٰٓئِحَٰتٖ﴾ أي: مهاجرات، وتلا عبد الرحمن: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [التوبة: ١١٢] أي: المهاجرون. والقول الأوّل أولىٰ، والله أعلم.

وقوله: ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ أي: منهنَّ ثَيِّباتٍ، ومنهنَّ أبكارًا، ليكونَ ذلك أشهىٰ إلىٰ النُّفوس، فإنَّ التَّنوُّع يبسُط النَّفسَ؛ ولهذا قال: ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾.

وقال أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير: حدَّثنا أبو بكر بن صَدَقَة، حدَّثنا محمَّد بن محمَّد[١] بن مرزوق، حدَّثنا عبد الله بن[٢] أمية، حدَّثنا عبد القدوس، عن صالح بن حَيَّان، عن ابن بُرَيدة، عن أبيه: ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ قال: وعد الله نبيه ﷺ في هذه الآية أن يُزَوِّجه، فالثَّيِّب: آسية امرأة فرعون، وبالأبكار: مريم بنت عمران[٣].

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة «مريم عليها السلام» من طريق سُوَيْد بن سعيد حدَّثنا محمَّد بن صالح بن عمر، عن الضَّحَّاك ومجاهد، عن ابن عمر قال: جاء جبريل إلىٰ رسول الله ﷺ بموت خديجة فقال: «**إِنَّ اللهَ يُقْرِئُهَا السَّلَامَ، وَيُبَشِّرُهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، بَعِيدٍ مِنَ اللَّهَبِ لَا نَصَبَ فِيهِ وَلَا صَخَبَ، مِنْ لُؤْلُؤَةٍ [جَوْفَاءَ بَيْنَ][٤] بَيْتِ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ وَبَيْتِ آسِيَةَ بِنْتِ مُزَاحِمٍ**»[٥].

ومن حديث أبي بكر الهُذَلي، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس: أن النَّبيَّ ﷺ دخل علىٰ خديجة، وهي في الموت فقال: «**يَا خَدِيجَةُ، إِذَا لَقِيتِ ضَرَائِرَكِ فَأَقْرِئِيهِنَّ مِنِّي السَّلَامَ**». فقالت: يا رسول الله، وهل تزوجت قبلي؟ قال: «**لَا، وَلَكِنَّ اللهَ زَوَّجَنِي مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ، وَآسِيَةَ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ، وَكَلْثَمَ أُخْتَ مُوسَىٰ**». ضعيف أيضًا[٦].

وقال أبو يعلىٰ: حدَّثنا إبراهيم بن[٧] عَرْعَرَةَ، حدَّثنا عبد النور بن عبد الله، حدَّثنا يونس[٨] بن شعيب، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُعْلِمْتُ أَنَّ اللهَ زَوَّجَنِي فِي الْجَنَّةِ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ،**

---

(١) في (ز): (محمد بن محمد بن محمد بن مرزوق).

(٢) لوحة (١١٧ أ).

(٣) لم أقف عليه في «المعجم الكبير»، وسنده ضعيف، وعِلَّته صالح بن حيان القرشي: ضعيف، وقد أورده ابن كثير في «جامع المسانيد» (٩٢٦) وساقه بإسناد الطبراني.

(٤) بياض في (ز)، والمثبت موافق لما في «تاريخ دمشق».

(٥) رواه ابن عساكر (١٣٨٢٨) وفيه سويد بين سعيد: كبر فكان يتلعثم؛ فالإسناد ضعيف.

(٦) رواه ابن عساكر (١٣٨٢٩) وفيه أبو بكر الهذلي: متروك الحديث.

(٧) في (ز): (إبراهيم عن عرعرة)، والمثبت هو الصواب.

(٨) كذا في (ز)، وفي ط. «الشعب»: (يوسف بن شعيب)، والمثبت هو الصواب.

وَكَلْثَمَ أُخْتَ مُوسَىٰ، وَآسِيَةَ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ». فقلت: هَنِيئًا لك يا رسول الله[(١)]؛ وهذا أيضًا ضعيف ورُوِيَ مرسلًا عن ابن أبي داود.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾

قال سفيان الثَّوري، عن منصور، عن رجل، عن علي ﵁ في قوله تعالىٰ: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ يقول: أَدِّبُوهم، عَلِّمُوهم[(٢)].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ يقول: اعملوا بطاعةِ الله، واتَّقوا معاصي الله، ومُرُوا أهليكم[(٣)] بالذِّكر، [ينجيكم][(٤)] الله من النَّار[(٥)].

وقال مجاهد: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ قال: اتَّقوا الله، وأَوْصُوا أهليكم بتَقْوَىٰ الله.

وقال قتادة: يأمرُهُم بطاعةِ الله، وينْهَاهُم عن معصيةِ الله، وأن يقومَ عليهم بأمر الله، ويأمرهم به ويُسَاعِدَهُم عليه، فإذا رأيتَ لله معصية، قَدعتَهُم[(٦)] عنها وزجرتهم عنها.

وهكذا قال الضَّحَّاك ومقاتل: حقٌّ علىٰ المسلم أن يُعَلِّم أهله، مِن قرابته وإمائه وعبيده، ما فرضَ الله عليهم، وما نهاهم الله عنه.

---

(١) منكر: فيه يونس بن شعيب. قال البخاري: منكر الحديث، وعبد النور، قال فيه الذهبي: كذاب. انظر «ميزان الاعتدال» رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣٨٣٠).

(٢) رواه الطبري (٢٨/ ١٦٥)، والحاكم (٢/ ٤٩٤)، وصححه ووافقه الذهبي.

وزاد السيوطي عزوه في «الدر المنثور» (٨/ ٢٢٤) إلىٰ عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في «المدخل».

قلت: والرجل المبهم في الإسناد قد سماه في رواية الحاكم «ربعي» وهو ربعي بن حراش، ثقة مخضرم ولهذا فالإسناد صحيح.

(٣) لوحة (١١٧ ب).

(٤) في (ز): (ينجيكم).

(٥) رواه الطبري (٢٨/ ١٦٦)، وزاد السيوطي عزوه في «الدر المنثور» (٨/ ٢٢٤) إلىٰ ابن المنذر.

(٦) القَدع: الكف والمنع، وفي «تفسير الطبري»: (ردعتهم عنها).

وفي معنىٰ هذه الآية الحديث الذي رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، من حديث عبد الملك بن الربيع بن سَبْرَة، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ، فَإِذَا بَلَغَ عَشْرَ سِنِينَ فَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا» (١).

هذا لفظ أبي داود، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

وروىٰ أبو داود، من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه عن النَّبيِّ ﷺ مثل ذلك.

قال الفقهاء: وهكذا في الصَّوم؛ ليكون ذلك تمرينًا له علىٰ العبادة، لكَي يبلغ وهو مستمر علىٰ العِبادَةِ والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر، والله الموفق.

وقوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ ﴿وَقُودُهَا﴾ أي: حطبها الذي يلقىٰ فيها جُثَث بني آدم. ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾ قيل: المراد بذلك الأَصْنام التي كانت تعبد؛ لقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

وقال ابن مسعود ومجاهد وأبو جعفر الباقر، والسُّدِّي: هي حجارة من كِبْرِيت. زاد مجاهد: أنتنُ مِن الجِيفَةِ.

[وروىٰ ذلك ابن أبي حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ ثم قال: حدَّثنا أبي، حدَّثنا عبد الرحمن بن سنان المِنْقَرِي،] (٢) حدَّثنا عبد العزيز -يعني ابن أبي رَوَّاد- قال: بلغني أنَّ رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ وعنده بعض أصحابه، وفيهم شيخ، فقال الشيخ: يا رسول الله، حجارة جهنم كحجارة الدنيا؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَصَخْرَةٌ مِنْ صَخْرِ جَهَنَّمَ أَعْظَمُ مِنْ جِبَالِ الدُّنْيَا كُلِّهَا». قال: فوقع الشَّيخُ مغشيًّا عليه، فوضع النَّبيُّ ﷺ يده علىٰ فؤاده فإذا هُوَ حَيٌّ، فناداه قال: «يَا شَيْخُ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». فقالها، فبشَّره بالجنَّة، قال: فقال أصحابه: يا رسول الله، أَمِنْ بيننا؟ قال: نعم، يقول الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤] هذا حديث مرسل غريب (٣)(٤).

وقوله: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ أي: طباعهم غليظةٌ، قد نُزِعَتْ مِن قلوبهم الرَّحمة بالكافرين بالله، ﴿شِدَادٌ﴾ أي: تَرْكِيبُهُم في غاية الشِّدَّة والكثافة والمنظر المزعج.

---

(١) حسن: رواه أحمد (٣/ ٤٠٤)، وأبو داود (٤٩٤)، والترمذي (٤٠٧).

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).

(٣) اللوحة (١١٨ أ).

(٤) مرسل: رواه ابن أبي حاتم (١٢٢٢٩)، وإسناده مرسل، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٢٦) إلىٰ ابن أبي الدنيا وابن قدامة في «البكاء والرقة».

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا سلمة بن شبيب، حدَّثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان، حدَّثنا أبي، عن عكرمة أنَّه قال: إذا وصل أوَّل أهل النَّار إلىٰ النَّار، وَجَدوا علىٰ الباب أربعَمِائة ألفٍ مِن خَزَنة جهنَّم، سودٌ وجوههم، كالحةٌ أنيابهم، قد نزع الله من قلوبهم الرَّحمة، ليس في قلبِ واحدٍ منهم مثقالُ ذرَّة من الرَّحمة، لو طُيِّر الطير من مَنْكِب أحدهم لطار شهرين قبل أن يبلغ منكبه الآخر، ثم يجدون علىٰ الباب التِّسعةَ عَشَرَ، عَرْضُ صدرِ أحدهم سبعون خريفًا، ثم يَهْوُون مِن بابٍ إلىٰ بابٍ خمسمائة سنة، ثم يجدون علىٰ كل بابٍ منها مثلَ ما وجدوا علىٰ الباب الأوَّل، حتىٰ ينتهوا إلىٰ آخرها(١).

وقوله: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ أي: مهما أمرهم به تعالىٰ يُبَادِرُوا إليه، لا يتأخَّرُون عنه طرفةَ عينٍ، وهم قادرون علىٰ فعلِهِ ليس بهم عَجْزٌ عنه، وهؤلاء هم الزَّبانِيَة عياذًا بالله منهم.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ أي: يقال للكفرة يوم القيامة: لا تعتذروا فإنَّه لا يقبل منكم، وإنَّما تُجْزَوْنَ اليَوْمَ بأعمالكم.

ثم قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ أي: توبةً صادقةً جازمةً، تمحو ما قبلها مِن السَّيِّئات وتَلُمُّ شعث التَّائب وتجمعه، وتكفُّه عما كان يتعاطاه مِن الدَّناءات.

قال ابن جرير: حدَّثنا ابن مثنىٰ، حدَّثنا محمَّد، حدَّثنا شعبة، عن سِمَاك بن حَرب: سمعت النعمان بن بشير يخطب: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ قال: يُذْنِبُ الذَّنْب ثمَّ لا يرجع فيه(٢).

وقال الثَّورِيُّ، عن سِماك، عن النعمان، عن عمر قال: التوبة النصوح: أن يتوب من الذَّنب ثم لا يعود فيه، أو لا يريد أن يعود فيه.

وقال أبو الأحوص وغيره، عن سماك، عن النعمان، سُئِل عمر عن التوبة النصوح، فقال: أن يتوب الرَّجل من العمل السَّيِّئ، ثم لا يعود إليه أبدًا(٣).

وقال الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله: ﴿تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ قال: يتوب ثم لا يعود(٤).

---

(١) مرسل ضعيف: رواه ابن أبي حاتم (١٨٩٢٦) وإسناده مرسل، وإبراهيم بن الحكم قال الحافظ: ضعيف وصل المراسيل. «تقريب التهذيب» ترجمة (١٦٦)، وانظر ترجمته في «تهذيب الكمال» (٢/ ٧٤).

(٢) صحيح: رواه الطبري (٢٨/ ١٦٧)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٢٧٩)، وهنَّاد في «الزهد» (٩٠١)، والحاكم (٢/ ٤٩٥)، وصححه، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٦٣٤)، وزاد السيوطي عزوه في «الدر المنثور» (٨/ ٢٢٧) إلىٰ عبد الرزاق والفِرْيابي وسعيد بن منصور وابن مَنِيع وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) رواه ابن أبي حاتم (١٨٩٢٥).

(٤) صحيح: رواه الطبري (٢٨/ ١٦٧)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٣٠٠)، والبيهقي في «الشعب» (٦٦٣٥)، وزاد السيوطي عزوه في «الدر المنثور» (٨/ ٢٢٧) إلىٰ عبد بن حميد وابن المنذر.

وقد روي هذا مرفوعًا فقال الإمام أحمد: حدَّثنا علي بن عاصم، عن إبراهيم الهَجَري، عن أبي[(١)] الأحوص، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**التَّوْبَةُ مِنَ الذَّنْبِ أَنْ يَتُوبَ مِنْهُ، ثُمَّ لَا يَعُودَ فِيهِ**». تفرَّد به أحمد من طريق إبراهيم بن مسلم الهَجَري، وهو ضعيف، والموقوف أصح[(٢)] والله أعلم.

ولهذا قال [العلماء][(٣)]: التَّوبة النصوح هو أن يُقلعَ عن الذَّنب في الحاضر، ويندمَ علىٰ ما سلف منه في الماضي، ويعزِمَ علىٰ ألَّا يفعل في المستقبل، ثم إن كان الحقُّ لآدميٍّ ردَّه إليه بطريقه.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا سفيان، عن عبد الكريم، أخبرني زياد بن أبي مريم، عن عبد الله بن مَعقِل قال: دخلت مع أبي عَلىٰ عبد الله بن مسعود فقال: أنت سمعت[(٤)] النَّبيَّ ﷺ يقول: «**النَّدَمُ تَوْبَةٌ**؟». قال: نعم. وقال مرَّة: نعم سمعته يقول: «**النَّدَمُ تَوْبَةٌ**»[(٥)].

ورواه ابن ماجه، عن هشام بن عَمَّار، عن سفيان بن عُيينة، عن عبد الكريم -وهو ابن مالك الجَزَريّ- به.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا الحسن بن عرفة، حدَّثني الوليد بن بُكَيْر أبو خباب، عن عبد الله بن محمَّد العَدَوي، عن أبي سِنان البصري، عن أبي قِلابة، عن زِرِّ بن حُبَيش، عن أبي بن كعب قال: قيل لنا أشياء تكون في آخر هذه الأمة عند اقتراب الساعة، منها: نكاح الرَّجل امرأتَهُ أو أمتَهُ في دبرها، وذلك مما حرم الله ورسوله، ويمقت الله عليه ورسوله، ومنها: نِكَاح الرَّجل الرَّجل، وذلك مما حرم الله ورسوله، ويمقت الله عليه ورسوله، ومنها نكاح المرأة المرأة، وذلك مما حرَّم الله ورسوله، ويمقتُ الله عليه ورسوله، وليس لهؤلاء صلاةٌ ما أقاموا علىٰ هذا، حتَّىٰ يتوبوا إلىٰ الله توبةً نصوحًا. قال زِرٌّ: فقلت لأبي ابن كعب: فما التَّوبة النَّصوح؟ فقال: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**هُوَ النَّدَمُ عَلَىٰ الذَّنْبِ حِينَ يَفْرُطُ مِنْكَ، فَتَسْتَغْفِرُ اللهَ بِنَدَامَتِكَ مِنْهُ عِنْدَ الحَاضِرِ، ثُمَّ لَا تَعُودُ إِلَيْهِ أَبَدًا**»[(٦)].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا عمرو بن علي، حدَّثنا عباد بن عمرو[(٧)]، حدَّثنا أبو عمرو بن العلاء، سمعت الحسن يقول: التَّوبة النَّصوح: أن تُبغِض الذَّنبَ كما أحببته، وتستغفر منه إذا ذَكَرْتَه.

فأمَّا إذا جَزَم بالتَّوبة وصَمَّم عليها فإنَّها تَجُبُّ ما قبلها من الخطيئات، كما ثبت في الصحيح:

---

(١) لوحة (١١٨ ب).

(٢) ضعيف: رواه أحمد (١/ ٤٤٦) وفيه إبراهيم بن مسلم الهجري: ضعيف.

(٣) سقط من (ز).

(٤) في (ز): (سمعت من النبي)، والمثبت كما في «المسند».

(٥) صحيح: رواه أحمد (١/ ٣٧٦)، وابن ماجه (٤٢٥٢) ورجاله ثقات.

(٦) ضعيف جدًا: ابن أبي حاتم (١٨٩٢٦) مختصرًا وضعفه، ورواه البيهقي في «الشعب» (٥٤٥٧) وضعفه وقال الحافظ في «الفتح» (١١/ ١٠٤): سنده ضعيف جدًّا، وفيه عبد الله بن محمَّد العدوي: متروك.

(٧) في (ز): (عباد بن عمر).

«الإِسْلَامُ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ، وَالتَّوْبَةُ تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا»(١).

وهل مِن شرط التَّوبة النَّصوح الاستمرارُ على ذلك إلى الممات؟ كما تقدَّم في الحديث وفي الأثر: «لا يَعُودُ فِيهِ أَبَدًا»، أو يكفي العزم على ألَّا(٢) يعود في تكفير الماضي، بحيث لو وقع منه ذلك الذَّنب بعد ذلك لا يكون ذلك ضارًّا في تكفير ما تقدَّم، لعموم قوله ﷺ: «التَّوْبَةُ تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا». وللأوَّل أن يحتجَّ بما ثبت في الصَّحيح أيضًا: «مَنْ أَحْسَنَ فِي الإِسْلَامِ لَمْ يُؤَاخَذْ بِمَا عَمِلَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَمَنْ أَسَاءَ فِي الإِسْلَامِ أُخِذَ بِالأَوَّلِ وَالآخِرِ»(٣) فإذا كان هذا في الإسلام الذي هو أقوى من التَّوبة، فالتَّوبة بطريق الأولى، والله أعلم.

وقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ و﴿عَسَىٰ﴾ مِن الله موجبة ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ أي: ولا يخزيهم معه يعني: يوم القيامة ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ كما تقدَّم في سورة الحديد.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال مجاهد، والضَّحَّاك، والحسن البصري وغيرهم: هذا يقوله المؤمنون حين يَرَوْن يوم القيامة نورَ المنافقين قد طفِئ.

وقال محمَّد بن نصر المَرْوَزي: حدَّثنا محمَّد بن مقاتل المروزي، حدَّثنا ابن المبارك، أخبرنا ابن لَهِيعة، حدَّثني يزيد بن أبي حبيب، عن عبد الرحمن بن جبير بن نُفَير، أنَّه سمع أبا ذرٍّ وأبا الدَّرداء قالا: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ فِي السُّجُودِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ بِرَفْعِ رَأْسِهِ، فَأَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيَّ فَأَعْرِفُ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ، وَأَنْظُرُ عَنْ يَمِينِي فَأَعْرِفُ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ، وَأَنْظُرُ عَنْ شِمَالِي فَأَعْرِفُ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ». فقال رجل: يا رسول الله، وكيف تعرف أمَّتك مِن بين الأمم؟ قال: «غُرٌّ مُحَجَّلُونَ مِنْ آثَارِ الطُّهُورِ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ مِنَ الأُمَمِ كَذَلِكَ غَيْرُهُمْ، وَأَعْرِفُهُمْ أَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَأَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ، وَأَعْرِفُهُمْ بِنُورِهِمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ»(٤).

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا إبراهيم بن إسحاق الطَّالَقاني، حدَّثنا ابن المبارك، عن يحيى بن حسان، عن رجل من بني كِنَانة قال: صلَّيت خلف رسولِ الله ﷺ عام الفتح، فسمعته يقول: «اللَّهُمَّ، لَا تُخْزِنِي يَوْمَ القِيَامَةِ»(٥).

---

(١) مسلم (١٢١)، وأحمد (٤/ ١٩٩، ٢٠٤).

(٢) لوحة (١١٩ أ).

(٣) البخاري (٦٩٢١)، ومسلم (١٨٩)، وابن ماجه (٤٢٤٢)، وأحمد (١/ ٤٠٩، ٤٢٩).

(٤) حسن: رواه أحمد (٥/ ١٩٩)، وفي سنده ابن لهيعة: اختلط، وتابعه عبد الله بن صالح كاتب الليث بن سعد عند الحاكم (٢/ ٤٨٧)، وهو صدوق كثير الغلط، لكن بمجموعها فالحديث حسن.

(٥) حسن: رواه أحمد (٤/ ٢٣٤).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾
ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا
صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله[(١)] ﷺ بجهاد الكفَّار والمنافقين، هؤلاء بالسَّلاح والقتال، وهؤلاء بإقامة الحُدُودِ عليهم ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: في الدُّنيا، ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: في الآخرة.

ثم قال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: في مخالطتهم المُسْلِمِين ومعاشرتهم لهم، أنَّ ذلك لا يُجْدِي عنهم شيئًا ولا ينفعهم عند الله، إن لم يكن الإيمان حاصلًا في قلوبهم، ثم ذكر المثل فقال: ﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ﴾ أي: نبيَّينِ رسولين عندهما في صحبتها ليلًا ونهارًا يؤاكلانِهمَا ويضاجعانِهمَا ويعاشرانِهما أشدَّ العشرة والاختلاط ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ أي: في الإيمان، لم يوافقاهما علىٰ الإيمان، ولا صدقاهما في الرسالة، فلم يُجْدِ ذلك كله شيئًا، ولا دفع عنهما محذورًا؛ ولهذا قال: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: لكفرهما، ﴿وَقِيلَ﴾ أي: للمرأتين: ﴿ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ وليس المراد: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في فاحشة، بل في الدِّين، فإن نساء الأنبياء معصوماتٌ عن الوقوع في الفاحشة؛ لحرمة الأنبياء، كما قدَّمنا في سورة النور.

قال سفيان الثوري، عن موسىٰ بن أبي عائشة، عن سليمان بن قتة: سمعت ابن عبَّاس يقول في هذه الآية ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال: ما زنتا، أما امرأة نوح فكانت تُخْبِرُ أنَّه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدلُّ قومها علىٰ أضيافه[(٢)].

وقال العَوفي، عن ابن عبَّاس قال: كانت خيانتهما أنهما كانتا علىٰ عَورتيهما؛ فكانت امرأة نُوح تَطلع علىٰ سِرِّ نُوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة مِن قوم نوحٍ به، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحدًا أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء[(٣)].

وهكذا قال عكرمة، وسعيد بن جبير، والضَّحَّاك، وغيرهم.

وقال الضَّحَّاك عن ابن عبَّاس: ما بغت امرأة نبي قط، إنَّما كانت خيانتهما في الدِّين.

وقد استدل بهذه الآية الكريمة بعضُ العلماء علىٰ ضعف الحديث الذي يَأْثُره كثير من الناس:

---

(١) لوحة (١١٩ ب).

(٢) رواه الطبري (٢٨/ ١٦٩)، وابن أبي حاتم (١٨٩٢٧)، والحاكم (٢/ ٤٩٩)، وصححه ووافقه الذهبي، وزاد السيوطي عزوه في «الدر المنثور» (٨/ ٢٢٨) إلىٰ عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا.

(٣) رواه الطبري (٢٨/ ١٧٠)، وهو ضعيف بهذا السياق.

«مَنْ أَكَلَ مَعَ مَغْفُورٍ لَهُ غُفِرَ لَهُ»[١] . وهذا الحديث لا أصل له، وإنَّما يروىٰ هذا عن بعض الصالحين أنّه رأىٰ النَّبيَّ ﷺ في المنام فقال: يا رسول الله، أنت قلت: من أكل مع مغفور له غفر له؟ قال: «لَا، ولكنِّي الآن أقوله».

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

وهذا مَثَلٌ ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تضرُّهم مخالطة الكافرين[٢] إذا كانوا محتاجين إليهم، كما قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال قتادة: كان فرعون أَعْتَىٰ أهل الأرض وأبعده[٣][٤] فوالله ما ضَرَّ امرأته كُفْرُ زوجها حين[٥] أطاعت ربها، لتعلموا أنَّ الله حَكَمٌ عدل، لا يؤاخذ أحدًا إلا بذنبه.

وقال ابن جرير: حدَّثنا إسماعيل بن حفص الأُبُلِّيّ، حدَّثنا محمَّد بن جعفر، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النَّهْدي عن سلمان قال: كانت امرأة فرعون تُعَذَّب في الشمس، فإذا انصرف عنها أظلَّتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترىٰ بيتها في الجنة[٦] .

ثم رواه عن محمَّد بن عبيد[٧] المحاربي عن أسباط بن محمَّد، عن سليمان التيمي به.

ثم قال ابن جرير: حدَّثني يعقوب بن إبراهيم، حدَّثنا ابن عُلَيَّة، عن هشام الدَّسْتُوائي، حدَّثنا القاسم بن أبي بَزَّة قال: كانت امرأة فرعون تسأل: مَن غلب؟ فيقال: غلب موسىٰ وهارون، فتقول: آمنت بربِّ موسىٰ وهارون، فأرسل إليها فرعون فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت علىٰ قولها فألقُوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهي امرأته، فلما أتوها رفعت[٨] بصرها إلىٰ السَّماء فأبصرت بيتها في الجنَّة، فمَضَتْ علىٰ قولها، وانتزع روحها، وأُلقيت الصَّخرة علىٰ جسدٍ ليس فيه روح[٩] .

---

(١) موضوع: انظر «السلسلة الضعيفة» للألباني (٣١٥).
(٢) لوحة (١٢٠ أ).
(٣) في (ز): (وأكفره). (٤) أي: وأبعدهم.
(٥) في (ز): (حتىٰ أطاعت).
(٦) صحيح: رواه الطبري (٢٨/ ١٧١)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٣٣١)، وأبو نعيم في «الحِلْية» (١/ ٢٠٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٩٦)، والبيهقي في «الشعب» (١٥٢٠) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
(٧) في (ز): (عن عبيد بن محمد)، والمثبت موافق لما في «الطبري».
(٨) في (ز): (وقع)، والمثبت كما في «الطبري».
(٩) رواه الطبري (٢٨/ ١٧١) وإسناده مرسل.

فقولها: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ قال العلماء: اختارت الجارَ قبل الدَّار. وقد ورد شيءٌ من هذا في حديث مرفوع[١]، ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ أي: خَلِّصْني منه، فإنِّي أبرأُ إليك مِن عمله، ﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وهذه المرأة هي آسية بنت مزاحم ﵂.

وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية قال: كان إيمانُ امرأة فرعونَ من قبل إيمان امرأةِ خازن فرعون، وذلك أنَّها جلست تمشط ابنة فرعون، فوقع المشط من يدها، فقالت تَعِسَ مَن كفر بالله! فقالت لها ابنة فرعون: ولك ربٌّ غيرُ أبي؟! قالت: نعم رَبِّي ورَبُّ أبيك ورَبُّ كلِّ شيءٍ اللهُ، فلطمتها بنتُ فرعونَ وضربتها، وأخبرت أباها، فأرسل إليها فرعون فقال: تَعْبُدِين ربًّا غيري؟ قالت: نعم، رَبِّي ورَبُّكَ ورَبُّ كلِّ شيءٍ الله؛ وإيَّاه أعبد، فعذَّبها فرعون وأوتدَ لها أوتادًا فشَدَّ رجليها ويديها وأَرْسَل عليها الحيَّات، وكانت كذلك، فأتىٰ عليها يومًا فقال لها: ما أَنْتِ منتهية[٢]؟ فقالت له: رَبِّي ورَبُّك وربُّ كلِّ شيءٍ اللهُ. فقال لها: إنِّي ذابحٌ ابنَكَ في فِيكِ إن لم تفعلي، فقالت له: اقضِ ما أنت قاض، فذبح ابنها في فيها، وإن روح ابنها بَشَّرَها، فقال لها: أبشري يا أُمَّهْ، فإن لك عند الله من الثَّواب كذا وكذا، فصبرت ثم أتىٰ عليها فرعون يومًا آخر، فقال لها مثل ذلك، فقالت له، مثل ذلك، فذبح ابنها الآخر في فِيهَا، فبشَّرها روحه أيضًا، وقال لها: اصبري يا أُمَّهْ فإن لك عند الله من الثَّواب كذا وكذا، قال: وسمعت امرأة فرعون كلامَ روح ابنها الأكبر ثمَّ الأصغر، فآمنت امرأةُ فرعونَ، وقبض الله روح امرأة خازنِ فرعون، وكشف الغطاء عن ثوابها ومنزلتها وكرامتها في الجنَّة لامرأة فرعون حتىٰ رأت فازدادت إيمانًا ويقينًا وتصديقًا، فاطلع فرعون علىٰ إيمانها، فقال للملإ ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ فأثنوا عليها، فقال لهم: إنَّها تعبد غيري، فقالوا له: اقتلها، فأَوْتَدَ لها أوتادًا فشدَّ يديها ورجليها، فدعت آسية ربها فقالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ فوافق ذلك أن حضرها فرعون فضحكت حين رأت بيتها في الجنَّة، فقال فرعون: ألا تعجبون من جنونها، إنَّا نُعذِّبها وهي تضحك، فقبض الله روحَهَا ﵂[٣].

وقوله: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي: حَفِظَتْه وصَانَتْهُ، والإحصان: هو العفاف والحريَّة، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ أي: بواسطة المَلَك، وهو جبريل، فإنَّ الله بعثه إليها فتمَثَّل لها في صورةِ بشرٍ سَوِيٍّ، وأمره الله تعالىٰ أن ينفخ بِفِيهِ في جَيْب دِرْعِها، فنزلت النَّفخة فولجت في فرجها، فكان منه الحمل بعيسىٰ ﵇؛ ولهذا قال: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ أي: بقدره وشرعه ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا يونس، حدَّثنا داود بن أبي الفرات، عن عِلْباء، عن عِكْرِمة، عن ابن عبَّاس

---

(١) ولفظه «الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق، والزاد قبل الرحيل». أورده الألباني في «الضعيفة» (٢٦٧٥).
(٢) لوحة (١٢٠ ب).
(٣) إسناده مرسل.

قال: خَطَّ رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط، وقال: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ»[(١)].

وثبت في الصحيحين من حديث شعبة، عن عمرو بن مُرة، عن مرة الهَمْداني، عن أبي موسىٰ الأشعري، عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال[(٢)]: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَىٰ النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ»[(٣)].

وقد ذكرنا طرق هذه الأحاديث وألفاظها والكلام عليها في قصَّة عيسىٰ ابن مريم عليهما السلام في كتابنا «البداية والنهاية» ولله الحمد والمنَّة، وذكرنا ما ورد من الحديث من أنَّها تكون هي وآسية بنت مزاحم من أزواجه ﷺ في الجنَّة عند قوله: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾.

آخر تفسير سورة التحريم ولله الحمد.

---

(١) حسن: رواه أحمد (١/ ٢٩٣).

(٢) لوحة (١٢١ أ).

(٣) رواه البخاري (٣٤١١)، (٣٤٣٣)، (٣٧٦٩)، ومسلم (٢٤٣١)، ورواه الترمذي (١٨٣٥)، والنسائي (٧/ ٦٨)، وابن ماجه (٣٢٨٠).

سُورَةُ المُلْكِ

تفسير سورة الملك وهي مكية

قال أحمد: حدَّثنا حجاج بن محمَّد وابن جعفر، قالا: حدَّثنا شعبة، عن قتادة، عن عبَّاس الجُشَمي، عن أبي هُرَيرةَ، عن رَسُولِ الله ﷺ قال: «**إنَّ سُورَةً فِي القُرْآنِ ثَلاثِينَ آيَةً شَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّىٰ غُفِرَ لَهُ**: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾». ورواه أهل السُّنَنِ الأربعة، من حديث شعبة به، وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ[1].

وقد روىٰ الطبراني والحافظ الضِّياء المقدسي، من طريق سَلام بن مسكين عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**سُورَةٌ فِي القُرْآنِ خَاصَمَتْ عَنْ صَاحِبِهَا حَتَّىٰ أَدْخَلَتْهُ الجَنَّةَ**: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»[2].

وقال الترمذي: حدَّثنا محمَّد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، حدَّثنا يحيىٰ بن عمرو بن مالك النُّكْري، عن أبيه، عن أبي الجَوْزاء، عن ابن عبَّاس قال: ضرب بعض أصحاب النَّبيِّ ﷺ خباءه[3] علىٰ قبر، وهو لا يحسب أنَّه قبر فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتىٰ ختمها، فأتىٰ النَّبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، ضربت خِبَائِي علىٰ قبر وأنا لا أحسِب أنَّه قبرٌ، فإذا إنسانٌ يقرأ سورة الملك «تَبَارَكَ» حتىٰ ختمها، فقال رسول الله ﷺ: «**هِيَ المَانِعَةُ، هِيَ المُنْجِيَةُ، تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**» ثم قال: هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه. وفي الباب عن أبي هريرة[4].

ثم روىٰ الترمذي أيضًا من طريق ليث بن أبي سليم، عن أبي الزُّبَيْرِ، عن جابر: أن رسول الله ﷺ كان لا ينام حتىٰ يقرأ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ سورة السجدة، و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ[5]﴾[6]. وقال ليث عن طاوس: يَفْضُلان كلَّ سورةٍ في القرآن بسبعينَ حسنة.

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٣٢١)، وأبو داود (١٤٠٠)، والترمذي (٢٨٩٣)، وحسنه، وابن ماجه (٣٧٨٦)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٢/ ١١٦)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح أبي دواد».

قلت: فيه عبَّاس الجشمي، قال الحافظ: مقبول، لكن يشهد له رواية أنس الآتية، رواها الطبراني في «الأوسط» (٤/ ٧٦/ ٣٦٥٤)، و«الصغير» (١/ ١٧٦)، والضياء في «المختارة» (١٧٣٠)، ورجالها ثقات؛ فالحديث صحيح.

(٢) انظر التعليق السابق. (٣) الخِبَاء: الخيمة.

(٤) ضعيف: رواه الترمذي (٢٨٩٢)، وفيه يحيىٰ بن مالك النكري: ضعيف، وأما ما أشار إليه من حديث أبي هريرة فقد تقدم.

(٥) لوحة (١٢١/ ب).

(٦) صحيح: رواه الترمذي (٢٨٩٢)، وأحمد (٣/ ٣٤٠) من طريق ليث بن أبي سليم، وهو صدوق لكنه أُدخل في أحاديثه ما ليس منها فلم تتميز فتُرِك، لكنه توبع من طرق أخرىٰ عن أبي الزبير به كما عند النسائي في «عمل اليوم والليلة»، والحديث أورده الألباني في «الصحيحة» وحكم عليه بالصحة.

وقال الطبراني: حدَّثنا محمَّد بن الحسين بن عَجْلان[١] الأصبهاني، حدَّثنا سلمة بن شبيب، حدَّثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوَدِدتُ أَنَّهَا فِي قَلْبِ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ أُمَّتِي» يعني: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[٢].

هذا حديثٌ غريبٌ، وإبراهيم ضعيفٌ، وقد تقدم مثله في سورة «يس» وقد روىٰ هذا الحديث عبدُ بنُ حُمَيدٍ في «مسنده» بأبسطَ من هذا، فقال:

حدَّثنا إبراهيم بن الحكم، عن أبيه، عن عكرمة عن ابن عبَّاس أنه قال لرجل: ألا أُتحِفُكَ بحديثٍ تفرح به؟ قال: بلىٰ، قال: اقرأ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ وعَلِّمْهَا أهلك وجميع ولدِكَ وصبيانَ بيتك وجيرانك، فإنها المنجية والمجادلة، تجادل -أو تخاصم- يوم القيامة عند ربِّها لقارئها، وتطلب له [أن يُنَجِّيَه][٣] مِن عذاب النَّار، وينجِّي بها صاحبَهَا من عذاب القبر؛ قال رسول الله ﷺ: «لَوَدِدتُ أَنَّهَا فِي قَلْبِ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ أُمَّتِي»[٤].

وقد روىٰ الحافظ ابن عساكر في «تاريخه» في ترجمة أحمد بن نصر بن زياد أبي عبد الله القرشي النيسابوري المقرئ الزاهد الفقيه، أحد الثقات الذين روىٰ عنهم البخاري ومسلم، ولكن في غير «الصحيحين»، وروىٰ عنه الترمذي وابن ماجه وابن خزيمة، وعليه تفقَّه في مذهب أبي عُبَيدٍ بن حَرْبَويه، وخلق سواهم، ساق بسنده من حديثه عن فرات بن السائب، عن الزهري، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مَاتَ، وَلَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ إِلَّا ﴿تَبَٰرَكَ﴾، فَلَمَّا وُضِعَ فِي حُفْرَتِهِ أَتَاهُ المَلَكُ فَثَارَتِ السُّورَةُ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّكِ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَكِ، وَإِنِّي لا أَمْلِكُ [لَكِ][٥] وَلا لَهُ وَلا لِنَفْسِي ضَرًّا وَلا نَفْعًا، فَإِنْ أَرَدتِّ هَذَا بِهِ فَانْطَلِقِي إِلَىٰ الرَّبِّ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فَاشْفَعِي لَهُ، فَتَنْطَلِقُ إِلَىٰ الرَّبِّ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّ فُلَانًا عَمَدَ إِلَيَّ مِنْ بَيْنِ كِتَابِكَ فَتَعَلَّمَنِي وَتَلَانِي؛ أَفَتُحْرِقُهُ أَنْتَ بِالنَّارِ وَتُعَذِّبُهُ وَأَنَا فِي جَوْفِهِ؟! فَإِنْ كُنْتَ فَاعِلًا ذَاكَ بِهِ فَامْحُنِي مِنْ كِتَابِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أَرَاكِ غَضِبْتِ؟ فَتَقُولُ: وَحُقَّ لِي أَنْ أَغْضَبَ. فَيَقُولُ: اذْهَبِي فَقَدْ وَهَبْتُهُ لَكِ، وَشَفَّعْتُكِ فِيهِ، قَالَ: فَتَجِيءُ [فَيَخْرُجُ][٦] المَلَكُ، فَيَخْرُجُ كَاسِفَ[٧] البَالِ[٨] لَمْ يَحْلَ مِنْهُ بِشَيْءٍ[٩]. قَالَ: فَتَجِيءُ فَتَضَعُ فَاهَا[١٠] عَلَىٰ فِيهِ، فَتَقُولُ: مَرْحَبًا بِهَذَا الفَمِ، فَرُبَّمَا تَلَانِي، وَمَرْحَبًا بِهَذَا

(١) في (ز): (علاف الأصبهاني)، والمثبت موافق لما في «الطبراني»، وهو الصواب.
(٢) ضعيف: رواه الطبراني (١١/ ٢٤١/ ١١٦١٦)، وفيه إبراهيم بن الحكم بن أبان: ضعيف.
(٣) بياض في (ز)، وفي «مسند عبد بن حميد»: (وتطلب له إلىٰ ربها أن ينجيه من النار).
(٤) ضعيف: انظر التعليق السابق.
(٥) سقط من (ز).
(٦) بياض في (ز).
(٧) في (ز): (حاسف).
(٨) رجل كاسف البال: سيء الحال.
(٩) أي: لم يظفر بشيء.
(١٠) لوحة (١٢٢/ أ).

الصَّدْرِ، فَرُبَّمَا وَعَانِي، وَمَرْحَبًا بِهَاتَيْنِ الْقَدَمَيْنِ، فَرُبَّمَا قَامَتَا بِي، وَتُؤْنِسُهُ فِي قَبْرِهِ مَخَافَةَ الْوَحْشَةِ عَلَيْهِ». قال: فلما حَدَّث بهذا رسولُ الله ﷺ لم يبقَ صغيرٌ ولا كبيرٌ ولا حُرٌّ ولا عبدٌ إلا تعلَّمها، وسمَّاها رسول الله ﷺ المنجية(١).

قلت: وهذا حديثٌ منكرٌ جدًّا، وفرات بن السائب هذا ضعَّفه الإمام أحمد، ويحيىٰ بن معين، والبخاري، وأبو حاتم، والدارقطني وغير واحدٍ، وقد ذكره ابن عساكر من وجه آخر، عن الزهري، من قوله مختصرًا، وروىٰ البيهقي في كتاب «إثبات عذاب القبر» عن ابن مسعود موقوفًا ومرفوعًا ما يشهد لهذا، وقد كتبناه في كتاب الجنائز من الأحكام الكبرىٰ، ولله الحمد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾

يمجد تعالىٰ نفسه الكريمة، ويخبر أنَّه بيده الملك؛ أي: هو المتصرِّف في جميع المخلوقات بما يشاء لا معقِّب لحكمه، ولا يُسْأل عمَّا يفعل لقَهْرِه وحكمَتِهِ وعدله؛ ولهذا قال: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ثم قال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ واستدل بهذه الآية(٢) من قال: إنَّ الموت أمْرٌ وجوديٌّ؛ لأنَّه مخلوقٌ، ومعنىٰ الآية: أنَّه أوجد الخلائق من العدَم؛ ليبلوَهُم ويختبرَهُم أيُّهم أحسن عملًا؟ كما قال: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] فسمَّىٰ الحال الأول -وهو العدم- موتًا، وسمَّىٰ هذه النَّشأة حياةً؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرْعَةَ، [حدَّثنا](٣) صفوان، حدَّثنا الوليد، حدَّثنا خُلَيْدٌ، عن قتادة في قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللهَ أَذَلَّ بَنِي آدَمَ بِالْمَوْتِ، وَجَعَلَ الدُّنْيَا دَارَ حَيَاةٍ ثُمَّ دَارَ مَوْتٍ، وَجَعَلَ الآخِرَةَ دَارَ جَزَاءٍ ثُمَّ دَارَ بَقَاءٍ»(٤)؛ ورواه مَعْمَرٌ، عن قتادة قوله.

وقوله(٥): ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: خير عملًا كما قال محمَّد بن عَجْلان، ولم يقل: أكثر عملًا.

---

(١) منكر: رواه ابن عساكر في «تاريخه» (٢٨٣)، وفيه فرات بن السائب: ضعفه الأئمة، فقال فيه البخاري والدارقطني وغيرهما: منكر الحديث، ورواه أبو عثمان البُجَيري في «فوائده» (٣)، وانظر تعليق ابن كثير بعد إيراده الخبر.

(٢) في (ز): (بهذا الأمر). (٣) سقط من (ز).

(٤) مرسل ضعيف: رواه ابن أبي حاتم (١٨٩٢٨)، وفيه خُلَيد بن دَعْلَج: ضعيف، وأما رواية معمر عن قتادة فقد رواها الطبري (٢٩/ ١) وهي مرسلة أيضًا.

(٥) لوحة (١٢٢/ ب).

ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ أي: هو العزيز العظيمُ المنيعُ الجَنَابُ، وهو مع ذلك غفورٌ لمن تاب إليه وأناب، بعدما عصاه وخالف أمره، وإن كان تعالىٰ عزيزًا، هو مع ذلك يغفر ويرحم ويصفح ويتجاوز.

ثم قال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ أي: طبقة بعد طبقة، وهل هُنَّ متواصلاتٌ بمعنىٰ أنَّهنَّ علويَّات بعضهم علىٰ بعض، أو متفاصلات بينهن خَلاءٌ؟ فيه قولان: أصحهما الثاني، كما دلَّ علىٰ ذلك حديث الإسراء وغيره.

وقوله: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ أي: بل هو مصطحبٌ مستوٍ، ليس فيه اختلافٌ ولا تنافرٌ ولا مخالفةٌ، ولا نقصٌ ولا عيبٌ ولا خللٌ؛ ولهذا قال: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أي: انظر إلىٰ السَّماء فتأملها، هل ترىٰ فيها عيبًا أو نقصًا أو خللًا؛ أو فطورًا؟.

قال ابن عبَّاس، ومجاهد، والضَّحَّاكُ، والثوري، وغيرهم في قوله: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أي: شقوق.

وقال السُّدِّي: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أي: من خُروقٍ، وقال ابن عبَّاس في رواية: ﴿مِن فُطُورٍ﴾ أي: من وُهِيٍّ[(١)(٢)]، وقال قتادة: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أي: هل ترىٰ خَلَلًا يا ابن آدم؟.

وقوله: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ قال قتادة: مرَّتين. ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ قال ابن عبَّاس: ذليلًا، وقال مجاهد، وقتادة: صاغرًا.

﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ قال ابن عبَّاس: يعني: وهو كليل، وقال مجاهد، وقتادة، والسُّدِّي: الحسير: المنقطع[(٣)] من الإعياء.

ومعنىٰ الآية: إنَّك لو كرَّرت البصر، مهما كرَّرت، لانقلب إليك؛ أي: لرجع إليك البصر ﴿خَاسِئًا﴾ عن أن يرىٰ عيبًا أو خللًا، ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي: كليلٌ قد انقطع من الإعياء من كثرة التكرُّر، ولا يرىٰ نقصًا[(٤)].

ولما نفىٰ عنها في خلقها النقص بيَّن كمالها وزينتها فقال: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ وهي الكواكب التي وضعت فيها من السَّيَّارات والثَّوابت.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ عاد الضمير في قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾ علىٰ جِنْسِ المصابيح لا علىٰ عينها؛ لأنَّه لا يرمي بالكواكب التي في السماء، بل بشهبٍ مِن دونها، وقد تكون مستمدَّةً منها، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: جعلنا للشَّياطين هذا الخزي في الدُّنيا، وأعتدنا لهم

---

(١) في (ز): (وهاء).

(٢) الوُهِيّ: جمع وَهْي، وهو: الشق في الشيء.

(٣) في (ز): (المنقع).

(٤) قال الشيخ القاسمي رحمه الله: قال الناصر في قوله تعالىٰ: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾: وَضْعٌ للظاهر موضع المضمر. وفيه من الفائدة التنبيه علىٰ أن الذي يرجع خاسئًا حسيرًا غيرَ مدرِكٍ الفطورَ هو الآلة التي يلتمس بها إدراك ما هو كائنٌ، فإذا لم يُدْرِكْ شيئًا، دل علىٰ أنه لا شيء.

عذاب السَّعير في الأخرىٰ، كما قال: في أول الصافات: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ(١) مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ٦ - ١٠].

قال قتادة: إنَّما خلقت هذه النُّجوم لثلاث خصال: خلقها الله زينةً للسَّماء، ورجومًا للشياطين، وعلاماتٍ يُهْتَدَىٰ بها، فمن تأوَّل فيها غير ذلك فقد قال برَأْيِهِ وأخطأ حظَّه، [وأضاع](٢) نصيبَه، وتكلَّف ما لا علم له به. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم(٣).

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾

يقول تعالىٰ: ﴿وَ﴾ أعتدنا ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: بئس المآل والمنقلَبُ. ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا﴾ قال ابن جرير: يعني الصياح(٤).

﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾ قال الثوري: تغلي بهم كما يَغْلِي الحَبُّ القليلُ في الماء الكثير.

وقوله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ أي: يكاد ينفصل بعضُهَا مِن بعضٍ، من شدَّة غَيْظِها عليهم وحنقها بهم، ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ يذكر تعالىٰ عدله في خَلْقِه، وأنَّه لا يُعَذِّبُ أحدًا إلا بعد قيام الحجَّة عليه وإرسال الرَّسول إليه، كما قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] وقال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١]. وهكذا عادوا علىٰ أنفُسِهم بالمَلَامَةِ، وندموا حيث لا تنفعهم النَّدامة، فقالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: لو كانت لنا عقولٌ ننتفع بها أو نسمع ما أنزله الله من الحق، لما كنَّا علىٰ ما كنَّا عليه من الكفر بالله والاغترار به، ولكن لم يكن لَنَا فَهْمٌ نَعِي به ما جاءت به الرُّسل، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلىٰ اتِّباعهم، قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا محمَّد بن جعفر، حدَّثنا شعبة، عن عمرو بن مُرَّةَ، عن أبي البَخْتَرِيِّ

---

(١) لوحة (١٢٣/ أ). (٢) سقط من (ز).
(٣) رواه الطبري (٢٩/ ٣). (٤) لفظ الطبري: (يعني بالشهيق: الصوت الذي يخرج من الجوف بشدّةٍ كصوت الحمار).

الطائي قال: أخبرني من[1] سمعه من رسول الله ﷺ أنه قال: «لَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّىٰ يُعذِرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ»[2] وفي حديث آخر: «لا يَدْخُلُ أَحَدٌ النَّارَ، إِلَّا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ النَّارَ أَوْلَىٰ بِهِ مِنَ الجَنَّةِ»[3].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾

يقول تعالىٰ مخبراً عمَّن يخاف مقامَ رَبِّه فيما بينه وبينه إذا كان غائبًا عن النَّاس، فينكفُّ عن المعاصي ويقوم بالطاعات، حيث لا يراه أحدٌ إلا الله، بأنَّه له مغفرةٌ وأجرٌ كبيرٌ؛ أي: يكفر عنه ذنوبه، ويجازىٰ بالثَّواب الجزيل، كما ثبت في «الصحيحين»: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، فذكر منهم: «رَجُلًا دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلًا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّىٰ لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ»[4].

وقال الحافظ أبو بكر البزار في «مسنده»: حدَّثنا طالوت بن عباد، حدَّثنا الحارث بن عبيد، عن ثابت، عن أنس قال: قالوا: يا رسول الله، إنا نكون عندك علىٰ حالٍ، فإذا فارقناك كنا علىٰ غيره؟ قال: «كَيْفَ أَنْتُمْ وَرَبُّكُمْ؟» قالوا: اللهُ ربُّنا في السِّرِّ والعلانية. قال: «لَيْسَ ذَلِكُمُ النِّفَاقَ»[5]؛ لم يروه عن ثابت إلا الحارث بن عُبَيد فيما نعلمه.

ثم قال تعالىٰ منبهًا علىٰ أنه مطلعٌ علىٰ الضمائر والسرائر: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: بما خَطر في القلوب.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ أي: ألا يعلم الخالقَ؟ وقيل: معناه ألا يعلم الله مخلوقَهُ؟ والأوَّل أولىٰ، لقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

ثم ذكر نعمته علىٰ خلقه في تسخيره لهم الأرض وتذليله إيَّاها لهم، بأن جعلها قارَّةً ساكنةً لا تمتدُّ ولا تَضْطرِب بما جعل فيها من الجبال، وأنبع فيها من العُيُونِ، وسلك فيها من السُّبلِ،

---

(١) لوحة (١٢٣/ ب).

(٢) صححه الألباني: رواه الطبري (١٤٣٢٣- شاكر)، وضعفه الشيخ أحمد شاكر لانقطاعه، ورواه ابن أبي حاتم (٨٢١٣)، وله شاهد عند أبي داود (٢٣٤٧)، وأحمد (٥/ ٢٩٣)، وحسنه البغوي في «المصابيح» كما في «المشكاة» (٥١٤٦)، وحسنه السيوطي في «الصغير» (٤٣٩٧).

ومعناه: تكثر ذنوبُهم وعيوبُهم، فيستوجبُون العقوبةَ، ويكون لمن يُعَذِّبُهم عُذرٌ، وانظر: «عون المعبود» (١١/ ٣٣٧)، و«شرح المشكاة» للطيبي (٥١٤٦).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٤/ ٢٦٠)، وأبو داود (٤٣٤٧) وصححه الألباني في «المشكاة».

(٤) البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

(٥) ضعيف: رواه البزار (٥٢- كشف)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٣٢)، وأبو يعلىٰ (٣٣٦٩)، وفيه الحارث بن عبيد، قال أبو حاتم: ليس بالقوي يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال النسائي: ليس بذاك القوي، وقال ابن معين: ضعيف الحديث. انظر «تهذيب الكمال» (٥/ ٣٦٠).

[وهيَّأ][(١)] فيها من المنافع ومواضع الزُّروع والثمار، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ أي: فسافِروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتِّجارات، واعلموا أن سعيكم لا يُجْدِي عليكم شيئًا، إلا أن يُيَسِّره الله لكم؛ ولهذا قال: ﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ فالسَّعي في السَّبب لا ينافي التَّوكل، كما قال الإمام أحمد[(٢)]:

حدَّثنا أبو عبد الرحمن، حدَّثنا حَيْوَة، أخبرني بكر بن عمرو، أنه سمع عبد الله بن هُبَيْرَةَ يقول: إنه سمع أبا تميم[(٣)] الجَيشاني يقول: إنه سمع عمر بن الخطاب يقول: إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا[(٤)] وتَرُوحُ بِطَانًا»[(٥)].

رواه التِّرمذي والنَّسائي وابن ماجه من حديث ابن هبيرة وقال الترمذي: حسنٌ صحيحٌ، فأثبت لها رواحًا وغدوًّا لطلب الرِّزق، مع توكلها علىٰ الله ﷻ وهو المسَخِّر المسيِّر المسبِّب. ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ أي: المرجع يَوْمَ القِيَامَة.

قال ابن عبَّاس ومجاهد وقتادة والسُّدِّي: ﴿مَنَاكِبِهَا﴾ أطرافها وفِجَاجها ونواحيها، وقال ابن عبَّاس وقتادة: ﴿مَنَاكِبِهَا﴾ الجبال.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا عمرو بن حكام الأزدي، حدَّثنا شعبة، عن قتادة، عن يونس بن جبير، عن بشير بن كعب: أنه قرأ هذه الآية: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ فقال لأم ولد له: إن علمتِ ما ﴿مَنَاكِبِهَا﴾ فأنتِ عتيقةٌ، فقالت: هي الجبال، فسأل أبا الدَّرداء فقال: هي الجبال[(٦)].

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

وهذا أيضًا مِن لُطفِه ورحمته بخلقه أنَّه قادرٌ علىٰ تعذيبهم، بسببِ كُفْرِ بَعْضِهم به وعبادتهم معه غيرَهُ، وهو مع هذا يحلُمُ ويصفَحُ، ويؤجل ولا يُعَجِّلُ، كما قال: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾[فاطر: ٤٥].

---

(١) كذا في (ز) وفي بعض النسخ (وهيَّأها).

(٢) لوحة (١٢٤/ أ).

(٣) في (ز): (أبا سهم).

(٤) خِمَاصًا: جياعًا، وبطانًا: ممتلئة الأجواف.

(٥) صحيح: رواه أحمد (١/ ٣٠)، والترمذي (٢٣٤٥)، والنسائي في «الكبرىٰ»، (١٠٥٨٦)، وابن ماجه (٤١٦٤).

(٦) وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٣٧) إلىٰ ابن المنذر، وفيه أن أبا الدرداء أجابه بقوله: دع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك.

وقال هاهنا: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ أي: تذهب وتجيء وتضطرب، ﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾ أي: ريحًا فيها حصباء تدمغكم، كما قال: ﴿أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٨]. وهكذا توعدهم هاهنا بقوله: ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ أي: كيف يكون إنذاري وعاقبة مَن تخلَّف عنه وكذَّب به. ثم قال: ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي: من الأمم السَّالفة والقُرُونِ الخالية، ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: فكيف كان إنكاري عليهم ومعاقبتي لهم؟ أي: عظيمًا شديدًا أليمًا.

ثم قال تعالىٰ(1): ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ﴾ أي: تارةً يَصْفُفْنَ أجنحتَهُنَّ في الهواء، وتارةً تجمع جناحًا وتنشر جناحًا ﴿مَا يُمۡسِكُهُنَّ﴾ أي: في الجو ﴿إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ﴾ أي: بما سخَّر لهنَّ مِن الهواء(2)، مِن رحمته ولُطفِهِ، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ﴾ أي: بما يصلح كلَّ شيءٍ مِن مخلوقاته، وهذه كقوله: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [النحل: ٧٩].

﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ٢٠ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ٢١ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٢ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٢٣ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٥ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٢٦ فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ٢٧﴾

يقول تعالىٰ للمشركين الذين عبدوا غيره، يبتغون عندهم نصرًا ورزقًا، مُنكرًا عليهم فيما اعتقدوه، ومُخبرًا لهم أنَّه لا يحصل لهم ما أمَّلوه، فقال: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ أي: ليس لكم مِن دونه من وليٍّ ولا واقٍ، ولا ناصرٍ لكم غيره؛ ولهذا قال: ﴿إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾.

ثم قال: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ﴾ أي: مَن هذا الَّذي إذا قطع الله رزقه عنكم يرزقُكم بعده؛ أي: لا أحدَ يُعطي ويَمْنَعُ ويخلقُ ويرزقُ، وينصر إلا الله ﷻ وحده لا شريك له؛ أي: وهُم يعلمون ذلك، ومع هذا يعبدون غيره؛ ولهذا قال: ﴿بَل لَّجُّواْ﴾ أي: استمروا في طغيانهم وإفكِهِم(3) وضلالهم ﴿فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ﴾ أي: معاندةً واستكبارًا ونفورًا علىٰ إدبارهم عن الحقِّ، لا يسمعون له ولا يتبعونه.

ثم قال: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ وهذا مثلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثلِ من يمشي مُكِبًّا علىٰ وجهه؛ أي: يمشي منحنيًا لا

---

(1) لوحة (١٢٤ ب).

(2) في (ز): (بما سخر لهم من الهواء لهن).

(3) في (ز): (طغيانهم وإثمهم).

مستويًا علىٰ وجهه؛ أي: لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب؟! بل تائهٌ حائرٌ ضالٌّ، أهذا أهدىٰ ﴿أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا﴾ أي: منتصب القامة ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: علىٰ طريقٍ واضحٍ بيِّنٍ، وهو في نفسه مستقيم، وطريقه مستقيمة؟! هذا مثلهم في[1] الدُّنيا، وكذلك يكونون في الآخرة؛ فالمؤمن يحشر يمشي سويًّا علىٰ صراطٍ مستقيمٍ، مُفضٍ به إلىٰ الجنة الفَيْحاء، وأمَّا الكافر فإنَّه يُحْشَرُ يمشي علىٰ وجهه إلىٰ نار جهنَّم، ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدَّثنا ابن نُمَير، حدَّثنا إسماعيل، عن نُفَيع قال: سمعت أنس بن مالك يقول: قيل: يا رسول الله، كيف يُحْشَرُ الناس علىٰ وجوههم؟ فقال: «**أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَىٰ أَرْجُلِهِمْ قَادِرًا عَلَىٰ أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ**»[2].

وهذا الحديث مُخَرَّجٌ في «الصحيحين» من طريق [يونس بن محمَّد، عن شيبان، عن قتادة، عن أنس به نحوه][3].

وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾ أي: ابتدأ خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئًا مذكورًا، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ أي: العقول والإدراك، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: ما أَقَلَّ ما تستعملون هذه القوىٰ الَّتي أنعم الله بها عليكم في طاعَتِهِ وامتثالِ أوامرِهِ وتركِ زواجرِهِ.

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: بثَّكُم ونشرَكُم في أقطار الأرض وأرجائها، مع اختلاف ألسنتِكُم في لغاتكم وألوانكم، وحِلاكُم[4] وأشكالكم وصوركم، ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: تُجمَعون بعد هذا التَّفرُّقِ والشَّتات، يجمعكم كما فرقكم، ويُعِيدُكُم كما بدأكم.

ثم قال مخبرًا عن الكفَّار المنكرين للمَعادِ المستبعدين وقوعه: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: متىٰ يقع هذا الَّذي تخبرنا بكونه من الاجتماع بعد هذا التَّفرُّق؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يعلم وقت ذلك علىٰ التَّعيين إلا الله عَزَّ وَجَلَّ لكنَّه أمرني أن أخبركم أنَّ هذا كائنٌ وواقعٌ لا محالة فاحذروه، ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ وإنَّما عليَّ البلاغ، وقد أدَّيته إليكم.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: لما قامت القِيَامَةُ وشاهَدَها الكفَّار، ورَأَوْا أنَّ الأمر كان قريبًا؛ لأنَّ كل ما هو آتٍ آتٍ وإن طال زمنه، فلما وقع ما كذبوا به

---

(١) لوحة (١٢٥/ أ).
(٢) رواه أحمد (٣/ ١٦٧)، ورواه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٥٦) نحوه.
(٣) ما بين المعكوفتين بياض في (ز).
(٤) الحِلَىٰ: العلامات الظاهرة.

ساءَهُم ذلك؛ لما يعلمون ما لهم هناك من الشَّرِّ؛ أي: فأحاط بهم ذلك، وجاءهم من أمر الله ما لم يكُن لهم في بالٍ ولا حسابٍ، ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟[1] وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الزمر: ٤٧، ٤٨]؛ ولهذا يُقال لهم على وَجْهِ التَّقريع والتَّوبيخ: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ أي: تستعجلون.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ[2] مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾

يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمَّد لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين لنِعَمِهِ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: خَلِّصوا أنفسكم، فإنَّه لا مُنْقِذَ لكم مِن الله إلا التَّوبة والإنابة، والرُّجوع إلىٰ دينه، ولا ينفعكم وقوع ما تتمنَّوْن لنا من العذاب والنَّكالِ، فسواءٌ عذَّبنا الله أو رحمنا، فلا مناصَ لكم مِن نكاله وعذابه الأليم الواقع بكم.

ثم قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ أي: آمنَّا بربِّ العالمين الرَّحمن الرَّحيم، وعليه توكَّلنا في جميع أمورنا، كما قال: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]. ولهذا قال: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: منَّا ومنكم، ولمن تكون العاقبة في الدُّنيا والآخرة.

ثم قال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أي: ذاهبًا في الأرض إلىٰ أسفل، فلا يُنَالُ بالفئوس الحِداد، ولا السَّواعد الشِّداد. والغائر: عكس النَّابع؛ ولهذا قال: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾ أي: نابعٌ سائحٌ[3] جارٍ علىٰ وجه الأرض، لا يقدر علىٰ ذلك إلا الله ﷻ فمِن فضله وكرمِهِ أن أنبع لكم المياه وأجراها في سائر أقطار الأرض، بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلَّة والكثرة، فلله الحمد والمنَّة.

آخر تفسير سورة الملك.

---

(١) في (ز): (ما عملوا)، وهو خطأ.

(٢) لوحة (١٢٥/ ب).

(٣) في (ز): (صالح).

سُورَةُ القَلَمِ

تفسير سورة «نٓ» وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝٧﴾

قد تقدَّم الكلام علىٰ حروف الهجاء في أول «سورة البقرة»، وأن قوله: ﴿نٓ﴾ كقوله: ﴿صٓ﴾ ﴿قٓ﴾ ونحو ذلك من الحروف المقطعة في أوائل السُّور، وتحرير القول في ذلك بما أغنىٰ عن إعادته.

وقيل: المراد بقوله: ﴿نٓ﴾ حوتٌ عظيمٌ علىٰ تيَّار الماء العظيم المحيط، وهو حامل للأرضين السبع، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير [(١)]: حدَّثنا ابن بشار، حدَّثنا يحيىٰ، حدَّثنا سفيان -هو الثوري- حدَّثنا سليمان -هو الأعمش- عن أبي ظَبْيان، عن ابن عبَّاس قال: أوَّل ما خلق الله القلم قال: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب القَدَرَ. فجرىٰ بما يكون من ذلك اليوم إلىٰ يوم قيام الساعة، ثم خلق «النون» ورفع بخار الماء، ففُتِقت منه السماء، وبسطت الأرض علىٰ ظهر النون، فاضطرب النُّون فمادت الأرض، فأُثْبِتَت بالجبال، فإنها لتفخر [(٢)] علىٰ الأرض [(٣)].

وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن سِنان، عن أبي معاوية، عن الأعمش به. وهكذا رواه شعبة، ومحمَّد بن فُضَيل، وَوَكِيعٌ، عن الأعمش به. وزاد شعبة في روايته: ثم قرأ: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ وقد رواه شَرِيك، عن الأعمش، عن أبي ظَبْيان [(٤)] -أو مجاهد- عن ابن عبَّاس، فذكر

---

(١) لوحة (١٢٦/ أ).

(٢) في (ز): (لتفجر).

(٣) ضعيف رواه الطبري (٢٩/ ١٤)، وابن أبي حاتم (١٨٩٣٦)، والحاكم (٢/ ٤٩٨) وصححه، وأبو الشيخ في «العظمة» (٨٩٧)، وابن مَنْده في «التوحيد» (١٥) (٦٥)، وهذه من الأخبار التي لا يقال مثلها بالرأي، ولا يصح الأخذ بها إلا إذا كان الصحابي لم يأخذ من كتب أهل الكتاب، ومعلوم أن ابن عبَّاس ﷺ أخذ منها؛ وعليه فالحديث لا يصح.

(٤) حرفت في (ز) إلىٰ: (جلبان).

نحوه. ورواه مَعْمَرٌ، عن الأعمش: أن ابن عبَّاس قال... فذكره، ثم قرأ: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ ثم قال ابن جرير: حدَّثنا ابن حميد، حدَّثنا جرير، عن عطاء، عن أبي الضُّحَىٰ، عن ابن عبَّاس قال: إنَّ أوَّل شيءٍ خلق ربي ﷻ القلمُ، ثم قال له: اكتب، فكتب ما هو كائنٌ إلىٰ أن تقوم السَّاعة، ثم خلق «النون» فوق الماء، ثم كبس الأرض عليه (١).

وقد رویٰ الطبراني ذلك مرفوعًا فقال: حدَّثنا أبو حبيب [زيد بن] (٢) المهتدي المَرُّوذِي (٣)، حدَّثنا سعيد بن يعقوب الطَّالِقاني، حدَّثنا مُؤَمَّل بن إسماعيل، حدَّثنا حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحىٰ مسلم بن صُبَيح، عن ابن عبَّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمُ وَالحُوتُ، قَالَ [لِلْقَلَمِ: اكْتُبْ، قَالَ:] (٤) مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: كُلَّ شَيْءٍ كَائِنٍ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**». ثم قرأ: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ فالنُّون: الحوت. والقلم: القلم (٥).

حديثٌ آخر في ذلك رواه ابن عساكر عن أبي عبد الله مولىٰ بني أمية، عن أبي صالح، عن أبي هُرَيرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ القَلَمُ، ثُمَّ خَلَقَ النُّونَ وَهِيَ: الدَّوَاةُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ [قَالَ: اكْتُبْ] (٦) مَا يَكُونُ -أَوْ: مَا هُوَ كَائِنٌ- مِنْ عَمَلٍ أَوْ رِزْقٍ أَوْ أَثَرٍ أَوْ أَجَلٍ. فَكَتَبَ ذَلِكَ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ ثُمَّ خَتَمَ عَلَىٰ القَلَمِ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، ثُمَّ خَلَقَ العَقْلَ (٧) وَقَالَ: وَعِزَّتِي لأُكَمِّلَنَّكَ [فِيمَنْ أَحْبَبْتُ، وَلأَنْقُصَنَّكَ مِمَّنْ أَبْغَضْتُ**»] (٨)(٩).

وقال ابن أبي نَجِيح: إن إبراهيم بن أبي بكر أخبره، عن مجاهد قال: كان يقال: النُّون: الحوت العظيم الذي تحت الأرض السَّابعة.

وقد ذكر البغوي (١٠) وجماعة من المفسِّرين: أن علىٰ ظهر هذا الحوت صخرةً سمكها كغِلَظِ

---

(١) ضعيف: رواه الطبري (٢٩/ ١٤)، وفيه ابن حميد: حافظ ضعيف، وانظر التعليق السابق.

(٢) بياض في (ز)، والمثبت موافق لما في «الطبراني»، وهو الصواب.

(٣) في (ز): (المبرود).

(٤) سقط من (ز)، وكذا من «الطبراني» و «مجمع الزوائد» أيضًا، وانظر: «فتح الباري» (٨/ ٦٦١).

(٥) ضعيف: رواه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٤٣٣)، وإسناده ضعيف وفيه مؤمل بن إسماعيل: صدوق سيئ الحفظ، وشيخ المصنف لم أقف علىٰ ترجمته.

(٦) سقط من (ز).

(٧) قال ابن القيم رحمه الله: (أحاديث العقل كلها كذب). «المنار المُنيف» (ص ٩٦).

(٨) بياض في (ز).

(٩) منكر: رواه ابن عدي (٦/ ٢٢٧٢) وفيه محمَّد بن وهب: ضعيف. انظر ترجمته في «ميزان الاعتدال» (٤/ ٦١)، وأيضًا فالوليد بن مسلم مدلس.

(١٠) لوحة (١٢٦ ب).

السموات والأرض، وعلىٰ ظهرها ثور له أربعون ألف قرنٍ، وعلىٰ متنه الأرضون السبع وما فيهن وما بينهن، فالله أعلم[(١)]. ومن العجيب أنَّ بعضهم حمل علىٰ هذا المعنىٰ الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدَّثنا إسماعيل، حدَّثنا حُمَيدٌ، عن أنس: أن عبد الله بن سَلَام بَلَغَهُ مَقْدَمُ رسولِ الله ﷺ المدينة، فأتاه فسأله عن أشياء، قال: إني سائلك عن أشياءَ لا يعلمها إلا نبيٌّ، قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلىٰ أبيه؟ والولد ينزع إلىٰ أمه؟ قال: «**أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا**». قال ابن سلام: فذاك عدو اليهود من الملائكة. قال: «**أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنَ المَشْرِقِ إِلَىٰ المَغْرِبِ، وَأَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ زِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَأَمَّا الوَلَدُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ المَرْأَةِ نَزَعَ الوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ المَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتْ**»[(٢)]. ورواه البخاري من طرق عن حُمَيدٍ، ورواه مسلم أيضًا، وله من حديث ثوبان مولىٰ رسول الله ﷺ نحو[(٣)] هذا.

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي أسماء الرَّحَبِي، عن ثوبان: أنَّ حبرًا سأل رسول الله ﷺ عن مسائل، فكان منها أن قال: فما تُحْفَتُهم؟ -يعني أهلَ الجنة حين يدخلون الجنة- قال: «**زِيَادَةُ كَبِدِ الحُوتِ**». قال: فما غذاؤهم علىٰ أثرها؟ قال: «**يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا**». قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «**مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا**»[(٤)].

وقيل: المراد بقوله: ﴿نٓ﴾ لوحٌ من نورٍ.

قال ابن جرير: حدَّثنا الحسين[(٥)] بن شبيب المُكْتِب، حدَّثنا محمَّد بن زياد الجَزَري، عن فرات ابن أبي الفرات، عن معاوية بن قُرَّةَ، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ لَوْحٌ مِنْ نُورٍ، وَقَلَمٌ مِنْ نُورٍ، يَجْرِي بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**» وهذا مرسلٌ غريب[(٦)].

وقال ابن جُرَيج: أخبرت أنَّ ذلك القلم من نورٍ طوله مائة عام. وقيل: المراد بقوله: ﴿نٓ﴾ دواة، والقلم: القلم. حدَّثنا ابن ثور، عن مَعْمَرٍ، عن الحسن وقتادة في قوله: ﴿نٓ﴾ قالا: هي الدواة.

وقد روي في هذا حديثٌ مرفوعٌ غريبٌ جدًّا، فقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا هشام بن

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في ذكر علامات الأحاديث الموضوعة: أن يكون الحديث مما تشهد الشواهد الصحيحة علىٰ بُطلانه، ومن هذا حديث: «إن الأرض علىٰ صخرة، والصخرة علىٰ قرن ثور، فإذا حرَّك الثور قرنه تحركت الصخرة، فتحركت الأرض، وهي الزلزلة»، والعجب من مسوِّد كتبه بهذه الهذيانات. راجع «المنار المُنيف» (ص٧٦).

(٢) البخاري (٣٣٢٩)، وأحمد (٣/ ١٨٩)، ورواه مسلم من حديث ثوبان، وهو الحديث الآتي.

(٣) في (ز): (عن هذا).

(٤) مسلم (٣١٥).

(٥) في (ز): (الحسن)، وهو خطأ.

(٦) مرسل: رواه الطبري (٢٩/ ١٥).

خالد[1]، حدَّثنا الحسن بن يحيىٰ، حدَّثنا أبو عبد الله مولىٰ بني أمية، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خَلَقَ اللهُ النُّونَ، وَهِيَ الدَّوَاةُ»[2].

وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن حميد، حدَّثنا يعقوب، حدَّثنا أخي عيسىٰ بن عبد الله، حدَّثنا ثابت الثُّمَالي، عن ابن عبَّاس قال: إن الله خلق النون -وهي الدواة- وخلق القلم، فقال: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائنٌ إلىٰ يوم القيامة مِن عملٍ معمولٍ به برٍّ أو فجورٌ، أو رزقٌ مقسومٌ حلالٌ أو حرامٌ. ثمَّ ألزم كلَّ شيءٍ مِن ذلك شأنَهُ: دخوله في الدُّنيا، ومقامه فيها كم؟ وخروجه منها كيف؟ ثم جعل علىٰ العباد حفظةً، وللكتاب خُزَّانًا، فالحفظة ينسخون كل يومٍ من الخُزَّانِ عمل ذلك اليوم، فإذا فَنِي الرِّزق وانقطع الأثر وانقضىٰ الأجل، أتت الحفظةُ الخزنةَ يطلبون عمل ذلك اليوم، فتقول لهم الخَزَنَةُ: ما نجد لصاحبكم عندنا شيئًا فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا. قال: فقال ابن عبَّاس: أَلَسْتُم قومًا عَرَبًا تسمعون الحفظة يقولون: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]؟ وهل يكون الاستنساخ إلا من أصل؟[3].

وقوله: ﴿وَالْقَلَمِ﴾ الظَّاهر أنَّه جنس القلم الذي يكتب به كقوله: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٣ - ٥]. فهو قسمٌ منه تعالىٰ، وتنبيهٌ لخلقه علىٰ ما أنعم به عليهم مِن تعليم الكتابة التي بها تُنَالُ العلوم؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قال ابن عبَّاس، ومجاهد، وقتادة: يعني: وما يكتبون.

وقال أبو الضُّحىٰ، عن ابن عبَّاس: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: وما يعملون.

وقال السُّدِّي: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ يعني: الملائكة وما تكتب من أعمال[4] العباد.

وقال آخرون: بل المراد هاهنا بالقلم الذي أجراه الله بالقدر حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السَّموات والأرضين بخمسين ألفَ سنةٍ. وأوردوا في[5] ذلك الأحاديث الواردة في ذكر القلم، فقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد بن يحيىٰ بن سعيد القطان ويونس بن حبيب قالا: حدَّثنا أبو داود الطيالسيُّ، حدَّثنا عبد الواحد بن سُليم السلمي، عن عطاء -هو ابن أبي رباح- حدَّثني الوليد بن عبادة بن الصامت

---

(١) لوحة (١٢٧ أ).

(٢) ضعيف: فيه الحسن بن يحيىٰ الخُشني، قال أبو حاتم: صدوق سيء الحفظ، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال الدارقطني: متروك، وقال أبو أحمد بن عدي: هو ممن تحتمل روايته، وقال الحافظ: صدوق كثير الغلط. انظر «تهذيب الكمال» (٦/ ٣٣٩)، و«تقريب التهذيب» ترجمة (١٢٩٥)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٤١) إلىٰ الحكيم الترمذي.

(٣) ضعيف: رواه الطبري (٢٩/ ١٥).

(٤) في (ز): (عمل).

(٥) في (ز): (إلىٰ ذلك).

قال: دعاني أبي حين حضره الموتُ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ القَدَرَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ الأَبَدِ**»[١].

وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد من طرق، عن الوليد بن عبادة، عن أبيه به، وأخرجه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي[٢] به، وقال: حسنٌ صحيحٌ غريبٌ. ورواه أبو داود في كتاب «السنة» من «سننه»، عن جعفر بن مسافر، عن يحيىٰ بن حسان، عن ابن رباح، عن إبراهيم بن أبي عبلة عن أبي[٣] حفصة -واسمه حُبَيش بن شُريح الحَبشي الشامي- عن عبادة، فذكره.

وقال ابن جريرٍ: حدَّثنا محمَّد بن عبد الله الطُّوسِي، حدَّثنا علي بن الحسن بن شقيق، أنبأنا عبد الله بن المبارك، حدَّثنا رباح بن زيد، عن عمر بن حبيب، عن القاسم بن أبي بَزَّة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس: أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ القَلَمُ فَأَمَرَهُ فَكَتَبَ كُلَّ شَيْءٍ**». غريبٌ من هذا الوجه، ولم يخرِّجوه[٤].

وقال ابن أبي نَجيحٍ، عن مجاهد: ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ يعني: الذي كتب به الذِّكر.

وقوله: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: يكتبون كما تقدم.

وقوله: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ أي: لست -ولله الحمد- بمجنونٍ، كما قد يقوله الجهلة من قومك، والمكذبون بما جئتهم به من الهدىٰ والحق المبين، فنسبوك فيه إلىٰ الجنون، ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: بل لك الأجر العظيم، والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يَبِيد، علىٰ إبلاغك رسالة ربِّك إلىٰ الخلق، وصبرك علىٰ أذاهم. ومعنىٰ ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع كقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] [﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوعٍ عنهم. وقال مجاهد: ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾][٥] أي: غير محسوبٍ، وهو يرجع إلىٰ ما قلناه.

وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قال العَوْفي، عن ابن عبَّاس: أي: وإنَّك لعلىٰ دينٍ عظيمٍ، وهو الإسلام. وكذلك قال مجاهد، وأبو مالك، والسُّدِّي، والربيع بن أنس، والضَّحَّاكُ، وابن زيد.

وقال عطية: لعلىٰ أدبٍ عظيمٍ. وقال مَعْمَرٌ، عن قتادة: سُئِلَتْ عائشةُ عن خُلُقِ رسول الله ﷺ.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢٣١٩) وله شواهد، انظر: كتاب «السنة» لابن أبي عاصم (١٠٢- ١٠٨).

(٢) لوحة (١٢٧/ ب).

(٣) في (ز): (عن ابن حفصة)، والمثبت هو الصواب.

(٤) رواه الطبري (٢٩/ ١٦)، ورجاله ثقات، وهو شاهد للحديث السابق.

(٥) ما بين المعقوفتين، سقط من (ز).

قالت: كان خُلُقُه القرآن، تقول[١] كما هو في القرآن.

وقال سعيد بن أبي عَرُوبَةَ، عن قتادة قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ذكر لنا أن سعد[٢] بن هشام سأل عائشة عن خُلُقِ رسول الله ﷺ. فقالت: ألست تقرأ القرآن؟ قال: بلىٰ، قالت: فإن خُلُقَ رسول الله ﷺ كان القرآن.

وقال عبد الرزاق، عن مَعْمَرٍ، عن قتادة، عن زُرارةَ بن أوفىٰ، عن سعد بن هشام قال: سألت عائشة فقلت: أخبريني يا أم المؤمنين عن خُلُقِ رسول الله ﷺ. فقالت: أتقرأ القرآن؟ فقلتُ: نعم. فقالت[٣]: كان خلقه القرآن[٤].

هذا حديثٌ طويلٌ، وقد رواه الإمام مسلم في «صحيحه»، من حديث قتادة بطوله[٥]، وسيأتي في سورة «المزمل» إن شاء الله تعالىٰ.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا إسماعيل، حدَّثنا يونس، عن الحسن قال: سئلت[٦] عائشة عن خُلُقِ رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن[٧].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا أسود، حدَّثنا شَرِيك، عن قيس بن وهب، عن رجلٍ من بني سواد قال: سألت عائشة عن خُلُقِ رسول الله ﷺ. فقالت: أما تقرأ[٨] القرآن: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾؟ قال: قلت: حدثيني عن ذاك، قالت: صنعتُ له طعامًا، وصنعتْ له حفصةُ طعامًا، فقلت لجاريتي: اذْهَبِي فإن جاءت هي بالطعام فوضعته قبلُ فاطرحي الطعام! قالت: فجاءت بالطعام، قالت: فألقت الجارية، فوقعت القصعة فانكسرت -وكان نِطعًا[٩]- قالت: فجمعه[١٠] رسول الله وقال: «**اقْتَصُّوا -أو: اقْتَصِي، شَكَّ[١١] أسود- ظَرْفًا مَكَانَ ظَرْفِكِ**». قالت: فما قال شيئًا[١٢].

---

(١) في (ز): (بقول سعيد كما)، والمثبت من «الطبري».

(٢) في (ز): (سعيد بن هشام)، والمثبت هو الصواب.

(٣) لوحة (١٢٨ أ).

(٤) رواه أحمد (٦/ ١٦٣) من طريق عبد الرزاق، وإسناده صحيح.

(٥) رواه مسلم (٧٤٦).

(٦) كذا في (ز)، وهو الصواب، وهو موافق لما في «المسند»، علىٰ خلاف ما ذكر في طبعة «الشعب».

(٧) رواه أحمد (٦/ ٢١٦).

(٨) في (ز): (أما هذا القرآن)، والمثبت كما في «المسند».

(٩) النطع: بساط من جلد.

(١٠) في (ز): (مخفه).

(١١) في (ز): (بيد أسود).

(١٢) رواه أحمد (٦/ ١١١) وفيه رجل لم يسمَّ. ولكن أصل القصة صحيح من حديث أنس، رواه البخاري (٥/ ١٢٦ – فتح الباري)، وأبو داود (٣٥٦٧)، والترمذي (١٣٥٩)، وابن ماجه (٢٣٣٤).

وقال ابن جرير: حدَّثنا عبيد بن آدم بن أبي أياس، حدَّثنا أبي، حدَّثنا المبارك بن فَضَالة، عن الحسن، عن سعد[١] بن هشام: قال: أتيت عائشة أم المؤمنين فقلت لها: أخبريني بخلُقِ النَّبيِّ ﷺ. فقالت: كان خُلُقُهُ القرآن. أما تقرأ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢].

وقد روىٰ أبو داود والنسائي، من حديث الحسن، نحوه.

وقال ابن جرير: حدَّثني يونس، أنبأنا ابن وهب، وأخبرني معاوية بن صالح، عن أبي الزاهرية، عن جُبَيرِ بن نُفَير قال: حججتُ فدخلتُ علىٰ عائشة ﵂ فسألتها عن خُلُقِ رسول الله ﷺ. فقالت: كان خُلُقُ رسول الله ﷺ القرآن[٣].

وهكذا رواه أحمد، عن عبد الرحمن بن مهدي. ورواه النسائي في التفسير، عن إسحاق بن منصور، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن معاوية بن صالح به.

ومعنىٰ هذا أنَّه ﵇ صار امتثالُ القرآن أمرًا ونهيًا سجيَّةً له، وخلقًا تَطَبَّعَهُ، وترك طبعه الجِبِلِّي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه. هذا مع ما جَبَلَهُ الله عليه من الخُلُقِ العظيم، من الحياء والكَرَم والشَّجاعة، والصَّفح والحِلْم، وكل خلقٍ جميل؛ كما ثبت في «الصَّحيحين» عن أنس قال: خدمتُ رسولَ الله ﷺ[٤] عشر سنين فما قال لي: «أُفٍّ» قط، ولا قال لشيء فعلتُه: لم فعلتَهُ؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلتَهُ؟ وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقًا ولا مَسِسْتُ خزًّا ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألين من كفِّ رسول الله ﷺ ولا شَمَمْتُ مسكًا ولا عطرًا كان أطيب مِن عَرَقِ رسول الله ﷺ[٥].

وقال البخاري: حدَّثنا [أحمد بن سعيد أبو عبد الله، حدَّثنا][٦] إسحاق بن منصور، حدَّثنا إبراهيم بن يوسف، عن أبيه، عن أبي إسحاقَ قال: سمعت البراء يقول: كان رسول الله ﷺ أحسن النَّاس وجهًا، وأحسن النَّاس خلُقًا، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير[٧].

والأحاديث في هذا كثيرةٌ، ولأبي عيسىٰ الترمذي في هذا كتاب «الشمائل».

قال الإمام أحمد: حدَّثنا عبد الرزاق، حدَّثنا مَعْمَرٌ، عن الزُّهري، عن عُرْوَةَ، عن عائشة قالت: ما ضرب رسولُ الله ﷺ بِيَدِهِ خادمًا له قط، ولا امرأةً، ولا ضرب بيده شيئًا قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله. ولا

---

(١) في (ز): (سعيد بن هشام)، وهو خطأ.

(٢) رواه الطبري (٢٩/ ١٩)، وهو شاهد لما سبق.

(٣) الطبري (٢٩/ ١٩) وهو شاهد لما سبق.

(٤) لوحة (١٢٨/ ب).

(٥) البخاري (٥١٦٦)، ومسلم (٢٣٠٩).

(٦) سقط من (ز)، والمثبت كما في «صحيح البخاري».

(٧) البخاري (٣٥٤٩).

خُيِّر بين شيئَيْنِ قط إلا كان أحبُّهما إليه أيسرَهُما حتىٰ يكون إثمًا، فإذا كان إثمًا كان أبعد النَّاس من الإثم، ولا انتقم لنفسِهِ مِن شيءٍ يؤتىٰ إليه إلا[1] أن تُنتَهَكَ حرمات الله، فيكون هو ينتقم لله ﷻ[2].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا سعيد بن منصور، حدَّثنا عبد العزيز[3] بن محمَّد، عن محمَّد بن عَجْلانٍ، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هُرَيرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلَاقِ**». تفرَّد به[4].

وقوله: ﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ أي: فستعلم يا محمَّد، وسيعلمُ مخالِفُوك ومكذِّبوكَ: مَن المفتون الضَّالُّ منك ومنهم. وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ﴾ [القمر: ٢٦]، وكقوله: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤].

قال ابن جريج: قال ابن عبَّاس في هذه الآية: ستعلم ويعلمون يوم القيامة.

وقال العَوْفي، عن ابن عبَّاس: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ أي: الجنون، وكذا قال مجاهد، وغيره. وقال قتادة وغيره: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ أي: أولىٰ بالشَّيطان.

ومعنىٰ المفتون ظاهر؛ أي: الذي قد افْتُتِنَ عن الحقِّ وضلَّ عنه، وإنَّما دخلت الباء في قوله: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ لتدلَّ علىٰ تَضمِينِ الفعل في قوله: ﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ﴾ وتقديره: فستعلم ويعلمون، أو[5]: فستُخْبَرُ ويُخبَرون بأيِّكم المفتون. والله أعلم.

ثم قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ أي: هو يعلم تعالىٰ أيَّ الفريقَيْنِ منكم ومِنهُم هو المهتدي، ويعلم الحِزْبَ الضَّالَّ عن الحَقِّ.

﴿**فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۢ بِنَمِيمٖ ۝١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلِّۢ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ۝١٦**﴾

يقول تعالىٰ: كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشَّرع المستقيم والخُلُقَ العظيم ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾.

---

(١) في (ز): (من شيءٍ يعني إليه حتىٰ)، والمثبت كما في «المسند».
(٢) صحيح: رواه أحمد (٦/ ٢٣٢).
(٣) في (ز): (عبد الله)، والمثبت هو الصواب.
(٤) حسن: رواه أحمد (٢/ ٣٨١).
(٥) لوحة (١٢٩/ أ).

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ قال ابن عبَّاس: لو تُرَخِّص لهم فيُرَخِّصون [١].

وقال مجاهد: ودُّوا لو تَرْكَنُ إلىٰ آلهتِهم وتترك ما أنت عليه من الحقِّ.

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ وذلك أنَّ الكاذب لضعفه ومهانته إنَّما يتقي بأيمانه الكَاذِبَة التي يجترئ بها علىٰ أسماء الله تعالىٰ، واستعمالها في كلِّ وقتٍ في غير محلها.

قال ابن عبَّاس: المهين الكاذب. وقال مجاهد: هو الضَّعيف القلب. قال الحسن: كلُّ حلَّافٍ مكابرٍ مهينٍ ضعيفٍ.

وقوله: ﴿هَمَّازٍ﴾ قال ابن عبَّاس وقتادة: يعني الاغتياب.

﴿مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ يعني: الذي يمشي بين النَّاس، ويحرِّش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين وهي الحَالِقَةُ، وقد ثبت في «الصحيحين» من حديث مجاهد، عن طاوس، عن ابن عبَّاس قال: مَرَّ رسول الله ﷺ بقبرين فقال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**» [٢] الحديث. وأخرجه بقيَّة الجماعة في كتبهم، من طرقٍ عن مجاهد به.

وقال أحمد: حدَّثنا أبو معاوية، حدَّثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن هَمَّامٍ؛ أن حُذَيفةَ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ**» [٣].

رواه الجماعة -إلا ابنَ ماجه- من طرق، عن إبراهيم [٤] به.

وحدَّثنا عبد الرزاق، حدَّثنا الثوري، عن منصور، عن إبراهيم، عن همام، عن حذيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ**» يعني: نَمَّامًا.

وحدَّثنا يحيىٰ بن سعيدٍ القطان أبو سعيد الأحول، عن الأعمش، حدَّثني إبراهيم -منذ نحو سِتِّين سنةً- عن همام بن الحارث [٥] قال: مر رجلٌ علىٰ حذيفة فقيل: إنَّ هذا يرفع الحديث إلىٰ الأمراء، فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول -أو: قال-: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ** [٦]» [٧].

---

(١) أي: تلين في دينك فيلينون.

(٢) البخاري (٢١٦)، ومسلم (١١٠)، وأبو داود (٢٠)، والترمذي (٧٠)، والنسائي (١/ ٢٨)، وابن ماجه (٣٤٧).

(٣) البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (١٠٥)، وأبو داود (٤٨٧١)، والترمذي (٢٠٢٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٦١٤)، وأحمد (٥/ ٣٨٢).

(٤) في (ز): (عن ابن ماجه به).

(٥) في (ز): (همام بن حرب)، وهو خطأ.

(٦) لوحة (١٢٩/ ب).

(٧) رواه أحمد (٥/ ٣٨٩). وانظر التخريج السابق.

وقال أحمد: حدَّثنا هاشم[(١)]، حدَّثنا مهدي، عن واصل الأحدب، عن أبي وائل قال: بلغ حذيفة عن رجلٍ أنه يَنِمُّ الحديث، فقال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ**»[(٢)].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا عبد الرزَّاق، أنبأنا مَعْمَرٌ، عن ابن خُثَيم، عن شَهْر بن حَوْشَبٍ، عن أسماء بنت يزيد بن السَّكَن؛ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟**». قالوا: بلىٰ يا رسول الله. قال: «**الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ ﷻ**[(٣)]». ثم قال: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟ المَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، المُفْسِدُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، وَالبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ العَنَتَ**»[(٤)].

ورواه ابن ماجه، عن سويد بن سعيد، عن يحيىٰ بن سليم، عن ابن خُثَيم به.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا سفيان، عن ابن أبي حُسَينٍ، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن ابن غَنْمٍ يبلُغُ به النَّبيَّ ﷺ: «**خِيَارُ عِبَادِ اللهِ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ، وَشِرَارُ عِبَادِ اللهِ المَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، المُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، البَاغُونَ لِلْبُرَآءِ العَنَتَ**»[(٥)].

وقوله ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ أي: يمنع ما عليه وما لديه من الخير ﴿مُعْتَدٍ﴾ في تناول ما أحلَّ الله له، يتجاوز فيها الحدَّ المشروعَ ﴿أَثِيمٍ﴾ أي: يتناول المحرمات.

وقوله: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ أما العُتُلُّ: فهو الفظُّ الغليظُ الصَّحيحُ، الجَمُوع المَنُوعُ.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا وَكِيعٌ وعبد الرحمن، عن سفيان، عن مَعْبَد بن خالد، عن حارثة بن وهب قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لَأَبَرَّهُ، أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**». وقال وَكِيعٌ: «**كُلُّ جَوَّاظٍ جَعْظَرِيٍّ**[(٦)] **مُسْتَكْبِرٍ**»[(٧)].

أخرجاه في «الصَّحيحين» وبقيَّة الجماعة، إلا أبا داود، من حديث سفيان الثوري وشعبة،

---

(١) في (ز): (حدثنا هشام)، والمثبت موافق لما في «المسند».

(٢) رواه أحمد (٥/ ٣٩١) (٥/ ٣٩٩) وانظر الحديث السابق.

(٣) أي: إنهم من الخشية والخوف من الله، أو من كثرة ذكر الله، بحيث إن الناس يذكرون الله عند حضورهم.

(٤) رواه أحمد (٦/ ٤٥٩)، وابن ماجه (٤١١٩)، وفيه شهر بن حوشب: كثير الإرسال والأوهام، وقد اضطرب في روايته هذه، وضعفه الشيخ الألباني في «المشكاة».

(٥) رواه أحمد (٥/ ٣٩١) (٥/ ٣٩٩) وانظر الحديث السابق.

(٦) **الجوّاظ**: الجَمُوع المَنُوع، وقيل: الكَثيرُ اللَّحم المُخْتال في مِشْيَته، وقيل: القَصِير البَطِين، **والجَعْظَرِيّ**: الفَظُّ الغليظ المُتَكبِّر، وقيل: هو الذي يَنْتَفِخ بما ليس عنده وفيه قِصَر. «النهاية».

(٧) رواه أحمد (٤/ ٣٠٦)، وإسناده صحيح، انظر ما بعده.

كلاهما عن معبد[١] بن خالد به[٢].

وقال الإمام أحمد أيضًا: حدَّثنا أبو عبد الرحمن، حدَّثنا موسىٰ بن علي قال: سمعت أبي يحدِّث عن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ أن النَّبيَّ ﷺ قال عند ذكر أهل النار: «**كُلُّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ جَمَّاعٍ مَنَّاعٍ**». تفرد به أحمد[٣].

قال أهل اللغة: الجَعْظَري: الفَظُّ الغَلِيظُ، والجَوّاظُ: الجَمُوعُ المَنُوعُ.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا وَكِيعٌ، حدَّثنا عبد الحميد، عن شَهْرِ بن حَوْشبٍ، عن عبد الرحمن بن غَنْمٍ، قال: سُئل رسول الله ﷺ عن العُتلِّ الزنيم، فقال: «**هُوَ الشَّدِيدُ الخَلْقُ المُصَحَّحُ**[٤]، **الأَكُولُ الشَّرُوبُ، الوَاجِدُ لِلطَّعَامِ**[٥] **وَالشَّرَابِ، الظَّلُومُ لِلنَّاسِ، رَحِيبُ الجَوْفِ**»[٦].

وبهذا الإسناد قال رسول الله ﷺ: «**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ الجَوَّاظُ الجَعْظَرِيُّ، العُتُلُّ الزَّنِيمُ**»[٧] وقد أرسله أيضًا غير واحدٍ من التَّابعين.

وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن عبد الأعلىٰ، حدَّثنا ابن[٨] ثور، عن مَعْمرٍ، عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَبْكِي السَّمَاءُ مِنْ عَبْدٍ أَصَحَّ اللهُ جِسْمَهُ، وَأَرْحَبَ جَوْفَهُ، وَأَعْطَاهُ مِنَ الدُّنْيَا مَقْضَمًا فَكَانَ لِلنَّاسِ ظَلُومًا. قَالَ: فَذَلِكَ العُتُلُّ**[٩] **الزَّنِيمُ**»[١٠].

وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طريقين مُرْسَلَيْن، ونصَّ عليه غير واحدٍ من السَّلف، منهم مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، وغيرهم: أن العتل هو: المُصحَّح الخَلْقِ، الشَّديد القويُّ في المأكل والمشرب والمَنْكِح.

وغير ذلك، وأما الزَّنيم فقال البخاري: حدَّثنا محمود، حدَّثنا عُبَيد[١١] الله، عن إسرائيل، عن

---

(١) في (ز): (سعيد بن خالد)، وهو خطأ.

(٢) البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٢٨٥٣)، والترمذي (٢٦٠٨)، والنسائي (٦/ ٤٩٧)، وابن ماجه (٤١١٦).

(٣) رواه أحمد (١/ ١٦٩)، وإسناده صحيح.

(٤) أي: البريء من الأسقام.

(٥) لوحة (١٢٩/ أ- مكرر).

(٦) ضعيف: رواه أحمد (١/ ٢٢٧)، وفيه شهر بن حوشب: صدوق كثير الإرسال والأوهام، والحديث أيضًا مرسل.

(٧) رواه أحمد (٤/ ٢٢٧)، وإسناده ضعيف كسابقه، لكن يشهد له الروايات السابقة.

(٨) في (ز): (أبو ثور)، والمثبت كما في «الطبري»، وهو أبو عبد الله محمد بن ثور الصنعاني.

(٩) في (ز): (العبد).

(١٠) مرسل: رواه الطبري (٢٩/ ٢٤)، ورجاله ثقات إلا أنه مرسل.

(١١) في (ز): (عبد الله)، وهو خطأ، وعبيد الله هو ابن موسىٰ.

أبي حَصِينٍ، عن مجاهد، عن ابن عبَّاس: ﴿عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ قال: رجلٌ مِن قريش له زَنَمَةٌ[1] مثل زَنَمةِ الشاة[2].

ومعنىٰ هذا: أنَّه كان مشهورًا بالشَّرِّ كشهرةِ الشَّاة ذات الزَّنمة مِن بين أخواتها. وإنَّما الزَّنيم في لغة العرب: هو الدَّعِيُّ في القومِ. قاله ابن جرير وغير واحدٍ من الأئمَّة، قال: ومنه قول حسان بن ثابت؛ يعني: يذم بعض كفار قريش:

وَأَنْتَ زَنِيمٌ نِيطَ فِي آلِ هَاشِمٍ ... كَمَا نِيطَ خَلْفَ الرَّاكِبِ القَدَحُ الفَرْدُ

وقال آخر:

زَنِيمٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مَنْ أَبُوهُ ... بَغِيُّ الأُمِّ ذُو حَسَبٍ لَئِيمِ

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا عمار بن خالد الواسطي، حدَّثنا أسباط، عن هشام، عن عِكْرِمَةَ، عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿زَنِيمٍ﴾ قال: الدعيُّ الفاحش اللئيم، ثم قال ابن عبَّاس:

زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً ... كَمَا زِيدَ فِي عَرْضِ الأَدِيمِ الأَكَارِعُ[3][4]

وقال العَوفي عن ابن عبَّاس: الزَّنيم: الدَّعِي. ويقال: الزَّنيم: رجل كانت به زَنَمَةٌ، يعرف بها. ويقال: هو الأخنس بن شريقٍ الثقفي، حليف بني زُهْرة. وزعم أناس مِن بني زُهْرة أنَّ الزَّنيم الأسودُ بن عبد يغوث الزُّهري، وليس به.

وقال ابن أبي نَجِيحٍ، عن مجاهد، عن ابن عبَّاس: أنه زعم أنَّ الزَّنيم المُلحَق النسب.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثني يونس، حدَّثنا ابن وهب، حدَّثني سليمان بن بلال، عن عبد الرحمن[5] بن حرملة، عن سعيد بن المُسيَّب، أنه سمعه يقول في هذه الآية: ﴿عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ قال سعيد: هو الملصَقُ بالقَوْمِ، ليس منهم.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد الأشج، حدَّثنا عقبة بن خالد، عن عامر بن قدامة قال: سئل عكرمة [عن الزنيم، قال: هو ولد الزِّنا.

---

(١) الزنمة: شيء يقطع من أذن الشاة ويترك معلقًا بها.
(٢) البخاري (٤٩١٧).
(٣) في (ز): (أكارعه)، والأكارع: جمع كُراع وهو في الدواب ما دون الكعب.
(٤) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٤٨) إلىٰ ابن أبي شيبة وابن الأنباري.
قلت: رواية ابن أبي شيبة (٤٢١) قال: الزنيم: اللئيم الملزَقُ، ثم أنشد البيت، وهو من طريقٍ أخرىٰ وفيه مبهم.
(٥) لوحة (١٢٩/ ب -مكرر).

وقال الحكم بن أبان، عن عكرمة][1] في قوله تعالىٰ: ﴿عُتُلٍّ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ قال: يعرف المؤمن من الكافر مثل الشَّاة الزَّنماء. [والزَّنماء من الشِّياه:][2] الَّتي في عنقها [هَنتَان][3] معلقتان في حلقها[4]. وقال الثَّوري، عن جابر، عن الحسن، عن سعيد بن جبير قال: الزَّنيم: الذي يعرف بالشَّرِّ كما تعرف الشَّاة بزنمتها. والزَّنيم: الملصق. رواه ابن جرير.

وروىٰ أيضًا من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة، عن ابن عبَّاس أنَّه قال في الزَّنيم: قال: نُعِتَ فلم يعرف حتىٰ قيل: زنيم. قال: وكانت له زَنَمَةٌ في عنقه يُعرَفُ بها. وقال آخرون: كان دَعيًّا.

وقال ابن جرير: حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ، حدَّثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن أصحاب التَّفسير قالوا: هو الذي تكون له زَنَمَةٌ مثل زنمة الشاة.

وقال الضَّحَّاكُ: كانت له زَنَمَةٌ في أصل أذنه، ويقال: هو اللَّئيم الملصَق في النَّسب.

وقال أبو إسحاق: عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس: هو المريب الذي يعرف بالشَّرِّ.

وقال مجاهد: الزَّنِيمُ الَّذِي يُعْرَفُ بهذا الوصف كما تعرف الشَّاة. وقال أبو رَزِينٍ: الزَّنيم علامة الكفر. وقال عكرمة: الزَّنيم الذي يعرف باللُّؤم كما تعرف الشَّاة بزَنَمَتِهَا.

والأقوال في هذا كثيرةٌ، وترجع إلىٰ ما قلناه، وهو أنَّ الزَّنيم هو: المشهور بالشَّرِّ، الذي يعرف به مِن بين النَّاس، وغالبًا يكون دعيًّا وولد زِنًا، فإنَّه في الغالب يتسلَّط الشَّيطان عليه ما لا يتسلَّط علىٰ غيره، كما جاء في الحديث: «**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ وَلَدُ زِنًا**»[5] وفي الحديث الآخر: «**وَلَدُ الزِّنَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ إِذَا عَمِلَ بِعَمَلِ أَبَوَيْهِ**»[6][7].

---

(١) سقط من (ز).

(٢) سقط من (ز).

(٣) سقط من (ز).

(٤) في (ز): (المتعلقتين في حلق الشاة).

(٥) حسنه الألباني: انظر: «الصحيحة» (٦٧٣)، والحديث رواه أحمد (٢/ ٢٠١، ٢٠٣) وابن خزيمة (٣٦٥) وابن حبان (٣٣٨٣).

(٦) صحيح لشواهده: رواه الطبراني (١٠/ ٣٤٦/ ١٠٦٧٤)، والبيهقي (١٠/ ٥٨) وضعَّفه، وأعلَّه الهيثمي بمحمد ابن أبي ليلىٰ وهو سيِّئ الحفظ، وانظر «الصحيحة» (٦٧٢).

(٧) قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (١٣٢٢): (...وقد فسره العلماء -علىٰ تقدير صحته- بأن معناه: إذا عمل بمثل عمل أبويه، وزيَّفه [أي: هذا القول] الطالقاني بأنه لا يختص بولد الزنىٰ، فولد الرِّشدة كذلك.

واتفقوا علىٰ أنه لا يحمل علىٰ ظاهره، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ .اهـ.

ولأهل العلم أقوال في تأويله، ومنهم من ذهب إلىٰ القول بأنه علىٰ ظاهره، وأنه لا يدخل الجنة؛ لأنه يكون أجسر علىٰ ارتكاب المحرمات؛ وراجع في ذلك: «صحيح ابن حبان/ الإحسان» (٨/ ١٧٧) و«مشكل الآثار» للطحاوي =

وقوله: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يقول تعالىٰ: هذا مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين، كفر بآيات الله وأعرض عنها، وزعم أنها كَذِبٌ مأخوذٌ من أساطير الأولين، كقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ(١) لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ قال الله تعالىٰ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ١١ - ٢٦].

وقال تعالىٰ هاهنا: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ قال ابن جرير: سنبين أمره بيانًا واضحًا، حتىٰ يعرفوه ولا يخفىٰ عليهم، كما لا تخفىٰ السِّمَةُ علىٰ الخراطيم، وهكذا قال قتادة: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ شَيْنٌ لا يفارقه آخر ما عليه، وفي روايةٍ عنه: سيما علىٰ أنفه. وكذا قال السُّدِّي. وقال العوفي، عن ابن عبَّاس: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [يقاتل يوم بدر، فيُخطم بالسَّيف في القتال. وقال آخرون: ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾](٢) سمة أهل النَّار؛ يعني: نسوِّد وجهه يوم القيامة، وعبَّر عن الوجه بالخُرْطومِ. حكىٰ ذلك كله أبو جعفر بن جرير، ومال إلىٰ أنه لا مانع من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة، وهو مُتَّجِهٌ.

وقد قال ابن أبي حاتم في سورة ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ حدَّثنا أبي، حدَّثنا أبو صالح كاتب الليث، [حدَّثني الليث](٣) حدَّثني خالد بن سعيد، عن عبد الملك بن عبد الله، عن عيسىٰ بن هلال الصدفي، عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِنَّ العَبْدَ يُكْتَبُ مُؤْمِنًا أَحْقَابًا(٤) ثُمَّ أَحْقَابًا ثُمَّ يَمُوتُ وَاللهُ عَلَيْهِ سَاخِطٌ. وَإِنَّ العَبْدَ يُكْتَبُ كَافِرًا أَحْقَابًا ثُمَّ أَحْقَابًا، ثُمَّ يَمُوتُ وَاللهُ عَلَيْهِ رَاضٍ. وَمَنْ مَاتَ هَمَّازًا لمَّازًا مُلَقِّبًا لِلنَّاسِ، كَانَ عَلَامَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنْ يَسِمَهُ اللهُ عَلَىٰ الخُرْطُومِ، مِنْ كِلَا الشَّفَتَيْنِ**»(٥).

= (٩١٤) و«السلسلة الصحيحة» للشيخ الألباني رحمه الله (٦٧٢، ٦٧٣) وتعليق الشيخ شعيب الأرناؤوط علىٰ «المسند» ط الرسالة (١١/ ٤٩٤) وما بعدها.

(١) لوحة (١٣٠/ أ).

(٢) سقط من (ز).

(٣) سقط من (ز).

(٤) في (ز): (أحيانًا) في الأربعة مواضع في الحديث.

(٥) ضعيف: عزاه لابن أبي حاتم، وفي إسناده أبو صالح كاتب الليث كثير الخطأ، وبقية رجاله ثقات.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

هذا مَثَلٌ ضَرَبه الله تعالىٰ لكفَّار قريشٍ فيما أهدىٰ[١] إليهم من الرَّحمة العظيمة، وأعطاهم من النِّعم الجسيمة، وهو بَعْثُهُ محمَّدًا ﷺ إليهم، فقابلوه بالتَّكذيبِ والرَّدِّ والمحاربة؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ أي: اختبرناهم، ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ وهي البستان المشتمل علىٰ أنواع الثِّمار والفواكه ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ أي: حلفوا فيما بينهم لَيَجُذُّنَّ ثَمرها ليلًا؛ لئلَّا يعلم بِهِم فقيرٌ ولا سائلٌ؛ ليتوفَّر ثمرها عليهم ولا يتصدَّقوا منه بشيءٍ، ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ أي: فيما حلفوا به؛ ولهذا حَنَّثَهُم الله في أيمانهم، فقال: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ أي: أصابتها آفةٌ سماويةٌ، ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ قال ابن عبَّاس: أي كاللَّيل الأسود. وقال الثوري، والسُّدِّي: مثل الزَّرع إذا حُصِد؛ أي: هشيمًا يبسًا.

وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن أحمد بن الصباح: أنبأنا بشر بن زاذان، عن عمر بن صبح، عن ليث بن أبي سليم، عن عبد الرحمن بن سابط، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالمَعَاصِيَ، إِنَّ العَبْدَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيُحْرَمُ بِهِ رِزْقًا قَدْ كَانَ هُيِّئَ لَهُ»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ قد حُرِموا خيرَ جنَّتهم بذنبهم[٢].

﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ﴾ أي: لما كان وقت الصبح نادىٰ بعضهم بعضًا ليذهبوا إلىٰ الجِذاذِ: ﴿أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ أي: تريدون الصِّرام. قال مجاهد: كان حرثهم عِنَبًا.

﴿فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾ أي: يتناجون فيما بينهم بحيث لا يُسمِعُون أحدًا كلامهم. ثم فسر الله عالم السِّرِّ والنَّجوىٰ ما كانوا يتخافتون به، فقال: ﴿فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ أي: يقول بعضهم لبعضٍ[٣]: لا تمكنوا اليوم فقيرًا يدخلها عليكم!.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ أي: قوَّةٍ وشدَّةٍ. وقال مجاهد: ﴿وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ أي: جِدٍّ وقال

---

(١) لوحة (١٣٠ ب).

(٢) ضعيف جدًّا: في إسناده ليث بن أبي سليم: اختلط ولم يتميز حديثه فترك، وعمر بن صبح: متروك. انظر: «التقريب».

(٣) في (ز): (أي يقولون لبعضهم بعضًا).

عكرمة: غيظٍ. وقال الشعبي: ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ علىٰ المساكين. وقال السُّدِّي: ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ أي: كان اسم قريتهم حرد. فأبعد السُّدِّي في قوله هذا!

﴿قَٰدِرِينَ﴾ أي: عليها فيما يزعمون ويَرُومُون.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ أي: فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها، وهي علىٰ الحالة الَّتِي قال الله ﷻ قد استحالت عن تلك النَّضارة والزَّهرة وكثرة الثِّمار إلىٰ أن[1] صارت سوداء مُدْلَهِمَّة، لا يُنْتَفع بشيءٍ منها، فاعتقدوا أنهم قد أخطئوا الطريق؛ ولهذا قالوا: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ أي: قد سلكنا إليها غير الطريق فتُهنا عنها، قاله ابن عبَّاس وغيره. ثم رجعوا عمَّا كانوا فيه، وتيقَّنوا أنَّها هي فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: بل هذه هي، ولكن نحن لا حَظَّ لنا ولا نصيب.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ قال ابن عبَّاس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومحمَّد بن كعب، والربيع ابن أنس، والضَّحَّاكُ، وقتادة: أي: أعدلهم وخيرهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ قال مجاهد، والسُّدِّي، وابن جريج: ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أي: لولا تستثنون. قال السُّدِّي: وكان استثناؤهم في ذلك الزَّمان تسبيحًا.

وقال ابن جريجٍ: هو قول القائل: إن شاء الله. وقيل: معناه: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أي: هلَّا تُسبِّحون الله وتشكرونه علىٰ ما أعطاكم وأنعم به عليكم، ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ أتوا بالطاعة حيث لا تنفع، ونَدِمُوا واعترفوا حيث لا يَنْجَع؛ ولهذا قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾ أي: يلوم بعضهم بعضًا علىٰ ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حقِّ الجِذَاذِ، فما كان جواب بعضهم لبعضٍ إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب، ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾ أي: اعتدينا وبغَينا وطغينا وجاوزنا الحد حتىٰ أصابنا ما أصابنا، ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ قيل: رغبوا في بذلها لهم في الدُّنيا، وقيل: احتسبوا ثوابها في الدار الآخرة، والله أعلم.

ثم قد ذكر بعض السَّلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن، قال سعيد بن جبير: كانوا من قريةٍ يقال لها: ضروان علىٰ ستَّة أميالٍ مِن صنعاء. وقيل: كانوا مِن أهل الحبشة وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنَّة، وكانوا مِن أهل الكتاب، وقد كان أبوهم يَسِيرُ فيها سيرةً حسنةً، فكان ما استغلَّه منها يَرُدُّ فيها ما يحتاج إليها ويدَّخر لعياله قوت سَنَتِهِم، ويتصدَّق بالفاضل، فلمَّا مات وَرِثَه بنوه، قالوا: لقد كان أبونا أحمقَ إذ كان يصرف مِن هذه شيئًا للفقراء، ولو أنَّا منعناهم لتوفَّر ذلك علينا، فلمَّا عزموا علىٰ ذلك عُوقِبوا بنقيض

---

(١) لوحة (١٣١/ أ).

قَصْدِهِم، فأذهب الله ما بأيديهم بالكُلِّيَّة، رأس المال والرِّبح والصَّدقة، فلم[١] يَبْقَ لهم شيءٌ.

قال الله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: هكذا عذاب مَن خالف أمر الله، وبَخِلَ بما آتاه الله وأنعم بِهِ عليه، ومنع حقَّ المساكين[٢] والفقراء وذوي الحاجات، وبَدَّلَ نعمة الله كفرًا ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ أي: هذه عقوبة الدُّنيا كما سَمِعْتُمْ، وعذاب الآخرة أشق. وقد ورد في حديث رواه الحافظ البيهقي[٣] من طريق جعفر بن محمَّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جده؛ أن رسول الله ﷺ نهىٰ عن الجِدَاد باللَّيل، والحصاد باللَّيل[٤].

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾

لما ذكر الله تعالىٰ حال أهل الجنة الدنيوية، وما أصابهم فيها من النقمة حين عَصَوُا الله ﷻ وخالفوا أمره، بيَّن أنَّ لِمَنِ اتَّقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنَّاتِ النَّعيمِ التي لا تَبيد ولا تفرغ ولا ينقضي نعيمها.

ثم قال: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء؟! كلَّا وربِّ الأرض والسَّماء؛ ولهذا قال ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي: كيف [تظنُّون][٥] ذلك؟!.

ثم قال: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ يقول: أفبِأيديكم كتابٌ منزَّل من السماء تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه بنقل الخلف عن السَّلف، مُتضمن حكمًا مؤكدًا كما تدعونه؟ ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ أي: أمعكم عهودٌ منَّا ومواثيقُ مؤكَّدةٌ، ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ أي: أنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون، ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ أي: قل لهم: من هو المتضمن المتكفل بهذا؟

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ﴾ أي: من الأصنام والأنداد، ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾.

---

(١) لوحة (١٣١/ ب).

(٢) في (ز): (المسلمين).

(٣) في (ز): (السهيلي).

(٤) مرسل: رواه البيهقي (٤/ ١٣٣)، ورجاله ثقات إلا أنه مرسل.

(٥) بياض في (ز).

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ [1] ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾

لما ذكر تعالىٰ أنَّ للمتَّقين عنده جنَّاتِ النَّعيم، بيَّن متىٰ ذلك كائنٌ وواقعٌ، فقال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ يعني: يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزَّلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام. وقد قال البخاري هاهنا: حدَّثنا آدم، حدَّثنا الليث، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يَسَارٍ، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النَّبيَّ ﷺ يقول: «يَوْم يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَيَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا[2] وَاحِدًا»[3].

وهذا الحديث مخرَّج في «الصَّحيحين» وفي غيرهما مِن طرقٍ وله ألفاظ، وهو حديثٌ طويلٌ مشهورٌ.

وقد قال عبد الله بن المبارك، عن أسامة بن زيد، عن عِكْرِمةَ، عن ابن عبَّاس: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: هو يوم كَرْبٍ وشدَّةٍ[4][5]. رواه ابن جرير ثم قال:

---

(١) لوحة (١٣٢/ أ).

(٢) الطبق: فَقَار الظهر، واحدتها: طبقة، يريد أنه صار فقارهم كله كالفَقَارة الواحدة، فلا يقدرون علىٰ السجود.

(٣) البخاري (٤٩١٩)، ومسلم (١٨٢).

(٤) قال ابن تيمية ﷺ: (جميع ما في القرآن من آيات الصفات ليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها، وقد طالعتُ التفاسير المنقولة عن الصحابة، وما رَوَوْه من الحديث، ووقفتُ من ذلك علىٰ ما شاء الله تعالىٰ من الكتب الكبار والصغار، أكثر من مائة تفسير، فلم أجد إلىٰ ساعتي هذه عن أحدٍ من الصحابة أنه تأول شيئًا من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف، بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيته، وبيان أن ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين ما لا يحصيه إلا الله، وكذلك فيما يذكرونه آثرين وذاكرين عنهم شيء كثير، وتمام هذا أني لم أجدهم تنازعوا إلا في مثل قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، فروي عن ابن عباسٍ وطائفة: أن المراد به: الشدة، وأن الله يكشف عن الشدة في الآخرة، وعن أبي سعيدٍ وطائفةٍ: أنهم عَدُّوها في الصفات؛ للحديث الذي رواه أبو سعيد في «الصحيحين»، ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل علىٰ أن هذه من الصفات، فإنه قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ نكرة في الإثبات لم يضفها إلىٰ الله، ولم يقل: عن ساقه، فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليلٍ آخَرَ، ومثل هذا ليس بتأويل، إنما التأويل: صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف، ولكن كثيرًا من هؤلاء يجعلون اللفظ علىٰ مَا ليس مدلولًا له، ثم يريدون صرفه عنه، ويجعلون هذا تأويلًا، وهذا خطأ من وجهين كما قدمناه غير مرة). «الفتاوىٰ»: (٦/ ٣٩٤). وهذا لاينفي إثبات صفة الساق كما لا يخفىٰ.

(٥) رواه الطبري (٢٩/ ٣٨)، وإسناده حسن، وهو وصف لليوم، وليس فيه دليلٌ علىٰ أنه تفسير لقوله تعالىٰ: ﴿عَن =

حدَّثنا ابن حميد، حدَّثنا مِهْرانُ، عن سفيان، عن المغيرة، عن[1] إبراهيم، عن ابن مسعود -أو: ابن عبَّاس، الشك من ابن جرير-: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: عن أمرٍ عظيمٍ، كقول الشاعر:

وقامت الحرب بنا عن ساق[2][3]

وقال ابن أبي نَجِيحٍ، عن مجاهد: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: شِدَّةُ الأمرِ[4]

وقال ابن عبَّاس: هي أوَّل ساعةٍ تكون في يوم القيامة.

[وقال ابن جُرَيجٍ، عن مجاهد: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: شِدَّةُ الأمرِ وَجِدُّهُ].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ هو الأمر الشديد المُفظِع مِنَ الهَوْلِ يومَ القِيامَةِ[5].

وقال العَوْفي، عن ابن عبَّاس قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يقول: حين يكشف الأمر وتبدو الأعمال. وكَشْفُه دخول الآخرة، وكشف الأمر عنه. وكذا روىٰ الضَّحَّاكُ وغيره عن ابن عبَّاس[6].

أورد ذلك كلَّه أبو جعفر بن جرير ثم قال: حدَّثني أبو زيد عمر بن شَبَّة، حدَّثنا هارون بن عمر المخزومي، حدَّثنا الوليد بن مسلم، حدَّثنا أبو سعيد رُوح بن جَناح، عن مولىٰ لعمر بن عبد العزيز، عن أبي بُرْدة بن أبي موسىٰ، عن أبيه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: «**عَنْ نُورٍ عَظِيمٍ، يَخِرُّونَ لَهُ سُجَّدًا**»[7].

ورواه أبو يعلىٰ، عن القاسم بن يحيىٰ، عن الوليد بن مسلم، به وفيه رجل مبهم والله أعلم.

وقوله: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي: في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبُّرِهم في الدُّنيا، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه، ولما دُعُوا إلىٰ السُّجودِ في الدُّنيا فامتنعوا منه[8] [مَعَ[9] صِحَّتِهِم وسلامتهم

= سَاقٍ﴾، بتأويل معنىٰ الساق أنه الشدة، والرواية الآتية المصرحة بهذا ضعيفة، والصحيح إثبات الساق لله ﷻ بلا كيفٍ كما هو منهج أهل السنة والجماعة، وهذا واضحٌ جدًّا في الأحاديث الصحيحة.

(١) في (ز): (المغيرة بن إبراهيم)، والمثبت هو الصواب.

(٢) في (ز): (مالت الحرب عن ساق).

(٣) رواه الطبري (٢٩/ ٣٨)، وفيه محمَّد بن حميد: حافظ ضعيف.

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).

(٥) الطبري (٢٩/ ٣٨) من طريق معاوية عن ابن عبَّاس.

(٦) رواه الطبري (٢٩/ ٣٨)، وإسناده مسلسل بالضعفاء.

(٧) ضعيف: رواه الطبري (٢٩/ ٤٢)، وأبو يعلىٰ (٧٢٨٣)، وفيه رجلٌ مُبهَمٌ، وعمر بن شبة: فيه ضعف.

(٨) لوحة (١٣٢/ ب).

(٩) من هنا وقع سقط في (ز)، قَدْرُ وجْهٍ وصُوِّر مكانه وجهٌ آخر وهو (١٣٢/ أ)، وقد طابقناه علىٰ ط «الشعب».

كذلك عُوقِبُوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة، إذا تجلىٰ الرب ﷻ فيسجد له المؤمنون، لا يستطيع أحدٌ من الكافرين ولا المنافقين أن يَسْجُدَ، بل يعود ظهر أحدهم طبقًا واحدًا، كلما أراد أحدهم أن يسجدَ خَرَّ لقفاه، عكس السجود، كما كانوا في الدنيا، بخلاف ما عليه المؤمنون.

ثم قال تعالىٰ: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن. وهذا تهديدٌ شديدٌ؛ أي: دعني وإيَّاه منِّي ومنه، أنا أعلم به كيف أستدرجه، وأمده في غيِّه وأُنْظره ثم آخذه أخذ عزيزٍ مقتدرٍ؛ ولهذا قال: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: وهم لا يشعرون، بل يعتقدون أنَّ ذلك من الله كرامةٌ، وهو في نفس الأمر إهانةٌ، كما قال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦]، وقال: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]. ولهذا قال هاهنا: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ أي: وأُؤَخِّرُهُم وأُنْظِرُهُم وأمدُّهم وذلك مِن كيدي ومَكْرِي بهم؛ ولِهَذَا قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ أي: عظيمٌ لمن خالف أمري، وكذَّب رُسُلِي، واجترأ علىٰ معصيتي.

وفي «الصحيحين» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**». ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾(١) [هود: ١٠٢].

وقوله: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ تقدم تفسيرهما في سورة «الطور» والمعنىٰ في ذلك: أنَّك يا محمَّد تدعوهم إلىٰ الله ﷻ بلا أجرٍ تأخذه منهم، بل ترجو ثواب ذلك عند الله ﷻ وهم يكذبون بما جئتهم به، بمجرَّد الجهل والكفر والعناد.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

يقول تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ﴾ يا محمَّد علىٰ أذىٰ قومك لك وتكذيبهم؛ فإنَّ الله سيحكم لك عليهم، ويجعل العَاقِبةَ لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة، ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ يعني: ذا النون، وهو يونس بن مَتَّىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حين ذهب مُغَاضِبًا علىٰ قومه، فكان[(٢)] مِن أمره ما كان من ركوبه في البحر والتقام الحُوتِ له، وشرود الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليَمِّ، وسماعه تسبيح البحر بما

---

(١) رواه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣)، والترمذي (٣١٠٩)، والنسائي، وابن ماجه (٤٠١٨).

(٢) لوحة (١٣٣/ أ) إلىٰ هنا ينتهي السقط من مصورتنا من (ز).

فيه للعليِّ القدير، الذي لا يُرَدُّ ما أنفذه من التَّقدير، فحينئذٍ نادىٰ في الظُّلماتِ. ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. قال الله: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤] وقال هاهنا: ﴿إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ﴾ قال ابن عبَّاس، ومجاهد، والسُّدِّي: وهو مغموم. وقال عطاء الخُراساني، وأبو مالك: مكروبٌ. وقد قدمنا في الحديث أنَّه لما قال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ خرجت الكلمة تَحُفُّ حول[١] العرش، فقالت الملائكة: يا رب، هذا صوتٌ ضعيفٌ معروفٌ من بلادٍ غريبةٍ، فقال الله: أَمَا تعرفون هذا؟ قالوا: لا، قال: هذا يونس، قالوا: يا رب، عبدُكَ الَّذي لا يزال يُرْفَعُ له عملٌ صالحٌ ودعوةٌ مجابةٌ؟ قال: نعم، قالوا: أفلا ترحم ما كان يعمله في الرَّخاء فتنجيهُ من البلاء؟ فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٢].

وقد قال الإمام أحمد: حدَّثنا وكيعٌ، حدَّثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ**»[٣].

ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري، وهو في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة[٤].

وقوله: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ قال ابن عبَّاس، ومجاهد، وغيرهما: ﴿لَيُزۡلِقُونَكَ﴾ لينفذونك بأبصارهم؛ أي: لَيَعِينُونك بأبصارهم، بمعنىٰ: يحسدونك لبُغْضِهم إيَّاك لولا وقايةُ الله لك، وحمايته إيَّاك منهم، وفي هذه الآية دليلٌ علىٰ أنَّ العين إصابتَها وتأثيرَها حقٌّ بأمر الله ﷻ، كما وردت بذلك الأحاديث المرويَّة من طرقٍ متعدِّدةٍ كثيرةٍ.

حديث أنس بن مالك ﷺ: قال أبو داود: حدَّثنا سليمان بن داود العَتكي، حدَّثنا شَريك «ح» وحدَّثنا العبَّاس العَنْبَريّ، حدَّثنا يزيد بن هارون، أنبأنا شَريك، عن العبَّاس بن ذَرِيح، عن الشعبي - قال العبَّاس: عن أنس- قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ[٥] أَوْ دَمٍ لَا يَرْقَأُ**». لم يذكر العبَّاس العين. وهذا لفظ سليمان[٦].

---

(١) في (ز): (عن حول).

(٢) ضعيف: رواه الطبري (١٧/ ٨١)، والبزار (٢٢٥٤)، وفيه محمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن، وفيه رجلٌ مبهمٌ.

(٣) رواه أحمد (١/ ٣٩٠).

(٤) رواه البخاري (٣٤١٦)، ومسلم (٢٣٧٦).

(٥) **الحُمَة**: السم، ودم لا يرقأ: لا ينقطع.

(٦) ضعيف بهذا السياق: رواه أبو داود (٣٨٨٩) من طريق شريك القاضي وهو سيئ الحفظ، والحديث ضعفه الألباني.

قلت: لكن يشهد لرقية العين والحمة الحديث الآتي، وأما الدم فليس فيه ما يشهد له.

حديث بُرَيدةَ بن الحُصَيب ﷺ[1]: قال أبو عبد الله بن ماجه: حدَّثنا محمَّد بن عبد الله بن نُمَير، حدَّثنا إسحاق بن سليمان، عن أبي جعفر الرازي، عن حُصَينٍ، عن الشعبي، عن بُرَيدةَ بن الحصيب قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا رُقْيَةَ إلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ**»[2].

هكذا رواه ابن ماجه وقد أخرجه مسلم في «صحيحه»، عن سعيد بن منصور، عن هُشَيم، عن حُصَينِ بن عبد الرحمن، عن عامر الشعبي، عن بريدة موقوفًا، وفيه قصة. وقد رواه شعبة، عن حصين، عن الشعبي، عن بريدة قاله الترمذيوروىٰ هذا الحديث الإمام البخاري من حديث محمَّد بن فضيل، وأبو داود من حديث مالك بن مِغْولٍ، والترمذي من حديث سفيان بن عيينة، ثلاثتهم عن حصين، عن عامر عن الشعبي، عن عمران بن حُصَينٍ موقوفًا[3].

حديث أبي ذر جُنْدَب بن جُنَادة: قال الحافظ أبو يعلىٰ المَوْصِلي رَحِمَهُ اللَّهُ: حدَّثنا إبراهيم بن محمَّد بن عَرْعَرة[4] بن البِرِند السامي[5]، حدَّثنا دَيْلَم بن[6] غَزوان، حدَّثنا وهب بن أبي دُبَيٍّ، عن أبي حرب عن مِحْجَن عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ العَيْنَ لَتُولَعُ[7] الرَّجُلَ بِإِذْنِ اللهِ، فَيَتَصَاعَدُ حَالِقًا، ثُمَّ يَتَرَدَّىٰ مِنْهُ**» إسناده غريب، ولم يخرجوه[8].

حديث حابس التميمي: قال الإمام أحمد: حدَّثنا عبد الصمد، حدَّثنا حرب، حدَّثنا يحيىٰ بن أبي كثير، حدَّثني حَيَّة بن حابس التميمي: أن أباه أخبره: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لا شَيْءَ فِي الهَامِ[9]، وَالعَيْنُ حَقٌّ، وَأَصْدَقُ الطِّيَرَةِ الفَأْلُ**»[10].

---

(١) لوحة (١٣٣ ب).

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٥١٣)، وانظر ما بعده.

(٣) رواه موقوفًا البخاري (٥٧٠٥) عن عمران بن الحصين، ووصله مسلم (٢٢٠)، والترمذي (٢٠٥٨) عن بريدة.

(٤) في (ز): (إبراهيم بن محمد عن عروة)، والمثبت هو الصواب.

(٥) في (ز): (ابن الزبير اليامي)، والمثبت هو الصواب، وانظر ترجمته في «تهذيب الكمال» (٢/ ١٧٨).

(٦) في (ز): (ديلم عن غزوان)، وهو خطأ.

(٧) (لتولَع): قال السندي: علىٰ بناء المفعول. وأصله: لتولع بالرجع، يقال: أولع بالشيء علىٰ بناء المفعول، أي علق به، والمراد أن العين لتصيب الرجل.

(٨) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ١٤٦) ورجاله ثقات ويشهد له الحديث الآتي رقم (٥٤٤٥) والحديث وانظر «الصحيحة» (٨٨٩).

(٩) الهَامُ: واحده هَامَةٌ، وهو اسم طائرٍ، وذلك أنهم كانوا يَتَشاءَمُون بها، وهي من طَير اللَّيل، وقيل: هي البُومَةُ، وقيل: كانَتِ العَرَبُ تَزعُم أنَّ رُوحَ القَتِيل الذي لا يُدْرَكُ بِثَارِه تَصِيرُ هَامَةً فتَقُول: اسْقُوني فإذا أُدْرِكَ بِثَارِه طَارَتْ، وقيل: كانُوا يَزْعُمُون أن عِظام الميت -وقيل: رُوحه- تَصِيرُ هَامةً فتَطِيرُ ويُسَمُّونه الصَّدَىٰ، فنَفَاه الإسْلامُ ونهاهُم عنه، والطِّيَرَة: التَّشاؤُم بالشَّيء، والفأل يكون فيما يسوء وما يسر، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، وربما استعملت فيما يسر.

(١٠) **ضعيف**: رواه أحمد (٥/ ٧٠) من حديث جابر التميمي، ورواه كذلك في «المسند» (٥/ ٧٠) من حديث أبي هريرة، وفيه اضطراب، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٤٨٠٤).

وقد رواه الترمذي عن عمرو بن علي، عن أبي غسان يحيىٰ بن كثير، عن علي بن المبارك -عن يحيىٰ بن أبي كثير- به ثم قال: غريب. قال: وروىٰ شيبان، عن يحيىٰ بن أبي كثير، عن حَيَّةَ بن حابس، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ.

[قلت: كذلك رواه الإمام أحمد، عن حسن بن موسىٰ وحُسَين بن محمَّد، عن شيبان، عن يحيىٰ بن أبي كثير، عن حَيَّة، حدثه عن أبيه، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا بَأْسَ فِي الهَامِ، وَالعَيْنُ حَقٌّ، وَأَصْدَقُ الطِّيَرَةِ الفَأْلُ**»[(١)].][(٢)]

حديث ابن عبَّاس: قال الإمام أحمد: حدَّثنا عبد الله بن الوليد، عن سفيان، عن دُوَيد، حدَّثني إسماعيل بن[(٣)] ثوبان، عن جابر بن زيد، عن ابن عبَّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «**العَيْنُ حَقٌّ، العَيْنُ حَقٌّ، تَسْتَنْزِلُ الحَالِقَ**» غريب[(٤)].

طريق أخرىٰ: قال مسلم في «صحيحه»: حدَّثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، أخبرنا مسلم بن إبراهيم، حدَّثنا وُهَيبٌ، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عبَّاس، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**العَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ القَدَرَ**[(٥)] **سَبَقَتْهُ العَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا**[(٦)]». انفرد به دون البخاري[(٧)].

وقال عبد الرزاق، عن سفيان الثوري، عن منصور، عن المِنْهالِ بن عمرو، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عبَّاس قال: كان رسول الله ﷺ يُعَوِّذ الحسن والحسين، يقول: «**أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ**،

---

(١) انظر التعليق السابق.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).

(٣) في (ز): (عن ثوبان)، والمثبت موافق لما في «المسند»، وهو الصواب.

(٤) حسن لغيره: رواه أحمد (١/ ٢٩٤)، والحاكم (٤/ ٢١٥) وصححه ووافقه الذهبي، وفيه دويد البصري، قال أبو حاتم: لين الحديث، لكن يشهد له ما تقدم.

(٥) لوحة (١٣٤ أ).

(٦) أي: إذا طَلَب مَنْ أصابتْه العَين أن يَغْتَسِلَ مَن أصَابَه بِعَيْنه فلْيُجِبْه، كان مِن عادَتِهم أنّ الإنسان إذا أصابَتْه عَينٌ مِنْ أحدٍ جَاءَ إلىٰ العَائِن بقَدَحٍ فيه مَاءٌ فيُدْخِل كفّه فيه فيَتَمَضْمَضُ ثم يَمُجُّهُ في القَدَحِ ثم يَغْسِلُ وَجْهه فيه ثم يُدْخِلُ يَدَهُ اليُسْرىٰ فَيَصُبُّ علىٰ يَدِه اليُمْنىٰ، ثم يُدْخِل يَدَه اليُمْنىٰ فَيَصُبُّ علىٰ يَدِه اليُسْرَىٰ ثم يُدْخِلُ يَدَه اليُسْرَىٰ فَيَصُبُّ علىٰ مِرْفَقِهِ الأيْمَنِ ثم يُدْخِل يَدَه اليُمْنَىٰ فيَصُبُّ علىٰ مِرْفَقِهِ الأيْسَرِ ثم يُدْخِلُ يَدَه اليُسْرَىٰ فيَصُبّ علىٰ قَدَمِه اليُمْنَىٰ، ثم يدخل يده اليمنىٰ فيصُبُّ علىٰ قَدَمِه اليُسْرَىٰ، ثم يُدخِلُ يده اليُسْرَىٰ فيَصُبّ علىٰ رُكْبَتِه اليُمْنَىٰ، ثم يُدخِلُ يده اليُمْنَىٰ فيَصُب علىٰ رُكْبَتِه اليُسْرَىٰ، ثم يَغْسِل داخِلة إزارِه ولا يُوضَعُ القَدَحُ بالأرضِ، ثم يُصَبُّ ذلك المَاءُ المُسْتَعْمَلُ علىٰ رأسِ المُصابِ بالعَيْنِ من خَلْفِه صَبَّةً واحِدَةً فيبْرأ بإذن الله تعالىٰ. «النهاية».

(٧) مسلم (٢١٨٨).

مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ[(١)]»، ويقول: «هَكَذَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يُعَوِّذُ إِسْحَاقَ وَإِسْمَاعِيلَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ»[(٢)].

أخرجه البخاري [وأهل السنن][(٣)] من حديث المنهال به، حديث أبي أمامة أسعد بن سهل بن حُنَيف ﵁: قال ابن ماجه: حدَّثنا هشام بن عمار، حدَّثنا سفيان، عن الزهري، عن أبي أمامة بن سهل بن حُنَيفٍ [قال: مَرَّ عامر بن ربيعة بسهل بن حُنَيفٍ،][(٤)] وهو يغتسل، فقال: لم أرَ كاليوم ولا جلدَ مُخَبَّأَةٍ[(٥)]. فما لبث أن لُبِط به، فأتي به رسول الله ﷺ فقيل له: أدرك [سهلًا صريعًا.][(٦)] قال: «مَنْ تَتَّهِمُونَ بِهِ؟». قالوا: عامر بن ربيعة. قال: «عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَدْعُ لَهُ بِالبَرَكَةِ». ثُم دعا بماءٍ فأمر عامرًا أن يتوضَّأ فيغسل وجهه ويديه إلىٰ المرفقين، وركبتيه، ودَاخِلة إزاره[(٧)]، وأمره أن يَصُبَّ عليه[(٨)].

قال سفيان: قال مَعْمَرٌ، عن الزهري: وأمر أن يكفَأ الإناءُ مِن خلفه.

وقد رواه النَّسائي، من حديث سفيان بن عيينة ومالك بن أنس، كلاهما عن الزهري به. ومن حديث سفيان بن عيينة أيضًا عن معمر، عن الزهري، عن أبي أمامة: ويكفَأ الإناء من خلفه. ومن حديث ابن أبي ذئب عن الزهري، عن أبي أمامة أسعد[(٩)] بن سهل بن حُنَيفٍ[(١٠)]، عن أبيه، به. ومن حديث مالك أيضًا، عن محمَّد بن أبي أمامة بن سهل، عن أبيه به.

حديث أبي سعيد الخدري: قال ابن ماجه: حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدَّثنا سعيد بن سليمان، حدَّثنا عباد، عن الجُرَيْري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: كان رسول الله ﷺ يتعوَّذ مِن أعين الجانِّ وأعين الإنس. فلما نزل المعوِّذَتَانِ أخذهما وترك ما سوىٰ ذلك[(١١)].

---

(١) الهامَّة: كل ذات سُمّ يقتل، والجمع: الهوامُّ، فأما ما يسم ولا يقتل فهو: السَّامة، كالعقرب والزنبور، وقد يقع الهوام علىٰ ما يدب من الحيوان -وإن لم يقتل- كالحشرات، (ومن كل عين لامة) أي: من عينٍ تصيب بسوءٍ. «تحفة الأحوذي».

(٢) البخاري (٣٣٧١)، وأبو داود (٤٧٣٧)، والترمذي (٢٠٦١)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧٧٢٦) و(١٠٨٤٤)، وابن ماجه (٣٥١٩).

(٣) سقط من (ز).

(٤) سقط من (ز)، والمثبت موافق لما في «ابن ماجه».

(٥) المُخَبَّأَة: الجارية التي في خِدرها لم تتزوج بعد، و(لُبِطَ به) أي: صرع وسقط إلىٰ الأرض.

(٦) سقط من (ز)، والمثبت موافق لما في «ابن ماجه».

(٧) قيل المراد به: طرف الإزار، وقيل: موضعه من الجسد، وقيل: الورك، وقيل: المذاكير.

(٨) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٥٠٩)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧٦١٧)، وظاهره الإرسال، لكن يثبت اتصاله في رواية النسائي كما أوردها ابن كثير.

(٩) في (ز): (عن أسعد).

(١٠) في (ز): (سهل بن أبي حنيف).

(١١) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٥١١)، والترمذي (٢٠٥٨). وحسنه، والنسائي (٨/ ٢٧١)، وفيه الجريري: اختلط، =

ورواه الترمذي والنسائي من حديث سعيد بن إياس أبي مسعود الجُرَيري به، وقال الترمذي: حسن.

حديث آخر عنه: قال الإمام أحمد: حدَّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدَّثني أبي، حدَّثني عبد العزيز بن صُهيب، حدَّثني أبو نضرة، عن أبي[1] سعيد: أن جبريل أتىٰ رسول الله ﷺ فقال: «**اشْتَكَيْتَ يَا مُحَمَّدُ؟**» قال: «**نَعَمْ**». قال: «**بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ وَعَيْنٍ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ**»[2].

ورواه عن عفان، عن عبد الوارث، مثله. ورواه مسلم وأهل السنن -إلا أبا داود- من حديث عبد الوارث به.

وقال الإمام أحمد أيضًا: حدَّثنا عفان، حدَّثنا وُهَيب، حدَّثنا داود، عن أبي نَضْرة، عن أبي سعيد أو: عن جابر بن عبد الله؛ أن رسول الله ﷺ اشتكىٰ، فأتاه جبريل فقال: «**بَاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ كُلِّ حَاسِدٍ وَعَيْنٍ وَاللهُ يَشْفِيكَ**»[3].

ورواه أيضًا، عن محمَّد بن عبد الرحمن الطُّفَاوي، عن داود، عن أبي نَضرة، عن أبي سعيدٍ به.

قال أبو زُرْعَةَ الرازي: روىٰ عبد الصمد بن عبد الوارث، عن أبيه، عن عبد العزيز، [عن أبي نضرة، وعن عبد العزيز،][4] عن أنس، في معناه، وكلاهما صحيح.

حديث أبي هُرَيرة: قال الإمام أحمد: حدَّثنا عبد الرزاق، أنبأنا مَعْمَرٌ، عن هَمَّام بن مُنَبِّه قال: هذا ما حدَّثنا أبو هُرَيرةَ عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ العَيْنَ حَقٌّ**»[5]. أخرجاه من حديث عبد الرزاق.

وقال ابن ماجه: حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدَّثنا إسماعيل بن عُلَيَّة، عن الجُرَيري، عن مُضَارب بن حَزن، عن أبي هُرَيرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**العَيْنُ حَقٌّ**». تفرَّد به.

ورواه أحمد، عن إسماعيل بن عُلَيَّة، عن سعيد الجريري به.

وقال الإمام أحمد حدَّثنا ابن نمير، حدَّثنا ثور -يعني ابن يزيد- عن مكحول، عن أبي هُرَيرةَ

= لكن الراويَ عنه عباد بن منصور وروايته عنه قبل الاختلاط؛ لأنه ممن أدرك أيوب السَّخْتِياني، وكل من أدرك أيوب فروايته عن الجريري قبل الاختلاط كما في «الكواكب النيرات».

(١) لوحة (١٣٤ / ب).

(٢) رواه مسلم (٢١٨٦)، والترمذي (٩٧٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٨٤٣)، وابن ماجه (٣٥٢٣)، وأحمد (٣/ ٢٨).

(٣) رواه أحمد (٣/ ٧٥)، وانظر التعليق السابق.

(٤) سقط من (ز).

(٥) البخاري (٥٧٤٠)، ومسلم (٢١٨٧)، رواه أحمد (٢/ ٣١٩).

قال: قال رسول الله ﷺ: «**العَيْنُ حَقٌّ، وَيَحْضُرُهَا الشَّيْطَانُ، وَحَسَدَ ابْنِ آدَمَ**»[(١)].

وقال أحمد: حدَّثنا خلف بن الوليد، حدَّثنا أبو[(٢)] مَعْشَرٍ، عن محمَّد بن قيس: سُئل أبو هُرَيرة: هل سمعت رسول الله يقول: الطِّيرة في ثلاث: في المسكن والفرس والمرأة؟ قال: قلت: إذًا أقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل! ولكنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أَصْدَقُ الطِّيَرَةِ الفَأْلُ، وَالعَيْنُ حَقٌّ**»[(٣)].

حديث أسماء بنت عُمَيسٍ: قال الإمام أحمد: حدَّثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن عُروةَ بن عامر، عن عُبَيدِ بن رفاعة الزُّرَقي قال: قالت أسماء: يا رسول الله، إن بَنِي جعفر تصيبهم العين، أفأسترقي لهم[(٤)]؟ قال: «**نَعَمْ، فَلَوْ كَانَ شَيْءٌ يَسْبِقُ القَدَرَ لَسَبَقَتْهُ العَيْنُ**»[(٥)].

وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به، ورواه الترمذي أيضًا والنسائي، من حديث عبد الرزاق، عن مَعْمَرٍ، عن أيوب، عن عمرو بن دينار، عن عُرْوَةَ بن عامرٍ، عن عُبَيدِ بن رفاعة، عن أسماء بنت عميس به، وقال الترمذي: حسنٌ صحيحٌ.

حديث عائشة ﵂: قال ابن ماجه: حدَّثنا علي بن أبي الخَصِيبِ، حدَّثنا وَكِيعٌ، عن سفيان، ومِسْعَرٍ، عن معبد بن خالد، عن عبد الله بن شَدَّادٍ، عن عائشة؛ أنَّ رسول الله ﷺ أمرها أن تسترقيَ من العين[(٦)].

ورواه البخاري عن محمَّد بن كثير، عن سفيان، عن معبد [بن خالد به. وأخرجه مسلم من حديث سُفيانَ ومِسْعَرٍ، كلاهما عن معبد به][(٧)] ثم قال ابن ماجه: حدَّثنا محمَّد بن بشار، حدَّثنا أبو هشام[(٨)] المخزومي، حدَّثنا وُهَيبٌ، عن أبي واقد، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**اسْتَعِيذُوا بِاللهِ فَإِنَّ العَيْنَ**[(٩)] **حَقٌّ**»[(١٠)] تفرد به[(١١)].

وقال أبو داود: حدَّثنا عثمان بن أبي شيبة، حدَّثنا جرير، حدَّثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٤٣٩)، ورجاله ثقات إلا أن مكحولًا كثير الإرسال.

(٢) في (ز): (ابن معشر)، والمثبت هو الصواب.

(٣) **ضعيف**: رواه أحمد (٢/ ٢٨٩)، وفيه أبو معشر: ضعيف.

(٤) لوحة (١٣٥ أ).

(٥) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٤٣٨)، والترمذي (٢٠٥٨) وابن ماجه (٣٥١٠).

(٦) البخاري (٥٧٢٨)، ومسلم (٢١٩٥)، وابن ماجه (٣٥١٢).

(٧) هذه العبارة في (ز) مكانها بعد قوله: (تفرد به).

(٨) في (ز): (ابن هشام المخزومي)، والمثبت هو الصواب.

(٩) في (ز): (فإن النفس حق)، والمثبت موافق لما في «ابن ماجه».

(١٠) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٥٠٨)، ويشهد له ما تقدم، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٣٧).

(١١) هنا مكان العبارة السابقة.

الأسود، عن عائشة قالت: كان يؤمر العائن فيتوضأ ويُغْسَل منه المَعين[١].

قلت: كذلك رواه أحمد عن حسن بن موسىٰ وحسين بن محمد، عن سنان أن ابن حية حدثه عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا [شَيْءَ فِي][٢] الهَامِ، وَالْعَيْنُ حَقٌّ، وَأَصْدَقُ الطِّيَرَةِ الْفَأْلُ»[٣][٤].

حديث سهل بن حُنَيف: قال الإمام أحمد: حدَّثنا حُسَين بن محمَّد، حدَّثنا أُبو أويس حدَّثنا الزهري، عن أبي أمامة بن سَهل بن حُنَيف: أن أباه حدَّثه أنَّ رسول الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكَّة، حتىٰ إذا كانوا بشعب الخَرَار -من الجُحْفة- اغتسل سهلُ بن حُنَيف -وكان رجلًا أبيض حَسن الجسم والجلد- فنظر إليه عامر بن ربيعة، أخو[٥] بني عدي بن كعب، وهو يغتسل، فقال: ما رأيت كاليوم ولا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ. فلُبِطَ سهلٌ، فأُتِيَ رسول الله ﷺ فقيل له: يا رسول الله، هل لك في سهل، والله ما يرفع رأسه ولا يُفيق، قال: «هَلْ تَتَّهِمُونَ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ؟». قالوا: نظر إليه عامر بن ربيعة، فدعا رسول الله ﷺ عامرًا، فتغيظ[٦] عليه، وقال: «عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟! هَلَّا إِذَا رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَّكْتَ؟». ثم قال له: «اغْتَسِلْ لَهُ» فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه ودَاخلَة إزاره في قَدح، ثمَّ صُبَّ ذلك الماء عليه، يَصُبه رجلٌ علىٰ رأسه وظهره من خلفه، ثم يكفأ القدح وراءه. ففعل ذلك، فراح سهل مع الناس، ليس به بأس[٧].

حديث عامر بن ربيعة: قال الإمام أحمد في «مسند عامر»: حدَّثنا وَكِيعٌ، حدَّثنا أبي، حدَّثنا عبد الله ابن عيسىٰ، عن أُمَيَّة بن هند بن سهل بن حُنَيْفٍ، عن عبد الله بن عامر قال: انطلق عامر بن ربيعة وسهل ابن حنيف يريدان الغسل، قال: فانطلقا يلتمسان الخمرَ[٨]، قال: فوضع عامرٌ[٩] جُبَّةً كانت عليه من صوفٍ، فنظرت إليه فأصبته بعيني فنزل الماء يغتسل، قال: فسمعت له في الماء فرقعةً، فأتيته فناديته ثلاثًا فلم يجبني، فأتيت النَّبيَّ ﷺ فأخبرته، قال: فجاء يمشي فخاض الماء كأني أنظر إلىٰ بياض ساقيه، قال: فضرب صدره بيده ثم قال: «اللَّهُمَّ اصْرِفْ عَنْهُ حَرَّهَا وَبَرْدَهَا

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٨٨٠)، ويشهد له الحديث الآتي.

(٢) بياض في (ز)، والمثبت موافق لما في «المسند».

(٣) كذا في (ز)، وهذه الفقرة من قوله «قلت» إلىٰ هنا ليست في المطبوع.

(٤) رواه أحمد (٥/ ٧٠).

(٥) في (ز): (أحد بني عدي).

(٦) لوحة (١٣٥ ب).

(٧) رواه أحمد (٣/ ٤٨٦) ورجاله ثقات، ويشهد له الحديث رقم (٥٩) من هذه السورة.

(٨) الخَمَرَ: كل ما سترك من شجر أو بناء أو غيره.

(٩) كذا في (ز) و«المسند» أيضًا، والصواب: سهل بن حنيف لا عامر كما هو في جميع مصادر التخريج. وانظر «المسند» ط «الرسالة».

وَوَصَبهَا[١]». قال: فقام. فقال رسول الله ﷺ: «**إِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ، أَوْ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مِنْ مَالِهِ، مَا يُعْجِبُهُ، فَلْيُبَرِّكْ، فَإِنَّ العَيْنَ حَقٌّ**»[٢].

حديث جابر: قال الحافظ أبو بكر البزار في «مسنده»: حدَّثنا محمَّد بن مَعْمَرٍ، حدَّثنا أبو داود، حدَّثنا طالب بن حبيب بن عمرو بن سهل الأنصاري -ويقال له: ابن الضَّجِيعِ، ضجيع حمزة[٣] ﷺ- حدَّثني عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَكْثَرُ مَنْ يَمُوتُ مِنْ أُمَّتِي بَعْدَ كِتَابِ اللهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ بِالأَنْفُسِ**»[٤].

قال البزار: يعني العين. قال: ولا نعلم يُرْوَىٰ هذا الحديث عن النَّبيِّ ﷺ إلا بهذا الإسناد.

قلت: بل قد روي من وجه آخر عن جابر؛ قال الحافظ أبو عبد الرحمن محمَّد بن المنذر الهَرَوِي - المعروف بشَكَّر- في كتاب «العجائب»، وهو مشتملٌ علىٰ فوائدَ جليلةٍ وغريبةٍ: حدَّثنا الرهاوي، حدَّثنا يعقوب بن محمَّد، حدَّثنا علي بن أبي علي الهاشمي، حدَّثنا محمَّد بن المُنكَدِرِ، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «**العَيْنُ حَقٌّ**[٥]**، لَتُورِدُ الرَّجُلَ القَبْرَ، وَالجَمَلَ القِدْرَ، وَإِنَّ أَكْثَرَ هَلَاكِ أُمَّتِي فِي العَيْنِ**»[٦].

ثم رواه عن شعيب بن أيوب، عن معاوية بن هشام، عن سفيان، عن محمَّد بن المنكدرِ، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَدْ تُدْخِلُ الرَّجُلَ العَيْنُ فِي القَبْرِ، وَتُدْخِلُ الجَمَلَ القِدْرَ**».

حديث عبد الله بن عمرو: قال الإمام أحمد: حدَّثنا قتيبة، حدَّثنا رِشْدين بن سعد، عن الحسن ابن ثوبان، عن هشام بن أبي رُقية، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا عَدْوَىٰ وَلا طِيَرَةَ، وَلا هَامَةَ وَلا حَسَدَ، وَالعَيْنُ حَقٌّ**». تفرد به أحمد[٧].

حديث عن علي: روىٰ الحافظ ابن عساكر من طريق خَيْثمة بن سليمان الحافظ: حدَّثنا عبيد بن محمَّد الكَشَوري، حدَّثنا عبد الله بن عبد الله بن عبد ربه البصري، عن أبي رجاء، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن[٨] علي؛ أن جبريل أتىٰ النَّبيَّ ﷺ فوافقه مغتمًّا، فقال: «**يَا مُحَمَّدُ، مَا هَذَا**

---

(١) الوَصَب: دوام الوجع ولزومه.

(٢) ضعيف: رواه أحمد (٣/ ٤٤٧)، وفيه أمية بن هند: ضعيف.

(٣) وذلك أن سهلًا استشهد بأحد مع حمزة فدفن إلىٰ جنبه.

(٤) حسن: رواه البزار، والطيالسي في المسند (١٧٦٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٤/ ٧٧)، وحسنه الحافظ في «الفتح».

(٥) لوحة (١٣٦/ أ).

(٦) حسنه الألباني: رجاله ثقات. ويشهد له الحديث السابق، وانظر «الصحيحة» (١٢٤٩).

(٧) رواه أحمد (٢/ ٢٢٢)، وفيه رِشْدين بن سعد: ضعيف، وبقية رجاله ثقات، لكن للحديث شواهد ثابتة في «الصحيحين» وغيرهما كما تقدم.

(٨) في (ز): (الحارث بن علي)، والمثبت هو الصواب.

الغَمُّ الَّذِي أَرَاهُ فِي وَجْهِكَ؟» قال: «الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ أَصَابَتْهُمَا عَيْنٌ». قال: «صَدِّقَ بِالعَيْنِ، فَإِنَّ العَيْنَ حَقٌّ، أَفَلَا عَوَّذْتَهُمَا بِهَؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ؟» قال: «وَمَا هُنَّ يَا جِبْرِيلُ؟». قال: قل: «اللَّهُمَّ ذَا السُّلْطَانِ العَظِيمِ، [ذَا المَنِّ][(١)] القَدِيمِ، ذَا الوَجْهِ الكَرِيمِ، وَلِيَّ الكَلِمَاتِ التَّامَّاتِ، وَالدَّعَوَاتِ المُسْتَجَابَاتِ، عَافِ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ مِنْ أَنْفُسِ الجِنِّ، وَأَعْيُنِ الإِنْسِ». فقالها النَّبِيُّ ﷺ فقاما يلعبان بين يديه، فقال النَّبِيُّ ﷺ: «عَوِّذُوا أَنْفُسَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ بِهَذَا التَّعْوِيذِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَتَعَوَّذِ المُتَعَوِّذُونَ بِمِثْلِهِ»[(٢)].

قال الخطيب البغدادي: تفرَّد بروايته أبو رجاء محمَّد بن عبيد الله الحَبَطي من أهل تُسْتَر. ذكره ابن عساكر في ترجمة «طراد بن الحسين»، من «تاريخه».

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ أي: يزدرونه بأعينهم ويؤذونه بألسنتهم، ويقولون: ﴿إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ أي: لمجيئه بالقرآن، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

آخر تفسير سورة «نٓ» ولله الحمد.

---

(١) بياض في (ز)، والمثبت من «تاريخ دمشق».

(٢) ضعيف:رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٤/ ٤٦١)، وفي إسناده الحارث الأعور: متهم بالكذب، وأبو إسحاق يرسل وقد عنعن.

سُورَةُ الحَاقَّةِ

تفسير سورة الحاقة وهي مكية(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ
فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ
وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن
بَاقِيَةٍ (٨) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً
(١٠) إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (١٢) ﴾

الحاقَّةُ من أسماء يومِ القِيامَة؛ لأنَّ فيها يَتحقَّقُ الوَعدُ والوَعيدُ؛ ولهذا عَظَّمَ تعالىٰ أمرَها فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ .

ثمَّ ذكر تعالىٰ إهلاكَهُ الأممَ المكذِّبين بها فقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ وهي الصَّيحة التي أسكتتهم، والزَّلزلة التي أسكنتهم، هكذا قال قتادة: الطَّاغية: الصَّيحة، [وهو اختيار ابن جرير.](٢) .

وقال مجاهد: الطَّاغية الذنوب. وكذا قال الربيع بن أنس، وابن زيد: إنها الطغيان، وقرأ ابن زيد: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ [الشمس: ١١].

وقال السُّدِّي: ﴿فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ قال: يعني: عاقر الناقة.

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ أي: باردة. قال قتادة، والرَّبيع، والسُّدِّي، والثوري: ﴿عَاتِيَةٍ﴾ أي: شديدة الهبوب. قال قتادة: عتت عليهم حتىٰ نَقَّبت(٣) عن أفئِدَتِهم.

وقال الضَّحَّاكُ: ﴿صَرْصَرٍ﴾ باردة ﴿عَاتِيَةٍ﴾ عتت عليهم بغير رحمةٍ ولا بركةٍ. وقال عليٌّ وغيره: عتت علىٰ الخزنة فخرجت بغير حساب.

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: سلطها عليهم ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ أي: كواملَ مُتَتابِعاتٍ مشائيمَ.

قال ابن مسعود، وابن عبَّاس، ومجاهد، وعكرمة، والثوري، وغير واحدٍ: ﴿حُسُومًا﴾ متتابعات.

---

(١) لوحة (١٣٦ ب).

(٢) بياض في (ز) قدر كلمة، والمثبت من ط: «الشعب».

(٣) أي: كشفت.

وعن عكرمة والرَّبيع: مشائيم عليهم، كقوله: ﴿فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾ [فصلت: ١٦] قال الربيع: وكان أولها الجمعة، وقال غيره: الأربعاء، ويقال: إنَّها التي تُسَمِّيها النَّاس الأعجاز؛ وكأنَّ النَّاس أخذوا ذلك من قوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾ وقيل: لأنَّها تكون في عَجُزِ الشِّتاء، ويقال: أيَّام العجوز؛ لأنَّ عجوزًا مِن قوم عادٍ دخلت سَرَبًا فقتلتها الرِّيح في اليوم الثَّامن، حكاه البغوي والله أعلم.

قال ابن عبَّاس: [﴿خَاوِيَةٖ﴾][1] خَربة. وقال غيره: باليةٌ[2]؛ أي: جعلت الرِّيح تضرب بأحدهم الأرض فيخرُّ مَيِّتًا على أمِّ رأسه، فيَنْشَدِخُ رأسه وتبقى جثَّته هامدةً كأنَّها قائمةُ النَّخلةِ إذا خرَّت بلا أغصان.

وقد ثبت في «الصحيحين»، [عن رسول الله ﷺ أنه قال:][3] «**نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ**[4]»[5].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا محمَّد بن يحيى بن الضِّرِّيس العبدي، حدَّثنا ابن فُضَيل، عن مسلم، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا فَتَحَ اللهُ عَلَىٰ عَادٍ[6] مِنَ الرِّيحِ الَّتِي أُهْلِكُوا فِيهَا إِلَّا مِثْلَ مَوْضِعِ الخَاتَمِ، فَمَرَّتْ بِأَهْلِ البَادِيَةِ فَحَمَلَتْهُمْ وَمَوَاشِيَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَجَعَلَتْهُمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَلَمَّا رَأَىٰ ذَٰلِكَ أَهْلُ الحَاضِرَةِ الرِّيحَ وَمَا فِيهَا قَالُوا: هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا. فَأَلْقَتْ أَهْلَ البَادِيَةِ وَمَوَاشِيَهُمْ عَلَىٰ أَهْلِ الحَاضِرَةِ**»[7].

وقال الثوري عن ليث، عن مجاهد: الريح لها جَناحان وذَنَبٌ.

﴿فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ﴾ أي: هل تحس منهم من أحدٍ من بقاياهم أنَّه ممن ينتسب إليهم؟ بل بادوا عن آخرهم، ولم يجعل الله لهم خَلفًا.

ثم قال تعالى: ﴿وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قِبَلَهُۥ﴾ قُرئ بكسر القاف؛ أي: ومَن عنده في زمانه من أتباعه من كفار القِبْطِ. وقرأ آخرون بفتحها[8]؛ أي: ومن قبله مِن الأمم المشبهين له.

وقوله: ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ﴾ وهم المكذبون بالرسل. ﴿بِٱلۡخَاطِئَةِ﴾ أي: بالفعلة الخاطئة، وهي التَّكذيب بما أنزل الله.

قال الرَّبيع: ﴿بِٱلۡخَاطِئَةِ﴾ أي: بالمعصية وقال مجاهد: بالخطايا.

---

(١) سقط من (ز). (٢) لوحة (١٣٧ أ). (٣) سقط من (ز).

(٤) الصَّبَا: ريحٌ مَهَبُّها من مشرق الشمس إذ استوى الليل والنهار. «المعجم الوسيط»: (ص/ ٥٠٧). والدَّبُور: الريح التي تقابل الصَّبَا والقَبُولَ، وهي ريحٌ تَهُبُّ من نحو المغرب، والصبا تقابلها من ناحية المشرق. قال ابنُ الأثير: وقول من قال: سُميت به؛ لأنها تأتي من دُبُرِ الكعبة ليس بشيء. «اللسان»: دبر.

(٥) رواه أحمد (١/ ٢٢٨)، والبخاري (٩٨٨)، ومسلم (٩٠٠).

(٦) في (ز): (على عباده).

(٧) ضعيف: رواه ابن أبي حاتم (١٨٩٦٠) في إسناده مسلم المُلَائي: ضعيف. وقد اضطرب فرواه هنا عن ابن عمر، ورواه مرة عن ابن عبَّاس. وقد تقدم. انظر سورة الأحقاف الآية (٢٥).

(٨) متواترة: قَرَأَ (وَمَن قِبَلَهُ) أَبُو عَمْرٍو وَالكِسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ وَوَافَقَهُمُ اليَزِيدِيُّ وَالحَسَنُ، وَقَرَأَ البَاقُونَ (وَمَن قَبْلَهُ).

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ وهذا جنس؛ أي: كُلٌّ كذَّبَ رسول الله إليهم. كما قال: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ(١) ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق: ١٤]. ومن كذب رسول الله فقد كذَّب بالجميع، كما قال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣]. ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٤١] وإنَّما جاء إلىٰ كلِّ أمَّةٍ رسولٌ واحدٌ؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ أي: عظيمةً شديدةً أليمةً.

قال مجاهد: ﴿رَّابِيَةً﴾ شديدةً. وقال السُّدِّي: مهلكة.

ثم قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ أي: زاد علىٰ الحدِّ بإذن الله وارتفع علىٰ الوجود. وقال ابن عبَّاس وغيره: ﴿طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ كثر؛ وذلك بسبب دعوة نوح ﷺ علىٰ قومه حين كذبوه وخالفوه، فعبدوا غير الله فاستجاب الله له(٢) وعَمَّ أهل الأرض بالطوفان إلا مَن كان مع نوحٍ في السَّفِينَةِ، فالنَّاس كلُّهُم مِن سلالةِ نوحٍ وذُرِّيَّتِه.

وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن حميد، حدَّثنا مِهْرَانُ، عن أبي سنان سعيد بن سنان، عن غير واحدٍ، عن علي بن أبي طالب قال: لم تنزل قطرةٌ من مَاءٍ إلَّا بكيلٍ علىٰ يدي ملك، فلمَّا كان يوم نوح أذن للمَاء دون الخُزَّان، فطغىٰ الماء علىٰ الخُزَّانِ فخرج، فذلك قول الله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ﴾ ولم ينزل شيءٌ من الرِّيح إلا بكيل علىٰ يدي ملك، إلا يوم عاد، فإنَّه أَذِن لها دون الخُزَّانِ فخرجت، فذلك قوله: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ عتت علىٰ الخُزَّانِ(٣).

ولهذا قال تعالىٰ ممتنًّا علىٰ النَّاس: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ﴾ وهي السَّفينة الجارية علىٰ وجه الماء، ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ عاد الضَّمير علىٰ الجنس لدلالة المعنىٰ(٤) عليه؛ أي: وأبقينا لكم مِن جنسها ما تركبون علىٰ تيَّار الماء في البحار، كما قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ١٢، ١٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ وَخَلَقْنَا(٥) لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس: ٤١، ٤٢].

وقال قتادة: أبقىٰ الله السَّفينة حتىٰ أدركها أوائل هذه الأمَّة، والأوَّل أظهر؛ ولهذا قال: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ أي: وتفهم هذه النِّعمة، وتذكرها أذن واعية.

قال ابن عبَّاس: حافظة سامعة، وقال قتادة: ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ عَقَلَتْ(٦) عنِ الله فانتفعت بما سَمِعَتْ مِن كتاب الله، وقال الضَّحَّاكُ: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ سمعتها أُذُنٌ ووَعَتْ؛ أي: مَن له سمعٌ صحيحٌ

---

(١) في (ز): (إن كل إلا كذب الرسل فحق وعيد)، وكذلك في ط: «الشعب»، وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه.

(٢) لوحة (١٣٧ ب).

(٣) ضعيف: رواه الطبري (٢٩/ ٥٤) وشيخه محمَّد بن حميد: حافظ ضعيف، وفيه جهالة الرواة عن علي ﷺ.

(٤) في (ز): (لدلالة المعين عليه).

(٥) في (ز): (وجعلنا لهم)، وهو خطأ.

(٦) في (ز): (تحفظت عن الله).

وعقلٌ رجيحٌ، وهذا عامٌّ فيمَنْ فَهِمَ ووَعَىٰ.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرْعةَ الدمشقي، حدَّثنا العبَّاس بن الوليد بن صبح[١] الدمشقي، حدَّثنا زيد بن يحيىٰ، حدَّثنا علي بن حَوْشب، سمعت مكحولًا يقول: لما نزل علىٰ رسول الله ﷺ: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ قال رسول الله ﷺ: «سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يَجْعَلَهَا أُذُنَ عَلِيٍّ». [قال مكحولٌ:][٢] فكان عَلِيٌّ يقول: ما سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا قط فنسيته[٣].

وهكذا رواه ابن جرير، عن علي بن سهل، عن الوليد بن مسلم، عن علي بن حوشب، عن مكحول به. وهو[٤] حديث مرسل.

وقد قال ابن أبي حاتم أيضًا: حدَّثنا جعفر بن محمَّد بن عامر، حدَّثنا بشر بن آدم، حدَّثنا عبد الله ابن الزبير أبو محمَّد -يعني والد أبي أحمد الزبيري- حدَّثني صالح بن الهيثم[٥]، سمعت بريدة الأسلمي يقول: قال رسول الله ﷺ لعلي: «إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُدْنِيَكَ وَلَا أُقْصِيَكَ، [وَأَنْ أُعَلِّمَكَ وَأَنْ تَعِيَ، وَحُقَّ لَكَ أَنْ تَعِيَ».][٦] قال: فنزلت هذه الآية ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾[٧].

ورواه ابن جرير عن محمَّد بن خلف، عن بشر بن آدم، به، ثم رواه ابن جرير من طريق آخر عن [أبي داود][٨] الأعمىٰ، عن بُرَيدةَ به، ولا يصح أيضًا.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن أهوال يوم القيامة، وأوَّل ذلك نفخةُ الفَزَع، ثم يعقبها نفخة الصَّعق حين يُصعَق مَن في السَّموات ومن في الأرض إلا مَن شاء الله، ثم بعدها نفخة القِيَام لرَبِّ العالمين والبعث والنُّشور، وهي هذه النَّفخة، وقد أكَّدها هاهنا بأنَّها واحدةٌ؛ لأنَّ أمر الله لا يخالَف ولا يمانَع، ولا يحتاج إلىٰ تكرارٍ وتأكيدٍ. وقال الربيع: هي النفخة الأخيرة. والظاهر ما قلناه؛ ولهذا قال هاهنا:

---

(١) في (ز): (عن صبيح)، والمثبت موافق لما في «ابن أبي حاتم». (٢) ليست في (ز).

(٣) ضعيف رواه الطبري (٢٩/ ٥٥) وابن أبي حاتم (١٨٩٦١) وإسناده مرسل؛ لأنه من رواية مكحول الدمشقي، ولم يسنده إلىٰ صحابي، ومكحول يرسل كثيرًا.

(٤) لوحة (١٣٨ أ). (٥) في (ز): (صالح بن هشيم)، والمثبت هو الصواب.

(٦) في (ز) مكان هذه الجملة «وأن أملك دار معي وحولك اربعي».

(٧) ضعيف رواه الطبري (٢٩/ ٥٦)، وابن أبي حاتم (١٨٩٦١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص٢٩٤)، وفيه عبد الله بن الزبير ضعفه أبو نعيم وأبو زرعة، انظر: «ميزان الاعتدال» (٤/ ٩٩، تر: ٤٦١٥، ط: العلمية)، والطريق الأخرىٰ التي أشار لها ابن كثير بعد ذلك فقد رواها الطبري وفيه أبو داود الأعمىٰ وهو نفيع بن الحارث: متروك الحديث.

(٨) في (ز): (عن داود الأعمىٰ)، والمثبت هو الصواب، وهو موافق لما في «تفسير الطبري».

﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: فمدت مَدَّ الأديم العُكَاظي، وتَبَدَّلَتِ الأرض غير الأرض، ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [أي: قامت القيامة. ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾][(١)] قال سِماك، عن شيخ من بني أسد، عن علي قال: تنشقُّ السَّماء من المجرَّة. رواه ابن أبي حاتم[(٢)]. وقال ابن جريج: هي كقوله: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ [النبأ: ١٩]. وقال ابن عبَّاس: مُتخرِقَة، والعرش بحِذَائِهَا[(٣)].

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾ الملك: اسم جنس؛ أي: الملائكة على أرجاء السَّماء.

قال ابن عبَّاس: على ما لم يَهِ منها، [أي: حافَّتِها][(٤)(٥)]. وكذا[(٦)] قال سعيد بن جبير، والأوزاعي. وقال الضَّحَّاكُ: أطرافها. وقال الحسن البصري: أبوابها. وقال الربيع بن أنس في قوله: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾ يقول: على ما استدق[(٧)] من السَّماء، ينظرونَ إلى أهل الأرض.

وقوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ[(٨)] يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ أي: يوم القيامة يحمل العَرْش ثمانيةٌ مِن الملائكة. ويحتمل أَن يكون المراد بهذا [العَرْشِ: العَرْشُ][(٩)] العظيمُ، أو العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة لفصل القضاء، والله أعلم بالصواب. وفي حديث عبد الله بن عميرة، عن الأحنف بن قيس، عن العبَّاس بن عبد المطلب، في ذكر حَمَلَةِ العرش أَنَّهم ثمانية أوعال[(١٠)].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد يحيى[(١١)] بن سعيد، حدَّثنا زيد بن الحباب، حدَّثني أبو السمح البصري، حدَّثنا أبو قَبيل حُيَي بن هانئ: أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول: حملة العرش ثمانية، ما بين مُوقِ[(١٢)] أحدهم إلى مؤخَّر عينه مسيرة مائة عام[(١٣)].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي قال: كتب إليّ أحمد بن حفص بن عبد الله النيسابوري: حدَّثني أبي، حدَّثنا إبراهيم بن طهمان، عن موسى بن عقبة، عن محمَّد بن المنكدر، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ عَنْ مَلَكٍ مِنْ حَمَلَةِ العَرْشِ: بُعْدُ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعُنُقِهِ مخفق الطَّيْرِ سَبْعُمِائَةِ عَامٍ**»[(١٤)].

---

(١) هذه العبارة وقعت في (ز) بعد قوله: رواه ابن أبي حاتم.
(٢) إسناده ضعيف: لجهالة الراوي عن علي.
(٣) رواه ابن أبي حاتم (١٨٩٦٤)، ولم أقف على إسناده فيه.
(٤) سقط من (ز).
(٥) رواه الطبري (٢٩/ ٥٨) ورجاله ثقات، رواه ابن أبي حاتم (١٨٩٦٦).
(٦) في (ز): (وقال: وكذا قال).
(٧) في (ز): (على ما استدو).
(٨) لوحة (١٣٨ ب).
(٩) سقط من (ز).
(١٠) ضعيف: رواه موقوفًا أبو يعلى (٢/ ٦٧)، والحاكم (٢/ ٥٠٠)، وصححه على شرط مسلم.
قلت: فيه شريك بن عبد الله النخعي سيئ الحفظ، وفيه انقطاع بين عبد الله بن عميرة والأحنف، والحديث روي مرفوعًا بإسناد ضعيف، رواه أبو داود (٤٧٢٤)، والترمذي (٣٣١٧)، وابن ماجه (١٩٣) وفيه انقطاع أيضًا.
(١١) في (ز): (أبو سعيد بن نمر بن سعيد)، والمثبت هو الصواب.
(١٢) مُوق العين: مؤخرها، ومَأْقها: مقدمها.
(١٣) ضعيف: رواه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٢١٧) وأحمد (١/ ٢٠٦، ٢٠٧)، وإسناده ضعيف: فيه انقطاع بين عبد الله بن عميرة والعبَّاس، فإنه لم يثبت له سماعٌ منه.
(١٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٢٧).

وهذا إسنادٌ جيدٌ، رجاله ثقات. وقد رواه أبو داود في كتاب «السُّنة» من «سننه»: حدَّثنا أحمد بن حفص بن عبد الله، حدَّثنا أبي، حدَّثنا إبراهيم بن طهمان، عن موسىٰ بن عقبة، عن محمَّد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ العَرْشِ: أَنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَىٰ عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ**». هذا لفظ أبي داود(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرْعَةَ، حدَّثنا يحيىٰ بن المغيرة، حدَّثنا جرير، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ قال: ثمانية صفوفٍ من الملائكةِ. قال: ورُوي عن الشعبي [وعكرمة](٢) والضَّحَّاكُ. وابن جُرَيْجٍ، مثل ذلك. وكذا روىٰ السُّدِّي عن [أبي](٣) مالك، عن ابن عبَّاس: ثمانية صفوف. وكذا روىٰ العَوْفي(٤)، عنه(٥).

وقال الضَّحَّاكُ، عن ابن عبَّاس: الكَرُوبيّون(٦) ثمانية أجزاء، كل جنسٍ منهم بقَدْر الإنس والجنِّ والشَّياطين والملائكة(٧).

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ أي: تعرضون علىٰ عالِم السِّرِّ والنَّجوىٰ الذي لا يخفىٰ عليه شيءٌ مِن أموركم، بل هو عالِم بالظَّواهر والسَّرائر والضَّمائر؛ ولهذا قال: ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾.

وقد قال ابن أبي الدنيا: أخبرنا إسحاق بن إسماعيل، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن جعفر بن بُرْقان(٨)، عن ثابت بن الحجاج قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حاسِبُوا أنفسكم قبل أن تحاسَبُوا، وزِنُوا أنفسكم قبل أن تُوزَنوا، فإنه أخف عليكم في الحِسَابِ غدًا أن تُحَاسِبُوا أنفسكم اليوم، وَتَزَيَّنُوا للعرض الأكبر(٩): ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾(١٠).

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا وَكِيعٌ، حدَّثنا علي بن علي بن رفاعة، عن الحسن، عن أبي موسىٰ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرْضَاتٍ، فَأَمَّا عَرْضَتَانِ فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ**(١١)، **وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَطِيرُ الصُّحُفُ [فِي الأَيْدِي،]**(١٢) **فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ وَآخِذٌ بِشِمَالِهِ**»(١٣).

---

(١) انظر التعليق السابق.
(٢) ليست في (ز).
(٣) سقط من (ز)، والصواب إثباتها.
(٤) في (ز): (المعري).
(٥) رواه الطبري (٢٩/ ٥٨) وكلا الطريقين ضعيف للانقطاع.
(٦) الملائكة الكَرُوبِيُّونَ: أَقْرَبُ الملائكة إِلىٰ حَمَلَةِ العَرْش. «اللسان»: كرب.
(٧) ضعيف: الضَّحَّاكُ لم يسمع من ابن عبَّاس؛ فالإسناد منقطع.
(٨) لوحة (١٣٩ أ).
(٩) وقع في (ز) بعد هذه الكلمة بياض قدر كلمة.
(١٠) صحيح: رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥٢)، وابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٢)، وأحمد في «الزهد» (ص ١٤٩).
(١١) في (ز): (فجداي ومقادير).
(١٢) سقط من (ز)، والمثبت موافق لما في «المسند».
(١٣) صحيح: رواه أحمد (٤/ ٤١٤)، وابن ماجه (٤٢٧٧) من حديث أبي موسىٰ.
ومدار الحديث علىٰ الحسن البصري، وهو لم يسمع من أبي موسىٰ، ورواه الطبري (٢٩/ ٥٩) مرفوعًا من حديث ابن مسعود، وإسناده صحيح، ومثله لا يقال بالرأي.

ورواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وَكِيع به، وقد رواه الترمذي عن أبي[١] كُرَيْب، عن وكيع، عن علي بن علي، عن الحسن، عن أبي هريرة به[٢].

وقد روىٰ ابنُ جرير عن مجاهد بن موسىٰ، عن يزيد، عن سليم بن حيان، عن مروان الأصغر، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: يعرض النَّاس يوم القِيَامَةِ ثلاث عرضات: [عرضتان،][٣] معاذِير وخصومات، والعرضة الثَّالثة تطير الصُّحف في الأيدي[٤]. ورواه سعيد بن أبي عَروبة، عن قتادة مرسلًا مثله.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾

يخبر تعالىٰ عن سعادة مَن أوتي كتابه يوم القيامة بِيَمِينِه، وفرحِهِ بذلك، وأنه مِن شدَّة فرحه يقول لكلِّ مَن لَقِيَه: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ أي: خذوا اقرءوا كتابيه؛ لأنَّه يعلم أنَّ الذي فيه خيرٌ وحسناتٌ محضةٌ؛ لأنَّه ممن بَدَّل الله سيئاته حسنات.

قال عبد الرحمن بن زيد: معنىٰ ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ أي: ها اقرءوا كتابيه، و«ؤم» زائدة. كذا قال، والظَّاهر أنَّها بمعنىٰ[٥]: هاكُم.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا بشر بن مطر الواسطي، حدَّثنا يزيد بن هارون، أخبرنا عاصم الأحول، عن أبي عثمان قال: المؤمن يعطىٰ كتابه [بيمِينِهِ][٦] في سِتْرٍ مِن الله، فيقرأ سَيِّئاته، فكلَّما قرأ سيئةً تغيَّر لونه حتىٰ يمُرَّ بحسَنَاتِهِ فيقرؤها، فيرجع إليه لونه، ثم ينظر فإذا سيئاته قد بدلت حسنات، قال: فعند ذلك يقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾[٧].

وحدَّثنا أبي، حدَّثنا إبراهيم بن الوليد بن سلمة، حدَّثنا رَوْح بن عبادة[٨]، حدَّثنا موسىٰ بن عبيدة[٩] أخبرني عبد الله بن عبد الله بن حنظلة -غسيل الملائكة- قال: إن الله يَقِفُ عبدَهُ يوم القيامة فيُبْدِي سيئاته في ظهر صحيفته، فيقول له: أنت عملت هذا؟ فيقول: نعم أَيْ رَبِّ، فيقول له: إني لم أَفْضَحْكَ به، وإنِّي قد غفرتُ لك، فيقول عند ذلك: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾

---

(١) في (ز): (ابن كريب)، والمثبت هو الصواب.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٢٧)، وفيه انقطاع أيضًا بين الحسن وأبي هريرة لكن يشهد له حديث أبي موسىٰ السابق، وحديث ابن مسعود الآتي.

(٣) سقط من (ز).

(٤) رواه الطبري (٢٩/ ٥٩) وإسناده صحيح موقوف، ومثله لا يقال بالرأي فهو في حكم المرفوع.

(٥) في (ز): (أنها هي). (٦) سقط من (ز).

(٧) إسناده حسن لكنه مقطوع علىٰ أبي عثمان النَّهدي.

(٨) في (ز): (روح بن عباد). (٩) لوحة (١٣٩ ب).

حين نجا مِن فَضْحِهِ يوم القيامة[١].

وقد تقدَّم في «الصحيح» حديثُ ابن عمر حين سئل عن النَّجوىٰ، فقال: سمعت نبيَّ الله ﷺ يقول: «**يُدْنِي اللهُ العَبْدَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ كُلِّهَا، حَتَّىٰ إِذَا رَأَىٰ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ قَالَ اللهُ: إِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ. ثُمَّ يُعْطَىٰ كِتَابَ حَسَنَاتِهِ بِيَمِينِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُ فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾**» [هود: ١٨][٢].

وقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ أي: قد كنت موقنًا في الدنيا أن هذا اليوم كائنٌ لا محالة، كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦].

قال الله: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ يعني: مرضية، ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي: رفيعة قصورها، حسان حورُهُا، نعيمةٌ دُورُها، دائمٌ حبورُهَا.

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا أبو عُتْبَةَ الحسن بن علي بن مسلم السَّكوني، حدَّثنا إسماعيل بن عياش، عن سعيد بن يوسف، عن يحيىٰ بن أبي كثير، عن أبي سلام الأسود قال: سمعتُ أبا أمامة قال: سأل رجلٌ رسول الله ﷺ: هل يتزاور أهل الجنة؟ قال: «**نَعَمْ، إِنَّهُ لَيَهْبِطُ أَهْلُ الدَّرَجَةِ العُلْيَا إِلَىٰ أَهْلِ الدَّرَجَةِ السُّفْلَىٰ، فَيُحَيُّونَهُمْ وَيُسَلِّمُونَ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَهْلُ الدَّرَجَةِ السُّفْلَىٰ يَصْعَدُونَ إِلَىٰ الأَعْلَيْنَ، تَقْصُرُ بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ**»[٣].

وقد ثبت في «الصحيح»: «**إِنَّ الجَنَّةَ مِائَةُ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**»[٤].

وقوله: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ قال البراء بن عازب: أي: قريبة، يتناولها أحدهم، وهو نائمٌ علىٰ سريره. وكذا قال غير واحدٍ.

قال الطبراني: [حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري][٥] عن عبد الرزاق، عن سفيان الثوري، عن عبد الرحمن بن زياد بن أَنْعُم، عن عطاء بن يسار، عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ أَحَدٌ إِلَّا بِجَوَازٍ: بِسْمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم هَذَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ[٦] لِفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، أَدْخِلُوهُ جَنَّةً عَالِيَةً، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ**»[٧].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١٨٩٧٢)، وفيه موسىٰ بن عبيدة: ضعيف، ومرسل أيضًا فإنه لم يسنده إلىٰ النَّبيِّ ﷺ.
(٢) البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨)، والنسائي، وابن ماجه (١٨٣)، وأحمد (٢/ ٧٤، ١٠٥).
(٣) ضعيف: رواه ابن أبي حاتم (١٨٩٧٤)، وفيه يحيىٰ بن أبي كثير: يرسل، وسعيد بن يوسف: ضعيف.
(٤) البخاري (٢٧٩٠).
(٥) سقط من (ز)، وهو مثبت في «الطبراني».
(٦) لوحة (١٤٠ أ).
(٧) ضعيف: في إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي: ضعيف، رواه الطبراني في «الكبير» (٦/ ٢٧٢)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٢٣٧)، ورمز له السيوطي بالضعف في «الجامع الصغير»، وأشار ابن عدي في «الكامل» (١/ ٥٦٠) أن إسحاق بن إبراهيم الدبري حدث عن عبد الرزاق بحديث منكر وساق هذا الحديث.

وكذا رواه الضياء في «صفة الجنة» من طريق سعدان بن سعيد عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النَّهْدي، عن سلمان، عن رسول الله ﷺ قال: «يُعْطَى الْمُؤْمِنُ جَوَازًا عَلَى الصِّرَاطِ: بِسْمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم هَذَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ لِفُلَانٍ، أَدْخِلُوهُ جَنَّةً عَالِيَةً، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ»(١).

وقوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ أي: يقال لهم ذلك؛ تفضلًا عليهم، وامتنانًا وإنعامًا وإحسانًا، وإلا فقد ثبت في «الصحيح»، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اعْمَلُوا وَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا(٢) وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يُدْخِلَهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ»(٣).

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٣٧)﴾

وهذا إخبارٌ عن حال الأشقياء إذا أُعْطِي [أحدُهُم](٤) كتابه في العَرَصاتِ بشِمَالِه، فحينئذٍ يندم غاية الندم، ﴿فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾.

قال الضَّحَّاكُ: يعني موتة لا حياة بعدها، وكذا قال محمَّد بن كعب، والربيع، والسُّدِّي.

وقال قتادة: تمنَّىٰ الموت، ولم يكن شيءٌ في الدنيا أَكْرَهَ إليه منه.

﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ أي: لم يدفع عنِّي مالي ولا جاهي عذابَ الله وبأسه، بل خَلَصَ الأمرُ إليَّ وحدي، فلا مُعِينَ لي ولا مُجِير، فعندها يقول الله ﷻ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾.

أي: يأمر الزَّبانية أن تأخذه عُنُفًا مِن المحشر، فَتَغُلَّه؛ أي: تضع الأغلال في عُنُقِه، ثم تُورده إلىٰ جهنَّم فتصليه إيَّاها؛ أي: تَغْمُرُهُ فيها.

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيدٍ الأشج، حدَّثنا أبو خالد، عن عمرو بن قيس، عن المِنْهَالِ ابن عمرو(٥) قال: إذا قال الله ﷻ: ﴿خُذُوهُ﴾ ابتدره سبعون ألف ملكٍ، إن الملك منهم ليقول(٦) هكذا، فيلقي سبعين ألفًا في النَّار.

---

(١) رواه الضياء في «صفة الجنة» (١/ ٤).

(٢) أي: اطلُبوا بأعمالكم السَّداد والاستقامةَ، وهو القَصْدُ في الأمر والعَدْلُ فيه. «النهاية».

(٣) مسلم (٢٥٧٣)، والترمذي (٣٠٣٨)، وأحمد (٢/ ٣٤٨)، وسعيد بن منصور (٦٩٤- تفسير).

(٤) سقط من (ز).

(٥) لوحة (١٤٠ ب).

(٦) يطلق القول في اللغة علىٰ جميع الأفعال.

وروىٰ ابن أبي الدنيا في «الأهوال»: أنَّه يبتدره أربعمائةِ ألف، ولا يبقىٰ شيءٌ إلا دَقَّهُ، فيقول: ما لي ولك؟ فيقول: إنَّ الرَّبَّ عليك غضبانُ، فكل شيءٍ غضبانُ عليك.

وقال الفضيل -هو ابن عياض-: إذا قال الرَّب ﷻ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ ابتدره سبعون ألف ملك، أيُّهم يجعل الغُلَّ في عنقه. ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي: اغمروه فيها.

وقوله: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ قال كعب الأحبار: كل حلقةٍ منها قدر حديد الدنيا.

وقال العَوفي عن ابن عبَّاس، وابن جريج: بذراع الملك. وقال ابن جريج، قال ابن عبَّاس: ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ تدخل في اسْتِهِ ثم تخرج من فِيهِ، ثم يُنْظَمون فيها كما ينظم الجراد في العود حين يشوىٰ.

وقال العوفي، عن ابن عبَّاس: يُسْلَك في دبره حتىٰ يخرج مِن مِنْخَرَيْه، حتىٰ لا يقوم علىٰ رجليه.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا علي بن إسحاق، أخبرنا عبد الله، أخبرنا سعيد بن يزيد، عن أبي السَّمْح، عن عيسىٰ بن هلال الصَّدَفي(١)، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ أَنَّ رَصَاصَةً(٢) مِثْلَ هَذِهِ** -وأشار إلىٰ مثل جُمْجُمةٍ- **أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الأَرْضِ، وَهِيَ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، لَبَلَغَتِ الأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ، وَلَوْ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السِّلْسِلَةِ، لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ قَعْرَهَا(٣) أَوْ أَصْلَهَا**»(٤).

وأخرجه التِّرمذي، عن سُوَيْدِ بن نصر(٥) عن عبد الله بن المبارك به، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ.

وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ أي: لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته، ولا ينفع خلقه ويُؤَدِّي حقَّهم؛ فإنَّ لله علىٰ العباد أن يُوَحِّدُوه ولا يُشْرِكوا به شيئًا، وللعبَاد بعضِهم علىٰ بعضٍ حقُّ الإحسان والمعاونة علىٰ البِرِّ والتَّقوىٰ؛ ولهذا أمر الله بإقام الصَّلاة وإيتاء الزكاة، وقُبِضَ النَّبيُّ ﷺ وهو يقول: «**الصَّلاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**»(٦).

وقوله: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ أي: ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله، لا حميم -وهو القريب- ولا شفيعٌ يُطَاع، ولا طعام له هاهنا إلا مِن غِسْلِين.

قال(٧) قتادة: هو شر طعام أهل النَّار. وقال الربيع، والضَّحَّاك: هو شجرة في جهنَّم.

---

(١) في (ز): (الصيدلي)، والمثبت هو الصواب.

(٢) أي: قطعة من الرصاص.

(٣) أي: نهاية السلسلة.

(٤) حسن: رواه أحمد (٢/ ١٩٧)، والترمذي (٢٥٩١)، وحسنه الترمذي.

(٥) في (ز): (سويد بن سعيد)، والمثبت هو الصواب.

(٦) رواه أحمد (٣/ ١١٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧٠٩٤)، وابن ماجه (٢٦٩٧).
وله شاهد من حديث علي رواه أبو داود (٥١٥٦)، وابن ماجه (٢٦٩٨)، وأحمد (١/ ٧٨).

(٧) لوحة (١٤١ أ).

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا منصور بن أبي مزاحم، حدَّثنا أبو سعيد المؤدب، عن خُصَيفٍ، عن مجاهد، عن ابن عبَّاس قال: ما أدري ما الغِسْلِين، ولكنِّي أظنُّه الزَّقوم[(١)].

وقال شَبِيبُ بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس قال: الغسلين: الدَّم والماء يَسِيلُ مِنْ لحومهم[(٢)]. وقال علي بن أبي طلحة عنه: الغسلين: صديدُ أهل النَّار[(٣)].

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾

يقول تعالىٰ مُقسمًا لخلقه بمَا يشاهدونه مِن آياته في مخلوقاته الدَّالَّة علىٰ كماله في أسمائه وصفاته، وما غاب عنهم ممَّا لا يُشَاهِدُونَه من المُغَيَّبات عنهم: إنَّ القرآن كلامُه ووَحْيُه وتنزيلُه علىٰ عبده ورسوله، الَّذي اصطفاه لتبليغ الرِّسالة وأداء الأمانة، فقال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يعني: محمَّدًا ﷺ، أضافه إليه علىٰ معنىٰ التَّبليغ؛ لأنَّ الرَّسول مِنْ شأنه أن يبلغ عن المرسِل؛ ولهذا أضافه في سورة التَّكوير إلىٰ الرَّسول المَلَكي: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ وهذا جبريل عليه السلام.

ثم قال: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ يعني: محمَّدًا ﷺ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ يعني: أنَّ محمَّدًا رأىٰ جبريل علىٰ صورته التي خلقه الله عليها، «وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِظَنِينٍ» أي: بمتهم ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [التكوير: ٢٥]، وهكذا قال هاهنا: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، فأضافه تارةً إلىٰ قول الرَّسول الملكي، وتارةً إلىٰ الرَّسول البشريِّ؛ لأنَّ كلًّا منهما مبلغ عَنِ الله ما استأمنه عليه مِن وحيه وكلامه؛ ولهذا قال: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا ابن المغيرة، حدَّثنا صفوان، حدَّثنا شُرَيحُ بن عبيد قال: قال عمر بن الخطاب: خرجت أتعرَّض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلىٰ المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب مِن تأليف القرآن، قال: فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش. قال: فقرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ قال[(٤)]: فقلت: كاهن. قال فقرأ: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾. إلىٰ آخر السورة. قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقعٍ[(٥)]. فهذا مِن جملة الأسباب التي جعلها الله تعالىٰ مُؤَثِّرةً في هداية عمر بن الخطاب، كما أوردنا كيفية إسلامه في سيرته المفردة، ولله الحمد.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١٨٩٧٨)، ورجاله ثقات عدا خصيف فإنه صدوق سيئ الحفظ اختلط بأخرة.
(٢) رواه ابن أبي حاتم (١٨٩٧٧). (٣) رواه الطبري (٢٩/ ٦٥).
(٤) لوحة (١٤١ ب). (٥) ضعيف: رواه أحمد (١/ ١٧)، وإسناده منقطع بين شريح وعمر.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)﴾

يقول تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾ أي: محمَّدٌ ﷺ لو كان كما يزعمون مفتريًا علينا، فزاد في الرسالة، أو نقص منها، أو قال شيئًا من عنده فنسبه إلينا، وليس كذلك، لعاجلناه بالعقوبة؛ ولهذا قال ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ قيل: معناه لانتقمنا منه باليمين؛ لأنَّها أشدُّ في البطش، وقيل: لأخذنا منه بيمينه.

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ قال ابن عبَّاس: وهو نِيَاطُ القلب، وهو العِرْقُ الذي القلب معلقٌ فيه، وكذا قال عكرمة، وسعيد بن جبير، والحَكَم، وقتادة، والضَّحَّاكُ، ومسلم البَطين، وأبو صخر حُميد بن زياد. وقال محمَّد بن كعب: هو القلب ومَرَاقُّه[1] وما يليه.

وقوله: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ أي: فما يقدر أحدٌ منكم علىٰ أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئًا مِن ذلك، والمعنىٰ في هذا بل هو صادقٌ بارٌّ راشدٌ؛ لأنَّ الله ﷻ مُقرِّرٌ له ما يبلغه عنه، ومُؤيِّدٌ له بالمعجزات الباهرات والدَّلالات القَاطعَات.

ثم قال: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يعني: القرآن كما قال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤].

ثم قال: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ أي: مع هذا البيان والوضوح، سيُوجَدُ منكم مَن يكذِّب بالقرآن.

ثم قال: ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ قال ابن جرير: وإنَّ التَّكذيبَ لحسرةٌ علىٰ الكافرين يوم القِيامَةِ وحكاه عن قتادة بمثله.

وروىٰ ابن أبي حاتم، من طريق السُّدِّي، عن أبي مالك: ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يقول: لندامةٌ. ويحتمل عود الضمير علىٰ القرآن؛ أي: وإن القرآن والإيمان به لحسرةٌ في نفس الأمر علىٰ الكافرين، كما قال: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠٠) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الشعراء: ٢٠٠، ٢٠١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤] ولهذا قال هاهنا: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ أي: الخبرُ الصِّدقُ الحقُّ الَّذي لا مِرْيَةَ فيه ولا شَكَّ ولا رَيْب.

ثمَّ قال: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أي: الَّذي أنزل هذا القرآن العظيم.

آخر تفسير سورة الحاقة ولله الحمد.

---

(١) المراق: ما سفل من البطن فما تحته من المواضع التي تَرِقُّ جلودها، واحدها: مَرَقٌّ.

سُورَةُ المَعَارِج

تفسير سورة ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ وهي مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ فيه تضمينٌ دلَّ عليه حرف «الباء»، كأنَّه مُقَدَّرٌ: استعجل سائل بعذاب واقع. كقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الحج:٤٧] أي: وعذابه واقعٌ لا محالة.

قال النسائي: حدَّثنا بِشْر بن خالد، [حدَّثنا][1] أبو أسامة، حدَّثنا سفيان، عن الأعمش، عن المِنْهَالِ بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ قال: النضر ابن الحارث بن كِلْدَةَ[2].

وقال العَوْفي، عن ابن عبَّاس: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ قال: ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقعٌ.

وقال ابن أبي نَجِيحٍ، عن مجاهد في قوله تعالىٰ: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ دعا داعٍ بعذابٍ واقعٍ يقع في الآخِرَةِ، قال: وهو قولهم: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وقال ابن زيد وغيره: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ أي: وادٍ في جهنَّم، يسيل يوم القيامة بالعذاب. وهذا القول ضعيف، بعيد عن المراد، والصحيح الأول لدلالة السياق عليه.

وقوله: ﴿وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: مُرصَدٌ مُعَدٌّ للكافرين.

وقال ابن عبَّاس: ﴿وَاقِعٍ﴾ جاءٍ ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ أي: لا دافع له إذا أراد الله كونه؛ ولهذا قال

---

(١) سقط من (ز)، والصواب إثباتها.

(٢) حسن: رواه النسائي في «تفسيره» (٢/ ٤٦٣)، وفي «الكبرىٰ» (١١٦٢٠)، وابن أبي حاتم (١٨٩٨٣)، والحاكم (٢/ ٥٠٢)، ولم يذكر ابن عبَّاس – وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٧٧) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن مردويه.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ قال الثوري، عن الأعمش، عن رجلٍ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ قال: ذو الدرجات[(١)].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ يعني: العلوّ[(٢)] والفواضل[(٣)].

وقال مجاهد: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ معارج السَّماء. وقال قتادة: ذي الفواضل والنِّعم.

وقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ قال عبد الرزاق، عن مَعْمَرٍ، عن قتادة: ﴿تَعْرُجُ﴾ تصعد.

وأمَّا الرُّوح فقال أبو صالح: هم خلقٌ مِن خلق الله، يشبهون النَّاس، وليسوا ناسًا.

قلت: ويحتمل أن يكون المراد به جبريل، ويكون من باب عطف الخاص علىٰ العام، ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم، فإنَّها إذا قُبِضَتْ يُصعد بها إلىٰ السماء، كما دل عليه حديث البراء. وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، من حديث المِنْهَالِ، عن زاذان، عن البراء مرفوعًا -الحديث بطوله في قبض الروح الطَّيِّبة- قال فيه: «**فَلَا يَزَالُ يُصْعَدُ بِهَا مِنْ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ**»[(٤)]. والله أعلم بصحَّته، فقد تُكلِّمَ في بعض رواته، ولكنَّه مشهورٌ، وله شاهدٌ في حديث أبي هريرة فيما تقدَّم مِنْ رواية الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه، من طريق ابن [أبي ذئب][(٥)]، عن محمَّد بن عمرو بن عطاء، عن سعيد بن يسار عنه، وهذا إسنادٌ رجاله علىٰ شرط الجماعة[(٦)]، وقد بسطنا لفظه عند قوله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وقوله: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فيه أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّ المراد بذلك مسافة ما بَيْنَ العرش العَظِيم إلىٰ أسفل السَّافلين، وهو قرار الأرض السَّابعة، وذلك مسيرة خمسين ألف سنة، هذا ارتفاع العرش عن المركز الذي في وسط الأرض السابعة، وذلك اتِّساع العرش مِن قُطرٍ [إلىٰ][(٧)] قُطرٍ مسيرة خمسين ألف سنةٍ، وأنَّه مِن ياقوتة حمرَاءَ، كما ذكره ابن أبي شيبة في كتاب «صفة العرش»[(٨)]، وقد قال ابن أبي حاتم عند هذه الآية:

حدَّثنا أحمد بن سلمة، حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا حَكَّامٌ، عن عُمَرَ بن معروف، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عبَّاس قوله: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: منتهىٰ أمره مِنْ

---

(١) رواه الطبري (٢٩/ ٧٠) وفيه رجل لم يسمَّ، وشيخ الطبري محمَّد بن حميد: حافظ ضعيف.
(٢) لوحة (١٤٢ ب). (٣) رواه الطبري (٢٩/ ٧٠).
(٤) تقدمت هذه الأحاديث انظر الآية (٢٧) من سورة إبراهيم.
(٥) في (ز): (ابن أبي الدنيا)، وهو خطأ.
(٦) تقدم، انظر الآية (٢٧) من سورة إبراهيم. (٧) سقط من (ز).
(٨) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٨٢) موقوفًا علىٰ سعد الطائي.

أسفل الأرضين إلىٰ منتهىٰ أمره مِنْ فوق السَّموات مقدار خمسين ألف سنة ويوم كان مقداره ألف سنة[١]. يعني بذلك: تَنزل الأمر من السَّماء إلىٰ الأرض، ومن الأرض إلىٰ السَّماء[٢] في يومٍ واحدٍ فذلك مقداره ألف سنة؛ لأنَّ ما بين السَّماء والأرض [مقدار][٣] مسيرة خمسمائة سنة.

وقد رواه ابن جرير عن ابن حميد، عن حَكَّام بن سَلْمٍ، عن عُمَرَ بن معروف، عن ليث، عن مجاهد قوله، لم يذكر ابن عبَّاس.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا علي بن محمَّد الطَّنافِسيّ، حدَّثنا [إسحاق][٤] بن منصور، حدَّثنا نوحُ المؤدِّب، عن عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عبَّاس قال: غَلِظُ كل أرض خمسُمِائة عام، وبين كل أرض إلىٰ أرض خمسمائة عام، فذلك سبعة آلاف عام، وغلظ كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء إلىٰ السماء خمسمائة عام، فذلك أربعةَ عَشَرَ ألفَ عام، وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستةٍ وثلاثين ألفَ عامٍ، فذلك قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٥].

القول الثاني: أنَّ المراد بذلك مدَّة بقاء الدُّنيا منذ خلق الله هذا العالم إلىٰ قيام السَّاعة، قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرْعَةَ، أخبرنا إبراهيم بن موسىٰ، أخبرنا ابن أبي زائدة، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: الدنيا عمرها خمسون ألف سنة. وذلك عمرها يوم سمَّاها الله تعالىٰ يوم، ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ قال: اليوم: الدنيا[٦].

وقال عبد الرزاق: أخبرنا مَعْمَرٌ، عن ابن أبي نَجِيحٍ، عن مجاهد، وعن الحكم بن أبان، عن عكرمة: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: الدنيا من أولها إلىٰ آخرها مقدارُ خمسين ألف سنة، لا يدري أحدٌ كم مضىٰ، ولا كم بقي إلا الله ﷻ[٧].

القول الثَّالث: أنَّه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة، وهو قول غريبٌ جدًّا. قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أحمد بن محمَّد بن يحيىٰ بن سعيد القطَّان، حدَّثنا بُهلول بن المورِّق، حدَّثنا موسىٰ بن عبيدة، أخبرني محمَّد بن كعب: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: هو يوم الفصل بين الدُّنيا والآخرة[٨].

---

(١) ضعيف: رواه ابن أبي حاتم (١٨٩٨٧)، وفيه ليث بن أبي سليم: صدوق أدخل في أحاديثه ما ليس منها ولم تتميز فترك. وعمر بن معروف: منكر الحديث، قاله ابن عدي، انظر: «ميزان الاعتدال» (٣/ ٢٢٤).

(٢) لوحة (١٤٣ أ).

(٣) سقط من (ز).

(٤) في (ز): (إبراهيم بن منصور)، والمثبت هو الصواب.

(٥) ضعيف جدًّا: رواه ابن أبي حاتم (١٨٩٨٨)، وفيه عبد الوهاب بن مجاهد: متروك الحديث.

(٦) موقوف علىٰ مجاهد، ولم يسنده إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، فلا يصح الاعتماد عليه، وغاية ما فيه أنه مرسل.

(٧) انظر التعليق السابق.

(٨) ضعيف: في إسناده موسىٰ بن عبيدة: ضعيف، والخبر من كلام محمَّد بن كعب لم يسنده إلىٰ النَّبيِّ ﷺ.

القول الرابع: أن المراد بذلك يوم القيامة، قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدَّثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن إسرائيل، عن سِمَاكٍ، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: يوم القيامة. وهذا إسنادٌ صحيحٌ[١]. ورواه الثوري[٢] عن سماك بن حرب، عن عكرمة ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يوم القيامة[٣]. وكذا قال الضَّحَّاكُ، وابن زيد. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: فهذا يوم القيامة، جعله الله تعالىٰ علىٰ الكافرين مقدار خمسين ألف سنة.

وقد وردت أحاديثُ في معنىٰ ذلك، قال الإمام أحمد: حدَّثنا الحسن بن موسىٰ، حدَّثنا ابن لَهِيعةَ، حدَّثنا دَرّاجٌ، عنِ أبي الهيثم، عن أبي سعيد قال: قيل لرسول الله ﷺ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ما أطول هذا اليومَ! فقال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ حَتَّىٰ يَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلِّيهَا فِي الدُّنْيَا**»[٤].

ورواه ابن جرير، عن يونس، عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن دراج به، إلا أن دَرَّاجًا وشيخه ضعيفان، والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا محمَّد بن جعفر، حدَّثنا شعبة، عن قتادة، عن أبي عمرو الغُدَاني قال: كنت عند أبي هُرَيرةَ فمَرَّ رجلٌ من بني عامر بن صَعْصَعَةَ، فقيل له: هذا أكثرُ عامريٍّ مالًا، فقال أبو هريرة: رُدُّوه إليَّ، فردوه، فقال: نبئت أنك ذو مالٍ كثيرٍ؟ فقال العامري: إي والله، إن لي لمائةً حُمْرًا ومائةً أدمًا، حتىٰ عدَّ مِن ألوان الإبل، وأفنان الرَّقيق، ورباط الخيل، فقال أبو هريرة: إيَّاك وأخفافَ الإبل وأظلافَ النَّعَمِ، يُرَدِّد ذلك عليه، حتىٰ جعل لونُ العامري يتغيَّر، فقال: ما ذاك يا أبا هُريرة؟ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ إِبِلٌ لا يُعْطِي حَقَّهَا فِي نَجْدَتِهَا وَرِسْلِهَا**» قلنا: يا رسول الله: ما نجدتُها ورِسْلُها؟ قال: «**فِي عُسْرِهَا وَيُسْرِهَا فَإِنَّهَا تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَغَذِّ**[٥] **مَا كَانَتْ وَأَكْثَرِهِ وَأَسْمَنِهِ وَآشَرِهِ**[٦]**، حَتَّىٰ يُبْطَحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، فَتَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا، فَإِذَا جَاوَزَتْهُ أُخْرَاهَا أُعِيدَتْ عَلَيْهِ أُولاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ النَّاسِ فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ، وَإِذَا كَانَتْ لَهُ بَقَرٌ لا يُعْطِي حَقَّهَا فِي نَجْدَتِهَا وَرِسْلِهَا، فَإِنَّهَا تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَغَذِّ مَا كَانَتْ وَأَكْثَرِهِ وَأَسْمَنِهِ وَآشَرِهِ ثُمَّ يُبْطَحُ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ فَتَطَؤُهُ كُلُّ ذَاتِ ظِلْفٍ بِظِلْفِهَا، وَتَنْطَحُهُ كُلُّ ذَاتِ قَرْنٍ بِقَرْنِهَا، إِذَا**

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١٨٩٨٩)، والطبري (٢٩/ ٧١)، ورجاله ثقات إلا أن روايةَ سماك عن عكرمة مضطربةٌ، ويشهد له رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس، رواه الطبري (٢٩/ ٧١). فهذا أصح الأقوال كما ذكر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) في (ز): (الترمذي)، والمثبت هو الصواب. (٣) لوحة (١٤٣ ب).

(٤) ضعيف: رواه أحمد (٣/ ٧٥)، والطبري (٢٩/ ٧٢)، وفيه ابن لهيعة: اختلط، ودراج: ضعيف الرواية عن أبي الهيثم.

(٥) أي: كأسرع وأنشط.

(٦) آشره: أي أبطره وأنشطه، ويُبْطَح: يلقىٰ علىٰ وجهه،وقاع قَرقر: مكان واسع مستوٍ.

جَاوَزَتْهُ أُخْرَاهَا أُعِيدَتْ عَلَيْهِ أُولاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّىٰ يُقْضَىٰ[١] بَيْنَ النَّاسِ فَيُرَىٰ سَبِيلُهُ. وَإِذَا كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ لا يُعْطِي حَقَّهَا فِي نَجْدَتِهَا وَرِسْلِهَا، فَإِنَّهَا تَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَغَذِّ مَا كَانَتْ وَأَسْمَنِهِ وَآشَرِهِ، حَتَّىٰ يُبْطَحَ لَهَا بقَاعٍ قَرْقَرٍ، فَتَطَؤُهُ كُلُّ ذَاتِ ظِلْفٍ بِظِلْفِهَا وَتَنْطَحُهُ كُلُّ ذَاتِ قَرْنٍ بِقَرْنِهَا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ[٢] وَلا عَضْبَاءُ، إِذَا جَاوَزَتْهُ أُخْرَاهَا أُعِيدَتْ عَلَيْهِ أُولاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ النَّاسِ، فَيُرَىٰ سَبِيلُهُ». قال العامري: وما حقُّ الإبل يا أبا هريرة؟ قال: أن تعطِي الكَرِيمة[٣]، وتمنح الغَزيرَة، وتُفقِرَ الظَّهر، وتَسقِيَ اللَّبن[٤]، وتُطرقَ الفحل.

وقد رواه أبو داود من حديث شعبة، والنسائي من حديث سعيد بن أبي عَرُوبَة، كلاهما عن قتادة به[٥].

طريق أخرىٰ لهذا الحديث: قال الإمام أحمد: حدَّثنا أبو كامل، حدثنا حماد، عن سُهَيل[٦] بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ لا يُؤَدِّي حَقَّهُ إِلَّا جُعِلَ صَفَائِحَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَتُكْوَىٰ بِهَا جَبْهَتُهُ وَجَنْبُهُ وَظَهْرُهُ، حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ، ثُمَّ يُرَىٰ سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَىٰ الجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَىٰ النَّارِ». وذكر بقية الحديث في الغنم والإبل كما تقدم، وفيه: «الخَيْلُ لثلاثةٍ؛ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَىٰ رَجُلٍ وِزْرٌ» إلىٰ آخره[٧].

ورواه مسلم في «صحيحه» بتمامه منفردًا به دون البخاري، من حديث سُهَيلٍ عن أبيه، عن أبي هُرَيرَةَ، وموضع استقصاء طرقه وألفاظه في كتاب الزكاة في «الأحكام»، والغرضُ من إيراده هاهنا قوله: «حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ».

وقد روىٰ ابن جرير عن يعقوب عن ابن عُلَيَّةَ[٨] وعبد الوهاب، عن أيوب، عن ابن أبي مُلَيْكَةَ قال: سأل رجلٌ ابن عبَّاس عن قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: فاتَّهمه، فقيل له فيه، فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ فقال: إنَّما سألتك لتحدِّثني، قال: هما يومان ذكرهما الله، الله أعلم بهما، وأكره أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم[٩].

وقوله: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ أي: اصبر يا محمَّد علىٰ تكذيب قومك لك، واستعجالهم العذاب استبعادًا لوقوعه، كقوله: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ

---

(١) لوحة (١٤٤ أ).

(٢) العقصاء: الملتوية القرنين، والعضباء: المكسورة القرن.

(٣) أي: العزيزة علىٰ صاحبها، والغزيرة: كثيرة اللبن، وأفقرَ البعيرَ: أعاره للركوب، وأطرق الفحل: أعاره للضِّراب.

(٤) في (ز): (الإبل)، والمثبت موافق لما في «المسند».

(٥) حسن: رواه أحمد (٢/ ٤٨٩)، ورواه النسائي (٥/ ١٢) وأبو داود (١٦٦٠) مختصرًا.

(٦) في (ز): (سهل)، وهو خطأ.

(٧) مسلم (٩٨٧)، وأحمد (٢/ ٢٦٢).

(٨) في (ز): (ابن عيينة)، وهو خطأ.

(٩) صحيح: رواه الطبري (٢٩/ ٧٢).

أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ [الشورى: ١٨] قال: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا﴾ أي: وقوع العذاب[1] وقيام السَّاعة يراه الكفرةُ بعيدَ الوقوع، بمعنىٰ مستحيل الوقوع، ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ أي: المؤمنون يعتقدون كونه قريبًا، وإن كان له أمدٌ لا يعلمه إلا الله ﷻ لكن كل ما هو آتٍ فهو قريبٌ وواقعٌ لا محالة.

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾

يقول تعالىٰ: العذابُ واقع بالكافرين ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ قال ابن عبَّاس، ومجاهد، وعطاء، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والسُّدِّي، وغير واحدٍ: كدرْدِيِّ الزيت، [﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ أي: كالصُّوف المنفوش، قاله مجاهد، وقتادة، والسُّدِّي. وهذه الآية كقوله تعالىٰ:][2] ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

وقوله: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي: لا يسأل القريب عن حاله، وهو يراه في أسوإِ الأحوال، فتشغله نفسه عن غيره.

قال العَوْفي عن ابن عبَّاس: يعرف بعضهم بعضًا، ويتعارفون بينهم، ثم يفر بعضهم من بعض.

بعد ذلك، يقول: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ وهذه الآية الكريمة كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ[3] ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [لقمان: ٣٣]. وكقوله: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فاطر: ١٨]. وكقوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]. وكقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧].

وقوله: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ﴾ أي: لا يقبل منه فداءٌ ولو جاء بأهل الأرض، وبأعزِّ ما يجدهُ مِن المال، ولو بملءِ الأرض ذهبًا، أو من وَلَدِهِ الَّذي كان في الدُّنيا حُشَاشة كبده، يود يومَ القِيَامَةِ إذا رأىٰ الأهوال أن يفتدي من عذاب الله به، ولا يقبل منه. قال مجاهد والسُّدِّي: ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ قبيلته وعشيرته. وقال عكرمة: فَخِذُهُ الَّذي هو منهم. وقال أشهب، عن مالك: ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ أمه.

وقوله: ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ يصف النَّار وشدَّة حرِّها ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ قال ابن عبَّاس، ومجاهد: جلدة الرأس. وقال العوفي[4]، عن ابن عبَّاس: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾: الجلود والهامُ. وقال مجاهد: ما دون

---

(١) لوحة (١٤٤ ب).
(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).
(٣) في (ز): (يا أيها الذين آمنوا)، وهو خطأ.
(٤) لوحة (١٤٥ أ).

العظم من اللَّحْمِ. وقال سعيد بن جبير: العَصَبُ. والعَقِبُ. وقال أبو صالح[١]: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ يعني: أطراف اليدين والرجلين. وقال أيضًا: نزَّاعة لحم السَّاقين. وقال الحسن البصري، وثابت البناني: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ أي: مكارم وجهه. وقال الحسن أيضًا: تحرق كل شيءٍ فيه، ويبقىٰ فؤاده يَصِيحُ. وقال قتادة: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ أي: نزَّاعةً لهامته ومكارِمِ وَجهِهِ وخَلْقِهِ وأطرافِهِ. وقال الضَّحَّاكُ: تبري اللحم والجلد عن العظم، حتىٰ لا تترك منه شيئًا. وقال ابن زيد: الشَّوىٰ: الآراب العظام[٢]. فقوله: نزاعةً، قال: تقطع عِظَامَهُم، [ثم يُجَدد خلقهم وتبدَّل جلودهم][٣].

وقوله: ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ أي: تدعو النَّار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها، وقدَّر لهم أنَّهم في الدَّار الدُّنيا يعملون عملها، فتدعوهم يوم القيامة بِلِسَانٍ طلقٍ ذَلِقٍ[٤]، ثم تلتقطهم مِن بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب. وذلك أنهم -كما قال الله عَزَّوَجَلَّ- كانوا ممن ﴿أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أي: كذَّب بقلبه، وترك العمل بجوَارِحِه ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ أي: جمع المال بعضه علىٰ بعضٍ فأوعاه؛ أي: أَوْكَاه ومنع حقَّ الله منه من الوَاجِب عليه في النَّفقات ومِن إخراج الزَّكاة. وقد ورد في الحديث: «وَلَا تُوعِي فَيُوعِيَ اللهُ عَلَيْكِ[٥]»[٦] وكان عبد الله بن عُكيم لا يربط له كيسًا ويقول: سمعت الله يقول: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾، وقال الحسن البصري: يا ابن آدم، سمعتَ وعيدَ الله ثم أوعيتَ الدنيا. وقال قتادة في قوله: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ قال: كان جَمُوعًا [قمومًا][٧][٨] للخبيث[٩].

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

---

(١) في (ز): (ابن صالح).
(٢) الآراب: الأعضاء، واحدها: إِرْب.
(٣) في (ز): (ثم تبدل جلودهم وخلقهم وتبدل جلودهم).
(٤) أي: فصيح بليغ.
(٥) أي: لا تَجْمَعِي وَتَشِحِّي بالنَّفقة فَيَشِحَّ عليكِ وتُجَازَيْ بِتَضْيِيقِ رِزْقِكِ. «النهاية».
(٦) البخاري (١٤٣٤)، ومسلم (١٠٢٩).
(٧) قَمَّ الشيء: كنسه، وقم ما علىٰ المائدة: أكله كله فلم يدع منه شيئًا، يريد: أن هذا الجموع لا يتحرىٰ الطيب من الكسب، بل يجمع المال من كل طريق، وبأي وجه.
(٨) بياض في (ز). (٩) في (ز): (الحديث).

يقول تعالىٰ مخبرًا عن(١) الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ ثم فسَّره بقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾ أي: إذا أصابه الضُّر فَزِع وجزع وانخلع قلبه من شدَّة الرُّعبِ، وأَيِسَ أَن يحصل له بعد ذلك خير.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ أي: إذا حصلت له نعمةٌ مِن الله بَخِلَ بها علىٰ غيره، ومنع حقَّ الله فيها. وقال الإمام أحمد: حدَّثنا أبو عبد الرحمن، حدَّثنا موسىٰ بن عُلَيِّ بنِ رَباح: سمعت أبي يحدث عن عبد العزيز بن مروان بن الحكم قال: سمعت أبا هُرَيرةَ يقول: قال رسول الله ﷺ: «شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ شُحٌّ هَالِعٌ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ»(٢) ورواه أبو داود عن عبد الله بن الجراح، عن أبي عبد الرحمن المقري به، وليس لعبد العزيز عنده [سواه](٣).

ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ أي: الإنسان من حيث هو متَّصِفٌ بصفات الذَّمِّ إلا من عصمه الله ووفقه، وهداه إلىٰ الخير ويَسَّرَ له أسبابه، وهم المصلون ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ قيل: معناه يُحَافِظُونَ علىٰ أوقاتهم وواجباتهم. قاله ابن مسعود، ومسروق، وإبراهيم النَّخعي.

وقيل: المراد بالدَّوام هاهنا السُّكون والخشوع، كقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]. قاله عتبة بن عامر، ومنه الماء الدَّائم؛ أي: السَّاكن الرَّاكد.

وقيل: المراد بذلك الَّذين إذا عملوا عملًا دَاوَمُوا عليه وأثبتوه، كما جاء في «الصحيح» عن عائشة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ». وفي لفظ: «مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ»(٤)، قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا عَمِل عملًا داوم عليه. وفي لفظ: أثبته(٥).

وقال قتادة في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ ذُكر لنا أن دانيال عليه السلام نعت أمة محمَّد ﷺ فقال: يصلون صلاةً لو صلاها قوم نوح ما غرقوا، أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الرِّيح العقيم، أو ثمود ما أخذتهم الصيحة، فعليكم بالصَّلاة فإنها خُلُق للمؤمنين حسن(٦).

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ أي: في أموالهم نصيبٌ مُقَرَّرٌ لذوي الحاجات، وقد تقدَّم الكلام علىٰ ذلك في «سورة الذاريات».

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ أي: يوقنون بالمَعَاد والحساب والجزاء، فهم يعملون عمل من(٧)

---

(١) لوحة (١٤٥ ب).

(٢) حسن: رواه أحمد (٢/ ٣٢٠)، وأبو داود (٢٥١١).

(٣) بياض في (ز).

(٤) البخاري (٤٣) (٥٨٦١)، ومسلم (٧٨٥).

(٥) البخاري (١٩٧٠)، ومسلم (٧٤٦).

(٦) مرسل: رواه الطبري (٢٩/ ٧٩) عن قتادة من قوله، وهذه الأخبار لابد من صحة ثبوتها إلىٰ النَّبيِّ ﷺ بالأسانيد المتصلة.

(٧) لوحة (١٤٦ أ).

يرجو الثَّواب ويخاف العقاب؛ ولهذا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ أي: خائفون وَجِلُونَ، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ أي: لا يأمنه أحدٌ ممَّن عقل عن الله أمره إلا بأمان منه تبارك وتعالىٰ.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ أي: يكفُّونها عن الحرام ويَمْنَعُونَها أن توضع في غير ما أذن الله فيه ولهذا قال: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ أي: من الإماء، ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ وقد تقدم تفسير هذه في أول سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ أي: إذا اؤتمنوا لم يخونوا، وإذا عاهدوا لم يغدِرُوا. وهذه صفات المؤمنين، وضدها صفات المنافقين، كما ورد في الحديث الصحيح[(١)]: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[(٢)]. وفي رواية: «إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[(٣)].

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ أي: محافظون عليها لا يَزِيدُون فيها، ولا ينقصون منها، ولا يكتمونها، ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ أي: علىٰ مواقيتِها وأركانها وواجباتها ومُسْتَحَبَّاتها، فافتتح الكلام بذكر الصَّلاة واختتمه بذكرها، فدلَّ علىٰ الاعتناء بها والتَّنويه بشرفها، كما تقدَّم في أول سورة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ سواء؛ ولهذا قال هناك: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١] وقال هاهنا: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ أي: مكرمون بأنواع الملاذِّ والمسارِّ.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ۝٣٦ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ۝٣٧ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۝٣٨ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ۝٣٩ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٤١ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٤٢ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝٤٣ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ۝٤٤﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ الكفَّار الَّذين كانوا[(٤)] في زمان النَّبيِّ ﷺ وهم مشاهدون له، ولما أرسله الله به من الهدىٰ وما أيَّده الله به[(٥)] من المُعْجِزَاتِ الباهرات، ثم هُمْ مع هذا كلِّه فَارُّون منه، متفرِّقون عنه، شاردُونَ يمينًا وشمالًا فِرَقًا فِرَقًا، وشِيعًا شِيعًا، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۝٤٩ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٤٩، ٥١] الآية وهذه مثلها؛ فإنَّه قال تعالىٰ: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ

(١) في (ز): (كما ورد به الحديث في الصحيح).
(٢) البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩)، والترمذي (٢٦٣٢)، والنسائي (٨/ ١١٧).
(٣) البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨)، والترمذي (٢٦٣٢)، والنسائي (٨/ ١١٦).
(٤) لوحة (١٤٦ ب). (٥) في (ز): (وأيده به).

﴿كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ أي: فما لهؤلاء الكفَّار الذين عندك يا محمَّد ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي مسرعين نَافِرِينَ منك، كما قال الحسن البصري: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي: منطلقين، ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ واحدها عزةٌ؛ أي: متفرقين، وهو حال من مهطعين؛ أي: في حال تفرقهم واختلافهم، كما قال الإمام أحمد في أهل الأهواء: فهم مخالفون للكتاب، مختلفون في الكتاب، متفقون علىٰ مخالفة الكتاب.

وقال العَوْفي، عن ابن عبَّاس: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ قال: قِبَلَكَ ينظرون، ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ قال: العِزِين: العُصَبُ من الناس، عن يمين وشمال معرضين يَسْتَهْزِئُون به.

وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن بشار. حدَّثنا أبو عامر، حدَّثنا قُرَّةُ، عن الحسن في قوله: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ متفرِّقين، يأخذون يمينًا وشمالًا يقولون: ما قال هذا الرجل؟.

وقال قتادة: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ عامدين، ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ أي: فِرَقًا حول النَّبيِّ ﷺ لا يرغبون في كتابِ الله، ولا في نَبِيِّه ﷺ.

وقال الثوري، وشعبة، وعيسىٰ بن يونس، وعَبْثَر بن القاسم، ومحمَّد بن فضيل، ووَكِيع، ويحيىٰ القطان، وأبو معاوية، كلُّهم عن الأعمش، عن المسيب بن رافع، عن تميم بن طَرَفَة، عن جابر بن سمرة؛ أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم حِلَق، فقال: «مَا لِي أَرَاكُمْ عِزِينَ؟»(١).

رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن جرير، من حديث الأعمش به.

وقال ابن جرير: حدَّثنا محمَّد بن بشار، حدَّثنا مُؤَمَّلٌ، حدَّثنا سفيان، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة: ﵁ أنَّ رسول الله ﷺ خرج علىٰ أصحابه وهم حِلَق حِلق، فقال: «مَا لِي أَرَاكُمْ عِزِينَ؟»(٢) وهذا إسنادٌ جيدٌ، ولم أره في شيءٍ(٣) من الكتب السِّتَّةِ من هذا الوجه.

وقوله: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ كَلَّآ﴾ أي: أيطمع هؤلاء -والحالة هذه- مِن فرارهم عن الرَّسول ﷺ ونِفَارهم عن الحَقِّ أن يدخلوا جنَّات النَّعيم؟ لا بل مأواهم نار الجحيم.

ثم قال تعالىٰ مقررًا لوقوع المَعَاد والعذاب بهم الذي أنكروا كونَهُ واستبعدوا وجوده، مستدلًّا عليهم بالبَدَاءة التي الإعادة أهون منها وهم معترفون بها، فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي: من المَنِيِّ الضعيف، كما قال: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠]. وقال: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ٥ - ١٠].

---

(١) مسلم (٤٣٠)، وأحمد (٥/ ٩٢)، وأبو داود (٤٨٢٣)، والنسائي (٦/ ٤٩٨)، ورواه الطبري (٢٩/ ٨٥) من حديث أبي هريرة.
(٢) حسن: رواه الطبري (٢٩/ ٨٥).
(٣) لوحة (١٤٧ أ).

ثم قال: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ أي: الذي خلق السموات والأرض، وجعل مشرقًا ومغربًا، وسخَّر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب في مغاربها. وتقدير الكلام: ليس الأمر كما يزعمون أن لا مَعَادَ ولا حساب، ولا بعثَ ولا نشور، بل كل ذلك واقعٌ وكائنٌ لا محالة؛ ولهذا أتىٰ بـ«لا» في ابتداء القسم ليدل علىٰ أن المُقْسَمَ عليه نفيٌ، وهو مضمون الكلام، وهو الرد علىٰ زعمهم الفاسدِ في نفي يوم القيامة، وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالىٰ ما هو أبلغ من إقامة القيامة، وهو خلق السموات والأرض، وتسخير ما فيهما من المخلوقات من الحيوانات والجمادات، وسائر صنوف الموجودات؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الأحقاف: ٣٣]. وقال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٨١ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨١، ٨٢]. وقال هاهنا: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ أي: يوم القيامة؛ أي: نعيدهم بأبدانٍ خيرٍ من هذه، فإن قدرته صالحةٌ لذلك، ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾ أي: بعاجزين. كما قال[1] تعالىٰ: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٣، ٤]. وقال تعالىٰ: ﴿نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦٠، ٦١].

واختار ابن جرير ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ[2]﴾ أي: أمة تطيعنا ولا تعصينا وجعلها كقوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨]. والمعنىٰ الأول أظهر لدلالة الآيات الأخر عليه، والله أعلم.

ثم قال تعالىٰ: ﴿فَذَرۡهُمۡ﴾ أي: يا محمد ﴿يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ﴾ أي: دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم، ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ أي: فسيعلمون غِبَّ ذلك ويذوقون وَبَاله ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ﴾ أي: يَقُومُون من القُبُورِ إذا دعاهُم الرَّبُّ تبارك وتعالىٰ لموقف الحساب، ينهضون سراعًا كأنَّهم إلىٰ نُصُبٍ يُوفِضُون.

قال ابن عبَّاس، ومجاهد، والضَّحَّاكُ: إلىٰ عَلَم يسعون. وقال أبو العالية، ويحيىٰ بن أبي كثير: إلىٰ غايةٍ يَسْعَوْن إليها.

وقد قرأ الجمهور: «نَصْب» بفتح النون وإسكان الصَّاد، وهو مصدر بمعنىٰ المنصوب. وقرأ

---

(١) لوحة (١٤٧ ب).
(٢) في (ز): (منكم)، وهو خطأ.

الحسن البصري: ﴿نُصُبٍ﴾ بضمِّ النُّون والصَّاد[١]، وهو الصنم؛ أي: كأنَّهم في إسراعهم إلىٰ الموقف كما كانوا في الدُّنيا يُهَرْوِلُون إلىٰ النُّصُبِ إذا عاينوه يوفضون، يَبْتَدِرُون، [أيُّهم][٢] يستلمُهُ[٣] أوَّل، وهذا مروي عن مجاهد، ويحيىٰ بن أبي كثير، ومسلمٌ البَطين وقتادة، والضَّحَّاك، والربيع بن أنس، وأبي صالح، وعاصم بن بَهْدَلَةَ، وابن زيد، وغيرهم.

وقوله: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أي: خاضعة ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي: في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾.

---

(١) متواترة: قَرَأَ (نُصُبٍ) ابْنُ عَامِرٍ وَحَفْصٌ، وَقَرَأَ (نَصَبٍ) الْحَسَنُ، وَقَرَأَ البَاقُونَ (نَصْبٍ).
(٢) سقط من (ز).
(٣) في (ز): (يستله).

سُورَةُ نُوحٍ

تفسير سورة نوح وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم[1] مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن نوح ﷺ أنَّه أرسله إلىٰ قومه آمرًا له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم، فإن تابوا وأنابوا رُفِعَ عنهم؛ ولهذا قال: ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: بيِّن النِّذارَة، ظاهر الأمر واضحه.

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ أي: اتركوا محارمه واجتنبوا مآثمه ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمركم به وأنهاكم عنه.

﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ أي: إذا فعلتم ما أمرتكم به وصَدَّقتُم ما أُرسِلْتُ به إليكم، غَفَرَ الله لكم ذنوبكم.

و«مِن» هاهنا قيل: إنَّها زائدة، ولكن القول بزيادتها في الإثبات قليل، ومنه قول بعض العرب: «قد كان مِن مطرٍ». وقيل: إنَّها بمعنىٰ «عَنْ» تقديره: يصفح لكم عن ذنوبكم واختاره[2] ابن جرير وقيل: إنَّها للتَّبعيض؛ أي: يغفر لكم الذُّنوبَ العِظَامَ الَّتِي وعدكم علىٰ ارتكابكم إيَّاها الانتقامَ.

﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يمد في أعماركم، ويدرأ عنكم العذاب الذي إن لم تنزجروا عمَّا نهاكم عنه أوقعه بكم.

وقد يستدل بهذه الآية من يقول: إن الطاعة والبر وصلة الرحم يزاد بها في العمر حقيقة؛ كما ورد به الحديث: «**صِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي العُمُرِ**»[3].

وقوله: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: بادروا بالطاعة قبل حلول النِّقمة، فإنَّه إذا أمر الله تعالىٰ بكونِ ذلك لا يُرَدُّ ولا يُمَانَعُ، فإنَّه العظيم الذي قهر كلَّ شيءٍ، العزيز الذي دانت لعِزَّتِهِ جميع المخلوقات.

---

(١) لوحة (١٤٨ أ). (٢) في (ز): (أجازه).

(٣) **صحيح**: وهو ثابت عن أبي أمامة، رواه الطبراني في «الكبير» (٨/ ٣١٢/ ٨٠١٤)، وله شواهد. انظر: «الصحيحة» للألباني (١٩٠٨).

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِيَ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ
لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي
دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ
غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا
۝١٢ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا
۝١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ(١) فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ
فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٢٠﴾

يُخْبِرُ تعالىٰ عن عبده ورسوله نوح عليه السلام أنَّه اشتكىٰ إلىٰ ربه عز وجل ما لَقِي مِن قومه، وما صبر عليهم في تلك المدَّة الطويلة التي هي ألف سنة إلا خمسين عامًا، وما بَيَّن لقومه ووَضَّح(٢) لهم ودعاهم إلىٰ الرُّشْدِ والسَّبيلِ الأقومِ، فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ أي: لَمْ أَترُكْ دعاءهم في ليلٍ ولا نهارٍ؛ امتثالًا لأمرك وابتغاء لطاعتك، ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِيَ إِلَّا فِرَارًا﴾ أي: كلَّما دعوتهم ليقْتَرِبُوا من الحقِّ فَرُّوا منهُ وحَادُوا عنه، ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ أي: سَدُّوا آذانهم لئلَا يسمعوا ما أَدْعُوهم إليه؛ كما أخبر تعالىٰ عن كفَّار قريش: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦].

﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ قال ابن جريج، عن ابن عبَّاس: تنكروا له لئلَّا يعرفهم. وقال سعيد بن جبير، والسُّدِّي: غطَّوا رءوسهم لئلَّا يسمعوا ما يقول.

﴿وَأَصَرُّوا﴾ أي: استمروا علىٰ ما هُم فيه من الشِّركِ والكُفْرِ العظيم الفظيع، ﴿وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ أي: واستنكفوا(٣) عن اتِّباع الحقِّ والانقياد له.

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ أي: جهرة بين النَّاس.

﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾ أي: كلامًا ظاهرًا بصوتٍ عالٍ، ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ أي: فيما بَيْني وبينهم، فنوَّع عليهم الدَّعوةَ لتكُون أنجع فيهم.

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ أي: ارجعوا إليه وارْجِعُوا عمَّا أنتم فيه وتوبوا إليه مِن قريبٍ، فإنَّه مَن تاب إليه تاب عليه، ولو كانت ذنوبه مهما كانت في الكفر والشِّرك؛ ولهذا قال: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ أي: متواصلة الأمطار؛ ولهذا

---

(١) لوحة (١٤٨ ب).

(٢) في (ز): (وما وضح). (٣) في (ز): (واستكبروا).

تستحب قراءة هذه السُّورة في صلاة الاستسقاء لأجل هذه الآية، وهكذا روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: أنَّه صَعِد المنبر ليستسقيَ، فلم يَزِدْ علىٰ الاستغفار، وقرأ الآيات في الاستغفار، ومنها هذه الآية ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ ثم قال: لقد طلبت الغيث بمجَادِيح السَّماء التي يُسْتَنزل بها المطر[1]، وقال ابن عبَّاس وغيره: يتبع بعضه بعضًا.

وقوله: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ[2] وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ أي: إذا تبتم إلىٰ الله واستغفرتموه وأطعتموه، كثَّر الرِّزقَ عليكم، وأسقاكم مِن بَركاتِ السَّماء، وأَنْبَت لكم مِن بركاتِ الأرض، وأنبت لكم الزَّرع، وَأَدَرَّ لكم الضَّرع، وأمدَّكم بأموالٍ وبنين؛ أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنَّات فيها أنواع الثِّمار، وخلَّلها بالأنهار الجارية بينها.

هذا مقام الدَّعوة بالتَّرغيب؛ ثم عدل بهم إلىٰ دعوتهم بالتَّرهيب فقال: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي: عَظَمَةً، قال ابن عبَّاس، ومجاهد، والضَّحَّاكُ، وقال ابن عبَّاس: لا تُعَظِّمُون الله حقَّ عَظَمَتِه؛ أي: لا تخافون مِن بأسِهِ ونِقْمَتِهِ.

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ قيل: معناه مِن نطفةٍ، ثم مِن علقةٍ، ثم مِن مضغةٍ. قاله ابن عبَّاس، وعكرمة، وقتادة، ويحيىٰ بن رافع، والسُّدِّي، وابن زيد.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ أي: واحدةً فوق واحدةٍ، وهل هذا يتلقىٰ من جهة السَّمع فقط؟ أو هي من الأمور المدركة بالحسِّ، مما علم من التَّسيير والكُسُوفات، فإن الكواكب السَّبعة السَّيَّارة يُكْسِف بعضها بعضًا، فأدناها القمر في السَّماء الدُّنيا وهو يكسف ما فوقه، وعُطَارد في الثَّانية، والزُّهْرة في الثَّالثة، والشَّمس في الرابعة، والمِرِّيخ في الخامسة، والمُشْتَرىٰ في السَّادسة، وزُحَل في السَّابعة. وأما بقيَّة الكواكب -وهي الثوابت- ففي فَلَكٍ ثامن يسمُّونه فَلَكَ الثَّوابت، والمتشرعون منهم يقولون: هو الكُرْسِي، والفلك التَّاسع، وهو الأطلس، والأثير عندهم الذي حَرَكَتُهُ علىٰ خلاف حركة سائر الأفلاك، [وذلك أن حركته مبدأ الحركات، وهي من المغرب إلىٰ المشرق؛ وسائر الأفلاك][3] عكسه من المشرق إلىٰ المغرب، ومعها يدور سائر الكواكب تبعًا، ولكن للسَّيَّارة حركة معاكسة لحركة أفلاكها، فإنَّها تسير من المغرب إلىٰ المشرق. وكلٌّ يقطع فلكه بحسبه، فالقمر يقطع فلكه في كل شهر مرة، والشَّمس في كلِّ سنةٍ مرَّة، وزُحَل في كلِّ ثلاثين سنة مرَّة، وذلك بحسب اتِّساع أفلاكها وإن كانت حركة الجميع في السُّرعة متناسبة، هذا ملخص ما يقولونه

---

(١) ضعيف: رواه الطبري (٢٩/ ٩٣)، وابن شَبَّة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٧٣٧)، وسعيد بن منصور في «سننه» (صـ١٩٥)، والبيهقي (٣/ ٣٥١/ ٣٥٢)، وابن أبي شيبة (٢/ ١١٩) والإسناد منقطع بين الشعبي وعمر ﷺ.

(٢) لوحة (١٤٩ أ).

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).

في هذا المقام، علىٰ اختلاف بينهم في مواضع كثيرة، لَسْنَا بصَدَد بيانها، وإنَّما المقصود أن الله سبحانه: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ أي: فاوت بينهما في الاستنارة فجعل كلًّا منهما أُنْمُوذجًا علىٰ حدةٍ، ليعرف اللَّيل والنَّهار بمطْلِع الشَّمس[1] ومَغِيبها، وقدَّر القمر منازل وبروجًا، وفاوت نوره، فتارةً يزداد حتىٰ يتناهىٰ ثم يشرع في النَّقْصِ حتىٰ يستسرَّ؛ ليدلَّ علىٰ مُضِيِّ الشُّهور والأعوام، كما قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:٥].

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ هذا اسم مصدرٍ، والإتيان به هاهنا أحسن، ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ أي: إذا مُتُّم ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ أي: يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم أوّل مَرَّةٍ.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ أي: بسطها ومهَّدها وقرَّرها وثبَّتها بالجبال الرَّاسيات الشُّم الشَّامخات.

﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ أي: خلقها لكم لتستقرُّوا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم، من نَوَاحِيها وأَرْجَائِها وأقطارها، وكلُّ هذا مما يُنبِّهُهم به نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ قدرة الله وعَظَمَتِه في خلق السَّموات والأرض، ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السَّماويَّة والأرضيَّة، فهو الخالق الرَّزاق، جعل السَّماء بناء، والأرض مهادًا، وأوسع علىٰ خلقه مِن رزقه، فهو الذي يجب أن يُعْبَدَ ويُوحَّدَ ولا يشرك به أحد؛ لأنَّه لا نظير له ولا عَدل له، ولا نِدَّ ولا كفءَ، ولا صاحبة ولا وَلَدَ، ولا وَزِيرَ ولا مشيرَ، بل هو العلي الكبير.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ۝٢١ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ۝٢٢ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ۝٢٤﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه أنهىٰ إليه، وهو العليم الذي لا يعزب عنه شيء، أنَّه مع البيان[2] المتقدِّم ذكره، والدَّعوة المتنوعة المشتملة علىٰ التَّرغيب تارةً والتَّرهيب أخرىٰ: أنَّهم عصوه وكذَّبوه وخالفوه، واتَّبعوا أبناء الدُّنيا ممن غفل عَن أمر الله، ومُتِّعَ بمال وأولاد، وهي في نفس الأمر استدراجٌ وإنظارٌ لا إكرام؛ ولهذا قال: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾ قُرِئ ﴿وَوَلَدُهُۥٓ﴾ بالضَّمِّ وبالفتح[3]، وكلاهما متقارب.

وقوله: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا﴾ قال مجاهد: ﴿كُبَّارًا﴾ أي: عظيمًا. وقال ابن زيد: ﴿كُبَّارًا﴾

---

(١) لوحة (١٤٩ ب).
(٢) في (ز): (المباين).
(٣) متواترة: قَرَأَ (وَوَلَدُهُ) نَافِعٌ وَأَبُو جَعْفَرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَعَاصِمٌ، وَقَرَأَ (وَوِلْدُهُ) الحَسَنِ، وَقَرَأَ البَاقُونَ (وَوُلْدُهُ).

أي: كبيرًا. والعرب تقول: أمرٌ عَجِيبٌ وعُجَابٌ وعُجَّابٌ، ورجل حُسَان، وحُسَّان: وجُمَال وجُمَّال، بالتَّخفيف[(١)] والتَّشديد، بمعنىٰ واحد.

والمعنىٰ في قوله: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾ أي: باتِّباعهم في تسويلهم لهم بأنَّهم علىٰ الحقِّ والهدىٰ، كما يقولون لهم يوم القيامة: ﴿بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗا﴾ [سبأ:٣٣] ولهذا قال هاهنا: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ٢٢ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ وهذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها مِن دون الله.

قال البخاري: حدَّثنا إبراهيم، حدَّثنا هشام، عن ابن جريج، وقال عطاء، عن ابن عبَّاس: صارتِ الأوثان الَّتِي كانت في قوم نوحٍ في العرب بعد، أمَّا وَدٌّ: فكانت لكلب بدَوْمة الجَنْدل؛ وأما سُوَاع: فكانت لهُذَيل، وأمَّا يَغُوث: فكانت لمُرادٍ، ثم لبني غُطيف بالجُرُف[(٢)] عند سبأ، أما يَعُوقُ: فكانت لهَمْدانَ، وأما نَسْرٌ: فكانت لحِمْيَر لآل ذي كَلاع[(٣)]، وهي[(٤)] أسماء رجال صالحين من قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ فلمَّا هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم أن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسمُّوها بأسمائهم ففعلوا، فلم تُعبَدْ حتَّىٰ إذا هلك أولئك وتَنَسَّخَ[(٥)] العلم عُبِدَتْ[(٦)].

وكذا رُوِي عن عكرمة، والضَّحَّاكِ، وقتادة، وابن إسحاق نحو هذا.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: [هذه أصنامٌ كانت][(٧)] تعبد في زمن نوح.

وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن حميد، حدَّثنا مهران، عن سفيان، عن موسىٰ، عن محمَّد بن قيس ﴿يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ قال: كانوا قومًا صالحين بين آدَمَ ونُوحٍ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلمَّا ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صَوَّرْنَاهُم كان أشوقَ لنا إلىٰ العبادة إذا ذكرناهم، فصَوَّرُوهُم، فلمَّا ماتوا وجاء آخرون دَبَّ إليهم إبليس، فقال: إنَّما كانوا يعبدونهم وبهم يُسْقَونَ المطر، فعبدوهم.

---

(١) لوحة (١٥٠ أ).

(٢) في (ز): (بالخوف).

(٣) قال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الرازيّ: في انتقالها عن قوم نوح إلىٰ العرب إشكال؛ لأن الدنيا قد خربت في زمان الطوفان، فكيف بقيت تلك الأصنام؟! وكيف انتقلت إلىٰ العرب. ولا يمكن أن يقال: إن نوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ وضعها في السفينة وأمسكها؛ لأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما جاء لنفيها وكسرها، فكيف يمكن أن يقال: إنه وضعها في السفينة سعيًا منه في حفظها؟! انتهىٰ كلامه.
ونحن نقول: إن جوابه بديهي، وهو أن انتقالها إلىٰ العرب بواسطة نقل أحوال قوم نوح وأبنائهم وعوائدهم، علىٰ ألسنة الرحّل والسُّمّار؛ لأن سيرة القرن المتقدم في العصر المتأخر وسنّة الخالف أن يؤرخ السالف، وجلي أن النفس أميل إلىٰ الجهل منها إلىٰ العلم، لاسيما إذ زين له المنكر بصفة تميل إليها، فتكون ألصق به، وهكذا كان بعد انقراض العلم وحَمَلَتِه، أنْ حدث ما حدث من عبادتها، كما أشارت إليه رواية ابن عباسٍ عند البخاري: «حتىٰ إذا هلك أولئك، وتَنَسَّخَ العلم، عبدت». وعجيب من الرازيّ أن لا يجد مخرجاً من سؤاله، وهو علىٰ طرف الثُّمَامِ.

(٤) في (ز): (ونسرا أسماء).

(٥) في (ز): (وتفسخ).

(٦) انظر: «صحيح البخاري» (٤٩٢٠).

(٧) في (ز): (كانت هذه أصنام).

وروىٰ الحافظ ابن عساكر في ترجمة شِيث عَلَيْهِ السَّلَامُ من طريق إسحاق بن بشر قال: وأخبرني جُويبر ومقاتل، عن الضَّحَّاكِ، عن ابن عبَّاس أنه قال: ولد لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أربعون ولدًا، عشرون غلامًا وعشرون جاريةً، فكان ممن عاش منهم: هابيل، وقابيل، وصالح، وعبد الرحمن -والذي كان سماه[١] عبد الحارث- ووَدٌّ، وكان وَدٌّ يقال له: «شيث»، ويقال له: «هبة الله» وكان إخوته قد سَوَّدوه، وولد له سُوَاع ويغوث ويعوق ونسر[٢].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا أبو عُمَرَ الدُّوريُّ، حدَّثني أبو إسماعيل المؤدّب، عن عبد الله بن مسلم[٣] بن هُرمز عن أبي حَزْرَة، عن عروة بن الزبير قال: اشتكىٰ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وعنده بنوه: وَد، ويَغوث، ويَعوق وسُواع، ونَسر -قال: وكان وَدٌّ أكبرهم وأبرَّهم به[٤].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أحمد بن منصور، حدَّثنا الحسن بن موسىٰ، حدَّثنا يعقوب، عن أبي المطهر قال: ذكروا عند أبي جعفر، وهو قائم يصلي يزيد بن المهلَّب[٥]، قال: فلما انفتل من صلاته قال: ذكرتم يزيدَ بن المهلب، أما إنَّه قُتِل في أوَّل أرضٍ عُبِدَ فيها غيرُ الله، قال: ثم ذكر [ودًّا- قال: وكان وَدٌّ][٦] رجلًا مسلمًا وكان محببًا في قومه، فلمَّا مات عسكروا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه، فلمَّا رأىٰ إبليس جَزَعهم عليه، تشبه في صورة إنسان، ثم قال: إنِّي أرىٰ جزعكم علىٰ هذا الرَّجل، فهل لكم أن أُصَوِّر لكم مثله، فيكونَ في ناديكم فتذكرونه؟ قالوا: نعم. فصور لهم مثله، قال: ووضعوه في ناديهم وجعلوا يذكرونه. فلمَّا رأىٰ ما بِهِم من ذكره قال: هل لكم أن أجعل في منزل كل واحدٍ منكم تمثالًا مثله، فيكون له في بيته فتذكرونه؟ قالوا: نعم، قال: فمثَّل لكل أهل بَيت تمثالًا مثله، فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به، قال: وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به، قال: وتَنَاسَلُوا ودَرَس أمر ذكرهم إيَّاه، حتىٰ اتَّخذوه إلهًا يعبدونه مِن دون الله أولاد أولادهم، فكان أوَّل ما عبد مِن غير الله: الصَّنم[٧] الَّذي سمَّوه وَدًّا[٨].

وقوله: ﴿وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗا﴾ يعني: الأصنام التي اتَّخذوها أضلُّوا بها خلقًا كثيرًا، فإنَّه استمرت

---

(١) في (ز): (الذين كان سماهم).

(٢) **ضعيف**: رواه ابن عساكر (٢٣/ ٢٧٢) وإسناده منقطع بين الضَّحَّاكِ وابن عبَّاس.

(٣) لوحة (١٥٠ ب).

(٤) **ضعيف**: رواه ابن أبي حاتم (١٨٩٩٦) من كلام عروة بن الزبير، ولم يسنده إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، وفي الإسناد عبد الله بن مسلم بن هرمز: ضعيف: وأبو حزرة قيس بن سالم: مقبول.

(٥) في (ز): (يصلي بين يدي المهلب).

(٦) سقط من (ز).

(٧) في (ز): (ود الصنم).

(٨) **ضعيف**: رواه ابن أبي حاتم (١٨٩٩٧) من كلام أبي جعفر لم يسنده إلىٰ النَّبيِّ ﷺ.

عبادتها في القُرُونِ إلىٰ زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم، وقد قال الخليل عليه السلام في دعائه: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥، ٣٦].

وقوله: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ دعاء منه علىٰ قومه لتمَرُّدِهم وكفرهم وعنادهم، كما دعا موسىٰ علىٰ فرعون وملئه في قوله: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨] وقد استجاب الله لكلٍّ من النَّبيِّين في قومه، وأغرق أُمَّته بتكذيبهم لما جاءهم به.

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ۝٢٥ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧ رَّبِّ[1] ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ۝٢٨﴾.

يقول تعالىٰ: ﴿مِمَّا خَطَايَاهُمْ﴾ وقرئ: ﴿خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ﴾[2] ﴿أُغْرِقُوا۟﴾ أي: من كثرة ذنوبهم وعُتُوِّهم وإِصْرَارِهم علىٰ كفرهم ومخالفتهم رسولهم ﴿أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ أي: نُقِلوا من تيار البحار إلىٰ حرارةِ النَّار، ﴿فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ أي: لم يكن لهم مُعينٌ ولا مُغيثٌ ولا مُجيرٌ ينقذهم من عذاب الله كقوله: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣].

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ أي: لا تترك علىٰ [وجه][3] الأرض منهم أحدًا ولا تُومُريًا[4][5] وهذه من صيغ تأكيد النفي.

قال الضَّحَّاكُ: ﴿دَيَّارًا﴾ واحدًا. وقال السُّدِّي: الدَّيَّارُ: الذي يسكن الدَّار.

فاستجاب الله له، فأهلك جميع مَن علىٰ وجه الأرض من الكافرين حتىٰ وَلَدَ نوح لصُلْبه الذي اعتزل عن أبيه، وقال: ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

وقال ابن أبي حاتم: قرئ[6] علىٰ يونس بن عبد الأعلىٰ، أخبرنا ابن وهب، أخبرني شَبيب بن سعيد، عن أبي الجوزاء، عن ابن عبَّاس قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَوْ رَحِمَ اللهُ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ أَحَدًا، لَرَحِمَ امْرَأَةً، لَمَّا رَأَتِ المَاءَ حَمَلَتْ وَلَدَهَا ثُمَّ صَعِدَتِ الجَبَلَ، فَلَمَّا بَلَغَهَا المَاءُ صَعِدَتْ بِهِ مَنْكِبَهَا، فَلَمَّا بَلَغَ المَاءُ مَنْكِبَهَا وَضَعَتْ وَلَدَهَا عَلَىٰ رَأْسِهَا، فَلَمَّا بَلَغَ المَاءُ رَأْسَهَا رَفَعَتْ وَلَدَهَا بِيَدِهَا. فَلَوْ**

---

(١) لوحة (١٥١ أ).

(٢) متواترة: قرأ (خَطَايَاهُمْ) أبو عمرو، وقرأ الباقون (خَطِيئَاتِهِمْ).

(٣) ليست في (ز).

(٤) في (ز): (دومريًا).

(٥) أي: ما بها أحد.

(٦) في (ز): (لما قرئ).

رَحِمَ اللهُ مِنْهُمْ أَحَدًا لَرَحِمَ هَذِهِ المَرْأَةَ»(١).

هذا حديثٌ غريبٌ، ورجاله ثقات. ونجَّىٰ الله أصحاب السَّفينة الذين آمنوا مع نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وهم الَّذِين أمره الله بحَمْلِهِم معه.

وقوله: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ أي: إنَّك إن أبقيتَ منهم أحدًا أضلُّوا عبادك؛ أي: الَّذِين تخلقهم بعدهم ﴿وَلَا يَلِدُوٓا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ أي: فاجرًا في الأعمال كافر القلب، وذلك لخبرَتِهِ بهم ومُكْثِه بين أظهرهم ألف سنةٍ إلَّا خمسين عامًا.

ثم قال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾ قال الضَّحَّاكُ: يعني: مسجدي، ولا مانع من حمل الآية علىٰ ظاهرها، وهو أنَّه دعا لكلِّ مَن دخل منزله وهو مُؤْمِنٌ، وقد قال الإمام أحمد: حدَّثنا أبو عبد الرحمن، حدَّثنا حَيْوَةُ، أنبأنا سالم بن غَيْلان: أنَّ الوليد بن قيس التُّجِيبِيّ أخبره: أنه سمع أبا سعيد الخدري -أو: عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد- أنه سمع رسول الله ﷺ(٢) يقول: «لَا تَصْحَبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ»(٣).

ورواه أبو داود والترمذي، من حديث عبد الله بن المبارك، عن حيوة بن شريح به، ثم قال التِّرمذي: إنما نعرفه من هذا الوجه.

وقوله: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات، وذلك يَعُمُّ الأحياءَ منهم والأموات؛ ولهذا يستحبُّ مثل هذا الدُّعاء، اقتداء بنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وبما جاء في الآثار، والأدعية [المشهورة](٤) المشروعة.

وقوله: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ قال السُّدِّي: إلا هلاكًا. وقال مجاهد: إلا خسارًا؛ أي: في الدنيا والآخرة.

آخر تفسير سورة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ولله الحمد والمنة.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١٨٩٩٨)، وفيه انقطاع، وفيه شبيب بن سعيد، قال ابن عدي: حدث عنه ابن وهب بالمناكير، ووثقه ابن المديني وابن حبان، وقال أبو زرعة، وابن حبان: لا بأس به، وقال النسائي: ليس به بأس، وبالجملة فحديثه مستقيم، ولكن الراوي عنه ابن وهب، وهو روىٰ عنه المناكير كما قال ابن عدي، فليحرر كلامه هل المقصود بالمناكير: الأفراد، أم الأحاديث المنكرة، وأيًّا كان، فالحديث ضعيف، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ١٢٩): وأحرىٰ بهذا الحديث أن يكون موقوفًا متلقىٰ عن مثل كعب الأحبار -يعني من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب-، وله شاهد من حديث عائشة، رواه الطبراني في «الأوسط» (٣٥٩١)، والحاكم (٢/ ٣٤٢)، وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: إسناده مظلم، فلا ينوي به الأثر. فهو ضعيف مرفوعًا وموقوفًا، والله أعلم.

(٢) لوحة (١٥١ ب).

(٣) حسن: رواه أحمد (٣/ ٣٨)، وأبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥) وابن حبان (٥٥٤).

(٤) ليست في (ز).

سُورَةُ الجِنّ

تفسير سورة الجن وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا(١) ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسولهﷺ أن يُخْبِرَ قومه: أن الجنَّ استمعوا القرآن فآمَنُوا به وصَدَّقُوه وانقادوا له، فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ أي: إلىٰ السَّدادِ والنَّجاح، ﴿فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ وهذا المقام شبيه بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الأحقاف: ٢٩] وقد قدمنا الأحاديث الواردة في ذلك بما أَغْنَىٰ عن إعادتها هاهنا.

وقوله: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس في قوله تعالىٰ: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي: فعله وأمره وقدرته.

وقال الضَّحَّاكُ، عن ابن عبَّاس: جَدُّ الله: آلاؤه وقدرته ونعمته علىٰ خلقه.

وروي عن مجاهد وعكرمة: جلال ربنا. وقال قتادة: تعالىٰ جلاله وعظمته وأمره. وقال السُّدِّي: تعالىٰ أَمْرُ رَبِّنا. وعن أبي الدرداء، ومجاهد أيضًا وابن جريج: تَعَالَىٰ ذِكْرُه. وقال سعيد بن جبير: ﴿تَعَالَىٰ(٢) جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي: تعالىٰ ربنا.

فأما ما رواه ابن أبي حاتم: حدَّثنا محمَّد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، حدَّثنا سفيان، عن عمرو، عن(٣) عطاء، عن ابن عبَّاس قال: الجَدُّ: أب. ولو علمت الجنُّ أنَّ في الإنس(٤) جَدًّا ما قالوا: تعالىٰ جَدُّ رَبِّنَا.

---

(١) قال القاسمي رحمه الله: وفي الآية تأويلٌ غريبٌ، نقله الرازيّ وهو أن المراد كان رجال من الإنس يعوذون برجالٍ من الإنس أيضـًا، لكن من شر الجن، مثل أن يقول الرجل: أعوذ برسول الله من شر جن هذا الوادي. وأصحاب هذا التأويل، إنما ذهبوا إليه؛ لأن الرجل اسم الإنس لا اسم الجن. وهذا ضعيف؛ فإنه لم يقم دليل علىٰ أن الذَّكَر من الجن لا يسمىٰ رجلًا. انتهىٰ.

(٢) لوحة (١٥٢ أ).

(٣) في (ز): (عمرو بن عطاء)، وهو خطأ.

(٤) في (ز): (في الأرض).

فهذا إسنادٌ جيِّدٌ، ولكن لست أفهم ما معنىٰ هذا الكلام؛ ولعلَّه قد سقط شيء، والله أعلم[(١)].

وقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ أي: تعالىٰ عن اتِّخاذ الصاحبة والأولاد؛ أي: قالت الجنُّ: تنزَّه الرَّبُّ تعالىٰ جلاله وعظمته، حين أسلموا وآمنوا بالقُرْآنِ، عن اتِّخاذ الصَّاحبة والولد.

ثم قالوا: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة، والسُّدِّي: ﴿سَفِيهُنَا﴾ يعنون: إبليس، ﴿شَطَطًا﴾ قال السُّدِّي، عن أبي[(٢)] مالك: ﴿شَطَطًا﴾ أي: جورًا. وقال ابن زيد: ظلمًا كبيرًا[(٣)].

ويحتمل أن يكون المراد بقولهم: ﴿سَفِيهُنَا﴾ اسم جنس لكل مَن زعم أنَّ لله صاحبةً أو ولدًا. ولهذا قالوا: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ أي: قبل إسلامه ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ أي: باطلًا وزورًا؛ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: ما حسبنا أنَّ الإنس والجنَّ يتمالئون علىٰ الكذب علىٰ الله في نِسبَة الصَّاحبة والولد إليه، فلمَّا سَمِعْنَا هذا القرآن وآمنَّا به، عَلِمْنَا أنَّهم كانوا يكذِبُون علىٰ الله في ذلك.

وقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: كنَّا نرىٰ أنَّ لنا فضلًا علىٰ الإنس؛ لأنَّهم كانوا يعوذون بنا؛ أي: إذا نزلوا واديًا أو مكانًا موحشًا من البراري وغيرها كما كان عادة العرب في جاهليتها، يعوذُونَ بعظيم ذلك المكان من الجانِّ، أن يصيبهم بشيءٍ يسوءُهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبيرٍ وذِمَامِهِ وخِفَارَتِه، فلمَّا رأت الجنُّ أنَّ الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم، ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: خوفًا وإرهابًا وذعرًا، حتىٰ [بَقُوا][(٤)] أشد منهم مخافةً وأكثر تعوُّذًا بهم، كما قال قتادة: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: إثمًا، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءةً.

وقال الثوري، عن منصور عن إبراهيم: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: ازدادت الجنُّ عليهم جرأةً.

وقال السُّدِّي: كان الرَّجل يخرج بأهله فيأتي الأرضَ فينزلها فيقول: أعوذ بسَيِّدِ هذا الوادي من الجنِّ أن أضَرَّ أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي، قال: فإذا عاذ بهم من دون الله، رَهقَتهم الجنُّ الأذىٰ عند ذلك.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو[(٥)] سعيد بن يحيىٰ[(٦)] بن سعيد القطَّان، حدَّثنا وهب بن جرير، حدَّثنا أبي، حدَّثنا الزُّبير بن الخِرِّيت[(٧)]، عن عكرمة قال: كان الجنُّ يَفْرَقُون من الإنس كما يفرَق

---

(١) قال الدكتور حكمت بشير ياسين حفظه الله في تعليقه علىٰ هذا الموضع (أرىٰ أنه لم يسقط شيء من التفسير، وأن هذا التفسير من ابن عباس عنى بذلك: الجد الذي هو أبو الأب. وهو من جهلة الجن كما ذكر الطبري عن بعض المفسرين. ولكن هذا التفسير الوارد عن ابن عباس خلاف ما ثبت عنه من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: فعله وأمره وقدرته. وهو المناسب للسياق وبه قال بعض التابعين كما تقدم وهو الذي رجحه الطبري) اهـ (٧/ ٣٩٣-٣٩٤).

(٢) في (ز): (عن ابن مالك). (٣) في (ز): (كثيرًا). (٤) في (ز): (تبقوا).

(٥) لوحة (١٥٢ ب). (٦) في (ز): (أبو سعيد بن يحيىٰ)، والمثبت هو الصواب.

(٧) في (ز): (الزبير بن حرب)، والمثبت هو الصواب، وهو موافق لما في «ابن أبي حاتم».

الإنس منهم أو أشد، وكان الإنس إذا نزلوا واديًا هرب الجنُّ، فيقول سيِّد القوم: نعوذ بسيِّد[١] أهل هذا الوادي، فقال الجن: نراهم يفرقون منَّا كما نفرق منهم، فدنوا مِن الإنس فأصابوهم بالخَبَلِ والجُنُونِ، فذلك قول الله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

وقال أبو العالية، والربيع، وزيد بن أسلم: ﴿رَهَقًا﴾ أي: خوفًا. وقال العَوْفي، عن ابن عبَّاس: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: إثمًا. وكذا قال قتادة. وقال مجاهد: زاد الكفَّار طغيانًا.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا فَرْوة بن المَغْراء[٢] الكِنْدي، حدَّثنا القاسم بن مالك -يعني المزني- عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن أبيه، عن كَردم بن أبي السائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي من المدينة في حاجة، وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكَّة، فآوانا المبيت إلىٰ راعي غَنَم. فلمَّا انتصف اللَّيل جاء ذئبٌ فأخذ حَمَلًا من الغَنَم، فوثب الرَّاعي فقال: يا عامر الوَادِي، جارك، فنادىٰ منادٍ لا نراه، يقول: يا سِرْحان[٣]، أرسله. فأتىٰ الحملَ يشتد[٤] حتىٰ دخل في الغنم لم تصبه كدمةٌ، وأنزل الله تعالىٰ علىٰ رسوله بمكة ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[٥]. ثم قال: ورُوي عن عبيد بن عمير، ومجاهد، وأبي العالية، والحسن، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النَّخَعي نحوه.

وقد يكون هذا الذِّئب الذي أخذ الحَمَل -وهو ولد الشاة- كان جنِّيًا حتىٰ يرهب الإنسي ويخاف منه، ثم رَدَّه عليه لما استجار به؛ ليضلَّه ويهينه، ويخرجه عَن دينه، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ أي: لن يبعث الله بعد هذه المدَّة رسولًا، قاله الكَلْبي، وابن جرير.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾

يخبر تعالىٰ عن الجن حين بعث الله رسوله محمَّدًا ﷺ وأنزل عليه القرآن، وكان مِن حفظه له أنَّ السَّماء مُلِئَتْ حرسًا شديدًا، وحفظت من[٦] سائر أرجائها، وطردت الشَّياطين عن مقاعدها الَّتي كانت تقعد فيها قبل ذلك؛ لئلَّا يسترقُوا شيئًا من القرآن؛ فيلقوه علىٰ ألسنة الكهنة، فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرىٰ من الصَّادق، وكان هذا مِن لطف الله بخلقه ورحمته بعباده، وحفظه لكتابه العزيز، ولهذا قال

---

(١) في (ز): (نعوذ بأهل هذا)، والمثبت كما عند «ابن أبي حاتم». (٢) في (ز): (فروة بن أبي العبا الكندي).
(٣) السِّرْحان: الذئب، وقيل: الأسد. (٤) أي: يسرع.
(٥) ضعيف: رواه أبو الشيخ في «العظمة» (١١٠٥)، والطبراني في الكبير (١/ ١٠١)، والبغوي (٨/ ٢٣٩)، وأبو نُعَيم في معرفة الصحابة (٥/ ٢٤٠٧)، وأبو إسحاق بن الحارث، قال ابن حبان: منكر الحديث فلا أدري التخليط في حديثه منه أو من ابنه، انظر المجروحين (١/ ١٣٣).
(٦) لوحة (١٥٣ أ).

الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [أي: مَن يروم أن يسترق السَّمع اليوم يجد له شهابًا مرصدًا](١) له، لا يتخطاه ولا يتعدَّاه، بل يمحقه ويهلكه، ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ أي: ما ندري هذا الأمر الذي قد حدث في السَّماء، لا ندري أشرٌّ أُريد بمَن في الأرض، أم أراد بهم ربهم رشدًا؟ وهذا مِن أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشَّرَّ إلىٰ غير فاعلٍ، والخير أضافوه إلىٰ الله ﷻ.

وقد ورد في «الصحيح»: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»(٢). وقد كانت الكواكب يُرمَىٰ بها قبل ذلك، ولكن ليس بكثيرٍ بل في الأحيان بعد الأحيان، كما في حديث ابن عبَّاس(٣) بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذا رُمِي بنجم فاستنار، فقال: «مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» فقلنا: كنا نقول: يولد عظيم، يموت عظيم، فقال: «لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ اللهَ إِذَا قَضَىٰ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ»، وذكر تمام الحديث(٤).

وقد أوردناه في سورة «سبأ» بتمامه وهذا هو السبب الذي حملهم علىٰ تطلب السبب في ذلك، فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فوجدوا رسول الله ﷺ يقرأ بأصحابه في الصلاة، فعرفوا أنَّ هذا هو الذي حفظت من أجله السَّماء، فآمَن مَن آمَن منهم، وتمرَّد في طغيانه من بَقِيَ، كما تقدم حديث ابن عبَّاس في ذلك، عند قوله في سورة «الأحقاف»: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ الآية [الأحقاف:٢٩](٥). ولا شك أنَّه لما حدث هذا الأمر وهو كثرة الشُّهب في السَّماء والرمي بها، هال ذلك الإنس والجنَّ وانزعجوا له وارتاعوا لذلك، وظنُّوا أن ذلك لخراب العالم كما قال السُّدِّي: لم تكن السَّماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبيٌّ أو دين لله ظاهرٌ، وكانت الشَّياطين قبل محمَّد ﷺ قد اتَّخذت المقاعد في السَّماء الدُّنيا، يستمعون ما يحدث في السَّماء مِن أمر، فلما بعث الله محمَّدًا نبيًّا، رُجموا ليلةً من اللَّيالي، ففزع لذلك أهل الطائف، فقالوا(٦): هلك أهل السَّماء، لما رأوا من شدَّة النَّار في السَّماء واختلاف الشُّهب، فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويُسَيِّبون مواشيهم، فقال لهم عبد ياليل بن عمرو بن عمير: ويحكم يا معشر أهل الطائف، أمسكوا عن أموالكم، وانظروا إلىٰ معالم النُّجوم فإن رأيتموها مُسْتَقِرَّةً في أمكنتها فلم يهلك أهل السَّماء، إنَّما هذا مِن أجل ابن أبي كبشة -يعني: محمَّدًا ﷺ- وإن أنتم لم تروها فقد هلك أهل السَّماء، فنظروا فرأوها، فكفُّوا عن أموالهم. وفزعت الشَّياطين في تلك اللَّيلة، فأتوا إبليس فحدَّثوه بالَّذي كان مِن أمرهم، فقال: ائتوني مِن كلِّ أرضٍ بقبضةٍ مِن ترابٍ أشمُّها، فأتوه فَشَمَّ فقال: صاحبكم بمكَّة، فبعث سبعة نفر مِن جنِّ نَصِيبين، فقَدِمُوا مكَّة فوجدوا رسول الله ﷺ قائمًا يصلِّي في المسجد الحرام يقرأ القرآن، فدنوا منه حرصًا علىٰ

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (ز). (٢) مسلم (٧٧١).

(٣) في (ز): (العباس). (٤) مسلم (٢٢٢٩)، وأحمد (١/ ٢١٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٢٧٢).

(٥) رواه الترمذي (٢٣٢٤)، وأحمد (١/ ٢٧٤)، وله شواهد. انظر الآية (٢٦) من سورة الأحقاف.

(٦) لوحة (١٥٣ ب).

القرآن حتىٰ كادت كَلاكِلُهم[1] تصيبه، ثمَّ أسلموا، فأنزل الله تعالىٰ أمرهم علىٰ نبيه ﷺ[2]، وقد ذكرنا هذا الفصل مستقصيًا في أول البعث من كتاب السيرة المطوَّل، والله أعلم، ولله الحمد والمنَّة.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾

يقول مخبرًا عن الجنِّ: أنَّهم قالوا مخبرين عن أَنْفُسِهِم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [أي: غير ذلك،][3] ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ أي: طرائق متعدِّدة مختلفة وآراء متفرقة.

قال ابن عبَّاس، ومجاهد وغير واحدٍ: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ أي: منَّا المؤمن ومنَّا الكافر.

وقال أحمد بن سليمان النَّجَّاد في «أماليه»، حدَّثنا أسلم بن سهل بَحْشَل، حدَّثنا علي بن الحسن بن سليمان -هو أبو الشَّعْثاء الحَضْرَمي، شيخ مسلم- حدَّثنا أبو معاوية قال: سمعتُ الأعمش يقول: تَرَوَّح إلينا جِنِّيٌّ، فقلت له: ما أحبُّ الطَّعام إليكم؟ فقال: الأرز، قال: فأتيناهم به، فجعلت أرىٰ اللُّقم ترفع ولا أرىٰ أحدًا، فقلت: فيكم مِن هذه الأهواء[4] التي فينا؟ قال: نعم، قلت: فما الرَّافضة فيكم؟ قال شرُّنا. عرضت هذا الإسناد علىٰ شيخنا الحافظ أبي الحَجَّاج المِزِّي فقال: هذا إسنادٌ صحيحٌ إلىٰ الأعمش.

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة العبَّاس بن أحمد الدمشقي قال: سمعتُ بعضَ الجِنّ وأنا[5] في منزل لي بالليل ينشد:

قُلُـوبٌ بَرَاهَـا الحُـبُّ حَتَّـىٰ تَعَلَّقَـتْ   مَـذَاهِبُهَا فِـي كُـلِّ غَـرْبٍ وَشَـارِقِ
تَهِـيمُ بِحُـبِّ اللهِ، وَاللهُ رَبُّهَـا   مُعَلَّقَـةٌ بِـاللهِ دُونَ الخَلَائِـقِ

وقوله: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ أي: نعلم أنَّ قدرة الله حاكمةٌ علينا وأنَّا لا نُعْجِزُهُ في الأرض، ولو أمعنَّا في الهرب، فإنَّه علينا قادرٌ لا يعجزه أحدٌ منَّا.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ يفتخرون بذلك، وهو مَفْخَرٌ لهم، وشرفٌ رفيعٌ، وصفةٌ حسنةٌ.

وقولهم: ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ قال ابن عبَّاس، وقتادة، وغيرهما: فلا يخاف أن

---

(١) أي: صدورهم. (٢) مرسل. (٣) سقط من (ز).
(٤) لوحة (١٥٤ أ). (٥) في (ز): (زارنا في).

يُنقص مِن حسناته أو يحمل عليه غير[1] سيِّئاتِه، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢].

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ أي: منَّا المسلم ومنَّا القاسط، وهو: الجائر عن الحق النَّاكب عنه، بخلاف المُقسِطِ فإنَّه العادل، ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ أي: طلبوا[2] لأنفسهم النَّجاةَ، ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ أي: وقودًا تُسعَّرُ بهم.

وقوله: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ اختلف المفسِّرون في معنىٰ هذا علىٰ قولين: أحدهما: وأن لو استقام القاسطون علىٰ طريقة الإسلام، وعدلوا إليها واستمروا عليها، ﴿لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ أي: كثيرًا، والمراد بذلك سِعَة الرزق، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦] وكقوله:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] وعلىٰ هذا يكون معنىٰ قوله: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: لنختبرهم، كما قال مالك، عن زيد بن أسلم: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ﴾ لنبتَلِيَهُم مَن يستمرُّ علىٰ الهداية ممن يرتدُّ إلىٰ الغِوَايَةِ؟.

ذكر من قال بهذا القول: قال العوْفي، عن ابن عبَّاس: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ يعني بالاستقامة: الطاعة. وقال مجاهد: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ قال: الإسلام. وكذا قال سعيد بن جبير، وسعيد[3] بن المسيب، وعطاء، والسُّدِّي، ومحمَّد بن كعب القُرَظي.

وقال قتادة: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ يقول: لو آمنوا كلُّهم لأوْسعْنَا عليهم من الدُّنيا.

وقال مجاهد: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ أي: طريقة الحقِّ، وكذا قال الضَّحَّاكُ، واستشهد علىٰ ذلك بالآيتين اللَّتين ذكرناهما، وكل هؤلاء أو أكثرهم قالوا في قوله: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: لنبتليهم به.

وقال مقاتل: فنزلت في كفار قريش حين مُنعوا المطرَ سبعَ سنينَ.

والقول الثاني: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ الضلالة ﴿لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ أي: لأوسعنا عليهم الرزق استدراجًا، كما قال: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤] وكقوله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦] وهذا قول أبي مِجْلَز لاحِق بنِ حُمَيدٍ؛ فإنه قال في قوله: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ أي: طريقة الضَّلالة. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وحكاه البغوي عن الربيع بن أنس، وزيد بن أسلم، والكلبي، وابن كَيْسان. وله اتجاه، ويتأيد بقوله: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ .

---

(١) في (ز): (عن سيئاته).
(٢) في (ز): (ظنوا لأنفسهم).
(٣) لوحة (١٥٤ ب).

وقوله: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ [1] عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي: عذابًا مُشِقًّا شديدًا موجعًا مؤلمًا.

قال ابن عبَّاس، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وابن زيد: ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي: مشقة لا راحة معها.

وعن ابن عبَّاس: جبل في جهنم. وعن سعيد بن جبير: بئرٌ فيها.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده أن يُوَحِّدوه في مجال عبادته، ولا يُدْعَىٰ معه أحدٌ ولا يُشْرَكُ به كما قال قتادة في قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ قال: كانت اليهود والنصارىٰ إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعَهُم أشركوا بالله، فأمر الله نَبِيَّه ﷺ أن يُوَحِّدُوه وحده.

وقال ابن أبي حاتم: ذكر علي بن الحسين: حدَّثنا إسماعيل ابن بنت السُّدِّي [2]، أخبرنا رجلٌ سماه، عن السُّدِّي، عن أبي مالك -أو أبي صالح- عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ قال: لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الأرض مسجدٌ إلا المسجدَ الحرامَ، ومسجدَ إِيلِيا: بيت المقدِسِ [3].

وقال الأعمش: قالت الجن: يا رسول الله، ائْذَنْ لنا نشهد معك الصَّلوات في مسجدك، فأنزل الله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ يقول: صلُّوا، لا تخالطوا النَّاس.

وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن حميد، حدَّثنا مهران، حدَّثنا سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن محمود، عن سعيد بن جبير: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ قال: قالت الجنُّ لنبيِّ الله ﷺ: كيف لنا أن نأتي المسجد ونحن ناءُونَ عنك؟ [وكيف نشهد الصَّلاة ونحن ناءُونَ عنك؟] [4] فنزلت: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [5].

وقال سفيان، عن خُصَيْفٍ، عن عكرمة: نزلت في المساجد كلها [6]. [وقال سعيد بن جبير. نزلت

---

(١) في (ز): (نسلكه)، وهي قراءة متواترة: قَرَأَ (يَسْلُكْهُ) عَاصِمٌ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ (فِي اخْتِيَارِهِ) وَيَعْقُوبُ وَوَافَقَهُمُ الْأَعْمَشُ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (نَسْلُكْهُ).

(٢) لوحة (١٥٥ أ).

(٣) ضعيف رواه ابن أبي حاتم (١٩٠٠٦)، وفيه رجل لم يُسَمَّ، والسُّدِّي: ضعيف.

(٤) سقط من (ز).

(٥) مرسل: رواه الطبري (٢٩/ ١١٧) وإسناده مرسل، ومهران: سيئ الحفظ، وابن حميد: حافظ ضعيف.

(٦) ضعيف: رواه الطبري (٢٩/ ١١٧)، وفيه مهران: سيئ الحفظ، وابن حميد: حافظ ضعيف، وفيه خصيف: صدوق سيئ الحفظ أيضًا.

في أعضاء السجود؛ أي: هِيَ لله فلا تسجدوا بها لغيره. وذكروا عند هذا القول الحديث الصحيح، من رواية عبد الله بن طاوس، عن أبيه، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَعْظُمٍ: عَلَىٰ الجَبْهَةِ** -أشار بيده إلىٰ أنفه- **وَالْيَدَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ وَأَطْرَافِ القَدَمَيْنِ**»(١)](٢).

وقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال العَوْفي، عن ابن عبَّاس يقول: لما سمعوا النَّبيَّ ﷺ يتلو القرآن كادوا يركبونه؛ من الحرص لما سمعوه يتلو القرآن، ودنوا منه فلم يعلم بهم حتَّىٰ أتاه الرسول فجعل يُقْرِئه: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ يستمعون القرآن(٣).

هذا قولٌ، وهو مرويٌّ عن الزبير بن العوام رضي الله عنه.

وقال ابن جرير: حدَّثني محمَّد بن مَعْمَر، حدَّثنا أبو مسلم(٤)، عن أبي عَوَانَةَ، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس قال: قال الجن لقومهم: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال: لما رأوه يصلي، وأصحابُه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده، قالوا: عَجِبوا من طَوَاعِيَة أصحابه له، قال: فقالوا لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾(٥) وهذا قولٌ ثانٍ، وهو مروي عن سعيد بن جبير أيضًا.

وقال الحسن: لما قام رسول الله ﷺ يقول: «**لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ**» ويدعو النَّاس إلىٰ رَبِّهم، كادت العرب تَلْبُد عليه جميعًا(٦).

وقال قتادة في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال: تَلَبَّدتِ(٧) الإنس والجن علىٰ هذا الأمر ليُطفِئُوه، فأبىٰ الله إلا أن ينصره ويمضيه ويظهره علىٰ من ناوأه.

هذا قولٌ ثالثٌ، وهو مرويٌّ عن ابن عبَّاس(٨)، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقول ابن زيد، واختيار ابن جرير، وهو الأظهر لقوله بعده: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾(٩) أي: قال لهم الرسول -لما آذوه(١٠) وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه؛ ليبطلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا(١١) علىٰ عداوته-: ﴿إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى﴾ أي: إنما أعبد ربي وحده لا شريك له، وأستجير به وأتوكل عليه، ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾.

---

(١) البخاري (٣٩٧)، ومسلم (٤٩٠). (٢) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).
(٣) مسلسل بالضعفاء: رواه الطبري (٢٩/ ١١٨). (٤) في (ز): (حدثنا ابن هشام)، والمثبت موافق لما في «الطبري».
(٥) صحيح: رواه الطبري (٢٩/ ١١٨) موقوفًا علىٰ ابن عبَّاس.
(٦) مرسل: رواه الطبري (٢٩/ ١١٩). (٧) في (ز): (يلبدون).
(٨) رواه ابن أبي حاتم (١٩٠٠٨) نحوه.
(٩) في (ز): (قال إنما)، وهي قراءة متواترة: قَرَأَ (قُلْ إِنَّمَا) أَبُو جَعْفَرٍ وَعَاصِمٌ وَحَمْزَةُ وَوَافَقَهُمُ الأَعْمَشُ، وَقَرَأَ البَاقُونَ (قَالَ إِنَّمَا).
(١٠) لوحة (١٥٥ ب). (١١) في (ز): (وأجمعوا).

وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أي: إنَّما أنا بشرٌ مثلكم يوحىٰ إليَّ، وعبدٌ مِن عباد الله ليس إليَّ من الأمر شيءٌ فِي هدايتكم ولا غوايتكم، بل المرجع في ذلك كلِّه إلىٰ الله ﷻ.

ثم أخبر عن نفسه أيضًا أنَّه لا يُجيرُهُ مِن الله أحدٌ؛ أي: لو عَصَيْتُه فإنَّه لا يقدر أحدٌ علىٰ إنْقاذِي مِن عذابه، ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ قال مجاهد، [وقتادة، والسُّدِّي: لا ملجأ، وقال قتادة أيضًا: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾](١) أي: لا نَصِيرَ ولا ملجأ، وفي رواية: لا وليَّ ولا مَوْئِلَ.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ قال بعضهم: هو مستثنًىٰ من قوله: ﴿لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ ﴿إِلَّا بَلَٰغًا﴾ ويحتمل أن يكون استثناءً من قوله: ﴿لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ أي: لا يجيرني منه ويُخلِّصُنِي إلا إبلاغي الرِّسالة التي أوجب أداءها عليَّ، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ أي: إنَّما أُبَلِّغُكُم رسالة الله، فمَنْ يَعْصِ بعد ذلك فله جزاء علىٰ ذلك نار جهنَّم خالدين فيها أبدًا؛ أي: لا محيد لهم عنها، ولا خروج لهم منها.

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ أي: حتىٰ إذا رأىٰ هؤلاء المشركون من الجنِّ والإنس ما يوعدون يوم القيامة فسيعلمون يومئذٍ مَن أضعف ناصرًا وأقل عددًا، هم أَمِ المؤمنون الموحدون لله ﷻ؟ أي: بل المشركون لا ناصر لهم بالكليَّة، وهم أقل عددًا من جنود الله ﷻ.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسولَهُ ﷺ أن يقول للنَّاس: إنَّه لا علم له بوقت السَّاعة، ولا يدري أقريبٌ وقتُها أم بَعِيدٌ؟ ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾ أي: مدَّةً طويلةً.

وفي هذه الآية الكريمة دليلٌ علىٰ أن الحديث(٢) الذي يتداوله كثيرٌ من الجهلة من أنه ﷺ لَا يُؤَلِّفُ(٣) تحت الأرض، كَذِبٌ لا أصل له، ولم نَرَهُ في شيءٍ من الكتب. وقد كان ﷺ يسأل عن وقتِ السَّاعة فلا يجيب عنها، ولما تَبَدَّىٰ له جبريل في صورة أعرابي كان فيما سأله أن قال: يا محمَّد، فأخبرني عن الساعة؟ قال: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»(٤) ولما ناداه ذلك الأعرابي بصوتٍ

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).
(٢) لوحة (١٥٦ أ).
(٣) أي: لا يكمل ألف سنة تحت الأرض.
(٤) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

جَهْوَرِيٌّ فقال: يا محمَّد، متىٰ الساعة؟ قال: «وَيْحَكَ. إِنَّهَا كَائِنَةٌ، فَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟». قال: أما إنِّي لم أُعِدَّ لها كثيرَ صلاةٍ ولا صيامٍ، ولكنِّي أحب الله ورسوله. قال: «فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قال أنس: فما فرِحَ المسلمون بشيءٍ فَرَحَهُم بهذا الحديث [(١)].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا محمَّد بن مُصَفَّىٰ، حدَّثنا محمَّد بن حِمْيَر [(٢)]، حدَّثني أبو بكر بن أبي مريم، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي سعيد الخدري، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «يَا بَنِي آدَمَ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ [(٣)] فَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ المَوْتَىٰ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَآتٍ» [(٤)].

وقد قال أبو داود في آخر كتاب «الملاحم»: حدَّثنا موسىٰ بن سهل، حدَّثنا حجاج بن إبراهيم، حدَّثنا ابن وهب، حدَّثني معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جُبَيرٍ، عن أبيه، عن أبي ثعلبة الخُشَني قال: قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يُعْجِزَ اللهُ هَذِهِ الأُمَّةَ [(٥)] مِنْ نِصْفِ يَوْمٍ» انفرد به أبو داود [(٦)].

ثم قال أبو داود: حدَّثنا عمرو بن عثمان. حدَّثنا أبو المغيرة، حدَّثني صفوان، عن شُرَيح بن عبيد، عن سعد بن أبي وقاص عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «إِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا تَعْجِزَ أُمَّتِي عِنْدَ رَبِّهَا أَنْ يُؤَخِّرَهُمْ نِصْفَ يَوْمٍ». قيل لسعد: وكم نصف يوم؟ قال: خمسمائة عام. انفرد به أبو داود [(٧)].

وقوله: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ هذه كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وهكذا قال هاهنا: إنَّه يعلم الغيب والشَّهادة، وإنَّه لا يَطَّلِعُ أحدٌ مِن خلقه علىٰ شيءٍ مِن علمه إلا ممَّا أطلعه تعالىٰ عليه؛ ولهذا قال: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ وهذا يعم الرسول المَلَكِي والبشري.

ثم قال: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ أي: يختصه بمزيدِ معقِّبات من الملائكة يحفظونه مِن أمرِ الله، ويساوقونه علىٰ ما معه من وحي الله؛ ولهذا قال: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ [(٨)] رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾.

وقد اختلف المفسِّرون في الضمير الذي في قوله: ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ إلىٰ مَن يعود؟ فقيل: إنَّه عائدٌ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ.

قال ابن جرير: حدَّثنا ابن حميد، حدَّثنا يعقوب القُمِّي، عن جعفر، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ

---

(١) البخاري (٦١٧١)، ومسلم (٢٦٣٩).
(٢) في (ز): (محمد بن جبير)، وهو خطأ.
(٣) في (ز): (تعلمون).
(٤) ضعيف: رواه أبو نُعيم (٦/ ٩١)، وفيه أبو بكر بن أبي مريم: ضعيف، وكان قد سُرق بيته فاختلط.
(٥) في (ز): (هذه الآية).
(٦) حسن صحيح: رواه أبو داود (٤٣٤٩)، وإسناده حسن ويتقوىٰ بالحديث الآتي.
(٧) حسن لغيره: رواه أبو داود (٤٣٥٠)، وفيه انقطاع، شُرَيح لم يدرك سعدًا، لكن يشهد له ما تقدم.
(٨) لوحة (١٥٦ ب).

رَصَدًا﴾ قال: أربعة حفظة من الملائكة مع جبريل ﴿لِّيَعۡلَمَ﴾ محمَّد ﷺ ﴿أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدًۢا﴾.

ورواه ابن أبي حاتم من حديث يعقوب القُمِّي به. وهكذا رواه الضَّحَّاكُ، والسُّدِّي، ويزيد بن أبي حبيب.

وقال عبد الرزاق، عن مَعْمَرٍ، عن قتادة: ﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ قال: ليعلم نبي الله أنَّ الرُّسل قد بلَّغت عن الله، وأن الملائكة حفظتها ودفعت[1] عنها، وكذا رواه سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة. واختاره ابن جرير.

وقيل غير ذلك، كما رواه العَوْفي عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾ قال: هي مُعقِّبات من الملائكة يحفظون النَّبيَّ من الشيطان، حتىٰ يتبين الذي أرسل به إليهم، وذلك حين يقول: ليعلم أهل الشِّرك أن قد أبلغوا رسالات ربهم[2].

وكذا قال ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد: ﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ قال: ليعلم من كذب الرُّسُلَ أن قد أبلغوا رسالات ربهم، وفي هذا نظر.

وقال البغوي: قرأ يعقوب: ﴿ليُعلم﴾[3] بالضم؛ أي: لِيُعْلَم النَّاسُ أنَّ الرُّسل قد بلَّغوا.

ويحتمل أن يكون الضمير عائدًا إلىٰ الله ﷻ وهو قول حكاه ابن الجوزي في «زاد المَسِير» ويكون المعنىٰ في ذلك: أنَّه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته، ويحفظ ما بُيِّن إليهم من الوحي؛ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم، ويكون ذلك كقوله: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وكقوله: ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١١] إلىٰ أمثال ذلك، مع العلم بأنَّه تعالىٰ يعلم الأشياء قبل كونها قطعًا لا محالةَ؛ ولهذا قال بعد هذا: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ[4] كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾[5].

آخر تفسير سورة الجن ولله الحمد والمنة.

---

(١) في (ز): (دفعتها).

(٢) رواه الطبري (٢٩/ ١٢٢)، وإسناده مسلسل بالضعفاء.

(٣) متواترة: قَرَأَ (لِيُعْلَمَ) رُوَيْسٌ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (لِيَعْلَمَ).

(٤) لوحة (١٥٧ أ).

(٥) قال العلامة السعدي رحمه الله: وفي هذه السورة فوائد كثيرة: منها: وجود الجن، وأنهم مكلفون مأمورون مكلفون منهيون، مجازَوْنَ بأعمالهم، كما هو صريح في هذه السورة.

ومنها: أن رسولَ الله ﷺ رسولٌ إلىٰ الجن، كما هو رسولٌ إلىٰ الإنس، فإن الله صَرَفَ نَفَرَ الجن ليستمعوا ما يوحىٰ إليه ويبلغوا قومهم.

ومنها: ذكاء الجن، ومعرفتهم بالحق، وأن الذي ساقهم إلىٰ الإيمان هو ما تحققوه من هداية القرآن، وحسن أدبهم في خطابهم.

ومنها: اعتناء الله برسوله، وحفظه لما جاء به.

ومنها: شدة حرص الجن لاستماع الرسول ﷺ، وتراكمهم عليه.

ومنها: أن علوم الغيب قد انفرد الله بعلمها، فلا يعلمها أحد من الخلق، إلا من ارتضاه الله وخصه بعلم شيء منها.

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

تفسير سورة المزمل وهي مكية

قال الحافظ أبو بكر [أحمد][(1)] بن عمرو بن عبد الخالق البزار: حدَّثنا محمَّد بن موسىٰ القطَّان الواسطي، حدَّثنا مُعَلَّىٰ بن عبد الرحمن، حدثنا شَرِيك، عن عبد الله بن محمَّد بن عَقِيل، عن جابر قال: اجتمعت قريش في دار النَّدوة فقالوا: سمُّوا هذا الرَّجل اسمًا تصدر النَّاس عنه، فقالوا: كاهن. قالوا: ليس بكاهن، قالوا: مجنون قالوا: ليس بمجنون، قالوا: ساحر، قالوا: ليس بساحر، فتفرَّق المشركون علىٰ ذلك، فبلغ ذلك النَّبيَّ ﷺ، فتزمَّل في ثيابه وتدثَّر فيها، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[(2)].

ثم قال البزَّار: معلَّىٰ بن عبد الرحمن: قد حدث عنه جماعة من أهل العلم، واحتملوا حديثه، لكن تفرَّد بأحاديثَ لا يتابَعُ عليها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا[(3)] ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾

يأمر تعالىٰ رسوله ﷺ أن يترك التَّزمُّل، وهو: التَّغطي في اللَّيل، وينهض إلىٰ القيام لربه ﷻ كما قال تعالىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦] وكذلك كان رسول الله ﷺ ممتثلًا ما أمره الله تعالىٰ به من قيام الليل، وقد كان واجبًا عليه وحده، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] وهاهنا بيَّن له مقدار ما يقوم، فقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

قال ابن عبَّاس، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّي: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ يعني: يا أيُّها النَّائم. وقال قتادة: المزمِّل في

---

(١) ليست في (ز).

(٢) موضوع: رواه البزار (٢٢٧٦- كشف)، والطبراني في «الأوسط» (٢٠٩٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٣): فيه معلىٰ بن عبد الرحمن الواسطي: متهم بالوضع، وفي الإسناد أيضًا شريك القاضي سيئ الحفظ.

(٣) قال الشيخ القاسمي رحمه الله: واستدل بالآية علىٰ أن الترتيل والتدبُّر، مع قلة القراءة أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها؛ لأن المقصود من القرآن فهمه وتدبُّره، والفقه فيه، والعمل به.

ثيابه، وقال إبراهيم النَّخعي: نزلت وهو متزمل بقطيفةٍ.

وقال شبيب بن بِشر، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ قال: يا محمَّد، زُمِّلتَ[١] القرآن.

وقوله: ﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾ بَدَل مِن الليل ﴿أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾ أي: أمرناك أن تقوم نصفَ اللَّيل بزيادةٍ قليلةٍ أو نقصانٍ قليل، لا حرج عليك في ذلك.

وقوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ أي: اقرأه على تمهلٍ، فإنَّه يكون عونًا على فهم القرآن وتدبُّره. وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه، قالت عائشة: كان يقرأ السورة فيرتلها، حتى تكون أطولَ من أطولَ منها[٢]. وفي «صحيح البخاري»، عن أنس: أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كانت مدًّا، ثم قرأ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يمد ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾، ويمد ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾، ويمد ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾[٣].

وقال ابن جُرَيج، عن ابن أبي مُلَيكَةَ عن أم سلمة: أنَّها سُئلت عن قراءة رسول الله ﷺ، فقالت: كان يُقَطِّع قراءته آيةً آيةً، ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ رواه أحمد، وأبو داود، والتِّرمذيُّ[٤].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن عاصم، عن زرٍّ، عن عبد الله بن عمرو، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْقَ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**»[٥] ورواه أبو داود، والترمذي والنسائي، من حديث سفيان الثوري به، وقال الترمذي: حسنٌ صحيحٌ.

وقد قدَّمنا في أول التفسير الأحاديث الدَّالَّة على استحباب التَّرتيل وتحسين الصَّوت بالقراءة، كما جاء في الحديث: «**زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ**»[٦]. و«**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ**»[٧]، و«**لَقَدْ أُوتِيَ هَذَا مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**» يعني: أبا موسى، فقال أبو موسى: لو كنتُ أعلم أنَّك كنت تسمع قِرَاءَتِي لحبَّرْته لك تحبيرًا[٨].

---

(١) لوحة (١٥٧ ب).

(٢) رواه مسلم (٤٣٦٠)، والترمذي (٣٧٣)، والنسائي (٣/ ٢٢٣)، ومالك (١/ ١٣١)، وابن ماجه (٣٥٧٩)، والبيهقي (٢/ ٤٩٠) من حديث حفصة، ولم أقف عليه من حديث عائشة.

(٣) البخاري (٥٠٤٦).

(٤) رواه أبو داود (٤٠٠١)، والترمذي (٢٩٢٨)، وأحمد (٦/ ٣٠٢). وصححه الألباني.

قلت: هو كذلك للمتابعات بدون ذكر البسملة، فإنها من طريق ابن جريج وهو مدلس وقد عنعن.

(٥) **حسن**: رواه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٥).

(٦) **صحيح**: رواه أبو داود (١٤٦٨)، والنسائي (٢/ ١٧٩)، وابن ماجه (١٣٤٢).

(٧) البخاري (٥٧٢٧).

(٨) البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٢٣٦) من حديث أبي موسى، ورواه النسائي (٢/ ٨٠) من حديث عائشة، ومن حديث أبي هريرة.

وعن ابن مسعود أنه قال: لا تنثُروه نَثر الرَّمل ولا تهذُّوه هذَّ الشِّعر[١]، قِفُوا عند عجائبه، وحرِّكُوا به القلوب، ولا يكن همُّ أحدكم آخر السُّورة. رواه البغوي[٢].

وقال البخاري: حدَّثنا آدم، حدَّثنا شعبة، حدَّثنا عمرو بن مرة: سمعت أبا وائل قال: جاء رجلٌ إلىٰ ابن مسعود فقال: قرأت المفصَّل الليلة في ركعة. فقال: هذًّا كهذِّ الشِّعر. لقد عرفت النَّظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينهن. فذكر عشرين سورةً من المُفَصَّلِ سورتين في ركعةٍ[٣].

وقوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ قال الحسن، وقتادة[٤]: أي العمل به.

وقيل: ثقيلٌ وقت نزوله؛ من عظمته. كما قال زيد بن ثابت: أنزل علىٰ رسول الله ﷺ وفخذه علىٰ فخذي، فكادت تُرَضُّ فَخذي.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا قتيبة، حدَّثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمرو بن الوليد، عن عبد الله بن عمرو قال: سألت النَّبيَّ ﷺ فقلت: يا رسول الله، هل تحس بالوَحْي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أَسْمَعُ صَلَاصِلَ، ثُمَّ أَسْكُتُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَمَا مِنْ مَرَّةٍ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّ نَفْسِي تَفِيضُ**[٥]» تفرَّد به أحمد[٦].

وفي أوَّل «صحيح البخاري» عن عبد الله بن يوسف، عن مالك، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة: أنَّ الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: «**أَحْيَانًا يَأْتِينِي فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيَفْصِمُ**[٧] **عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ**». قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي ﷺ في اليوم الشَّديد البرد، فَيَفْصِمُ عنه وإنَّ جَبِينَهُ ليتفصَّد عرقًا، هذا لفظه[٨].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا سليمان بن داود، أخبرنا عبد الرَّحمن، عن هشام بن عُرْوَةَ، عن أبيه، عن عائشة قالت: إن كان ليوحَىٰ إلىٰ رسول الله ﷺ وهو علىٰ راحلته، فتضرب بِجِرَانها[٩][١٠].

وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن عبد الأعلىٰ، حدَّثنا ابن ثور، عن مَعْمَرٍ، عن هشام بن عروة، عن

---

(١) أي: لا تسرعوا في قراءته كما تسرعوا في قراءة الشعر، والهَذُّ: سرعة القطع.

(٢) «معالم التنزيل» للبغوي (١/ ٣١٥).

(٣) البخاري (٧٧٥).

(٤) لوحة (١٥٨ أ).

(٥) أي: تخرج.

(٦) ضعيف: رواه أحمد (٢/ ٢٢٢)، وفيه ابن لهيعة: اختلط، ويكفي في الاستدلال حديث عائشة ﵂ الآتي وقد تقدم تخريجه وبيان ضعفه في سورة الشورىٰ الآية (٢).

(٧) أي: يقلع، يقال: أفصم المطر، إذا أقلع وانكشف.

(٨) البخاري (٢)، ومسلم (٢٣٣٣).

(٩) قال السندي: قولها: (فتضرب بجرانها)، بكسر الجيم: باطن العنق، والبعير إذا استراح، مد عنقه علىٰ الأرض.

(١٠) صحيح: رواه أحمد (٦/ ١١٨).

أبيه؛ أن النَّبيَّ ﷺ كان إذا أوحي إليه وهو علىٰ نَاقَتِهِ، وضعت جِرَانَها، فما تستطيع أن تحرك حتىٰ يُسَرَّىٰ عنه(١)، وهذا مرسلٌ. الجران: هو باطن العُنُق.

واختار ابن جرير: أنَّه ثقيلٌ مِن الوجهين معًا، كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كما ثقل في الدُّنيا ثقل يوم القيامة في الموازين.

وقوله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ قال أبو إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس: نشأ: قام بالحبشية.

وقال عمر، وابن عبَّاس، وابن الزبير: الليل كله ناشئة. وكذا قال مجاهد، وغير واحدٍ. يقال: نشأ: إذا قام من اللَّيل. وفي رواية عن مجاهد: بعد العشاء. وكذا قال أبو(٢) مِجْلَزٍ، وقتادة، وسالم وأبو حازم، ومحمَّد بن المنكدر. والغرض أنَّ ناشئة اللَّيل هي: ساعاته وأوقاته، وكل ساعةٍ منه تسمَّىٰ ناشئة، وهي الآنات. والمقصود أنَّ قيام اللَّيل هو أشد مواطأةً بين القلب واللِّسان، وأجمع علىٰ التِّلاوة؛ ولهذا قال(٣): ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ أي: أجمع للخَاطرِ في أداء القراءة وتَفَهُّمِها من قيام النَّهار؛ لأنَّه وقت انتشار النَّاس ولَغَط الأصوات وأوقات المعاش.

وقد قال الحافظ أبو يعلىٰ(٤) المَوْصِلي: حدَّثنا إبراهيم بن سعيدٍ الجوهري، حدَّثنا أبو أسامة، حدَّثنا الأعمش، أن أنس بن مالك قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَصۡوَبُ قِيلًا﴾(٥) فقال له رجل: إنَّما نقرؤها ﴿وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ فقال له: إن أصوب وأقوم وأهيأ وأشباه هذا واحد(٦).

ولهذا قال: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾ قال ابن عبَّاس، وعكرمة، وعطاء بن أبي مسلم: الفراغ والنَّوم.

وقال أبو العالية، ومجاهد، وابن مالك، والضَّحَّاكُ، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، وسفيان الثوري: فراغًا طويلًا. وقال قتادة: فراغًا وبغيةً ومنقلبًا.

وقال السُّدِّي: ﴿سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾ تطوعًا كثيرًا.

وقال عبد الرَّحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾ قال: لحوائجك، فَأَفْرِغ لدينك اللَّيل، قال: وهذا حين كانت صلاة اللَّيل فريضة، ثم إنَّ الله منَّ علىٰ العباد فخَفَّفَها ووضعها، وقرأ: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ إلىٰ آخر الآية، ثم قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ﴾ حتىٰ بلغ: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ

---

(١) مرسل: رواه الطبري (٢٩/ ١٢٧)، ولكن يشهد له حديث عائشة السابق.

(٢) في (ز): (ابن مجلز)، وهو خطأ. (٣) لوحة (١٥٨ ب).

(٤) في (ز): (ابن يعلىٰ). (٥) قراءة: قَرَأَ (وَأَصْوَبُ) أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَلَيْسَ فِي المُتَوَاتِرِ إِلَّا (وَأَقْوَمُ).

(٦) ضعيف: رواه أبو يعلىٰ (٤٠٢٢)، والطبري (٢٩/ ١٣١)، والأعمش لم يسمع من أنس إنما رآه فقط، ولم يرزق السماع منه، ثم إن المتن منكر مردود. انظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٦٨٣٣).

مِنۡهُ﴾ [الليل نصفه أو ثلثه، ثم جاء أمرٌ أوسعُ وأفسحُ، وَضَعَ الفريضة عنه وعن أُمَّتِه](١) فقال: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء:٧٩] وهذا الذي قاله كما قاله.

والدليل عليه ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» حيث قال: حدَّثنا يحيىٰ، حدَّثنا سعيد بن أبي عَرُوبةَ، عن قتادة، عن زُرارة بن أوفىٰ، عن سعيد بن هشام: أنَّه طلَّق امرأته ثم ارتحل إلىٰ المدينة لِيَبيعَ عقارًا له بها ويجعله في الكُراعِ(٢) والسِّلاح، ثم يجاهد الرُّوم حتىٰ يموت، فلقي رهطًا مِن قومه، فحدَّثوه أنَّ رهطًا مِن قومه ستةً أرادوا ذلك علىٰ عهد رسول الله ﷺ فقال: «أَلَيْسَ لَكُمْ فِيَّ أُسْوَةٌ؟». فنهاهم عن ذلك، فأشهدهم علىٰ رَجعتها، ثم رجع إلينا فأخبرنا أنَّه أتىٰ ابن عبَّاس فسأله عن الوتر فقال: ألا أُنبِّئُك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ؟ قال: نعم قال: ائت عائشة فاسألها، ثم ارجع إليَّ فأخبرني بِرَدِّها عليك، قال: فأتيت علىٰ حكيم بن أفلحَ فاستلحقتُه(٣) إليها، فقال: ما أنا بقاربها(٤)؛ إني نهيتها أن تقول في هاتين الشِّيعتَيْن(٥) شيئًا، فأَبَتْ فيهما(٦) إلا مُضِيًّا. فأقسمتُ عليه، فجاء معي، فدخلنا عليها فقالت: حكيمٌ؟ وعرفَتْهُ، قال: نعم. قالت: من هذا معك؟ قال: سعيد بن هشام. قالت: من هشام؟ قال: ابن عامر. قال: فترَحَّمَتْ(٧) عليه وقالت: نعم المرء - كان- عامرٌ. قلت: يا أم المؤمنين، أَنبِئِيني عن خُلُقِ رسول ﷺ؟ قالت: ألستَ تقرأ القرآن؟ قلت: بلىٰ قالت: فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن. فَهَمَمْتُ أن أقوم، ثم بدا لي قيامُ رسول الله ﷺ قلت: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ، قالت: ألست تقرأ هذه السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾؟ قلت: بلىٰ. قالت: فإنَّ الله افترض قيام اللَّيل في أوَّل هذه السُّورة، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولًا حتىٰ انْتَفَخَتْ أقدامهم، وأمسك الله خاتمتها في السَّماء اثني عشر شهرًا، ثم أنزل الله التَّخفيف في آخر هذه السُّورة، فصار قيام اللَّيل تطوعًا من بعد فريضة، فهممت أن أقوم، ثم بدا لي وِتْرُ رسول الله ﷺ قلت: يا أمَّ المؤمنين، أَنبِئِيني عن وِترِ رسول الله ﷺ، قالت: كنَّا نُعِدُّ له سِواكه وطهُوره، فيبعثه(٨) الله لما شاء أن يبعثه من اللَّيل، فيتسوَّك ثم يتوضَّأ ثم يُصَلِّي ثماني ركعاتٍ لا يجلسُ فيهنَّ إلا عند الثَّامنة، فيجلس ويذكر رَبَّه تعالىٰ ويدعو [ويَسْتَغْفِر ثم ينهض ولا يسلم، ثم يصلِّي التَّاسعة فيقعد فيحمد ربَّه ويذكره ويدعو](٩) ثم يسلم تسليمًا يسمعنا، ثم يُصَلِّي ركعتين وهو جالس بعد ما يُسَلِّم، فتلك إحدىٰ عشرة [ركعة](١٠) يا بني، فلمَّا أسنَّ رسول الله ﷺ وأخذه اللَّحم(١١)، أوتر بسَبْعٍ، ثمَّ صلَّىٰ ركعتين وهو جالس بعدما

---

(١) سقط من (ز).

(٢) أي: فيشتري بدله الأسلحة والخيل؛ وذلك لعزمه التجرد للجهاد.

(٣) أي: طلبت منه مرافقته إياي في الذهاب إليها.

(٤) أي: لا أريد قربها.

(٥) يريد: شيعة علي، وأصحاب الجمل.

(٦) لوحة (١٥٩ أ).

(٧) في (ز): (فرحبت).

(٨) أي: يوقظه.

(٩) سقط من (ز)، وهو مثبت في «المسند».

(١٠) في (ز): (لذلك إحدىٰ عشرة يا بني).

(١١) أخذه اللحم، وفي رواية: أَسَنَّ وكثر لحمه، وقول أبي عُبيد: -لم يكن ذلك وصفه ﷺ- صِدْق؛ لأنه لم يكن في أصل

يُسَلِّم، فتلك تسع يا بني، وكان رسول الله ﷺ إذا صلَّىٰ صلاة أحبَّ أن يُدَاوِم عليها، وكان إذا شَغَله عن قيام اللَّيل نوم أو وَجَع أو مرض، صلَّىٰ مِن النَّهار ثنتي عشرة ركعة، ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القُرْآن كلَّه في ليلة، [ولا قام ليلة][١] حتىٰ أصبح، ولا صام شهرًا كاملًا غير رمضان، فأتيت ابن عبَّاس فحدَّثْتُه بحديثها، فقال: صدقت، أما لو كنت أدخلُ عليها لأتيتها حتىٰ تشافهني مشافهة[٢].

هكذا رواه الإمام أحمد بتمامه. وقد أخرجه مسلم في «صحيحه» من حديث قتادة بنحوه[٣].

طريق أخرىٰ عن عائشة في هذا المعنىٰ: قال ابن جرير: حدَّثنا ابن وَكِيع، حدَّثنا زيد بن الحُبَابِ -وحدَّثنا ابن حميد، حدَّثنا مِهْران قالا جميعًا -واللَّفظ لابن وكيع-: عن موسىٰ بن عُبَيدة، حدَّثني محمَّد بن طَحْلاء، عن أبي سلمة، عن عائشة قالت: كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيرًا يُصَلِّي عليه[٤] من اللَّيل، فتسامع النَّاس به فاجتمعوا، فخرج كالمغضَب -وكان بهم رحيمًا، فخَشِيَ أن يُكْتَب عليهم قيامُ الليل- فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ، اكْلَفُوا[٥] مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ مِنَ الثَّوَابِ حَتَّىٰ تَمَلُّوا مِنَ العَمَلِ، وَخَيْرُ الأَعْمَالِ مَا دِيمَ عَلَيْهِ**». ونزل القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ حتىٰ كان الرَّجل يربط الحبل ويتعلَّق، فمكثوا بذلك ثمانية أشهر، فرأىٰ الله ما يبتغون مِن رضوانه، فرَحِمَهُم فردَّهُم إلىٰ الفريضة، وترك قيام اللَّيل[٦].

ورواه ابن أبي حاتم من طريق موسىٰ بن عبيدة الرَّبَذي[٧]، وهو ضعيف. والحديث في «الصَّحيح» بدون زيادة نزول هذه السُّورة[٨]، وهذا السِّياق قد يُوهِم أنَّ نُزُولَ هذه السُّورة بالمدينة، وليس كذلك، وإنَّما هي مكيَّة. وقوله في هذا السِّياق: إن بين نزول أولها وآخرها ثمانية أشهر - غريب؛ فقد تقدَّم في رواية أحمد أنَّه كان بينهما سنةٌ.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد الأشجّ، حدَّثنا أبو أسامة، عن مِسْعَر، عن سِماك الحنفي، سمعت ابن عبَّاس يقول: أول ما نزل: أول المزمل، كانوا يقومون نحوًا من قيامهم في شهر رمضان، وكان بين أوَّلها وآخرها قريبٌ من سنة[٩]. وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كُرَيْب، عن أبي أسامة به. وقال

خلقته بادنًا كثير اللحم، لكن عندما أسنّ وضعف عن كثير مما كان يتحمله في حال النشاط من الأعمال الشاقة استرخىٰ لحمه، وزاد علىٰ ما كان في أصل خلقته زيادةً يسيرةً، بحيث يصدق عليه ذلك الاسم، والله أعلم. «المُفْهِم» للقرطبي.

(١) سقط من (ز)، وهو مثبت في «المسند». (٢) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٥٢).

(٣) مسلم (٧٤٦). (٤) لوحة (١٥٩ ب).

(٥) أي: خذوا وتحملوا.

(٦) **ضعيف**: رواه الطبري (٢٩/ ٧٩)، وابن أبي حاتم (١٩٠١٠)؛ لأن فيه موسىٰ بنَ عبيدة الرَّبَذيَّ: ضعيف، وفيه ابن وكيع: ضعيف، وتابعه محمَّد بن حميد وهو كما قال عنه الحافظ في «التقريب»: حافظ ضعيف، وكان ابن معين حسن الرأي فيه، لكن الحديث صحيح بدون ذكر سبب النزول: رواه البخاري (٧٣٠)، ومسلم (٧٨٢).

(٧) في (ز): (الزيدي)، والمثبت هو الصواب. (٨) انظر التخريج السابق.

(٩) حسن: رواه ابن أبي حاتم (١٩٠١٤)، والطبري (٢٩/ ١٢٥)، وسِماك الحنفي قال عنه الحافظ: لا بأس به، والحديث عند=

الثوري ومحمَّد بن بشر العَبدي، كلاهما عن مِسْعَر، عن سِماك، عن ابن عبَّاس: كان بينهما سنة. وروىٰ ابن جرير، عن أبي كريب، عن وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس مثله.

وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن حميد، حدَّثنا مِهْرَان[(١)]، عن سفيان، عن قيس بن وهب، عن أبي عبد الرحمن قال: لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ قاموا حولًا حتىٰ وَرِمَتْ أقدامهم وسُوقُهم، حتىٰ نزلت: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ قال: فاستراح النَّاس[(٢)].

وكذا قال الحسن البصري.

وقال ابن أبي حاتم: [حدَّثنا أبو زُرْعَة، حدَّثنا عُبَيد الله بن عمر القَواريري، حدَّثنا معاذ بن هشام، حدَّثنا أبي][(٣)] عن قتادة، عن زُرارة بن أوفىٰ، عن سعد[(٤)] بن هشام قال: فقلت -يعني لعائشة-: أخبرينا عن قيام رسول الله ﷺ. قالت: ألست تقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾؟ قلت: بلىٰ. قالت: فإنها كانت قيام رسول الله ﷺ وأصحابه، حتىٰ انتفخت أقدامهم، وحُبِسَ آخرها في السَّماء ستَّة عشر شهرًا، ثم نزل[(٥)(٦)].

وقال مَعْمَرٌ، عن قتادة: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قاموا حولًا أو حولين، حتىٰ انتفخت سوقُهم وأقدامهم فأنزل اللهُ تَخْفِيفَهَا بعدُ في آخر السُّورة[(٧)].

وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن حُميد[(٨)]، حدَّثنا يعقوب القُمِّي، عن جعفر، عن سعيد -هو ابن جبير- قال: لما أنزل الله تعالىٰ علىٰ نبيه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ قال: مكث النَّبيُّ ﷺ علىٰ هذه الحال عشرَ سنينَ يقوم اللَّيل، كما أمره، وكانت طائفةٌ مِن أصحابِهِ يقومون معه، فأنزل الله عليه بعد عشر سنين: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فخَفَّفَ الله تعالىٰ عنهم بعد عشر سِنِينَ[(٩)].

ورواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن عمرو بن رافع، عن يعقوب القُمِّي به.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ

= أبي داود (١٣٠٥)، وقد رواه الطبري كذلك من طريق عكرمة (٢٩/ ١٢٦) لكنها من طريق سماك عنه، وروايته عنه مضطربة.

(١) في (ز): (ابن جرير حدثنا ابن مهران) وبهامشه «لعله ابن حميد عن مهران»، والمثبت هو الصواب.

(٢) رواه الطبري (٢٩/ ١٢٦)، والإسناد مرسل، وهو شاهد لما تقدم، ومهران: سيئ الحفظ.

(٣) سقط من (ز).

(٤) في (ز): (سعيد)، وهو خطأ.

(٥) **ضعيف**: رواه ابن أبي حاتم (١٩٠١١)، وفيه قتادة بن دِعامة: مدلس وقد عنعن؛ فالإسناد لا يصح.

(٦) في (ز): (ثم نزلت).

(٧) **مرسل**: رواه الطبري (٢٥/ ١٢٦).

(٨) لوحة (١٦٠ أ).

(٩) **ضعيف**: رواه الطبري (٢٩/ ١٢٥)، وابن أبي حاتم (١٩٠١٢)، والحديث ضعيف لإرساله، ولأن رواية جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير ضعيفة.

مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ فأمر الله نبيَّه والمؤمنين بقيام اللَّيل إلَّا قليلًا][1] فشَقَّ ذلك على المؤمنين، ثم خَفَّف الله عنهم ورحمهم، فأنزل بعد هذا: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ إلى قوله: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُ﴾ فوسع الله -وله الحمد- ولم يُضَيِّق[2].

وقوله: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا﴾ أي: أَكْثِرْ مِن ذكره، وانقطِعْ إليه، وتفرَّغ لعبادته إذا فرغت مِن أشغالك، وما تحتاج إليه مِن أمور دُنْيَاك، كما قال: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾ [الشرح:٧] أي: إذا فرغت مِن مهامِّك فانصب في طاعته وعبادته؛ لتكونَ فارغ البال. قاله ابن زيد بمعناه أو قريبٍ منه. وقال ابن عبَّاس ومجاهد، وأبو صالح، وعطية، والضَّحَّاك، والسُّدِّي: ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا﴾ أي: أَخْلِصْ له العبادة. وقال الحسن: اجتهد وبتِّل[3] إليه نفسك. وقال ابن جرير: يقال للعابد: مُتَبَتِّل، ومنه الحديث المروي: أنه نهىٰ عن التَّبتُّل[4]؛ يعني: الانقطاع إلى العبادة وترك التزوج.

وقوله: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلًا﴾ أي: هو المالك المتصرِّف في المشارق والمغارب الذي لا إله إلا هو، وكما أفردته بالعبادة فأفرده[5] بالتَّوكل، ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلًا﴾ كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾ [هود: ١٢٣] وكقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ في آياتٍ كثيرةٍ في هذا المعنىٰ، فيها الأمر بإفراد العبادة والطاعة لله، وتخصيصه بالتَّوكل عليه.

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرًا جَمِيلًا ۝١٠ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ۝١١ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝١٤ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذًا وَبِيلًا ۝١٦ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمًا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا[6] ۝١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ۝١٨﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله ﷺ بالصَّبر علىٰ ما يقوله مَنْ كَذَّبَهُ مِن سفهاء قومِهِ، وأن يَهْجُرَهُم هجرًا جميلًا، وهو الَّذِي لا عتاب معه، ثم قال له متوعِّدًا لكفَّار قومه ومتهددًا، وهو العظيم الذي لا يقوم لغضبه شيء: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾ أي: دَعْنِي والمكذِّبين المترَفِين أصحابَ الأموال، فإنَّهم علىٰ الطاعة أقدر مِن غيرهم وهُم يُطالَبُون من الحقوق بما ليس عند غيرهِمْ، ﴿وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾ أي: رويدًا، كما قال: ﴿نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلًا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ٢٤]؛

---

(١) سقط من (ز).

(٢) رواه الطبري (٢٩/ ١٢٥). (٣) في (ز): (وابتل).

(٤) رواه البخاري (٥٠٧٣)، ومسلم (١٤٢) أن عثمان بن مظعون أراد أن يتبتل فنهاه رسول الله ﷺ عنه.

(٥) في (ز): (وأفردته). (٦) لوحة (١٦٠ ب).

ولهذا قال هاهنا: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾ وهي: القيود. قاله ابن عبَّاس، وعكرمة، وطاوس، ومحمَّد بن كعب، وعبد الله بن بريدة، وأبو عمران الجَوْني، وأبو مِجلَزٍ، والضَّحَّاك، وحماد بن أبي سليمان، وقتادة، والسُّدِّي، وابن المبارك، والثوري، وغير واحدٍ ﴿وَجَحِيمًا﴾ وهي السعير المضطرمة.

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قال ابن عبَّاس: يَنْشَب فِي الحلقِ فلا يدخل ولا يَخْرُج.

﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ أي: تزلزل، ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ أي: تصير ككُثْبان الرَّمل بعد ما كانت حجارةً صمَّاءَ، ثم إنَّها تنسف نسفًا فلا يَبْقَىٰ منها شيءٌ إلَّا ذهب، حتىٰ تصير الأرض قاعًا صفصفًا، لا ترىٰ فيها عوجًا؛ أي: واديًا، ولا أمتًا؛ أي: رابيةً، ومعناه: لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع، ثم قال مخاطبًا لكفَّار قريش، والمراد سائر النَّاس: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ أي: بأعمالكم، ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ قال ابن عبَّاسٍ، ومجاهد، وقتادة، والسُّدِّي، والثَّوري: ﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾ أي: شديدًا؛ أي: فاحذروا أنتم أَن تكذبوا هذا الرسول، فيصيبكم ما أصاب فرعون، حيث[1] أخذه الله أخذ عزيزٍ مقتدرٍ، كما قال تعالىٰ: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النازعات: ٢٥] وأنتم أولىٰ بالهلاك والدَّمار إن كذبتم؛ لأنَّ رسولكم أشرفُ وأعظمُ مِن موسىٰ بن عمران، ويُروَىٰ عن ابن عبَّاسٍ ومجاهد.

وقوله: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ يحتمل أن يكون ﴿يَوْمًا﴾ معمولًا لتتَّقون، كما حكاه ابن جرير عن قراءة ابن مسعود: «فكيفَ تخافون أَيُّها النَّاس يومًا يجعل الولدان شيبًا إِن كفرتم بالله ولم تُصَدِّقوا به»[2]؟ ويحتمل أن يكون [معمولًا][3] لكفرتم، فعلىٰ الأوَّل: كيف يحصلُ لكم أمانٌ مِن يوم هذا الفزع العظيم[4] إن كفرتم؟ وعلىٰ الثَّاني: كيف يحصل لكم تقوىٰ إن كفرتم يوم القِيامَة وجحدتموه؟ وكلاهما معنىٰ حسن، ولكن الأول أولىٰ، والله أعلم.

ومعنىٰ قوله: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ أي: من شدَّة أهواله وزلازله وبلابله، وذلك حين يقول الله لآدم: ابعث بَعْثَ النَّار، فيقول مِنْ كم؟ فيقول: مِن كلِّ ألف تسعُمائة وتسعةٌ وتسعون إلىٰ النَّار، وواحد إلىٰ الجنَّة.

قال الطبراني: حدَّثنا يحيىٰ بن أيوب العلاف، حدَّثنا سعيد بن [أبي][5] مريم، حدَّثنا نافع بن يزيد، حدَّثنا عثمان بن عطاء الخُراساني، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس، أنَّ رسول الله ﷺ قرأ: ﴿يَوْمًا

---

(١) في (ز): (حين أخذه).

(٢) قراءة: قَرَأَ (فَكَيْفَ تَخَافُونَ أَيُّهَا النَّاسُ يَوْمًا) ابنُ مَسْعُودٍ، وَلَيْسَ فِي المُتَوَاتِرِ إِلَّا (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا).

(٣) سقط من (ز). (٤) لوحة (١٦١ أ).

(٥) سقط من (ز)، والصواب إثباتها.

﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ قال: «ذَلِكَ يَوْمُ القِيَامَةِ، وَذَلِكَ يَوْمٌ يَقُولُ اللهُ لِآدَمَ: قُمْ فَابْعَثْ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ. قَالَ: مِنْ كَمْ يَا رَبِّ؟ قَالَ: مِنْ [كُلِّ](١) أَلْفٍ تِسْعُمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَيَنْجُو وَاحِدٌ». فاشتدَّ ذلك على المسلمين، وعرف ذلك رسول الله ﷺ ثم قال حين أبصر ذلك في وجوههم: «إِنَّ بَنِي آدَمَ كَثِيرٌ، وَإِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ، وَإِنَّهُ لا يَمُوتُ مِنْهُمْ رَجُلٌ [حَتَّى يَرِثَهُ](٢) لِصُلْبِهِ أَلْفُ رَجُلٍ، فَفِيهِمْ وَفِي أَشْبَاهِهِمْ جُنَّةٌ لَكُمْ»(٣). هذا حديثٌ غريبٌ، وقد تقدَّم في أوَّل سورةِ الحجِّ ذكر هذه [الأحاديث](٤).

وقوله: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ قال الحسن، وقتادة: أي بسببه من شدَّته وهولِهِ، ومنهم من يُعِيدُ الضَّمير على الله ﷻ، [ورُوِيَ عن ابن عبَّاس ومجاهد،](٥) وليس بقويٍّ؛ لأنَّه لم يجرِ له ذكر هاهنا.

وقوله تعالى: ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ أي: كان وَعْدُ هذا اليوم مفعولًا؛ أي: واقعًا لا محالة، وكائنًا لا محيد عنه.

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (١٩) إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٠)﴾

يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ أي: السُّورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ أي: يتذكَّر بها أولو الألباب؛ ولهذا قال: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ أي: ممن شاء الله هدايته، كما قيَّده في السُّورة الأخرى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠].

ثم قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ(٦) وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ أي: تارة هكذا، وتارة هكذا، وذلك كلُّه مِن غير قصدٍ منكم، ولكن لا تَقْدِرُون على المواظبة على ما أمركم به مِن قيام اللَّيل؛ لأنَّه يشقُّ عليكم؛ ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي: تارةً يعتدلان، وتارةً يأخذ هذا مِن هذا، أو هذا مِن هذا، ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ﴾ أي: الفرض الذي أوجبه عليكم ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ أي: من غير تحديد بوقت؛ أي: ولكن قوموا من اللَّيل ما تيسَّر، وعبَّر عن الصلاة بالقِراءَة،

---

(١) سقط من (ز)، وهي غير مثبتة في «المعجم الكبير»، وإثباتها من «مسند الشاميين».
(٢) بياض في (ز)، والمثبت موافق لما في «الكبير» للطبراني.
(٣) ضعيف: رواه الطبراني (١١/ ٣٦٦/ ١٢٠٣٤)، وفيه عثمان بن عطاء الخُراساني: ضعيف.
(٤) بياض في (ز). (٥) سقط من (ز).
(٦) لوحة (١٦١ ب).

كما قال في سورة «سبحان»: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أي: بقراءتك ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾.

وقد استدلَّ أصحاب الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه الآية، وهي قوله: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ علىٰ أنَّه لا يتعيَّن قراءة الفاتحة في الصَّلاة، بل لو قرأ بها أو بغَيْرِها من القرآن، ولو بآيةٍ، أجزأه؛ واعتضدوا بحديث المسيء صلاته الذي في «الصحيحين»: «ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ»[١].

وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت، وهو في «الصحيحين» أيضًا: أن رسول الله ﷺ قال: «لا صَلاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ[٢] بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ»[٣] وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ صَلاةٍ لا يُقْرَأُ فِيهَا بِأُمِّ الكِتَابِ فَهِيَ خِدَاجٌ، فَهِيَ خِدَاجٌ، فَهِيَ خِدَاجٌ، غَيْرُ تَمَامٍ»[٤]. وفي «صحيح ابن خزيمة» عن أبي هريرة مرفوعًا: «لا تُجْزِئُ صَلاةٌ مَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِأُمِّ القُرْآنِ»[٥].

وقوله: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: علم أن سيكون مِن هذه الأُمَّة ذَوُو أعذارٍ في ترك قيام اللَّيل، مِن مَرْضَىٰ لا يستطيعون ذلك، ومسافرين في الأرض يَبْتَغُون مِن فضل الله في المكاسب والمَتَاجر، وآخرين مشغُولِين بما هو الأهم في حقِّهم من الغزو في سبيل الله، وهذه الآية -بل السورة كلها- مكيَّة، ولم يكن القِتَالُ شُرِعَ بعدُ، فهي مِن أكبر دَلَائِلِ النُّبُوَّة؛ لأنَّه مِن باب الإخبار بالمغيَّبات المستقبلة؛ ولهذا قال: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ أي: قوموا بما تيسَّر عليكم منه.

قال ابن جرير: حدَّثنا يعقوب، حدَّثنا ابن عُلَيَّةَ، عن أبي رجاء محمَّد، قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد، ما تقولُ في رجلٍ قد استظهر القُرْآن كلَّه عن ظهرِ قلبه، ولا يقوم به، إنَّما يصلِّي المكتوبة؟ قال: يتوسَّدُ القرآن[٦]، لعن الله ذاك، قال الله تعالىٰ للعبد الصالح[٧]: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ [يوسف: ٦٨]، ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ قلت: يا أبا سعيد، قال الله: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾؟ قال: نعم، ولو خمس آيات[٨].

وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصري: أنه كان يرىٰ حقًّا واجبًا علىٰ حَمَلةِ القرآن أن يقوموا ولو بشيءٍ منه في اللَّيل؛ ولهذا جاء في الحديث: أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عن رجلٍ نام حتىٰ أصبح، فقال: «ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ»[٩]. فقيل معناه: نام عن المكتوبة، وقيل: عن قيام الليل. وفي

---

(١) رواه البخاري (٧٩٣)، ومسلم (٣٩٧). (٢) في (ز): (إلا أن تقرأ).

(٣) البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤)، وأبو داود (٨٢٢)، والترمذي (٢٤٧)، وابن ماجه (٢٨٣٧)، والنسائي (٢/ ١٣٧).

(٤) مسلم (٣٩٥)، والترمذي (٢٩٥٣)، والنسائي (٢/ ١٣٥).

(٥) **صحيح**: رواه ابن خزيمة (٤٩٠)، وابن حبان (١٧٨٩، ١٧٩٤).

(٦) **متوسد القرآن**: هو الذي ينام الليل عن القرآن ولم يتهجد به.

(٧) لوحة (١٦٢ أ). (٨) رواه الطبري (٢٩/ ١٤١).

(٩) البخاري (١١٤٤)، ومسلم (٧٧٤).

«السنن»: «أَوْتِرُوا يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ»[(١)]. وفي الحديث الآخر: «مَنْ لَمْ يُوتِرْ فَلَيْسَ مِنَّا»[(٢)].

وأغرب مِن هذا ما حُكِي عن أبي بكر بن عبد العزيز من الحنابلة، مِن إيجابه قيام شهر رمضان، فالله أعلم.

وقال الطبراني: حدَّثنا أحمد بن سعيد بن فَرْقَد الجُدِّي، حدَّثنا أبو حُمَة[(٣)] محمَّد بن يوسف الزَّبيدي، حدَّثنا [عبد الرحمن، عن محمَّد بن عبد الله بن طاوس -من ولد طاوس-][(٤)] عن أبيه، عن طاوس، عن ابن عبَّاس، عن النَّبيِّ ﷺ: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ قال: «مِائَةُ آيَةٍ»[(٥)].

وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا لم أره إلَّا في «معجم الطبراني» رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾ أي: أقيموا صلاتكم الواجبة علَيْكُم، وآتوا الزَّكاة المفروضَة، وهذا يدلُّ لمن قال: إنَّ فرض الزَّكاة نزل بمكَّة، لكن مقادير النُّصُب والمَخْرَج لم تُبين إلا بالمدينة، والله أعلم.

وقد قال ابن عبَّاس، وعكرمة، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وغير واحدٍ من السَّلف: إن هذه الآية نَسَخت الذي[(٦)] كان الله قد أوجبه علىٰ المسلمين أولًا من قيام الليل. واختلفوا في المدَّة التي بينهما علىٰ أقوالٍ كما تقدم، وقد ثبت في «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال لذلك الرجل: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ». قال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ»[(٧)].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ يعني: من الصَّدقات، فإنَّ الله يجازي علىٰ ذلك أحسن الجزاء وأوفرَهُ، كما قال: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة:٢٤٥].

وقوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ أي: جميع ما تقدِّموه بين أيديكم فهو [خيرٌ][(٨)] لكم حاصلٌ، وهو خير مما أبقيتموه لأنفسكم في الدُّنيا.

وقال الحافظ أبو يعلىٰ المَوْصِلي: حدَّثنا أبو خَيْثَمةَ، حدَّثنا جَرير، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الحارث بن سُوَيد قال: قال عبد الله: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّكُمْ مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِ وَارِثِهِ؟».

---

(١) صححه الألباني: رواه أبو داود (١٤١٦)، والترمذي (٤٥٣)، والنسائي (٣/ ٢٢٨)، وابن ماجه (١١٦٩).

(٢) ضعيف: رواه أبو داود (١٤١٩)، وفيه أبو المُنِيب العَتَكِي: ضعيف.

(٣) في (ز): (أبو أحمد)، وهو خطأ، والمثبت هو الصواب، وهو موافق لما في «المعجم الكبير»، وانظر ترجمته في «تهذيب الكمال» (٢٧/ ٦٥).

(٤) في (ز): (حدثنا عبد الرحمن طاوس من ولد طاوس عن محمد بن عبد الله بن طاوس).

(٥) رواه الطبراني (١١/ ٢٨/ ١٠٩٤٠)، قال الهيثمي: (٧/ ٣٣) رواه الطبراني وفيه عبد الرحمن بن طاوس: لم أعرفه، وبقية رجاله وُثِّقوا.

(٦) في (ز): (النبي).

(٧) البخاري (٤٦)، ومسلم (١١).

(٨) ليست في (ز).

قالوا: يا رسول الله[١]، ما منَّا مِن أحد إلا ماله أحبُّ إليه مِن مال وارثه، قال: «**اعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ**». قالوا: ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله؟ قال: «**إِنَّمَا مَالُ أَحَدِكُمْ مَا قَدَّمَ وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ**»[٢].

ورواه البخاري من حديث حفص بن غِياث، والنَّسائي من حديث أبي معاوية، كلاهما عن الأعمش به[٣].

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: أَكْثِرُوا مِن ذكره واستغفاره في أموركم كلِّها؛ فإنَّه غفورٌ رحيمٌ لمن استغفره.

آخر تفسير سورة المزمل ولله الحمد.

---

(١) لوحة (١٦٢ ب).
(٢) رواه أبو يعلىٰ (٥١٦٣)، وإسناده صحيح.
(٣) البخاري (٦٤٤٢)، والنسائي (٦/ ٢٣٧).

سُورَةُ المُدَّثِّرِ

تفسير سورة المدثر وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠)﴾

ثبت في «صحيح البخاري» [من حديث يحيىٰ بن أبي كثير عن أبي سلمة](١) عن جابر أنَّه كان يقول: أوَّل شيءٍ نزل من القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾(٢)، وخالفه الجمهور فذهبوا إلىٰ أن أول القرآن نزولًا قوله تعالىٰ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾؛ كما سيأتي بيان ذلك هناك.

قال البخاري: حدَّثنا يحيىٰ، حدَّثنا وَكِيعٌ، عن علي بن المبارك، عن يحيىٰ بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن، قال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ قلت: يقولون: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾؟ فقال أبو(٣) سلمة: سألت جابر بن عبد الله عن ذلك، وقلتُ له مثلَ ما قلتَ لي، فقال جابر: لا أحدثك إلا مثلما حدَّثنا رسول الله ﷺ قال: «جَاوَرْتُ بِحِرَاءَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي هَبَطْتُ فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ عَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ أَمَامِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ شَيْئًا، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي، وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا. قَالَ: فَدَثَّرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾»(٤).

هكذا ساقه مِن هذا الوجه. وقد رواه مسلم من طريق عُقَيلٍ، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة قال: أخبرني جابر بن عبد الله: أنَّه سَمِعَ رسول الله ﷺ يحدِّث عن فَترة الوحي: «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ(٥)، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءَ قَاعِدٌ عَلَىٰ كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَجُئِثْتُ(٦)(٧) مِنْهُ حَتَّىٰ هَوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ، فَجِئْتُ إِلَىٰ أَهْلِي، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي. فَزَمَّلُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ﴾ إِلَىٰ: ﴿فَاهْجُرْ﴾ -قال أبو سلمة:

---

(١) ليست في (ز).
(٢) انظر تخريج الحديث الآتي.
(٣) في (ز): (ابن سلمة).
(٤) البخاري (٤٩٢٢، ٤٩٢٦)، ومسلم (١٦١).
(٥) لوحة (١٦٣ أ).
(٦) أي: فزعت منه وخِفْت.
(٧) في (ز): (فجثيت).

والرُّجْز: الأوثان- ثُمَّ حَمِيَ الوَحْيُ وَتَتَابَعَ»[١].

هذا لفظ البخاري وهذا السياق هو المحفوظ، وهو يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا، لقوله: «فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءَ»، وهو جبريل حين أتاه بقوله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ ثم إنه حصل بعد هذا فترة، ثم نزل الملك بعد هذا.

ووجه الجمع: أنَّ أوَّل شيءٍ نزل بعد فترة الوحي هذه السُّورة، كما قال الإمام أحمد: حدَّثنا حجَّاج، حدَّثنا لَيْثٌ، حدَّثنا عُقَيلٌ، عن ابن شهاب قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول: أخبرني جابر بن عبد الله: أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثُمَّ فَتَرَ الوَحْيُ عَنِّي فَتْرَةً، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ، فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي [بِحِرَاءَ الآنَ][٢] قَاعِدٌ عَلَىٰ كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَجُئِثْتُ[٣] مِنْهُ فَرَقًا، حَتَّىٰ هَوَيْتُ إِلَىٰ الأَرْضِ، فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ لَهُمْ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي. فَزَمَّلُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ ثُمَّ حَمِيَ الوَحْيُ [بَعْدُ][٤] وَتَتَابَعَ». أخرجاه من حديث الزهري به[٥].

وقال الطبراني: حدَّثنا محمَّد بن علي بن شعيب السِّمْسار، حدَّثنا الحسن بن بشر البَجَلي، حدَّثنا المُعَافَىٰ بن عمران، عن إبراهيم بن يزيد، سمعت ابن أبي مُلَيْكَةَ يقول: سمعت ابن عبَّاس يقول: إنَّ الوليد بن المغيرة صَنَعَ لقريشٍ طعامًا، فلما أكلوا قال: ما تقولون في هذا الرَّجل؟ فقال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: ليس بساحر، وقال بعضهم: كاهن، وقال بعضهم: ليس بكاهن، وقال بعضهم: شاعر، وقال بعضهم: ليس بشاعر، وقال بعضهم: بل سحر يُؤثر، فأجمع رأيهم علىٰ أنَّه سحر يؤثر، فبلغ ذلك النَّبيَّ ﷺ فحزنَ وقَنعَ رأسه[٦]، وتَدَثَّر، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾[٧].

فقوله ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ أي: شَمِّر عن ساق العزم، وأنذر النَّاس، وبهذا حصل الإرسال، كما حصل بالأول النُّبوَّة. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ أي: عَظِّمْ.

---

(١) مسلم (١٦١).

(٢) سقط من (ز)، وهي مثبتة في «المسند».

(٣) في (ز): (فجثيت)، والمثبت موافق لما في «المسند».

(٤) سقط من (ز).

(٥) صحيح: رواه أحمد (٣/ ٣٢٥)، ورواه البخاري (٤)، (٣٢٣٨)، (٤٩٢٥)، ومسلم (١٦١)، (٢٥٦).

(٦) أقنع رأسه وقَنَعَه: رفعه وشخص ببصره نحو الشيء لا يصرفه عنه، وأقنع فلان رأسه: وهو أن يرفع بصره ووجهه إلىٰ ما حيال رأسه من السماء.

(٧) ضعيف جدًا: رواه الطبراني (١١/ ١٢٥/ ١١٢٥٠)، وفيه إبراهيم بن يزيد الخُوزي: متروك، وضعفه السيوطي في «لباب النقول» (ص٢٢٣٤)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣١).

وقوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ قال الأجلح الكِنْدي، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس: أنَّه أتاه رجلٌ[١] فسأله عن هذه الآية: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ قال: لا تلبسها علىٰ معصيةٍ ولا علىٰ غَدْرَةٍ، ثم قال: أما سمعت قول غَيْلان بن سلمة الثقفي:

فَإِنِّي بِحَمْدِ اللهِ لا ثَوْبَ فَاجِرٍ ... لَبِسْتُ وَلا مِنْ غَدْرَةٍ أَتَقَنَّعُ

وقال ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عبَّاس في هذه الآية: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ قال: في كلام العرب: نَقِيُّ الثِّياب، وفي رواية بهذا الإسناد: فطهر من الذُّنوب[٢]، وكذا قال إبراهيم، والشعبي، وعطاء.

وقال الثوري، عن رجل، عن عطاء، عن ابن عبَّاس في هذه الآية: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ قال: من الإثم[٣]، وكذا قال إبراهيم النَّخَعي.

وقال مجاهد: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ قال: نفسك، ليس ثيابه. وفي رواية عنه: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ عملك فأصلح، وكذا قال أبو رَزِينٍ. وقال في رواية أخرىٰ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: لست بكاهنٍ ولا ساحرٍ، فأعرض عمَّا قالوا.

وقال قتادة: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: طهرها من المعاصي، وكانت العرب تُسَمِّي الرَّجلَ إذا نكث ولم يَفِ بعهد الله إنَّه لَمُدنَّس الثِّياب، وإذا وفىٰ وأصلح: إنه لمطهَّر الثياب. وقال عكرمة، والضَّحَّاكُ: لا تلبسها علىٰ معصيةٍ. وقال الشاعر:

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ ... فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ

وقال العَوْفي، عن ابن عبَّاس: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ يعني: لا تكُ ثيابك التي تلبس مِن مكسب[٤] غير طائبٍ[٥]، ويقال: لا تلبس ثيابكَ علىٰ معصية. وقال محمَّد بن سيرين: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: اغسلها بالماء. وقال ابن زيد: كان المشركون لا يتطهَّرون، فأمره الله أن يتطهَّر، وأن يطهِّر ثيابه.

وهذا القول اختاره ابن جريرٍ، وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب، فإنَّ العرب تطلق الثياب عليه، كما قال امرؤ القيس:

أَفَاطِمَ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ ... وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ هَجْرِي فَأَجْمِلِي

وَإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيقَةٌ ... فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسُلِ

وقال سعيد بن جبير: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ وقلبك ونيَّتَك فطهِّر.

---

(١) لوحة (١٦٣ ب). (٢) رواه الطبري (٢٩/ ١٤٥).

(٣) رواه الطبري (٢٩/ ١٤٥)، وفيه رجل لم يُسَمَّ.

(٤) في (ز): (من ملبسه).

(٥) في (ز): (غير طائل).

وقال محمَّد بن كعبٍ القرظي، والحسن البصري: وخُلقَك فحسِّن.

وقوله: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: ﴿وَٱلرُّجۡزَ﴾ وهو الأصنام، فاهجر. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة، والزهري[١]، وابن[٢] زيد: إنَّها الأوثان.

وقال إبراهيم، والضَّحَّاكُ: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ أي: اترك المعصية.

وعلىٰ كل تقديرٍ فلا يلزم تلبُّسُه بشيءٍ من ذلك، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

وقوله: ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾ قال ابن عبَّاس: لا تعطِ العطيَّة تلتمسُ أكثر منها[٣]. وكذا قال عكرمة، ومجاهد، وعطاء، وطاوس، وأبو الأحوص، وإبراهيم النخعي، والضَّحَّاكُ، وقتادة، والسُّدِّي، وغيرهم.

وروي عن ابن مسعود أنه قرأ: «ولا تمنن أن تستكثر»[٤].

وقال الحسن البصري: لا تمنن بعملك علىٰ ربك تستكثره، وكذا قال الربيع بن أنس، واختاره ابن جرير. وقال خُصَيف، عن مجاهد في قوله: ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾ قال: لا تضعف أن تستكثر مِن الخير، قال تَمْنُن في كلام العرب: تضعف.

وقال ابن زيد: لا تمنن بالنُّبوَّة علىٰ النَّاس، تستكثرهم بِهَا، تأخذ عليه عوضًا من الدُّنيا.

فهذه أربعة أقوالٍ، والأظهر القول الأول، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ أي: اجعل صبرك علىٰ أذاهم لوجه الله ﷻ قاله مجاهد. وقال إبراهيم النَّخعي: اصبر عطيتك[٥] لله تعالىٰ.

وقوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ﴾ قال ابن عبَّاس، ومجاهد والشعبي، وزيد بن أسلم، والحسن، وقتادة، والضَّحَّاكُ، والرَّبيع بن أنس، والسُّدِّي، وابن زيد: ﴿ٱلنَّاقُورِ﴾ الصور. قال مجاهد: وهو كهيئة القرن.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد الأشج، حدَّثنا أسباط بن محمَّد، عن مُطَرِّفٍ، عن عطية العَوْفي، عن ابن عبَّاس: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ فقال: قال رسول الله ﷺ: **«كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ التَقَمَ القَرْنَ وَحَنَىٰ جَبْهَتَهُ، يَنْتَظِرُ مَتَىٰ يُؤْمَرُ فَيَنْفُخُ؟»** فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال:

---

(١) لوحة (١٦٤ أ). (٢) في (ز): (وأبو زيد)، وهو خطأ.

(٣) في (ز): (تلتمس المنَّ معها)، والمثبت مقارب لما في «الطبري».

(٤) قراءة: قَرَأَ (وَلَا تَمْنُنْ أَن تَسْتَكْثِرَ) ابنُ مَسْعُودٍ، وَلَيْسَ فِي المُتَوَاتِرِ إِلَّا (وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ).

(٥) في تفسير «الطبري» (٢٣/ ٤١٨): «اصبر علىٰ عطيتك».

«قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، عَلَىٰ اللهِ تَوَكَّلْنَا»[(١)].

وهكذا رواه الإمام أحمد عن أسباط به.

ورواه ابن جرير عن أبي كُرَيْبٍ، عن ابن فضيل[(٢)]، وأسباط، كلاهما عن مُطَرِّف به، ورواه من طريق أخرىٰ، عن العَوْفي، عن ابن عبَّاس به.

وقوله: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ أي: شديد. ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ أي: غير سهل عليهم، كما قال تعالىٰ[(٣)]: ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٨].

وقد روينا عن زُرَارة بن أوفىٰ -قاضي البصرة-: أنَّه صلَّىٰ بهم الصُّبح، فقرأ هذه السُّورة، فلمَّا وصل إلىٰ قوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ شَهِقَ شهقة، ثم خر ميتًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ۝١٦ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝٢٩ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾

يقول تعالىٰ متوعدًا لهذا الخبيث الذي أنعم الله عليه بنعم الدُّنيا، فكَفَر بأنعم الله، وبدَّلها كفرًا، وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها، وجعلها مِن قول البشر. وقد عدَّد الله عليه نعَمَهُ حيث قال: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ أي: خرج مِن بطن أُمِّهِ وحده لا مال له ولا وَلَدَ، ثم رزقه الله ﴿مَالًا مَّمْدُودًا﴾ أي: واسعًا كثيرًا قيل: ألف دينار، وقيل: مائة ألف دينار، وقيل: أرضًا يستغلها، وقيل غير ذلك، وجعل له ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ قال مجاهد: لا يغيبون؛ أي: حضورًا عنده لا يسافِرُون في التِّجارات، بل مَواليهم وأُجَرَاؤهم يتولَّوْن ذلك عنهم وهم قعودٌ عند أبيهم، يتمتَّع بهم ويتَمَلَّىٰ بهم، وكانوا - فيما ذكره السُّدِّي، وأبو مالك، وعاصم بن عمر بن قتادة- ثلاثة عشر، وقال ابن عبَّاس، ومجاهد: كانوا عشرة، وهذا أبلغ في النِّعمة [وهو إقامتهم عنده][(٤)].

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾ أي: مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك.

---

(١) صحيح: وهذا إسناد ضعيف: رواه أحمد (١/ ٢٢٦)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٣٥٢)، والطبري (٢٩/ ١٥٠)، وفي الإسناد عطية العوفي: ضعيف، وله شاهد من حديث أبي سعيد، رواه ابن حبان (٨٢٣) وإسناده صحيح، وشاهد آخر من حديث جابر رواه أبو نُعَيم في «الحلية» (٣/ ١٨٩). وقد تقدم الحديث عند سورة آل عمران الآية (١٧٤).

(٢) في (ز): (ابن فضل)، وهو خطأ.

(٣) لوحة (١٦٤ ب).

(٤) سقط من (ز).

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ أي: معاندًا، وهو الكفر على نعمه بعد العِلْم.

قال الله: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ قال الإمام أحمد: [حدَّثنا حسن][(١)]، حدَّثنا ابن لَهِيعةَ، عن دَرَّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ قال: «**وَيْلٌ: وَادٍ فِي جَهَنَّمَ، يَهْوِي فِيهِ الكَافِرُ [أَرْبَعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ][(٢)] قَعْرَهُ، وَالصَّعُودُ: جَبَلٌ مِنْ نَارٍ يَصْعَدُ فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا، ثُمَّ يَهْوِي بِهِ كَذَلِكَ، فِيهِ أَبَدًا**»[(٣)].

وقد رواه الترمذي عن عبد بن حُمَيدٍ، عن الحسن بن موسى[(٤)] الأشيب به، ثم قال: غريبٌ، لا نعرفه إلا من حديث ابن لَهِيعةَ عن دراج، كذا قال. وقد رواه ابن جرير، عن يونس، عن[(٥)] عبد الله ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن دَرَّاج وفيه غرابةٌ ونكارةٌ.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرْعَةَ وعلي بن عبد الرحمن -المعروف بعَلَّان المصري[(٦)]- قال: حدَّثنا مِنْجابٌ، أخبرنا شَريك، عن عمار الدُّهْنِيّ، عن عطية العوفي، عن أبي سعيدٍ، عن النَّبيِّ ﷺ: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ قال: «**هُوَ جَبَلٌ فِي النَّارِ مِنْ نَارٍ يُكَلَّفُ أَنْ يَصْعَدَهُ، فَإِذَا وَضَعَ يَدَهُ ذَابَتْ، وَإِذَا رَفَعَهَا عَادَتْ، فَإِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ ذَابَتْ، وَإِذَا رَفَعَهَا عَادَتْ**»[(٧)].

ورواه البزار وابن جرير، من حديث شريك به.

وقال قتادة، عن ابن عبَّاس: صعود: صخرة في جهنَّم عظيمة يُسْحَب عليها الكافر على وجههِ.

وقال السُّدِّي: صعودًا: صخرة ملساء في جهنَّم، يكلف أن يصعَدَها.

وقال مجاهد: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ أي: مشقة من العَذَابِ. وقال قتادة: عذابًا لا راحة فيه، واختاره ابن جرير.

وقوله: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ أي: إنما أرهقناه صعودًا؛ أي: قرَّبناه من العذاب الشَّاقِّ؛ لبعده عن الإيمان؛ لأنَّه فكَّر وقدَّر؛ أي: تَرَوَّىٰ ماذا يقول في القرآن حين سُئل عن القرآن، ففكر ماذا يختلق من المقال، ﴿وَقَدَّرَ﴾ أي: تروَّىٰ، ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ دعاء عليه، ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ أي: أعاد النَّظرة والتَّرَوِّي. ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ أي: قبض بين عينيه وقطَّب، ﴿وَبَسَرَ﴾ أي: كلح وكره، ومنه قول توبة بن الحُمَير الشَّاعر:

وَقَدْ رَابَنِي مِنْهَا صُدُودٌ رَأَيْتُهُ ... وَإِعْرَاضُهَا عَنْ حَاجَتِي وَبُسُورُهَا

---

(١) سقط من (ز)، والصواب إثباتها. (٢) هذه الجملة تكررت في (ز).

(٣) ضعيف: رواه الترمذي (٢٥٧٩)، وأحمد (٣/ ٧٥)، وفيه ابن لهيعة: اختلط، ودراج: ضعيف في روايته عن أبي الهيثم.

(٤) لوحة (١٦٥ أ). (٥) في (ز): (يونس بن عبد الله)، وهو خطأ.

(٦) في (ز): (البصري)، وهو خطأ.

(٧) ضعيف: رواه الطبري (٢٩/ ١٥٥)، وابن أبي حاتم (١٩٠٣٤)، وفيه عطية العوفي: شيعي مدلس، وشَريك القاضي: سيئ الحفظ.

وقوله: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ أي: صُرِف عن الحق، ورجع القَهْقَرىٰ مستكبرًا عن الانقياد للقرآن، ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ أي: هذا سحر ينقله محمَّد عن غيره عمن قبله ويحكيه عنهم؛ ولهذا قال: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ أي: ليس بكلام الله.

وهذا المذكور في هذا السياق هو: الوليد بن المغيرة المخزومي أحد رؤساء قريش -لعنه الله- وكان من خبره في هذا ما رواه العَوْفي، عن ابن عبَّاسٍ قال: دخل الوليد بن المغيرة علىٰ أبي بكر بن أبي قُحَافة فسأله عن القرآن، فلمَّا أخبره خرج علىٰ قريش فقال: يا عجبًا لما يقول ابن أبي كبشة، فوالله ما هو بشعرٍ ولا بسحرٍ ولا بهذْيٍ من الجنون[(١)]، وإن قوله لمن كلام الله، فلمَّا سمع بذلك النَّفرُ مِن قريش ائتمروا فقالوا: والله لئن صبا الوليد لتصْبُوَنَّ قريش، فلمَّا سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال: أنا والله أَكْفِيكُم شأنه، فانطلق حتىٰ دخل عليه بيته فقال للوليد: ألم تر قومك قد جمعوا لك الصدقة؟ فقال: ألستُ أكثرهم مالًا وولدًا؟! فقال له أبو جهل: يتحدَّثون أنَّك إنَّما تدخل علىٰ ابن أبي قحافة لتُصِيبَ مِن طعامه، فقال الوليد: أقد تحدث به عشيرتي؟! فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة، ولا عمر، ولا ابن أبي كبشة، وما قوله إلا سحر يؤثر، فأنزل الله علىٰ رسوله ﷺ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ إلىٰ قوله: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾[(٢)].

وقال قتادة: زعموا أنَّه قال: والله لقد نظرت فيما قال الرَّجل فإذا هو ليس بشِعْرٍ، وإن له لحلاوةً، وإن عليه لطلاوةً، وإنَّه ليعلو وما يُعْلَىٰ، وما أشك أنَّه سحرٌ، فأنزل الله: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ الآية، ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ قبض ما بَيْنَ عينيه وكَلَّحَ.

وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن عبد الأعلىٰ، أخبرنا محمَّد بن ثور، عن مَعْمَرٍ، عن عَبَّاد بن منصور، عن عكرمة: أنَّ الوليد بن المغيرة جاء إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنَّه رقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل ابن هشام، فأتاه فقال: أي عمِّ، إنَّ قومك يريدونَ أن يجمعوا لك مالًا، قال: لِمَ؟ قال: يُعْطونكَهُ، فإنَّك أتيتَ محمَّدًا تَتَعَرَضُ لما قبله، قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالًا، قال: فقُلْ فيه قولًا يعلم قومك أنَّك مُنْكِرٌ لما قال، وأنك كارهٌ له، قال: فماذا أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجلٌ أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجنِّ، والله ما يشبه الذي يقوله شيئًا من ذلك، والله إنَّ لقوله الذي يقول لحلاوةً، وإنه ليحطم[(٣)] ما تحته، وإنه ليعلو وما يُعْلَىٰ، وقال: والله لا يرضىٰ قومك حتىٰ تقول

(١) لوحة (١٦٥ ب).

(٢) فيه عطية العوفي، وهو شيعي مدلس، والإسناد مسلسل بالضعفاء، ورواه الحاكم (٢/ ٥٠٦)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٩٨) من طريق أخرىٰ، وإسنادها صحيح، وهو الحديث الآتي.

(٣) في (ز): (وإنه أعظم)، والمثبت موافق لما في «الطبري».

فيه، قال: فدعني حتىٰ أفكر فيه، فلما فكر قال: إن هذا سحر يأثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [قال قتادة: خرج مِن بطن أمه وحيدًا][١] حتىٰ بلغ ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[٢].

وقد ذكر محمَّد بن إسحاق وغير واحدٍ نحوًا من هذا، وقد زعم السُّدِّي أنهم لما اجتمعوا في دار النَّدوة ليجمعوا رأيهم علىٰ قولٍ يقولونه فيه، قبل أن يَقْدَمُ عليهم وفودُ العرب للحج ليصدُّوهُم عنه، فقال قائلون: شاعر. وقال آخرون: ساحر[٣]. وقال آخرون: كاهن. وقال آخرون: مجنون. كما قال تعالىٰ: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٨] كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه، ففكَّر وقدَّر، ونظر وعبس وبسر، فقال: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾.

قال الله ﷻ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ أي: سأغمره فيها مِن جميع جهاته، ثم قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ وهذا تهويلٌ لأمرها وتفخيمٌ، ثم فسَّر ذلك بقوله: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ أي: تأكل لحومهم وعروقهم وعَصَبهم وجلودَهُم، ثم تبدل غير ذلك، وهم في ذلك لا يموتون ولا يَحْيَون، قاله ابن بريدة وأبو سنان وغيرهما.

وقوله: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ قال مجاهد: أي للجلد، وقال أبو رَزين: تَلْفَح الجلد لفحة فتدعه أسود من اللَّيل. وقال زيد بن أسلم: تلوح أجسادهم عليها. وقال قتادة: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ أي: حرَّاقة للجلد. وقال ابن عبَّاس: تحرق بشرة الإنسان.

وقوله: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ أي: من مقدَّمي الزَّبانية، عظيمٌ خَلقهم، غليظٌ خُلقهم.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زرعة، حدَّثنا إبراهيم بن موسىٰ، حدَّثنا ابن أبي زائدة، أخبرني [حريث بن أبي مطر][٤]، عن عامر، عن البراء في قوله: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال: إن رهطًا من اليهود سألوا رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ عن خزنة جهنَّم، فقال: الله ورسوله أعلم، فجاء رجل فأخبر النَّبيَّ ﷺ فنزل عليه ساعتئذٍ: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ فأخبر أصحابه وقال: «**ادْعُهُمْ، أَمَا إِنِّي سَائِلُهُمْ عَنْ تُرْبَةِ الجَنَّةِ إِنْ أَتَوْنِي، أَمَا إِنَّهَا دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ**[٥]». فجاءوه فسألوه عن خزنة جهنَّم، فأهوىٰ بأصابع كفَّيه مرتين وأمسك الإبهام في الثانية، ثم قال: «**أَخْبِرُونِي عَنْ تُرْبَةِ الجَنَّةِ**». فقالوا: أخبرهم يا ابن سلام. فقال: كأنَّها خُبزةٌ بيضاء. فقال رسول الله ﷺ: «**أَمَا إِنَّ الخُبْزَ إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ الدَّرْمَكِ**»[٦].

---

(١) سقط من (ز)، وهو مثبت في «الطبري».

(٢) صحيح: من رواية ابن عباس مسندًا، ورواه الطبري (٢٩/ ١٥٦) مرسلًا، ورواه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٩٩)، والحاكم (٢/ ٥٠٦) مسندًا إلىٰ ابن عباس، وإسناده صحيح.

(٣) لوحة (١٦٦ أ).

(٤) في (ز): (مريث بن عامر)، وهو خطأ، وحريث بن أبي مطر هو ابن عمرو الفزاري، وهو الراوي عن عامر الشعبي، والراوي عنه هو يحيىٰ بن زكريا بن أبي زائدة، وورد عند ابن أبي حاتم: حارث عن عامر، وهو خطأ، وانظر: «تهذيب الكمال» (٥/ ٥٦٢)، وانظر كذلك (١٤/ ٣٢).

(٥) الدَّرْمَك: الدقيق الحُوَّاري، وهو الذي نُخِلَ مرةً بعد أخرىٰ.

(٦) ضعيف: في إسناده حُرَيْث بن أبي مطر: ضعيف، رواه ابن أبي حاتم (١٩٠٤١).

هكذا وقع عند ابن أبي حاتم عن البراء، والمشهور عن جابر بن عبد الله، كما قال الحافظ أبو بكر البزار: حدَّثنا مَنْده، حدَّثنا أحمد بن عَبدَة، أخبرنا سفيان ويحيىٰ بن حكيم، حدَّثنا سفيان، عن مُجالِد، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله قال: جاء رجلٌ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فقال: يا محمَّد، غُلِبَ أصحابك اليوم، فقال: «بِأَيِّ شَيْءٍ؟» قال: سألتهم يَهُودُ هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النَّار؟ قالوا: لا نعلم حتىٰ نسأل[1] نبينا ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «أَفَغُلِبَ قَوْمٌ سُئِلُوا عَمَّا لَا يَدْرُونَ فَقَالُوا: لَا نَدْرِي حَتَّىٰ نَسْأَلَ نَبِيَّنَا؟ عَلَيَّ بِأَعْدَاءِ اللهِ، لَكِنهم[2] سَأَلُوا نَبِيَّهُمْ أَنْ يُرِيَهُمُ اللهَ جَهْرَةً». فأرسل إليهم فدعاهم، قالوا: يا أبا القاسم، كم عدد خزنة أهل النار؟ قال: «هَكَذَا»، وطبَّق كفيه، ثم طبَّق كفيه، مرتين، وعقد واحدةً، وقال لأصحابه: «إِنْ سُئِلْتُمْ عَنْ تُرْبَةِ الجَنَّةِ فَهِيَ الدَّرْمَكُ»، فلما سألوه فأخبرهم بعِدَّة خزنة أهل النار، قال لهم رسول الله ﷺ: «مَا تُرْبَةُ الجَنَّةِ؟» فنظر بعضهم إلىٰ بعض، فقالوا: خُبْزة يا أبا القاسم، فقال: «الخُبْزُ مِنَ الدَّرْمَكِ»[3].

وهكذا رواه الترمذي عند هذه الآية عن ابن أبي عمر، عن سفيان به، وقال هو والبزار: لا نعرفه إلا من حديث مجالد. وقد رواه الإمام أحمد، عن علي بن المديني، عن سفيان، فقص الدرمك فقط.

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾

يقول تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ أي: خُزَّانها، ﴿إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي: [زبانية][4] غلاظًا شدادًا. وذلك رَدٌّ علىٰ مشركي قريشٍ حين ذكر عدد الخزنة، فقال أبو جهل: يا معشر قريش، أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم؟ فقال الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾[5] أي: شديدي الخَلْقِ لا يقاوَمُون ولا يغالَبُون. وقد قيل: إن أبا الأشدين -واسمه: كِلْدَة بن أسيد بن خلف- قال: يا معشر قريش، اكفوني منهم اثنين وأنا أكفيكم منهم سبعة عشر، إعجابًا منه بنفسه[6]، وكان قد بلغ من القوَّة فيما يزعمون أنَّه كان يقف علىٰ جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينتزعوه مِن تحت قدميه،

---

(١) لوحة (١٦٦ ب). (٢) في (ز): (لكن).

(٣) ضعيف: في إسناده مجالد بن سعيد: ليس بالقوي، رواه الترمذي (٣٣٢٧)، وأحمد (٣/ ٣٦١).

(٤) ليست في (ز).

(٥) أورده السيوطي في «اللباب» بإسناد معضل، ورواه نحوه الطبري (٢٩/ ١٥٩) بدون ذكر سبب النزول، وإسناده مرسل.

(٦) رواه ابن أبي حاتم (١٩٠٤٠) نحوه، ولفظه: لا يَهُولَنَّكم التسعةَ عَشَرَ، أنا أرفع عنكم بمنكبي الأيمن عشرة وبمنكبي الأيسر تسعة.

فيتمزَّق الجلد ولا يتزحزح عنه. قال السُّهيلي: وهو الذي دعا رسول الله ﷺ إلىٰ مصارعته وقال: إن صَرَعْتَنِي آمنتُ بك، فصرعه النَّبيُّ ﷺ مرارًا، فلم يؤمن، قال: وقد نَسَبَ ابنُ إسحاق خبر المصارعة إلىٰ رُكَانة[1] بن عبد يزيد بن هاشم[2] بن المطلب، قلت: ولَا مُنَافَاةَ بين ما ذكراه، والله أعلم.

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: إنما ذكرنا عدَّتهم أنَّهم تسعةَ عشرَ اختبارًا منَّا للنَّاس، ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: يعلمون أن هذا الرَّسولَ حقٌّ؛ فإنَّه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السَّماويَّة المنزَّلة علىٰ الأنبياء قبله.

﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ أي: إلىٰ إيمانهم. بما يشهدون مِن صدق إخبار نبيِّهم محمَّد ﷺ ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: من المنافقين ﴿وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾؟ أي: يقولون: ما الحكمة في ذكر هذا هاهنا؟ قال الله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ أي: من مثل هذا وأشباهه يتأكد الإيمان في قلوب أقوامٍ، ويتزلزل عند آخرين، وله الحكمة البالغة، والحجَّة الدَّامغة.

وقوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالىٰ؛ لئلَّا يتوهَّم متوهِّمٌ أنَّهم تسعة عشر فقط، كما قد قاله طائفةٌ مِن أهلِ الضَّلالة والجهالة من الفلاسفة اليُونَانِيِّين. ومَن تابعهم من الملَّتين الذين سمعوا هذه الآية، فأرادوا تنزيلها علىٰ العقول العشرة والنُّفوس التِّسعة، التي اخترعوا دعواها، وعجزوا عن إقامة الدَّلالة علىٰ مقتضاها، فما فهموا[3] صدر هذه الآية وقد كفروا بآخرها، وهو قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

وقد ثبت في حديث الإسراء المروي في «الصحيحين» وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة: «**فَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، لا يَعُودُونَ إِلَيْهِ آخرَ مَا عَلَيْهِمْ**»[4].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا أسود، حدَّثنا إسرائيل، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن مورِّق، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، لَوْ عَلِمْتُمْ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَلَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَىٰ الفُرُشَاتِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَىٰ الصُّعُدَاتِ**[5] **تَجْأَرُونَ إِلَىٰ اللهِ** ﷻ». فقال أبو ذرٍّ: والله لوددتُ أني شجرة تُعضد[6][7]. ورواه التِّرمذي وابن ماجه، من حديث

---

(١) لوحة (١٦٧ أ).

(٢) في (ز): (هشام)، وهو خطأ.

(٣) في (ز): (فأفهموا).

(٤) انظر تفسير أول سورة الإسراء.

(٥) أي: الطُّرق.

(٦) أي: تقطع وتستأصل.

(٧) رواه أحمد (٥/ ١٧٣)، والترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، وفيه إبراهيم بن مهاجر: ضعيف، وقال الترمذي: حسن غريب. قلت: يعني بشواهده، والحديث حسنه الألباني دون قوله: لوددت... انظر: «الصحيحة» (١٠٦٠).

إسرائيل وقال الترمذي: حسنٌ غريبٌ(١)، ويروى عن أبي ذر موقوفًا.

وقال الحافظ أبو القاسم الطَّبراني: حدَّثنا خير(٢) بن عرفة المصري، حدَّثنا عُرْوَةُ بن مروان الرَّقِّي، حدَّثنا عبيد الله بن عمرو، عن عبد الكريم بن مالك، عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا فِي السَّمَوَاتِ السَّبْعِ مَوْضِعُ قَدَمٍ وَلَا شِبْرٍ وَلَا كَفٍّ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ، أَوْ مَلَكٌ سَاجِدٌ، أَوْ مَلَكٌ رَاكِعٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ قَالُوا جَمِيعًا: سُبْحَانَكَ! مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، إِلَّا أَنَّا لَمْ نُشْرِكْ بِكَ شَيْئًا»(٣).

وقال محمَّد بن نصر المَرْوزي في «كتاب الصلاة»: حدَّثنا عمرو بن زُرَارة، أخبرنا عبد الوهاب بن(٤) عطاء، عن سعيد، عن قتادة، عن صفوان بن مُحْرِزٍ، عن حكيم بن حزام قال: بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه إذ قال لهم: «هَلْ تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟» قالوا: ما نسمع من شيءٍ، فقال رسول الله ﷺ: «أَسْمَعُ أَطِيطَ السَّمَاءِ وَمَا تُلَامُ أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ»(٥).

وقال أيضًا: حدَّثنا محمَّد بن عبد الله بن قُهْزاذ، حدَّثنا أبو معاذ الفضل بن خالد النحوي، حدَّثنا عبيد ابن سليمان الباهلي، سمعت الضَّحَّاكَ بن مزاحم، يحدث عن مسروق بن الأجدع، عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَا فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا مَوْضِعُ قَدَمٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ، وَذَلِكَ قَوْلُ المَلَائِكَةِ: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾» [الصافات: ١٦٤ - ١٦٦](٦).

وهذا مرفوعٌ غريبٌ جدًّا ثم رواه عن محمود بن آدم، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي الضُّحىٰ، عن مسروق، عن ابن مسعود أنه قال: إن من السموات سماءً ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماه قائمًا، ثم قرأ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾(٧).

ثم قال: حدَّثنا أحمد بن سيار(٨): حدَّثنا أبو جعفر محمَّد بن خالد الدمشقي المعروف بابن أمه،

---

(١) لوحة (١٦٧ ب).

(٢) في (ز): (حسين بن عرفة)، والمثبت هو الصواب.

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (٢/ ١٨٤/ ١٧٥١)، وفيه عروة بن مروان العرقي، ويقال: الرقي: قال الدارقطني: ليس بالقوي ويشهد له حديث أبي ذر السابق.

(٤) في (ز): (عبد الوهاب عن عطاء)، والمثبت هو الصواب.

(٥) صحيح لغيره: رواه ابن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٥٠)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٠١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣١٧)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢٣١٢)، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٠٦٠)، وإسناده حسن، وللحديث شواهد سبق ذكرها في سورة التوبة الآية (١١٦).

(٦) رواه ابن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٥٣)، وفيه الفضل بن خالد النحوي، أورده ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

وروواه ابن نصر المروزي موقوفًا بعد ذلك بإسنادٍ صحيح وهو الآتي، وانظر: تفسير سورة الصافات الآية (٥٩).

(٧) رواه ابن نصر المروزي (٢٥٤) موقوفًا وإسناده صحيح، ومثله لا يقال بالرأي فله حكم المرفوع.

(٨) في (ز): (بشار)، وهو خطأ.

حدَّثنا المغيرة بن عثمان(١) بن عطية من بني عمرو بن عوف، حدَّثني سليمان بن أيوب من [بني](٢) سالم بن عوف، حدَّثني عطاء بن يزيد(٣) بن مسعود من بني الحبلي(٤)، حدَّثني سليمان بن عمرو بن الربيع من بني سالم، حدَّثني عبد الرحمن بن العلاء من بني ساعدة، عن أبيه العلاء بن سعد -وقد شهد الفتح وما بعده- أن النبيَّ ﷺ قال يومًا لجلسائه: «هَلْ تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟» قالوا: وما تسمع يا رسول الله(٥)؟ قال: «أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، إِنَّهُ لَيْسَ فِيهَا مَوْضِعُ قَدَمٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ قَائِمٌ أَوْ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ، وَقَالَ المَلَائِكَةُ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾». وهذا إسناد غريبٌ جدًّا(٦).

ثم قال: [حدَّثنا محمَّد بن يحيىٰ،](٧) حدَّثنا إسحاق بن محمَّد بن إسماعيل الفَروي، حدَّثنا عبد الملك بن قدامة، عن عبد الرحمن، عن عبد الله بن دينار، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر: أن عمر جاء والصَّلاة قائمة، ونفر ثلاثة جلوس، أحدهم أبو جحش اللَّيثي، فقال: قوموا فصلوا مع رسول الله، فقام اثنان وأَبَىٰ أبو جحشٍ أن يقوم، وقال: لا أقوم حتىٰ يأتي رجلٌ هو أقوىٰ مني ذراعين، وأشد منِّي بطشًا فيصرعني، ثم يَدس وجهي في التراب، قال عمر: فصرعته ودسست وجهه في التراب، فأتىٰ عثمان بن عفان فحجزني عنه، فخرج عمر مغضبًا حتىٰ انتهىٰ إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: «[مَاذَا بِكَ](٨) يَا أَبَا حَفْصٍ؟». فذكر له ما كان منه فقال رسول الله ﷺ: [«إِنَّ رِضَا عُمَرَ رَحْمَةٌ،](٩) وَاللهِ لَوَدِدتُّ أَنَّكَ جِئْتَنِي بِرَأْسِ الخَبِيثِ»، فقام عمر يُوجِّهُ(١٠) نحوه، فلما أبعد ناداه فقال: «اجْلِسْ حَتَّىٰ أُخْبِرَكَ بِغِنَىٰ الرَّبِّ ﷻ عَنْ صَلَاةِ أَبِي جَحْشٍ، إِنَّ للهِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا مَلَائِكَةً خُشُوعًا لَا يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ، فَإِذَا قَامَتْ رَفَعُوا رُءُوسَهُمْ ثُمَّ قَالُوا: رَبَّنَا، مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَإِنَّ للهِ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ مَلَائِكَةً سُجُودًا لَا يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ فَإِذَا قَامَتِ السَّاعَةُ رَفَعُوا رُءُوسَهُمْ، وَقَالُوا: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ» فقال له عمر: وما يقولون يا رسول الله؟ فقال: «أَمَّا أَهْلُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُونَ: سُبْحَانَ ذِي المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ، وَأَمَّا أَهْلُ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَيَقُولُونَ: سُبْحَانَ ذِي العِزَّةِ وَالجَبَرُوتِ، وَأَمَّا أَهْلُ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَيَقُولُونَ: سُبْحَانَ

---

(١) في (ز): (المغيرة بن عمر)، وهو خطأ.
(٢) سقط من (ز)، وهو مثبت من «تعظيم قدر الصلاة».
(٣) في (ز): (زيد)، وهو خطأ.
(٤) في (ز): (الحكم)، والمثبت هو الصواب، وهو موافق لما في «تعظيم قدر الصلاة».
(٥) لوحة (١٦٨ أ).
(٦) رواه ابن نصر المروزي (٢٥٥).
(٧) سقط من (ز).
(٨) في (ز): (ما رابك)، والمثبت موافق لما في «تعظيم قدر الصلاة».
(٩) المثبت موافق لما في «المستدرك»، وفي (ز): (إني).
(١٠) أي: يتوجه نحوه.

الحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ. فَقُلْهَا يَا عُمَرُ فِي صَلَاتِكَ». فقال عمر: يا رسول الله، فكيف بالَّذي كنت علَّمتني وأمرتني أن أقوله في صلاتي؟ فقال: «قُلْ هَذَا مَرَّةً وَهَذَا مَرَّةً»(١)، وكان الذي أمره به أن يقول: «أَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ، وَأَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، جَلَّ وَجْهُكَ».

وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا، بل منكرٌ نكارةً شديدةً، وإسحاق الفروي(٢) روىٰ عنه البخاري، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وضعفه أبو داود والنسائي والعُقَيلي(٣) والدارقطني، وقال أبو حاتم الرازي: كان صدوقًا إلا أنَّه ذهب بصره فربما [لُقِّن،](٤) وكتبه صحيحة. وقال مرة: هو مضطرب، وشيخه عبد الملك بن قدامة أبو قتادة الجُمَحي: تُكُلِّم فيه أيضًا. والعجب من الإمام محمَّد بن نصر، كيف رواه ولم يتكلم عليه، ولا عَرَّفَ بحاله، ولا تعرض لضعف بعض رجاله؟! غير أنه رواه من وجه آخر عن سعيد بن جبير مرسلًا بنحوه، ومن طريقٍ أخرىٰ عن الحسن البصري مرسلًا قريبًا منه، ثم قال محمَّد بن نصر: حدَّثنا محمَّد بن عبد الله بن قُهْزاذ(٥)، أخبرنا النضر، أخبرنا عباد بن منصور قال: سمعت عدي بن أرطاة وهو يخطبنا علىٰ منبر المدائن قال: سمعت رجلًا من أصحاب النَّبيّ ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ للهِ تَعَالَىٰ مَلَائِكَةً تُرْعَدُ فَرَائِصُهُمْ مِنْ خِيفَتِهِ، مَا مِنْهُمْ مَلَكٌ تَقْطُرُ مِنْهُ دَمْعَةٌ مِنْ عَيْنِهِ إِلَّا وَقَعَتْ عَلَىٰ مَلَكٍ يُصَلِّي، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَلَائِكَةً سُجُودًا مُنْذُ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَمْ يَرْفَعُوا رُءُوسَهُمْ وَلَا يَرْفَعُونَهَا إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَلَائِكَةً رُكُوعًا لَمْ يَرْفَعُوا رُءُوسَهُمْ مُنْذُ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَا يَرْفَعُونَهَا إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، فَإِذَا رَفَعُوا رُءُوسَهُمْ نَظَرُوا إِلَىٰ وَجْهِ اللهِ ﷻ قَالُوا: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ» وهذا إسناد لا بأس به(٦).

وقوله: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ قال مجاهد وغير واحد: ﴿وَمَا هِيَ﴾ أي: النَّار التي وصفت، ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾، ثم قال: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ أي: ولىٰ، ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ أي: أشرق، ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ أي: العظائم؛ يعني: النَّار، قاله ابن عبَّاس، ومجاهد، وقتادة، والضَّحَّاك، وغير واحدٍ من السَّلف. ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ أي: لمن شاء أن يقبل النِّذارةَ ويهتديَ للحقِّ، أو يتأخَّر عنها ويولي ويردها.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا

---

(١) منكر: رواه محمَّد بن نصر (٢٥٦) وفيه إسحاق الفَرْوِي (انظر تعليق ابن كثير بعد إيراده الحديث).
(٢) في (ز): (المعروي)، وهو خطأ.
(٣) لوحة (١٦٨ ب).
(٤) بياض في (ز).
(٥) في (ز): (مهراد).
(٦) لا بأس به: رواه محمَّد بن نصر (٢٦٠) وفيه عدي بن أرطاة: مقبول، ويشهد لحديثه ما تقدم من حديث جابر ﷺ. والله أعلم.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ(١) إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا أن: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ أي: معتقَلَة بعملها يوم القيامة، قاله ابن عبَّاس وغيره: ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ فإنَّهم ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: يسألون المجرمين وهم في الغُرُفَات وأولئك في الدَّركات قائلين لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ أي: ما عبدنا ربَّنا ولا أحسنَّا إلىٰ خلقه من جنسنا، ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ أي: نتكلَّم فيما لا نعلم، وقال قتادة: كلَّما غوىٰ غاوٍ غَوَيْنَا معه، ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ يعني: الموت. كقوله: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] وقال رسول الله ﷺ: «أَمَّا هُوَ -يعني: عثمان بن مظعون- فَقَدْ جَاءَهُ اليَقِينُ مِنْ رَبِّهِ»(٢).

قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ أي: مَن كان متَّصفًا بهذه الصِّفات فإنَّه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافعٍ فيه؛ لأنَّ الشَّفاعة إنَّما تَنْجَع إذا كان المحل قابلًا، فأمَّا مَن وافىٰ الله كافرًا يوم القيامة فإنَّه له النَّار لا محالة، خالدًا فيها، ثم قال تعالىٰ: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [أي: فما لهؤلاء الكفرة الَّذِين قِبَلَك مما تدعوهم إليه وتذكرهم به معرضين](٣)؟!

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ أي: كأنَّهم في نِفَارهم عن الحقِّ، وإعراضهم عنه حُمُرٌ مِن حمر الوَحْشِ إذا فرَّت ممن يريد صَيْدَهَا مِن أَسَدٍ، قاله أبو هريرة، وابن عبَّاس في رواية عنه، وزيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن، أو: رامٍ، وهو رواية عن ابن عبَّاس، وهو قول الجمهور، وقال حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران(٤)، عن ابن عبَّاس: الأسد بالعربية، ويقال له بالحبشية: قسورة، وبالفارسية: شير(٥) وبالنبطيَّة: أويا.

وقوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ أي: بل يريد كلُّ واحدٍ مِن هؤلاء المشركين أَن يُنْزل عليه كتابٌ كما أُنْزل علىٰ النَّبيِّ، قاله مجاهد وغيره، كقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وفي رواية عن قتادة: يُرِيدُون أن يُؤْتَوْا براءةً بغير عمل.

---

(١) لوحة (١٦٩ أ).

(٢) البخاري (١٢٤٣)، وأحمد (٦/ ٤٣٦)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٥٦٣٤).

(٣) ما بين المعكوفتين سقط من (ز).

(٤) في (ز): (ماهك)، و(يوسف بن مهران) هو البصري، والصحيح أنه غير يوسف بن ماهك.

(٥) في (ز): (سار).

فقوله: ﴿كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ أي: إنَّما أفسدهم عدم إيمانهم بها، وتكذيبهم بوقوعها، ثم قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾ أي: حقًّا إن القرآن تذكرةٌ، ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ كقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

وقوله: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ أي: هو أهلٌ أن يُخافَ منه[١]، وهو أهلٌ أن يَغفرَ ذنب من تابَ إليه وأناب، قاله قتادة.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا زيد بن الحُبَاب، أخبرني سهيل -أخو حزم- حدَّثنا ثابتُ البُنَاني، عن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ وقال: «**قَالَ رَبُّكُمْ: أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَىٰ، فَلَا يُجْعَلَ مَعِي إِلَهٌ، فَمَنِ اتَّقَىٰ أَنْ يَجْعَلَ مَعِي إِلَهًا كَانَ أَهْلًا أَنْ أَغْفِرَ لَهُ**»[٢].

ورواه الترمذي، وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب، والنَّسائي من حديث المُعَافَىٰ بن عمران، كلاهما عن سُهَيلِ بن عبد الله القُطَعي به، وقال الترمذي: حسنٌ غريبٌ، وسهيلٌ ليس بالقوي. ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه، عن هُدْبَةَ بن خالد، عن سُهَيلٍ به. وهكذا رواه أبو[٣] يعلىٰ، والبَزار، والبَغَويُّ، وغيرهم، من حديث سُهَيلٍ القُطَعي به.

[آخر تفسير سورة «المدثر» ولله الحمد والمنة][٤].

---

(١) لوحة (١٦٩ ب).

(٢) ضعيف: رواه أحمد (٣/ ١٤٢)، والترمذي (٣٣٢٥)، وابن ماجه (٤٢٩٩)، وفيه سهيل أخو حزم، وهو ابن أبي حزم القُطَعِيُّ: ضعيف.

(٣) في (ز): (ابن يعلىٰ).

(٤) سقط من (ز).

سُورَةُ القِيَامَةِ

تفسير سورة القيامة وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥)﴾

قد تقدَّم غير مرَّةٍ أنَّ المقسَمَ عليه متىٰ ما كان منفيًّا، جاز الإتيان بـ«لا» قبل القسم لتأكيد النَّفي. والمقسوم عليه هاهنا هو إثبات الميعاد، والرَّد علىٰ ما يزعمه الجهلة من العباد من عدم بَعث الأجساد؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ قال الحسن: أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللَّوَّامة، وقال قتادة: بل أقسم بهما جميعًا، هكذا حكاه ابن أبي حاتم. وقد حكىٰ ابن جرير، عن الحسن والأعرج أنهما قرآ: «لأقسم[1] بيوم القيامة»، وهذا يوجه قول الحسن؛ لأنَّه أثبت القسم بيوم القيامة ونفىٰ القسم بالنفس اللوامة، والصَّحيح أنَّه أقسم بهما جميعًا كما قاله[2] قتادة: وهو المروي عن ابن عبَّاس، وسعيد بن جُبَير، واختاره ابن جرير.

فأمَّا يوم القيامة فمعروفٌ، وأمَّا النَّفس اللَّوَّامة، فقال قُرَّة بن خالد، عن الحسن البصري في هذه الآية: إن المؤمن -والله- ما نراه إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلمتي؟ ما أردت بأكلتي؟ ما أردت بحديثِ نفسي؟ وإنَّ الفاجر يمضي قُدُمًا[3] ما يُعَاتِبُ نفسه[4].

وقال جُوَيْبر: بلغنا عن الحسن أنَّه قال في قوله: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ قال: ليس أحد من أهل السَّموات والأرض إلا يلوم نفسه يوم القيامة.

---

(١) في (ز): (لا أقسم)، وفي هامشه: لعله «لأقسم بالنفس» علىٰ أحد الوجهين عن ابن كثير. وهي قراءة متواترة: قَرَأَ (لَأُقْسِمُ) ابْنُ كَثِيرٍ بِخُلْفِ الْبَزِّيِّ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (لَا أُقْسِمُ).

(٢) لوحة (١٧٠ أ).

(٣) في (ز): (قدما قدما).

(٤) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (١٦٣٩)، ويحيىٰ الشَّجَري في «الأمالي» (١/ ٣٤٧)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٤٣) إلىٰ ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» وإلىٰ عبد بن حميد.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا عبد الله بن صالح بن مسلم، عن إسرائيل، عن سِماك: أنَّه سأل عِكْرِمةَ عن قوله: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ قال: يلوم علىٰ الخير والشر: لو فعلت كذا وكذا. ورواه ابن جرير، عن أبي كُرَيْبٍ، عن وَكِيعٍ، عن إسرائيل.

وقال ابن جرير: حدَّثنا محمَّد بن بشار، حدَّثنا مؤمَّلٌ، حدَّثنا سفيان، عن ابن جُرَيجٍ، عن الحسن ابن مسلم، عن سعيد بن جُبَيرٍ في: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ قال: تلوم علىٰ الخير والشر.

ثم رواه من وجه آخر عن سعيد أنه سأل ابن عبَّاس عن ذلك: فقال: هي النفس اللَّئُوم[١].

وقال ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد: تندم علىٰ ما فات وتلوم عليه.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: اللوامة: المَذْمُومَة[٢]. وقال قتادة: ﴿ٱللَّوَّامَةِ﴾ الفاجرة.

قال ابن جرير: وكل هذه الأقوال متقاربة المعنىٰ، الأشبه بظاهر التَّنزيل أنها التي تلوم صاحبها علىٰ الخير والشَّرِّ وتندم علىٰ ما فات.

وقوله: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ أي: يوم القيامة، أيظن أنَّا لا نقدر علىٰ إعادة عظامه وجمعها مِن أماكنها المتفرِّقة؟! ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ قال سعيد بن جُبَيرٍ والعَوفي، عن ابن عبَّاس: أن نجعله خُفًّا أو حافرًا[٣]. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والضَّحَّاك، وابن جرير، ووجَّهه ابنُ جرير بأنَّه تعالىٰ لو شاء لجعل ذلك في الدنيا.

والظاهر من الآية أن قوله: ﴿قَٰدِرِينَ﴾ حال من قوله: ﴿نَّجۡمَعَ﴾ أي: أيظن الإنسان أنا لا نجمع عظامه؟ بلىٰ سنجمعها قادرين علىٰ أن نُسَوِّي بنانه؛ أي: قدرتنا صالحة لجمعها، ولو شئنا لبعثناه أزيد مما كان، فنجعل بنانه، وهي أطراف أصابعه مستوية، وهذا معنىٰ قول ابن قتيبة، والزَّجَّاج.

وقوله: ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ[٤] لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ قال سعيد، عن ابن عبَّاس: يعني يمضي قُدُمًا.

وقال العَوْفي، عن ابن عبَّاس: ﴿لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ يعني: الأمل[٥]، يقول الإنسان: أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة[٦]، ويقال: هو الكفر بالحق بين يدي القيامة.

وقال مجاهد: ﴿لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ ليمضي أمامه راكبًا رأسه. وقال الحسن: لا يُلقىٰ[٧] ابن آدم إلا تنزع نفسه إلىٰ معصية الله قدمًا قدمًا، إلا من عصمه الله. ورُوي عن عكرِمة، وسعيد بن جُبَير، والضَّحَّاكِ، والسُّدِّي، وغير واحدٍ من السلف: هو الذي يعجل الذُّنوبَ ويُسوِّف التوبة.

---

(١) رواه الطبري (٢٩/ ١٧٣).
(٢) رواه الطبري (٢٩/ ١٧٤).
(٣) في (ز): (أو حايفًا)، والمثبت موافق لما في «الطبري».
(٤) لوحة (١٧٠ ب).
(٥) في (ز): (الإبل).
(٦) رواه الطبري (٢٩/ ١٧٧)، وإسناده ضعيف.
(٧) في (ز): (لا يكفي).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: هو الكافر يكذِّب بيوم الحساب[(١)]، وكذا قال ابن زيد، وهذا هو الأظهر من المراد؛ ولهذا قال بعده: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: يقول: متىٰ يكون يوم القيامة؟ وإنَّما سؤاله سؤال استبعادٍ لوقوعه، وتكذيب لوجوده، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سبأ: ٢٩، ٣٠].

وقال تعالىٰ هاهنا: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ قال أبو عمرو بن العلاء: ﴿بَرِقَ﴾ بكسر الراء؛ أي: حَارَ، وهذا الذي قاله شبيه بقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٣]، بل ينظرون من الفزع هكذا وهكذا، لا يَسْتَقِرُّ لهم بصرٌ علىٰ شيءٍ من شدَّة الرُّعب.

وقرأ آخرون: «بَرَقَ» بالفتح[(٢)]، وهو قريبٌ في المعنىٰ من الأول، والمقصود أنَّ الأبصار تنبهر يوم القيامة وتخشع وتحار وتذل مِن شدَّة الأهوال، ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور.

وقوله: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ أي: ذهب ضوؤه. ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ قال مجاهد: كُوِّرَا. وقرأ ابن زيد عند تفسير هذه الآية: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ١، ٢] ورُوي عن ابن مسعود أنَّه قرأ: ﴿وجُمع بين الشمس والقمر﴾.

وقوله: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ أي: إذا عاين ابنُ آدم هذه الأهوال يوم القيامة، حينئذٍ [يريد أن][(٣)] يفرَّ ويقول: أين المفر؟ أي: هل من ملجأ أو مَوْئِلٍ؟ قال الله تعالىٰ: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ قال ابن مسعود، وابن عبَّاس، وسعيد بن جُبَير، وغير واحدٍ من السلف: أي لا نجاة.

وهذه كقوله: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ [الشورىٰ: ٤٧] أي: ليس لكم مكان [تتنكرون فيه، وكذا قال هاهنا ﴿لَا وَزَرَ﴾ أي: ليس لكم مكانٌ][(٤)] تعْتَصِمُونَ فيه؛ ولهذا قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ[(٥)] يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ أي: المرجع والمَصِير.

ثم قال تعالىٰ: ﴿يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ أي: يُخْبَر بِجَمِيعِ أعماله قدِيمِها وحدِيثِها، أوَّلها وآخرها، [صغيرها وكبيرها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]][(٦)] وهكذا قال هاهنا: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ أي: هو شهيد علىٰ نفسه، عالم بمَا فَعَلَهُ ولو اعتذر وأنكَر، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ يقول: سمعُه وبصرُه ويداه

---

(١) رواه الطبري (٢٩/ ١٧٨)، وإسناده منقطع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس.
(٢) متواترة: قَرَأَ (بَرَقَ) نَافِعٌ وَأَبُو جَعْفَرٍ، وَقَرَأَ ٱلْبَاقُونَ (بَرِقَ).
(٣) سقط من (ز).
(٤) سقط من (ز).
(٥) لوحة (١٧١ أ).
(٦) سقط من (ز).

ورجلاه(١) وجَوارِحُه.

وقال قتادة: شاهد علىٰ نفسه. وفي رواية قال: إذا شئت -والله- رأيته بصيرًا بعيوب النَّاس وذنوبهم غافلًا عن ذنوبه، وكان يقال: إن في الإنجيل مكتوبًا: يا ابن آدم، تُبصر القَذَاةَ في عين أخيك، وتترك الجِذْلَ(٢)(٣) في عينك لا تبصره.

وقال مجاهد: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ ولو جادل عنها فهو بصير عليها. وقال قتادة: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ ولو اعتذر يومئذٍ بباطلٍ لا يقبل منه. وقال السُّدِّي: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ حُجَّته. وكذا قال ابن زيد، والحسن البصري، وغيرهم، واختاره ابن جرير. وقال قتادة، عن زُرَارة، عن ابن عبَّاس: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ يقول: لو ألقىٰ ثيابه(٤). وقال الضَّحَّاكُ: ولو أرخىٰ ستوره، وأهل اليمن يسمون الستر: المِعْذار. والصَّحيح قول مجاهد وأصحابه، كقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وكقوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨].

وقال العَوْفي، عن ابن عبَّاس: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ هي الاعتذار أَلَمْ تسمع أنَّه قال: ﴿لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [غافر: ٥٢]، وقال: ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾ [النحل: ٨٧] ﴿فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ(٥) مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾ [النحل: ٢٨]، وقولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾

هذا تعليمٌ من الله ﷻ لرسوله ﷺ في كيفيَّة تلقِّيه الوحيَ من الملك، فإنه كان يبادر إلىٰ أخذه، ويسابِقُ(٦) المَلَك في قراءته، فأمره الله ﷻ إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له، وتكفَّل له أن يجمعه في صدره، وأن يُيَسِّرَهُ لأدائه علىٰ الوجه الذي ألقاه إليه(٧)، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه، فالحالة الأولىٰ جَمْعُه في صدره، والثَّانية تلاوته، والثَّالثة تفسيره وإيضاح معناه؛ ولهذا قال: ﴿لَا

---

(١) في (ز): (ويديه ورجليه)، والمثبت موافق لما في «الطبري».
(٢) الجِذل: أصل الشجرة يقطع، وقد يجعل العود جذلًا.
(٣) في (ز): (وتترك الجذع)، والمثبت موافق لما في «الطبري».
(٤) في (ز): (ولو ألقىٰ بهتانه).
(٥) في (ز): (وألقوا إلىٰ الله يومئذٍ السلم ما كنا نعمل من سوء)، وهما آيتان لا آية واحدة، والصواب ما أثبتناه.
(٦) في (ز): (يساوق).
(٧) لوحة (١٧١ ب).

﴿تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ أي: بالقرآن(١)، كما قال: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

ثم قال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ أي: في صدرك، ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ أي: أن تقرأه، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ أي: إذا تلاه عليك المَلَك عن الله ﷻ ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ أي: فاستمع له، ثم اقرأه كما أقرأك، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ أي: بعد حفظِهِ وتلاوتِهِ نبيِّنُهُ لك ونوضِّحُه، ونُلْهِمُك معناه علىٰ ما أردنا وشرعنا.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا عبد الرحمن، عن أبي عَوَانةَ، عن موسىٰ بن أبي عائشة، عن سعيد بن جُبَيرٍ، عن ابن عبَّاس قال: كان رسول الله ﷺ يعالج من التَّنزيل شِدَّةً، فكان يحرِّك شفتيه -قال: فقال لي ابن عبَّاس: أنا أحرك شفتي كما كان رسول الله ﷺ يحرك شفتيه، وقال لي سعيد: وأنا أحرك شفتي كما رأيت ابن عبَّاس يحرك شفتيه، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ قال: جَمْعه في صدرك، ثم تقرأه، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ فاستمع له وأنصت، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ فكان بعد ذلك إذا انطلق جبريل قرأَهُ كما أقرأه(٢).

وقد رواه البخاري ومسلم، من غير وجه، عن موسىٰ بن أبي عائشة، به، ولفظ البخاري: فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله ﷻ.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد الأشج، حدَّثنا أبو يحيىٰ التيمي، حدَّثنا موسىٰ بن أبي

---

(١) قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -بعد أن ساق أوجه التفسير المأثورة في قوله تعالىٰ ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾-: وحاول القَفَّال معنًىٰ فقال كما نقله عنه الرازي: إن قوله تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ ليس خطابًا مع الرسول ﷺ بل هو خطاب مع الإنسان المذكور في قوله : ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القيامة: ١٣]، فكان ذلك حالَ ما ينبأ بقبائح أفعاله، وذلك بأن يُعرَض عليه كتابُهُ فيقال له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٤]. فإذا أخذ في القراءة تلجلج لسانه من شدة الخوف، وسرعة القراءة، فيقال له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ فإنه يجب علينا بحكم الوعد، أو بحكم الحكمة، أن نجمع أعمالك عليك، وأن نقرأها عليك، فإذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه، بالإقرار بأنك فعلت تلك الأفعال، ثم إن علينا بيانَ أمرِه، وشرحَ مراتبِ عقوبته.

وحاصل الأمر من تفسير هذه الآية: أن المراد منه أنه تعالىٰ يقرأ علىٰ الكافر جميع أعماله، علىٰ سبيل التفصيل. وفيه أشد الوعيد في الدنيا، وأشد التهويل في الآخرة.

ثم قال القفال: فهذا وجه حسن، ليس في العقل ما يدفعه، وإن كانت الآثار غيرَ واردةٍ به. انتهىٰ.

ونقل الشهاب أن بعضهم ارتضىٰ هذا الوجه، وقدمه علىٰ الوجه السابق.

وزعم الحافظ ابن حجر أن الحامل علىٰ هذا الوجه الأخير هو عسر بيان المناسبة بين هذه الآية وما قبلها من أحوال القيامة؛ أي: ولمَّا بيّن الأئمة المناسبة التي أثَرْناها عنهم، لم يبقَ وجه للذهاب إلىٰ هذا الوجه الأخير، مع أن هذا الوجه -هو فيما يظهر- فيه غاية القوة والارتباط بما قبله وما بعده، مما يؤثر علىٰ المأثور، الذي قد يكون مدركه الاجتهاد، والوقوف مع ظاهر ألفاظ الآية، ومما يؤيد ما أورد عليه أن ابن عباس لم يرَ النبي ﷺ في تلك الحال؛ لأن الظاهر أن ذلك كان في مبدأ البعث النبوي، ولم يكن ابن عباس وُلد حينئذ. ولا مانع -كما قال ابن حجر- أن يخبر النبي ﷺ بذلك بعد، فيراه ابن عباس، أو يخبر به، فيكون من مراسيل الصحابة، والله أعلم.

(٢) البخاري (٥)، ومسلم (٤٤٨)، وأحمد (١/ ٣٤٣).

عائشة، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عبَّاس قال: كان رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي يلقىٰ منه شدة، وكان إذا نزل عليه عُرِف في تحريكه شفتيه، يتلقَّىٰ أوَّله ويحرِّك به شفتيه؛ خشية أن ينسىٰ أوَّله قبل أن يفرغ من آخره، فأنزل الله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾(١).

وهكذا قال الشَّعْبي، والحسن البصري، وقتادة، ومجاهد، والضَّحَّاكُ، وغير واحدٍ: إن هذه الآية نزلت في ذلك.

وقد روىٰ ابن جرير من طريق العَوْفي، عن ابن عبَّاس: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ قال: كان لا يَفْتُر من القراءة مخافة أن ينساه، فقال الله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ(٢) ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا﴾ [أن نجمعه لك](٣) ﴿جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ أن نقرئك فلا تنسىٰ(٤).

[وقال ابن عبَّاس وعطية العوفي: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ تبيين حلاله وحرامه(٥). وكذا قال قتادة](٦).

وقوله: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي: إنَّما يحملهم علىٰ التَّكذيب بيَوْمِ القيامة ومخالفة ما أنزله الله ﷻ علىٰ رسوله ﷺ من الوحي الحقِّ والقرآن العظيم - أنَّهم إنَّما همتهم إلىٰ الدَّار الدُّنيا العاجلة، وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة.

ثم قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ من النَّضارة؛ أي: حسنةٌ بَهِيَّةٌ مشرقةٌ مسرورةٌ، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: تراه عِيانًا، كما رواه البخاري رحمه الله في «صحيحه»: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا**»(٧). وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله ﷻ في الدَّار الآخرة في الأحاديث الصِّحاح، من طرقٍ متواترةٍ عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها؛ لحديث أبي سعيد وأبي هريرة -وهما في «الصحيحين»-: أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ فقال: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ لَيْسَ دُونَهُمَا سَحَابٌ؟**» قالوا: لا، قال: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَذَلِكَ**»(٨). وفي «الصحيحين» عن جرير قال: نظر رسول الله ﷺ إلىٰ القمر ليلة البدر فقال: «**إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَلَا قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**»(٩).

وفي «الصحيحين» عن أبي موسىٰ قال: قال رسول الله ﷺ: «**جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَىٰ اللهِ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِيَاءِ عَلَىٰ**

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١٩٠٦٢)، وهو نفس الحديث السابق.

(٢) لوحة (١٧٢ أ). (٣) سقط من (ز).

(٤) ضعيف: الطبري (٢٩/ ١٨٨) من طريق عطية العوفي وهو شيعي مدلس.

(٥) قال السعدي رحمه الله: وفيها: أن النبي ﷺ كما بيَّن للأمة ألفاظ الوحي، فإنه قد بيَّن لهم معانيَهُ.

(٦) هذه العبارة وقعت في (ز) قبل الفقرة السابقة. (٧) البخاري (٧٤٣٥).

(٨) البخاري (٧٤٣٧، ٧٤٣٨)، ومسلم (١٨٢).

(٩) البخاري (٥٥٤)، (٥٧٣)، (٤٨٥١)، ومسلم (٦٣٣).

وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»(١).

وفي أفراد مسلم، عن صهيب، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ» قال: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ وَتُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟» قال: «فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ، وَهِيَ الزِّيَادَةُ». ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦](٢).

وفي أفراد مسلم، عن جابر في حديثه: «إِنَّ اللهَ يَتَجَلَّىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ يَضْحَكُ»(٣) -يعني في عرصات القيامة- ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلىٰ ربهم ﷻ في العرصات، وفي روضات الجنات.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا أبو معاوية، حدَّثنا عبد الملك بن أَبْجَر، حدَّثنا ثُوَير(٤) بن أبي فَاخِتة، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَدْنَىٰ أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَيَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ أَلْفَيْ سَنَةٍ، يَرَىٰ أَقْصَاهُ كَمَا يَرَىٰ أَدْنَاهُ، يَنْظُرُ إِلَىٰ أَزْوَاجِهِ(٥) وَخَدَمِهِ، وَإِنَّ أَفْضَلَهُمْ مَنْزِلَةً لَيَنْظُرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللهِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ»(٦).

ورواه الترمذي عن عبد بن حميد، عن شَبَابَةَ، عن إسرائيلَ، عن ثُوَير قال: «سمعت ابن عمر..». فذكره، قال: «ورواه عبد الملك بن أبجر، عن ثُوَيرٍ، عن مجاهد، عن ابن عمر، قوله». وكذلك رواه الثوري، عن ثُوَيرٍ، عن مجاهد، عن ابن عمر، ولم يرفعه، ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصِّحاح والحِسان والمسانيد والسنن، ولكن ذكرنا ذلك مفرَّقًا في مَواضِعَ من هذا التفسير، وبالله التوفيق.

وهذا بحمد الله مجمعٌ عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفقٌ عليه بين أئمة الإسلام، وهُدَاة الأنام.

ومن تأول ذلك بأنَّ المراد بـ﴿إِلَىٰ﴾ مفرد الآلاء، وهي النِّعم، كما قال الثوري، عن منصور، عن مجاهد: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فقال: تنتظر الثواب من ربها، رواه ابن جرير من غير وجهٍ عن مجاهد، وكذا قال أبو صالح أيضًا -فقد أبعد هذا القائل النُّجْعة، وأبطل فيما ذهب إليه(٧)، وأين هو من قوله

---

(١) البخاري (٧٤٤٤)، ومسلم (١٨٠).

(٢) مسلم (١٨١). (٣) مسلم (١٩٠).

(٤) في (ز): (يزيد)، والمثبت هو الصواب. (٥) لوحة (١٧٢ ب).

(٦) رواه أحمد (٢/ ١٣)، والترمذي (٣٣٢٧)، وإسناده ضعيف، وعلته ثوير بن أبي فاختة: ضعيف كما في «التقريب».

(٧) قال القرطبي رحمه الله: وقيل: إن النظر هنا انتظار ما لهم عند الله من الثواب، وروي عن ابن عمر ومجاهد... قال الثعلبي: وقول مجاهد إنها بمعنىٰ تنتظر الثواب من ربها ولا يراه شيء من خلقه، فتأويلٌ مدخولٌ؛ لأن العرب إذا أرادت بالنظر الانتظار قالوا: نظرته، كما قال تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ [الزخرف: ٦٦]، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣]، ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [يس: ٤٩] وإذا أرادت به التفكر والتدبر قالوا: نظرت فيه، فأما إذا كان النظر مقرونا بذكر إلىٰ، وذكر الوجه فلا يكون إلا بمعنىٰ الرؤية والعيان.

تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾؟! [المطففين: ١٥]، قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: ما حَجَب الفجار إلا وقد عَلم أن الأبرار يرونه عَزَّ وَجَلَّ.

ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ بما دلَّ عليه سياق الآية الكريمة، وهي قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال ابن جرير: حدَّثنا محمَّد بن إسماعيل البخاري، حدَّثنا آدم، حدَّثنا المبارك، عن الحسن: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ قال: حسنة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنظر إلىٰ الخالق، وحُقَّ(١) لها أن تَنضُر وهي تنظر إلىٰ الخالق(٢).

وقوله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة. قال قتادة: كالحة. وقال السُّدِّي: تغير ألوانها. وقال ابن زيد ﴿بَاسِرَةٌ﴾ أي: عابسة. ﴿تَظُنُّ﴾ أي: تستيقن، ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ قال مجاهد: داهية. وقال قتادة: شر. وقال السُّدِّي: تستيقن أنَّها هالكةٌ. وقال ابن زيد: تظنُّ أن ستدخل النَّار.

وهذا المقام كقوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وكقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٣٨ - ٤٢]، وكقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ إلىٰ قوله: ﴿وُجُوهٌ(٣) يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٢ - ١٠] في أشباه ذلك من الآيات والسياقات.

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

يخبر تعالىٰ عن حالة الاحتضار وما عنده من الأهوال -ثَبَّتَنَا الله هنالك بالقول الثابت- فقال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ إن جعلْنا ﴿كَلَّآ﴾ رادعة فمعناها: لست يا ابن آدم تكذِّب هناك بما أُخْبِرتَ به، بل صار ذلك عندك عِيانًا. وإن جعلناها بمعنىٰ: «حقًّا» فظاهر؛ أي: حقًّا إذا بلغت التراقي؛ أي: انتزعت روحك من جسدك وبلغت تراقِيَك، والتَّراقي: جمع تَرْقُوَة، وهي العظام التي بين ثُغْرة النَّحر والعاتق، كقوله: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٨٧]. وهكذا قال هاهنا:

---

(١) في (ز): (وعن لها).
(٢) الطبري (٢٩/ ١٩٢).
(٣) لوحة (١٧٣ أ).

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾ ويذكر هاهنا حديث بُسْر بن جَحَّاش[(١)(٢)] الذي تقدم في سورة «يس». والتراقي: جمع تَرْقُوَة، وهي قريبة من الحلقوم.

﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾ قال: عكرمة، عن ابن عبَّاس: أي من راقٍ يَرْقِي؟[(٣)] وكذا قال أبو قِلابة: ﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾ أي: من طبيبٍ شافٍ، وكذا قال قتادة، والضَّحَّاكُ، وابن زيد.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا نصر بن علي، حدَّثنا رَوْح بن المسيب أبو رجاء الكلبي، حدَّثنا عمرو بن مالك، عن أبي الجَوْزاء، عن ابن عبَّاس: ﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾ قال: قيل: من يَرْقَىٰ بروحه: ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟[(٤)] فعلىٰ هذا يكون مِن كلام الملائكة.

وبهذا الإسناد، عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ [قال: التفَّت عليه الدنيا والآخرة، وكذا قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾][(٥)] يقول: آخر يوم من أيام الدنيا، وأوَّل يوم من أيام الآخرة، فتلتقي الشِّدَّة بالشِّدَّة إلا مَن رحم الله.

وقال عكرمة: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ الأمر العظيم بالأمر العظيم. وقال مجاهد: بلاء ببلاء. وقال الحسن البصري في قوله: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ هما ساقاك إذا التفَّتا، وفي رواية عنه: ماتت رجلاه فلم تحملاه، وقد[(٦)] كان عليها جوَّالًا، وكذا قال السُّدِّي، عن أبي مالك.

وفي روايةٍ عن الحسن: هو لَفُّهما في الكفن.

وقال الضَّحَّاكُ: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ اجتمع عليه أمران: النَّاس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه.

وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ أي: المرجع والمآب، وذلك أنَّ الرُّوح ترفع إلىٰ السَّموات، فيقول الله ﷻ: «**رُدُّوا عَبْدِي إِلَىٰ الأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ**». كما ورد في حديث البراء الطويل[(٧)]. وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦١، ٦٢].

---

(١) في (ز): (بسر بن حجاج)، وهو خطأ.

(٢) تقدم في (٤/ ٤٥٧)، (٦/ ٢٥٠).

(٣) رواه الطبري (٢٩/ ١٩٤) من طريق سماك عن عكرمة.

(٤) رواه ابن أبي حاتم (١٩٠٦٧) والطبري (٢٩/ ١٩٥) كلاهما من طريق عمرو بن مالك به، ورجاله ثقات غيرَ أن أبا الجوزاء يرسل كثيرًا.

(٥) سقط من (ز).

(٦) لوحة (١٧٣ ب).

(٧) صحيح: رواه أحمد (٤/ ٢٨٧)، وأبو داود (٤٧٥٣)، والحاكم (١/ ٣٧، ٣٨).

وقوله: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ هذا إخبارٌ عن الكافر الذي كان في الدَّار الدُّنيا مكذِّبًا للحقِّ بقلبه، متولِّيًا عن العمل بقالبه، فلا خير فيه باطنًا ولا ظاهرًا، ولهذا قال: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ أي: جَذِلًا أَشِرًا بَطِرًا كسلانًا، لا همة له ولا عمل، كما قال: ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ [المطففين:٣١]. وقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ أي: يرجع ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق:١٥].

وقال الضَّحَّاكُ: عن ابن عبَّاس: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ أي. يختال. وقال قتادة، وزيد بن أسلم: يتبختر.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ وهذا تهديدٌ ووعيدٌ أكيدٌ منه تعالىٰ للكافر به المتبختِرِ في مشيته؛ أي: يحقُّ لك أن تمشي هكذا وقد كفرت بخالقك وبارئك، كما يقال في مثل هذا علىٰ سبيل التَّهكُّم والتَّهديد كقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان:٤٩]. وكقوله: ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ [المرسلات:٤٦]، وكقوله: ﴿فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الزمر:١٥]، وكقوله: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت:٤٠] إلىٰ غير ذلك.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدَّثنا عبد الرحمن -يعني ابن مهدي- عن إسرائيل، عن موسىٰ بن أبي عائشة قال: سألت سعيد بن جبير قلت: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾؟ قال: قاله النَّبيُّ ﷺ لأبي جهل، ثم نزل به القرآن[(١)].

وقال أبو عبد[(٢)] الرحمن النسائي: حدَّثنا يعقوب بن إبراهيم. حدَّثنا أبو النعمان، حدَّثنا أبو عَوَانة[(٣)] -«ح» وحدَّثنا أبو داود: حدَّثنا محمَّد بن سليمان، حدَّثنا أبو عوانة- عن موسىٰ بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عبَّاس: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾؟ قال: قاله رسول الله ﷺ ثم أنزله الله ﷻ[(٤)].

قال ابن أبي حاتم: وحدَّثنا أبي، حدَّثنا هشام بن خالد، حدَّثنا شعيب عن إسحاق، حدَّثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ وعيدٌ علىٰ أثر وعيد، كما تسمعون، وزعموا أن عدوَّ الله أبا جهل أخذه نبيُّ الله بمجامع ثيابه، ثم قال: «أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ»، فقال عدو الله أبو جهل: أَتوعِدُني يا محمَّد؟ والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئًا، وإني لأعزُّ مَن مشىٰ بين جبليها[(٥)].

---

(١) صحيح: رواه ابن أبي حاتم (١٩٠٦٩)، ورواه النسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٣٨)، وإسناده صحيح.
(٢) في (ز): (أبو عبيد الرحمن)، وهو خطأ.　(٣) لوحة (١٧٤ أ).
(٤) انظر التخريج السابق.
(٥) رواه ابن أبي حاتم (١٩٠٧٠) هكذا مرسلًا.

وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ قال السُّدِّي: يعني: لا يبعث، وقال مجاهد، والشَّافعي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني لا يؤمر ولا ينهىٰ، والظَّاهر أنَّ الآية تعم الحالين؛ أي: ليس يُترَك في هذه الدنيا مهملًا لا يؤمر ولا ينهىٰ، ولا يُترك في قبره سدىٰ لا يبعث، بل هو مأمور منهي في الدُّنيا، محشور إلىٰ الله في الدَّار الآخرة، والمقصود هنا إثبات المعاد، والرَّد علىٰ من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعِنَادِ، ولهذا قال مستدلًّا علىٰ الإعادة بالبداءة فقال:

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ أي: أما كان الإنسان نطفةً ضعيفةً مِن ماءٍ مهينٍ. يُمْنَىٰ: يُرَاق من الأصلاب في الأرحام. ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ أي: فصار علقةً، ثم مضغةً، ثم شُكِّل ونفخ فيه الرُّوح، فصار خلقًا آخر سَويًّا سليم الأعضاء، ذكرًا أو أنثىٰ بإذن الله وتقديره؛ ولهذا قال: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾.

ثم قال: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السَّوي مِن هذه النُّطفة الضَّعيفة بقادرٍ علىٰ أن يُعِيدَه كما بدأه؟ وتناولُ القُدرة للإعادة إمَّا بطريق الأولىٰ بالنِّسبة إلىٰ البَدَاءة، وإمَّا مساوية علىٰ القولين في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧]. والأوَّل أشهر كما تقدَّم في سورة «الروم» بيانه وتقريره، والله أعلم.

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا الحسن بن محمَّد بن الصَّباح، حدَّثنا شبابة، عن شعبة، عن موسىٰ بن أبي عائشة، عن آخر: أنه كان فوق سطحٍ يقرأ ويرفع صوته بالقرآن، فإذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ (١) ٱلْمَوْتَىٰ﴾ قال: سبحانك اللهم فَبَلىٰ. فسئل عن ذلك فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك (٢).

وقال أبو داود رَحِمَهُ اللهُ: حدَّثنا محمَّد بن المثنىٰ، حدَّثنا محمَّد بن جعفر، حدَّثنا شعبة، عن موسىٰ بن أبي عائشة قال: كان رجل يصلي فوق بيته، فكان إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ قال: سبحانك، فبلىٰ، فسألوه عن ذلك فقال: سمعته من رسول الله ﷺ (٣).

تفرد به أبو داود ولم يسم هذا الصحابي، ولا يضر ذلك.

وقال أبو داود أيضًا: حدَّثنا عبد الله بن محمَّد الزهري، حدَّثنا سفيان، حدَّثني إسماعيل بن أمية: سمعت أعرابيًّا يقول: سمعت أبا هُرَيرةَ يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ مِنْكُمْ بِالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ فَانْتَهَىٰ إِلَىٰ آخِرِهَا: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾؟ فَلْيَقُلْ: بَلَىٰ، وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ، وَمَنْ قَرَأَ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فَانْتَهَىٰ إِلَىٰ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فَلْيَقُلْ: بَلَىٰ، وَمَنْ قَرَأَ:

---

(١) لوحة (١٧٤ ب).
(٢) صحيح الألباني: رواه أبو داود (٨٨٤)، وابن أبي حاتم (١٩٠٧١).
(٣) انظر التعليق السابق.

﴿وَالْمُرْسَلَٰتِ﴾ فبَلَغَ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ فَلْيَقُلْ: آمَنَّا بِاللهِ»(١).

ورواه أحمد، عن سفيان بن عيينة، ورواه الترمذي عن ابن أبي عمر، عن سفيان بن عيينة، وقد رواه شعبة، عن إسماعيل بن أمية قال: قلت له: مَن حدَّثك؟ قال: رجلُ صِدْقٍ، عن أبي هريرة.

وقال ابن جرير: حدَّثنا بشر، حدَّثنا يزيد، حدَّثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ ذُكِر لنا أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأها قال: «سُبْحَانَكَ وَبَلَىٰ»(٢).

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدَّثنا أبو أحمد الزبيري، حدَّثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن مسلم البَطِين، عن سعيد بن جُبَيرٍ، عن ابن عبَّاس أنه مر بهذه الآية: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، قال: سبحانك؛ فبلى(٣).

آخر تفسير سورة القيامة ولله الحمد والمنة.

---

(١) ضعيف: رواه أبو داود (٨٨٧)، والترمذي (٣٣٤٤) وفيه رجل لم يسم. وقد رواه الحاكم (٢/ ٥١٠) وسمى الأعرابي: أبا اليسع. قلت: وهو مجهول، قال الحافظ: (لا يدرىٰ من هو). انظر: «لسان الميزان» (٧/ ١٢٣).

(٢) مرسل: رواه الطبري (٢٩/ ٢٠١) لكن يشهد له ما تقدم في الحديث قبل السابق.

(٣) رواه ابن أبي حاتم (١٩٠٧٤) ورجاله ثقات وهو شاهد للحديث السابق رقم (٢٢).

سورة الإنسان

تفسير سورة الإنسان وهي مكية

قد تقدَّم في «صحيح مسلم»، عن ابن عبَّاس: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة، و ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾[1].

وقال عبد الله بن وهب: أخبرنا ابن زيد: أن رسول الله ﷺ قرأ هذه السورة: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ[2] حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود، فلما بلغ صفة الجنان، زفر زَفْرةً فخرجت نفسه. فقال رسول الله ﷺ: «أَخْرَجَ نَفْسَ صَاحِبِكُمْ -أو قال: أَخِيكُمْ- الشَّوْقُ إِلَىٰ الجَنَّةِ». مرسلٌ غريبٌ[3].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الإنسان أنَّه أوجده بعد أن لم يكُن شيئًا يُذْكَرُ لحقارته وضعفه، فقال: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾؟

ثم بيَّن ذلك فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أي: أخلاط. والمَشِجُ والمشيج: الشَّيء الخَليط، بعضُهُ فِي بعضٍ.

قال ابن عبَّاس في قوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ يعني: مَاء الرَّجل ومَاء المرأة إذا اجتمعا واختلطا، ثم يَنْتَقِلُ بعدُ مِن طوْرٍ إلىٰ طوْرٍ، وحالٍ إلىٰ حالٍ، ولونٍ إلىٰ لونٍ، وهكذا قال عكرمة، ومجاهد، والحسن، والربيع بن أنس: الأمشاج: هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة.

وقوله: ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ أي: نختبره، كقوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ أي: جعلنا له سمعًا وبصرًا يتمكَّن بهما من الطاعة والمعصية.

وقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: بيَّنَّاه له ووضَّحناه وبصَّرناه به، كقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]، وكقوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]؛ أي: بيَّنَّا له طريق الخير

---

(١) البخاري (٨٩١)، ومسلم (٨٨٠). (٢) لوحة (١٧٥ أ).

(٣) مرسل: لم يعزه لأحد والإسناد مرسل، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٦٦) إلىٰ أحمد في «الزهد» نحوه.

وطريق الشَّرِّ، وهذا قول عكرمة، وعطية، وابن زيد، ومجاهد -في المشهور عنه- والجمهور.

ورُوي عن مجاهد، وأبي صالح، والضَّحَّاك، والسُّدِّي أنَّهم قالوا في قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ يعني: خروجه من الرَّحم، وهذا قولٌ غريبٌ، والصَّحيح المشهور الأول.

وقوله: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ منصوب على الحال من «الهاء» في قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ تقديره: فهو في ذلك إمَّا شقيٌّ وإمَّا سعيدٌ، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم، عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا أَوْ مُعْتِقُهَا(١)»(٢). وتقدَّم في سورة «الروم» عند قوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] من رواية جابر بن عبد الله(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ حَتَّىٰ يُعْرِبَ عَنْهُ لِسَانُهُ، فَإِذَا أَعْرَبَ عَنْهُ لِسَانُهُ، فَإِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا»(٤).

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا أبو عامر، حدَّثنا عبد الله بن جعفر، عن عثمان بن محمَّد، عن المَقْبُري، عن أبي هُرَيرةَ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَا مِنْ خَارِجٍ يَخْرُجُ إِلَّا بِبَابِهِ رَايَتَانِ: رَايَةٌ بِيَدِ مَلَكٍ، وَرَايَةٌ بِيَدِ شَيْطَانٍ، فَإِنْ خَرَجَ لِمَا يُحِبُّ اللهُ اتَّبَعَهُ المَلَكُ بِرَايَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رَايَةِ المَلَكِ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَىٰ بَيْتِهِ، وَإِنْ خَرَجَ لِمَا يُسْخِطُ اللهَ اتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ بِرَايَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رَايَةِ الشَّيْطَانِ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَىٰ بَيْتِهِ»(٥).

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا عبد الرزاق، حدَّثنا مَعْمَرٌ، عن ابن خُثَيم، عن عبد الرحمن بن سابط، عن جابر بن عبد الله: أن النَّبيَّ ﷺ قال لكعب بن عُجْرَة: «أَعَاذَكَ اللهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ». قال: وما إمارة السُّفهاء؟ قال: «أُمَرَاءُ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي، لا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلا يَرِدُونَ عَلَىٰ حَوْضِي، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسَيَرِدُونَ عَلَىٰ حَوْضِي، يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ، وَالصَّلاةُ قُرْبَانٌ -أو قال: بُرْهَانٌ- يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ(٦)، النَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ، يَا كَعْبُ، النَّاسُ غَادِيَانِ، فَمُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، وَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا»(٧). ورواه عن عفَّان، عن وُهَيب، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم به.

---

(١) معناه: كل انسان يسعىٰ بنفسه، فمنهم من يبيعها لله تعالىٰ بطاعته فيعتقها من العذاب، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوىٰ باتباعهما فيوبقها؛ أي: يهلكها. «شرح مسلم» للنووي.

(٢) صحيح مسلم (١٢٦).

(٣) لوحة (١٧٥ ب).

(٤) ضعيف: رواه أحمد (٣/ ٣٥٣)، واللَّالَكَائي في «أصول الاعتقاد» (٩٩٩)، والطبراني (١/ ٦٦٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٨): وفيه أبو جعفر الرازي وهو ثقة وفيه خلاف، وبقية رجاله ثقات. قلت: أبو جعفر الرازي هو عيسىٰ بن أبي عيسىٰ الرازي، قال الحافظ: ضعيف سيئ الحفظ، وفي روايته عن الربيع بن أنس اضطراب، وفي الإسناد أيضًا عنعنة الحسن البصري، والحديث صحيح دون قوله: (حتىٰ يعرب عنه لسانه ....إلخ). رواه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨)، وأبو داود (٤٧١٤)، والترمذي (٢١٣٨)، والنسائي (٤/ ٩٨).

(٥) حسن: رواه أحمد (٢/ ٣٢٣).

(٦) في (ز): كلمة تقرأ: «سحر».

(٧) رجاله ثقات: رواه أحمد (٣/ ٣٢١) (٣/ ٣٩٩)، ورجاله ثقات غير أن ابن سابط كثير الإرسال.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢﴾

يخبر تعالىٰ عمَّا أرصده للكافِرينَ مِن خلقه من السَّلاسِلِ والأغلال والسَّعير، وهو اللَّهب والحريق في نار جهنَّم، كما قال(١): ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝٧١ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١، ٧٢].

ولما ذكر ما أعدَّه لهؤلاء الأشقياء من السَّعير قال بعده: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ وقد عُلِمَ ما في الكافور من التَّبريد والرَّائحة الطَّيِّبة، مع ما يضاف إلىٰ ذلك من اللَّذاذة في الجنَّة.

قال الحسن: برد الكافور في طيب الزَّنجبيل؛ ولهذا قال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي: هذا الذي مُزِجَ لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عينٌ يشرب بها المقربون مِن عباد الله صِرْفًا بلا مَزْجٍ ويَرْوَوْنَ(٢) بها؛ ولهذا ضمَّن يشرَب «يَرْوَىٰ» حتىٰ عدَّاه بالباء، ونصب ﴿عَيْنًا﴾ علىٰ التمييز.

قال بعضهم: هذا الشَّراب في طِيبِه كالكافور. وقال بعضهم: هو مِن عين كافور. وقال بعضهم: يجوز أن يكون منصوبًا بـ﴿يَشْرَبُ﴾ حكىٰ هذه الأقوال الثلاثة ابنُ جرير.

وقوله: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي: يتصرَّفون فيها حيث شاءوا وأين شاءوا، مِن قصورهم ودُورِهِم ومجالسهم ومحالِّهم.

والتَّفجير هو الإِنْبَاع، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠]. وقال: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ [الكهف: ٣٣].

وقال مجاهد: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ يقودونها حيث شاءوا، وكذا قال عكرمة، وقتادة. وقال الثوري: يصرفونها حيث شاءوا.

وقوله: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ أي: يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم مِن [فعل](٣) الطاعات الواجبة بأصل الشَّرع، وما أوجبوه علىٰ أنفسِهم بطريق النَّذر.

قال الإمام مالك، عن طلحة بن عبد الملك الأَيْلي، عن القاسم بن مالك، عن عائشة ﵂ أن

---

(١) لوحة (١٧٦ أ).

(٢) في (ز): (ويسرون بها).

(٣) ليست في (ز).

رسول الله ﷺ قال: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ»[(١)]، رواه البخاري من حديث مالك.

ويتركون المحرَّمات التي نهاهم عنها خيفةً مِن سوء الحساب يوم المَعَاد، وهو اليوم الذي شره مستطير؛ أي: منتشرٌ عامٌّ علىٰ النَّاس إلا من رَحِمَ الله. قال ابن عبَّاس: فاشيًا. وقال قتادة: استطار -والله- شرُّ ذلك اليومِ حتَّىٰ مَلأَ السَّمواتِ والأَرْض.

قال ابن جرير: ومنه قولهم: استطار الصَّدْعُ في الزُّجَاجَة واستطال، ومنه قول الأعشىٰ[(٢)]:

فَبَانَتْ وَقَدْ أَسْأَرَتْ فِي الفُؤَا دِ صَدْعًا، عَلَىٰ نَأْيِهَا مُسْتَطِيرًا

يعني: ممتدًّا فاشيًا.

وقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ قيل: علىٰ حبِّ الله تعالىٰ. وجعلوا الضمير عائدًا إلىٰ الله ﷻ لدلالة السِّياق عليه، والأظهر أنَّ الضَّمير عائدٌ علىٰ الطعام؛ أي: ويُطعِمُون الطعام في حال محبَّتِهِم وشهوتهم له، قاله مجاهد، ومقاتل، واختاره ابن جرير، [كقوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وكقوله تعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾][(٣)] [آل عمران: ٩٢].

وروىٰ البيهقي، من طريق الأعمش، عن نافع قال: مرض ابن عمر فاشتهىٰ عنبًا -أول ما جاء العنب- فأرسلت صفية، يعني امرأته، فاشترت عنقودًا بدرهم، فاتَّبع الرَّسولَ سائلٌ، فلمَّا دخل به قال السَّائلُ: السَّائلَ، فقال ابن عمر: أعطوه إيَّاه، [فأعطوه إيَّاه،][(٤)] ثم أرسلت بدرهمٍ آخر فاشترت عنقودًا فاتَّبع الرسولَ السائلُ، فلما دخل قال السَّائلُ: السَّائلَ، فقال ابن عمر: أعطوه إيَّاه، فأعطوه إيَّاه، فأرسلت صفيَّة إلىٰ السَّائل فقالت: والله إن عُدتَ لا تصيبُ منه خيرًا أبدًا. ثم أرسلت بدرهمٍ آخر فاشترت به[(٥)].

وفي «الصحيح»: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ، شَحِيحٌ، تَأْمُلُ الغِنَىٰ، وَتَخْشَىٰ الفَقْرَ»[(٦)]؛ أي: في حال محبَّتك للمال وحِرْصِكَ عليه وحاجَتِكَ إليه؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ أمَّا المسكين واليتيم، فقد تقدَّم بيانهما وصفتهما، وأمَّا الأسير: فقال سعيد بن جبير، والحسن، والضَّحَّاكُ: الأسير: من أهل القبلة.

---

(١) البخاري (٦٦٩٦) من طريق مالك في «الموطأ» (١/ ٣٧٩).

(٢) لوحة (١٧٦ ب).

(٣) هذه العبارة وقعت في (ز) بعد الفقرة التالية.

(٤) سقط من (ز)، وهي مثبتة عند «البيهقي».

(٥) صحيح: رواه البيهقي في «السنن» (٤/ ١٨٥)، وابن المبارك في «الزهد» (٧٨٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٩٧)، وأحمد في «الزهد» (١٩٠) من طرق عن نافع به.

(٦) البخاري (١٤١٩، ٢٧٤٨)، ومسلم (١٠٣٢)، وأبو داود (٢٨٦٥)، والنسائي (٣٦١١)، وأحمد (٢/ ٢٣١).

وقال ابن عبَّاس: كان أُسَراؤهم يومئذ مشركين، ويشهد لهذا أنَّ رسول الله ﷺ أمر أصحابه يوم بدرٍ أن يكرموا الأسارىٰ، فكانوا يُقَدِّمُونَهُم علىٰ أنفسهم عند الغداء[1]، وهكذا قال سعيد بن جبير، وعطاء، والحسن، وقتادة، وقد وصَّىٰ رسولُ الله ﷺ بالإحسان إلىٰ الأرقَّاء في غير ما حديث، حتىٰ إنَّه كان آخر ما أوصىٰ أن جعل يقول: «الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»[2].

وقال عكرمة: هم العبيد واختاره ابن جرير؛ لعموم الآية للمسلم والمشرك. قال مجاهد: هو المحبوس؛ أي: يُطْعِمُون لهؤلاءِ الطَّعام وهم يشتهونه ويحبُّونَه[3]، قائلين بلسان الحال: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ أي: رجاءَ ثواب الله ورضاه ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ أي: لا نطلبُ منكم مجازاةً تكافئونا بها ولا أن تشكرونا عند النَّاس. قال مجاهد وسعيد بن جبير: أما والله ما قالوه بألسنتهم، ولكن عَلِمَ الله به مِن قلوبهم، فأثنىٰ عليهم به ليَرْغَب في ذلك راغب.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ أي: إنَّما نفعل هذا لعلَّ الله أن يرحمنا ويتلقَّانا بلطفه، في اليوم العبوس القَمْطرِير. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: ﴿عَبُوسًا﴾ ضيِّقًا، ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ طويلًا.

وقال عكرمة وغيره عنه في قوله: ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ أي: يعبس الكافر يومئذٍ حتىٰ يسيل مِن بين عينيه عَرَقٌ مثل القَطِرَان. وقال مجاهد: ﴿عَبُوسًا﴾ العابس الشفتين، ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ قال: تقبيض الوَجهِ بالبُسُورِ. وقال سعيد بن جبير، وقتادة: تعبس فيه الوجوه من الهول، ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ تقليص الجَبِينِ وما بين العينين، من الهول. وقال ابن زيد: العبوس: الشر. والقمطرير: الشَّديد.

وأوضح العبارات وأجلاها وأحلاها، وأعلاها وأولاها قولُ ابن عبَّاس ﵄.

قال ابن جرير: والقَمْطرير هو: الشَّديد؛ يقال: هو يوم قمطرير ويوم قُماطِرٌ، ويوم عَصِيب وعَصَبْصَب، وقد اقمطرَّ اليومُ يَقْمَطِرُّ اقمطرارًا، وذلك أشدُّ الأيَّام وأطولها في البلاء والشِّدَّة، ومنه قول بعضهم:

بَنِي عَمِّنَا، هَلْ تَذْكُرُونَ بَلاءَنَا ... عَلَيْكُمْ إِذَا مَا كَانَ يَوْمٌ قُمَاطِرُ

قال الله تعالىٰ: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ وهذا مِن باب التَّجانس البليغ، ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ أي: آمنهم مما خافوا منه، ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾ أي: في وجوههم، ﴿وَسُرُورًا﴾ أي: في قلوبهم. قاله الحسن البصري، وقتادة، وأبو العالية، والربيع بن أنس. وهذه كقوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨، ٣٩]. وذلك أن القلب إذا سُرَّ؛ استنار الوجه، قال

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٩٣/ ٩٧٧)، وفي «الصغير» (١/ ١٤٦)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٨٦): إسناده حسن، قلت: بل فيه انقطاع بين أبي وهب وأبي عزيز.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣/ ١١٧)، وابن ماجه (٢٦٩٧) من حديث أنس، وله شواهد عن علي، وعن سفينة، وعن أم سلمة أوردها الشيخ شعيب في تعليقه علىٰ «صحيح ابن حبان» (٦٦٠٥).

(٣) لوحة (١٧٧ أ).

كعب بن مالك في حديثه الطويل: وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ، استنار وجهه حتىٰ كأنَّه قطعة[1] قَمَر[2]. وقالت عائشةُ: دخل عَلَيَّ رسول الله ﷺ مسرورًا تَبرُقُ أسَاريرُ وَجْهِه. الحديث[3].

وقوله: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ أي: بسبب صبرهم[4] أعطاهم ونَوَّلهم وبوَّأهم ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ أي: منزلًا رحبًا، وعيشًا رَغدًا ولباسًا حَسنًا.

وروىٰ الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام بن سليمان الدَّارَاني قال: قرئ علىٰ أبي[5] سليمان الداراني سورة: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ فلما بلغ القارئ إلىٰ قوله: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ قال: بما صبروا علىٰ ترك الشَّهواتِ في الدُّنيا، ثم أنشد:

كَـــمْ قَتِيـــلٍ لِـــشَهْوَةٍ وَأَسِـــيرِ ... أُفٍّ[6] مِـــنْ مُـــشْتَهٍ خِـــلَافَ الجَمِيـــلِ

شَـــهَوَاتُ الإِنْـــسَانِ تُورِثُـــهُ الـــذُّلْـ ... ـلَ وَتُلْقِيـــهِ فِـــي الـــبَلَاءِ الطَّوِيـــلِ

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

يخبر تعالىٰ عن أهل الجنَّة وما هم فيه مِن النَّعيم المقيم، وما أسبغ عليهم مِن الفَضْلِ العَمِيم فقال: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ وقد تقدَّم الكلامُ علىٰ ذلك في سورة «الصَّافَّات»، وذِكرُ الخلاف في الاتِّكاء: هل هو الاضْطجَاع، أو التَّمَرْفُق، أو التَّربع، أو التَّمكُّن في الجلوس؟ وأن الأرائك هي السُّرر تحت الحِجال.

وقوله: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ أي: ليس عندهم حَرٌّ مزعجٌ، ولا بردٌ مؤلمٌ، بل هي مزاجٌ واحدٌ دائمٌ سَرْمَديٌّ ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨].

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾ أي: قريبةً إليهم أغصانها، ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ أي: متىٰ تعاطاه دنا القِطْفُ إليه وتدلَّىٰ من أعلىٰ غصنه، كأنه سامعٌ طائعٌ، كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] وقال تعالىٰ: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣].

قال مجاهد: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ إن قام ارْتفعَتْ بقَدْره، وإن قعد تَدلَّتْ له حتَّىٰ ينالها، وإن

---

(١) في (ز): (فلقة قمر).

(٢) البخاري (٣٥٥٦)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٣) البخاري (٣٥٥٥)، ومسلم (١٤٥٩).

(٤) لوحة (١٧٧ ب).

(٥) في (ز): (ابن سليمان)، وهو خطأ.

(٦) في (ز): (واشتراف).

اضْطجَع تَدلَّت[1] له حتَّىٰ ينالها، فذلك قوله: ﴿تَذْلِيلًا﴾ وقال قتادة: لا يرد أيديهم عنها شوكٌ ولا بُعدٌ. وقال مجاهد: أرض الجنَّة مِن[2] وَرِقٍ، وترابها المسك، وأصول شجرها مِن ذهبٍ وفضَّةٍ، وأفنانها من اللُّؤلؤ [الرَّطب][3] والزَّبرجد والياقوت، والوَرَق والثَّمر بين ذلك، فمَن أكل منها قائمًا لم يُؤْذِهِ، ومن أكل منها قاعدًا لم يُؤْذِهِ، ومَن أكل منها مضطجعًا لم يُؤْذِهِ.

وقوله: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ أي: يطوف عليهم الخَدَم بأواني الطعام، وهي من فضَّةٍ، وأكواب الشَّراب وهي الكيزان التي لا عُرىٰ لها ولا خراطيم.

وقوله: ﴿قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ﴾ فالأوَّل منصوبٌ بخبر «كان» أي: كانت قوارير، والثَّاني منصوب إمَّا علىٰ البدليَّة أو تمييز؛ لأنَّه بينه بقوله: ﴿قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ﴾. قال ابن عبَّاس، ومجاهد، والحسن البصري، وغير واحدٍ: بياض الفِضَّة في صفاء الزُّجاج، والقوارير لا تكون إلا من زجاج، فهذه الأكواب هي مِن فِضَّةٍ، وهي مع هذا شَفَّافة يُرَىٰ ما في باطنها من ظاهرها، وهذا مما لا نَظِيرَ له في الدُّنيا.

قال ابن المبارك، عن إسماعيل، عن رجلٍ، عن ابن عبَّاس: ليس في الجنَّة شيءٌ إلَّا قد أُعْطِيتم في الدُّنيا شبهه إلا قوارير مِن فضَّة. رواه ابن أبي حاتم[4].

وقوله: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي: علىٰ قَدْرِ رِيِّهم، لا تزيدُ عنه ولا تنقص منه، بل هي مُعَدَّةٌ لذلك، مقدَّرةٌ بحسب ريِّ صاحبها. هذا معنىٰ قول ابن عبَّاس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبي صالح، وقتادة، وابن أبْزىٰ، وعبد الله بن عُبَيدٍ بن عمير، وقتادة، والشعبي، وابن زيد، وقاله ابن جرير وغير واحدٍ. وهذا أبلغ في الاعتناء والشَّرف والكرامة.

وقال العَوفي، عن ابن عبَّاس: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ قدرت للكفِّ، وهكذا قال الربيع بن أنس، وقال الضَّحَّاكُ: علىٰ قدر أكُفِّ الخُدَّام، وهذا لا ينافي القول الأول، فإنَّها مقدَّرةٌ في القَدْرِ والرِّيِّ.

وقوله: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ أي: ويسقون -يعني الأبرار أيضًا- في هذه الأكواب ﴿كَأْسًا﴾ أي: خمرًا، ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ فتارةً يُمزَج لهم الشَّراب بالكافور وهو باردٌ، وتارةً بالزَّنجبيل وهو حارٌّ؛ ليعتدل الأمر، وهؤلاء يُمْزَج لهم مِن هذا تارةً ومِن هذا تارةً، وأمَّا المقرَّبون فإنَّهم يشربون مِن كلٍّ منهما صِرْفًا، كما قاله قتادة وغير واحدٍ. وقد تقدَّم قوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ وقال هاهنا: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [أي: الزَّنجبيل عين في الجنَّة تسمَّىٰ سلسبيلًا.][5] قال عكرمة:

---

(١) في (ز): (تذللت).
(٢) لوحة (١٧٨/ أ).
(٣) سقط من (ز).
(٤) رواه ابن أبي حاتم (١٩٠٨٥)، وفيه رجل لم يسمَّ، فالأثر ضعيف.
(٥) ما بين المعكوفتين سقط من (ز).

اسم عين في الجنة[1]. وقال مجاهد: سُمِّيَتْ بذلك لسلاسة سَيْلِها وحِدَّة جَرْيِهَا. وقال قتادة: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ عين سَلِسَةٌ مُستَقِيد ماؤها. وحكىٰ ابنُ جرير عن بعضهم أنَّها سُمِّيَتْ بذلك لسَلَاسَتِهَا في الحَلْقِ، واختار هو أنها تَعُمُّ ذلك كلَّه، وهو كما قال.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ أي: يطوف علىٰ أهل الجنَّة للخِدْمَة ولدانٌ مِن ولدان الجنَّة ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ أي: علىٰ حالةٍ واحدةٍ مخلَّدون عليها، لا يَتغيَّرون عنها، لا تَزِيد أعمارهم عن تلك السِّن، ومن فسَّرهم بأنَّهم مُخَرَّصُونَ في آذانهم الأَقْرِطة، فإنَّما عبَّر عن المعنىٰ بذلك؛ لأنَّ الصَّغير هو الَّذي يَلِيقُ له ذلك دون الكبير.

وقوله: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ أي: إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السَّادة، وكثرتهم، وصَبَاحة وجوههم، وحسن ألوانهم وثِيَابِهِم وحُلِيِّهم، حسبتهم لؤلؤًا منثورًا، ولا يكون في التَّشبيه أحسنُ مِن هذا، ولا في المَنْظَرِ أحسنُ من اللُّؤلؤ المنثور علىٰ المكان الحسن.

قال قتاده، عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو: ما مِن أهل الجنَّة من أحدٍ إلَّا يسعىٰ عليه ألف خادمٍ، كلُّ خادم علىٰ عملٍ ما عليه صاحبُهُ[2].

وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾ أي: وإذا رأيت يا محمَّد، ﴿ثَمَّ﴾ أي: هناك؛ يعني: في الجنَّة ونعيمها وسَعَتها وارتفاعها وما فيها من الحَبْرَة والسُّرور، ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ أي: مملكةً لله هُناك عظيمةً وسلطانًا باهرًا.

وثبت في «الصَّحيح» أن الله تعالىٰ يقول لآخر أهل النَّار خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخولًا إليها: «إِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا»[3].

وقد قَدَّمنا في الحديث المَرويِّ من طريق ثُوَير بن أبي فاختة، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَدْنَىٰ أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ مَسِيرَةَ أَلْفَيْ سَنَةٍ يَنْظُرُ إِلَىٰ أَقْصَاهُ كَمَا يَنْظُرُ إِلَىٰ أَدْنَاهُ»[4]. فإذا كان هذا عطاؤه تعالىٰ لأدنىٰ مَن يكون في الجنَّة، فما ظنُّك بمن هو أعلىٰ منزلةً، وأحظىٰ عنده تعالىٰ.

وقد روىٰ الطبراني هاهنا حديثًا غريبًا جدًّا فقال: حدَّثنا علي بن عبد العزيز، حدَّثنا محمَّد بن عمار الموصلي، حدَّثنا عفيف[5] بن سالم، عن أيوب بن عتبة، عن عطاء، عن ابن عمر قال: جاء رجلٌ من

---

(١) لوحة (١٧٨ ب).

(٢) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٣٧١)، وابن المبارك في «الزهد» ص ٥٥١، والطبري (٢٩/ ٢٢١)، وهذه الآثار مما لا يقال بالرأي فلها حكم المرفوع بشرط أن يكون الصحابي لم يأخذ من كتب أهل الكتاب، وهذا لا يتحقق هنا، فعبد الله بن عمرو ﵄ ممن أخذوا منها، وعلىٰ هذا فلا يصح الأثر.

(٣) مسلم (١٨٨).

(٤) ضعيف: رواه أحمد (٢/ ١٣)، والترمذي (٣٣٢٧) وإسناده ضعيف، وعلته ثوير بن أبي فاختة: ضعيف كما في «التقريب».

(٥) في (ز): (عقبة بن سالم)، وهو مثبت هكذا في معظم الطبعات وهو خطأ، وعفيف بن سالم هو الموصلي البجلي أبو عمرو، وهو هكذا في «الطبراني».

الحبشة إلىٰ رسول الله ﷺ: فقال له رسول الله ﷺ: «سَلْ وَاسْتَفْهِمْ». فقال: يا رسول الله، فُضِّلْتُم[1] علينا بالصُّوَرِ والألوان والنُّبوَّة[2]، أفرأيتَ إن آمنتُ بما آمنتَ به وعملتُ بمثل ما عملتَ به، إنِّي لكائنٌ معكَ في الجنَّة؟ قال: «نعم، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَيُرَىٰ بَيَاضُ الأَسْوَدِ فِي الجَنَّةِ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ عَامٍ». ثم قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَانَ لَهُ بِهَا عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، كُتِبَ لَهُ مِائَةُ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ حَسَنَةٍ». فقال رجلٌ: كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِالعَمَلِ لَوْ وُضِعَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَأَثْقَلَهُ، فَتَقُومُ النِّعْمَةُ -أو: نِعَمُ اللهِ- فَتَكَادُ تَسْتَنْفِذُ ذَلِكَ كُلَّهُ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ». ونزلت هذه السورة: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ فقال الحبشي: وإن عيني لترىٰ ما ترىٰ عيناك في الجنة؟ قال: «نَعَمْ»، فاستبكىٰ حتىٰ فاضت نفسه، قال ابن عمر: فلقد رأيت رسول الله ﷺ يُدلِّيه في حُفرَته بيده[3].

وقوله: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ أي: لباس أهل الجنة فيها الحرير، ومنه سندس، وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم، والإستبرق منه ما فيه بريقٌ ولمعانٌ، وهو مما يلي الظَّاهر، كما هو المعهود في اللِّباس ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وهذه صفة الأبرار، وأما المقرَّبون فكما قال: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

ولما ذكر تعالىٰ زينة الظَّاهر بالحرير والحليِّ قال بعده: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ أي: طهَّر بواطنهم من الحَسَد [والحقد][4] والغلِّ والأذىٰ وسائر الأخلاق الرَّديَّة، كما روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنَّه قال: إذا انتهىٰ أهلُ الجنَّة إلىٰ باب الجنَّة وَجَدوا هنالك عينين فكأنَّما أُلهِموا[5] ذلك فشربوا مِن إحداهما، فأذهب الله ما في بطونهم من أذًىٰ، ثم اغتسلوا من الأخرىٰ فَجَرتْ عليهم نضرةُ النَّعيم[6].

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ أي: يقال لهم ذلك تكريمًا لهم وإحسانًا إليهم كقوله: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤] وكقوله: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] وقوله: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ أي: جزاكم الله علىٰ القليل بالكثير.

---

(١) في (ز): (فعلم).
(٢) لوحة (١٧٩ أ).
(٣) ضعيف: رواه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٤٣٦/ ١٣٥٩٥) وفيه أيوب بن عتبة: ضعيف، وعطاء لم يسمع من ابن عمر. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢٨/ ٣٦٥) وزاد نسبته لابن مردويه وابن عساكر.
(٤) سقط من (ز).
(٥) في (ز): (فكأنموا أتموا).
(٦) لم أقف علىٰ إسناده.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ (١) فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾

يقول تعالىٰ ممتنًّا علىٰ رسوله ﷺ بما نزَّله عليه من القرآن العظيم تنزيلًا ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: كما أكرمتُكَ بما أنزلتُ عليك، فاصبر علىٰ قضائه وقَدَره، واعلم أنَّه سيُدبرك بحسن تدبيره، ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أي: لا تطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صَدَّك عما أنزل إليك، بل بَلِّغ ما أنزل إليك من ربِّك، وتوكَّل علىٰ الله؛ فإن الله يعصمك من النَّاس، فالآثم: هو الفاجر في أفعاله، والكفور: هو الكافر بقلبه.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: أولَ النَّهار وآخره.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ كقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] وكقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ١ - ٤].

ثم قال تعالىٰ منكرًا علىٰ الكفَّار ومن أشبههم في حُبِّ الدُّنيا والإقبال عليها والانصباب إليها، وترك الدَّار الآخرة وراء ظهورهم: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ يعني: يوم القيامة.

ثم قال: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ قال ابن عبَّاس، ومجاهد، وغير واحدٍ: يعني خَلْقَهم. ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ أي: وإذا شئنا بعثناهم يوم القيامة، وبَدلناهم فأعدناهم خلقًا جديدًا. وهذا استدلالٌ بالبَداءة علىٰ الرجعة.

وقال ابن (٢) زيد، وابن جرير: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ أي: وإذا شئنا أتينا بقومٍ آخرين غيرهم، كقوله: [﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣] وكقوله:] (٣) ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ١٩، ٢٠، وفاطر ١٦، ١٧].

ثم قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ﴾ يعنىٰ: هذه السورة ﴿تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ أي طريقًا ومسلكًا؛ أي: من شاء اهتدىٰ بالقرآن، كقوله: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٩].

---

(١) لوحة (١٧٩ ب).

(٢) في (ز): (أبو زيد)، وهو خطأ.

(٣) سقط من (ز).

ثم قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: لا يقدر أحدٌ أن[1] يَهدي نفسه، ولا يدخل في الإيمان ولا يجر لنفسه نفعًا، ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [أي: عليم بمَن يستحقُّ الهداية فَيُيَسِّرها له، ويقيِّض له أسبابها، ومَن يستحقُّ الغِواية فيصرفه عن الهدىٰ، وله الحكمة البالغة، والحجَّة الدَّامغة؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾][2].

ثم قال: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ أي: يهدِي من يشاء ويضلُّ مَن يشاء، ومَن يهدِهِ فلا مضلَّ له، ومَن يضلل فلا هاديَ له.

آخر سورة الإنسان.

(١) لوحة (١٨٠ أ).

(٢) ما بين المعكوفتين سقط من (ز).

سُورَةُ المُرْسَلَاتِ

تفسير سورة المرسلات وهي مكية

قال البخاري: حدَّثنا [1]عمر بن حفص بن غياث، حدَّثنا [أبي، حدَّثنا] [2]الأعمش، حدَّثني إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله -هو ابن مسعود- قال: بينما نحن مع النَّبيِّ ﷺ، في غارٍ بمنًى، إذ نزلت عليه: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ فإنَّه ليتلوها وإنِّي لأتلقَّاها من فِيهِ، وإن فاه لرطب بها، إذ وَثَبت علينا حَيَّةٌ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**اقْتُلُوهَا**». فابتدرناها فذهبت، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**وُقِيَتْ شَرَّكُمْ كَمَا وُقِيتُمْ شَرَّهَا**» [3].

وأخرجه مسلم أيضًا، من طريق الأعمش.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا سفيان بن عُيَيْنَة، عن الزُّهري، عن عُبَيدِ الله، عن ابن عبَّاس، عن أمه: أنها سَمِعَتِ النَّبيَّ ﷺ يقرأ في المغرب بـ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ [4].

وفي رواية مالك، عن الزهري، عن عُبَيدِ الله، عن ابن عبَّاس: أنَّ أمَّ الفضل سمعته يقرأ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ فقالت: يا بني، ذكَّرتني بقراءتك هذه السُّورةَ، إنها لآخر ما سمعتُ من رسولِ الله ﷺ يقرأ بها في المغرب [5]. أخرجاه في «الصحيحين»، من طريق مالك به.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا زكريا بن سهل المَرْوَزي، حدَّثنا علي بن الحسن بن شقيق، أخبرنا الحسين بن واقد، حدَّثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هُرَيرَةَ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ قال: الملائكة[6].

---

(١) في (ز): (قال البخاري: حدثنا أحمد حدثنا عمر)، وهو خطأ.

(٢) سقط من (ز)، والمثبت موافق لما في «البخاري».

(٣) البخاري (١٨٣٠)، ومسلم (٢٢٣٤).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٦/ ٣٣٨)، ورواه البخاري (٧٦٣)، ومسلم (٤٦٢).

(٥) مالك (١/ ٨٨/ ٢٤)، والبخاري (٧٦٣)، ومسلم (٤٦٢).

(٦) رواه ابن أبي حاتم (١٩٠٨٦)، والحاكم (٢/ ٥١١)، وصححه علىٰ شرطهما ووافقه الذهبي، ورواه الطبري (٢٩/ ٢٢٩) من طريق مسروق عن ابن مسعود به.

قال: ورُوي عن مسروق، وأبي الضحىٰ، ومجاهد -في إحدىٰ الروايات- والسُّدِّي، والربيع بن أنس مثلُ ذلك.

ورُويَ عن أبي صالح أنه قال: هي الرسل. وفي رواية عنه: هي الملائكة. وهكذا[1] قال أبو صالح[2] في «العاصفات» و«الناشرات» و«الفارقات» و«الملقيات» أنَّها الملائكة.

وقال الثوري، عن سلمة بن كُهَيل، عن مُسلمِ البَطين، عن أبي العُبَيدَين قال: سألت ابنَ مسعودٍ عن ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ قال: الريح[3]. وكذا قال في: ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾ إنها الريح. وكذا قال ابن عبَّاس[4]، ومجاهد، وقتادة، وأبو صالح -في رواية عنه- وتوقف ابن جرير في ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ هل هي الملائكة إذا أرسلت بالعُرْف[5]، أو كعُرْفِ الفَرَسِ يتبع بعضهم بعضًا؟ أو: هي الرِّياح إذا هَبَّتْ شيئًا فشيئًا؟ وقَطَعَ بأنَّ العاصفات عصفًا هي الرياح، كما قاله ابن مسعودٍ ومن تابعه. وممن قال ذلك في العاصفات أيضًا: علي بن أبي طالب[6]، والسُّدِّي، وتوقف في ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾ هل هي الملائكة أو الريح؟ كما تقدَّم. وعن أبي صالح: أنَّ النَّاشرات نشرًا: المطر.

والأظهر أنَّ: «المرْسَلات» هي الرياح، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وهكذا العاصفات هي: الرِّياح، يقال: عصفت الرِّيح إذا هَبَّت بتصويتٍ، وكذا النَّاشرات هي: الرِّياح التي تنشر السَّحاب في آفاق السَّماء، كما يشاء الرَّبُّ عَجَّلَ.

وقوله: ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ يعني: الملائكة قاله ابن مسعود، وابن عبَّاس[7]، ومسروق، ومجاهد، وقتادة، والربيع بن أنس، والسُّدِّي، والثَّوري. ولا خلاف هاهنا؛ فإنَّها تنزل بأمر الله علىٰ الرُّسل، تَفرِقُ بين الحقِّ والباطل، والهدىٰ والغيِّ، والحلال والحَرام، وتُلْقِي إلىٰ الرُّسل وحيًا فيه إعذارٌ إلىٰ الخلق، وإنذارٌ لهم عقابَ الله إن خالفوا أمره.

وقوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾ هذا هو المُقْسَم عليه بهذه الأقسام؛ أي: ما وُعِدْتُم به من قيام السَّاعة، والنَّفخ في الصُّور، وبعث الأجساد، وجمع الأوَّلين والآخرين في صعيدٍ واحدٍ، ومجازاة كل عاملٍ بعمله، إن خيرًا فخيرٌ وإن شرًّا فشرٌّ- إن هذا كله ﴿لَوَٰقِعٌ﴾ أي: لكائنٌ لا محالةَ.

---

(١) لوحة (١٨٠ ب).

(٢) في (ز): (ابن صالح)، وهو خطأ.

(٣) رواه الطبري (٢٩/ ٢٢٨)، وابن أبي حاتم (١٩٠٨٨).

(٤) إسناده ضعيف: رواه الطبري (٢٩/ ٢٢٨).

(٥) أي: بالمعروف.

(٦) إسناده ضعيف: رواه الحاكم (٢/ ٤٦٦)، والطبري (٢٦/ ١٨٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٧٠٤). وصححه الحاكم وأقره الذهبي. قلت: فيه خالد بن عَرْعَرة لم يوثقه غير ابن حبان.

(٧) بنفس الأسانيد السابقة عنهم. انظر رقم (٤، ٦) في هذه الصفحة.

ثمَّ قال: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ أي: ذهب ضَوْؤها، كقوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢] وكقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢].

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ أي: انفطرَتْ وانشقَّت، وتدلَّت أرجاؤُها، وَوَهَت أطرافها.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ أي: ذُهِب بِهَا، فلا يَبْقَىٰ لها عينٌ ولا أثرٌ، كقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا [(١)]﴾ [طه: ١٠٥ - ١٠٧] وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ قال العَوْفي، عن ابن عبَّاس: جُمِعت. وقال ابن زيد: وهذه كقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ [المائدة: ١٠٩]. وقال مجاهد: ﴿أُقِّتَتْ﴾ أُجِّلَتْ.

وقال الثوري، عن منصور، عن إبراهيم: ﴿أُقِّتَتْ﴾ أُوعِدَتْ. وكأنَّه يجعلها كقوله: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٩].

ثم قال: ﴿لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ يقول تعالىٰ: لأيِّ يوم أُجِّلَتِ الرُّسل وأُرْجِئ أمرها؟ حتىٰ تقوم السَّاعة، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٧، ٤٨] وهو يوم الفصل، كما قال ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ ثم قال معظمًا لشأنه: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ أي: ويلٌ لهم مِن عذاب الله غدًا، وقد قدَّمنا في الحديث أن ﴿وَيْلٌ﴾: وادٍ في جهنَّم. ولا يصحُّ[(٢)].

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ[(٣)] ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾

يقول تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يعني: من المكذِّبين للرُّسل المخالفين لما جاءوهم به، ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ أي: مِمَّن أشبههم؛ ولهذا قال: ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ قاله ابن جرير.

---

(١) لوحة (١٨١ أ). (٢) ضعيف: تقدم عند تفسير سورة البقرة الآية (٧٦-٧٨).

(٣) قال أبو بكر الجزائري ﷺ: قدم ذكر الموت على الحياة؛ لأن الموت أكبر واعظ للإنسان، قال العلماء: الموت ليس عدمًا محضًا ولا فناءً صرفًا، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته، وحيلولةٌ بينهما وتبديلُ حالٍ وانتقال من دار إلىٰ دار، والحياة عكس ذلك.

ثم قال ممتنًّا علىٰ خلقه ومحتجًّا علىٰ الإعادة بالبَدَاءة: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ أي: ضعيفٍ حقيرٍ بالنِّسبة إلىٰ قُدرة الباري ﷻ كما تقدَّم في سورة «يس» في حديث بُسْرِ بن جَحَّاشٍ: «ابْنَ آدَمَ، أَنَّىٰ تُعْجِزُنِي[1] وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ؟!»[2].

﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ يعني: جمعناه في الرَّحِمِ، وهو قرار الماء مِن الرَّجل والمرأة، والرَّحم مُعَدٌّ لذلك، حافظٌ لما أُودِعَ فيه من الماء.

وقوله: ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ يعنىٰ: إلىٰ مدةٍ معينةٍ من ستَّة أشهر أو تسعة أشهرٍ؛ ولهذا قال: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

ثم قال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ قال ابن عبَّاس: ﴿كِفَاتًا﴾ كنًّا[3]. وقال مجاهد: يُكفتُ الميت فلا يُرَىٰ منه شيء. وقال الشعبي: بطنها لأمواتكم، وظهرها لأحيائكم. وكذا قال مجاهد وقتادة. ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ﴾ يعني: الجبال، أَرْسَىٰ بها الأرض؛ لئلَّا تميد وتضطرب[4]. ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ عذبًا زُلالًا من السَّحاب، أو ممَّا أنبعه الله مِن عيون الأرض. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: ويلٌ لمن تأمَّل هذه المخلوقات الدَّالَّة علىٰ عظمَةِ خالقها، ثم بعد هذا يَسْتمِرُّ علىٰ تكذيبه وكفره.

﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾

يقول تعالىٰ مخاطبًا للكفَّار المكذِّبين بالمعاد والجزاءِ والجنَّة والنَّار، أنَّهم يقال لهم يوم القيامة: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ يعني: لَهَبَ النَّار إذا ارتفع وصَعِدَ معه دخان، فمِن شدَّته وقوَّته أن له ثلاثَ شعب، ﴿لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ أي: ظل الدُّخان المقابل للهبِ لا ظليل هو في نفسه، ولا يغني مِن اللَّهب؛ يعني: ولا يَقِيهِم حرَّ اللَّهب.

وقوله: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ أي: يتطاير الشَّرر مِن لهبها كالقصر. قال ابن مسعود: كالحصون. وقال ابن عبَّاس، وقتادة، ومجاهد، ومالك، عن زيد بن أسلم، وغيرهم: يعني أصول الشجر.

---

(١) في (ز): (معجزين).

(٢) رواه أحمد (٤/ ١١٠)، وابن ماجه (٢٧٠٧)، وقال البوصيري في «الزوائد» (٢/ ٣٦٥): إسناده صحيح، ورواه الحاكم (٢/ ٥٠٢) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٩٩).

(٣) لوحة (١٨١ ب). (٤) في (ز): (تضرب).

﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ[(١)] صُفْرٌ﴾ أي: كالإبل السُّود. قاله مجاهد، والحسن، وقتادة، والضَّحَّاكُ. واختاره ابن جرير.

وعن ابن عبَّاس، ومجاهد، وسعيد بن جبير: ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ يعني: حبال السُّفن. وعنه -أعني ابن عبَّاس-: ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ قِطَع نُحاس.

وقال البخاري: حدَّثنا عمرو بن علي، حدَّثنا يحيىٰ، أخبرنا سفيان، عن عبد الرحمن بن عابس قال: سمعت ابن عبَّاس: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ قال: كنا نعمِدُ إلىٰ الخشبة ثلاثة أذرع وفوق ذلك، فنرفعه للشِّتاء، فنُسَمِّيه القَصَرَ[(٢)]، ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ[(٣)] صُفْرٌ﴾ حبال السُّفن، تجمع حتىٰ تكون كأوساط الرجال[(٤)]، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

ثم قال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ أي: لا يتكلمون.

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ أي: لا يقدرون علىٰ الكلام، ولا يُؤْذَنُ لهم فيه[(٥)] لِيَعْتَذِرُوا، بل قد قامت عليهم الحُجَّة، ووقع القولُ عليهم بما ظلموا فهُمْ لا ينطقون. وعرصات القيامة حالات، والرَّبُّ تعالىٰ يُخْبِرُ عن هذه الحالة تارةً، وعن هذه الحالة تارةً؛ ليدلَّ علىٰ شدَّة الأهوال والزَّلازل يومئذٍ؛ ولهذا يقول بعد كلِّ فصلٍ من هذا الكلام: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

وقوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ وهذه مخاطبة من الخالق لعبادِهِ يقول لهم: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ يعني: أنَّه جمعهم بقُدْرَتِه في صعيدٍ واحدٍ، يُسمعُهم الدَّاعي ويَنْفُذهُم البصر.

وقوله: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ تهديدٌ شديدٌ ووعيدٌ أكيدٌ؛ أي: إن قدرتم علىٰ أن تتخلصوا مِن قَبْضَتِي، وتَنجُوا مِن حكمي فافعلوا، فإنَّكم لا تَقْدِرُون علىٰ ذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣]، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾ [هود: ٥٧] وفي الحديث: «**يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي**»[(٦)].

---

(١) في (ز): (جمالات)، وهي قراءة متواترة: قَرَأَ (جِمَالَتٌ) حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ (فِي اخْتِيَارِهِ) وَحَفْصٌ وَوَافَقَهُمُ الْأَعْمَشُ، وَقَرَأَ (جُمَالَاتٌ) رُوَيْسٌ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (جِمَالَاتٌ).

(٢) يريد: قَصَرَ النَّخل -وهو ما غَلُظ من أسفلها-، أو أعناق الإبل، واحدتُها: قَصرة. «النهاية».

(٣) في (ز): (جمالات)، وهي قراءة سبق التعليق عليها.

(٤) البخاري (٤٩٣٣).

(٥) لوحة (١٨٢ أ).

(٦) مسلم (٢٥٧٧).

وقد قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا علي بن المنذر الطَّريقي الأَوْدي، حدَّثنا محمَّد بن فضيل، حدَّثنا حُصيَن بن عبد الرحمن، عن حسان بن أبي المُخارِق، عن أبي عبد الله الجَدَلي قال: أتيت بيت المقدس، [فإذا عُبادة بن الصامت، وعبد الله بن عمرو، وكعب الأحبار يتحدَّثون في بيت المقدس،](١) فقال عبادة: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأوَّلين والآخرين بصعيدٍ واحدٍ، يَنفُذُهم البصر ويُسمعهم الدَّاعي، ويقول الله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ اليوم لا ينجو منِّي جبَّارٌ عنيدٌ، ولا شيطانٌ مريدٌ، فقال عبد الله بن عمرو: فإنَّا(٢) نحدَّث يومئذٍ أنَّه يخرج عُنُق(٣) من النَّار فتنطلق حتىٰ إذا كانت بين ظهراني النَّاس نادت: أيُّها النَّاس، إني بُعثتُ إلىٰ ثلاثةٍ أنا أعْرَفُ بهم من الأبِ بوَلَدِهِ ومن الأخ بأخيه، لا يُغَيِّبهم عنِّي وَزَر، ولا تُخفيهم عني خافية: الَّذي جعل مع الله إلهًا آخر، وكلُّ جبَّارٍ عنيدٍ، وكلُّ شيطانٍ مريدٍ، فتنطوي عليهم فتقذف بهم في النَّار قبل الحساب بأربعين سنة(٤).

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن عباده المتقين الذين عبدوه بأداء الواجبات(٥)، وترك المحرمات: إنَّهم يوم القيامة يكونون في جنَّات وعيون؛ أي: بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه، من ظل اليَحْمُوم، وهو الدُّخان الأسود المُنْتِن(٦).

﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي: مِن سائر أنواع الثِّمار، مهما طلبوا وجدوا.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: يقال لهم ذلك علىٰ سبيل الإحسان إليهم.

ثم قال تعالىٰ مخبرًا خبرًا مستأنفًا: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

وقوله: [﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ خطاب للمكذِّبين بيَوْمِ الدِّين، وأمْرُهم أَمْر تهديدٍ ووعيدٍ

---

(١) سقط من (ز).

(٢) في (ز): (كأنها تحدث).

(٣) أي: طائفة.

(٤) رواه ابن أبي حاتم (١٩٠٩٢)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٨٧) إلىٰ سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٥) لوحة (١٨٢ ب).

(٦) في (ز): (المتين).

فقال تعالىٰ:](١) ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا﴾ أي: مدَّةً قليلةً قريبةً قصيرةً، ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ أي: ثمَّ تُسَاقُون(٢) إلىٰ نار جهنَّم التي تقدَّم ذكرها، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ كما قال تعالىٰ: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ٢٤] وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٦٩، ٧٠].

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ أي: إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفَّار أن يكونوا من المصلِّين مع الجماعة، امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه؛ ولهذا قال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

ثم قال: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾؟ أي: إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن، فبأيِّ كلامٍ يؤمنون به؟! كقوله تعالىٰ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦].

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر، حدَّثنا سفيان، عن إسماعيل بن أمية: سمعت رجلًا أعرابيًّا بَدَويًّا يقول: سمعت أبا هريرة يرويه: «إِذَا قَرَأَ: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ فَقَرَأَ(٣): ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ وَبِمَا أَنْزَلَ». وقد تقدَّم هذا الحديث في سورة «القيامة»(٤).

آخر تفسير سورة المرسلات.

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).

(٢) في (ز): (هم يساقون).

(٣) في (ز): (يقرأ).

(٤) ضعيف: رواه أبو داود (٨٨٧)، والترمذي (٣٣٤٤) من طريق سفيان به، وفيه رجل لم يسمَّ، ورواه الحاكم (٢/ ٥١٠) وسمىٰ الأعرابي أبا اليسع، قلت: مجهول؛ قال الحافظ: (لا يدرىٰ من هو). انظر «لسان الميزان» (٢/ ١٢٣). وقد تقدم هذا الحديث أطول من هذا في آخر سورة القيامة.

سُورَةُ النَّبَإِ

تفسير سورة النبأ، وهي مكية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٥ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ٧ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ٨ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ٩ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ١١ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ١٢ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ١٣ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا(1) ١٦﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة إنكارًا لوقوعها: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ [١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾؛ أي: عن أي شيءٍ يتساءلون؟](2) عن أمر القِيَامةِ، وهو النَّبأ العظيم؛ يعني: الخبر الهائل المُفْظِع الباهر.

قال قتادة، وابن زيد: النَّبأ العظيم: البعث بعد المَوْتِ. وقال مجاهد: هو القرآن. والأظهر الأوَّل لقوله: ﴿ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ﴾ يعني: النَّاس فيه علىٰ قولين: مؤمنٌ به وكافرٌ.

ثم قال تعالىٰ متوعِّدًا لمنكري القيامة: ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾ وهذا تهديدٌ شديدٌ، ووعيدٌ أكيدٌ.

ثم شرع تعالىٰ يُبيِّن قدرته العظيمة علىٰ خلق الأشياء(3) الغريبة والأمور العجيبة، الدَّالَّة علىٰ قدرته علىٰ ما يشاء مِن أمر المعاد وغيره، فقال: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا﴾، أي: ممهدةً للخلائق ذَلُولًا لهم، قارَّةً ساكنةً ثابتةً، ﴿وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا﴾؛ أي: جعلها لها أوتادًا أرساها بها، وثبَّتها وقرَّرها حتىٰ سَكَنَتْ، ولم تضطرب بمَنْ عليها.

ثم قال: ﴿وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ يعني: ذكرًا وأنثىٰ، يَسْتَمْتِعُ كلٌّ منهما بالآخر، ويحصل التَّناسل بذلك، كقوله: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ(4) لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً﴾ [الروم: ٢١].

---

(١) لوحة (١٨٣ أ). (٢) سقط من (ز).

(٣) في (ز): (الإنسان). (٤) في (ز): «جعل»، وهو خطأ.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾؛ أي: قطعًا للحركة لتحصل الرَّاحة من كثرة التَّرداد والسَّعي [في المعايش] [1] في عرض [2] النَّهار. وقد تقدَّم مثل هذه الآية في سورة «الفرقان».

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾؛ أي: يغشى النَّاس ظلامه وسواده، كما قال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ [الشمس: ٤] وقال الشاعر [3]:

فَلَمَّا لَبِسْنَ اللَّيْلَ، أَوْ حِينَ نَصَّبَتْ ... لَهُ مِنْ خَذَا آذَانِهَا وَهْوَ جَانِحُ [4]

وقال قتادة في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾؛ أي: سكنًا.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾؛ أي: جعلناه مشرقًا مُنيرًا مضيئًا؛ ليتمكَّن النَّاس من التَّصرُّفِ فيه، والذَّهاب والمجيء للمعاش والتَّكسُّب والتِّجارات، وغير ذلك.

وقوله: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ يعني: السَّموات السَّبع، في اتِّساعها وارتفاعها وإحكامها وإتقانها، وتزْيينِهَا بالكواكب [الثَّوابت] [5] والسَّيَّارات [6]؛ ولهذا قال: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ يعني: الشَّمسَ المُنِيرَةَ على جميع العالم التي يَتوهَّجُ ضوءُها لأهل الأرض كلِّهم.

وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ قال العوفي، عن ابن عبَّاس: ﴿الْمُعْصِرَاتِ﴾ الريح.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد، حدَّثنا أبو داود الحَفَري، عن سفيان، عن الأعمش، عن المِنْهَال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ [7] الْمُعْصِرَاتِ﴾ قال: الرِّياح [8]. وكذا قال عكرمة، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل، والكلبي، وزيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن: إنَّها الرِّياح. ومعنى هذا القول أنَّها تستدر المطر من السَّحاب.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: ﴿الْمُعْصِرَاتِ﴾؛ أي: من السَّحاب [9]. وكذا قال عكرمة أيضًا، وأبو العالية، والضَّحَّاكُ، والحسن، والربيع بن أنس، والثوري. واختاره ابن جرير.

وقال الفراء: هي السحاب التي تَتحَلَّب بالمطر [ولم تُمطر] [10] بعدُ، كما يقال: امرأة معصر، إذا دنا حَيْضُها ولم تَحِض.

---

(١) سقط من (ز). (٢) في (ز): (أرض النهار).
(٣) هو ذو الرُّمَّة، كما ثبت عند الطبري (١/ ٣٢٧) في تفسير الآية (١٧) من سورة البقرة.
(٤) لبسن الليل: أدخلن في سواده فاستترن به، وخذا الآذان: استرخاؤها، وهو جانح: يعني الليل.
(٥) سقط من (ز). (٦) من السير، والمراد بها الكواكب المتحركة.
(٧) لوحة (١٨٣ ب). (٨) ابن أبي حاتم (١٩٠٩٥).
(٩) رواه ابن أبي حاتم (١٩٠٩٤)، والطبري (٣٠/ ٥).
(١٠) في (ز): (يوم المطر).

وعن الحسن، وقتادة: ﴿مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ يعني: السَّموات. وهذا قول غريب.

والأظهر أنَّ المراد بالمعصرات: السَّحاب، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [الروم: ٤٨] أي: من بينه.

وقوله: ﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾ قال مجاهد، وقتادة، والرَّبيع بن أنس: ﴿ثَجَّاجًا﴾ منصبًّا. وقال الثوري: متتابعًا. وقال ابن زيد: كثيرًا.

قال ابن جرير: ولا يعرف في كلام العرب في صفة الكثرة الثَّج، وإنَّما الثَّج: الصَّبُّ المتتابع. ومنه قول النَّبيِّ ﷺ: «أفضلُ الحجِّ العجُّ والثَّجُّ»[1]. يعني: صَبُّ دماء البُدْنِ. هكذا قال. قلت: وفي حديث المستحاضة حين قال لها رسول الله ﷺ: «أنعتُ لَكِ الكُرْسُفَ» -يعني: أن تحتشي بالقطن-: قالت: يا رسول الله، هو أكثر من ذلك، إنَّما أَثُجُّ ثجًّا[2]. وهذا فيه دَلالة علىٰ استعمال الثَّج في الصبِّ المتتابع الكثير، والله أعلم.

وقوله: ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾؛ أي: لنخرجَ بهذا الماء الكثير الطَّيِّب النَّافع المُبارَك ﴿حَبًّا﴾ يُدَّخَر للأناسي والأنعام، ﴿وَنَبَاتًا﴾؛ أي: خضرًا يؤكل رطبًا، ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾؛ أي: بساتين وحدائقَ مِن ثمرات متنوِّعة، وألوان مختلفة، وطعوم وروائح متفاوتة، وإن كان ذلك في بقعةٍ واحدةٍ مِن الأرض مجتمعًا؛ ولهذا قال: ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾ قال ابن عبَّاس وغيره: ﴿أَلْفَافًا﴾ مجتمعةً. وهذه كقوله تعالىٰ: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ الآية [الرعد: ٤].

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ[3] فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن يوم الفصل، وهو يوم القيامة، أنَّه مؤقَّت بأجلٍ معدودٍ، لا يزاد عليه ولا ينقص منه، ولا يعلم وقته علىٰ التَّعْيين إلَّا الله ﷻ كما قال: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ [هود: ١٠٤].

(١) صححه الألباني: انظر: «السلسلة الصحيحة» (١٥٠٠).
(٢) حسن: رواه أبو داود (٢٨٧)، والترمذي (١٢٨)، وابن ماجة (٦٢٧).
(٣) لوحة (١٨٤ أ).

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ قال مجاهد: زُمَرًا زُمَرًا. قال ابن جرير: يعني تأتي كلُّ أمةٍ مع رسولها، كقوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء:٧١].

وقال البخاري: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ حدَّثنا محمَّد، حدَّثنا أبو[١] معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ». قالوا: أربعون يومًا؟ قال: «أَبَيْتُ». قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: «أَبَيْتُ». قالوا: أربعون سنةً؟ قال: «أَبَيْتُ». قال: «ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَىٰ، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[٢].

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾؛ أي: طرقًا ومسالك لنزول الملائكة، ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ كقوله: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل:٨٨]، وكقوله: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة:٥].

وقال هاهنا: ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾؛ أي: يخيل إلىٰ النَّاظر أنَّها شيء، وليست بشيءٍ، بعد هذا تَذهبُ بالكليَّة، فلا عينَ ولا أثر، كما قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه:١٠٥ - ١٠٧]، وقال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف:٤٧].

وقوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾؛ أي: مرصدةً مُعدَّةً، ﴿لِّلطَّاغِينَ﴾ وهم: المَرَدةُ العُصاةُ المخالِفُون للرُّسل، ﴿مَآبًا﴾؛ أي: مرجعًا ومنقلبًا ومصيرًا ونُزُلًا. وقال الحسن وقتادة في قوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ يعني: أنَّه لا يدخل [أحد][٣] الجنَّة حتىٰ يجتاز بالنَّار، فإن كان معه جواز نَجا، وإلا احتبس. وقال سفيان الثوري: عليها ثلاث قناطر.

وقوله: ﴿لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾؛ أي: ماكثين فيها أحقابًا[٤]، وهي جمع «حُقْب»، وهو: المدَّة من الزَّمان. وقد اختلفوا في مقداره. فقال ابن جرير، عن ابن حميد، عن مِهْرانَ، عن سفيان الثوري، عن عمَّار الدُّهنِي، عن سالم بن أبي الجعد قال: قال علي بن أبي طالب لهلال الهَجَري: ما تجدونَ الحُقْبَ في كتاب الله المُنزَّل؟ قال: نَجِدُه ثمانين سنةً، كل سنة اثنا عشر شهرًا، كل شهر ثلاثون يومًا كل يومٍ ألف سنة[٥].

---

(١) في (ز): (ابن معاوية)، وهو خطأ.
(٢) البخاري (٤٩٣٥).
(٣) سقط من (ز).
(٤) لوحة (١٨٤ ب).
(٥) رواه الطبري (٣٠/ ١١)، وشيخ الطبري محمَّد بن حميد: حافظ ضعيف، وسالم بن أبي الجعد: ثقة إلا أنه كان يرسل كثيرًا.

وهكذا رُوِيَ عن أبي هُرَيرةَ، وعبد الله بن عَمرو، وابن عبَّاس [١]، وسعيد بن جُبَير، وعَمرو بن ميمون، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، والضَّحَّاك.

وعن الحسن والسُّدِّي أيضًا: سبعون سنةً كذلك.

وعن عبد الله بن عمرو: الحُقبُ أربعون سنةً، كلُّ يومٍ منها كألفِ سنةٍ ممَّا تعدُّون. رواهما ابن أبي حاتم.

وقال بُشَير بن كعب: ذُكِر لي أن الحُقب الواحد ثلاثمائة سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يومًا، كل يوم [منها كألف] [٢] سنة. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم.

ثم قال ابن أبي حاتم: ذكر عن عُمَرَ بن علي بن أبي بكر الأسْفَذْنيّ [٣]: حدَّثنا مروان بن معاوية الفَزَاري، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن النَّبيِّ ﷺ في قوله: ﴿لَٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾. قال: فالحقب [ألفُ] [٤] شهرٍ، الشَّهر ثلاثون يومًا، والسَّنة اثنا عشر شهرًا، والسَّنة ثلاثمائة وستُّون يومًا، كل يومٍ منها ألف سنة ممَّا تعدُّون، فالحقب ثلاثون ألف ألف سنة [٥]. وهذا حديثٌ منكرٌ جدًّا، والقاسم هو والراوي عنه وهو جعفر بن الزبير: كلاهما متروك.

وقال البزار: حدَّثنا محمَّد بن مِرْدَاسٍ، حدَّثنا سليمان بن [٦] مسلم أبو المُعَلَّى قال: سألت سليمان التيمي: هل يخرج من النَّار أحد؟ فقال: حدَّثني نافع، عن ابن عمر، عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**وَاللهِ لَا يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَحَدٌ حَتَّىٰ يَمْكُثَ فِيهَا أَحْقَابًا**». قال: والحُقْب: بضع وثمانون سنة، والسَّنة ثلاثمائة وستُّون يومًا مما تعدون [٧].

ثم قال: سليمان بن مسلم بصري مشهور.

وقال السُّدِّي: ﴿لَٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾ سبعمائة حُقب، كل حقب سَبْعُون سنةً، كل سنةٍ ثلاثمائة وستُّون يومًا، كلُّ يومٍ كألفِ سنةٍ ممَّا تعدُّون.

وقد قال مقاتل بن حَيَّان: إنَّ هذه الآية منسوخةٌ بقوله: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا﴾.

وقال خالد بن مَعْدانٍ: هذه الآية وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود:١٠٧] في أهل التَّوحيد. رواهما ابن جرير.

---

(١) روىٰ هذه الآثار كلها الطبري (٣٠/ ١١ – ١٢).
(٢) في (ز): (كل يوم ألف سنة).
(٣) في (ز): (الأسعدي)، والمثبت هو الصواب.
(٤) ليست في (ز).
(٥) ضعيف: في إسناده جعفر بن الزبير: ضعيف، رواه ابن أبي حاتم (١٩٠٩٩).
(٦) في (ز): (أبو مسلم)، وهو خطأ.
(٧) موضوع: رواه البزار (٣٥٠٣- كشف) وفيه سليمان بن مسلم الخشاب: أورده الذهبي في «الميزان» (ت/ ٣٥١٣) وأورد حديثه هذا وحديث آخر، وقال: هما موضوعان.

ثم[١] قال: ويحتمل أن يكون قوله: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾ متعلِّقًا بقوله: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا﴾ ثم يحدث الله لهم بعد ذلك عذابًا من شكل آخر ونوع آخر. ثم قال: والصحيح أنها لا انقضاء لها، كما قال قتادة والربيع بن أنس. وقد قال قبل ذلك:

حدَّثني محمَّد بن عبد الرحيم البَرْقِي، حدَّثنا عمرو بن أبي سلمة، عن زهير، عن سالم: سمعت الحسن يسأل عن قوله: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾ قال: أمَّا الأحقاب فليس لها عِدَّةٌ إلا الخلود في النَّار، ولكن ذكروا أن الحقبَ سبعون سنةً، كل يوم منها كألفِ سنةٍ ممَّا تعدُّون.

وقال سعيد، عن قتادة: قال الله تعالىٰ: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾ وهو: ما لا انقطاع له، كلَّما[٢] مضىٰ حقب جاء حقب بعده، وذكر لنا أن الحقب ثمانون سنة.

[وقال الربيع بن أنس: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾ لا يعلم عدَّة هذه الأحقاب إلا الله، ولكن الحقب الواحد ثمانون سنة][٣]، والسَّنة ثلاثمائة وستُّون يومًا، كلُّ يومٍ كألفِ سنةٍ ممَّا تعدُّون. رواهما أيضًا ابن جرير.

وقوله: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا﴾؛ أي: لا يجدون في جهنَّم بردًا لقلوبهم، ولا شرابًا طيِّبًا يتغذون به. ولهذا قال: ﴿إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا﴾ قال أبو العالية: استثنىٰ مِن البرد الحميم ومن الشَّراب الغسَّاق. وكذا قال الربيع بن أنس. فأمَّا الحميم: فهو الحارُّ الَّذي قد انتهىٰ حرُّه وحُموُّه. والغَسَّاق: هو ما اجتمع مِن صديد أهل النَّار وعرقهم ودموعهم وجروحهم، فهو باردٌ لا يُستَطَاعُ مِن برده، ولا يواجه مِن نَتْنِهِ. وقد قدمنا الكلام علىٰ الغساق في سورة «ص» بما أغنىٰ عن إعادته، أجارنا الله مِن ذلك بمَنِّه وكرمه.

قال ابن جرير: وقيل: المراد بقوله: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا﴾ يعني: النَّوم، كما قال الكندي:

بَرَدَتْ مَرَاشِفُهَا عَلَيَّ فَصَدَّنِي عَنْهَا وَعَنْ قُبُلَاتِهَا البَرْدُ

يعني بالبرد: النُّعاس والنَّوم، هكذا ذكره ولم يَعزُه إلىٰ أحدٍ. وقد رواه ابن أبي حاتم، من طريق السُّدِّي، عن مُرَّةَ الطَّيِّب. ونقله عن مجاهد أيضًا. وحكاه البغوي عن أبي عُبيدةَ، والكسائي أيضًا.

وقوله: ﴿جَزَآءٗ وِفَاقًا﴾؛ أي: هذا الَّذي صاروا إليه مِن هذه العُقُوبَة وَفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدُّنيا. قاله مجاهد، وقتادة، وغير واحدٍ.

ثم قال: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا﴾؛ أي: لم يكونُوا يَعْتَقِدُون أن ثَمَّ دارًا يجازون فيها[٤] ويحاسبون، ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا﴾؛ أي: وكانوا يكذِّبون بحُجَج الله ودلائلِهِ علىٰ خلقه التي أنزلها علىٰ رسلِهِ، فيقابلونها بالتَّكذيب والمعاندة.

---

(١) لوحة (١٨٥ أ). (٢) في (ز): (وكلما ما مضىٰ).

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (ز). (٤) لوحة (١٨٥ ب).

وقوله: ﴿كِذَّابًا﴾؛ أي: تكذيبًا، وهو مصدر مِن غير الفعل. قالوا: وقد سُمِعَ أعرابيٌّ يستفتي الفرَّاءَ علىٰ المروة: الحلقُ أحبُّ إليك أو القِصار؟ وأنشد بعضهم:

لَقَـدْ طَـالَ مَـا ثَبَّطَتْنِـي عَـنْ صَـحَابَتِي ... وَعَـنْ حِـوَجٍ قِـضَّاؤُهَا[1] مِـنْ شِـفَائِيَا[2]

وقوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا﴾؛ أي: وقد عَلِمنا أعمالَ العباد كلهم، وكتبناهم عليهم، وسَنَجْزيهم علىٰ ذلك، إن خيرًا فخيرٌ، وإلَّا فشرٌّ.

وقوله: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾؛ أي: يقال لأهل النَّار: ذوقوا ما أنتم فيه، فلَن نزيدكم إلَّا عذابًا من جنسه، ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ [ص:٥٨].

قال قتادة: عن أبي أيوب الأزدي، عن عبد الله بن عمرو قال: لم ينزل علىٰ أهل النَّار آية أشد من هذه: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ قال: فهُم فِي مزيدٍ مِن العذاب أبدًا[3].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا محمَّد بن محمَّد بن مصعب الصوري، حدَّثنا خالد بن عبد الرحمن، حدَّثنا جَسر بن فَرقد، عن الحسن قال: سألت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية في كتاب الله علىٰ أهل النار. قال: سمعتُ رسول الله ﷺ قرأ: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ فقال: «**هَلَكَ القَوْمُ بِمَعَاصِيهِمُ اللهَ ﷻ**»[4]. جسرُ بن فَرقد: ضعيف الحديث بالكليَّة.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن السُّعداء وما أعدَّ لهم تعالىٰ مِن الكرامة والنَّعيم المقيم، فقال: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ قال ابن عبَّاس والضَّحَّاكُ: متنزهًا. وقال مجاهد، وقتادة: فازوا، فنجوا من النَّار. والأظهر -هاهنا- قولُ ابن عبَّاس؛ لأنَّه قال بعده: ﴿حَدَآئِقَ﴾ وهي البساتين من النَّخيل وغيرها، ﴿وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾؛ أي: وحورًا كواعب. قال ابن عبَّاس ومجاهد، وغير واحدٍ: ﴿وَكَوَاعِبَ﴾؛ أي: نواهد، يعنون أن ثُدُيَّهن نواهد[5] لم يتدلين لأنهنَّ أبكار عُرُب أتراب؛ أي: في سن واحدة، كما تقدم بيانه في سورة «الواقعة».

---

(١) يريد: تَقْضِيَتُها، و(قِضَّاؤُها) مصدر، من القضاء، بمنزلة الكِذاب من الكذب.

(٢) في (ز): (قصارها من شقاينا)، والمثبت هو الصواب من «المصادر اللغوية»، وانظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٥/ ٢٧٤).

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٩٧) إلىٰ عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) ضعيف: رواه الطبري (٣٠/ ١١)، وفيه جسر بن فرقد: ضعيف.

(٥) في (ز): (كواعب).

قال ابن[١] أبي حاتم: حدَّثنا عبد الله[٢] بن أحمد بن عبد الرحمن الدَّشتكيُّ، حدَّثني أبي، عن أبي سفيان عبد الرحمن بن عبد الله بن تيم [اليشكرىٰ][٣]، حدَّثنا عطية بن سليمان أبو الغيث، عن أبي عبد الرحمن القاسم بن أبي القاسم الدمشقي، عن أبي أمامة: أنَّه سَمِعَه يحدِّث عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**إنَّ قُمُصَ أَهْلِ الجَنَّةِ لتَبْدُو مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، وَإِنَّ السَّحَابَةَ لَتَمُرُّ بِهِمْ فَتُنَادِيهِمْ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، مَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ أُمْطِرَكُمْ؟ حَتَّىٰ إِنَّهَا لَتُمْطِرُهُمُ الكَوَاعِبَ الأَتْرَابَ**»[٤].

وقوله: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ قال ابن عبَّاس: مملوءةً متتابعةً. وقال عكرمة: صافية. وقال مجاهد، والحسن، وقتادة، وابن زيد: ﴿دِهَاقًا﴾ الملأىٰ المترعة. وقال مجاهد، وسعيد بن جبير: هي المتتابعة.

وقوله: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾ كقوله: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: ٢٣] أي: ليس فيها كلام لاغٍ عَارٍ عن الفَائِدَةِ، ولا إثم كَذِبٍ، بل هي دار السَّلام، وكلُّ كلام فيها سالمٌ من النَّقص.

وقوله: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾؛ أي: هذا الَّذي ذكرناه جازاهم الله به وأعطاهموه، بفضله ومَنِّه وإحسانه ورحمته ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾؛ أي: كافيًا وافرًا شاملًا كثيرًا؛ تقول العرب: «أعطاني فأحسبني» أي: كفاني. ومنه «حسبي الله»؛ أي: الله كافيَّ.

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾

يخبر تعالىٰ عن عظمَتِهِ وجلالِهِ، وأنَّه ربُّ السَّموات والأرض وما فيهما وما بينهما، وأنَّه الرَّحمن الَّذي شملت رحمته كلَّ شيءٍ.

وقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾؛ أي: لا يقدر أحدٌ علىٰ ابتداء مخاطبته إلا بإذنه، كقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وكقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [هود: ١٠٥].

وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ اختلف المفسِّرون في المراد بالرُّوح هاهنا، ما هو؟ علىٰ أقوال:

---

(١) لوحة (١٨٦ أ).

(٢) هكذا في (ز)، وصوابه: (أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكي)، وهو مترجم في «الجرح والتعديل» (٢/ ٥٩) و«تهذيب الكمال» (١/ ٣٨٥).

(٣) سقط من (ز).

(٤) ضعيف: رواه أبو نعيم في «أخبار أصفهان»، والبيهقي في «البعث والنشور» (٥٧٩)، وفيه عطية بن سليمان أبو الغيث: مجهول، وفيه من لم أعرف تراجمهم.

أحدها: رواه العوفي، عن ابن عبَّاس: أنهم أرواح بني آدم(١).

الثاني: هم بنو آدَمَ. قاله الحسن، وقتادة، وقال قتادة: هذا مما كان ابن عبَّاس يكتمه(٢).

الثَّالث: أنَّهم خَلقٌ مِن خلقِ الله، علىٰ صُور بني آدَمَ، وليسوا بملائكةٍ ولا ببشرٍ، وهم يأكلون ويَشْرَبُون. قاله ابن عبَّاس(٣)(٤)، ومجاهد، وأبو صالح، والأعمش.

الرابع: هو جبريل. قاله الشعبي، وسعيد بن جبير، والضَّحَّاكُ. ويستشهد لهذا القول بقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]، وقال مقاتل بن حيان: الروح: أشرف الملائكة، وأقرب إلىٰ الرَّبِّ ﷻ وصاحب الوحي.

والخامس: أنَّه القرآن. قاله ابن زيد، كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الآية [الشورىٰ: ٥٢].

والسَّادس: أنَّه مَلَكٌ مِن الملائكة بقَدْرِ جميع المخلوقات؛ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ قال: هو مَلَكٌ عظيمٌ مِن أعظم الملائكة خلقًا(٥).

وقال ابن جرير: حدَّثني محمَّد بن خلف العسقلاني، حدَّثنا رَواد بن الجراح، عن أبي حمزة، عن الشعبي، عن علقمة، عن ابن مسعود قال: الرُّوح: في السَّماء الرَّابعة هو أعظم من السَّموات ومِن الجبال ومن الملائكة، يسبِّح كل يوم اثْنَي عشر ألف تسبيحةٍ، يخلق الله مِن كلِّ تسبيحةٍ مَلَكًا من الملائكة يجيءُ يوم القيامة صفًّا وحده(٦)، وهذا قولٌ غريبٌ جدًّا.

وقد قال الطبراني: حدَّثنا محمَّد بن عبد الله [بن](٧) عِرْس المصري، حدَّثنا وهب [الله بن رزق(٨) أبو هريرة، حدَّثنا بشر بن بكر،](٩) حدَّثنا الأوزاعي، حدَّثني عطاء، عن عبد الله بن عبَّاس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ للهِ مَلَكًا لَوْ قِيلَ لَهُ: الْتَقِمِ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرَضِينَ بِلَقْمَةٍ وَاحِدَةٍ لَفَعَلَ، تَسْبِيحُهُ: سُبْحَانَكَ حَيْثُ كُنْتَ**»(١٠).

---

(١) روىٰ هذه الآثار الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٢٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم (١٩١٠٦)، ولم يذكر سنده.

(٣) لوحة (١٨٦ ب).

(٤) لم أقف علىٰ إسناده.

(٥) انظر الطبري (٣٠/ ٢٢).

(٦) ضعيف جدًّا: رواه الطبري (٣٠/ ٢٢)، وفيه رواد بن الجراح: اختلط بآخره فترك.

(٧) سقط من (ز).

(٨) في (ز): (ابن روق)، وهو خطأ.

(٩) بياض في (ز)، والمثبت موافق لما في «الطبراني».

(١٠) منكر: رواه الطبراني في «الكبير» (١١/ ١٦٥/ ١١٤٧٦)، وفي «الأوسط» (٦٤٤٢) وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٨٠): رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير»، وقال: تفرد به وهب بن رزق قلت: -الهيثمي- لم أر من ذكر له ترجمته.
هكذا ذكره الهيثمي، والذي في «الكبير» و«الأوسط»: (وهب الله بن رزق أبو هريرة).
ورواه أبو نعيم (٣/ ٣١٨). وقال الذهبي في «العلو»: منكر. انظر: «الضعيفة» للألباني (٣١٩٩).

وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا، وفي رفعه نظر، وقد يكون موقوفًا علىٰ ابن عبَّاس، ويكون مما تلقاه من الإسرائيليات، والله أعلم.

وتَوقَّفَ ابنُ جرير فلم يقطَع بواحدٍ من هذه الأقوال كلها، والأشبه -والله أعلم- أنَّهم بنو آدم.

وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ كقوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [هود: ١٠٥]. وكما ثبت في «الصحيح»: «وَلا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ»[١].

وقوله ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾؛ أي: حقًّا، ومن الحق: «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، كما قاله أبو صالح، وعكرمة.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: الكائن لا محالة، ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾؛ أي: مرجعًا وطريقًا يَهْتَدِي إليه ومنهجًا يمرُّ به عليه.

وقوله: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يعني: يوم القيامة لتأكُّد وقوعه صار قريبًا؛ لأنَّ كلَّ ما هو آتٍ آتٍ.

﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾؛ أي: يعرض عليه جميع أعماله، خيرها وشرها، قديمها وحديثها، كقوله: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وكقوله[٢]: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣].

﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾؛ أي: يود الكافر يومئذٍ أنَّه كان في الدَّار الدُّنيا ترابًا، ولم يكن خُلِقَ، ولا خرج إلىٰ الوجود. وذلك حين عاين[٣] عذابَ الله، ونظر إلىٰ أعمالِهِ الفاسدةِ قد سُطِّرت عليه بأيدي الملائكة السَّفرةِ الكِرَامِ البَرَرةِ، وقيل: إنَّما يودُّ ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدُّنيا، فيفصل بينها بحكمه العدل الَّذِي لا يجور، حتىٰ إنَّه ليقتص للشَّاة الجمَّاء[٤] من القرناء. فإذا فرغ مِن الحكم بينها قال لها: كوني ترابًا، فتصير ترابًا. فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾؛ أي: كنت حيوانًا فأرجع إلىٰ التُّراب. وقد ورد معنىٰ هذا في حديث الصُّور المشهور[٥]، وورد فيه آثار عن أبي هُرَيرةَ، وعبد الله بن عمرو، وغيرهما[٦].

آخر تفسير سورة «عَمَّ».

---

(١) رواه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

(٢) لوحة (١٨٧ أ).

(٣) في (ز): (وذلك جرعًا من).

(٤) الشاة الجماء والجلحاء: التي لا قرن لها.

(٥) ضعيف: تقدم تخريجه. انظر تفسير الآية (٢٠٨) من سورة البقرة.

(٦) انظر: ابن أبي حاتم (١٩١٠٩)، والطبري (٣٠/ ٢٦).

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

تفسير سورة «النَّازعات»، وهي مكيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا[1] ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾

قال ابن مسعود، وابن عبَّاس، ومسروق، وسعيد بن جبير، وأبو صالح، وأبو الضحىٰ، والسُّدِّي: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ الملائكة[2]؛ يعنون: حين تنزع أرواح بني آدم، فمِنْهُم من تأخذ روحه بعُنفٍ فتُغرق في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسُهُولَةٍ وكأنَّما حَلَّته من نشاط[3]، وهو قوله: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ قاله ابن عبَّاس.

وعن ابن عبَّاس: ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ هي أنفس الكفار، تُنزَعُ ثم تُنشَطُ، ثم تغرق في النَّار[4]. رواه ابن أبي حاتم.

وقال مجاهد: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾: الموت. وقال الحسن، وقتادة: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا[5] ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ

---

(١) قال الشيخ القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال أبو السعود: العطف مع اتحاد الكل، بتنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي كما في قوله:

إلىٰ الملِكِ القَرْمِ وابنِ الهُمَامِ ... ولَيْثِ الكتيبةِ في المُزْدَحَمْ

للإشعار بأن كل واحد من الأوصاف المعدودة من معظمات الأمور حقيقٌ بأن يكون علىٰ حياله مناطًا لاستحقاق موصوفه للإجلال والإعظام، بالإقسام به من غير انضمام الأوصاف الأخر إليه. والفاء في الأخيرين للدلالة علىٰ ترتبهما علىٰ ما قبلهما بغير مهلة.

(٢) أثر ابن مسعود وابن عبَّاس: رواهما الطبري (٣٠/ ٢٧).

(٣) نشَطت الحبل أَنْشُطه نشطًا: ربطتُه، وإذا حللتَه فقد أنشطتَه، ونشَطه بالنُّشاط أي: عقده. «اللسان»: نشط.

(٤) رواه ابن أبي حاتم (١٩١١٠).

(٥) في (ز): (والنازعات نزعًا)، وهو خطأ.

﴿نَشۡطٗا﴾ هي النُّجوم.

وقال عَطَاءُ بنُ أبي رَباحٍ في قوله: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ و﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ﴾: هي القسيُّ في القتال.

والصحيح الأول، وعليه الأكثرون.

وأما قوله: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾ فقال ابن مسعود: هي الملائكة[١]. ورُوي عن علي[٢]، ومجاهد[٣]، وسعيد بن جُبَيرٍ، وأبي صالح مثلُ ذلك.

وعن مجاهد: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾: الموت. وقال قتادة: هي النُّجوم. وقال عطاء بن أبي رباح: هي السُّفن.

وقوله: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾ رُوي عن علي، ومسروق، ومجاهد، وأبي صالح، والحسن البصري: يعني الملائكة. قال الحسن: سبقت إلىٰ الإيمان والتَّصديق به. وعن مجاهد: الموت. وقال قتادة: هي النُّجوم.

وقال عطاء: هي الخيل في سبيل الله.

وقوله: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾ قال عليٌ، ومجاهد، وعطاء، وأبو صالح، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، والسُّدِّي: هي الملائكة. زاد الحسن: تدبر الأمر من السَّماء إلىٰ الأرض. يعني: بأمر ربها ﷻ. ولم يختلفوا في هذا، ولم يقطع ابن جرير بالمراد في شيءٍ من ذلك، إلا أنَّه حكىٰ في ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾: أنَّها الملائكة، ولا أثبت ولا نفىٰ.

وقوله: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ قال ابن عبَّاس: هما النَّفختان الأولىٰ والثَّانية[٤]. وهكذا قال مجاهد، والحسن، وقتادة، والضَّحَّاكُ، وغير واحدٍ.

وعن مجاهد: أمَّا الأولىٰ وهي قوله: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ [فكقوله جلَّت عظمتُه: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ﴾][٥] [المزمل: ١٤]، والثَّانية -وهي الرَّادفة- فهي كقوله: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [الحاقة: ١٤].

وقد قال الإمام أحمد: حدَّثنا وَكِيعٌ، حدَّثنا سفيان، عن عبد الله بن محمَّد بن عقيل، عن الطُّفيل ابن أبي بن كعب، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ**». فقال رجلٌ: يا رسول الله، أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك؟ قال: «**إِذًا يَكْفِيكَ اللهُ مَا أَهَمَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ**»[٦].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١٩١١٥). (٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٠٣) إلىٰ سعيد بن منصور وابن المنذر.

(٣) لوحة (١٨٧ ب).

(٤) رواه الطبري (٣٠/ ٣٤) من طرق عنه، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» إلىٰ ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) وقع في (ز) مكان هذه العبارة: «﴿تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ قال ابن عباس: هما النفختان الأولىٰ» وهو القول السابق، ولعله انتقال بصر.

(٦) حسن: رواه أحمد (٥/ ١٣٦)، والترمذي (٢٤٥٩).

وقد رواه الترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، من حديث سفيان الثوري، بإسناده مثله، ولفظ الترمذي وابن أبي حاتم: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلث الليل قام فقال: «**يا أَيُّها النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ جاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ جاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ**»(١).

وقوله: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ قال ابن عبَّاس: يعني خائفة. وكذا قال مجاهد، وقتادة.

﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾؛ أي: أبصار أصحابها. وإنَّما أضيف إليها؛ للملابسة؛ أي: ذليلة حقيرة؛ مما عاينت مِن الأهوال.

وقوله: ﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ يعني: مشركي قريش(٢) ومَن قال بقولهم في إنكار المعاد، يَسْتَبْعِدُون وقوعَ البَعْثِ بعد المصير إلىٰ الحافرة، وهي القبور، قاله مجاهد. وبعد تمزُّق أجسادهم وتَفتُّتِ عظامهم ونخورها؛ ولهذا قالوا: ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾ وقرئ: «نَاخِرَةً»(٣).

قال ابن عبَّاس، ومجاهد، وقتادة: أي بالية.

قال ابن عبَّاس: وهو العظم إذا بَلِيَ ودَخَلت الرِّيح فيه. ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾.

وعن ابن عبَّاس، ومحمَّد بن كعب، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وأبي مالك، والسُّدِّي، وقتادة: الحافرة: الحياة بعد الموت.

وقال ابن زيد: الحافرة: النَّار. وما أكثر أسماءها! هي: النَّار، والجحيم، وسقر، وجهنَّم، والهاوية، والحافرة، ولظىٰ، والحُطَمة.

وأما قولهم: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ فقال محمَّد بن كعب: قالت قريش: لئن أحيانا الله بعد أن نمُوت لنخسرنَّ(٤)(٥).

قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾؛ أي: فإنَّما هو أمرٌ مِن الله لا مَثْنَوِيَّة فيه ولا تأكيد، فإذا النَّاس قيامٌ ينظرون، وهو أن يأمر تعالىٰ إسرافيلَ فينفخ في الصُّور نفخَة البعث، فإذا الأوَّلون والآخرون قيامٌ بين يَدَي الربِّ ﷻ ينظرون، كما قال: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

قال مجاهد: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾: صيحةٌ واحدةٌ.

---

(١) الترمذي (١٤٥٩)، والطبري (٣٠/ ٣٢). انظر التعليق السابق. (٢) لوحة (١٨٨ أ).
(٣) متواترة: قَرَأَ (نَاخِرَةً) شُعْبَةُ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ (فِي اخْتِيَارِهِ) وَرُوَيْسٌ وَوَافَقَهُمُ الأَعْمَشُ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (نَخِرَةً).
(٤) في (ز): (لنحشرن).
(٥) مرسل: عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٠٧) لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

وقال إبراهيم التيمي: أشد ما يكون الرَّبُّ غَضَبًا علىٰ خلقِهِ يوم يبعثُهُم.

وقال الحسن البصري: زجرةٌ مِن الغضب. وقال أبو مالك، والربيع بن أنس: زجرة واحدة: هي النَّفخة الآخرة.

وقوله: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ قال ابن عبَّاس: ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾: الأرض كلُّها. وكذا قال سعيد بن جُبَيرٍ، وقتادة، وأبو صالح.

وقال عكرمة، والحسن، والضَّحَّاكُ، وابن[1] زيد: ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾ وجه الأرض.

وقال مجاهد: كانوا بأسفلها فأخرجوا إلىٰ أعلاها. قال: و﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾: المكان المستوي.

وقال الثوري: ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾: أرض الشَّام.

وقال عثمان بن أبي العاتكة[2]: ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾: أرض بيت المقدس.

وقال وهب بن مُنبهٍ: ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾: جبل إلىٰ جانب بيت المَقْدِسِ.

وقال قتادة أيضًا: ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾: جهنَّم.

وهذه أقوال كلها غريبة، والصحيح[3] أنها الأرض وجهها الأعلىٰ.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا علي بن الحسين، حدَّثنا خَزَر بن المبارك الشيخ الصالح، حدَّثنا بشر بن السري، حدَّثنا مصعب بن ثابت، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعدي: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ قال: أرضٌ بيضاء عفراء [خالية][4] كالخُبزَة النَّقِيِّ[5].

وقال الربيع بن أنس: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ ويقول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، ويقول: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧]. وقال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]: وبُرِّزَت الأرض التي عليها الجبال، وهي لا تُعَدُّ مِن هذه الأرض، وهي أرض لم يُعمَلْ عليها خطيئة، ولم يهرَق عليها دَمٌ.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ[6] ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾

---

(١) في (ز): (وأبو زيد)، وهو خطأ.
(٢) في (ز): (أبي العالية)، وهو خطأ.
(٣) لوحة (١٨٨ ب).
(٤) سقط من (ز).
(٥) رواه ابن أبي حاتم (١٩١١٩)، وفي إسناده مصعب بن ثابت: لين الحديث، وخزر بن المبارك أورده ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣/ ٤٠٦)، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا. لكن يشهد للحديث ما تقدم في آخر سورة إبراهيم الآية (٤٨).
(٦) قال الشيخ القاسمي رحمه الله: قال الزمخشري: ذكر الخشية؛ لأنها ملاك الأمر؛ مَن خشي الله أتىٰ منه كل خير، ومن أمِن =

﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ۝٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٢٦﴾

يخبر تعالىٰ رسوله محمَّدًا ﷺ عن عبده ورسوله موسىٰ عليه السلام أنَّه ابتعثه إلىٰ فرعون، وأيَّده بالمعجزات، ومع هذا استمرَّ علىٰ كفره وطغيانه، حتىٰ أخذه الله أخذ عزيزٍ مقتدرٍ. وكذلك عاقبة مَن خالفك وكذَّب بما جئت به؛ ولهذا قال في آخر القصة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾.

فقوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾؛ أي: هل سمعت بخبره؟ ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ﴾؛ أي: كلمه نداء، ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾؛ أي: المطهَّر، ﴿طُوًى﴾ وهو اسم الوادي علىٰ الصَّحيح، كما تقدَّم في سورة «طه». فقال له: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾؛ أي: تجبَّر وتمرَّد وعتا، ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾؛ أي: قل له هل لك أن تُجيبَ إلىٰ طريقةٍ ومسلكٍ تزكَّىٰ به؟ أي: تسلم وتُطيع. ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾؛ أي: أدلُّك إلىٰ عبادةِ ربك، ﴿فَتَخْشَىٰ﴾؛ أي: فيصير قلبك خاضعًا له مطيعًا خاشيًا، بعدما كان قاسيًا خبيثًا بعيدًا من الخير. ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ يعني: فأظهر له موسىٰ مع هذه الدَّعوة الحقِّ حجةً قويةً، ودليلًا واضحًا علىٰ صدق ما جاءه به من عند الله، ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾؛ أي: فكذب بالحق وخالف ما أمره به من الطَّاعة. وحاصلُه أنَّه كفَرَ قلبُه فلم ينفعل لموسىٰ بباطِنِه ولا بظَاهِرِه[1]، وعلمُهُ بأن ما جاء به أنَّه حقٌّ لا يلزم منه أنَّه مؤمنٌ به؛ لأنَّ المعرفة علمُ القلب، والإيمان عمله، وهو الانقياد للحقِّ والخضوع له.

وقوله: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾؛ أي: في مقابلة الحق بالباطل، وهو جَمعُهُ السَّحرة ليقابلوا ما جاء به موسىٰ عليه السلام من المعجزة الباهرة، ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾؛ أي: في قومه، ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾، قال ابن عبَّاس ومجاهد: وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] بأربعين سنة.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾؛ أي: انتقم الله منه انتقامًا جعله به عبرةً ونكالًا لأمثاله من المتمرِّدين في الدنيا، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٩]، كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١]. هذا هو الصحيح في معنىٰ الآية، أنَّ المراد بقوله: ﴿نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾؛ أي: الدنيا والآخرة، وقيل: المراد بذلك كلمتاه الأولىٰ والثانية. وقيل: كفره وعصيانه.

والصَّحيح الذي لا شك فيه الأول.

= اجترأ علىٰ كلِّ شر. وبدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض، كما يقول الرجل لضيفه: هل لك أن تنزل بنا؟ وأردفه الكلام الرفيق؛ ليستدعيه بالتلطف في القول، ويستنزله بالمداراة من عتوِّه. كما أمر بذلك في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤]، انتهىٰ.

(١) لوحة (١٨٩ أ).

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾؛ أي: لمن يتَّعِظ وينزجر.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٣)﴾

يقول تعالىٰ محتجًّا علىٰ منكري البعث في إعادة الخلق بعد بدئه: ﴿ءَأَنتُمْ﴾ أيها الناس ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ يعني: بل السماءُ أشدُّ خلقًا منكم، كما قال تعالىٰ: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، وقال: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]، فقوله: ﴿بَنَاهَا﴾ فسَّره بقوله: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾؛ أي: جعلها عاليةَ البِناءِ، بعيدةَ الفناءِ، مستويةَ الأرجاءِ، مكلَّلةً بالكواكب في اللَّيلة الظَّلماء.

وقوله: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾؛ أي: جعل ليلها مظلمًا أسودَ حالكًا، ونهارها مضيئًا مشرقًا نيِّرًا واضحًا. قال ابن عبَّاس: أغطش ليلها: أَظْلَمَه. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وجماعة كثيرون.

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾؛ أي: أنار نهارها.

وقوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ فسَّره بقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ وقد تقدَّم في سورة «﴿حمٓ﴾ السَّجدة» أنَّ الأرض خلقت قبل السَّماء، ولكن إنَّما دُحِيَتْ بعد خلق السَّماء، بمعنىٰ أنَّه أخرج ما كان فيها بالقوَّة إلىٰ الفعل. وهذا معنىٰ[(١)] قول ابن عبَّاس، وغير واحد، واختاره ابن جرير.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا عبد الله بن جعفر الرقي، حدَّثنا عبيد الله -يعني ابن عمرو[(٢)]- عن زيد بن أبي أنيسة، عن المِنْهالِ بن عَمْرٍو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس: ﴿دَحَاهَا﴾ وَدَحْيها أَن أخرج منها الماء والمرعىٰ، وشقق فيها الأنهار، وجعل فيها الجِبالَ والرِّمال والسُّبل والآكام، فذلك قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾[(٣)] وقد تقدَّم تقرير ذلك هنالك.

وقوله: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾؛ أي: قررها وأثبتها وأكَّدها في أماكنها، وهو الحكيم العليم، الرَّءوف بخلقه الرحيم.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا يزيد بن هارون، أخبرنا العوام بن حَوشب، عن سليمان بن أبي سليمان، عن أنس بن مالك، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ، فَخَلَقَ الجِبالَ فَأَلْقَاها عَلَيْها،**

---

(١) لوحة (١٨٩ ب). (٢) في (ز): (ابن عمر)، وهو خطأ.

(٣) **إسناده صحيح**: وقد عزاه المصنف لابن أبي حاتم.

فَاسْتَقَرَّتْ فتعَجَّبَتِ المَلَائِكَةُ مِنْ خَلْقِ الجِبَالِ فَقَالَتْ: يَا رَبِّ، فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الجِبَالِ؟ قَالَ: نَعَمْ، الحَدِيدُ. قَالَتْ: يَا رَبِّ، فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الحَدِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ، النَّارُ. قَالَتْ: يَا رَبِّ، فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: نَعَمْ، المَاءُ. قَالَتْ: يَا رَبِّ، فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ المَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ، الرِّيحُ. قَالَتْ: يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الرِّيحِ؟ قَالَ: نَعَمْ، ابْنُ آدَمَ، يَتَصَدَّقُ بِيَمِينِهِ يُخْفِيهَا مِنْ شِمَالِهِ»(١).

وقال أبو جعفر بن جرير: حدَّثنا ابنُ حميد، حدَّثنا جرير، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمن السُّلميِّ، عن علي قال: لما خلق الله الأرض [قمصت](٢)(٣) وقالت: تخلق عَلَيَّ آدَمَ وذريَّته، يلقون عليَّ نتنهم ويعملون عَلَيَّ بالخطايا، فأرساها الله بالجبال، فمنها ما تَرَوْن، ومنها ما لا ترون، وكان أوَّل قَرار الأرض كلحم الجزور إذا نحِر، يختلج لحمه. غريب(٤).

وقوله: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾؛ أي: دحا الأرض فأنبع عيونها، وأظهر مَكْنُونها، وأجرىٰ أنهارها، وأنبت زروعها وأشجارها وثمارها، وثبت جبالها؛ لتَسْتَقِرَّ بأهلها ويَقِرَّ قرارها، كل ذلك متاعًا لخلقه ولما يحتاجون إليه مِن الأنعام التي يأكلونها ويركبونها مدَّة احتياجهم إليها في هذه الدَّار إلىٰ أن ينتهي الأَمَدُ، وينقضي الأجل.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا(٥) ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾

يقول تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ وهو يوم القيامة. قاله ابن عبَّاس، سُمِّيَتْ بذلك؛ لأنَّها تَطُم علىٰ كلِّ أمرٍ هائلٍ مفظعٍ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦].

---

(١) ضعيف: رواه أحمد (٢/ ١٢٤)، والترمذي (٢٣٦٩)، وقال الترمذي: هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه، قلت: وعلته سليمان بن أبي سليمان: مجهول لم يوثقه غير ابن حبان.

(٢) أي: اضطربت.

(٣) سقط من (ز)، والمثبت موافق لما في «الطبري».

(٤) ضعيف: رواه الطبري (٣٠/ ٤٧) موقوفًا. ورجاله ثقات عدا شيخ المصنف ابن حميد: حافظ ضعيف، لكنه توبع؛ فقد رواه الطبري أيضًا (١٤/ ٩٠) من طريق أخرىٰ عن عطاء عن عبد الله بن حبيب عن علي، وإسناده حسن. تقدم بيانه عند الآية (١٤، ١٨) من سورة النحل، وحسن الحافظ إسناده في «الفتح» (٨/ ٣٨٥).

(٥) لوحة (١٨٩ أ مكرر).

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾ ؛ أي: حينئذٍ يتذكَّرُ ابنُ آدم جميعَ [عمله][1] خيرِه وشرِّه، كما قال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣].

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ ؛ أي: أظهرت للنَّاظرين فرآها النَّاس عيانًا، ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ ؛ أي: تمرَّد وعتا، ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ ؛ أي: قدَّمها على أمرِ دينِه وأخراه، ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ ؛ أي: فإن مصيرَه إلىٰ الجحيم وإنَّ مطعمه من الزَّقُّوم، ومشربه من الحَمِيم.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ ؛ أي: خاف القِيامَ بين يدي الله ﷻ وخاف حُكْمَ الله فيه، ونهىٰ نفسَهُ عَن هواها، وردَّها إلىٰ طاعة مولاها ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ ؛ أي: منقلبه ومصيرُهُ ومرجعه إلىٰ الجنَّة الفيحاء.

ثم قال تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ ؛ أي: ليس علمُهَا إليك ولا إلىٰ أحدٍ من الخلق، بل مَردُّها ومَرجعها إلىٰ الله ﷻ؛ فهو الَّذِي يعلم وقتَهَا علىٰ التَّعْيين، ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال هاهنا: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ ولهذا لما سأل جبريلُ رسولَ الله ﷺ عن وقت الساعة قال: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**».

وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ ؛ أي: إنَّما بعثتُك لتُنْذِر النَّاس وتحذِّرَهُم مِن بأس الله وعذابِه، فمَن خشيَ الله وخاف مقامَهُ ووعيده، اتَّبعك فأفلح وأنجح، والخيبة والخسار علىٰ من كذَّبك وخالفك.

وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ ؛ أي: إذا قاموا مِن قبورهم إلىٰ المحشر يستقصرون مُدَّة الحياة الدُّنيا، حتَّىٰ كأنَّها عندهم كانت عشيَّة مِن يومٍ أو ضُحَىٰ مِن يوم.

قال جُويْبر، عن الضَّحَّاكِ، عن ابن عبَّاس: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ أما عَشِيَّة: فما بين الظُّهر إلىٰ غروب الشَّمس، ﴿أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ ما بين طُلُوع الشَّمس إلىٰ نصف النَّهار.

وقال قتادة: وقتُ الدُّنيا في أعينِ القوم حين عاينوا الآخرة.

آخر[2] تفسير سورة «النازعات».

---

(١) سقط من (ز).

(٢) لوحة (١٨٩ ب مكرر).

سُورَةُ عَبَسَ

تفسير سورة «عَبَسَ»، وهي مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ[1] ١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ[2] ٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ[3] ١٠

---

(١) حكىٰ الشيخ العلامة المحدث القاضي أحمد محمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «كلمة الحق» (١٤٩-١٥٣) حكاية بديعة عن والده رَحِمَهُ اللَّهُ وصَدْعه بالحق، ما ملخصه أن أحد الخطباء مدح السلطان حسين في أثناء خطبة الجمعة لعنايته وإكرامه لـ(طه حسين) مُعَرِّضًا بالمقام النبوي الشريف بقوله: «جاءه الأعمىٰ فما عبس في وجهه وما تولَّىٰ!)، فلما انتهت الصلاة قام الشيخ محمد شاكر، وأخبر الناس: أن صلاتهم باطلة، وأمرهم أن يعيدوا الصلاة ظهرًا؛ فأعادوها وأخبر السلطان حسين بالحكم الشرعي في هذا، وانتشر الأمر حتىٰ وصل للقضاء، ووقف رجال كرام من رجال القضاء في هذا الحدث الجلل بمواقف مشرفة ومضيئة بعيدة عن تدنيس مقام القضاء بالتبعية لأعداء الأمة، فرحم الله زمانًا يصدع فيه أهل الحق بما عليهم، وتُصان فيه كلمة الحق وقائلها، وراجع القصة بكاملها في المصدر المشار إليه، فإن فيها فوائد جمَّة، ومنها صدع الكثير من رجال القضاء بكلمة الحق ووقوفهم بجوار الشيخ محمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) قال الشيخ القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الرازي: أجمع المفسرون علىٰ أن الذي عبس وتولىٰ هو الرسول -صلوات الله عليه- وأجمعوا أن الأعمىٰ هو ابن أم مكتوم. قال الشهاب: وهو مكيّ قرشيّ من المهاجرين الأولين، وكان النبي ﷺ يستخلفه علىٰ المدينة في أكثر غزواته. وكان ابنَ خال خديجة أمِّ المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي الآيات -أيضًا- دليل علىٰ جواز لقب الإنسان بوصفه مثل الأعمىٰ والأعرج والأعمش، وقد كان العلماء يفعلون هذا، الأعرج عن أبي هريرة، الأعمش عن ابن مسعود... وهكذا، قال أهل العلم: واللقب بالعيب إذا كان المقصود به تعيين الشخص فلا بأس به، وأما إذا كان المقصود به تعيير الشخص فإنه حرام.

(٣) قال الشيخ القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: في هذه الآيات ونحوها دليل علىٰ عدم ضنِّه ﷺ بالغيب. قال ابن زيد: كان يقال: لو أن رسول الله ﷺ كتم من الوحي شيئًا، كتم هذا عن نفسه... قال الرازي: القائلون بصدور الذنب عن الأنبياء -عليهم السلام- تمسكوا بهذه الآية، وقالوا: لمّا عاتبه الله في ذلك الفعل دل علىٰ أن ذلك الفعل كان معصيةً. وهذا بعيدٌ فإنّا قد بيّنّا أن ذلك كان هو الواجب المتعين، إلا بحسب هذا الاعتبار الواحد، وهو أنه يوهم تقديم الأغنياء علىٰ الفقراء. وذلك غير لائق بصلابة الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإذا كان كذلك، كان ذلك جاريًا مجرىٰ ترك الاحتياط وترك الأفضل؛ فلم يكن ذلك ذنبًا البتة.

وأجاب الإمام ابن حزم في «الفِصَل» بقوله: وأما قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١﴾ الآيات، فإنه كان عَلَيْهِ السَّلَامُ قد جلس إليه عظيم من عظماء قريش، ورجا إسلامه. وعلم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه لو أسلم لأسلم بإسلامه ناسٌ كثيرٌ وأظهرَ الدين، وعلم أن هذا الأعمىٰ الذي يسأله عن أشياء من أمور الدين لا يفوته، وهو حاضر معه؛ فاشتغل عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ بما خاف فوته من عظيم الخير عما لا يخاف فوته، وهذا غاية النظر في الدِّين والاجتهاد في نُصرة القرآن في ظاهر الأمر ونهاية التقرب إلىٰ الله، =

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ۝١٢ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾

ذكر غيرُ واحدٍ من المفسِّرين أنَّ رسول الله ﷺ كان يومًا يخاطبُ بعض عظماء قريش، وقد طَمِع في إسلامه، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابنُ أم مكتوم -وكان ممن أسلم قديمًا- فجعل يسأل رسول الله ﷺ عن شيءٍ ويُلِحُّ عليه، وودَّ النَّبيُّ ﷺ أن لو كفَّ ساعته تلك؛ ليتَمكَّن من مخاطبة ذلك الرَّجل؛ طمعًا ورغبةً في هدايته. وعَبَس في وجه ابن أمِّ مكتوم وأعرض عنه، وأقبل علىٰ الآخر، فأنزل الله ﷻ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ ؛ أي: يحصل له زكاة وطهارة في نفسه. ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ ؛ أي: يحصل له اتِّعاظ وانزِجارٌ عن المحارم، ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ ؛ أي: أما الغَنِيُّ فأنت تتعرَّض له لعله يهتدي، ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ ؛ أي: ما أنت بمطَالَبٍ به إذا لم يحصل له زكاة. ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ ؛ أي: يقصدك ويَؤُمُّك ليَهْتَدِيَ بما تقول له، ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ ؛ أي: تتشاغل.

ومِن هاهنا أمر الله ﷻ رسوله ﷺ ألا يخص بالإنذار أحدًا، بل يساوي فيه بين الشَّريف والضَّعيف، والفقير والغَنِي، والسَّادة والعبيد، والرِّجال والنِّساء، والصِّغار والكبار. ثم الله يهدي مَن يشاء إلىٰ صراطٍ مستقيمٍ، وله الحكمة [البَالغةُ والحجَّة الدَّامغة][1].

قال الحافظ أبو يعلىٰ في «مسنده»: حدَّثنا محمَّد -هو ابن مهدي- حدَّثنا عبد الرزاق، أخبرنا مَعْمَرٌ، عن قتادة، عن أنس[2] في قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ جاء ابن أم مكتوم إلىٰ النَّبيِّ ﷺ وهو يكلِّم أُبي بن خلف، فأعرض عنه، فأنزل الله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ فكان النَّبيُّ ﷺ بعد ذلك يكرمه[3].

قال قتادة: وأخبرني أنس بن مالك قال: رأيته يوم القادسية وعليه[4] دِرْعٌ ومعه رايةٌ سوداء؛ يعني: ابن أم مكتوم.

= الذي لو فعله اليوم منا فاعل لأجر؛ فعاتبه الله ﷻ علىٰ ذلك؛ إذ كان الأولىٰ عند الله تعالىٰ أن يُقبل علىٰ ذلك الأعمىٰ الفاضل البَر التقي، وهذا نفس ما قلناه. انتهىٰ.

وقال القاشاني: كان ﷺ في حِجر تربية ربِّه، لكونه حبيبًا، فكما ظهرت نفسه بصفة حجبت عنه نور الحق، عوتب وأدب كما قال: «أدَّبني ربِّي فأحسَن تأديبي» إلىٰ أن تخلق بأخلاقه تعالىٰ. انتهىٰ.

قال العلامة السعدي رحمه الله: فدل هذا علىٰ القاعدة المشهورة، أنه: «لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة»، وأنه ينبغي الإقبال علىٰ طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره.

(١) في (ز): (وله الحكمة والحجة).

(٢) لم يُذكر أنس رضي الله عنه في السند عند «عبد الرزاق» و«أبي يعلىٰ» و«الطبري»، وقال محقق «مسند أبي يعلىٰ» (٣١٢٣) وذلك بعد ما أضاف أنس بن مالك رضي الله عنه في السند: (سقطت من الأصلين، واستدركت من ابن كثير)!! وهذا تصرف مردود منه، والله أعلم.

(٣) صحيح: رواه أبو يعلىٰ (٣١٢٣)، وقد صرح قتادة بالتحديث، ورواه الطبري (٣٠/ ٣٣) فذكر الشق الأول منه.

(٤) لوحة (١٩٠ أ).

وقال أبو يعلىٰ وابن جرير: حدَّثنا سعيد بن يحيىٰ الأموي، حدَّثني أبي، عن هشام بن عروة [مما عرضه][(١)] عليه، عن عُرْوَةَ، عن عائشة قالت: أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ في ابن أم مكتوم الأعمىٰ، أتىٰ إلىٰ رسول الله ﷺ فجعل يقول: أرشدني. قالت: وعند رسول الله ﷺ مِن عظماءِ المشركين. قالت: فجعل النَّبيُّ ﷺ يُعرض عنه ويقبل علىٰ الآخر، ويقول: «أَتَرَىٰ بِمَا أَقُولُ بَأْسًا؟». فيقول: لا. ففي هذا أنزلت: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾[(٢)].

وقد رویٰ الترمذي هذا الحديث، عن سعيد بن يحيىٰ الأموي، بإسناده مثله، ثم قال: وقد رواه بعضهم عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: أنزلَت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ في ابْنِ أمِّ مكتومٍ، ولم يذكر فيه عن عائشة.

قلت: كذلك هو في «الموطإ».

ثم روىٰ ابن جرير وابن أبي حاتم أيضًا من طريق العوفي، عن ابن عبَّاس قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ قال: بينا رسولُ الله ﷺ يناجي عتبةَ بن ربيعة، وأبا جهل بنَ هشام، والعبَّاس بن عبد المطلب -وكان يتصدَّىٰ لهم كثيرًا، ويحرص عليهم أن يؤمنوا -فأقبل إليه رجل أعمىٰ- يقال له: عبد الله بن أم مكتوم- يمشي وهو يناجيهم، فجعل عبد الله يستقرئ النَّبيَّ ﷺ آية من القرآن، وقال: يا رسول الله، عَلِّمْنِیٰ مما علَّمك الله. فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وعبس في وَجْهِهِ، وتولَّىٰ وكَرِهَ كَلامَه، وأقبل علىٰ الآخرين، فلما قضىٰ رسولُ الله ﷺ نجواه، وأخذ ينقلب إلىٰ أهله، أمسك الله بعض بصره، ثم خفَقَ برأسه[(٣)]، ثم أنزل الله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ فلمَّا نزل فيه ما نزل، أكرمه رسول الله ﷺ وكلَّمه، وقال له النَّبيُّ ﷺ: «مَا حَاجَتُكَ؟ هَلْ تُرِيدُ مِنْ شَيْءٍ؟» وإذا ذهب من عنده قال: «هَلْ لَكَ حَاجَةٌ فِي شَيْءٍ؟». وذلك لما أنزل الله تعالىٰ: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾. فيه غرابةٌ ونكارةٌ، وقد تُكُلِّمَ في إسناده[(٤)].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أحمد بن منصور الرَّمادي[(٥)]، حدَّثنا عبد الله بن صالح، حدَّثنا اللَّيث، حدَّثنا يونس، عن ابن شهاب قال: قال سالم بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول[(٦)]: «إِنَّ بِلالًا يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ تَسْمَعُوا أَذَانَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ». وهو

(١) بياض في (ز)، وهو مثبت من «الطبري».

(٢) صحيح: رواه أبو يعلىٰ (٤٨٤٨)، والطبري (٣٠/ ٥٠)، والترمذي (٣٣٢٨).

(٣) أي: سقطت ذقنه علىٰ صدره.

(٤) ضعيف بهذا السياق: رواه ابن أبي حاتم (١٩١٢٥)، والطبري (٣٠/ ٣٢)، وفيه عطية العوفي: شيعي مدلس كثير الخطإ.

(٥) في (ز): (الزيادي)، وهو خطأ.

(٦) لوحة (١٩٠ ب).

الأعمىٰ الذي أنزل الله فيه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ وكان يؤذن مع بلال. قال سالم: وكان رَجُلًا ضريرَ البصر، فلم يكُ يؤذن حتىٰ يقول له النَّاس -حين ينظرون إلىٰ بزوغ الفجر-: أَذِّن[1].

وهكذا ذكر عروة بن الزبير، ومجاهد، وأبو مالك، وقتادة، والضَّحَّاك، وابن زيد، وغير واحدٍ من السلف والخلف: أنَّها نزلت في ابن أمِّ مكتوم. والمشهور أنَّ اسمه عبد الله، ويقال: عمرو. والله أعلم.

وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ﴾؛ أي: هذه السورة، أو الوصية بالمساواة بين النَّاس في إبلاغ العلم من شريفهم ووضيعهم.

وقال قتادة والسُّدِّي: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ﴾ يعني: القرآن، ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾؛ أي: فمَن شاء ذكر الله في جميعِ أمورِهِ. ويحتمل عود الضَّمير علىٰ الوحي؛ لدَلَالَةِ الكلام عليه.

وقوله: ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ﴾؛ أي: هذه السُّورة أو العظة، وكلاهما متلازم، بل جميع القرآن ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ﴾؛ أي: مُعظَّمةٍ موقَّرةٍ ﴿مَّرۡفُوعَةٖ﴾؛ أي: عالية القدر، ﴿مُّطَهَّرَةِۭ﴾؛ أي: من الدَّنس والزِّيادة والنَّقص.

وقوله: ﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ﴾ قال ابن عبَّاس، ومجاهد، والضَّحَّاكُ، وابن زيد: هي الملائكة. وقال وهب بن منبه: هم أصحاب محمَّد ﷺ. وقال قتادة: هم القرَّاء. وقال ابن جريج، عن ابن عبَّاس: السفرة بالنبطيَّة: القرَّاء.

وقال ابن جرير: الصحيح أنَّ السَّفرة الملائكة، والسَّفرة يعني بين الله وبين خلقه، ومنه يقال: السَّفير: الذي يسعىٰ بين النَّاس في الصُّلح والخير، كما قال الشاعر:

وَمَا أَدَعُ السِّفَارَةَ بَيْنَ قَوْمِي ... وَمَا أَمْشِي بِغِشٍّ إِنْ مَشَيْتُ

وقال البخاري: سَفَرةٌ: الملائكة. سَفرت: أصلحت بينهم. وجعلت الملائكةُ إذا نزلت بوَحْيِ الله وتأديته كالسَّفير الَّذِي يُصْلِح بين القَوْمِ[2][3].

وقوله: ﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾؛ أي: خُلُقُهم كريمٌ حَسَنٌ شريفٌ، وأخلاقهم وأفعالهم بَارَّةٌ طاهرةٌ كاملةٌ. ومِن هاهنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعالِهِ وأقوالِهِ علىٰ السَّداد والرَّشاد.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا إسماعيل، حدَّثنا هشام، عن قتادة، عن زُرارة بن أوفىٰ، عن سعد[4] بن

(١) في إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث: صدوق سيئ الحفظ، لكن أصل الحديث صحيح، رواه البخاري (٦١٧)، ومسلم (١٠٩٢)، وانظر الأحاديث السابقة في بيان ما ذكر من سبب النزول.

(٢) في (ز): (بين الناس)، والمثبت موافق لما في «الصحيح».

(٣) انظر: «صحيح البخاري» (٨/ ٦٩١).

(٤) في (ز): (سعيد)، والمثبت هو الصواب.

هشام، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ[(١)] الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»[(٢)]. أخرجه الجماعة من طريق قتادة به.

﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣) فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢)﴾

يقول تعالىٰ ذامًّا لمن أنكر البعث والنُّشور مِن بني آدم: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ قال الضَّحَّاكُ، عن ابن عبَّاس: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ﴾ لُعِن الإنسان. وكذا قال أبو مالك. وهذا لجِنْسِ الإنسان المكذِّب؛ لكثرةِ تكذيبه بلا مستنِد، بل بمجرَّد الاستبعاد وعدم العلم.

قال ابن جرير ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾: ما أشدَّ كفرَهُ! وقال ابن جرير: ويحتمل أن يكون المراد: أيُّ شيءٍ جعله كافرًا؟ أي: ما حمله علىٰ التَّكذيب بالمعاد.

وقال قتادة -وقد حكاه البغوي عن مقاتل والكلبي-: ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ ما أَلْعَنَه!

ثم بيَّن تعالىٰ له كيف خلقه الله من الشَّيءِ الحقير؟! وأنَّه قادرٌ علىٰ إعادته كما بدأه، فقال: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾؛ أي: قدرَ أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد. ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ قال العوفي، عن ابن عبَّاس: ثم يسَّر عليه خروجه مِن بطن أمِّه. وكذا قال عكرمة، والضَّحَّاكُ، وأبو صالح، وقتادة، والسُّدِّي، واختاره ابن جرير.

وقال مجاهد: هذه كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]؛ أي: بيَّنَّا له ووضَّحناه، وسهَّلنا عليه عمله[(٣)]، وهكذا قال الحسن وابن زيد. وهذا هو الأرجح، والله أعلم.

وقوله: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾؛ أي: إنَّه بعد خلقه له ﴿أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾؛ أي: جعله ذا قبرٍ. والعرب تقول: «قبرت الرجل»: إذا وليٰ ذلك منه، وأقبره الله. وعضبت قرن الثور، وأعضبه الله، وبترت ذنب البعير وأبتره الله. وطردت عنِّي فلانًا، وأطرده الله؛ أي: جعله طريدًا، قال الأعشىٰ:

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتًا إِلَىٰ نَحْرِهَا[(٤)] عَاشَ، وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَىٰ قَابِرِ

(١) لوحة (١٩١ أ).

(٢) البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٨٩)، وأبو داود (١٤٥٤)، والترمذي (٢٩٠٦)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٨٠٤٥)، وابن ماجة (٣٧٧٩).

(٣) في (ز): (علمه).

(٤) في (ز): (خدرها)، والمثبت موافق لما في «الطبري».

وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُۥ﴾؛ أي: بعثه بعد موته، ومنه يقال: البعث والنشور، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]، ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا(١) ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا أصبغُ بنُ الفَرج، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث: أن دراجًا أبا السمح أخبره، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «يَأْكُلُ التُّرَابُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الإِنْسَانِ إِلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ» قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: «مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْهُ يُنْشَئُونَ»(٢).

وهذا الحديث ثابت في «الصحيح» من رواية الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، بدون هذه الزيادة، ولفظه: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَبْلَىٰ إِلَّا عَجْبُ الذَّنَبِ، مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ»(٣).

وقوله: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ قال ابن جرير: يقول: كلَّا ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر؛ من أنَّه قد أدَّىٰ حقَّ الله عليه في نفسه وماله، ﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ يقول: لم يُؤَدِّ ما فُرِضَ عليه مِن الفرائض لربِّه ﷻ.

ثم روىٰ -هو وابن أبي حاتم- من طريق ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد قوله: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ قال: لا يَقْضِي أحدٌ أبدًا كل ما افتُرِض عليه. وحكاه البغوي، عن الحسن البصري بنحو من هذا. ولم أجد للمتقدمين فيه كَلامًا سوىٰ هذا. والذي يقع لي في معنىٰ ذلك -والله أعلم- أن المعنىٰ: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُۥ﴾؛ أي: بعثه، ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾؛ أي: لا يفعله الآن حتىٰ تَنْقَضِيَ المدَّة، ويفرغ القدر مِن بني آدم ممَّن كتب تعالىٰ له أن سيُوجَدُ منهم، ويخرج إلىٰ الدُّنيا، وقد أمر به تعالىٰ كونًا وقدرًا، فإذا تناهىٰ ذلك عند الله أنشر الله الخلائق، وأعادهم كما بدأهم.

وقد روىٰ ابنُ أبي حاتم، عن وهب بن مُنَبِّه قال: قال عُزَيرٌ عليه السلام: قال الملك الذي جاءني: فإنَّ القبور(٤) هي بطنُ الأرض، وإنَّ الأرضَ هي أمُّ الخلق، فإذا خلق الله ما أراد أن يخلق وتمَّت هذه القبورُ التي مَدَّ الله لها، انقطعتِ الدُّنيا وماتَ مَن عليها، ولفظت الأرض ما في جوفها، وأخرجت القبورُ ما فيها(٥).

---

(١) كذا في (ز) «ننشرها» بالراء، وهي قراءة متواترة: قَرَأَ (نُنْشِزُهَا) ابْنُ عَامِرٍ وَعَاصِمٌ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ (فِي اخْتِيَارِهِ) وَوَافَقَهُمُ الْأَعْمَشُ، وَقَرَأَ (نَنْشُرُهَا) الْحَسَنُ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (نُنْشِرُهَا).

(٢) عزاه لابن أبي حاتم من رواية أبي سعيد، وفيها ضعف؛ لأن دراجًا ضعيف في روايته عن أبي الهيثم، لكن الحديث صحيح بدون زيادة قوله (مثل حبة خردل..).

(٣) البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥).

(٤) في (ز): (الصور).

(٥) معضل من كلام وهب بن منبه، وهو يروي الإسرائيليات.

وهذا شبيهٌ بما قُلْنا من معنىٰ الآية، والله تَعَالَىٰ أعلم بالصَّواب[١].

وقوله[٢]: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ فيه [امتنان، وفيه][٣] استدلال بإحياءِ النَّبات مِن الأرض الهامدة علىٰ إحياء الأجسام بعدما كانت عِظَامًا باليةً وترابًا متمزقًا. ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾؛ أي: أنزلناه من السَّماء علىٰ الأرض، ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾؛ أي: أسكناه فيها فدخل في تُخُومِهَا وتَخَلَّل في أجزاء الحَبِّ المودَعِ فيها، فنبَتَ وارتفع، وظهر علىٰ وجه الأرض. ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾[٤] ﴿٢٧﴾ ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ فالحب: كل ما يُذْكَرُ من الحبوب، والعنب معروف، والقضب: هو الفَصْفَصَة التي تأكلها الدَّواب رطبةً. ويقال لها: القَتُّ أيضا. قال ذلك ابن عبَّاس، وقتادة، والضَّحَّاك. والسُّدِّي.

وقال الحسن البصري: القضب العلف.

﴿وَزَيْتُونًا﴾ وهو معروف، وهو أدْمٌ وعصيره أدم، ويستصبح به، ويُدهن به. ﴿وَنَخْلًا﴾: يُؤْكَلُ بلحًا [بسرًا][٥]، ورطبًا، وتمرًا، ونيئًا، ومطبوخًا، ويعتصر مِنهُ رُبٌّ وخلٌّ. ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾؛ أي: بساتين. قال الحسن، وقتادة: ﴿غُلْبًا﴾: نخلٌ غلاظٌ كرامٌ. وقال ابن عبَّاس، ومجاهد: «الحدائق»: كل ما التفَّ واجتمع. وقال ابن عبَّاس أيضا: ﴿غُلْبًا﴾: الشَّجر الذي يُسْتَظَلُّ به.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾؛ أي: طوال. وقال عكرمة: ﴿غُلْبًا﴾؛ أي: غلاظ الأوساط. وفي رواية: غلاظ الرِّقاب، ألم تَرَ إلىٰ الرَّجُلِ إذا كان غليظ الرَّقبة قيل: والله إنَّه لأغلب. رواه ابن أبي حاتم، وأنشد ابن جرير للفرزدق:

عَوَىٰ فَأَثَارَ أَغْلَبَ[٦] ضَيْغَمِيًّا ... فَوَيْلَ ابْنِ المَرَاغَةِ مَا اسْتَثَارَا

وقوله: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ أما الفاكهة فهو كل ما يتفكَّه به من الثِّمار. قال ابن عبَّاس: الفاكهة: كل ما أُكِلَ رطبًا. والأبُّ ما أنبتت الأرض، مما تأكله الدَّوابُّ ولا يأكله النَّاس، وفي روايةٍ عنه: هو الحشيش للبهائم. وقال مجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو مالك: الأَبُّ: الكَلأُ. وعن مجاهد، والحسن، وقتادة، وابن زيد: الأبُّ للبَهَائِم كالفاكهة لبني آدم. وعن عطاء: كلُّ شيءٍ نبتَ علىٰ وجه الأرض فهو أبٌّ. وقال الضَّحَّاكُ: كلُّ شيءٍ أنبتته الأرض سوىٰ الفَاكِهَةِ فهو أبٌّ.

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: والمعنىٰ أن الله -تعالىٰ- لم يقضِ ما أمره، أي: ما أمر به كونًا وقدرًا، أي: أن الأمر لم يتم لنشر أو لإنشار هذا الميت بل له موعد منتظر، وفي هذا رد علىٰ المكذبين بالبعث الذين يقولون: لو كان البعث حقًّا لوجدنا آباءنا الآن، وهذا القول منهم تحدٍّ مكذوبٌ؛ لأن الرسل لم تقل لهم: إنكم تبعثون الآن، ولكنهم قالوا لهم: إنكم تبعثون جميعًا بعد أن تموتوا جميعًا.

(٢) في (ز): (وقال).

(٣) ليست في (ز).

(٤) لوحة (١٩٢ أ).

(٥) سقط من (ز).

(٦) الضمير في عوىٰ يعود إلىٰ جرير، والأغلب: الأسد الضيغمي الشديد الضغم -وهو العض-، واستثاره: هاجه.

وقال ابن إدريس، عن عاصم بن كليب، عن أبيه، عن ابن عبَّاس: الأَبُّ: نبت الأرض مما تأكله[1] الدَّواب ولا يأكله النَّاس. ورواه ابن جرير مِن ثلاث طرق، عن ابن إدريس، ثم قال: حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ وأبو السائب، قالا: حدَّثنا ابن إدريس، حدَّثنا عبد الملك، عن سعيد بن جبير قال: عدَّ ابن عبَّاس وقال: الأَبُّ: ما أنبتت الأرض للأنعام. هذا لفظ أبي كريب، وقال أبو السَّائب: ما أنبتت الأرض مما يأكل النَّاس وتأكل الأنعام.

وقال العوفي، عن ابن عبَّاس: الأَبُّ: الكلأ والمَرْعَىٰ. وكذا قال مجاهد، والحسن، وقتادة، وابن زيد، وغير واحدٍ.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام[2]: حدَّثنا محمَّد بن يزيد، حدَّثنا العوام بن حَوشَب، عن إبراهيم التَّيمي قال: سُئِلَ أبو بكر الصديق ﷺ عن قوله تعالىٰ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ فقال: أي سماء تُظِلُّني، وأيُّ أرضٍ تُقِلُّنِي إن قلتُ في كتاب الله ما لا أعلم[3].

وهذا منقطعٌ بين إبراهيم التيمي والصديق. فأما ما رواه ابن جرير حيث قال: حدَّثنا ابن بشار، حدَّثنا ابن أبي عدي، حدَّثنا حُمَيدٌ، عن أنس قال: قرأ عمر بن الخطاب ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ فلما أتي علىٰ هذه الآية: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ قال: قد عرفنا ما الفاكهة، فما الأَبُّ؟ فقال: لعمرك يا ابن الخطَّاب إن هذا لهو التَّكلُّف[4].

فهو إسنادٌ صحيحٌ، وقد رواه غير واحدٍ عن أنس به. وهو محمولٌ علىٰ أنَّه أراد أن يعرف شكْلَهُ وجنسَهُ وعينَهُ، وإلَّا فهو وكلُّ مَن قرأ هذه الآية يعلم أنَّه مِن نبات الأرض؛ لقوله: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضۡبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونًا وَنَخۡلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾.

وقوله: ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾؛ أي: عيشةً لكم ولأنعامِكُم في هذه الدَّار إلىٰ يوم القِيامَةِ.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ[5] ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٍٕ

(١) في (ز): (لا يأكله). (٢) لوحة (١٩٢ ب).

(٣) ضعيف: رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ٣٧٥)، وإسناده منقطع.

(٤) صحيح: رواه الطبري (٣٠/ ٥٩).

(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: وَلِجَمَاعَةٍ مِن الفُضَلَاءِ كَلَامٌ فِي قَولِه تَعَالَىٰ: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾ ﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾﴾ [عبس] لِمَ ابتَدَأَ بِالأَخِ وَمِن عَادَةِ العَرَبِ أَن يُبدَأَ بِالأَهَمِّ؟
فَلَمَّا سُئِلتُ عَن هَذَا قُلتُ: إِنَّ الابتِدَاءَ يَكُونُ فِي كُلِّ مَقَامٍ بِمَا يُنَاسِبُهُ؛ فَتَارَةً يَقتَضِي الابتِدَاءَ بِالأَعلَىٰ وَتَارَةً بِالأَدنَىٰ، وَهُنَا المُنَاسَبَةُ تَقتَضِي الابتِدَاءَ بِالأَدنَىٰ، لِأَنَّ المَقصُودَ بَيَانُ فِرَارِهِ عَن أَقَارِبِهِ مُفَصَّلًا شَيئًا بَعدَ شَيءٍ، فَلَو ذَكَرَ الأَقرَبَ أَوَّلًا لَم يَكُن فِي ذِكرِ الأَبعَدِ فَائِدَةٌ طَائِلَةٌ، فَإِنَّهُ يعلَمُ أَنَّهُ إِذَا فَرَّ مِنَ الأَقرَبِ فَرَّ مِنَ الأَبعَدِ، وَلَمَا حَصَلَ لِلمُستَمِعِ استِشعَارُ الشِّدَّةِ مُفَصَّلَةً فَابتُدِئَ بِنَفيِ الأَبعَدِ مُنتَقِلًا مِنهُ إِلَى الأَقرَبِ فَقِيلَ أَوَّلًا. ﴿يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ﴾ فَعُلِمَ أَنَّ ثَمَّ شِدَّةً تُوجِبُ ذَلِكَ.
=

﴿مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

قال ابن عبَّاس: ﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾ اسم من أسماء يوم القيامة، عَظَّمه الله، وحَذَّره عباده. قال ابن جرير: لعلَّه اسم للنَّفخة في الصُّور. وقال البَغويُّ: ﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾ يعني: صيحة القِيامة؛ سُمِّيت بذلك؛ لأنَّها تَصُخُّ الأسماع؛ أي: تبالغ في إسماعها حتىٰ تكاد تُصِمُّها.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾؛ أي: يراهم، ويَفِرُّ منهم، ويبتعدُ عنهم؛ لأنَّ الهول عظيمٌ، والخطبَ جليلٌ.

قال عكرمة: يلقىٰ الرَّجل زوجته فيقول لها: يا هذه، أيُّ بعلٍ كنتُ لكِ؟ فتقول: نِعْمَ البعل كنتَ! وتُثْنِي بخيرٍ ما استطاعت، فيقول لها: فإنِّي أطلبُ إليكِ اليومَ حسنةً واحدةً تَهَبِينَهَا لي لعلِّي أنجو ممَّا تَرَيْنَ. فتقول له: ما أيسر ما طلبتَ! ولكنِّي لا أُطيقُ أن أعطيك شيئًا أتخوَّف مثل[1] الَّذِي تخاف. قال: وإنَّ الرجل ليلقىٰ ابنه فيتعلَّق به فيقول: يا بني، أيُّ والدٍ كنتُ لكَ؟ فيُثْنِي بخيرٍ. فيقولُ له: يا بنيَّ، إنِّي احتجت إلىٰ مثقال ذرَّة مِن حسناتك لعلِّي أنجو بها ممَّا ترىٰ. فيقول ولده: يا أَبَتِ، ما أيسر ما طلبت! ولكنِّي[2] أتخوَّف مثل الذي تتخوَّف، فلا أستطيع أن أُعْطِيَكَ شيئًا. يقول الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾.

وفي الحديث الصحيح -في أمر الشفاعة-: أنه إذا طلب إلىٰ كلٍّ مِن أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق، يقول: «**نَفْسِي نَفْسِي، لا أَسْأَلُهُ اليَوْمَ إِلَّا نَفْسِي**»، حتىٰ إنَّ عيسىٰ ابن مريم يقول: «**لا أَسْأَلُهُ اليَوْمَ إِلَّا نَفْسِي، لا أَسْأَلُهُ مَرْيَمَ الَّتِي وَلَدَتْنِي**»[3]. ولهذا قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾.

قال قتادة: الأحبُّ فالأحب، والأقربُ فالأقرب، مِن هول ذلك اليوم.

وقوله: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾؛ أي: هو في شُغُلٍ شاغلٍ عن غيرِه.

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا محمَّد بن عمار بن الحارث، حدَّثنا الوليد بن صالح، حدَّثنا ثابت أبو زيد العباداني، عن هلال بن خَبَّابٍ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «**تُحْشَرُونَ**

=

وَقَد يَجُوزُ أَن يَفِرَّ مِن غَيرِهِ وَيَجُوزُ أَن لَا يَفِرَّ. فَقِيلَ ﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾ فَعُلِمَ أَنَّ الشِّدَّةَ أَكبَرُ مِن ذَلِكَ بِحَيثُ تُوجِبُ الفِرَارَ مِنَ الأَبَوَينِ. ثُمَّ قِيلَ ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ فَعُلِمَ أَنَّهَا طَامَّةٌ بِحَيثُ تُوجِبُ الفِرَارَ مِمَّا لَا يَفِرُّ مِنهُم إِلَّا فِي غَايَةِ الشِّدَّةِ، وَهِيَ الزَّوجَةُ وَالبَنُونَ، وَلَفظُ صَاحِبَتِهِ أَحسَنُ مِن زَوجَتِهِ.

(١) في (ز): (من قبل). (٢) لوحة (١٩٣ أ).

(٣) انظر: تفسير (الآية ٧٩ من سورة الإسراء)، حيث تقدم هناك ذكر أحاديث الشفاعة.

حُفَاةً عُرَاةً مُشَاةً غُرْلًا[١]» قال: فقالت زوجته: يا رسول الله، أوَيَرَىٰ بعضُنا عورةَ بعض؟ قال: «﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾» أو قال: «مَا أَشْغَلَهُ عَنِ النَّظَرِ!».

وقد رواه النسائي منفردًا به، عن أبي داود، عن عارم، عن ثابت بن يزيد -وهو أبو زيد الأحول البصري، أحد الثِّقات- عن هلال بن خَبَّاب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس به، وقد رواه التِّرمذي عن عبد[٢] بن حُمَيد، عن محمَّد بن الفضل، عن ثابت بن يزيد، عن هلال بن خَبَّاب، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا». فقالت امرأةٌ: أَيُبْصِر -أو: يرىٰ- بعضنا عورة بعض؟ قال: «يَا فُلَانَةُ، ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾»[٣]. ثمَّ قال التِّرمذي: وهذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وقد روي مِن غير وجهٍ عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما.

وقال النَّسائي: أخبرني عمرو بن عثمان، حدَّثنا بقِيَّة، حدَّثنا الزبيدي، أخبرني الزهري، عن عروة، عن عائشة، أن رسول الله ﷺ قال: «يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا». فقالت عائشة: يا رسول الله، فكيف بالعَوْرَاتِ؟ فقال ﷺ: «﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾». انفرد به النَّسائي مِن هذا الوَجْهِ[٤].

ثم قال[٥] ابن أبي حاتم أيضًا: حدَّثنا أبي، حدَّثنا أزهر بن حاتم، حدَّثنا الفضل بن موسىٰ، عن عائذ بن شُرَيحٍ، عن أنس بن مالك قال: سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، بأبِي أنت وأُمِّي، إني سائلتك عن حديثٍ فتخبرني أنتَ به. فقال: «إِنْ كَانَ عِنْدِي مِنْهُ عِلْمٌ». قالت: يا نبيَّ الله، كيف يُحشر الرِّجال؟ قال: «حُفَاةً عُرَاةً». ثم انتظرتْ ساعةً فقالت: يا نبي الله، كيف يحشر النِّساء؟ قال: «كَذَلِكَ حُفَاةً عُرَاةً». قالت: واسوأتاهُ مِن يوم القيامة! قال: «وَعَنْ أَيِّ ذَلِكَ تَسْأَلِينَ؟ إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ عَلَيَّ آيَةٌ لَا يَضُرُّكِ كَانَ عَلَيْكِ ثِيَابٌ أَوْ لَا يَكُونُ». قالت: أيةُ آيةٍ هي يا نبيَّ الله؟ قال: «﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾»[٦].

وقال البغوي في «تفسيره»: أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشّريحي، أخبرنا أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني الحسين بن عبد الله، حدَّثنا عبد الله بن عبد الرحمن، حدَّثنا محمَّد بن عبد العزيز، حدَّثنا ابن أبي أويس، حدَّثنا أبي، عن محمَّد بن أبي عياش، عن عطاء بن يسار، عن سودة زوج النَّبيِّ ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يُبْعَثُ النَّاسُ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ، وَبَلَغَ

---

(١) غُرْل: جمع أغرل، وهو الأقلف غير المختون.

(٢) في (ز): (عبد الله)، والمثبت هو الصواب.

(٣) صحيح: رواه النسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٤٧)، والترمذي (٣٣٢٩).

(٤) صحيح: رواه النسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٤٨)، ويشهد له حديث ابن عبَّاس السابق.

(٥) لوحة (١٩٣ ب).

(٦) رواه ابن أبي حاتم (١٩١٣٠)، وفيه عائذ بن شريح: ضعيف، لكنه شاهد للحديث السابق.

شُحُومَ الآذَانِ». فقلت: يا رسول الله، واسوأتاهُ ينظر بعضُنا إلىٰ بعض؟ فقال: «قَدْ شُغِلَ النَّاسُ، ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾»(١).

هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه جدًّا، وهكذا رواه ابن جرير عن أبي عمار الحسين بن حريث المروزي، عن الفضل بن موسىٰ به. ولكن(٢) قال أبو حاتم الرازي: عائذ بن شريح: ضعيف، في حديثه ضعف.

وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [أي: يكون النَّاس هنالك فريقين: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾؛ أي: مُسْتَنِيرَةٌ، ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾](٣) أي: مسرورةٌ فَرِحَةٌ مِن سرورِ قلوبِهِم، قد ظهر البِشْرُ علىٰ وُجُوهِهِم، وهؤلاء أهل الجنَّة.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾؛ أي: يعلوها ويَغْشَاها قترةٌ؛ أي: سوادٌ.

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا سهل بن عثمان العسكري، حدَّثنا أبو علي محمَّد مولىٰ جعفر ابن محمَّد، عن جعفر بن محمَّد، عن أبيه، عن جَدِّه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُلْجِمُ الكَافِرَ العَرَقُ ثُمَّ تَقَعُ الغَبَرَةُ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ». قال: فهو قوله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾(٤).

وقال ابن عبَّاس: ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾؛ أي: يغشاها سواد الوجوه.

وقوله(٥): ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾؛ أي: الكفرة قلوبهم، الفَجَرَةُ فِي أعمالهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

آخر تفسير سورة «عبس» ولله الحمد والمنة.

---

(١) حسن لغيره: رواه البغوي (٢٣١٠)، والحاكم (٢/ ٥١٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٩١)، وصححه الحاكم علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي.
قلت: فيه محمَّد بن أبي عياش لم يوثقه غير ابن حبَّان، لكن يشهد للحديث ما تقدم.
(٢) في (ز) كلمة تقرأ: (وبكر).
(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).
(٤) مرسل: رواه ابن أبي حاتم (١٩١٣١) عن علي بن الحسن وهو من الثالثة. ومحمَّد مولىٰ جعفر لم أعرفه.
(٥) لوحة (١٩٤ أ).

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

تفسير سورة التَّكوير، وهي مكيَّة

قال الإمام أحمد: حدَّثنا عبد الرزاق، أخبرنا عبد الله بن بحير القاص، أن عبد الرحمن بن يزيد الصنعاني أخبره، أنَّه سَمِعَ ابن عمر يقول:

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾» (١).

وهكذا رواه الترمذي، عن العبَّاس بن عبد العظيم العنبري، عن عبد الرزاق به.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٢) ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٣) ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٣٣٣٠)، وأحمد (٢/ ٢٧).

(٢) قال الإمام ابن القيم رحمه الله: قرأ قارئ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ [التكوير: ١-٣] وفي الحاضرين أبو الوفاء ابن عقيل، فقال له قائل: يا سيدي هَبْ أنه أنشر الموتى للبعث والحساب، وزوَّج النفوس بقرنائها بالثواب والعقاب، فَلِمَ هدم الأبنية، وسيَّر الجبال، ودكَّ الأرض، وفطر السماء، ونثر النجوم، وكور الشمس؟ فقال: إنما بنى لهم الدار للسكنى، والتمتع وجعلها وجعل ما فيها للاعتبار والتفكر، والاستدلال عليه بحسن التأمل والتذكر، فلما انقضت مدة السكنى، وأجلاهم من الدار خربها لانتقال الساكن منها، فأراد أن يعلمهم بأن الكون كان معمورًا بهم، وفي إحالة الأحوال، وإظهار تلك الأهوال، وبيان المقدرة بعد بيان العزة، وتكذيب لأهل الإلحاد وزنادقة المنجمين، وعباد الكواكب والشمس والقمر والأوثان، فيعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين، فإذا رأوا آلهتهم قد انهدمت، وأن معبوداتهم قد انتثرت وانفطرت، ومحالها قد تشققت، ظهرت فضائحهم، وتبين كذبهم، وظهر أن العالم مربوب محدث مدبر، له رب يصرفه كيف يشاء؛ تكذيبًا لملاحدة الفلاسفة القائلين بالقدم، فكم لله تعالى من حكمة في هدم هذه الدار، ودلالةٍ على عظم عزته وقدرته وسلطانه، وانفراده بالربوبية، وانقياد المخلوقات بأسرها لقهره، وإذعانها لمشيئته، فتبارك الله رب العالمين.

(٣) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: البحار جمع بحر، وجمعت لعظمتها وكثرتها، فإنها تمثل ثلاثة أرباع الأرض تقريبًا أو =

سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ (١) ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ يعني: أَظْلَمَتْ. وقال العوفي عنه: ذَهَبَتْ، وقال مجاهد: اضمحَلَّت وذَهَبتْ. وكذا قال الضَّحَّاكُ. وقال قتادة: ذهب ضوءهَا. وقال سعيد ابن جبير: ﴿كُوِّرَتْ﴾ غُوِّرت. وقال الربيع بن خُثَيمٍ: ﴿كُوِّرَتْ﴾ يعني: رُمِيَ بها.

وقال أبو صالح: ﴿كُوِّرَتْ﴾ أُلْقِيَتْ. وعنه أيضًا: نُكِّسَتْ. وقال زيد بن أسلم: تقع في الأرض.

قال ابن جرير: والصَّواب من القول عندنا في ذلك أنَّ التكوير جَمعُ الشَّيءِ بعضه إلىٰ بعض، ومنه تكوير العمامة و[هو لفُّها علىٰ الرأس، وكتكوير الكارة(٢)، وهي](٣) جمع الثِّياب بعضها إلىٰ بعضٍ، فمعنىٰ قوله: ﴿كُوِّرَتْ﴾ جمع بعضها إلىٰ بعضٍ، ثم لُفَّتْ فرُمِيَ بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءُهَا.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله الأودي، حدَّثنا أبو أسامة، عن مجالد، عن شيخ من بَجِيلَةَ، عن ابن عبَّاس: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: يكوِّر الله الشَّمسَ والقمرَ والنُّجوم يوم القيامة(٤) في البَحْرِ، ويبعث الله ريحًا دبورًا فتُضْرِمُهَا نارًا(٥). وكذا قال عامر الشعبي. ثم قال ابن أبي حاتم:

= أكثر، هذه البحار العظيمة إذا كان يوم القيامة فإنها تُسجر؛ أي: توقد نارًا، تشتعل نارًا عظيمةً وحينئذٍ تيبس الأرض ولا يبقىٰ فيها ماءٌ؛ لأن بحارها المياه العظيمة تسجَّر حتىٰ تكون نارًا.

(١) قال الشيخ القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الشهاب: والتبكيت قرره الطيبيّ، بأن المجنيّ عليه إذا سئل بمحضر الجاني ونسبت له الجناية دون الجاني، بعث ذلك الجاني علىٰ التفكّر في حاله وحال المجني عليه. فيرىٰ براءة ساحته، وأنه هو المستحق للعقاب والعذاب. وهذا استدراجٌ علىٰ طريق التعريض، وهو أبلغ من التصريح. والمراد بالاستدراج: سلوك طريق توصيل إلىٰ المطلوب بسؤال غير المذنب ونسبة الذنب له؛ حتىٰ يبين من صدر عنه ذلك، كما سئل عيسىٰ دون الكفرة، وهو فنٌّ من البديع بديع. انتهىٰ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ قَتْلُ النَّفسِ إِلَّا بِذَنبٍ مِنهَا، فَلَا يَجُوزُ قَتلُ الصَّبِيِّ وَالمَجنُونِ؛ لِأَنَّ القَلَمَ مَرفُوعٌ عَنهُمَا فَلَا ذَنبَ لَهُمَا، وَهَذِهِ العِلَّةُ لَا يَنبَغِي أَن يُشَكَّ فِيهَا فِي النَّهيِ عَن قَتلِ صِبيَانِ أَهلِ الحَربِ، وَأَمَّا العِلَّةُ المُشتَرَكَةُ بَينَهُم وَبَينَ النِّسَاءِ فَكَونُهُم لَيسُوا مِن أَهلِ القِتَالِ عَلَىٰ الصَّحِيحِ الَّذِي هُوَ قَولُ الجُمهُورِ، أَو كَونُهُم يَصِيرُونَ لِلمُسلِمِينَ. فَأَمَّا التَّعلِيلُ بِهَذَا وَحدَهُ فِي الصَّبِيِّ فَلَا، وَالآيَةُ تَقتَضِي ذَمَّ قَتلِ كُلِّ مَن لَا ذَنبَ لَهُ مِن صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، وَسُؤَالهَا تَوبِيخَ قَاتِلِهَا.

(٢) الكارة: الغرارة التي تكون فيها الأمتعة وغيرها.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (ز). (٤) لوحة (١٩٤ ب).

(٥) ضعيف: رواه الطبري (٣٠/ ٦٨)، وابن أبي حاتم (١٩١٤٢)، وفي إسناده مجهول، ومجالد بن سعيد: ليس بالقوي.

حدَّثنا أبي، حدَّثنا أبو صالح، حدَّثني معاوية بن صالح، عن ابن يزيد بن أبي مريم، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال في قول الله: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: «كُوِّرَتْ فِي جَهَنَّمَ»(١).

وقال الحافظ أبو يعلىٰ في «مسنده»: حدَّثنا موسىٰ بن محمَّد بن حَيَّان، حدَّثنا دُرُسْتُ بن زياد، حدَّثنا يزيد الرَّقاشي، حدَّثنا أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «الشَّمْسُ وَالقَمَرُ ثَوْرَانِ عَقِيرَانِ(٢) فِي النَّارِ»(٣).

هذا حديثٌ ضعيفٌ؛ لأنَّ يزيد الرقاشي: ضعيف، والَّذِي رواه البخاري في «الصحيح» بدون هذه الزِّيادة، ثم قال البخاري: حدَّثنا مُسَدَّدٌ، حدَّثنا عبد العزيز بن المختار، حدَّثنا عبد الله الداناجُ، حدَّثني أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ: «الشَّمْسُ وَالقَمَرُ يُكَوَّرَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ»(٤).

انفرد به البخاري وهذا لفظه، وإنما أخرجه في كتاب «بدء الخلق»، وكان جديرًا أن يذكره هاهنا أو يكرره، كما هي عادته في أمثاله! وقد رواه البزار فَجَوَّدَ إيراده فقال:

حدَّثنا إبراهيم بن زياد البغدادي، حدَّثنا يونس بن محمَّد، حدَّثنا عبد العزيز بن المختار، عن عبد الله الداناج قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد -مسجد الكوفة- وجاء الحسن فجلس إليه فَحدَّث قال: حدَّثنا أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ ثَوْرَانِ فِي النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ». فقال الحسن: وما ذنبهما؟ فقال: أحدِّثُك عن رسول الله ﷺ وتقول: أحسبه قال: وما ذنبهما(٥).

ثم قال: لا يروىٰ عن أبي هُرَيرة إلا من هذا الوجه، ولم يرو عبد الله الداناج عن أبي سلمة سوىٰ هذا الحديث(٦).

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾؛ أي: انتثرت، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢]،

---

(١) مرسل: يزيد بن أبي مريم من السادسة، رواه ابن أبي حاتم (١٩١٤١).

(٢) عقيران: أي زَمِنَان؛ يعني: لا يجريان. «مرقاة المفاتيح». وانظر: «فيض القدير»: (٤/ ١٧٧).

(٣) ضعيف: رواه أبو يعلىٰ (٤١١٦)، وفيه يزيد الرقاشي: ضعيف.

(٤) البخاري (٣٢٠٠)، وعزاه للبزار كما في الرواية الآتية.

(٥) قال الشيخ الألباني رحمه الله: (... ليس المراد من الحديث ما تبادر إلىٰ ذهن الحسن البصري أن الشمس والقمر في النار يعذبان فيها عقوبة لهما، كلا فإن الله ﷻ لا يعذب من أطاعه من خلقه، ومن ذلك الشمس والقمر كما يشير إليه قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ فأخبر تعالىٰ أن عذابه إنما يحق علىٰ غير من كان يسجد له تعالىٰ في الدنيا، كما قال الطحاوي، وعليه فإلقاؤهما في النار يحتمل أمرين: الأول: أنهما من وقود النار. قال الإسماعيلي: «لا يلزم من جعلهما في النار تعذيبهما، فإن لله في النار ملائكة وحجارة وغيرها لتكون لأهل النار عذابًا وآلة من آلات العذاب، وما شاء الله من ذلك فلا تكون هي معذبة» والثاني: أنهما يُلقيان فيها تبكيتًا لعبادهما. قال الخطابي: «ليس المراد بكونهما في النار تعذيبهما بذلك، ولكنه تبكيت لمن كان يعبدهما في الدنيا ليعلموا أن عبادتهم لهما كانت باطلًا». قلت: وهذا هو الأقرب إلىٰ لفظ الحديث ويؤيده أن في حديث أنس عند أبي يعلىٰ -كما في «الفتح» (٦/ ٢١٤)-: «ليراهما من عبدهما». ولم أرها في «مسنده»، والله تعالىٰ أعلم). اهـ. «السلسلة الصحيحة» (١٢٤).

(٦) مسند البزار (٨٦٩٦)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٨٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٤).

وأصل الانكدار[١]: الانصباب.

قال الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب قال: سِتُّ آياتٍ قبل يوم القيامة، بَيْنَا النَّاس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشَّمس، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النُّجوم، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجِبَالُ علىٰ وجه الأرض فتحرَّكت واضطربت[٢] واختلطت، ففزعت الجنُّ إلىٰ الإنس والإنس إلىٰ الجنِّ، واختلطت الدَّوابُّ والطَّير والوُحُوش، فماجوا بعضهم في بعض: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ قال: اختلطت، ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ قال: أَهْمَلَهَا أهلُهَا، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قال: قالت الجنُّ: نحن نأتيكم بالخبر. قال: فانطلقوا إلىٰ البحر فإذا هو نارٌ تأجَّجُ، قال: فبينما هم كذلك إذ تصدَّعت الأرض صدعةً واحدةً إلىٰ الأرض السَّابعة السُّفلىٰ وإلىٰ السَّماء السَّابعة العليا، قال: فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم[٣].

رواه ابن جرير -وهذا لفظه- وابن أبي حاتم ببعضه، وهكذا قال مجاهد والربيع بن خُثَيم، والحسن البصري، وأبو صالح، وحماد بن أبي سليمان، والضَّحَّاكُ في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾؛ أي: تَنَاثَرَتْ.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾؛ أي: تغيَّرت.

وقال يزيد بن أبي مريم[٤] عن النَّبيِّ ﷺ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ قال: «**انْكَدَرَتْ فِي جَهَنَّمَ، وَكُلُّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ فَهُوَ فِي جَهَنَّمَ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عِيسَىٰ وَأُمِّهِ، وَلَوْ رَضِيَا أَنْ يُعْبَدَا لَدَخَلَاهَا**»[٥]. رواه ابن أبي حاتم بالإسناد المتقدِّم.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾؛ أي: زالت عن أماكنها ونُسِفت، فتركت الأرض قاعًا صفصفًا.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ قال عكرمة، ومجاهد: عشار الإبِلِ. قال مجاهد: ﴿عُطِّلَتْ﴾: تُرِكَتْ وسُيِّبت.

وقال أبي بن كعب، والضَّحَّاكُ: أهملها أهلها، وقال الرَّبيع بن خُثَيم: لم تُحْلَبْ ولم تُصَرَّ[٦]، تخلىٰ منها أربابها.

وقال الضَّحَّاكُ أيضًا: تركت لا راعي لها.

---

(١) في (ز): (الانكباب).

(٢) لوحة (١٩٥ أ).

(٣) رواه الطبري (٣٠/ ٦٣)، وابن أبي حاتم (١٩١٤٣)، وابن أبي الدنيا في «الأهوال»؛ ورجاله ثقات غير أن أبا العالية: كثير الإرسال.

(٤) في (ز) كلمة غير مقروءة.

(٥) مرسل: تقدم في أول تفسير هذه السورة.

(٦) من عَادةِ العرَب أن تَصُرَّ ضُرُوعَ الحَلُوبات إذا أرسَلُوها إلىٰ المَرعَىٰ سَارِحَةً، ويُسُّمون ذلك الرِّباط: صِرارًا، فإذا راحَت عَشِيًّا حُلَّت تِلك الأصِرَّة وحُلِبَت، فهي مَصرُورَةٌ ومُصرَّرَةٌ. «النهاية».

والمعنىٰ في هذا كله متقارب. والمقصود أن العشار من الإبل -وهي: خيارها والحوامل منها التي قد وَصَلت في حملها إلىٰ الشَّهر العاشر- واحدها عُشَراءُ، ولا يزال ذلك اسمها حتىٰ تضع، قد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها، بعد ما كانوا أرغب شيءٍ فيها، بما دَهَمَهُمْ من الأمر العظيم المُفظع الهائل، وهو أمر القيامة وانعقاد أسبابها، ووقوع مقدماتها.

وقيل: بل يكون ذلك يوم القِيَامَةِ، يراها أصحابُهَا كذلك ولا سَبِيلَ لهم إليها. وقد قيل في العشار: إنَّها السَّحاب[1] يُعطَّل عن المسير بين السَّماء والأرض؛ لخراب الدُّنيا. وقد قيل: إنَّها الأرض التي تُعشَّر. وقيل: إنَّها الدِّيار التي كانت تسكن تُعَطَّل لذَهَاب أهلِهَا. حكىٰ هذه الأقوال كلها الإمام أبو عبد الله القرطبي في كتابه «التذكرة»، ورجح أنَّها الإبل، وعزاه إلىٰ أكثر النَّاس.

قلت: بل لا يعرف عن السَّلف والأئمَّة سواه، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾؛ أي: جمعت. كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]. قال ابن عبَّاس: يُحْشَر كلُّ شيءٍ حتَّىٰ الذُّباب[2][3]. رواه ابن أبي حاتم. وكذا قال الربيع بن خُثَيم والسُّدِّي، وغير واحدٍ. وكذا قال قتادة في تفسير هذه الآية: إن هذه الخلائق [موافية][4] فيَقْضِي الله فيها ما يشاء.

وقال عكرمة: حشرها: موتها.

وقال ابن جرير: حدَّثني علي [بن مسلم][5] الطوسي، حدَّثنا عباد بن العوام، أخبرنا حُصَينٌ، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ قال: حَشرُ البهائم: موتها، وحشر كل شيءٍ الموت غير الجن والإنس، فإنَّهما يوقفان يوم القيامة[6].

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ، حدَّثنا وَكِيعٌ، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلىٰ، عن الربيع بن خُثَيم: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ قال: أتىٰ عليها أمر الله. قال سفيان: قال أبي: فذكرته لعكرمة، فقال: قال ابن عبَّاس: حشرها: موتها.

وقد تقدَّم عن أُبيِّ بن كعب أنه قال: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾: اختلطت.

قال ابن جرير: والأولىٰ قَولُ من قال: ﴿حُشِرَتْ﴾: جُمِعَتْ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ [ص: ١٩]؛ أي: مجموعة.

---

(١) لوحة (١٩٥ ب). (٢) في (ز): (الدواب).
(٣) رواه ابن أبي حاتم (١٩١٤٨). (٤) سقط من (ز). (٥) سقط من (ز).
(٦) رواه الطبري (٣٠/ ٦٧)، ورجاله ثقات غير أن حصين وهو ابن عبد الرحمن السلمي تغير في آخر عمره.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قال ابن جرير: حدَّثنا يعقوب، حدَّثنا ابن عُلَيَّة، عن داود، عن سعيد ابن المسيب قال: قال علي رضي الله عنه لرجل من اليهود: أين جهنم؟ قال: البحر. فقال: ما أراه إلا صادقًا. ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦]، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِرَتْ﴾(١) [مخفَّفة](٢)(٣).

وقال ابن عبَّاس وغير واحدٍ: يرسل الله عليها الدَّبور فتسعرها، وتصير نارًا تأجج، وقد تقدَّم الكلامُ علىٰ ذلك عند قوله: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾.

وقال(٤) ابن أبي حاتم: حدَّثنا علي بن الحسين بن الجنيد، حدَّثنا أبو طاهر، حدَّثني عبد الجبار بن سليمان أبو سليمان النفاط -شيخٌ صَالِحٌ يُشبَّهُ بمالك بن أنس- عن معاوية بن سعيد قال: إن هذا البحر بركةٌ -يعني بحر الرُّوم- وسط الأرض، والأنهار كلُّها تصبُّ فيه، والبحر [الكبير](٥) يصبُّ فيه، وأسفله آبارٌ مطبقةٌ بالنُّحاس، فإذا كان يوم القيامة أسجر.

وهذا أثرٌ غريبٌ عجيبٌ. وفي «سنن أبي داود»: «**لا يَرْكَبُ البَحْرَ إِلَّا حَاجٌّ أَوْ مُعْتَمِرٌ أَوْ غَازٍ، فَإِنَّ تَحْتَ البَحْرِ نَارًا، وَتَحْتَ النَّارِ بَحْرًا**» الحديث(٦)، وقد تقدَّم الكلام عليه في سورة «فاطر».

وقال مجاهد، والحسن بن مسلم: ﴿سُجِّرَتْ﴾: أوقدت. وقال الحسن: يبست. وقال الضَّحَّاكُ، وقتادة: غاضَ ماؤُها فذهب ولم يَبْقَ فيها قطرةٌ. وقال الضَّحَّاكُ أيضًا: ﴿سُجِّرَتْ﴾: فُجِّرت. وقال السُّدِّي: فتحت وسُيِّرت. وقال الربيع بن خُثَيم ﴿سُجِّرَتْ﴾: فَاضَتْ.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾؛ [أي: جمع كل شكلٍ إلىٰ نظيرِه، كقوله: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا محمَّد بن الصباح البزار، حدَّثنا الوليد بن أبي ثور، عن سِمَاك، عن النعمان بن بشير أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾](٧) قال: «**الضُّرَبَاءُ، كُلُّ رَجُلٍ مَعَ كُلِّ قَوْمٍ كَانُوا يَعْمَلُونَ عَمَلَهُ**»، وذلك بأنَّ الله ﷻ يقول: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: ٧ - ١٠]، قال: هم الضُّرباء(٨).

---

(١) متواترة: قَرَأَ (سُجِرَتْ) ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَيَعْقُوبُ بِخُلْفٍ عَنْ رُوَيْسٍ وَوَافَقَهُمُ ابْنُ مُحَيْصِنٍ وَالْيَزِيدِيُّ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (سُجِّرَتْ) وَهُوَ الْوَجْهُ الثَّانِي عَنْ رُوَيْسٍ.

(٢) سقط من (ز). (٣) رواه الطبري (٣٠/ ٦٧)، وإسناده صحيح.

(٤) لوحة (١٩٦ أ). (٥) سقط من (ز).

(٦) ضعيف: رواه أبو داود (٢٩١)، والبيهقي (١١٠٧٩)، وسعيد بن منصور (٢٣٩٣)، وقد تقدم الحديث في تفسير سورة إبراهيم الآية (٤٨).

(٧) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).

(٨) ضعيف، والصحيح أنه موقوف: في إسناده الوليد بن أبي ثور: ضعيف. لكن رواه الطبري (٣٠/ ٦٦) وغيره عن عمر ابن الخطاب موقوفًا بإسنادٍ صحيحٍ.

ثم رواه ابن أبي حاتم من طرق أخر، عن سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير أن عُمَرَ خطب النَّاس فقرأ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ فقال: تزوجها: أن تؤلَّف كلُّ شيعةٍ إلىٰ شِيعَتِهِم. وفي رواية: هما الرَّجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنَّة أو النَّار[1].

وفي روايةٍ عن النُّعمان قال: سُئِلَ عمر عن قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ فقال: يقرن بين الرَّجل الصَّالح مع الرجل الصَّالح، ويقرن بَيْنَ الرَّجل السُّوء مع الرَّجل السُّوء في النَّار، فذلك تَزْوِيجُ الأنفُسِ[2].

وفي رواية عن النُّعمان أنَّ عمر قال للنَّاس: ما تقولون في تفسير هذه الآية: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾؟ فسكتوا. قال: ولكن هو الرجل يزوِّج نظيره مِن أهل الجنَّة، والرجل يزوج نظيره مِن أهل النَّار، ثم قرأ: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾

وقال العوفي، عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ قال: ذلك حين يكون النَّاس أزواجًا ثلاثة[3].

وقال ابن أبي نَجيحٍ، عن مجاهد: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ قال: الأمثال من النَّاس جمع بينهم. وكذا قال الربيع بن خُثَيم، والحسن، وقتادة. واختاره[4] ابن جرير، وهو الصحيح.

قول آخر في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾.

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا علي بن الحسين بن الجنيد، حدَّثنا أحمد بن عبد الرحمن، حدَّثني أبي، عن أبيه، عن أشعث [بن سوار][5]، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس قال: يسيل وادٍ من أصل العرش من ماءٍ فيمَا بين الصَّيْحَتَيْن، ومقدار ما بينهما أربعون عامًا، فيَنْبُتُ منه كلُّ خلقٍ بَلِي، من الإنسان أو طيرٍ أو دابةٍ، ولو مر عليهم مارٌّ قد عرفهم قبل ذلك لعرفهم علىٰ الأرض. قد نبتوا، ثم تُرسَل الأرواح فتزوج الأجساد، فذلك قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾[6].

وكذا قال أبو العالية، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والشعبي، والحسن البصري أيضًا في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾؛ أي: زُوِّجت بالأبْدَان. وقيل: زُوِّج المؤمنون بالحور العين، وزُوِّج الكافرون بالشَّياطين. حكاه القرطبي في «التذكرة».

---

(١) صحيح موقوف: رواه الطبري (٣٠/ ٦٩)، ورواه الحاكم (٢/ ٥١٦) نحوه، وصححه ووافقه الذهبي.
(٢) رواه ابن أبي حاتم (١٩١٤٦).
(٣) رواه الطبري (٣٠/ ٧٠)، والعوفي: شيعي مدلس كثير الخطإ.
(٤) لوحة (١٩٦ ب).
(٥) ليست في (ز).
(٦) ضعيف: رواه ابن أبي حاتم (١٩١٤٧)، جعفر بن أبي المغيرة: روايته عن سعيد بن جبير ضعيفة.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ هكذا قراءة الجمهور: ﴿سُئِلَتْ﴾ والموءودة هي التي كان أهل الجاهليَّة يدسُّونها في التُّراب كراهية البنات، فيوم القِيَامَة تسأل الموءُودة علىٰ أيِّ ذنب قُتِلَتْ؛ ليكون ذلك تهديدًا لقاتلها، فإذا سُئِلَ المظلوم فما ظنُّ الظَّالم إذًا؟!.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾؛ أي: سألت. وكذا قال أبو الضحىٰ: «سَأَلَتْ» أي: طالبت بدمها. وعن السُّدِّي، وقتادة مثله.

وقد وردت أحاديث تتعلق بالموءودة، فقال الإمام أحمد: حدَّثنا عبد الله بن يزيد، [حدَّثنا سعيد](١) بن أبي أيوب، حدَّثني أبو الأسود -وهو: محمَّد بن عبد الرحمن بن نوفل- عن عروة، عن عائشة، عن جُدَامة بنت وهب -أخت عكاشة- قالت: حضرتُ رسولَ الله ﷺ في ناس وهو يقول: «**لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَىٰ عَنِ الغِيلَةِ**(٢)**، فَنَظَرْتُ فِي الرُّومِ وَفَارِسَ فَإِذَا هُمْ يُغِيلُونَ أَوْلادَهُمْ، وَلا يَضُرُّ أَوْلادَهُمْ ذَلِكَ شَيْئًا**». ثم سألوه عن العزل، فقال رسول الله ﷺ: «**ذَلِكَ الوَأْدُ الخَفِيُّ، وَهِيَ المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ**»(٣).

ورواه مسلم من حديث(٤) أبي عبد الرحمن المقرئ -وهو عبد الله بن يزيد- عن سعيد بن أبي أيوب ورواه أيضًا ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يحيىٰ بن إسحاق السيلحيني، عن يحيىٰ ابن أيوب، ورواه مسلم أيضًا وأبو داود والترمذي والنسائي، من حديث مالك بن أنس، ثلاثتهم عن أبي الأسود به.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا ابن أبي عَدي، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن علقمة، عن سلمة ابن يزيد الجُعْفي قال: انطلقتُ أنا وأخي إلىٰ رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، إنَّ أُمَّنا مليكة كانت تَصل الرحم وتقري الضيف، وتفعل [وتفعل](٥) هلكت في الجاهلية، فهل ذلك نافعها شيئًا؟ قال: «**لا**». قلنا: فإنَّها كانت وأدت أختًا لنا(٦) في الجاهلية، فهل ذلك نافعُها شيئًا؟ قال: «**الوَائِدَةُ وَالمَوْءُودَةُ فِي النَّارِ، إِلَّا أَنْ يُدْرِكَ الوَائِدَةَ الإِسْلَامُ، فَيَعْفُو اللهُ عَنْهَا**»(٧).

ورواه النسائي، من حديث داود بن أبي هند به.

---

(١) في (ز): (عبد الله بن زيد بن أبي أيوب)، والمثبت هو الصواب.
(٢) الغِيلة: أن يجامع الرجل زوجته وهي ترضع.
(٣) مسلم (١٤٤٢)، وأبو داود (٣٨٨٢)، والترمذي (٢٠٧٨)، وابن ماجة (٢٠١١)، وأحمد (٦/ ٤٣٤).
(٤) لوحة (١٩٧ أ).
(٥) سقط من (ز)، وهي مثبتة في «المسند».
(٦) في (ز): (أختًا لها)، والمثبت موافق لما في «المسند».
(٧) رواه أحمد (٣/ ٢٧٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٤٩)، وله شواهد يذكرها المصنف بعدها؛ فالحديث صحيح.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدَّثنا أبو أحمد الزبيري، حدَّثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن علقمة وأبي الأحوص، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**الوَائِدَةُ وَالمَوْءُودَةُ فِي النَّارِ**»(١).

وقال أحمد أيضًا: حدَّثنا إسحاق الأزرق، أخبرنا عوف، حدثتني حسناء(٢) ابنة معاوية الصُّرَيمية، عن عمها قال(٣): قلت: يا رسول الله، من في الجنة؟ قال: «**النَّبِيُّ فِي الجَنَّةِ، وَالشَّهِيدُ فِي الجَنَّةِ، وَالمَوْلُودُ فِي الجَنَّةِ، وَالمَوْءُودَةُ فِي الجَنَّةِ**»(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا مسلم بن إبراهيم، حدَّثنا قرة قال: سمعت الحسن يقول: قيل: يا رسول الله، من في الجنة؟ قال: «**المَوْءُودَةُ فِي الجَنَّةِ**»(٥).

هذا حديثٌ مرسلٌ من مراسيل الحسن، ومنهم من قبله.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثني أبو عبد الله الظهراني، حدَّثنا حفص بن عمر العدني، حدَّثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة قال: قال ابن عبَّاس: أطفال المشركين في الجنَّة، فمن زعم أنَّهم في النَّار فقد كذب، يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ قال ابن عبَّاس: هي المدفونة(٦).

وقال عبد الرزاق: أخبرنا إسرائيل، عن سمَاك بن حرب، عن النعمان بن بشير، عن عمر بن الخطاب في قوله(٧): ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾، قال: جاء قيس بن عاصم إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني وأدت بنات لي في الجاهلية، فقال: «**أَعْتِقْ عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ رَقَبَةً**». قال: يا رسول الله، إني صاحب إبل؟ قال: «**فَانْحَرْ عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ بَدَنَةً**»(٨).

قال الحافظ أبو بكر البزار: خولف فيه عبد الرزاق، ولم نكتبه(٩) إلا عن الحسين بن مهدي عنه(١٠).

وقد رواه ابن أبي حاتم فقال: أخبرنا أبو عبد الله الظهراني -فيما كتب إلي- قال: حدَّثنا عبد الرزَّاق

---

(١) صححه الألباني: رواه أبو داود (٤٧١٧)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ١٣)، وابن حبان (١٤٨٠).

(٢) في (ز): (خنساء)، وهو خطأ.

(٣) في (ز): (عن عمتها قالت)، والمثبت موافق لما في «المسند».

(٤) صححه الألباني: أخرجه أحمد (٥/ ٥٨)، وحسنه الحافظ في «الفتح» (٣/ ٢٤٦) وصححه الألباني في «صحيح أبي داود».

(٥) مرسل: لأنه من رواية الحسن البصري: تابعي.

(٦) ابن أبي حاتم (١٩١٤٥).

(٧) لوحة (١٩٧ ب).

(٨) رجاله ثقات: رواه عبد الرزاق (٨٢٤٢) من طريقه، والحديث في «السلسلة الصحيحة» للألباني (٣٢٩٨).

(٩) في (ز): (ولم يكتبه)، والصواب ما أثبتناه.

(١٠) مسند البزار (٢٣٨).

فذكره بإسناده مثله، إلا أنَّه قال: «وأدت ثمان بنات لي في الجاهلية». وقال في آخره: «فَأَهْدِ إِنْ شِئْتَ عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ بَدَنَةً». ثم قال: حدَّثنا أبي، حدَّثنا عبد الله بن رجاء، حدَّثنا قيس بن الربيع، عن الأغر بن الصباح، عن خليفة بن حُصَين قال: قدم قيس بن عاصم علىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني وأدتُ اثنتي عشرة ابنة لي في الجاهلية -أو: ثلاث عشرة- قال: «أَعْتِقْ عَدَدَهُنَّ نَسَمًا». قال: فأعتق عددهن نسمًا، فلمَّا كان في العام المقبل جاء بمائة ناقةٍ، فقال: يا رسول الله، هذه صدقة قومي علىٰ أثر ما صنعت بالمسلمين. قال علي بن أبي طالب: فكنا نريحها، ونسمِّيها القيسية[(١)].

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ قال الضَّحَّاكُ: أعطي كلُّ إنسانٍ صحيفته بيَمِينِهِ أو بشماله. وقال قتادة: [صَحِيفَتُك][(٢)] يا ابن آدم، تُمْلِي فيها، ثم تُطْوَىٰ، ثم تنشر عليك يوم القيامة، فلينظر رجلٌ ماذا يُمْلِي في صحيفته؟!.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ قال مجاهد: اجتذبت. وقال السُّدِّي: كشفت. وقال الضَّحَّاكُ: تنكشطُ فتَذْهَبُ.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ قال السُّدِّي: أحميت. وقال قتادة: أوقدت. قال: وإنَّما يسعرها غضب الله وخطايا بني آدم.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ قال الضَّحَّاكُ، وأبو مالك، وقتادة، والربيع بن خُثَيمٍ؛ أي: قربت إلىٰ أهلها.

وقوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ هذا هو الجواب؛ أي: إذا وقعت هذه الأمور حينئذٍ تعلم كل نفسٍ ما عَمِلَتْ وأحضر ذلك لها، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]. وقال تعالىٰ: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣].

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا عبدة، حدَّثنا ابن المبارك، أخبرنا محمَّد بن مُطَرِّف، عن[(٣)] زيد ابن أسلم، عن أبيه قال: لما نزلت: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال عمر: لما بلغ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ قال: لهذا أجريَ الحديثُ[(٤)].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١٩١٦٨)، ورجاله ثقات عدا قيس بن الربيع: صدوق تغير لما كبر وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به.

(٢) سقط من (ز)، وهي مثبتة في «الطبري».

(٣) لوحة (١٩٨ أ).

(٤) رواه ابن أبي حاتم (١٩١٦٩)، وإسناده مرسل.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ[1] ﴿٢٩﴾﴾

روىٰ مسلم في «صحيحه»، والنسائي في «تفسيره» عند هذه الآية، من حديث مِسْعرِ بن كِدَام، عن الوليد بن سَرِيع، عن عمرو بن حُرَيْثٍ قال: صليت خلف النَّبيِّ ﷺ الصُّبح، فسمعته يقرأ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[2].

ورواه النسائي عن بندار، عن غُنْدَرٍ، عن شعبة، عن الحجاج بن عاصم، عن أبي الأسود، عن عمرو ابن حُرَيثٍ به نحوه.

قال ابن أبي حاتم وابن جرير، من طريق الثوري، عن أبي إسحاق، عن رجل من مراد، عن علي: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ قال: هي النجوم تخنس بالنَّهار، وتظهر باللَّيل[3].

وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن المثنىٰ، حدَّثنا محمَّد بن [جعفر، قال: حدَّثنا][4] شعبة، عن سماك بن حرب، سمعت خالد بن عرعرة، سمعت عليًّا وسئل عن: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ فقال: هي النُّجوم، تَخْنس بالنَّهار وتكنس باللَّيل[5][6].

وحدَّثنا أبو كُرَيْبٍ، حدَّثنا وَكِيعٌ، عن إسرائيل، عن سِماكٍ، عن خالد، عن عليٍّ قال: هي النُّجوم.

وهذا إسنادٌ جيِّدٌ صحيحٌ إلىٰ خالد بن عرعرة، وهو السَّهمي الكوفي، قال أبو حاتم الرازي: روىٰ عن علي، وروىٰ عنه سماك والقاسم بن عوف الشيباني. ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، والله أعلم.

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: مشيئة الإنسان باختياره، فالله ﷻ جعل للإنسان اختيارًا وإرادةً، إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل؛ لأنه لو لم يكن كذلك لم تقم الحجة علىٰ الخلق الذين أرسلت إليه الرسل بإرسال الرسل، فما نفعله هو باختيارنا وإرادتنا، ولولا ذلك ما كان لإرسال الرسل حجة علينا؛ إذ إننا نستطيع أن نقول: نحن لا نقدر علىٰ الاختيار. فالإنسان لا شك فاعل باختياره، وكل إنسانٍ يعرف أنه إذا أراد أن يذهب إلىٰ مكة فهو باختياره، وإذا أراد أن يذهب إلىٰ المدينة فهو باختياره... كذلك أيضًا من أراد أن يقوم بطاعة الله فهو باختياره، ومن أراد أن يعصي الله فهو باختياره، فللإنسان مشيئة، ولكن نعلم علم اليقين أنه ما شاء شيئًا إلا وقد شاءه الله من قبل.

(٢) مسلم (٤٧٥)، والنسائي (١١٦٥٠) (١١٦٥١).

(٣) رواه ابن أبي حاتم (١٩١٥٢)، والطبري (٣٠/ ٧٥)، وفيه رجلٌ لم يسم، ولكن رواه الطبري من طريقٍ أخرىٰ عن خالد بن عرعرة عن علي به، وخالد بن عرعرة لم يوثقه غير ابن حبان.

(٤) سقط من (ز)، والصواب إثباتها.

(٥) أي: تغيب.

(٦) صحيح: رواه الطبري (٣٠/ ٧٤)، وفيه خالد بن عرعرة: لم يوثقه غير ابن حبان، وبقية رجاله ثقات.

وروىٰ يونس، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي: أنَّها النُّجوم. رواه ابن أبي حاتم وكذا رُوي عن ابن عبَّاس، ومجاهد، والحسن، وقتادة، والسُّدِّي، وغيرهم: أنَّها النُّجوم.

وقال ابن جرير: حدَّثنا محمَّد بن بشار، حدَّثنا هَوذة بن خليفة، حدَّثنا عوف، عن بكر بن عبد الله في قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ قال: هي النُّجوم الدَّراريُّ، التي تجري تستقبل المشرق.

وقال بعض الأئمَّة: إنَّما قيل للنُّجوم: «الخُنَّس»؛ أي: في حال طلوعها، ثم هي جوارٍ في فلكها، وفي حال غيبوبتها يقال لها: «كُنَّس»[(١)] من قول العَرَبِ: أوىٰ الظَّبي إلىٰ كناسة[(٢)]: إذا تغيَّب فيه.

وقال الأعمش، عن إبراهيم قال: قال عبد الله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾ [قال: بقر الوحش. وكذا قال الثَّوري، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة، عن عبد الله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ][(٣)] ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ ما هي يا عمرو؟ قلت: البقر. قال: وأنا أرىٰ ذلك[(٤)].

وكذا روىٰ يونس عن أبي إسحاق، عن أبيه.

وقال أبو داود الطيالسي، عن عمرو، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس: [﴿ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ قال: البَقَرُ (الوحش) تكنس إلىٰ الظِّلِّ[(٥)]. وكذا قال سعيد بن جبير.

وقال العوفي، عن ابن عبَّاس:][(٦)] هي الظباء[(٧)]. وكذا قال سعيد أيضًا، ومجاهد، والضَّحَّاك.

وقال أبو الشعثاء جابر بن زيد: هي الظِّباء والبَقَر.

وقال ابن جرير: حدَّثنا يعقوب، حدَّثنا هُشَيْمٌ، أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم ومجاهد: أنهما تذاكرا هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ فقال إبراهيم لمجاهد: قل فيها بما سمعت. قال: فقال مجاهد: كنا[(٨)] نسمع فيها شيئًا، وناس يقولون: إنَّها النُّجوم. قال: فقال إبراهيم: قلْ فيها بما سمعت. قال: فقال مجاهد: كنَّا نسمع أنَّها بقر الوَحْش حين تكنس في حُجْرتها. قال: فقال إبراهيم: إنَّهم يكذبون علىٰ عليٍّ، هذا كما رَوَوْا عن عليٍّ أنَّه ضَمَّن الأسفل الأعلىٰ، والأعلىٰ الأسفل[(٩)].

---

(١) لوحة (١٩٨ ب).

(٢) الكَانِسُ: الظبي يدخل في كِناسِه، وهو: موضع في الشجر يَكتَنُّ فيه ويستتر...وقال الفراء في (الخُنَّسِ والكُنَّسِ): هي النجوم الخمسة تخنسُ في مَجراها وترجع، وتكنسُ تَستَتِر كما تكنسُ الظِّباء في المَغار، وهو الكِناسُ. «اللسان»: كنس.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).

(٤) رواه ابن أبي حاتم (١٩١٥٤)، والطبري (٣٠/ ٧٥-٧٦)، والحاكم (٢/ ٥١٦)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٥) عزاه في «الدر المنثور» (٨/ ٤٣٢) إلىٰ ابن أبي حاتم (١٩١٥٥) وابن المنذر.

(٦) سقط من (ز).

(٧) رواه الطبري (٣٠/ ٧٥)، وإسناده مسلسل بالضعفاء.

(٨) في (ز): (ما نسمع).

(٩) رجاله ثقات: رواه الطبري (٣٠/ ٧٦).

وتوقف ابن جرير في قوله: ﴿بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ هل هو النجوم، أو الظِّباء وبقر الوَحْشِ؟ قال: ويحتمل أن يكون الجميع مرادًا.

وقوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: إقباله بظلامه. قال مجاهد: أظلم. وقال سعيد بن جبير: إذا نشأ. وقال الحسن البصري: إذا غَشيَ النَّاس. وكذا قال عطية العوفي.

وقال علي بن أبي طلحة، والعوفي عن ابن عبَّاس: ﴿إِذَا عَسۡعَسَ﴾: إذا أدبر. وكذا قال مجاهد، وقتادة، والضَّحَّاكُ، وكذا قال زيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن: ﴿إِذَا عَسۡعَسَ﴾؛ أي: إذا ذهب فتولَّىٰ.

وقال أبو داود الطيالسي: حدَّثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي البَخْتَري، سمع أبا عبد الرحمن السلمي قال: خرج علينا عليٌّ ﷺ حين ثَوَّب المثوب بصلاة الصُّبح فقال: أين السَّائلون عن الوتر: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾؟ هذا حين أدبر[1] حسن.

وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله: ﴿إِذَا عَسۡعَسَ﴾ إذا أدبر. قال لقوله: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾؛ أي: أضاء، واستشهد بقول الشاعر أيضًا:

حَتَّىٰ إِذَا الصُّبْحُ لَهُ تَنَفَّسَا ... وَانْجَابَ عَنْهَا لَيْلُهَا وَعَسْعَسَا

أي: أدبر.

وعندي أنَّ المراد بقوله: ﴿عَسۡعَسَ﴾ إذا أَقْبَلَ، وإن كان يصحُّ استعماله في الإدبار[2]، لكن الإقْبَال هاهنا أنسب؛ كأنَّه أقسم تعالىٰ باللَّيل وظلامه إذا أقبل، وبالفَجْرِ وضيائه إذا أشرق، كما قال: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ١، ٢]، وقال: [﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾][3] [الضحىٰ: ١، ٢]، وقال: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦]، وغير ذلك من الآيات.

وقال كثير من علماء الأصول: إنَّ لفظة «عسعس» تستعمل في الإقبال والإدبار علىٰ وجه الاشْتِرَاك، فعلىٰ هذا يصح أن يراد كل منهما، والله أعلم.

قال ابن جرير: وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يزعم أن «عسعس»: دَنَا مِن أَوَّلِه وأَظْلَمَ. وقال الفرَّاء: كان أبو البلاد النَّحوي يُنشد بيتًا:

عَسْعَسَ حَتَّىٰ لَوْ يَشَاءُ ادَّنَا ... كَانَ لَهُ مِنْ ضَوْئِهِ مَقْبِسُ

يريد: لو يشاء إذ دَنَا، أدغم الذَّال في الدَّال. وقال الفرَّاء: وكانوا يَرَون أنَّ هذا البيت مصنوعٌ.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود الطيالسي (١٧٤)، كما ذكر ابن كثير، ورواه الحاكم (٢/ ٥١٦)، وصححه علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) لوحة (١٩٩ أ).

(٣) في (ز): (وقال الضحاك: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا﴾).

وقوله: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ قال الضَّحَّاكُ: إذا طلع. وقال قتادة: إذا أضاء وأقبل. وقال سعيد بن جبير: إذا نشأ. وهو المرويُّ عن علي ﷺ.

وقال ابن جرير: يعني: وَضوءُ النهار إذا أقبل وَتَبَيَّن.

وقوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يعني: إنَّ هذا القرآن لتَبْليغُ رسول كريم؛ أي: ملكٍ شريفٍ حَسَنِ الخلقِ، بَهِيِّ المنظر، وهو جبريل ﷺ. قاله ابن عبَّاس، والشعبي، وميمون بن مِهْران، والحسن، وقتادة، والضحاك، والربيع بن أنس، وغيرهم.

﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ كقوله: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾ [النجم: ٥، ٦]؛ أي: شديد الخَلْقِ، شديد البَطْشِ والفِعْل، ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾؛ أي: له مكانةٌ عند الله ﷻ، ومنزلةٌ رفيعةٌ.

قال أبو صالح في قوله: ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ قال: جبريل يدخُلُ في سَبْعِين حجابًا من نُورٍ بغير إذنٍ، ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾؛ أي: له وجاهةٌ، وهو مسموع القَولِ مطاع في الملإ الأعلىٰ.

قال قتادة: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾؛ أي: في السَّموات؛ يعني: ليس هو مِن أفناء[1] الملائكة، بل هُو مِن السَّادة والأشراف، مُعتَنَىٰ به، انتخب لهذِهِ الرِّسَالةِ العَظِيمةِ.

وقوله: ﴿أَمِينٍ﴾: صفة لجبريل بالأمانة، وهذا عظيمٌ جدًّا أنَّ الرَّبَّ ﷻ يُزَكِّي عبده ورسوله الملكي جبريل، كما زكَّىٰ عبده ورسوله البَشَري محمَّدًا ﷺ بقوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾.

قال الشَّعبي، وميمون بن مهران، وأبو صالح، ومن تقدَّم[2] ذكرهم: المراد بقوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ يعني: محمَّدًا ﷺ.

وقوله[3] تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ يعني: ولقد رأىٰ محمَّدٌ جبريلَ الَّذِي يأتيه بالرِّسالة عن الله ﷻ علىٰ الصُّورة التي خلقه الله عليها له ستمائةِ جناح ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾؛ أي: البيِّن، وهي الرُّؤية الأولىٰ التي كانت بالبَطْحَاءِ، وهي المذكورة في قوله: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ٥-١٠]، كما تقدَّم تفسيرُ ذلك وتقريره. والدَّليلُ أنَّ المرادَ بذلك: جبريل ﷺ.

والظَّاهر -والله أعلم- أنَّ هذه السُّورة نزلت قبل ليلة الإسراء؛ لأنَّه لم يذكر فيها إلا هذه الرُّؤية وهي الأُولَىٰ، وأمَّا الثَّانية وهي المذكورة في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: ١٣-١٦]، فتلك إنما ذكرت في سورة «النجم»، وقد نزلت بعد الإسراء.

---

(١) يقال: رجل من أفناء الناس؛ أي: لم يعلم ممن هو؟

(٢) في (ز): (ومن بعدهم). (٣) لوحة (١٩٩ ب).

وقوله: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ [بِظَنِينٍ]﴾؛ أي: وما محمَّد علىٰ ما أنزله الله إليه][1] بظنين؛ أي: بمُتَّهمٍ. ومنهم مَن قرأ[2] ذلك بالضَّاد[3]؛ أي: ببَخِيلٍ، بل يبذله لكل أحدٍ.

قال سفيان بن عُيينة: ظنين وضنين سواءٌ؛ أي: ما هو بكاذب، وما هو بفاجر. والظَّنين: المتَّهَم، والضَّنين: البخيل.

وقال قتادة: كان القرآن غيبًا، فأنزله الله علىٰ محمَّدٍ، فما ضَنَّ به علىٰ النَّاس، (بل بلَّغه ونشَرَهُ، وبذَلَهُ لكلِّ مَن أراده). وكذا قال عكرمة، وابن[4] زيد، وغير واحدٍ[5].

واختار ابنُ جرير قراءة الضَّاد. قلت: وكلاهما متواتر، ومعناه صحيح كما تقدَّم.

وقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾؛ أي: وما هذا القرآن بقول شيطانٍ رجيمٍ؛ أي: لا يقدر علىٰ حَمْلِهِ، ولا يُريدُهُ، ولا ينبغي له. كما قال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠ - ٢١٢].

وقوله: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾؛ أي: فأين تذهب عقولكم في تكذيبِكُم بهذا القرآن، مع ظهوره ووضوحِهِ، وبيان كونِهِ جاء من عند الله ﷻ؟! كما قال الصِّدِّيق ﵁ لوفد بني حنيفة حين قدموا مسلمين، وأمرهم فتلَوْا عليه شيئًا مِن قرآن مسيلمةَ الَّذي هو في غاية الهذيان والرَّكاكة، فقال: ويحكم، أين يُذهَب بعقولِكُم؟ والله إنَّ هذا الكلام لم يخرج من إلٍّ؛ أي: من إلهٍ.

وقال قتادة: [﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾][6] أي: عن كتاب الله وعن طاعته.

وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: هذا القرآن ذكر لجميع الناس، يتذكرون به ويتعظون، ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾؛ أي: من أراد[7] الهداية فعليه بهذا القرآن، فإنَّه منجاةٌ له وهدايةٌ، ولا هداية فيما سواه، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: ليست المشيئة موكولةً إليكم، فمَن شاء اهتدىٰ ومن شاء ضل، بل ذلك كله تابعٌ لمشيئة الله ﷻ رب العالمين.

قال سفيان الثوري، عن سعيد بن عبد العزيز، عن سليمان بن موسىٰ: لما نزلت هذه الآية: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ قال أبو جهل: الأمر إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم. فأنزل الله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[8].

آخر تفسير سورة التكوير، ولله الحمد.

---

(١) سقط من (ز). (٢) في (ز): (من فسر).

(٣) متواترة: قرأ (بِظَنِينٍ) ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو والكسائيُّ ورُوَيسٌ ووافقهُمُ ابنُ مُحيصنٍ واليزيديُّ، وقرأ الباقون (بِضَنِينٍ).

(٤) في (ز): (وأبو زيد)، وهو خطأ. (٥) هذه العبارة وقعت في (ز) قبل السابقة الموضوعة بين قوسين.

(٦) سقط من (ز). (٧) لوحة (٢٠٠ أ).

(٨) مرسل: رواه الطبري (٣٠/ ٨٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص٢٩٨).

سُورَةُ الانفِطَارِ

تفسير سورة الانفطار، وهي مكية

قال النسائي: أخبرنا محمَّد بن قدامة، حدَّثنا جرير، عن الأعمش، عن محارب بن دثَار، عن جابر قال: قام معاذ فصلَّىٰ العشاء الآخرة فطوَّل، فقال النَّبيُّ ﷺ: «أَفَتَّانٌ يَا مُعَاذُ؟! [أَفَتَّانٌ يَا مُعَاذُ؟!][1] أَيْنَ كُنْتَ عَنْ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾؟!».

وأصل الحديث مخرَّجٌ في «الصحيحين»[2] ولكن ذِكْرُ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ في أفراد النسائي. وتقدم من رواية عبد الله بن عمر، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ القِيَامَةِ رَأْيَ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾»[3].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ[4] ۝١٢﴾

يقول تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾؛ أي: انشقت. كما قال: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [الزمر: ١٨].

---

(١) سقط من (ز)، وهي مثبتة في «النسائي».

(٢) النسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٥٢)، وإسناده صحيح، وانظر ما بعده.

(٣) البخاري (٦١٠٦)، ومسلم (٤٦٥).

(٤) قال الشيخ القاسمي رحمه الله: قال الرازيّ: إن الله تعالىٰ أجرىٰ أموره مع عباده علىٰ ما يتعاملون به فيما بينهم؛ لأن ذلك أبلغ في تقرير المعنىٰ عندهم، ولمّا كان الأبلغ عندهم في المحاسبة إخراج كتاب بشهود، خوطبوا بمثل هذا فيما يحاسبون به يوم القيامة فيَخرج لهم كتب منشورة، ويَحضر هناك ملائكة يشهدون عليهم، كما يشهد عدول السلطان علىٰ من يعصيه ويخالف أمره، فيقولون له: أعطاك الملك كذا وكذا، وفعل بك كذا وكذا، ثم قد خالفته وفعلت كذا وكذا. فكذا هاهنا. والله أعلم بحقيقة ذلك. انتهىٰ.

ولا يخفىٰ أن الحفظة الكرام وعملهم من الغيب الذي لا يمكن اكتناهه؛ فيجب الإيمان به كما ورد، مع تفويض كنهه إلىٰ بارئه تعالىٰ. ومن الفضول في العلم التوسع فيما لا يدرك بالنظر وتسويد وجوه الصحف بها. وبالله سبحانه التوفيق.

﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ ؛ أي: تساقطت.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: فجَّر اللهُ بعضَها في بعض. وقال الحسن: فجَّر اللهُ بعضَها في بعضٍ، فذهب ماؤُها. وقال قتادة: اختلطَ مالحها بعَذْبِهَا. وقال الكلبي: ملئت.

﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ قال ابن عبَّاس: بُحِثَت. وقال السُّدِّي: تُبعثر: تُحرَّك[(١)] فيخرج من فيها.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ ؛ أي: إذا كان هذا حَصَل هذا.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ : هذا تهديدٌ، لا كما يتوهَّمُه بعض النَّاس من أنَّه إرشادٌ إلىٰ الجواب؛ حيث قال: ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾ حتىٰ يقول قائلهم: غرَّه كرمُهُ. بل المعنىٰ في هذه الآية: ما غرَّك يا ابن آدم بربك الكريم -أي: العظيم- حتىٰ أقدمت علىٰ معصيته، وقابلته بما لا يَلِيق؟ كما جاء في الحديث: «يَقُولُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ: ابْنَ آدَمَ، مَا غَرَّكَ بِي؟ ابْنَ آدَمَ، مَاذَا أَجَبْتَ المُرْسَلِينَ؟»[(٢)].

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا ابن أبي عمر، حدَّثنا سفيان: [أنَّ عمر][(٣)] سمع رجلًا يقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ فقال عمر: الجهل[(٤)].

وقال أيضًا: حدَّثنا عمر بن شَبَّة[(٥)]، حدَّثنا أبو خلف، حدَّثنا يحيىٰ البكاء، سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ قال ابن عمر: غره -والله- جهله[(٦)].

قال: ورُوي عن ابن عبَّاس، والرَّبيع بن خُثَيم والحسن، مثل ذلك.

وقال قتادة: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ شيءٌ، ما غرَّ ابن آدمَ غير[(٧)] هذا العدوّ الشيطان.

وقال الفضيل بن عياض: لو قال لي: «ما غرَّك بي لقلت: سُتُورك المُرخاة».

وقال أبو بكر [الوراق][(٨)]: لو قال لي: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ لقلت: غرَّني كرم الكريم.

قال البغوي: وقال بعض أهل الإشارة: إنَّما قال: ﴿بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ دون سائر أسمائه وصفاته، كأنَّه لقَّنه الإجابة، وهذا الذي تخيَّله هذا القائل ليس بطائل؛ لأنَّه إنَّما أتىٰ باسمه ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾ ؛ لينبِّه علىٰ أنَّه لا ينبغي أن يُقَابَل الكريم بالأفعال القبيحة، وأعمال السُّوء[(٩)].

---

(١) لوحة (٢٠٠ ب).

(٢) لم أقف علىٰ إسناده: رواه البغوي (٨/ ٢٥٦)، وابن المبارك في «الزهد» (٣٨)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١١٥٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٣٦٣)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ١٨٢/ ٨٨٩٩)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٤٧): ورجال الكبير رجال الصحيح غير شريك بن عبد الله: ثقة وفيه ضعف... إلخ.

(٣) سقط من (ز).

(٤) رواه ابن أبي حاتم (١٩١٧٤)، وإسناده منقطع بين سفيان بن عيينة وعمر بن الخطاب.

(٥) في (ز): (شيبة)، وهو خطأ.

(٦) ضعيف: في إسناده يحيىٰ البكاء: ضعيف، وكذا عمر بن شَبَّة.

(٧) في (ز): (ابن آدم وهذا).

(٨) سقط من (ز).

(٩) انظر: «تفسير البغوي» (٨/ ٢٥٦ – طيبة).

وقد حكىٰ البغوي، عن الكلبي ومقاتل أنهما قالا: نزلت هذه الآية في الأخنس بن شَريق[١]، ضرب النَّبيِّ ﷺ ولم يعاقب في الحالة [الرَّاهنة][٢]، فأنزل الله: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾[٣]؟.

وقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾؛ أي: ما غرَّك بالرَّبِّ الكريم ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾؛ أي: جعلك سَويًّا معتدلَ القامَةِ منتصبها، في أحسنِ الهيئات والأشكال.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا أبو النضر[٤]، حدَّثنا حَريزُ، حدَّثني عبد الرحمن بن مَيسرة، عن جُبير بن نُفير، عن بُسْر بن جحَاش القرشي: أن رسول الله ﷺ بَصَق يومًا في كفِّه، فوضع عليها إصبعه، ثم قال: «**قَالَ اللهُ ﷻ: ابْنَ آدَمَ أَنَّىٰ تُعْجِزُنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ؟!**[٥] **حَتَّىٰ إِذَا سَوَّيْتُكَ وَعَدَّلْتُكَ، مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ وَلِلأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ، فَجَمَعْتَ وَمَنَعْتَ، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ، وَأَنَّىٰ أَوَانُ الصَّدَقَةِ؟**»[٦].

وكذا رواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يزيد بن هارون، عن حريز بن عثمان به.

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزِّي: وتابعه يحيىٰ بن حمزة، عن ثور بن يزيد، عن عبد الرحمن ابن ميسرة.

وقوله: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ قال مجاهد: في أي شَبَه أبٍ أو أمٍّ أو خالٍ أو عمٍّ؟

وقال ابن جرير: [حدَّثني محمَّد بن سنان القزاز، حدَّثنا مُطَهَّر بن الهيثم، حدَّثنا موسىٰ بنُ عليِّ بن رَبَاح،][٧] حدَّثني أبي، عن جدي: أن النَّبيَّ ﷺ قال له: «**مَا وُلِدَ لَكَ؟**» قال: يا رسول الله، ما عسىٰ أن يُولَد لي؟ إمَّا غلام وإمَّا جارية. قال: «**فَمَنْ يُشْبِهُ؟**». قال: يا رسول الله، من عسىٰ أن يشبه؟ إمَّا أباه وإمَّا أمَّه. فقال النَّبيُّ ﷺ عندها: «**مَهْ، لا تَقُولَنَّ هَكَذَا، إِنَّ النُّطْفَةَ إِذَا اسْتَقَرَّتْ فِي الرَّحِمِ أَحْضَرَهَا اللهُ كُلَّ نَسَبٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ آدَمَ؟ أَمَا قَرَأْتَ هَذِهِ الآيَةَ فِي كِتَابِ اللهِ: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾**» قال: «**سَلَكَكَ**»[٨].

وهكذا رواه ابن أبي حاتم والطبراني، من حديث مُطهر بن الهيثم به، وهذا الحديث لو صحَّ لكان فيصلًا في هذه الآية، ولكن إسناده ليس بالثابت؛ لأنَّ «مُطَهَّر[٩] بن الهيثم» قال فيه أبو سعيد بن يونس:

---

(١) في (ز): (الأسود بن شَريق) وأكثر طبعات ابن كثير تثبته «الأسود»، وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه، ووقع هذا؛ لأنه في «تفسير البغوي» مثبت علىٰ الخطإ «الأسود بن شريق»، وإنما هو «الأخنس».

(٢) سقط من (ز).

(٣) ضعيف: لإعضاله، انظر: «تفسير البغوي» (٨/ ٢٥٦- طيبة).

(٤) في (ز): (أبو المغيرة).

(٥) لوحة (٢٠١ أ).

(٦) صحيح: رواه أحمد (١/ ٢١٠)، وابن ماجة (٢٧٠٧).

(٧) سقط من (ز)، والمثبت موافق لما في «الطبري».

(٨) ضعيف جدًّا: فيه مطهر بن الهيثم: متروك، رواه الطبري (٣٠/ ٨٧)، وابن أبي حاتم (١٩١٧٦)، والطبراني (٥/ ٧٤/ ٤٦٢٤).

(٩) في (ز): (مظفر)، وهو خطأ.

كان متروك الحديث. وقال ابن حبان: يَرْوي عن موسىٰ بن علي وغيره ما لا يُشبهُ حَديثَ الأثبات. ولكن في «الصحيحين» عن أبي هُرَيرة أن رَجُلًا قال: يا رسول الله، إن امرأتي وَلَدت غُلامًا أسودَ. قال: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟». قال: نعم. قال: «فَمَا أَلْوَانُهَا؟» قال: حُمرٌ. قال: «فَهَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقٍ؟» قال: نعم. قال: «فَأَنَّىٰ أَتَاهَا ذَلِكَ؟» قال: عسىٰ أن يكون نزعه عِرْقٌ. قال: «وَهَذَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ»[(١)].

وقد قال عكرمة في قوله: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ إن شاء في صورة قردٍ، وإن شاء في صورة خنزيرٍ. وكذا قال أبو صالح: إن شاء في صورة كلبٍ، وإن شاء في صورة حمارٍ، وإن شاء في صورة خنزيرٍ.

وقال قتادة: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ قال: قادر -والله- ربُّنا علىٰ ذلك.

ومعنىٰ هذا القول عند هؤلاء: أنَّ الله ﷻ قادرٌ علىٰ خلق النُّطفة علىٰ شكلٍ قبيحٍ من الحيوانات المنكرة الخلق، ولكن بقدرتِهِ ولطفِهِ وحلمِهِ يخلقه علىٰ شكلٍ حسنٍ مستقيمٍ معتدلٍ تامٍّ، حَسَن المنظرِ والهيئةِ.

وقوله: ﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾؛ أي: بل إنَّما يحملكم علىٰ مواجهة الكَريمِ ومقابلته بالمعاصي، تكذيب فِي[(٢)] قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب[(٣)].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ يعني: وإن عليكم لملائكةً حَفَظَةً كرامًا؛ فلا تُقَابِلُوهم بالقبَائح، فإنَّهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم.

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا علي بن محمَّد الطَّنَافِسِيُّ، حدَّثنا وَكيع، حدَّثنا سفيان ومِسْعَر، عن علقمة بن مَرْثَدٍ[(٤)]، عن مجاهد قال: قال رسول الله ﷺ: «أَكْرِمُوا الكِرَامَ الكَاتِبِينَ الَّذِينَ لا يُفَارِقُونَكُمْ إِلَّا عِنْدَ إِحْدَىٰ حَالَتَيْنِ: الجَنَابَةِ وَالغَائِطِ. فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ بِحَرَمِ حَائِطٍ أَوْ بِبَعِيرِهِ، أَوْ لِيَسْتُرْهُ أَخُوهُ»[(٥)].

وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار، فوصله بلفظٍ آخر، فقال: حدَّثنا محمَّد بن عثمان بن كرامة، حدَّثنا عبيد الله بن موسىٰ، عن حفص بن سليمان، عن علقمة بن مرثد، عن مجاهد، عن ابن عبَّاس قال: قال

---

(١) البخاري (٥٣٥)، ومسلم (١٥٠٠). (٢) لوحة (٢٠١ ب).

(٣) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: ﴿تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ٩﴾؛ أي: بالجزاء، وتقولون: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٣٧﴾، فتكذبون بالدين؛ أي: بالجزاء، وربما نقول: وتكذبون أيضًا بالدين نفسه، فلا تقرُّون بالدين الذي جاءت به الرسل، والآية شاملة لهذا وهذا؛ لأن القاعدة في علم التفسير وعلم شرح الحديث: «إنه إذا كان النص يحتمل معنيين لا ينافي أحدهما الآخر فإنه يُحمل عليهما».

(٤) في (ز): (يزيد)، والمثبت هو الصواب.

(٥) مرسل: لأنه من رواية مجاهد، رواه ابن أبي حاتم (١٩١٧٧).

رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُم عَنِ التَّعَرِّي، فَاسْتَحْيُوا مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ الَّذِينَ مَعَكُم، الكِرَام الكَاتِبِينَ، الَّذِينَ لَا يُفَارِقُونَكُمْ إِلَّا عِنْدَ إِحْدَىٰ ثَلَاثِ حَالَاتٍ: الغَائِطِ، وَالجَنَابَةِ، وَالغُسْلِ. فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ بِالعَرَاءِ فَلْيَسْتَتِرْ بِثَوْبِهِ، أَوْ بِحَرَمِ حَائِطٍ، أَوْ بِبَعِيرِهِ»(١).

ثم قال: حفص بن سليمان لين الحديث، وقد روي عنه، واحتمل حديثه.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدَّثنا زياد بن أيوب، حدَّثنا مُبَشِّر بن إسماعيل الحلبي، حدَّثنا تمام(٢) ابن نَجِيح، عن الحسن -يعني البصري- عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ حَافِظَيْنِ يَرْفَعَانِ إِلَىٰ اللهِ ﷻ مَا حَفِظَا فِي يَوْمٍ، فَيَرَىٰ فِي أَوَّلِ الصَّحِيفَةِ وَفِي آخِرِهَا اسْتِغْفَارٌ إِلَّا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي مَا بَيْنَ طَرَفَيِ الصَّحِيفَةِ»(٣).

ثم قال: تفرَّد به تمام بن نجيح، وهو صالح الحديث.

قلت: وثَّقه ابن معين، وضعفه البخاري، وأبو زُرْعة، وابن أبي حاتم، والنسائي، وابن عدي. ورماه ابن حبان بالوضع. وقال الإمام أحمد: لا أعرف حقيقة أمره.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدَّثنا إسحاق بن سليمان البغدادي المعروف بالقُلُوسِي، حدَّثنا بيان بن حمران، حدَّثنا سلام، عن منصور بن زاذان، عن محمَّد بن سيرين، عن أبي هُرَيرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً(٤) يَعْرِفُونَ بَنِي آدَمَ -وأحسبه قال: وَيَعْرِفُونَ أَعْمَالَهُمْ- فَإِذَا نَظَرُوا إِلَىٰ عَبْدٍ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللهِ ذَكَرُوهُ بَيْنَهُمْ وَسَمَّوْهُ، وَقَالُوا: أَفْلَحَ اللَّيْلَةَ فُلَانٌ، نَجَا اللَّيْلَةَ فُلَانٌ. وَإِذَا نَظَرُوا إِلَىٰ عَبْدٍ يَعْمَلُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ(٥) ذَكَرُوهُ بَيْنَهُمْ وَسَمَّوْهُ، وَقَالُوا: هَلَكَ فُلَانٌ اللَّيْلَةَ»(٦).

ثم قال البزَّار: سلام هذا، أحسبه سلام المدائني، وهو لَيِّن الحديث.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾

يخبر تعالىٰ عمَّا يصير الأبرار إليه من النَّعيم، وهم الَّذين أطاعوا الله ﷻ ولم يقابلوه بالمعاصي.

---

(١) ضعيف جدًّا: رواه البزار (٣١٧- كشف الأستار)، وفيه حفص بن سليمان: متروك الحديث؛ ولذا ضعفه الألباني، انظر: «الضعيفة» (٢٢٤٣).

(٢) في (ز): (هشام)، والمثبت هو الصواب.

(٣) ضعيف: رواه البزار (٣١٥٢- كشف الأستار) فيه تمام بن نجيح: ضعيف.

(٤) في (ز): (إن ملائكة الله). (٥) لوحة (٢٠٢ أ).

(٦) ضعيف جدًّا: رواه البزار (٢١٩٥-كشف)، وفيه سلام المدائني: متروك.

وقد روىٰ ابن عساكر في ترجمة «موسىٰ بن محمَّد»، عن هشام بن عمَّار، عن عيسىٰ بن يونس بن أبي إسحاق، عن عبيد الله، عن محارب، عن ابن عمر، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**إِنَّمَا سَمَّاهُمُ اللهُ الأَبْرَارَ؛ لِأَنَّهُمْ بَرُّوا الآبَاءَ وَالأَبْنَاءَ**»(١).

ثمَّ ذكر ما يَصِيرُ إليه الفجَّار من الجحيم والعذاب المقيم؛ ولهذا قال: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾؛ أي: يوم الحساب والجزاء والقِيَامَةِ، ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾؛ أي: لا يَغِيبُون عن العذَابِ ساعةً واحدةً، ولا يخفَّفُ عنهم مِن عذابها، ولا يُجَابُون إلىٰ ما يسألون مِن الموت أو الرَّاحة، ولو يومًا واحدًا.

وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ تعظيمٌ لشأنِ يوم القِيَامَة، ثم أكَّده بقوله: ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ثم فسَّره بقوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾؛ أي: لا يَقْدِرُ واحدٌ علىٰ نفعِ أحدٍ ولا خلاصِهِ ممَّا هو فيه، إلَّا أن يأْذَن اللهُ لِمَن يشاء ويَرْضَىٰ.

ونذكر هاهنا حديث: «**يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ [مِنَ النَّارِ]**(٢)**، لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»(٣). وقد تقدَّم في آخر تفسير سورة «الشُّعراء»؛ ولهذا قال: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ كقوله: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، وكقوله: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٢٦]، وكقوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] قال قتادة: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ والأمر واللهِ اليوم للهِ، ولكنَّه يومئذٍ لا ينازعُهُ أحدٌ.

آخر تفسير سورة الانفطار، ولله الحمد.

(١) ضعيف: عزاه لابن عساكر، وفيه عبيد الله بن الوليد الوصافي: ضعيف، ورواه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٤) موقوفًا علىٰ ابن عمر.

(٢) سقط من (ز).

(٣) رواه البخاري (٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٦) من حديث أبي هريرة، وله روايات أخرىٰ. انظر تفسير سورة الشعراء الآية (٢١٤).

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

تفسير سورة المطففين، وهي مدنيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ[1] ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾

قال النَّسائي وابن ماجه: أخبرنا محمَّد بن عقيل -زاد ابن ماجه: وعبد الرحمن بن بشر- قالا: حدَّثنا علي بن الحسين بن واقد، حدَّثني أبي، عن يزيد -هو ابن أبي سعيد النَّحوي، مولىٰ قريش- عن عكرمة، عن ابن عبَّاس قال: لما قَدِمَ نبيُّ الله ﷺ المدينةَ كانوا مِن أخبث النَّاس كيلًا فأنزل الله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فحَسَّنُوا الكيلَ بعد ذلك[2].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا جعفر بن النضر بن حماد، حدَّثنا محمَّد بن عبيد، عن الأعمش، عن عمرو ابن مُرّة، عن عبد الله بن الحارث، عن هلال بن طلق قال: بينا أنا أسير مع ابن عمر فقلت: مَن أحسن النَّاس هيئةً وأوفاه كيلًا؟ أهل مكَّة أو المدينة؟ قال: حُقَّ لهم، أما سمعت الله يقول: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾[3].

وقال ابن جرير: حدَّثنا أبو السائب، حدَّثنا ابن فضيل، عن ضرار، عن عبد الله المكتب، عن رجل، عن عبد الله قال: قال له رجلٌ: يا أبا عبد الرحمن، إنَّ أهل المَدِينَةِ ليُوفُونَ الكَيْلَ. قال: وما يمنعهم أَنْ يوفوا الكَيْلَ وقد قال الله ﷻ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ حتىٰ بلغ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4].

فالمراد بالتَّطفيف هاهنا: البَخْسُ في المِكْيَالِ والميزان، إما بالازْدِيَاد إن اقتضىٰ من النَّاس، وإمَّا بالنُّقصان إن قَضَاهم. ولهذا فسَّر تعالىٰ المطفِّفين الَّذِين وعدهم بالخَسَارِ والهَلاك وهو الوَيْلُ، بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: من النَّاس ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾؛ أي: يأخذون حقَّهم بالوافي والزَّائد، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾؛ أي: ينقصون. والأحسن أن يجعل «كالوا» و«وزنوا» متعديًا، ويكون «هم»

---

(١) لوحة (٢٠٢ ب).

(٢) رواه النسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٥٤)، وابن ماجة (٢٢٢٣)، والحاكم (٢/ ٣٣) وصححه، ووافقه الذهبي، وأودعه الشيخ مقبل في كتابه «الصحيح المسند في أسباب النزول»، وأورد الحديث وماله من متابعات ثم قال: (مجموع هذه المتابعات تدل علىٰ ثبوت الحديث).

(٣) رواه ابن أبي حاتم (١٩١٧٨).

(٤) رواه الطبري (٣٠/ ٩٠)، وفيه رجل لم يسم.

في محل نصب، ومنهم مَن يجعلها ضميرًا مؤكَّدًا للمستتر في قوله: «كالوا» و«وزنوا»، ويحذف المفعول لدلالة الكلام عليه، وكلاهما متقارب.

وقد أمر الله -تعالىٰ- بالوفاء في الكيل والميزان، فقال: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥]، وقال: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩]. وأَهْلَكَ الله قومَ شعيب ودمَّرهم علىٰ ما كانوا يبخسون النَّاس في المكيال والميزان.

ثم قال تعالىٰ متوعِّدًا لهم: ﴿أَلَا يَظُنُّ(١) أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؛ أي: أَمَا يخافُ أولئك من البَعْثِ والقيام بين يَدَي مَن يعلم السَّرائر والضَّمائر، في يومٍ عظيمِ الهول، كثيرِ الفزعِ، جليلِ الخطبِ، مَن خَسِرَ فيه أُدْخِلَ نارًا حاميةً؟

وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: يقومون حفاةً عراةً غُرلًا [في موقفٍ صعبٍ](٢) حَرِجٍ ضيِّقٍ ضَنكٍ علىٰ المجرم، ويغشاهم مِن أمر الله مَا تَعجزُ القوىٰ والحواس عنه.

قال الإمام مالك: عن نافع، عن ابن عمر أن النَّبيَّ ﷺ قال: «﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ **حَتَّىٰ يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَىٰ أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ**»(٣).

رواه البخاري، من حديث مالك(٤) وعبد الله بن عون، كلاهما عن نافع به. ورواه مسلم من الطريقين أيضًا. وكذلك رواه صالح [وثابت بن كيسان](٥) وأيوب بن يحيىٰ، وعبد الله وعبيد الله ابنا عمر، ومحمَّد بن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر به.

ولفظ الإمام أحمد: حدَّثنا يزيد، أخبرنا ابن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ **لِعَظَمَةِ الرَّحْمَنِ ﷻ يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّىٰ إِنَّ العَرَقَ لَيُلْجِمُ الرِّجَالَ إِلَىٰ أَنْصَافِ آذَانِهِمْ**»(٦).

حديثٌ آخر: قال الإمام أحمد: حدَّثنا إبراهيم بن إسحاق، حدَّثنا ابن المبارك، عن عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر، حدَّثني سليم بن عامر، حدَّثني المقداد -يعني ابن الأسود الكندي- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أُدْنِيَتِ الشَّمْسُ مِنَ العِبَادِ، حَتَّىٰ تَكُونَ قِيدَ [مِيلٍ](٧) أَوْ مِيلَيْنِ، قَالَ: فَتَصْهَرُهُمُ الشَّمْسُ، فَيَكُونُونَ فِي العَرَقِ كَقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَىٰ عَقِبَيْهِ،**

(١) لوحة (٢٠٣ أ).
(٢) في (ز): (أي موقف ضعيف).
(٣) البخاري (٤٩٣٨)، ومسلم (٢٨٦٢).
(٤) في (ز): (مالك بن عبد الله)، وهو خطأ.
(٥) سقط من (ز).
(٦) صحيح: رواه الإمام أحمد (٢/ ٣١).
(٧) سقط من (ز)، والمثبت موافق لما في «المسند».

وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَىٰ حَقْوَيْهِ(١)، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ إِلْجَامًا»(٢).

رواه مسلم، عن الحكم بن موسىٰ، عن يحيىٰ بن حمزة، والترمذي عن سويد، عن ابن المبارك، كلاهما عن ابن جابر به(٣).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدَّثنا الحسن بن سَوَّار، حدَّثنا اللَّيث بن سعد، عن معاوية بن صالح: أنَّ أبا عبد الرحمن حدَّثه، عن أبي أمامة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «تَدْنُو الشَّمْسُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَىٰ قَدْرِ مِيلٍ، وَيُزَادُ فِي حَرِّهَا كَذَا وَكَذَا، تَغْلِي مِنْهَا الهَوَامُّ كَمَا تَغْلِي القُدُورُ، يَعْرَقُونَ فِيهَا عَلَىٰ قَدْرِ خَطَايَاهُمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَىٰ كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَىٰ سَاقَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَىٰ وَسَطِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ»(٤). انفرد به أحمد(٥).

حديثٌ آخر: قال الإمام أحمد: حدَّثنا حسن، حدَّثنا ابن لَهِيعة، حدَّثنا أبو عُشَّانة حَي بن يُؤمِنَ، أنَّه سَمِعَ عقبةَ بنِ عامرٍ يقول: سمعتُ رسول ﷺ يقول: «تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الأَرْضِ فَيَعْرَقُ النَّاسُ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَبْلُغُ عَرَقُهُ عَقِبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَىٰ نِصْفِ السَّاقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، [وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ العَجُزَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الخَاصِرَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ مَنْكِبَيْهِ](٦)، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ وَسَطَ فِيهِ -وأشار بيده فألجمها فَاهُ، رأيتَ رسول الله ﷺ يشيرُ هكذا- وَمِنْهُمْ مَنْ يُغَطِّيهِ عَرَقُهُ» وضرب بيدِهِ إشارة(٧). انفرد به أحمد.

وفي حديث: «أَنَّهُمْ يَقُومُونَ سَبْعِينَ سَنَةً لا يَتَكَلَّمُونَ». وقيل: «يَقُومُونَ ثَلاثَمِائَةِ سَنَةٍ». وقيل: «يَقُومُونَ أَرْبَعِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَيُقْضَىٰ بَيْنَهُمْ فِي مِقْدَارِ عَشْرَةِ آلافِ سَنَةٍ»، كما في «صحيح مسلم» عن أبي هُرَيرة مرفوعًا: «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»(٨).

وقد قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا أبو عون الزِّيادي، أخبرنا عبد السلام بن عَجْلان، سمعت أبا يزيد المدني، عن أبي هريرة قال: قال النَّبيُّ ﷺ لبشير الغفاري: «كَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ فِي يَوْمٍ يَقُومُ النَّاسُ فِيهِ ثَلاثَمِائَةِ سَنَةٍ لِرَبِّ العَالَمِينَ، مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، لا يَأْتِيهِمْ فِيهِ خَبَرٌ مِنَ السَّمَاءِ وَلا يُؤْمَرُ فِيهِ بِأَمْرٍ؟». قال بشير: المستعان الله. قال: «فَإِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ فَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ كَرْبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَسُوءِ الحِسَابِ»(٩).

---

(١) الحِقو: معقد الإزار.

(٢) أحمد (٦/ ٣، ٤)، وإسناده صحيح، وانظر ما بعده.

(٣) مسلم (٢٨٦٤)، والترمذي (٢٤٢٣).

(٤) لوحة (٢٠٣ ب).

(٥) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٢٥٤) من حديث أبي أمامة.

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من (ز)، وهو مثبت من «المسند».

(٧) رواه أحمد (٤/ ١٥٧)، وفي إسناده ابن لهيعة: اختلط، لكن يشهد له الأحاديث السابقة.

(٨) صحيح مسلم (٩٨٧)، وانظر تفسير الآية (٤) من سورة المعارج.

(٩) ضعيف: رواه ابن جرير (٣٠/ ٩٣)، وفيه أبو يزيد المدني: مقبول، وعبد السلام بن عجلان. قال أبو حاتم: يكتب حديثه. وتوقف غيره في الاحتجاج به.

ورواه ابن جرير من طريق عبد السلام به.

وفي «سنن أبي داود»: أنَّ رسول الله ﷺ كان يتعوَّذ بالله مِن ضيقِ المقام يومَ القِيَامَة[١].

وعن ابن مسعود: يقومون أربعين سنةً رافعي رءوسِهِم إلى السَّماء، لا يكلِّمُهُم أحدٌ، قد ألجم العرق بَرَّهم وفاجرهم[٢].

وعن ابن عمر: يقومون مائةَ سنةٍ. رواهما ابن جرير[٣].

وفي «سنن أبي داود» والنَّسائي وابن ماجه، من حديث زيد بن الحباب، عن معاوية بن صالح، عن أزهر بن سعيد الحواري، عن عاصم بن حميد، عن عائشة: أنَّ رسول الله ﷺ كان يفتتح قيام اللَّيل: يكبِّر عشرًا، ويحمد عشرًا، ويسبِّح عشرًا، ويستغفر عشرًا، ويقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي». ويتعوَّذ من ضيق المقام يومَ القيامة[٤].

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾[٥] ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾[٦]

---

(١) إسناده حسن: رواه أبو داود (٧٦٦)، وسيأتي قريبًا.

(٢) رواه الطبري (٣٠/ ٩٣)، وفي أحد إسناديه شريك القاضي: سيئ الحفظ، والإسناد الثاني: حسن.

(٣) رواه الطبري (٣٠/ ٩٢) من طريق محمَّد بن حميد، وهو حافظ ضعيف، وبقية رجاله ثقات.

(٤) حسن: رواه أبو داود (٧٦٦)، والنسائي (٣/ ٢٠٨)، وابن ماجة (١٣٥٦).

(٥) لوحة (٢٠٤ أ).

(٦) قال الشيخ القاسمي رحمه الله: قال ابن القيم في «بدائع الفوائد» في هذه الآية ما مثاله: جمع لهم -سبحانه- بين العذابَيْن: عذاب الحجاب وعذاب النار، فألم الحجاب يفعل في قلوبهم وأرواحهم نظير ما تفعله النار في أجسامهم، كحال مَنْ حِيل بينه وبين أحب الأشياء إليه في الدنيا، وأخذ بأشد العذاب، فإن أخص عذاب الروح أن تتعلق بمحبوب لا غنىٰ لها عنه، وهي ممنوعة من الوصول إليه، فكيف إن حصل لها - مع تواري المحبوب عنها وطول احتجابه - بغضه لها ومقته وطرده وغضبه الشديد عليها؟ فأي نسبةٍ لألم البدن إلىٰ هذا الألم الذي لا يتصوره إلا من بلي به أو بشيء منه؟ فلو توهمت النفوس ما في احتجاب الله -سبحانه- عنها يوم لقائه من الألم والحسرة، لما تعرضت لأسباب ذلك الاحتجاب. وأنت ترىٰ المحبين في الدنيا لصورة، منتهىٰ حسنها إلىٰ ما يعلم، كيف يضجّون من ألم احتجاب محبوبهم عنهم وإعراضه وهجره؟ ويرىٰ أحدهم كالموت أو أشد منه من بين ساعة، كما قال:

وكنتُ أرىٰ كالموت من بَين ليلةٍ ... فَكَيفَ بِبَينٍ كَانَ مِيعَادَه الحَشر

وإنما يتبينُ الحال في هذا بمعرفة ما خلقت له الروح وما هيئت له وما فطرت عليه، وما لا سعادة لها ولا نعيم ولا حياة إلا بإدراكه.

فاعلم أن الله -سبحانه- خلق كل عضو من الأعضاء لغاية ومنفعة، فكماله ولذته في أن يحصل فيه ما خلق له، فخلقَ العين للإبصار، والأذن للسمع، والأنف للشم، واللسان للنطق، واليد للبطش، والرجل للمشي، والروح لمعرفته ومحبته والابتهاج بقربه والتنعم بذِكره، وجعل هذا كمالها وغايتها، فإذا تعطلت من ذلك كانت أسوأ حالًا من العينِ

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧﴾

يقول: حقًّا ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾؛ أي: إن مصيرهم ومأواهم لفي سجِّين -فعيل من السَّجن، وهو الضيق- كما يقال: فِسِّيق وشِرِّيب وخِمِّير وسِكِّير، ونحو ذلك. ولهذا عظم أمره فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾؛ أي: هو أمرٌ عظيمٌ، وسجنٌ مقيمٌ وعذابٌ أليمٌ.

ثم قد قال قائلون: هي تحت الأَرْضِ السَّابعة. وقد تقدَّم في حديث البراء بن عازب، في حديثه الطويل: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي رُوحِ الكَافِرِ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ»(١).

وسِجِّين: هي تحتَ الأرض السَّابعة. وقيل: صخرة(٢) تحت السَّابعة خضراء. وقيل: بئرٌ في جهنَّم.

وقد روىٰ ابن جرير في ذلك حديثًا غريبًا منكرًا لا يصحُّ، فقال: حدَّثنا إسحاق بن وهب الواسطي، حدَّثنا مسعود بن موسىٰ بن مُشكان الواسطي، حدَّثنا نَصر بن خُزَيمة الواسطي، عن شعيب بن صفوان، عن محمَّد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «الفَلَقُ: جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ مُغَطًّىٰ، وَأَمَّا سِجِّينٌ فَمَفْتُوحٌ»(٣).

والصحيح أنَّ «سِجِّينًا» مأخوذٌ من السَّجن، وهو الضيق، فإنَّ المخلوقات كل ما تسافل منها [ضاقَ، وكل ما تعالىٰ منها اتَّسع، فإنَّ الأفلاك السَّبعة كل واحدٍ منها](٤) أوسع وأعلىٰ من الَّذِي دونه، وكذلك الأرضون كل واحدةٍ أوسع من الَّتِي دونها، حتىٰ ينتهي السُّفول المُطْلَق والمَحَلُّ الأضيق إلىٰ المركز في

=

والأذن واللسان واليد والرِّجل التي تعطلت عما خلقت له، وحيل بينها وبينه. بل لا نسبة لألم هذه الروح إلىٰ ألم تلك الأعضاء المعطلة البتة، بَل ألمها أشد الألم، وهو من جنس ألمها إذا فقدت أحب الأشياء إليها وأعزه عليها، وحيل بينها وبينه، وشاهدت غيرها قد ظفر بوصله، وفاز بقربه ورضاه. والروح لا حياة لها ولا نعيم ولا سرور ولا لذة إلا بأن يكون الله وحده هو معبودها وإلهها ومرادها، الذي لا تقرّ عينها إلا بقربه والأنس به، والعكوف بكليتها علىٰ محبته والشوق إلىٰ لقائه، فهذا غاية كمالها وأعظم نعيمها وجنّتها العاجلة في الدنيا، فإذا كان يوم لقائه كان أعظم نعيمها رفع الحجاب الذي كان يحجبها في الدنيا عن رؤية وجهه وسماع كلامه، وفي حديث الرؤية: «**فوالله ما أعطاهم شيئًا أحبَّ إليهم من النظر إلىٰ وجهه**».

ثم قال: وكما جمع -سبحانه- لأعدائه بين هذين العذابَيْن، وهما ألم الحجاب وألم العذاب، جمع لمُحبيه بين نوعي النعيم: نعيم القرب والنظر، ونعيم الأكل والشرب، والنكاح والتمتع بما في الجنة، في قوله: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان:١١].

(١) صحيح: تقدم في تفسير سورة الأعراف الآية (٤١)، وتفسير سورة إبراهيم الآية (٣٧).

(٢) في (ز): (حجرة).

(٣) منكر: رواه الطبري (٣٠/ ٣٤٩)، وفيه مسعود بن موسىٰ، قال العقيلي: لا يعرف.

(٤) هذه العبارة وقعت في (ز) بعد كلمة «حتىٰ» في السطر التالي.

وسطِ الأرض السَّابعة. ولما كان مصير الفجَّار إلىٰ جهنَّم وهي أسفل السَّافلين، كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [التين: ٥، ٦]. وقال هاهنا: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ وهو يجمع الضِّيق والسُّفول، كما قال: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣].

وقوله: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ ليس تفسيرًا لقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ وإنَّما هو تفسيرٌ لما كتب لهم من المصير إلىٰ سجين؛ أي: مرقومٌ مكتوبٌ مفروغٌ منه، لا يُزَادُ فيه أحدٌ ولا يُنْقَصُ منه أحدٌ؛ قاله محمَّد بن كعب القرظي.

ثم[1] قال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾؛ أي: إذا صاروا -يوم القِيامَة- إلىٰ ما أوعدهم الله من السَّجن والعذاب المهين. وقد تقدَّم الكلام علىٰ قوله: ﴿وَيْلٌ﴾ بما أغنىٰ عَن إعادَتِهِ، وأنَّ المراد مِن ذلك أن الهَلَاك والدَّمار، كما يُقَال: ويلٌ لفلان. وكما جاء في «المسند» و«السُّنن» من رواية بَهْز بن حكيم بن معاوية بن حَيْدَة[2]، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ؛ لِيُضْحِكَ النَّاسَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ**»[3].

ثم قال تعالىٰ مفسِّرًا للمكذِّبين الفجَّار الكفرة: ﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾؛ أي: لا يُصدِّقُون بوقوعه، ولا يعتقدون كونه، ويستبعدون أمره. قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾؛ أي: معتدٍ في أفعالِهِ؛ من تعاطِي الحرام، والمجاوزة في تناول المُبَاح، والأثيم في أقواله: إن حدَّث كذب، وإن وعد أخلف، وإن خاصم فجر.

وقوله: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: إذا سمع كلام الله مِن الرَّسول يكذِّب به، ويظنُّ به ظنَّ السَّوء، فيعتقد أنَّه مفتعل مجموع من كتب الأوائل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤]، وقال: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]، قال الله تعالىٰ: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾؛ أي: ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا: إنَّ هذا القرآن أساطِير الأوَّلين. بل هو كلام الله ووحيُهُ وتنزيلُهُ علىٰ رسوله ﷺ، وإنَّما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرَّيْنِ الَّذِي قد لبس قلوبهم مِن كثرة الذُّنوب والخطايا؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾، والرَّين يعتري قلوبَ الكافرين، والغَيْمُ للأبرار، والغَيْنُ للمقرَّبين.

وقد روىٰ ابن جرير والترمذي والنسائي وابن ماجة من طرق، عن محمَّد بن عَجْلان، عن القعقاع

---

(١) لوحة (٢٠٤ ب). (٢) في (ز): (خلدة)، وهو خطأ.

(٣) حسن: رواه أبو داود (٤٩٩٠)، والترمذي (٢٣١٦)، وأحمد (٥/ ٥٠٣).

ابن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ مِنْهَا صُقِلَ قَلْبُهُ(١)، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»(٢)(٣).

وقال الترمذي: حسن صحيح. ولفظ النَّسائي: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ، فَإِنْ هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّىٰ تَعْلُوَ قَلْبَهُ، فَهُوَ الرَّانُ الَّذِي قَالَ اللهُ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾».

وقال أحمد: حدَّثنا صفوان بن عيسىٰ(٤)، أخبرنا ابن عَجْلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّىٰ تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَذَاكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ فِي القُرْآنِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»(٥).

[وقال الحسن البصري: هو الذَّنب علىٰ الذَّنب، حتىٰ يَعْمَىٰ القلب، فيموت. وكذا قال مجاهد [بن جبر](٦) وقتادة، وابن(٧) زيد، وغيرهم](٨).

وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾؛ أي: لهم يومَ القيامة مَنزِلٌ ونزل سِجِّين، ثم هم [يوم القِيامَة](٩) مع ذلك محجُوبون عن رؤيةِ ربِّهم وخالقهم.

قال الإمام أبو عبد الله الشافعي: في هذه الآية دليلٌ علىٰ أنَّ المؤمنين يرونه ﷻ يومئذٍ.

وهذا الَّذِي قاله الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ في غاية الحُسْنِ، وهو استدلال بمفهومِ هذه الآية، كما دلَّ عليه منطوق قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]. وكما دلَّت علىٰ ذلك الأحاديث الصِّحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم ﷻ في الدَّار الآخرة، رؤية بالأبصار في عَرَصاتِ القيامة، وفي رَوْضَاتِ الجِنان الفاخرةِ.

---

(١) أي: جلي، يقال: صقله: جلاه.

(٢) لوحة (٢٠٥ أ).

(٣) حسن: رواه الطبري (٣٠/ ٢٨)، والترمذي (٣٣٣١)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٥٨)، وأحمد (٢/ ٢٩٧)، و قال الترمذي: حسن صحيح.

(٤) في (ز): (صفوان بن علية)، والمثبت هو الصواب، وهو موافق لما في «المسند».

(٥) إسناده حسن: رواه أحمد (٢/ ٢٩٧)، ومحمد بن عجلان: صدوق كما في «التقريب»، فالإسناد حسن.

(٦) في (ز): (مجاهد وابن جبير).

(٧) في (ز): (وأبو زيد).

(٨) هذه العبارة وقعت في (ز) قبل الحديثين السابقين.

(٩) سقط من (ز).

وقد قال ابن جرير: [حدثني محمَّد بن عمار الرازي][(١)]: حدَّثنا أبو معمر المنْقريُّ[(٢)]، حدَّثنا عبد الوارث بن سعيد، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن في قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ قال: يكشف الحجابُ، فينظر إليه المؤمنون والكافرون، ثم يحجب عنه الكافِرُون، وينظر إليه المؤمنون. كُلَّ يوم غدوة وعشيَّة، أو كلامًا هذا معناه.

قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ الْجَحِيمِ﴾؛ أي: ثمَّ هم مع هذا الحِرْمَان عن رؤيةِ الرَّحمن مِن أهل النِّيران، ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾؛ أي: يقال لهم ذلك علىٰ وجه التَّقريع والتَّوبيخ، والتَّصغير والتَّحقير.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ الْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ[(٣)] ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

يقول تعالىٰ: حقًّا ﴿إِنَّ كِتَٰبَ الْأَبْرَارِ﴾ -وهم بخلافِ الفجَّار-، ﴿لَفِى عِلِّيِّينَ﴾؛ أي: مصيرهم إلىٰ علِّيِّين، وهو بخلاف سِجِّين.

قال الأعمش، عن شَمر بن عطية، عن هلال بن يَسَاف قال: سأل ابن عبَّاسٍ كعبًا -وأنا حاضر- عن سِجِّين، قال: هي الأرض السَّابعة، وفيها أرواحُ الكفَّار. وسأله عن عِلِّيين فقال: هي السَّماء السَّابعة، وفيها أرواح المُؤْمِنِين[(٤)]. وهكذا قال غير واحد: إنَّها السَّماء السَّابعة.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ الْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ يعني: الجنَّة[(٥)].

وفي رواية العَوفي، عنه: أعمالهم في السَّماء عند الله[(٦)]. وكذا قال الضَّحَّاكُ.

وقال قتادة: عِلِّيُّون: ساق العرشِ اليُمْنَىٰ. وقال غيره: علِّيُّون عند سدرة المُنْتَهَىٰ.

والظَّاهر: أنَّ عِلِّيين مأخوذٌ مِن العُلُوِّ، وكُلَّما علَا الشَّيءُ وارْتَفَع عَظُم واتَّسع؛ ولهذا قال معظِّمًا أمره ومفخِّمًا شأنه: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾، ثم قال مؤكدًا لما كتب لهم: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ وهم الملائكة، قاله قتادة.

---

(١) سقط من (ز). (٢) في (ز): (المقري).

(٣) لوحة (٢٠٥ ب).

(٤) رواه الطبري (٣٠/ ١٠١)، وإسناده صحيح إلىٰ كعب الأحبار، لكنه يروي من كتب بني إسرائيل فمثله لا يصدق ولا يكذب.

(٥) رواه الطبري (٣٠/ ١٠٢)، وإسناده منقطع.

(٦) رواه الطبري (٣٠/ ١٠٣)، وهو مسلسل بالضعفاء.

وقال العوفي، عن ابن عبَّاس: يشهده مِن كل سماءٍ مقرَّبُوها[١].

ثم قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾؛ أي: يوم القيامة هُم في نعيمٍ مقيمٍ، وجنَّاتٍ فيها فضلٌ عميمٌ، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ وهي: السُّرر تحت الحِجَال، ﴿يَنظُرُونَ﴾ قيل: معناه: ينظرون في مُلكهم وما أعطاهُم الله مِن الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يَبِيدُ. وقيل: معناه ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ إلىٰ الله ﷻ. وهذا مقابلة لما وُصف به أولئك الفجَّار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فذكر عن هؤلاء أنَّهم يُبَاحُون النَّظر إلىٰ الله ﷻ وهم علىٰ سُرُرِهم وفرشهم، كما تقدَّم في حديث ابن عمر: «**إِنَّ أَدْنَىٰ أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ مَسِيرَةَ أَلْفَيْ سَنَةٍ، يَرَىٰ أَقْصَاهُ كَمَا يَرَىٰ أَدْنَاهُ، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ اللهِ فِي اليَوْمِ مَرَّتَيْنِ**»[٢].

وقوله: ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ أي: تَعرِفُ إذا نظرت إليهم في وجوههم[٣] نضرةَ النَّعيم؛ أي: صفة التَّرافة والحشمة، والسُّرور والدِّعة والرِّياسة؛ مما هم فيه من النَّعيم العَظِيم.

وقوله: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾؛ أي: يسقون مِن خمرٍ من الجنَّة. والرَّحيق: مِن أسماء الخَمْرِ. قاله ابن مسعود، وابن عبَّاس، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وابن زيد.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا حسن، حدَّثنا زهير، عن سعد أبي المجاهد الطائي، عن عطية بن سعد العوفي، عن أبي سعيد الخدري -أراه قد رفعه إلىٰ النَّبيِّ ﷺ- قال: «**أَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَقَىٰ مُؤْمِنًا شَرْبَةً عَلَىٰ ظَمَإٍ سَقَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ المَخْتُومِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٌ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلَىٰ جُوعٍ، أَطْعَمَهُ اللهُ مِنْ ثِمَارِ الجَنَّةِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٌ كَسَا مُؤْمِنًا ثَوْبًا عَلَىٰ عُرْيٍ، كَسَاهُ اللهُ مِنْ خُضْرِ الجَنَّةِ**»[٤].

وقال ابن مسعود في قوله: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ أي: خلطه مسك.

وقال العوفي، عن ابن عبَّاس: طيَّب الله لهم الخمر، فكان آخر شيءٍ جعل فيها مسك، خُتِم بمسكٍ. وكذا قال قتادة والضَّحَّاك.

وقال إبراهيم والحسن: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾؛ أي: عاقبتُهُ مسكٌ.

وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن حميد، حدَّثنا يحيىٰ بن واضح، حدَّثنا أبو حمزة، عن جابر، عن عبد الرحمن بن سابط[٥]، عن أبي الدرداء: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ قال: شرابٌ أبيض مثل الفضَّة، يختمون به

---

(١) رواه الطبري (٣٠/ ١٠٤)، ولفظه: كل أهل السماء، وإسناده ضعيف.

(٢) رواه أحمد (٢/ ١٣)، والترمذي (٣٣٢٧)، وإسناده ضعيف، وعلته ثوير بن أبي فاختة: ضعيف كما في «التقريب».

(٣) لوحة (٢٠٦ أ).

(٤) ضعيف: رواه أحمد (٣/ ١٣)، والترمذي (٢٢٥١)، وفيه عطية العوفي: شيعي مدلس.

(٥) في (ز): (ساقط)، وهو خطأ.

شَرَابُهُم. ولو أنَّ رجلًا من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثمَّ أخرجها، لم يبقَ ذو روحٍ إلَّا وجد طِيبَهَا[١].

وقال ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٌ﴾ قال: طيبه مسك.

وقوله: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾؛ أي: وفي مثلِ هذا الحال فليتفاخر المُتَفَاخِرُون، ولْيَتَبَاهَىٰ ويُكاثِرُ ويَستَبِقُ إلىٰ مثله المُستَبِقُون. كقوله: ﴿لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].

وقوله: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ﴾؛ أي: ومزاج هذا الرَّحيق الموصوف مِن تسنيمٍ؛ أي: من شراب يقال له: تسنيم، وهو أشرف شراب أهل الجنَّة وأعلاه. قاله أبو صالح والضَّحَّاك؛ [ولهذا قال: ﴿عَيۡنًا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾؛ أي: يشربها المقرَّبون صِرْفًا، وتُمزَجُ لأصحاب اليَمِين][٢] [مَزجًا][٣]. قاله ابن مسعود، وابن عبَّاس، ومسروق، وقتادة، وغيرهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ[٤] إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

يخبر تعالىٰ عن المجرمين أنَّهم كانوا في الدَّار الدُّنيا يضحكون مِن المؤمنين؛ أي: يَستَهْزِئُون بهم ويحتقرُونَهم، وإذا مرُّوا بالمُؤْمِنِين يتغامَزُون عليهم؛ أي: مُحتَقِرِينَ لهم، ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ[٥]﴾؛ أي: إذا انقلب -أي: رجع- هؤلاء المُجرِمُون إلىٰ منازلهم، انقلبوا إليها فاكهين: مهما طلبوا وجدوا، ومع هذا ما شَكَرُوا نعمة الله عليهم، بل اشتَغَلُوا بالقَوْمِ المؤمنين يحتقرونهم ويحسدونهم، ﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾؛ أي: لِكَونِهم علىٰ غير دينهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ﴾؛ أي: وما بُعِثَ هؤلاء المُجرِمُون حافظين علىٰ هؤلاء المُؤمِنِين ما يصدر مِن أعمالهم وأقوالهم، ولا كُلِّفُوا بهم فلِمَ اشتغلوا بِهِم وجعلوهم نُصْبَ أعينهم، كما قال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨ - ١١١].

---

(١) رواه الطبري (٣٠/ ١٠٧)، وفيه محمَّد بن حميد، قال عنه الحافظ في «التقريب»: حافظٌ ضعيف، وكان ابن معين حسن الرأي فيه. وجابر الجعفي: ضعيف.

(٢) هذه العبارة وقعت في (ز) في نهاية هذه الفقرة.

(٣) سقط من (ز). (٤) لوحة (٢٠٦ ب).

(٥) في (ز): «فاكهين» وهي قراءة متواترة: قَرَأَ (فَكِهِينَ) أَبُو جعفرٍ وَحفصٌ وَابنُ عَامِرٍ بِخُلفٍ عَنهُ، وَقَرَأَ البَاقُونَ (فَاكِهِينَ).

ولهذا قال هاهنا: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ﴾؛ أي: في مقابلة ما ضَحِكَ بهم أولئك، ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾؛ أي: إلىٰ الله ﷻ في مقابلة مَن زعم فيهم أنهم ضالُّون، ليسوا بضالِّين، بل هم مِن أولياء الله المقرَّبين، ينظرون إلىٰ رَبِّهم في دارِ كرامَتِهِ.

وقوله: ﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾؛ أي: هل جُوزِيَ الكفَّار علىٰ ما كانوا يُقَابِلُون به المُؤْمِنِين من الاستهزاء والتَّنقُّصِ أم لا؟! يعني: قد جُوزُوا أوفرَ الجَزَاءِ وأتمَّه وأكمله.

آخر المطففين.

سُورَةُ الانْشِقَاقِ

تفسير سورة الانشقاق، وهي مكية

قال مالك: عن عبد الله بن يزيد، عن أبي سلمة: أنَّ أبا هريرة قرأ بهم: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ[1] ٱنشَقَّتْ﴾ فسجد فيها، فلمَّا انصرف أخبرهم أنَّ رسول الله ﷺ سَجَدَ فيها. رواه مسلم والنَّسائي، من طريق مالك به[2].

وقال البخاري: حدَّثنا أبو النعمان، حدَّثنا معتمر، عن أبيه، عن بكر، عن أبي رافع قال: صليت مع أبي هُرَيرة العَتَمَة فقرأ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ فسجد، فقلت له، قال: سجدتُ خلف أبي القاسم ﷺ فلا أزال أسجد بها حتىٰ ألقاه[3].

ورواه أيضًا عن مسدد، عن معتمر به. ثم رواه عن مسدد، عن يزيد بن زُرَيع، عن التيمي، عن بكر، عن أبي رافع، فذكره وأخرجه مسلم وأبو داود والنَّسائي من طرق، عن سليمان بن طِرْخان التيمي به.

وقد رویٰ مسلم وأهل السُّنن من حديث سفيان بن عُيَينة -زاد النَّسائي: وسفيان الثوري- كلاهما عن أيوب بن موسیٰ، عن عطاء بن ميناء، عن أبي هريرة قال: سجدنا مع رسول الله ﷺ في ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ و﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[4].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥﴾

يقول تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ وذلك يوم القيامة، ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾؛ أي: استمعت لربِّها، وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق، ﴿وَحُقَّتْ﴾؛ أي: وحُقَّ لها أن تُطِيعَ أمره؛ لأنَّه العَظِيم الَّذِي لا يُمانَع ولا يُغالَب، بل قد قهر كلَّ شيءٍ، وذلَّ له كلُّ شيءٍ.

---

(١) لوحة (٢٠٧ أ).

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (١/ ١٨١/ ١٢).

(٣) رواه البخاري (٧٦٦) (١٠٧٨)، ومسلم (٥٧٨).

(٤) رواه مسلم (٥٧٨)، وأبو داود (١٤٠٧)، والنسائي (٢/ ١٦٢).

ثم قال: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾؛ أي: بُسِطَت وفرشت ووُسِّعَت.

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: حدَّثنا ابن عبد الأعلىٰ، حدَّثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، عن علي بن الحسين أن النَّبيَّ ﷺ[1] قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ مَدَّ اللهُ الأَرْضَ مَدَّ الأَدِيمِ، حَتَّىٰ لا يَكُونَ لِبَشَرٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَوْضِعَ قَدَمَيْهِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُدْعَىٰ، وَجِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَاللهِ مَا رَآهُ قَبْلَهَا، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّ هَذَا أَخْبَرَنِي أَنَّكَ أَرْسَلْتَهُ إِلَيَّ؟ فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: صَدَقَ. ثُمَّ أَشْفَعُ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، عِبَادُكَ عَبَدُوكَ فِي أَطْرَافِ الأَرْضِ. قَالَ: وَهُوَ المَقَامُ المَحْمُودُ»[2].

وقوله: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾؛ أي: ألقت مَا فِي بَطْنِهَا مِن الأموات، وتخلَّت منهم. قاله مجاهد، وسعيد، وقتادة، ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ كما تقدَّم.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾؛ أي: ساعٍ إلىٰ ربِّك سعيًا، وعامل عملًا ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾، ثم إنَّك ستلقىٰ ما عَمِلْتَ مِن خيرٍ أو شرٍّ. ويشهد له ما رواه أبو داود الطيالسي، عن الحسن بن أبي جعفر، عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُلاقِيهِ»[3].

ومن النَّاس مَن يعيد الضَّمير علىٰ قوله: ﴿رَبِّكَ﴾؛ أي: فملاقٍ ربَّك، ومعناه: فيُجَازِيكَ بعملِكَ ويُكَافِئُكَ علىٰ سَعْيِكَ. وعلىٰ هذا فكلا القَوْلَيْنِ متلازم.

قال العوفي، عن ابن عبَّاس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ يقول: تعمل عملًا تلقىٰ الله به، خيرًا كان أو شرًّا.

وقال قتادة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ إن[4] كدحك -يا ابن آدم- لضعيفٌ، فمَن استطاع أن يكون كَدْحُهُ في طاعة الله فَلْيَفْعَلْ، ولا قوَّة إلَّا بالله.

ثمَّ قال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؛ أي: سهلًا بلا تَعْسِيرٍ؛ أي: لا يُحَقَّق عليه جَمِيعَ دَقَائِقِ أعماله؛ فإنَّ مَن حوسب كذلك يَهْلَكُ لا محالة.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا إسماعيل، أخبرنا أيوب، عن عبد الله بن أبي مُلَيكة، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نُوقِشَ الحِسَابُ عُذِّبَ». قالت: فقلت: أليس قال الله: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا

---

(١) لوحة (٢٠٧ ب).

(٢) مرسل: رواه ابن جرير (١٥/ ١٤٢)، والحاكم (٤/ ٥٧١).

(٣) حسن لغيره: رواه الطيالسي (١٧٥٦)، وفيه الحسن بن أبي جعفر: ضعيف، لكن للحديث شواهد استوفاها الشيخ الألباني. انظر: «الصحيحة» (٨٣١).

(٤) في (ز): (أي).

يَسِيرًا﴾، قال: «لَيْسَ ذَاكَ بِالحِسَابِ، وَلَكِنْ ذَلِكَ العَرْضُ، مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَوْمَ القِيَامَةِ عُذِّبَ»[(١)].

وهكذا رواه البخاري[(٢)] ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير، من حديث أيوب السختياني به[(٣)].

وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن وَكِيع، حدَّثنا روح بن عبادة، حدَّثنا أبو[(٤)] عامر الخزَّاز، عن ابن أبي مُلَيْكَةَ، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّه لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا مُعَذَّبًا». فقلت: أليس الله يقول: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، قال: «ذَاكَ العَرْضُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ»، وقال بيده على إصبعه كأنَّه[(٥)] يَنكُتُ[(٦)]، وقد رواه أيضًا عن عمرو بن علي، عن ابن أبي عدي، عن أبي يونس القُشَيري، عن ابن أبي مُلَيكة، عن القاسم، عن عائشة، فذكر الحديث. أخرجاه من طريق أبي يونس القُشَيري، واسمه حاتم بن أبي صغيرة به[(٧)].

قال ابن جرير: حدَّثنا نصر بن علي الجهضمي، حدَّثنا مسلم، عن الحَرِيش بن الخِرِّيت أخي الزبير، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: من نُوقِش الحساب -أو: من حُوسِب- عُذِّبَ. قال: ثم قالت: إنَّما الحسابُ اليسيرُ عَرضٌ على الله ﷻ وهو يراهم[(٨)].

وقال أحمد: حدَّثنا إسماعيل، حدَّثنا محمَّد بن إسحاق، حدَّثني عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير، [عن عباد بن عبد الله بن الزبير][(٩)]، عن عائشة قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول في بعض صلاته: «اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا». فلمَّا انصرف قلت: يا رسول الله، ما الحساب اليسير؟ قال: «أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِهِ فَيَتَجَاوَزُ لَهُ عَنْهُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ -يَا عَائِشَةُ- يَوْمَئِذٍ هَلَكَ»[(١٠)]. صحيح على شرط مسلم.

قوله تعالى: ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾؛ أي: ويرجع إلى أهله في الجنَّة. قاله قتادة، والضَّحَّاك، ﴿مَسْرُورًا﴾؛ أي: فرحان مغتبطًا بما أعطاه الله ﷻ.

وقد روى الطبراني عن ثوبان -مولى رسول الله ﷺ- أنَّه قال: إنَّكم تعملون أعمالًا لا تعرف، ويُوشِكُ العازبُ أن يَثُوبَ إلى أهله، فمَسْرُورٌ ومكظومٌ[(١١)].

---

(١) أحمد (٦/ ٤٧). (٢) لوحة (٢٠٨ أ).

(٣) البخاري (٤٩٣٩، ٦٥٣٦)، ومسلم (٢٨٧٦)، والترمذي (٢٤٢٨)، والنسائي في «الكبرى» (١١٦٥٩).

(٤) في (ز): (ابن عامر)، والمثبت هو الصواب.

(٥) في (ز): (فإنه ينكت)، والمثبت كما في «الطبري».

(٦) رواه الطبري (٣٠/ ١١٦)، وفيه ابن وكيع: ضعيف، ولكن يشهد له الطرق السابقة دون قوله: وقال بيده على إصبعه.... إلخ.

(٧) البخاري (٦٥٣٧)، ومسلم (٢٨٧٦)، والطبري (٣٠/ ١١٦).

(٨) رواه الطبري (٣٠/ ١١٦)، وفي إسناده حَرِيش بن الخِرِّيت: ضعيف كما في «التقريب».

(٩) سقط من (ز)، والمثبت موافق لما في «المسند».

(١٠) صحيح: رواه أحمد (٦/ ٤٨).

(١١) ضعيف: رواه الطبراني (٢/ ٩٤/ ١٤١٦)، وفيه يحيى الحماني: ضعيف، واتهموه بسرقة الحديث.

وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾؛ أي: بشماله من وراءِ ظهرِه، تُثْنىٰ يده إلىٰ ورائه ويعطىٰ كتابَهُ بها كذلك، ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾؛ أي: خسارًا وهلاكًا، ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾؛ أي: فَرِحًا لا يُفكِّر في العواقب، ولا يخاف ممَّا أمامه، فأعقبه ذلك الفرحُ اليسيرُ الحزنَ الطويلَ، ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾؛ أي: كان يعتقد أنَّه لا يرجع إلىٰ الله[1] ولا يُعيدُه بعد موته. قاله ابن عبَّاس، وقتادة، وغيرهما. والحَوْرُ: هو الرُّجوع. قال الله: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ يعني: بلىٰ سيُعيدُه الله كما بدأه، ويجازيهِ علىٰ أعمالِهِ خيرها وشرِّها، فإنَّه ﴿كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾؛ أي: عليمًا خبيرًا.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾

رُوي عن علي، وابن عبَّاس، وعُبادة بن الصامت، وأبي هُرَيرة، وشداد بن أوس، وابن عمر، ومحمَّد بن علي بن الحسين، [ومكحول][2]، وبكر بن عبد الله المزني، وبُكَيْر بن الأشج، ومالك، وابن أبي ذئب، وعبد العزيز بن [أبي][3] سلمة الماجشُون أنَّهم قالوا: الشَّفق: الحُمْرَةُ.

وقال عبد الرزاق، عن مَعْمَرٍ، عن ابن خُثَيمٍ عن ابن لبينة[4]، عن أبي هُرَيرة قال: الشَّفق: البياض[5].

فالشَّفق هو: حمرة الأفق إمَّا قبل طلوع الشَّمس -كما قاله مجاهد- وإما بعد غروبها كما هو معروفٌ عند أهل اللُّغة.

قال الخليل بن أحمد: الشفق: الحمرة من غروب الشَّمس إلىٰ وقت العِشَاءِ الآخرة، فإذا ذهب قيل: غاب[6] الشَّفق.

وقال الجوهري: الشَّفق: بقيَّة ضوء الشَّمس وحمرتُها[7] في أوَّل اللَّيل[8] إلىٰ قريب من العَتَمَةِ.

---

(١) لوحة (٢٠٨ ب). (٢) سقط من (ز).

(٣) سقط من (ز).

(٤) في (ز): (ابن أمية)، وهو خطأ، وأثبته بعضهم: (ابن لَبِيبة) وهو محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة، وأظنه -أيضًا- خطأ، فابن لبيبة لا يعرف بالرواية عن أبي هريرة، وليس من الرواة عنه ابن خثيم، و(ابن لبينة) أقرب للصواب، وهو عبد الرحمن بن نافع بن لبينة الطائفي، وانظر «تاريخ دمشق» (٦٧/ ٣١٣).

(٥) ضعيف: رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٥٠)، والمثبت في المطبوع عنده ابن لهيعة: اختلط. وسبق بيان وجه الصواب فيه.

(٦) في (ز): (ذهب الشفق)، والمثبت موافق لما في «لسان العرب».

(٧) في (ز): (وجريها). (٨) في (ز): (أول النهار).

وكذا قال عكرمة: الشَّفق الذي يكون بين المغرب والعشاء.

وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**وَقْتُ المَغْرِبِ مَا لَمْ يَغِبِ**[١] **الشَّفَقُ**»[٢].

ففي هذا كله دليلٌ علىٰ أنَّ الشَّفق هو كما قاله الجوهري والخليل. ولكن صحَّ عن مجاهد أنَّه قال في هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ هو النهار كله. وفي رواية عنه أيضًا أنَّه قال: الشَّفق: الشَّمس. رواهما ابن أبي حاتم.

وإنَّما حمله علىٰ هذا قَرْنهُ بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أي: جمع. كأنَّه أقسم بالضِّياء والظَّلام.

وقال ابن جرير: أقسم الله بالنَّهار مدبرًا، وباللَّيل مقبلًا. وقال ابن جرير: وقال آخرون: الشَّفق اسم للحُمْرَةِ والبَيَاضِ. وقالوا: هو مِن الأضداد.

قال ابن عبَّاس، ومجاهد، والحسن، وقتادة: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾: وما جمع. قال قتادة: وما جمع من نجمٍ ودابَّةٍ. واستشهد ابن عبَّاس بقول الشاعر[٣]:

مُستَوْسَقَاتٍ لَوْ تَجِدْنَ سَائِقًا

وقال عكرمة: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ يقول: ما ساق مِن ظلمةٍ، إذا كان اللَّيل ذهب كل شيءٍ إلىٰ مأواه.

وقوله: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ قال ابن عبَّاس: إذا اجتمع واستوىٰ. وكذا قال عكرمة، ومجاهد، وسعيد بن جبير، ومسروق، وأبو صالح، والضَّحَّاك، وابن زيد.

﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾: إذا استوىٰ. وقال الحسن: إذا اجتمع، إذا امتلأ. وقال قتادة: إذا استدار.

ومعنىٰ كلامهم: أنَّه إذا تكامل نورُهُ وأبدر، جعله مقابلًا لليلِ وما وسق.

وقوله: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال البخاري: أخبرنا سعيد بن النضر، أخبرنا هُشَيمٌ، أخبرنا أبو بشر، عن مجاهد قال: قال ابن عبَّاس: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: حالًا بعد حالٍ. قال هذا نبيكم ﷺ[٤].

هكذا رواه البخاري بهذا اللَّفظ، وهو محتمل أن يكون ابن عبَّاس أسند هذا التَّفسير عن النَّبيِّ ﷺ كأنَّه قال: سمعت هذا من نبيِّكم ﷺ فيكون قوله: «نبيكم» مرفوعًا علىٰ الفاعليَّة من «قال» وهو الأظهر، والله أعلم، كما قال أنس: لا يأتي عامٌ إلَّا والذي بعده شرٌّ منه، سَمِعْتُه مِن نبيكم ﷺ[٥].

---

(١) في (ز): (يغرب)، وفي «مسلم»: «وقت صلاة المغرب ما لم يغب الشفق».

(٢) مسلم (٦١٢). (٣) لوحة (٢٠٩ أ).

(٤) البخاري (٤٩٤٠). (٥) البخاري (٧٠٦٨).

وقال ابن جرير: حدَّثني يعقوب بن إبراهيم، حدَّثنا هُشَيْمٌ، أخبرنا أبو بشر، عن مجاهد؛ أن ابن عبَّاس كان يقول: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال: يعني نبيكم ﷺ يقول: حالًا بعد حالٍ. وهذا لفظه[١].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: حالًا بعد حالٍ. وكذا قال عكرمة، ومُرَّة الطَّيِّب، ومجاهد، والحسن، والضَّحَّاك [ومسروق، وأبو صالح][٢].

ويحتمل أن يكون المراد: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: حالًا بعد حال. قال: هذا -يعني المراد بهذا- نبيكم ﷺ، فيكون مرفوعًا علىٰ أن «هذا» و«نبيكم» يكونان مبتدأ وخبرًا، والله أعلم. ولعلَّ هذا قد يكون هو المتبادر إلىٰ كثيرٍ من الرُّواة، كما قال أبو داود الطَّيالسي وغُنْدَر: حدَّثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال: محمَّد ﷺ[٣]. ويؤيِّد هذا المعنىٰ قراءةُ عمر، وابن مسعود، وابن عبَّاس، وعامة أهل مكة والكوفة: «لَتَرْكَبَنَّ» بفتح التَّاء والباء[٤].

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد الأشج، حدَّثنا أبو أسامة، عن إسماعيل، عن الشعبي: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾[٥] قال: لتركَبن يا محمَّد سماء بعد سماء. وهكذا رُوي عن ابن مسعود، ومسروق، وأبي العالية: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: سماء بعد سماء. قلت: يعنون ليلة الإسراء.

وقال أبو إسحاق، والسُّدِّي عن رجل، عن ابن عبَّاس: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: منزلًا علىٰ منزل. وكذا رواه العوفي، عن ابن عبَّاس مثله وزاد: «ويقال: أمرًا بعد أمرٍ، وحالًا بعد حالٍ».

وقال السُّدِّي نفسهُ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: أعمال من قبلكم منزلًا بعد[٦] منزل، قلت: كأنَّه أراد معنىٰ الحديث الصحيح: «**لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ**». قالوا: يا رسول الله، اليهود والنَّصارىٰ؟ قال: «فَمَنْ؟»[٧] وهذا محتمل.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا هشام بن عمار، حدَّثنا صدقة، حدَّثنا ابن جابر أنَّه سَمِعَ مكحولًا يقول في قول الله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال: في كلِّ عشرين سنة، تحدثون أمرًا لَمْ[٨] تكونوا عليه.

---

(١) صحيح: رواه الطبري (٣٠/ ١٢٢). (٢) ليست في (ز).

(٣) صحيح: عزاه لأبي داود الطيالسي، ورواه (٣٠/ ١٢٢) من طريق أبي بشر، قال: سمعت مجاهدًا عن ابن عباس، وهكذا رواه الضياء في «المختارة» (١٤٨)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ١٠١/ ١١١٧٣).

(٤) متواترة: قَرَأَ (لَتَرْكَبَنَّ) ابنُ كَثِيرٍ وَحَمزَةُ وَالكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ (فِي اختِيَارِهِ) وَوَافَقَهُم ابنُ مُحَيصِنٍ وَالأَعمَشُ، وَقَرَأَ البَاقُونَ (لَتَركَبُنَّ).

(٥) لوحة (٢٠٩ ب). (٦) في (ز): (منزلًا عن منزل).

(٧) البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩)، وأحمد (٣/ ٨٤، ٨٩، ٩٤) من حديث أبي سعيد.

(٨) في (ز): (ثم تكونوا).

وقال الأعمش: حدَّثني إبراهيم قال: قال عبد الله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال: السَّماء تنشقُّ ثم تحمرُّ، ثم تكون لونًا بعد لونٍ.

وقال الثَّوري، عن قيس بن وهب، عن مرَّة، عن ابن مسعود: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال: السَّماء مرَّةً كالدِّهان، ومرَّةً تنشقُّ(١).

وروى البزَّار من طريق جابر الجعفي، عن الشَّعبي، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ يا محمَّد؛ يعني: حالًا بعد حالٍ. ثم قال: ورواه جابر، عن مجاهد، عن ابن عبَّاس.

وقال سعيد بن جبير: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال: قومٌ كانوا في الدُّنيا خسيسٌ أمرهم، فارتفعوا في الآخرة، وآخرون كانوا أشرافًا(٢) في الدُّنيا، فاتَّضعُوا(٣) في الآخرة.

وقال عكرمة: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: حالًا بعد حالٍ، فطيمًا بعد ما كان رضيعًا، وشيخًا بعد ما كان شابًّا.

وقال الحسن البصري: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ يقول: حالًا بعد حالٍ، رخاءً بعد شدةٍ، وشدةً بعد رخاءٍ، وغنًى بعد فقرٍ، وفقرًا بعد غنًى، وصحةً بعد سقمٍ، وسَقَمًا بعد صحةٍ.

وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن عبد الله بن زاهر: حدَّثني أبي، عن عمرو بن شِمْر، عن جابر -هو الجعفي- عن محمَّد بن علي، عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ ابْنَ آدَمَ لَفِي غَفْلَةٍ مِمَّا خُلِقَ لَهُ؛ إِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ خَلْقَهُ قَالَ لِلْمَلَكِ: اكْتُبْ رِزْقَهُ، اكْتُبْ أَجَلَهُ، اكْتُبْ أَثَرَهُ، اكْتُبْ شَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا(٤)، ثُمَّ يَرْتَفِعُ ذَلِكَ الْمَلَكُ، وَيَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكًا آخَرَ فَيَحْفَظُهُ حَتَّىٰ يُدْرِكَ، ثُمَّ يَرْتَفِعُ ذَلِكَ الْمَلَكُ، ثُمَّ يُوَكِّلُ اللهُ بِهِ مَلَكَيْنِ يَكْتُبَانِ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ، فَإِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ ارْتَفَعَ ذَانِكَ الْمَلَكَانِ، وَجَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَقَبَضَ رُوحَهُ، فَإِذَا دَخَلَ قَبْرَهُ رَدَّ الرُّوحَ فِي جَسَدِهِ، ثُمَّ ارْتَفَعَ مَلَكُ الْمَوْتِ، وَجَاءَهُ مَلَكَا الْقَبْرِ فَامْتَحَنَاهُ، ثُمَّ يَرْتَفِعَانِ، فَإِذَا قَامَتِ السَّاعَةُ انْحَطَّ عَلَيْهِ مَلَكُ الْحَسَنَاتِ وَمَلَكُ السَّيِّئَاتِ، فَانْتَشَطَا كِتَابًا مَعْقُودًا فِي عُنُقِهِ، ثُمَّ حَضَرَا مَعَهُ: وَاحِدٌ سَائِقًا وَآخَرُ شَهِيدًا»، ثم قال الله ﷻ: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ [ق:٢٢] قال رسول الله ﷺ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال: «حَالًا بَعْدَ حَالٍ». ثم قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ قُدَّامَكُمْ لَأَمْرًا عَظِيمًا لا تَقْدِرُونَهُ، فَاسْتَعِينُوا بِاللهِ الْعَظِيمِ»(٥).

---

(١) روى نحو هذه الآثار الطبري (٣٠/ ١٥٤) من طرق عن الأعمش به، وإسناده منقطع بين النخعي وابن مسعود، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٥٩) إلى عبد الرزاق وسعيد بن منصور، وابن أبي حاتم وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والحاكم، والبيهقي.

قلت: هو عند الحاكم (٢/ ٥١٨) مختصرًا موصولًا، وفي إسناده الحسن بن عطية: فيه ضعف.

(٢) في (ز): (أسرا). (٣) في (ز): (فارتفعوا). (٤) لوحة (٢١٠ أ).

(٥) منكر: فيه جابر الجعفي: ضعيف، وعمرو بن شِمر قال فيه البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي والدارقطني: متروك الحديث، والحديث رواه ابن أبي حاتم (١٩٢٠٣).

هذا حديثٌ منكرٌ، وإسناده فيه ضعفاء، ولكن معناه صحيح، والله تَعَالَىٰ أعلم.

ثم قال ابن جرير بعدما حكىٰ أقوال النَّاس في هذه الآية من القرَّاء والمفسِّرين(١): والصَّواب من التَّأويل قول من قال: لَتَرْكَبَنَّ أنت -يا محمَّد- حالًا بعد حال، وأمرًا بعد أمر من الشَّدائد. والمراد بذلك -وإن كان [الخطاب](٢) إلىٰ رسول الله ﷺ مُوَجَّهًا- جَميع النَّاس، وأنَّهم يَلْقَوْنَ من شدائد يوم القيامة وأهواله أحوالًا.

وقوله: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۩﴾؛ أي: فماذا يمنعهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر؟ وما لهم إذا قرأت عليهم آيات الرحمن وكلامه -وهو هذا القرآن- لا يسجدون إعظامًا وإكرامًا واحترامًا؟!.

وقوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾؛ أي: من سجيتهم التَّكذيب والعناد والمخالفة للحقِّ.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ قال مجاهد وقتادة: يكتمُونَ في صدورِهِمْ.

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ أي: فأخبرهم -يا محمَّد- بأنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قد أعدَّ لهم عذابًا أليمًا.

وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هذا استثناءٌ منقطعٌ؛ يعني: لكن الذين آمنوا -أي: بقلوبهم- وعملوا الصالحات بجوارحهم ﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾؛ أي: في الدَّار الآخرة.

﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قال ابن عبَّاس: غيرُ منقوصٍ. وقال مجاهد، والضَّحَّاك: غير محسوبٍ.

وحاصل قولهما: أنَّه غير مقطوع، كما قال تعالىٰ: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]. وقال السُّدِّي: قال بعضهم: ﴿غَيْرُ(٣) مَمْنُونٍ﴾ غير منقوصٍ. وقال بعضهم: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ عليهم.

وهذا القول الآخر عن بعضهم قد أنكره غير واحدٍ؛ فإنَّ(٤) الله عَزَّ وَجَلَّ له المنَّة علىٰ أهل الجنَّة في كل حالٍ وآنٍ ولحظةٍ، وإنَّما دخلوها بفضله ورحمته لا بأعمالهم، فلَهُ عليهم المنَّة دائمًا سرمدًا، والحمدُ لله وحده أبدًا؛ ولهذا يُلْهَمُونَ تسبيحه وتحميده كما يُلْهَمُونَ النَّفَسَ: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

آخر تفسير سورة الانشقاق، ولله الحمد.

---

(١) في (ز): (من القرأة والمقرئين).

(٢) سقط من (ز)، وهي مثبتة في «الطبري».

(٣) لوحة (٢١٠ ب).

(٤) في (ز): (قال الله).

سُورَةُ البُرُوجِ

تفسير سورة البروج، وهي مكية

قال الإمام أحمد: حدَّثنا عبد الصمد، حدَّثنا رُزَيق بن أبي سلمىٰ، حدَّثنا أبو المهزّم، عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسَّماء ذات البروج، والسَّماء والطارق (١).

وقال أحمد: حدَّثنا أبو سعيد -مولىٰ بني هاشم- حدَّثنا حماد بنُ عباد السُّدوسي، سمعت أبا المهزم يحدث عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ أمر أن يقرأ بالسَّموات (٢) في العشاء، تفرَّد به أحمد (٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠)﴾

يقسم الله بالسَّماء وبروجها، وهي: النُّجوم العظام، كما تقدَّم بيان ذلك في قوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].

قال ابن عبَّاس، ومجاهد، والضَّحَّاكُ، والحسن، وقتادة، والسُّدِّي: ﴿الْبُرُوجِ﴾: النُّجوم. وعن مجاهد أيضًا: البروج التي فيها الحرس.

وقال يحيىٰ بن رافع: [﴿الْبُرُوجِ﴾:] (٤) قصور في السَّماء. وقال المِنْهَالُ بن عمرو: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾: الخَلْقِ الحَسَنِ.

واختار ابن جرير (٥) أنَّها منازل الشمس والقمر، وهي اثنا عشر برجًا، تسير الشَّمس (٦) في كل واحدٍ منها شهرًا، ويسير القمر في كلِّ واحدٍ يومين وثلثا، فذلك ثمانية وعشرون منزلة، ويستسرُّ ليلتين.

---

(١) ضعيف جدًّا: رواه أحمد (٢/ ٣٢٦)، وفيه أبو المهزم: متروك.

(٢) إسناده كسابقه: رواه أحمد (٢/ ٣٢٧).

(٣) يريد بذلك سورتي: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾، و﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾، وهو مُفَسَّر في الراوية الأخرىٰ.

(٤) سقط من (ز). (٥) في (ز): (خثيمة). (٦) لوحة (٢١١ أ).

وقوله: ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ اختلف المفسِّرون في ذلك، وقد قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا عبد الله بن محمَّد بن عمرو الغزي، حدَّثنا عُبَيد الله -يعني ابن موسىٰ- حدَّثنا موسىٰ بن عبيدة، عن أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس الأنصاري، عن عبد الله بن رافع، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ﴾: **يَوْمُ القِيَامَةِ**، ﴿وَشَاهِدٖ﴾: **يَوْمُ الجُمُعَةِ. وَمَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَلَا غَرَبَتْ عَلَىٰ يَوْمٍ أَفْضَلَ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ فِيهَا خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَلَا يَسْتَعِيذُ فِيهَا مِنْ شَرٍّ إِلَّا أَعَاذَهُ**، ﴿وَمَشۡهُودٖ﴾: **يَوْمُ عَرَفَةَ**»[(١)].

وهكذا روىٰ هذا الحديث ابن خُزَيمة[(٢)]، من طرق عن موسىٰ بن عُبَيدة الربذي، وهو ضعيف الحديث وقد روي موقوفًا[(٣)] علىٰ أبي هريرة، وهو أشبه[(٤)].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا محمَّد، حدَّثنا شعبة، سمعت علي بن زيد ويونس بن عبيد[(٥)]، يحدثان عن عمار -مولىٰ بني هاشم- عن أبي هريرة -أما عليٌّ فَرَفَعَهُ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، وأمَّا يونس فلم يَعْدُ أبا هريرة أنَّه قال في هذه الآية: ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ قال: يعني الشَّاهد يومُ الجمعة، ويوم مشهود يوم القيامة[(٦)].

وقال أحمد أيضًا: حدَّثنا محمَّد بن جعفر، حدَّثنا شعبة، عن يونس، سمعت عمارًا -مولىٰ بني هاشم-، يحدِّث عن أبي هريرة، وأنَّه قال في هذه الآية: ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ قال: الشَّاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، والموعود يوم القيامة[(٧)].

وقد رُوي عن أبي هريرة أنَّه قال: اليوم الموعود يوم القِيَامَةِ. وكذلك قال الحسن، وقتادة، وابن زيد. ولم أَرَهُم يختلفون في ذلك، ولله الحمد.

[ثم قال ابن جرير: حدَّثنا محمَّد بن عوف، حدَّثنا محمَّد بن إسماعيل بن عياش، حدَّثني أبي، حدَّثنا ضَمْضَمُ بن زُرْعَةَ، عن شُرَيحِ بن عبيد، عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١٩٢٠٤)، والطبري (٣٠/ ١٢٨)، والترمذي (٣٣٣٩)، والبغوي في «تفسيره» (٢٣٢٦)، والبيهقي في «السنن» (٥/ ٤٣٦)، ورواه الطبري (٣٠/ ١٢٨) من حديث أبي مالك دون ذكر: «﴿وَشَاهِدٖ﴾ يوم الجمعة...»، وكذلك رواه الطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٩٨/ ٣٤٥) وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش: ضعيف.

ورواه كذلك الطبري (٣٠/ ١٢٨) موقوفًا علىٰ علي بن أبي طالب، فيه الحارث الأعور: اتهم بالكذب.

(٢) في (ز): (ابن حزم). (٣) في (ز): (مرفوعًا).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٢٩٨)، والبيهقي (٣/ ١٧٠)، والحاكم (٢/ ٥١٩) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٥) في (ز): (يونس بن عبد)، وهو خطأ، والمثبت كما في «المسند».

(٦) رواه أحمد (٢/ ٢٩٨)؛ أما المرفوع فسنده ضعيف؛ لأنه من رواية علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف.

وأما الموقوف فحسن، ويشهد له ما تقدم من التعليق السابق فقد رواه أحمد (٢/ ٢٩٨) بإسناد صحيح.

(٧) صحيح: انظر التعليق قبل السابق.

«الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الشَّاهِدَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَإِنَّ الْمَشْهُودَ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ ذَخَرَهُ اللهُ لَنَا»](١)(٢).

ثم قال ابن جرير: حدَّثنا سهل بن موسىٰ الرازي، حدَّثنا ابن أبي فُدَيْك، عن ابن حرملة، عن سعيد بن المسيَّب أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ سَيِّدَ الأَيَّامِ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ الشَّاهِدُ، وَالْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ»(٣).

وهذا مرسلٌ من مراسيل سعيد بن المسيَّب، ثم قال ابن جرير:

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ، حدَّثنا وكيعٌ، عن شعبة، عن علي بن زيد، عن يوسف المكي، عن ابن عبَّاس قال: الشاهد هو محمَّد ﷺ والمشهود يوم القيامة، ثم قرأ: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ(٤) وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣](٥).

وحدَّثنا ابن حميد، حدَّثنا جرير، عن مغيرة، عن شباك قال: سأل رجل الحسن بن علي عن: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قال: سألت أحدًا قبلي؟ قال: نعم، سألت ابن عمر وابن الزبير، فقالا: يوم الذَّبح ويوم الجمعة. فقال: لا، ولكن الشَّاهد: محمَّد ﷺ. ثم قرأ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، والمشهود: يوم القيامة، ثم قرأ: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾(٦).

وهكذا قال الحسن البصري. وقال سفيان الثوري، عن ابن حرملة، عن سعيد بن المسيب: ﴿وَمَشْهُودٍ﴾: يوم القيامة.

وقال مجاهد، وعكرمة، والضَّحَّاك: الشاهد: ابن آدم، والمشهود: يوم القيامة.

وعن عكرمة أيضًا: الشاهد: محمَّد ﷺ، والمشهود: يوم الجمعة.

[وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: الشاهد: الله، والمشهود: يوم القيامة](٧)(٨).

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).

(٢) محمد بن إسماعيل: ضعيف، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٨٦): (رواه الطبراني في «الكبير»، وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش، وهو ضعيف.

(٣) رواه الطبري (٣٠/ ١٢٩) مرسلًا. (٤) لوحة (٢١١ ب).

(٥) ضعيف: رواه الطبري (٣٠/ ١٣٠)، وفيه علي بن زيد: ضعيف، ويوسف المكي إن كان هو يوسف بن الزبير المكي: فضعيف وإلا فلم أعرفه.

(٦) رواه الطبري (٣٠/ ١٣٠)، وفيه محمَّد بن حميد: حافظ ضعيف، ومغيرة بن مقسم: ثقة إلا أنه مدلس؛ فالإسناد ضعيف.

(٧) سقط من (ز).

(٨) رواه الطبري (٣٠/ ١٣١).

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا أبو نعيم الفضل بن دُكَيْنٍ، حدَّثنا سفيان، عن أبي يحيىٰ القتات، عن مجاهد، عن ابن عبَّاس: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قال: الشاهد: الإنسان. والمشهود: يوم الجمعة. هكذا رواه ابن أبي حاتم(١).

وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن حميد، حدَّثنا مِهْران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح(٢)، عن مجاهد، عن ابن عبَّاس: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ الشاهد: يوم عرفة، والمشهود: يوم القيامة(٣).

وبه عن سفيان -هو الثوري- عن مغيرة، عن إبراهيم قال: يوم الذَّبح، ويوم عرفة؛ يعني: الشَّاهد والمشهود.

قال ابن جرير: وقال آخرون: المشهود يوم الجمعة. ورووا في ذلك ما حدَّثنا أحمد بن عبد الرحمن، حدَّثني عمي عبد الله بن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أيمن، عن عبادة بن نُسَيٍّ، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّهُ يَوْمٌ مَشْهُودٌ، تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ**»(٤).

وعن سعيد بن جبير: الشَّاهد: الله، وتلا ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]، والمشهود: نحن. حكاه البغوي، وقال: الأكثرون علىٰ أن الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة.

وقوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾؛ أي: لعن أصحاب الأخدود، وجمعه: أخاديد، وهي الحفير في الأرض، وهذا خبر عن قومٍ من الكفَّار عَمَدوا إلىٰ مَن عندهم من المؤمنين بالله ﷻ فقهَرُوهم(٥) وأَرَادُوهم أن يرجعوا عن دينهم، فأَبَوْا عليهم، فحَفَرُوا لهم في الأرض أخدُودًا وأجَّجُوا فيه نارًا، وأعدُّوا لها وقودًا يُسَعِّرُونَها به، ثم أرادُوهم فلم يقبلوا منهم، فقَذَفُوهم فيها؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾؛ أي: مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾؛ أي: وما كان لهم عندهم ذنبٌ إلا إيمانهم بالله العزيز الذي لا يُضَامُ مَن لاذ بجنَابِهِ، المنيع الحَمِيدُ في جميع أفعاله وأقواله، وشرعِهِ وقدرِهِ، وإن كان قد قَدَّرَ علىٰ عباده هؤلاء هذا الَّذي وقع بهم بأَيْدِي الكفَّار به، فهو العزيز الحميد، وإن خَفِيَ سبب ذلك علىٰ كثيرٍ من النَّاس.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١٩٢٠٥)، وفيه أبو يحيىٰ القتات: لين الحديث.

(٢) في (ز): (عن أبي يحيىٰ القتات)، والمثبت موافق لما في «الطبري».

(٣) ضعيف: رواه الطبري (٣٠/ ١٣١)، وفيه ابن حميد: حافظ ضعيف.

(٤) ضعيف: رواه ابن ماجة (١٦٣٧)، وفيه انقطاع، وله شاهد، وقد سبق عند تفسير سورة الأحزاب الآية (٥٦).

(٥) لوحة (٢١٢ أ).

ثم قال: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من تمام الصِّفة أنَّه المالك لجميع السَّموات والأرضِ، وما فيهما وما بينهما، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾؛ أي: لا يغيب عنه شيءٌ في جميع السَّموات والأرض، ولا تخفىٰ عليه خافيةٌ.

وقد اختلف أهل التَّفسير في أهل هذه القصَّة، مَنْ هُمْ. فعن عليٍّ ﷺ أنَّهم أهل فارسٍ حين أراد مَلِكُهُم تحليل تزويج المحارم، فامتنع عليه علماؤُهُم، فعَمَدَ إلىٰ حفر أخدود فقَذَفَ فيه مَن أنكر عليه منهم، واستمر فيهم تحليل المحارم إلىٰ اليوم.

وعنه أنَّهم كانوا قومًا باليَمَنِ اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم، فغَلَبَ مؤمنوهم علىٰ كفَّارهم، ثم اقْتَتَلُوا فغلب الكفَّار المؤمنين، فخَدُّوا لهم الأخادِيدَ، وأحرقوهم فيها.

وعنه أنَّهم كانوا من أهل الحبشة، ونبيهم[(١)] حَبَشِيٌّ.

وقال العوفي، عن ابن عبَّاس: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ قال: ناس من بني إسرائيل، خَدُّوا أخدودًا في الأرض، ثم أَوْقَدُوا فيه نارًا، ثم أقاموا علىٰ ذلك الأخدود رجالًا ونساءً، فعُرِضوا عليها، وزَعَمُوا أنَّه دانيال وأصحابه.

وهكذا قال الضَّحَّاكُ بن مُزَاحِم، وقيل غير ذلك. وقد قال الإمام أحمد:

حدَّثنا عفان، حدَّثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، عن صُهَيب: أن رسول الله ﷺ قال: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا[(٢)] كَبُرَ السَّاحِرُ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبُرَتْ سِنِّي وَحَضَرَ أَجَلِي، فَادْفَعْ إِلَيَّ غُلَامًا لِأُعَلِّمَهُ السِّحْرَ. فَدَفَعَ إِلَيْهِ غُلَامًا فَكَانَ يُعَلِّمُهُ السِّحْرَ، وَكَانَ بَيْنَ السَّاحِرِ وَبَيْنَ المَلِكِ رَاهِبٌ، فَأَتَىٰ الغُلَامُ عَلَىٰ الرَّاهِبِ فَسَمِعَ مِنْ كَلَامِهِ، فَأَعْجَبَهُ نَحْوُهُ وَكَلَامُهُ، وَكَانَ إِذَا أَتَىٰ[(٣)] السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، وَقَالَ: مَا حَبَسَكَ؟ وَإِذَا أَتَىٰ أَهْلَهُ ضَرَبُوهُ، وَقَالُوا: مَا حَبَسَكَ؟ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَىٰ الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا أَرَادَ السَّاحِرُ أَنْ يَضْرِبَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي. وَإِذَا أَرَادَ أَهْلُكَ أَنْ يَضْرِبُوكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ. قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ أَتَىٰ عَلَىٰ دَابَّةٍ فَظِيعَةٍ عَظِيمَةٍ، قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَجُوزُوا، فَقَالَ: اليَوْمَ أَعْلَمُ: أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ أَمْ أَمْرُ السَّاحِرِ. قَالَ: فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ وَأَرْضَىٰ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ، فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّىٰ يَجُوزَ النَّاسُ. وَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَىٰ النَّاسُ. فَأَخْبَرَ الرَّاهِبَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ، أَنْتَ أَفْضَلُ مِنِّي، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَىٰ، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ

---

(١) في (ز): واحدهم، والمثبت من بعض النسخ، وهو أولىٰ لما ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٥/ ٣٣٣) قال: (أخرج ابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن نجي عن علي بن أبي طالب قال: كان نبي أصحاب الأخدود حبشيًّا).

(٢) لوحة (٢١٢ ب).

(٣) في (ز): (إذا رأىٰ).

عَلَيَّ. فَكَانَ الغُلَامُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَسَائِرَ الأَدْوَاءِ وَيَشْفِيهِمْ، وَكَانَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ فَعَمِيَ، فَسَمِعَ بِهِ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: اشْفِنِي وَلَكَ مَا هَاهُنَا أَجْمَعُ. فَقَالَ: مَا أَنَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ ﷻ، فَإِنْ آمَنْتَ بِهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ. فَآمَنَ فَدَعَا اللهَ فَشَفَاهُ. ثُمَّ أَتَى المَلِكَ فَجَلَسَ مِنْهُ نَحْوَ مَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: يَا فُلَانُ، مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ فَقَالَ: رَبِّي؟ فَقَالَ: أَنَا؟ قَالَ: لَا، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ. قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ. فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الغُلَامِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ، بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ أَنْ تُبْرِئَ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَهَذِهِ الأَدْوَاءَ؟ قَالَ: مَا أَشْفِي أَنَا أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ ﷻ. قَالَ: أَنَا؟ قَالَ: لَا. قَالَ: أَوَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ. فَأَخَذَهُ أَيْضًا بِالعَذَابِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَأَتَى بِالرَّاهِبِ فَقَالَ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَوَضَعَ المِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، وَقَالَ لِلْأَعْمَى: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَوَضَعَ المِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ إِلَى الأَرْضِ. وَقَالَ لِلْغُلَامِ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَبَعَثَ بِهِ مَعَ نَفَرٍ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، وَقَالَ: إِذَا بَلَغْتُمْ ذِرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَدَهْدِهُوهُ(١) [مِنْ فَوْقِهِ](٢) فَذَهَبُوا بِهِ(٣)، فَلَمَّا عَلَوْا بِهِ الجَبَلَ قَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ. فَرَجَفَ بِهِمُ الجَبَلُ فَدُهْدِهُوا أَجْمَعُونَ. وَجَاءَ الغُلَامُ يَتَلَمَّسُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى المَلِكِ فَقَالَ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ فَقَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ. فَبَعَثَ بِهِ مَعَ نَفَرٍ فِي قُرْقُورٍ(٤) فَقَالَ: إِذَا لَجَجْتُمْ بِهِ البَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَغَرِّقُوهُ فِي البَحْرِ. فَلَجَّجُوا بِهِ البَحْرَ، فَقَالَ الغُلَامُ: اللَّهُمَّ، اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ. فَغَرِقُوا أَجْمَعُونَ، وَجَاءَ الغُلَامُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى المَلِكِ فَقَالَ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ فَقَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ. ثُمَّ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، فَإِنْ أَنْتَ فَعَلْتَ مَا آمُرُكَ بِهِ قَتَلْتَنِي، وَإِلَّا فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ قَتْلِي. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ تَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، وَتَأْخُذُ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الغُلَامِ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي. فَفَعَلَ، وَوَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ قَوْسِهِ(٥) ثُمَّ رَمَاهُ، وَقَالَ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الغُلَامِ. فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ الغُلَامُ يَدَهُ عَلَى مَوْضِعِ السَّهْمِ وَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الغُلَامِ. فَقِيلَ لِلْمَلِكِ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ فَقَدْ -وَاللهِ- نَزَلَ بِكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ. فَأَمَرَ بِأَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ فِيهَا الأَخَادِيدُ، وَأُضْرِمَتْ فِيهَا النِّيرَانُ، وَقَالَ: مَنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ فَدَعُوهُ، وَإِلَّا فَأَقْحِمُوهُ فِيهَا. قَالَ: فَكَانُوا يَتَعَادَوْنَ فِيهَا وَيَتَدَافَعُونَ، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ بِابْنٍ لَهَا تُرْضِعُهُ، فَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِي النَّارِ، فَقَالَ الصَّبِيُّ: اصْبِرِي يَا أُمَّاهُ، فَإِنَّكِ عَلَى الحَقِّ»(٦).

---

(١) أي: دحرجوه.
(٢) سقط من (ز)، وهو مثبت من «المسند».
(٣) لوحة (٢١٣ أ).
(٤) القُرْقُور: السفينة الصغيرة أو القارب الصغير.
(٥) كبد القوس: مقبضها عند الرمي.
(٦) مسلم (٣٠٠٥)، وأحمد (٦/ ١٧).

وهكذا رواه مسلم في آخر «الصَّحيح» عن هُدْبة بن خالد، عن حماد بن سلمة [به نحوه، ورواه النَّسائي عن أحمد بن سليمان، عن عفان، عن حماد بن سلمة][١] ومن طريق حماد بن زيد، كلاهما عن ثابت به، واختصروا أوله.

وقد جَوَّده الإمام أبو عيسىٰ الترمذي، فرواه في تفسير هذه السورة عن محمود بن غَيلانَ[٢] وعَبد بن حُمَيد -[المعنىٰ واحد][٣]- قالا: أخبرنا عبد الرَّزاق، عن مَعْمَرٍ، عن ثابت البُناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، عن صُهَيبٍ قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلىٰ العصر هَمَسَ -والهَمسُ في قول بعضهم: تحريك شفتيه كأنَّه يتكلَّم- فقيل له: إنَّك -يا رسول الله- إذا صليت العصر هَمَسْتَ. قال: «**إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ كَانَ أُعْجِبَ بِأُمَّتِهِ**[٤] **فَقَالَ: مَنْ يَقُومُ لِهَؤُلَاءِ؟. فَأَوْحَىٰ اللهُ إِلَيْهِ أَنْ خَيِّرْهُمْ بَيْنَ أَنْ أَنْتَقِمَ مِنْهُمْ، وَبَيْنَ أَنْ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ. فَاخْتَارُوا النِّقْمَةَ، فَسَلَّطَ**[٥] **عَلَيْهِمُ المَوْتَ، فَمَاتَ مِنْهُمْ فِي يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا**». قال: وكان إذا حَدَّث بهذا الحديث، [حَدَّث بهذا الحديث][٦] الآخر قال: «**كَانَ مَلِكٌ مِنَ المُلُوكِ، وَكَانَ لِذَلِكَ المَلِكِ كَاهِنٌ يتكَهَّنُ لَهُ، فَقَالَ الكَاهِنُ: انْظُرُوا لِي غُلَامًا فَهِمًا**[٧] [-أو قال: **فَطِنًا لَقِنًا**-][٨] **فَأُعَلِّمَهُ عِلْمِي هَذَا**...» فذكر القصَّة بتمامها، وقال في آخره يقول الله ﷻ: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ﴾ حتىٰ بلغ: ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ قال: «**فَأَمَّا الغُلَامُ فَإِنَّهُ دُفِنَ**» قال: فيُذْكَرُ أنَّه أخرج في زمان عمر بن الخطاب، وإصبعه علىٰ صُدْغِه كما وضعها حين قُتِلَ. ثم قال الترمذي: حسن غريب[٩].

وهذا السياق ليس فيه صراحة أن سياق هذه القصَّة من كلام النَّبِيِّ ﷺ. قال شيخنا الحافظ أبو الحجَّاج المزِّي: فيحتمل أن يكون من كلام صُهَيبٍ الرُّومي، فإنَّه كان عنده علمٌ من أخبار النَّصارىٰ، والله أعلم.

وقد أورد محمَّد بن إسحاق بن يَسَارٍ هذه القصة في السِّيرة بسياق آخر، فيها مخالفة لما تقدَّم فقال: حدَّثني يزيد بن زياد، عن محمَّد بن كعب القُرَظي -وحدَّثني أيضًا بعض أهل نجران، عن أهلها-: أنَّ أهل نجران كانوا أهلَ شركٍ يعبدون الأوثان، وكان في قريةٍ مِن قراها قريبًا من نجران -ونجران هي القرية العظمىٰ التي إليها جمَاعُ أهل تلك البلاد- ساحرٌ يعلم غلمان أهل نجران

---

(١) سقط من (ز).
(٢) في (ز): (عبدان)، وهو خطأ.
(٣) سقط من (ز).
(٤) كان إعجابه بأمته لكثرتهم.
(٥) لوحة (٢١٣ ب).
(٦) سقط من (ز).
(٧) الفَهِم: سريع الفهم، والفطن: الحاذق، واللقن: حسن التلقن لما يسمعه.
(٨) بياض في (ز)، والمثبت موافق لما في «الترمذي».
(٩) حسن: الترمذي (٣٣٣٧)، وقوله في آخر القصة: «ويذكر... إلخ» ضعيف؛ لأنه لم يسق له سندًا.

السِّحر، فلما نزلها فَيمُون -ولم يسموه لي بالاسم الذي سمَّاه ابن منبه، قالوا: رجل نزلها- ابْتَنَىٰ[١] خيمةً بين نجران وبين تلك القرية التي فيها السَّاحر، وجعل أهل نجران يُرْسِلُون [غلمانَهُم][٢] إلىٰ ذلك الساحر يعلمهم السِّحر، فبعث الثَّامر ابنه عبد الله بن الثَّامر مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مرَّ بصاحب الخيمة أعجبه ما يرىٰ مِن عبادتِهِ وصلاتِهِ، فجعل يجلس إليه ويسمَعُ منه، حتىٰ أسلم فوَحَّد الله وعبده، وجعل يسأله عَن شرائع الإسلام حتَّىٰ إذا فَقِهَ فيه جعل يَسْأَلُه عن الاسم الأعظم، وكان يعلمه، فكَتَمَه إيَّاه، وقال له: يا ابن أخي، إنَّك لن تحمله؛ أخشىٰ ضعفك عنه. والثَّامر أبو عبد الله لا يظنُّ إلَّا أنَّ ابنه يختلف إلىٰ السَّاحر كما يختلِفُ الغِلْمَان، فلمَّا رأىٰ عبد الله أنَّ صاحبه قد ضَنَّ به عنه، وتخوَّف ضعفه فيه، عَمَدَ إلىٰ أقداحٍ فجَمَعَهَا، ثم لم يُبقِ لله اسمًا يعلمه إلا كتبه في قِدْح[٣][٤]، وكلُّ اسمٍ في قِدحٍ، حتَّىٰ إذا أحصاها أَوْقَد نارًا ثمَّ جعل يَقْذِفُهَا فيها قدْحًا قدْحًا، حتىٰ إذا مرَّ بالاسم الأعظم قذف فيها بِقدْحه، فوثب القِدْح حتىٰ خرج منها لم يضرَّه شيءٌ، فأخذه ثم أتىٰ بِهِ صاحبه فأخبره أنَّه قد عَلِمَ الاسم الأعظم الَّذِي كتمه.

فقال: وما هو؟ قال: هو كذا وكذا. قال: وكيف علمته؟ فأخبره بما صنع. قال: أيْ ابن أخي، قد أصبته فأمسك علىٰ نفسِكَ، وما أظن أَن تَفْعَلَ. فجعل عبد الله بن الثَّامر إذا دخل نجران لم يَلْقَ أحدًا به ضرٌّ إلَّا قال: يا عبد الله، أتوحِّدُ الله وتدخلُ في ديني وأدعو اللهَ لك فيُعَافِيكَ ممَّا أنت فيه مِن البلاء؟ فيقول: نعم. فيُوَحِّد الله ويُسْلِم، فيدعو الله له فَيُشْفَىٰ حتىٰ لم يبقَ بنجران أحدٌ به ضرٌّ إلا أتاه، فاتَّبعه علىٰ أَمْرِهِ ودعا له فعُوفِيَ، حتىٰ رُفِع شأنه إلىٰ ملك نجران، فدعاه فقال له: أفسدت عليَّ أهلَ قريتي، وخَالَفْتَ دِينِي ودين آبائي، لأمثلنَّ بكَ. قال: لا تقدرُ علىٰ ذلك. قال: فجَعَلَ يُرْسِلُ به إلىٰ الجبل الطَّويل، فَيُطرح علىٰ رأسه، فيقع إلىٰ الأرضِ ما بِهِ بأس، وجعل يبعث به إلىٰ مِيَاه نجران، بُحور لا يلقىٰ فيها شيء إلا هلك، فيلقىٰ به فيها، فيخرج ليس به بأس. فلما غلبه قال له عبد الله بن الثامر: إنك -والله- لا تقدر علىٰ قتلي حتىٰ تُوَحِّدَ الله فَتُؤمن بما آمنت به، فإنَّك إن فعلت سُلِّطتَ عليَّ فقتلتني. قال: فوحَّدَ الله ذلك الملك، وشَهِدَ شهادة عبد الله بن الثَّامر، ثم ضربه بعصًا في يده فشجه شجةً غير كبيرةٍ، فقتله، وهلك الملك مكانه. واستجمع أهلُ نجران علىٰ دين عبد الله بن الثامر -وكان علىٰ ما جاء به عيسىٰ ابن مريم ﷺ من الإنجيل وحُكمه، ثم أصابهم ما أصاب أهلَ دينِهِم مِن الأحداث، فمِن هنالك كان أصلُ دين النَّصرانيَّة بنجران.

---

(١) في (ز): (فابتنىٰ)، والمثبت موافق لما في «السيرة».

(٢) سقط من (ز).

(٣) القِدح: السهم.

(٤) لوحة (٢١٤ أ).

قال ابن إسحاق: فهذا حديث محمَّد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران عن عبد الله بن الثامر، والله أعلم أيُّ ذلك كان.

قال: فسار إليهم ذو نواس بجُنْدِهِ، فدَعَاهُم إلىٰ اليهوديَّة، وخيَّرهم بين ذلك أو القتل، فاختاروا القتل، فخدَّ الأخدود، فحرق بالنَّار، وقتل بالسَّيف، ومثَّل بهم، حتَّىٰ قتل منهم قريبًا مِن عشرين ألفًا، ففي ذي نواس[1] وجنده أنزل الله ﷻ علىٰ رسوله ﷺ: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[2].

هكذا ذكر محمَّد بن إسحاق في «السيرة» أن الذي قتل أصحاب الأخدود هو ذو نواس، واسمه: زرعة، وتسمَّىٰ في زمان مملكته بيوسف، وهو [ابن تِبَان أسعد أبي كَرب][3]، وهو تُبَّع الذي غزا المدينة وكسىٰ الكعبة، واستصحب معه حبرين من يهود المدينة، فكان تَهَوَّد من [تَهَوَّد من][4] أهل اليَمَنِ علىٰ يديهما، كما ذكره ابن إسحاق مَبسوطًا، فقتل ذو نواس في غداةٍ واحدةٍ في الأخدود عشرين ألفًا، ولم ينجُ منهم سوىٰ رجلٍ واحدٍ يقال له: دوس ذو ثَعلبان، ذهب فارسًا، وطَرَدُوا وراءه فلم يُقدَر عليه، فذهب إلىٰ قيصر ملك الشام، فكتب إلىٰ النَّجاشي ملك الحبشة، فأرسَلَ معه جيشًا مِن نصارىٰ الحبشة يقدِّمُهُم أرياط وأبرهة، فاستنقذوا اليمن من أيدي اليهودِ، وذهب ذو نواس هاربًا فَلَجَّج في البحر، فغرق. واستمر مُلْكُ الحبشة في أيدي النَّصارىٰ سبعين سنة، ثم استنقذه سيف بن ذي يزن الحميري مِن أيدي النَّصارىٰ، لما استجاش بكِسْرَىٰ ملك الفرس، فأرسل معه مَن في السُّجون، وكانوا قريبًا مِن سبعمائة. ففتح بهم اليمن، ورجع المُلك إلىٰ حمير. وسنذكر طرفًا من ذلك -إن شاء الله تعالىٰ- في تفسير سورة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾.

وقال ابن إسحاق: وحدَّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمَّد بن عمرو[5] بن حزم أنه حُدِّث: أن رجلًا مِن أهل نجرانَ كان في زمان عمر بن الخطَّاب، حَفَر خَربَة من خَرِب نجرانَ لبعض حاجته، فوَجَدَ عبد الله بن الثَّامر تحت دَفْن فيها قاعدًا، واضعًا يده علىٰ ضربةٍ في رأسه، ممسكًا عليها بيده، فإذا أخذت يده عنها ثَعبتْ[6] دمًا، وإذا أرسلت يده رُدَّت عليها، فأمسكت دَمَهَا، وفي يده خاتم مكتوب فيه: رَبِّي الله.

---

(١) لوحة (٢١٤ ب).

(٢) رواه في «سيرة ابن هشام» (١/ ٢١)، وفيه انقطاع، ويكفي في ذلك حديث صهيب المتقدم.

(٣) في (ز): (وهو ابن قنا ابن أسعد بن كريب)، والمثبت من «جمهرة الأنساب».

(٤) سقط من (ز).

(٥) في (ز): (محمد بن هارون)، وهو خطأ.

(٦) أي: تفجرت.

فكُتِب فيه إلىٰ عمر بن الخطاب يخبره بأمره[١]، فكتب عمر إليهم: أن أقرُّوه علىٰ حاله، وردُّوا عليه [الدَّفن][٢] الذي كان عليه. ففعلوا[٣].

وقد قال أبو بكر عبد الله بن محمَّد بن أبي الدنيا رَحِمَهُ اللهُ: حدَّثنا أبو بلال الأشعري، حدَّثنا إبراهيم بن محمَّد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، حدَّثني بعض أهلِ العلم: أنَّ أبا موسىٰ لما افتتح أصبهان وجد حائطًا مِن حيطان المدينة قد سقط، فبناه فسقط، ثم بناه فسقط، فقيل له: إنَّ تحته رجلًا صالحًا. فحفر الأساس فوجد فيه رجلًا قائمًا معه سيف، فيه مكتوب: أنا الحارث بن مضاض، نَقِمْتُ علىٰ أصحاب الأخدود. فاستخرجه أبو موسىٰ، وبنىٰ الحائط، فثبت[٤].

قلت: هو الحارث بن مضاض بن عمرو بن مُضاض بن عمرو الجرهمي، أحد ملوك جرهم الَّذِين وَلُوا أمر الكعبة بعد ولد نَبْت[٥] بن إسماعيل بن إبراهيم، وَوَلَدُ الحارث هذا هو: عمرو بن الحارث بن مضاض هو آخر ملوك جرهم بمكَّة، لما أخرجتهم خزاعة وأجلوهُمْ إلىٰ اليمن، وهو القائل في شِعْرِه الَّذِي قال ابن هشام إنَّه أوَّل شعرٍ قاله العرب:

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الحَجُونِ إِلَىٰ الصَّفَا ... أَنِيسٌ، وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ
بَلَىٰ، نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا ... صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالجُدُودُ العَوَاثِرُ

وهذا يقتضي أنَّ هذه القصَّة كانت قديمًا بعد زمان إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بقربٍ من خمسمائة سنة أو نحوها، وما ذكره ابن إسحاق يقتضي أنَّ قصَّتهم[٦] كانت في زمان الفَتْرَةِ التي بين عيسىٰ ومحمَّد - عليهما من الله السلام- وهو أشبه، والله أعلم.

وقد يحتمل أنَّ ذلك قد وقع في العالم كثيرًا، كما قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا أبو اليمان، أخبرنا صفوان، عن عبد الرحمن بن جبير قال: كانت الأخدود في اليمن زمان تُبَّع، وفي القُسْطَنْطِينيَّة زمان قسطنطين حين صرف النَّصارىٰ قبلتهم عن دِينِ المسيح والتَّوحِيدِ، فاتَّخذوا أتونًا، وألقىٰ فيه النَّصارىٰ الذين كانوا علىٰ دين المسيحِ والتَّوحيد. وفي العراق في أرض بابل بُخْتنَصَّر، الَّذِي وضع الصَّنم وأمر النَّاس أن يسجدوا له، فامتنع دانيال وصاحباه[٧]: عزريا وميشائيل، فأوقد لهم أتونًا وألقىٰ فيه الحطب والنَّار، ثم ألقاهما فيه، فجعلها الله عليهما بردًا وسلامًا، وأنقذهما منها، وألقىٰ فيها الذين بغوا عليهِ وهم تسعة رهطٍ، فأكلتهم النَّار[٨].

---

(١) لوحة (٢١٥ أ). (٢) سقط من (ز)، والمثبت موافق لما في «سيرة ابن هشام».
(٣) منقطع: رواه في «السيرة» (١/ ٢٣)، وفيه انقطاع.
(٤) ضعيف: فيه من لم يسم. (٥) في (ز): (نابت).
(٦) في (ز): (قضيتهم). (٧) لوحة (٢١٥ ب).
(٨) معضل: رواه ابن أبي حاتم (١٩٢٠٨) عن عبد الرحمن بن جبير. ولم يسند ذلك إلىٰ النَّبي ﷺ.

وقال أسباط، عن السُّدِّي في قوله: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ قال: كانت الأخدودُ ثلاثةً[1]: خَدٌّ بالعراق، وخَدٌّ بالشام، وخَدٌّ باليمن. رواه ابن أبي حاتم.

وعن مقاتل قال: كانت الأخدود ثلاثة: واحدة بنجران باليَمَنِ، والأخرىٰ بالشَّام، والأخرىٰ بفارسٍ، أمَّا الَّتِي بالشَّام فهو أنطنانوس الرُّومي، وأمَّا الَّتِي بفارس فهو بُخْتَنصَّر، وأمَّا الَّتِي بأرض العرب فهو يوسف ذو نواس. فأمَّا التي بفارس والشَّام فلم ينزل الله فيهم قرآنًا، وأنزل في الَّتِي كانت بنجران.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا أحمد بن عبد الرحمن الدَّشْتكي، حدَّثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع -هو ابن أنس- في قوله: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ قال: سمعنا أنَّهم كانوا قومًا في زمان الفَتْرَةِ، فلمَّا رأوا ما وقع في النَّاس من الفِتْنَةِ والشَّرِّ وصاروا أحزابًا ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣، الروم: ٣٢]، اعتزلوا إلىٰ قريةٍ سكنُوهَا، وأقاموا علىٰ عبادةِ الله ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البينة: ٥]، وكان هذا أمرهم حتَّىٰ سَمِعَ بهم جبَّار من الجبَّارين، وحُدِّث حديثهم، فأرسل إليهم فأمرهم أن يعبدُوا الأوثان الَّتِي اتَّخذوا، وأنَّهم أَبَوْا عليه كلُّهم، وقالوا: لا نعبد إلَّا الله وحده، لا شريكَ له. فقال لهم: إن لم تعبدوا هذه الآلهة التي عُبِدَتْ فإنِّي قاتلكم. فأَبَوْا عليه، فخَدَّ أخدودًا من نارٍ، وقال لهم الجبَّار -وَوَقَفهم عليها فقال: اختاروا هذه أو الذي نحن فيه. فقالوا: هذه أحبُّ إلينا. وفيهم نساءٌ وذرِّيَّةٌ، ففزعت الذُّرِّيَّةُ، فقالوا لهم: لا نارَ مِن بعد اليوم. فوقعوا فيها، فقبضت أرواحهم مِن قبلِ أن يمسَّهُم حَرُّهَا، وخرجت النَّار مِن مكانِهَا فأحاطت بالجبَّارين، فأحرقهم الله بها، ففي ذلك أنزل الله ﷻ: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ[2] شُهُودٞ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[3].

ورواه ابن جرير: حُدِّثت عن عمار، عن عبد الله بن أبي جعفر به نحوه.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾؛ أي: حَرقوا. قاله ابن عبَّاس، ومجاهد، وقتادة، والضَّحَّاك، وابن أَبْزَىٰ.

﴿ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ﴾؛ أي: لم يُقْلِعُوا عمَّا فعلوا، ويَنْدَمُوا علىٰ ما أَسْلَفُوا.

﴿فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾ وذلك أن الجزاء مِن جنس العمل. قال الحسن البصري: انظروا إلىٰ هذا الكرَمِ والجودِ، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلىٰ التَّوبة والمغفرة.

---

(١) في (ز): (ثلاثة عشر). (٢) لوحة (٢١٦ أ).

(٣) مرسل: رواه ابن أبي حاتم (١٩٢٠٩)، والطبري مختصرًا (٣٠/ ١٣٤).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾

يخبر تعالىٰ عن عباده المؤمنين أن ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ بخلاف ما أعدَّ لأعدائه من الحريقِ والجحيمِ؛ ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾، ثم قال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾؛ أي: إنَّ بطشه وانتقامَهُ مِن أعدائِهِ الَّذين كَذَّبوا رسله وخالفوا أَمْرَهُ لشديدٌ عظيمٌ قويٌّ؛ فإنَّه تعالىٰ ذو القوَّة المتينِ، الَّذي ما شاء كان كما يشاءُ في مثلِ لمحِ البَصَرِ، أو هو أقرب؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾؛ أي: مِن قوَّته وقدرتِهِ التَّامَّةِ يُبْدِئُ الخلق ثم يُعِيدُه كما بدأه، بلا ممانعٍ ولا مدافعٍ. ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾؛ أي: يغفر ذنبَ مَن تاب إليه وخَضَعَ لديه، ولو كان الذَّنب مِن أيِّ شيءٍ كان.

والودود -قال ابن عبَّاس وغيره-: هو الحبيب، ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾؛ أي: صاحب العرش المعظَّم العالي علىٰ جميع الخلائق.

و﴿ٱلْمَجِيدُ﴾ فيه قراءتان: الرَّفع علىٰ أنَّه صفةٌ للرَّبِّ ﷻ. والجرُّ[1] علىٰ أنَّه صفةٌ للعرش، وكلاهما معنًىٰ صحيحٌ.

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾؛ أي: مهما أراد فعله، لا معقب لحكمِهِ، ولا يسأل عمَّا يفعل؛ لعظمته وقهره وحكمته وعدْلِهِ، كما روينا عن أبي بكرٍ الصِّدِّيق أنَّه قيل له -وهو في مرض الموت-: هل نظر إليك الطَّبيب؟ قال: نعم. قالوا: فما قال لك؟ قال: قال لي: إنِّي فعَّال لما أُريد[2].

وقوله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ[3] ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾؛ أي: هل بلغك ما أحلَّ اللهُ بهم من البأس، وأنزل عليهم من النِّقمة الَّتي لم يَرُدَّها عنهم أحدٌ؟ وهذا تقريرٌ لقوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾؛ أي: إذا أخذ الظَّالم أخذَهُ أخذًا أليمًا شديدًا، أخذ عزيزٍ مقتدرٍ.

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا علي بن محمَّد الطَّنافِسِيُّ، حدَّثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون قال: مر النَّبيُّ ﷺ علىٰ امرأةٍ تقرأ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾ فقام يسمع فقال: «نَعَمْ، قَدْ جَاءَنِي»[4].

وقوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكْذِيبٍ﴾؛ أي: هم في شكٍّ وريبٍ، وكفرٍ وعنادٍ، ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾؛ أي: هو قادرٌ عليهم، قاهرٌ لا يفوتونه ولا يعجزونه، ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾؛ أي: عظيمٌ كريمٌ، ﴿فِي لَوْحٍ

(١) متواترة: قَرَأَ (المَجِيدِ) حَمزَةُ وَالكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ (فِي اختِيَارِهِ) وَوَافَقَهُمُ الحَسَنُ وَالأَعمَشُ، وَقَرَأَ البَاقُونَ (المَجِيدُ).
(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٤). (٣) لوحة (٢١٦ ب).
(٤) مرسل: رواه ابن أبي حاتم (١٩٢١٠)، وإسناده مرسل، وأبو إسحاق: يرسل وقد عنعن.

مَّحْفُوظٍ﴾؛ أي: هو في الملإ الأعلىٰ محفوظٌ مِن الزِّيادة والنَّقص، والتَّحريف والتَّبديل.

قال ابن جرير: حدَّثنا عمرو بن علي، حدَّثنا قُرَّة بن سليمان، حدَّثنا حرب بن سُرَيج، حدَّثنا عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك في قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ قال: إن اللَّوح المحفوظ الَّذي ذكر الله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ في جبهة إسرافيل(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا أبو صالح، حدَّثنا معاوية بن صالح أنَّ أبا الأعْيَسِ -هو عبد الرحمن بن سَلْمَان- قال: ما مِن شيءٍ قضىٰ الله -القرآن فما قبله وما بعده- إلَّا وهو في اللَّوح المحفوظ. واللَّوح المحفوظ بين عيني إسرافيل، لا يؤذن له بالنَّظر فيه(٢).

وقال الحسن البصري: إنَّ هذا القرآن المجيد عند الله في لوحٍ محفوظٍ، ينزل منه ما يشاء علىٰ مَن يشاء مِن خلقه.

وقد روىٰ البغوي من طريق إسحاق بن بشر أخبرني مقاتل وابن جريج(٣)، عن مجاهد، عن ابن عبَّاس قال: إنَّ في صدر اللَّوح لا إله إلا الله وحده، دينه الإسلام، ومحمَّد عبده ورسوله، فمَنْ آمن بالله وصدَّق بوعده واتَّبع رسله، أدخلَهُ الجنَّة. قال: واللَّوح لوحٌ مِن درَّةٍ بيضاء، طوله ما بين السَّماء والأرض، وعرضه ما بين المشرِقِ والمغرِبِ، وحافتاه الدُّرُّ والياقوت، ودفَّتاه ياقوتةٌ حمراء، وقلمُهُ نورٌ، وكلامُهُ معقودٌ بالعرش، وأصله في حجرِ مَلَكٍ(٤).

قال مقاتل: اللَّوحُ المحفوظُ عن يمين العرش.

وقال الطَّبراني: حدَّثنا محمَّد بن عثمان [بن أبي شيبة، حدَّثنا منجاب بن الحارث](٥)، حدَّثنا إبراهيم ابن يوسف، حدَّثنا زياد بن عبد الله، عن ليث، عن عبد الملك بن سعيد بن جبير(٦)، عن أبيه، عن ابن عبَّاس: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ لَوْحًا مَحْفُوظًا مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ، صَفَحَاتُهَا مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، قَلَمُهُ نُورٌ، وَكِتَابُهُ نُورٌ، للهِ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سِتُّونَ وَثَلَاثُمِائَةِ لَحْظَةٍ، يَخْلُقُ وَيَرْزُقُ، وَيُمِيتُ وَيُحْيِي، وَيُعِزُّ وَيُذِلُّ، وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ»(٧).

آخر تفسير سورة البروج، ولله الحمد.

---

(١) رواه الطبري (٣٠/ ١٤٠)، وفي إسناده حرب بن سريج: صدوق يخطئ، وقرة بن سليمان: ضعيف الحديث.

(٢) رواه ابن أبي حاتم (١٩٢١١)، وفي إسناده أبو صالح عبد الله بن أبي صالح كاتب الليث: صدوق يخطئ، وأيضًا فإنه لم يرفعه إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فلا يصح الاستدلال به.

(٣) في (ز): (ابن جرير).

(٤) موضوع: رواه البغوي (٢٣٢٨)، وفيه إسحاق بن بشر: كذاب.

(٥) بياض في (ز)، والمثبت موافق لما في «الطبراني».

(٦) لوحة (٢١٦ أ مكرر).

(٧) ضعيف: رواه الطبراني (١٢/ ٧٢/ ١٢٥١١)، وفيه ليث بن أبي سليم: اختلط فلم تتميز أحاديثه فترك.

سورة الطارق

تفسير سورة الطارق، وهي مكية

قال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدَّثنا أبي، حدَّثنا عبد الله بن محمَّد -قال: عبد الله وسمعته أنا منه- حدَّثنا مروان بن معاوية الفزاري، عن عبد الله بن عبد الرَّحمن الطَّائفي، عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي جَبَلٍ العدواني، عن أبيه: أنَّه أبصر رسول الله ﷺ في مُشرِّق[1] ثقيف وهو قائمٌ علىٰ قوسٍ -أو: عصا- حين أتاهم يبتغي عندهم النَّصر، فسَمِعْتُه يقول: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ حتىٰ ختمها -قال: فوعيتها في الجاهليَّة وأنا مشركٌ، ثم قرأتها في الإسلام، قال: فدعتني ثقيفٌ فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرَّجل؟ فقرأتها عليهم، فقال مَن معهم من قريش: نحن أعلم بِصَاحِبِنَا، لو كنَّا نعلم ما يقول حقًّا لاتَّبعْنَاه[2].

وقال النَّسائي: حدَّثنا عمرو بن منصور، حدَّثنا أبو نعيمٍ، عن مسْعَر، عن محاربِ بن دِثَار، عن جابر قال: صلَّىٰ معاذ المغرب، فقرأ البقرة والنِّساء، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**أَفَتَّانٌ يا مُعَاذُ؟ مَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَقْرَأَ بِالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ، وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَنَحْوِ هَذَا؟**»[3].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ۝١٠﴾

يُقْسِم تعالىٰ بالسَّماء وما جعل فيها مِن الكواكبِ النَّيِّرة؛ ولهذا قال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ ثم قال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ ثمَّ فسَّره بقوله: ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾.

---

(١) المُشرق: سوق ثقيف.

(٢) ضعيف: رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في «زوائد المسند» (٤/ ٣٣٥)، وفيه عبد الرحمن بن خالد. قال الحسيني في «الإكمال»: مجهول، والراوي عنه: صدوق يخطئ، ولا يصح تفرده.

(٣) صحيح: رواه النسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٦٤)، وقد تقدم نحوه. انظر أول تفسير سورة «الانفطار».

قال قتادة وغيره: إنَّما سُمِّيَ النَّجم طارقًا؛ لأنَّه إنَّما يرىٰ باللَّيل ويختفي بالنَّهار. ويُؤيِّده ما جاء في الحديث الصحيح: «نَهَىٰ أَن يطرُق الرَّجل[1] أهله طروقًا»[2] أي: يأتيهم فجأةً باللَّيل. وفي الحديث الآخر المشتمل علىٰ الدعاء: «**إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ**»[3].

وقوله: ﴿ٱلثَّاقِبُ﴾ قال ابن عبَّاس: المضيء. وقال السُّدِّي: يثقب الشَّياطين إذا أرسل عليها. وقال عكرمة: هو مضيءٌ ومحرقٌ للشَّيطان.

وقوله: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾؛ أي: كلُّ نفسٍ عليها مِن الله حافظٌ يحرسها من الآفات، كما قال تعالىٰ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ الآية [الرعد: ١١].

وقوله: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ تنبيه للإنسان علىٰ ضعفِ أصلِهِ الذي خُلِقَ منه، وإرشادٌ له إلىٰ الاعتراف بالمعاد؛ لأنَّ مَن قدرَ علىٰ البَدَاءة فهو قادرٌ علىٰ الإعادة بطريقِ الأولىٰ، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

وقوله: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ يعني: المني؛ يخرج دَفقًا من الرَّجل ومِن المرأة، فيتولَّد منهما الولد بإذن الله ﷻ؛ ولهذا قال: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ يعني: صلبَ الرَّجل وترَائِبَ المرأة، وهو صَدْرُها.

قال شبيب بن بشر، عن عِكْرِمَةَ، عن ابن عبَّاس: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ صلب الرجل وترائب المرأة، أصفر رقيق، لا يكون الولد إلا منهما[4].

وكذا قال سعيد بن جُبَيرٍ، وعكرمة، وقتادة، والسُّدِّي، وغيرهم.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيدٍ الأشج، حدَّثنا أبو أسامة، عن مِسْعَرٍ: سمعت الحكم ذكر عن ابن عبَّاس: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ قال: هذه التَّرائب. ووضع يده علىٰ صدره[5].

وقال الضَّحَّاكُ وعطية، عن ابن عبَّاس: تَرِيبة المرأة موضعُ القلادة[6]. وكذا قال عكرمة، وسعيد بن جُبَير. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: التَّرائب: بين ثدييها[7].

وعن مجاهد: التَّرائب ما بين المنكبين إلىٰ الصَّدر. وعنه أيضًا: التَّرائب أسفل من التَّراقي. وقال سفيان الثوري: فوق الثَّدْيَيْنِ. وعن سعيد بن جُبَيرٍ: التَّرائب أربعة أضلاع من هذا الجانب الأسفل.

---

(١) لوحة (٢١٦ ب مكرر). (٢) البخاري (٥٢٤٣)، ومسلم (٧١٥).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٤١٩)، وأبو يعلىٰ (٦٨٤٤).

(٤) رواه ابن أبي حاتم (١٩٢١٣)، وشبيب بن بشر: صدوق يخطئ. ويشهد له ما بعده.

(٥) رواه ابن أبي حاتم (١٩٢١٤). (٦) رواه الطبري (٣٠/ ١٤٣).

(٧) رواه الطبري (٣٠/ ١٤٣).

وعن الضَّحَّاكِ: التَّرائب بين الثَّدْيَيْنِ والرِّجلين والعَيْنَيْنِ.

وقال الليث بن سعد، عن مَعْمَرِ بن أبي حبيبة المدني: أنَّه بلغه في قول الله ﷻ: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [قال: هو عصارةُ القلب، من هناك يكون الولد.

وعن قتادة: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾][1] من بين صلبه ونحره[2].

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: علىٰ رجع هذا الماء الدَّافق إلىٰ مقره الذي خرج منه لقادرٌ علىٰ ذلك. قاله مجاهد، وعكرمة، وغيرهما[3].

والقول الثَّاني: إنَّه علىٰ رجعِ هذا الإنسان المخلوق مِن ماءٍ دافقٍ -أي: إعادته وبعثه إلىٰ الدَّار الآخرة- لقادرٌ؛ لأنَّ مَن قدرَ علىٰ البدء قدرَ علىٰ الإعادة.

وقد ذكر الله ﷻ هذا الدَّليل في القرآن في غيرِ ما موضعٍ، وهذا القول قال به الضَّحَّاكُ، واختاره ابن جرير، ولهذا قال: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾؛ أي: يوم القيامة تُبْلَىٰ فيه السَّرائر؛ أي: تظهر وتبدو، ويبقىٰ السِّر علانيةً، والمكنون مشهورًا. وقد ثبت في «الصحيحين»، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «**يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ**»[4].

وقوله: ﴿فَمَا لَهُۥ﴾؛ أي: الإنسان يوم القيامة ﴿مِن قُوَّةٍ﴾؛ أي: في نفسه ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾؛ أي: من خارجٍ منه؛ أي: لا يَقْدِرُ علىٰ أن ينقذ نفسه مِن عذابِ الله، ولا يستطيع له أحدٌ ذلك.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾

قال ابن عبَّاس: الرَّجع: المطر. وعنه: هو السَّحاب فيه المطر. وعنه: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ تمطر ثم تمطر.

وقال قتادة: ترجع رزق العباد كلَّ عامٍ، ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم.

وقال ابن زيد: ترجع نجومها وشمسها وقمرها، يأتين مِن هاهنا.

﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ قال ابن عبَّاسٍ: هو انصداعها عن النبات. وكذا قال سعيد بن جُبَيرٍ، وعكرمة،

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: من بين صلب الرجل وترائبه أعلىٰ صدره، وهذا يدل علىٰ عمق مخرج هذا الماء، وأنه يخرج من مكانٍ مكينٍ في الجسد، وقال بعض العلماء: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ﴾ أي: صلب الرجل، ﴿وَٱلتَّرَآئِبِ﴾: ترائب المرأة، ولكن هذا خلاف ظاهر اللفظ، والصواب أن الذي يخرج من بين الصلب والترائب هو ماء الرجل؛ لأن الله تعالىٰ وصفه بذلك.

(٣) لوحة (٢١٧ أ).

(٤) البخاري (٦١٧٧)، ومسلم (١٧٣٥).

وأبو مالكٍ، والضَّحَّاكُ، والحسنُ، وقتادةُ، والسُّدِّي، وغير واحدٍ.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾ قال ابن عبَّاس: حق. وكذا قال قتادة.

وقال آخر: حكم عدل.

﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾؛ أي: بل هو حَقٌّ جدٌّ.

ثم أخبر عن الكافرين بأنَّهم يكذِّبون به، ويصدُّون عن سبيله، فقال: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا﴾؛ أي: يمكرون بالنَّاس في دعوتهم إلىٰ خلاف القرآن.

ثم قال: ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: أنظرهم ولا تستعجِلْ لهم، ﴿أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾؛ أي: قليلًا. أي: وترىٰ ماذا أحلَّ بهم منَ العذابِ والنَّكالِ، والعقوبةِ والهلاكِ، كما قال: ﴿ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴾ [لقمان: ٢٤].

آخر تفسير سورة الطارق، ولله الحمد.

سُورَةُ الأَعْلَى

تفسير سورة ﴿سَبِّحِ﴾، وهي مكية

والدَّليل علىٰ ذلك ما رواه البخاري: حدَّثنا عبدان: أخبرني أبي، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء[1] بن عازب قال: أوَّل مَن قَدِمَ علينا من أصحاب النَّبيِّ ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يُقرِئَانِنَا القرآن. ثم جاء عمَّار وبلال وسعد. ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين. ثم جاء النَّبيُّ ﷺ فما رأيت أهل المدينة فَرِحُوا بشيءٍ فرحهم به، حتىٰ رأيت الولائد والصِّبيان يقولون: هذا رسول الله قد جاء، فما جاء حتىٰ قرأت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ في سور مثلها[2].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا وَكِيعٌ، حدَّثنا إسرائيل، عن ثُوَيْر بن أبي فاختَةَ، عن أبيه، عن علي قال: كان رسول الله ﷺ يحب هذه السُّورة: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ تفرَّد به أحمد[3].

وثبت في «الصحيحين»: أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ: «هَلَّا صَلَّيْتَ بِـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾»[4].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا سفيان، عن إبراهيم بن محمَّد بن المنتشر، عن أبيه، عن حبيب بن سالم، عن أبيه، عن النعمان بن بشير: أن رسول الله ﷺ قرأ في العيدين بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾ وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعًا[5].

هكذا وقع في «مسند الإمام أحمد» إسناد هذا الحديث. وقد رواه مسلم في «صحيحه»، وأبو داود والتِّرمذي، والنسائي، من حديث أبي عَوَانة وجرير وشعبة، ثلاثتهم عن [إبراهيم بن][6] محمَّد بن المنتشر، عن أبيه، عن حبيب بن سالم، عن النعمان بن بشير به. قال التِّرمذي: «وكذا رواه الثوري ومسعر، عن إبراهيم -قال: ورواه سفيان بن عيينة عن إبراهيم- عن أبيه، عن حبيب بن سالم، عن أبيه، عن النعمان. ولا يعرف لحبيب رواية عن أبيه»[7].

---

(١) لوحة (٢١٧ ب). (٢) البخاري (٤٩٤١).

(٣) ضعيف جدًّا: رواه أحمد (١/ ٩٦)، وفيه ثوير بن أبي فاختة: متروك.

(٤) البخاري (٧٠٥)، ومسلم (٤٦٥). (٥) رواه أحمد (٢٧٧٤).

(٦) سقط من (ز)، وهي مثبتة من «صحيح مسلم».

(٧) مسلم (٨٧٨)، وأبو داود (١١٢٢)، والترمذي (٥٣٣)، والنسائي (٣/ ١١٢).

وقد رواه ابن ماجة عن محمَّد بن الصباح، عن سفيان بن عيينة، عن إبراهيم بن المنتشر، عن أبيه، عن حبيب بن سالم، عن النعمان به(١) كما رواه الجماعة، والله أعلم.

ولفظ مسلم وأهل السنن: كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾، وربما اجتمعا في يومٍ واحدٍ فقرأهما.

وقد روىٰ الإمام أحمد في «مسنده» من حديث أبي بن كعب، وعبد الله بن عبَّاس، وعبد الرحمن بن أبزىٰ، وعائشة أم المؤمنين: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الوتر بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ زادت(٢) عائشة: والمعوذتين(٣).

وهكذا رُوي هذا الحديث من طريق جابر وأبي أمامة صُدَيِّ بن عجلان، وعبد الله بن مسعود، وعمران بن حصين، وعلي بن أبي طالب ﵃ ولولا خشية الإطالة لأوردنا ما تيسَّر من أسانيد ذلك ومتونه، ولكن في الإرشاد بهذا الاختصار كفاية، والله أعلم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ(٤) ۝١٣﴾

قال الإمام أحمد: حدَّثنا أبو عبد الرحمن، حدَّثنا موسىٰ -يعني ابن أيوب الغافقي- حدَّثنا عمِّي إياس بن عامر، سمعت عقبة بن عامر الجهني لما نزلت: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:٧٤، ٩٦] قال لنا رسول الله ﷺ: «اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ». فلما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال: «اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ»(٥).

---

(١) رواه ابن ماجة (١٢٨). (٢) لوحة (٢١٨ أ).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٥/ ١٢٣) من حديث أبي بن كعب، ورواه (١/ ٢٩٩) من حديث ابن عبَّاس، و(٣/ ٤٠٦) من حديث عبد الرحمن بن أبزىٰ، و(٦/ ٢٢٧) من حديث عائشة.

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: فَالجَزاءُ مِن جِنسِ العَمَلِ. لَمَّا كَانَ فِي الدُّنيَا: لَيسَ بِحَيِّ الحَيَاةَ النَّافِعَةَ الَّتِي خُلِقَ لِأَجلِهَا، بَل كَانَت حَيَاتُهُ مِن جِنسِ حَيَاةِ البَهَائِمِ. وَلَم يَكُن مَيِّتًا عَدِيمَ الإِحسَاسِ - كَانَ فِي الآخِرَةِ كَذَلِكَ. فَإِنَّ مَقصُودَ الحَيَاةِ: هُوَ حُصُولُ مَا يَنتَفِعُ بِهِ الحَيُّ وَيَستَلِذُّ بِهِ، وَالحَيُّ لَا بُدَّ لَهُ مِن لَذَّةٍ أَو أَلَمٍ. فَإِذَا لَم تَحصُل لَهُ اللَّذَّةُ لَم يَحصُل لَهُ مَقصُودُ الحَيَاةِ، فَإِنَّ الأَلَمَ لَيسَ مَقصُودًا. كَمَن هُوَ حَيٌّ فِي الدُّنيَا وَبِهِ أَمرَاضٌ عَظِيمَةٌ لَا تَدَعُهُ يَتَنَعَّمُ بِشَيءٍ مِمَّا يَتَنَعَّمُ بِهِ الأَحيَاءُ. فَهَذَا يَبقَىٰ طُولَ حَيَاتِهِ يَختَارُ المَوتَ وَلَا يَحصُلُ لَهُ.

(٥) ضعيف: رواه أبو داود (٨٦٩)، وابن ماجة (٨٨٧)، وأحمد (٤/ ١٥٥)، وفيه موسىٰ بن أيوب الغافقي، قال الحافظ: مقبول.

ورواه أبو داود، وابن ماجه، من حديث ابن المبارك، عن موسىٰ بن أيوب به[١].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا وَكِيعٌ، حدَّثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مسلم البَطين، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عبَّاس: أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَىٰ**»[٢].

وهكذا رواه أبو داود عن زُهَير بن حرب، عن وكيع به، وقال: «خُولِف فيه وكيع، رواه أبو وكيع وشعبة، عن أبي إسحاق، عن سعيد، عن ابن عبَّاس موقوفًا».

وقال الثوري، عن السُّدِّي، عن عبد خير قال: سمعت عليًّا قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ فقال: سبحان ربيَّ الأعلىٰ[٣].

وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن[٤] حُمَيد، حدَّثنا حَكَّام، عن عنبسةَ، عن أبي إسحاق الهَمْداني: أن ابن عبَّاس كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ يقول: سبحان ربي الأعلىٰ، وإذا قرأ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة:١] فأتىٰ علىٰ آخرها: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة:٤٠] يقول: سبحانكَ وبَلَىٰ[٥].

وقال قتادة: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ ذُكِرَ لنا أن نَبِيَّ الله ﷺ كان إذا قرأها، قال: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَىٰ**»[٦].

وقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾؛ أي: خلق الخليقة، وسَوَّىٰ كلَّ مخلوقٍ في[٧] أحسن الهيئات.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ قال مجاهد: هدىٰ الإنسان للشَّقاوة والسَّعادة، وهدىٰ الأنعام لمَرَاتِعِهَا.

وهذه الآية كقوله تعالىٰ إخبارًا عن موسىٰ أنَّه قال لفرعون: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٥٠] أي: قدر قدرًا، وهدىٰ الخلائق إليه، كما ثبت في «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عَمرو أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ**»[٨].

---

(١) انظر التعليق السابق.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٨٨٣)، وأحمد (١/ ٢٣٢).

(٣) انظر: «سنن أبي داود» (١/ ٥٤٩)، وثبت عن ابن عبَّاسٍ موقوفًا من طرق أخرىٰ. انظر: «الطبري» (٣٠/ ١٥١)، ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ٤٥٢)، وابن أبي شيبة مختصرًا (٢/ ٥٠٩) ورجاله ثقات.

(٤) في (ز): (أبو حميد)، وهو خطأ.

(٥) رواه الطبري (٣٠/ ١٥١)، وإسناده حسن.

(٦) رواه الطبري (٣٠/ ١٥١)، وشيخ المصنف محمَّد بن حميد: حافظ ضعيف، لكن ثبوت ذلك عن ابن عبَّاس صحيح. تقدم في هذه السورة، وانظر آخر سورة القيامة.

(٧) لوحة (٢١٨ ب).

(٨) صحيح مسلم (٢٦٥٣).

وقوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾؛ أي: من جميع صنوف النَّباتات والزُّروع، ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ قال ابن عبَّاس: هشيمًا متغيِّرًا. وعن مجاهد، وقتادة، وابن زيد نحوه.

قال ابن جرير: وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرىٰ أن ذلك من المؤخَّر الذي معناه التَّقديم، وأنَّ معنىٰ الكلام: والَّذي أخرج المرعىٰ أحوىٰ؛ أي: أخضر إلىٰ السَّواد، فجعله غثاءً بعد ذلك. ثم قال ابن جرير: وهذا وإن كان محتملًا إلا أنَّه غيرُ صوابٍ؛ لمخالفته أقوال أهل التَّأويل.

وقوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ -أي: يا محمَّد- ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾، وهذا إخبار من الله ﷻ ووعد منه له، بأنَّه سيقرئه قراءة لا ينساها، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وهذا اختيار ابن جرير.

وقال قتادة: كان رسول الله ﷺ لا ينسىٰ شيئًا إلا ما شاء الله[(١)].

وقيل: المراد بقوله: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ طلب، وجعلوا معنىٰ الاستثناء -علىٰ هذا- ما يقع من النَّسخ؛ أي: لا تنسىٰ ما نُقْرِئُك إلا ما شاء الله رفعه؛ فلا عليك أن تتركه.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾؛ أي: يعلم ما يجهر بِهِ العباد وما يُخْفُونَهُ مِن أقوالهم وأفعالهم، لا يخفىٰ عليه مِن ذلك شيءٌ.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾؛ أي: نُسَهِّلُ عليك أفعال الخير وأقواله، ونشرع لك شرعًا سهلًا سمحًا مستقيمًا عدلًا لا اعوجاجَ فيه ولا حرجَ ولا عسرَ.

وقوله: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾؛ أي: ذكِّر حيث تنفع التَّذكرة. ومِن هاهنا يؤخذ الأدب في نشر العِلْمِ، فلا يضعه عند غير أهله، كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه[(٢)]: ما أنت بمحدِّث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنةً لبعضهم. وقال: حدِّث النَّاس بما يعرفون، أتحبُّون أن يكذَّب الله ورسوله؟![(٣)].

وقوله: ﴿سَيَذَّكَّرُ[(٤)] مَن يَخْشَىٰ﴾؛ أي: سيتَّعظ بما تبلغه يا محمَّد مِن قلبه يخشىٰ الله، ويعلم أنَّه ملاقيه، ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾؛ أي: لا يموت فيستريح، ولا يَحْيَا حياةً تنفعه، بل هي مضرَّة عليه؛ لأنَّ بسببها يشعر ما يعاقب به مِن أليم العذاب، وأنواع النَّكال.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا ابن أبي عدي، عن سليمان -يعني التيمي- عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا [فإنهم][(٥)] لا يَمُوتُونَ وَلا يَحْيَوْنَ، وَأَمَّا أُنَاسٌ**

---

(١) الطبري (٣٠/ ١٥١)، وإسناده مرسل، ومعناه صحيح، وقد ثبت في «صحيح البخاري» عن ابن عبَّاس نحو هذا عند قوله تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ [القيامة].

(٢) رواه مسلم في المقدمة (١/ ١١٣) موقوفًا علىٰ ابن مسعود، وبهذا أشار الحافظ في «الفتح» (١/ ٢٢٥).

(٣) رواه البخاري (١٢٧). (٤) لوحة (٢١٩ أ).

(٥) سقط من (ز)، وهي مثبتة من «المسند».

يُرِيدُ اللهُ بِهِمُ الرَّحْمَةَ فَيُمِيتُهُمْ فِي النَّارِ فَيَدْخُلُ عَلَيْهِمُ الشُّفَعَاءُ فَيَأْخُذُ الرَّجُلُ أَنْصَارَهُ فَيُنْبِتُهُمْ -أو قال: يَنْبُتُونَ- فِي نَهْرِ [الحَيَاءِ، أو قال:](١) الحَيَاةِ، أو قال: الحَيَوَانِ، أو قال: نَهْرِ الجَنَّةِ- فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الحِبَّةِ(٢) فِي حَمِيلِ السَّيْلِ». قال: وقال النَّبيُّ ﷺ: «أَمَا تَرَوْنَ الشَّجَرَةَ تَكُونُ خَضْرَاءَ، ثُمَّ تَكُونُ صَفْرَاءَ [أو قال: تَكُونُ صَفْرَاءَ](٣) ثُمَّ تَكُونُ خَضْرَاءَ؟». قال: فقال بعضهم: كأنَّ النَّبيَّ ﷺ كان بالبادية(٤).

وقال أحمد أيضًا: حدَّثنا إسماعيل، حدَّثنا سعيد بن يزيد، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ أُنَاسٌ -أو كما قال- تُصِيبُهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ -أو قال: بِخَطَايَاهُمْ- فَيُمِيتُهُمْ إِمَاتَةً، حَتَّىٰ إِذَا صَارُوا فَحْمًا أُذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ(٥)، فَنَبَتُوا عَلَىٰ أَنْهَارِ الجَنَّةِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ. فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ». قال: فقال رجلٌ من القوم حينئذٍ: كأنَّ رسول الله ﷺ كان بالبادية(٦).

ورواه مسلم في حديث بشر بن(٧) المفضل وشعبة، كلاهما عن أبي مَسْلَمَةَ سعيد بن زيد(٨) به مثله(٩)، ورواه أحمد أيضًا عن يزيد، عن سعيد بن إياس الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ النَّارِ الَّذِينَ لا يُرِيدُ اللهُ إِخْرَاجَهُمْ لا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلا يَحْيَوْنَ، وَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ الَّذِينَ يُرِيدُ اللهُ إِخْرَاجَهُمْ يُمِيتُهُمْ فِيهَا إِمَاتَةً، حَتَّىٰ يَصِيرُوا فَحْمًا، ثُمَّ يَخْرُجُونَ ضَبَائِرَ فَيُلْقَوْنَ عَلَىٰ أَنْهَارِ الجَنَّةِ، [أَوْ يُرَشُّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْهَارِ الجَنَّةِ](١٠) فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»(١١).

وقد قال الله إخبارًا عن أهل النَّار: ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧]، وقال تعالىٰ(١٢): ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر:٣٦] إلىٰ غير ذلك من الآيات في هذا المعنىٰ.

---

(١) سقط من (ز)، وهي مثبتة من «المسند».

(٢) الحبة: بذور البقول وحب الرياحين، وقيل: نبت أصفر ينبت في الحشيش، والحميل: ما يجيء به السيل من طينٍ أو غثاءٍ، فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت علىٰ شط مجرىٰ السيل فإنها تنبت في يومٍ وليلةٍ، فشبه به سرعة عود أجسامهم إليهم بعد احتراقها.

(٣) سقط من (ز)، وهي مثبتة من «المسند».

(٤) رواه مسلم (١٨٥)، وأحمد (٣/ ٥) (٣/ ١١) (٣/ ٢٠).

(٥) أي: جماعات.

(٦) انظر التخريج السابق.

(٧) في (ز): (أبو المفضل)، وهو خطأ.

(٨) في (ز): (أبي مسلم سعيد بن يزيد)، وهو خطأ.

(٩) مسلم (١٨٥).

(١٠) سقط من (ز)، وهو مثبت من «المسند».

(١١) رواه أحمد (٣/ ٢٠).

(١٢) لوحة (٢١٩ ب).

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ⑭ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ⑮ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ⑯ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ[1] ⑰ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ⑱ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ⑲﴾

يقول تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾؛ أي: طهَّر نفسه من الأخلاق الرَّذيلة، وتابع ما أنزل الله علىٰ رسوله صلوات الله وسلامه عليه، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾؛ أي: أقام الصَّلاة في أوقاتها؛ ابتغاء رضوانِ الله، وطاعةً لأمر الله، وامتثالًا لشَرْعِ الله. وقد قال الحافظ أبو بكر البزار: حدَّثنا عباد بن أحمد العرزمي، حدَّثنا عمي محمَّد بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عطاء بن السائب، عن عبد الرحمن بن سابط، عن جابر بن عبد الله، عن النَّبيِّ ﷺ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ قال: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَخَلَعَ الأَنْدَادَ، وَشَهِدَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ**»، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ قال: «**هِيَ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالمُحَافَظَةُ عَلَيْهَا، وَالِاهْتِمَامُ بِهَا**»[2]. ثم قال لا يروىٰ عن جابر إلا من هذا الوجه.

وكذا قال ابن عبَّاس: إن المراد بذلك: الصَّلوات الخمس[3]. واختاره ابن جرير.

وقال ابن جرير: حدَّثني عَمرو بن عبد الحميد الآملي[4]، حدَّثنا مروان بن معاوية، عن أبي خلدة قال: دخلت علىٰ أبي العالية فقال لي: إذا غدوت غدًا إلىٰ العيد فمرَّ بي. قال: فمَرَرْتُ به فقال: هل طعمت شيئًا؟ قلت: نعم. قال: أفضت علىٰ نفسك من الماء؟ قلت: نعم. قال: فأخبرني ما فعلت بزكاتِكَ؟ قلت: وكأنَّك قُلت: قد وَجَّهتها؟ قال: إنَّما أردتك لهذا. ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ⑭ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ وقال: إن أهل المدينة لا يرون صدقةً أفضل منها ومن سقاية الماء.

قلت: وكذلك روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنَّه كان يأمر النَّاس بإخراج صدقة الفطر، ويتلو هذه الآية ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ⑭ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾.

وقال أبو الأحوص: إذا أتىٰ أحدَكُمْ سائلٌ وهو يريد الصَّلاة، فليقدِّم بين يدي صلاته زكاتَهُ، فإن الله يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ⑭ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾.

وقال قتادة في هذه الآية ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ⑭ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ زكىٰ ماله وأرضىٰ خالقه.

ثم قال تعالىٰ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾؛ أي: يقدمونها علىٰ أمرِ الآخرة، وتبدونها علىٰ ما فيه

---

(١) قال الشيخ أبو بكر الجزائري ﷺ: قال مالك بن دينار ونص كلمته كالتالي: لو كانت الدنيا من ذهبٍ يفنىٰ والآخرة من خزفٍ يبقىٰ لكان الواجب أن يؤثر خزفٌ يبقىٰ علىٰ ذهبٍ يفنىٰ، قال: فكيف والآخرة من ذهبٍ يبقىٰ والدنيا من خزفٍ يفنىٰ؟

(٢) ضعيف جدًّا: رواه البزار (٢/ ١١٧ - كشف)، وفيه عباد بن أحمد العرزمي: متروك.

(٣) رواه الطبري (٣٠/ ١٥٧)، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس.

(٤) في (ز): (الأيلي)، وهو خطأ، والمثبت موافق لما في «الطبري».

نفعهم[١] وصلاحهم في معاشهم ومعادهم، ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾؛ أي: ثواب الله في الدَّار الآخرة خيرٌ من الدُّنيا وأبقىٰ، [فإنَّ الدُّنيا][٢] دنيَّةٌ فانيةٌ، والآخرةَ شريفةٌ باقيةٌ، فكيف يؤثِرُ عاقلٌ ما يفنَىٰ علىٰ ما يبقىٰ، ويهتَمُّ بما يزول عنه قريبًا، ويترك الاهتمام بدارِ البقاء والخُلْدِ؟!

قال الإمام أحمد: حدَّثنا حسين بن محمَّد، حدَّثنا ذُوَيد، عن أبي إسحاق، عن عُرْوَةَ، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لا دَارَ لَهُ، وَمَالُ مَنْ لا مَالَ لَهُ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لا عَقْلَ لَهُ»[٣].

وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن حميد، حدَّثنا يحيىٰ بن واضح، حدَّثنا أبو حمزة، عن عطاء، عن عَرْفَجة الثقفي قال: استقرأت ابن مسعود: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ فلما بلغ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ ترك القراءة، وأقبل علىٰ أصحابه وقال: آثرنا الدُّنيا علىٰ الآخرة. فسَكَتَ القومُ، فقال: آثَرْنَا الدُّنيا لأنَّا رأينا زينتها ونساءَهَا وطعامها وشرابها، وزُوِيَتْ عنَّا الآخرة فاخترنا هذا العاجِلَ وتركنا الآجِلَ[٤].

وهذا منه علىٰ وجه التَّواضع والهضم، أو هو إخبارٌ عن الجنس من حيث هو، والله أعلم.

وقد قال الإمام أحمد: حدَّثنا سليمان بن داود الهاشمي، حدَّثنا إسماعيل بن جعفر، أخبرني عمرو بن أبي عمرو، عن المطلب بن عبد الله، عن أبي موسىٰ الأشعري: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَىٰ عَلَىٰ مَا يَفْنَىٰ». تفرَّد به أحمد[٥].

وقد رواه أيضًا عن أبي سلمة[٦] الخزاعي، عن الدراوردي، عن عمرو بن أبي عمرو به مثله سواء.

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ قال الحافظ أبو بكر البزار: حدَّثنا نصر بن علي، حدَّثنا مُعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن عطاء بن السائب، عن عِكْرِمة، عن ابن عبَّاس قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ قال النَّبيُّ ﷺ: «كَانَ كُلُّ هَذَا -أو: كَانَ هَذَا- فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ»[٧].

ثم قال: لا نعلم أسند الثِّقات عن عطاء بن السَّائب، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس غير هذا، وحديثًا

---

(١) لوحة (٢٢٠ أ).

(٢) سقط من (ز).

(٣) ضعيف: رواه أحمد (٦/ ٧١)، وفيه أبو إسحاق: يرسل، وقد عنعن، وبقية رجاله ثقات.

(٤) رواه الطبري (٣٠/ ١٥٧) والطبراني في «الكبير» (٩/ ٢٦٧/ ٩١٤٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠١٦١) ورجاله ثقات عدا عرفجة فمقبول كما قال الحافظ.

(٥) ضعيف: رواه أحمد (٤/ ٤١٢)، وفيه انقطاع بين المطلب وأبي موسىٰ.

(٦) في (ز): (أبي مسلم).

(٧) ضعيف: رواه البزار (١٥٣٠ - كشف)، وفيه عطاء بن السائب: اختلط.

آخر أورده قبل هذا.

وقال النسائي: أخبرنا زكريا بن يحيىٰ، أخبرنا نصر بن علي، حدَّثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن عطاء بن السائب، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس[1] قال: لما نزلت ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال: كلُّها في صحف إبراهيم وموسىٰ، فلمَّا نزلت: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ [النجم:٣٧] قال: وفَّىٰ ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم:٣٨][2].

يعني: أنَّ هذه الآية كقوله في سورة «النَّجم»: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٣٦ - ٤٢] الآيات إلىٰ آخرهن. وهكذا قال عكرمة -فيما رواه ابن جرير، عن ابن حميد، عن مِهْران، عن سفيان الثوري، عن أبيه، عن عكرمة- في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ يقول: الآيات التي في ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾.

وقال أبو العالية: قصة هذه السورة في الصُّحُفِ الأولىٰ.

واختار ابن جرير أن المراد بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ إشارة إلىٰ قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾؛ أي: مضمون هذا الكلام ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾.

وهذا اختيارٌ حسنٌ قويٌّ. وقد رُوِيَ عن قتادة وابن زيد نحوُه. والله أعلم.

آخر تفسير سورة سبح، ولله الحمد والمنة.

(١) لوحة (٢٢٠ ب).

(٢) ضعيف كسابقه: رواه النسائي في «الكبرىٰ» (٦/ ٥١٣) (١١٦٦٨).

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

تفسير سورة الغاشية، وهي مكيَّة

قد تقدَّم عن النُّعمان بن بَشير: أنَّ رسول الله ﷺ كان يقرأ بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ والغاشية في صلاة العيد ويوم الجمعة[(١)].

وقال الإمام مالك، عن ضَمْرَةَ بن سعيد، عن عُبَيد[(٢)] الله بن عبد الله: أن الضَّحَّاكَ بن قيسٍ سأل النعمان بن بشيرٍ: بِمَ كان رسول الله ﷺ يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة؟ قال: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾[(٣)].

رواه أبو داود عن القَعْنَبيِّ، والنسائي عن قتيبة، كلاهما عن مالك به، ورواه مسلم وابن ماجه، من حديث سفيان بن عيينة، عن ضمرة بن سعيدٍ به[(٤)].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا[(٥)] حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾

الغاشية: مِن أسماء يوم القيامة. قاله ابن عبَّاس، وقتادة، وابن زيد؛ لأنها تغشىٰ الناس وتَعُمّهم. وقد قال ابن أبي حاتم:

حدَّثنا أبي، حدَّثنا علي بن محمَّد الطَّنَافِسِيّ، حدَّثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون قال: مرَّ النَّبيُّ ﷺ علىٰ امرأةٍ تقرأ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ فقام يستمع ويقول: «نَعَمْ، قَدْ جَاءَنِي»[(٦)].

---

(١) رواه مسلم (٨٧٨)، وأبو داود (١١٢٢)، والترمذي (٥٣٣)، والنسائي (٣/ ١١٢)، وابن ماجة (١٣٨).

(٢) في (ز): (عبد الله بن عبد الله)، والمثبت هو الصواب.

(٣) رواه مالك (١/ ١١٢/ ١٩).

(٤) رواه مسلم (٨٧٨)، وأبو داود (١١٢٣)، والنسائي (٣/ ١١٢)، وابن ماجة (١٣٨).

(٥) لوحة (٢٢١ أ).

(٦) إسناده ضعيف: رواه ابن أبي حاتم (١٩٢٥٠)، وفيه أبو بكر بن عياش: روايته عن غير أهل بلده ضعيفة، وأبو إسحاق يرسل وقد عنعن، والحديث مرسل.

وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾؛ أي: ذليلةٌ. قاله قتادة. وقال ابن عبَّاس: تخشع ولا ينفعها عملها.

وقوله: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾؛ أي: قد عملتُ عملًا كثيرًا، ونصبت فيه، وصَلِيَتْ يوم القيامة نارًا حاميةً.

وقال الحافظ أبو بكر البرقاني: حدَّثنا إبراهيم بن محمَّد المُزَكِّي[(١)]، حدَّثنا محمَّد بن إسحاق السراج، حدَّثنا هارون بن عبد الله، حدَّثنا سيار، حدَّثنا جعفر، قال: سمعت أبا عمران الجَوني يقول: مَرَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بديرِ راهبٍ، قال: فناداهُ: يا راهب يا راهب فأشرف. قال: فجعل عمر ينظر إليه ويبكي. فقيل له: يا أمير المؤمنين، ما يُبْكِيكَ مِن هذا؟ قال: ذكرت قول الله عز وجل في كتابه: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ فذاك الَّذِي أبكاني[(٢)].

وقال البخاري: قال ابن عبَّاس: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ النَّصارىٰ[(٣)]. وعن عكرمة، والسُّدِّي: ﴿عَامِلَةٌ﴾ في الدُّنيا بالمعاصي ﴿نَّاصِبَةٌ﴾ في النَّار بالعذابِ والأغلال.

قال ابن عبَّاس، والحسن، وقتادة: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾؛ أي: حارَّةً شديدةَ الحرِّ ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾؛ أي: قد انتهىٰ حَرُّها وغليانها. قاله ابن عبَّاس، ومجاهد، والحسن، والسُّدِّي.

وقوله: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: شجر من نارٍ. وقال سعيد بن جبير: هو الزَّقُّوم. وعنه: أنَّها الحجارة. وقال ابن عبَّاس، ومجاهد، وعكرمة، وأبو الجوزاء، وقتادة: هو الشِّبرِقُ. قال قتادة: قريش تسميه في الربيع الشِّبرِقُ، وفي الصيف الضَّرِيع. قال عكرمة: وهو شجرة ذات شوكٍ لاطئة بالأرض.

وقال البخاري: قال مجاهد: الضَّريعُ نبتٌ يقال له: الشِّبرِقُ، يسمِّيه أهل الحجاز: الضريعَ إذا يبس، وهو سُمٌّ[(٤)]. وقال مَعْمَرٌ، عن قتادة: ﴿إِلَّا مِن[(٥)] ضَرِيعٍ﴾ هو الشِّبرِقُ، إذا يبس سُمِّي الضَّريع. وقال سعيد، عن قتادة: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ من شرِّ الطَّعام وأبشعه وأخبثه.

وقوله: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ يعني: لا يحصل به مقصودٌ، ولا يندفع به محذورٌ.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾

---

(١) في (ز): (محمد المري)، وهو خطأ.

(٢) ضعيف: رواه الواحدي في «تفسيره» (١٣٣٦)، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٦٨)، والحاكم (٢/ ٥٢٢) وقال: هذه حكاية في وقتها فإن أبا عمران الجوني عبد الملك بن حبيب لم يدرك زمان عمر.

(٣) البخاري (٤/ ١٨٨٦) ط ابن كثير، ووصله في «تغليق التعليق» (٤/ ٣٦٥).

(٤) البخاري تعليقًا (٤/ ١٨٨٦ ط ابن كثير، ووصله في «تغليق التعليق» (٤/ ٣٦٥).

(٥) لوحة (٢٢١ ب).

لما ذكر حال الأشقياء، ثنَّىٰ بذكر السُّعداء فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: يوم القيامة ﴿نَّاعِمَةٌ﴾؛ أي: يعرف النَّعيم فيها. وإنَّما حَصَلَ لها ذلك بسَعْيِهَا. وقال سفيان: ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ قد رَضِيَتْ عملها.

وقوله: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾؛ أي: رفيعةٍ بهيَّةٍ في الغُرُفَاتِ آمنون، ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾؛ أي: لا يسمع في الجنَّة التي هم فيها كلمة لغو. كما قال: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ [مريم:٦٢]، وقال: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور:٢٣]، وقال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦].

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾؛ أي: سارحةٌ. وهذه نكرة في سياق الإثبات، وليس المراد بها عينًا واحدةً، وإنَّما هذا جنسٌ؛ يعني: فيها عيونٌ جارياتٌ.

وقال ابن أبي حاتم: قُرِئ علىٰ الربيع بن سليمان: حدَّثنا أسد بن موسىٰ، حدَّثنا ابن ثوبان، عن عطاء ابن قُرَّةَ، عن عبد الله بن ضَمْرةَ، عن أبي هُرَيرةَ قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَنْهَارُ الجَنَّةِ تَفَجَّرُ مِنْ تَحْتِ تِلَالِ - أو: مِنْ تَحْتِ جِبَالِ- المِسْكِ**»[(١)].

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾؛ أي: عاليةٌ ناعمةٌ كثيرةُ الفرش، مرتفعة السَّمْكِ، عليها الحور العين. قالوا: فإذا أراد وَلِيُّ الله أن يجلس علىٰ تلك السُّرُرِ العالية تواضعت له، ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ يعني: أواني الشُّرب معدة مُرصدة لمن أرادها من أربابها، ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ قال ابن عبَّاس: النَّمارق: الوسائد. وكذا قال عكرمة، وقتادة، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّي، والثَّوري، وغيرهم.

وقوله: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ قال ابن عبَّاس: الزرابي: البُسُط. وكذا قال الضَّحَّاكُ، وغير واحدٍ.

ومعنىٰ مبثوثة؛ أي: هاهنا وهاهنا لمن أراد الجلوس عليها.

ونذكر[(٢)] هاهنا هذا الحديث الذي رواه أبو بكر بن أبي داود: حدَّثنا عمرو بن عثمان حدَّثنا أبي، عن محمَّد بن مهاجر، عن الضَّحَّاكِ المعافري، عن سليمان بن موسىٰ: حدَّثني كُرَيْبٌ، أنه سمع أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا هَلْ مِنْ مُشَمِّرٍ لِلْجَنَّةِ؟ فَإِنَّ الجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا**[(٣)]**، هِيَ وَرَبِّ الكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلَأْلأُ، وَرَيْحَانَةٌ تَهْتَزُّ، وَقَصْرٌ مَشِيدٌ، وَنَهْرٌ مُطَّرِدٌ، وَثَمَرَةٌ نَضِيجَةٌ وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ، وَحُلَلٌ كَثِيرَةٌ، وَمَقَامٌ فِي أَبَدٍ فِي دَارٍ سَلِيمَةٍ، وَفَاكِهَةٍ وَخُضْرَةٍ، وَحَبْرَةٍ وَنِعْمَةٍ، فِي مَحَلَّةٍ عَالِيَةٍ بَهِيَّةٍ**». قالوا: نعم يا رسول الله، نحن المشمِّرون لها. قال: «**قُولُوا: إِنْ شَاءَ اللهُ**». [قال القوم: إن شاء الله][(٤)][(٥)].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (٢٥٢) (٣٢٨٣)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣١٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٣٢) «موارد الظمآن»، وقال الألباني في «صحيح الترغيب»: حسن صحيح.

(٢) لوحة (٢٢٢ أ). (٣) أي: لا مثل لها. (٤) سقط من (ز).

(٥) ضعيف: رواه ابن ماجة (٤٣٣٢)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٤)، وفيه الضحاك المعافري: لم يوثقه غير ابن حبان، وفيه سليمان بن موسىٰ: مختلف فيه، وقال الحافظ: صدوق، في حديثه بعض اللين، وخولط قبل موته.

ورواه ابن ماجة عن العبَّاس بن عثمان الدمشقي، عن الوليد بن مسلم عن محمَّد بن مهاجر به.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (١) ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده بالنَّظر في مخلوقاته الدَّالَّة علىٰ قدرته وعظمته: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾؟ فإنَّها خلْقٌ عجيبٌ، وتركيبها غريبٌ، فإنَّها في غاية القوَّة والشدَّة، وهي مع ذلك تَلِينُ للحمل الثَّقيل، وتنقاد للقَائِدِ الضَّعيف، وتؤكل، وينتفع بوَبَرِهَا، ويشرب لبنها. ونبهوا بذلك؛ لأنَّ العرب غالب دوابهم كانت الإبل، وكان شريح القاضي يقول: اخرجوا بنا حتىٰ ننظر إلىٰ الإبل كيف خُلِقَتْ؟ وإلىٰ السَّماء كيف رُفِعَتْ؟ أي: كيف رفعها الله ﷻ عن الأرض هذا الرفع العظيم؟ كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق:٦].

﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ أي: جعلت منصوبةً قائمةً ثابتةً راسيةً؛ لئلَّا تميد الأرض بأهلِهَا، وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن.

﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾؟ أي: كيف بسطت ومُدَّتْ ومُهِّدَتْ؟ فنبَّه البدوي علىٰ الاستدلال بما يُشَاهِدُه مِن بعيره الَّذِي هو راكبٌ عليه، والسَّماء التي فوق رأسه، والجبل الَّذِي تجاهه، والأرض التي تحته (٢) -علىٰ قدرة خالق ذلك وصانعه، وأنَّه الرَّبُّ العظيم الخالق المتصرِّف

(١) قال الشيخ القاسمي رحمه الله: ذكر السكاكي في «المفتاح» في بحث الجامع الخيالي، أن جمعهُ علىٰ مجرىٰ الإلف والعادة بحسب ما تنعقد الأسباب في استيداع الصور خزانة الخيال، وأنه إذا لم يوفه حقه من التيقظ وأنه من أهل المدر، أنىٰ يستحلىٰ كلام ربِّ العزة مع أهل الوبر، حيث يبصرهم الدلائل ناسقاً ذلك النسق ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ [الغاشية] الآيات؛ لبعد البعير عن خياله في مقام النظر، ثم لبعده في خياله عن السماء، وبعد خلقه عن رفعها، وكذا البواقي. لكن إذا وفاهُ حقهُ بتيقظه لما عليه تقلبهم في حاجاتهم، جاء الاستحلاء؛ وذلك إذا نظر أن أهل الوبر، إذا كان مطعمهم ومشربهم وملبسهم من المواشي، كانت عنايتهم مصروفة لا محالة إلىٰ أكثرها نفعاً وهي الإبل، ثم إذا كان انتفاعهم بها لا يتحصل إلا بأن ترعىٰ وتشرب، كان جلّ مرمىٰ غرضهم نزول المطر، وأهم مسارح النظر عندهم السماء، ثم إذا كانوا مضطرين إلىٰ مأوًىٰ يؤويهم وإلىٰ حصنٍ يتحصنون فيه، ولا مأوىٰ ولا حصن إلا الجبال.

لنا جبلٌ يحتلُّه من نجيرهُ ... منيعٌ يردُّ الطرفَ وهو كليلُ

فما ظنك بالتفات خاطرهم إليها؟ ثم إذا تعذر طول مكثهم في منزل - ومن لأصحاب مواش بذاك - كان عقد الهمة عندهم بالتنقل من أرض إلىٰ سواها من عزم الأمور، فعند نظره هذا، أيرىٰ البدوي إذا أخذ يفتش عما في خزانة الصور له، لا يجد صورة الإبل حاضرة هناك أو لا يجد صورة السماء لها مقارنة، أو تعوزه صورة الجبال بعدهما، أو لا تنصّ إليه صورة الأرض تليها بعدهن؟ لا، وإنما الحضري، حيث لم تتآخذ عنده تلك الأمور، وما جمع خيالهُ تلك الصور علىٰ ذلك الوجه، وإذا تلا الآية قبل أن يقف علىٰ ما ذكرت، ظن النسق بجهله معيباً للعيب فيه.

(٢) لوحة (٢٢٢ ب).

المالك، وأنَّه الإله الَّذِي لا يستحق العبادة سواه. وهكذا أقسم «ضِمَام» في سؤاله علىٰ رسول الله ﷺ كما رواه الإمام أحمد حيث قال:

حدَّثنا هاشم بن القاسم، حدَّثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس قال: كنَّا نُهِينَا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيءٍ، فكان يعجبنا أن يجيءَ الرَّجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجلٌ مِن أهل البادية فقال: يا محمَّد، إنَّه أتانا رسولُك فزعَم لنا أنَّك تَزعُم أنَّ الله أرسلك. قال: «صَدَقَ». قال: فمن خلق السَّماء؟ قال: «اللهُ». قال: فمَن خلق الأرض؟ قال: «اللهُ». قال: فمَن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: «اللهُ». قال: فبالذي خلق السَّماء والأرض ونصب هذه الجبال، آللهُ أرسلك؟ قال: «نَعَمْ». قال: وزعم رسولُك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا. قال: «صَدَقَ». قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال: «نَعَمْ». قال: وزعم رسولك أن علينا زكاةً في أموالنا؟ قال: «صَدَقَ». قال: فبالَّذِي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟. قال: «نَعَمْ». قال: وزعم رسولك أنَّ علينا حَجَّ البيت من استطاع إليه سبيلًا. قال: «صَدَقَ». قال: ثم ولىٰ فقال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهنَّ شيئًا، ولا أنقص منهنَّ شيئًا. فقال النَّبيُّ ﷺ: «إِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ»(١).

وقد رواه مسلم عن عمرو الناقد، عن أبي النضر هاشم بن القاسم به، وعَلّقه البخاري، ورواه التِّرمذي، والنَّسائي، من حديث [سليمان بن المغيرة به، ورواه الإمام أحمد، والبخاري، وأبو داود، والنَّسائي، وابن ماجة من حديث](٢) الليث بن سعد، عن سعيد المقبري، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن أنس به بطوله، وقال في آخره: «وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر»(٣).

وقال الحافظ أبو يعلىٰ: حدَّثنا إسحاق، حدَّثنا عبد الله بن جعفر، حدَّثني عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ كثيرًا ما كان يحدِّث عن امرأةٍ في الجاهليَّة علىٰ رأسِ جبلٍ، معها ابن لها ترعىٰ غنمًا، فقال لها ابنها: يا أَمَهْ، مَن خلقك؟ قالت: الله. قال: فمَنْ خلق أبي؟ قالت: الله. قال: فمَن خلقَنِي؟ قالت: الله. قال: فمَن خلق(٤) السَّماء؟ قالت: الله. قال: فمَن خلق الأرضَ؟ قالت: الله. قال: فمَن خلق الجبلَ؟ قالت: الله. قال: فمن خلق هذه الغَنَمَ؟ قالت: الله. قال: إني لأسمع لله شأنًا. وألقىٰ نفسه من الجبل فتقطع.

قال ابن عمر: كان رسول الله ﷺ كثيرًا ما يحدِّثنا هذا(٥).

قال ابن دينار: كان ابن عمر كثيرًا ما يحدِّثنا بهذا.

---

(١) البخاري (٦٣)، ومسلم (١٢)، وأبو داود (٤٨٦)، والترمذي (٦١٩)، والنسائي (٤/ ١٢٢)، وابن ماجة (١٤٠٢).

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (ز). (٣) انظر التخريج السابق. (٤) لوحة (٢٢٣ أ).

(٥) ضعيف: عزاه لأبي يعلىٰ، ولم أجده في المطبوع، لكن رواه ابن الأعرابي في «معجمه» (١٧٣٢)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ٢٩٢)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٩٤٠).

في إسناده ضعف، وعبد الله بن جعفر هذا هو المديني، ضَعَّفه ولده الإمام علي بن المديني وغيره.

وقوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾؛ أي: فذكِّر -يا محمَّد- النَّاس بما أرسلت به إليهم، فإنَّما عليك البلاغ وعلينا الحساب؛ ولهذا قال: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ قال ابن عبَّاس، ومجاهد، وغيرهما: لست عليهم بجبارٍ.

وقال ابن زيد: لست بالَّذِي تكرههم علىٰ الإيمان.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا وَكِيعٌ، عن سفيان، عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ ﷻ». ثم قرأ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ [١].

وهكذا رواه مسلم في كتاب «الإيمان»، والتِّرمذي والنَّسائي في كتابي التفسير من «سننيهما»، من حديث سفيان بن سعيد الثوري به بهذه الزيادة، وهذا الحديث مخرَّجٌ في «الصَّحيحين» مِن رواية أبي هريرة، بدون ذكر هذه الآية.

وقوله: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾؛ أي: تولَّىٰ عن العمل بأركانِهِ، وكفَرَ بالحقِّ بجنانه ولسانِهِ. وهذه كقوله: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١، ٣٢] ولهذا قال: ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا قتيبة، حدَّثنا ليثٌ، عن سعيد بن أبي هلال، عن علي بن خالد أن أبا أمامة الباهلي مَرَّ علىٰ خالد بن يزيد بن معاوية، فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَلَا كُلُّكُمْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ، إِلَّا مَنْ شَرَدَ عَلَىٰ اللهِ شِرَادَ البَعِيرِ عَلَىٰ أَهْلِهِ» [٢].

تفرَّد بإخراجه الإمام أحمد وعلي بن خالد هذا ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه، ولم يزد علىٰ ما هاهنا: «روي عن أبي أمامة [٣]، وعنه سعيد بن أبي هلال».

وقوله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾؛ أي: مرجعهم ومنقلبهم، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾؛ أي: نحن نحاسِبُهُم علىٰ أعمالهم ونجازيهم بها، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

---

(١) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢)، ورواه بهذه الزيادة مسلم (٢١)، وأحمد (٣/ ٣٠٠)، والترمذي (٣٣٣٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٧٠).

(٢) ضعيف: رواه أحمد (٥/ ٢٥٨)، وفيه ليث بن أبي سليم: اختلط ولم تتميز أحاديثه فترك، وعلي بن خالد: أورده ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، لكن يشهد له حديث النبي ﷺ: «كلكم يدخل الجنة إلا من أبي: قالوا: ومن يأبىٰ يا رسول الله، قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبىٰ».

(٣) لوحة (٢٢٣ ب).

سورة الفجر

تفسير سورة الفجر، وهي مكية

قال النَّسائي: أخبرنا عبد الوهاب بن الحكم، أخبرني يحيىٰ بن سعيد، عن سليمان، عن [1] محارب ابن دِثار وأبي صالح، عن جابر قال: صلَّىٰ معاذ صلاةً، فجاء رجلٌ فصلَّىٰ معه فطوَّل، فصلَّىٰ في ناحيةِ المسجد ثم انصرف، فبلغ ذلك معاذًا فقال: منافق. فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فسأل [2] الفتىٰ، فقال: يا رسول الله، [جئت أصلِّي معه فطَوَّل] [3] عليَّ، فانصرفتُ وصلَّيتُ في ناحية المَسْجِدِ، فعلَّقت ناضحي. فقال رسول الله ﷺ: «أَفَتَّانٌ يا مُعاذُ؟ أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾» [4].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾

أمَّا الفجر فمعروف، وهو: الصُّبح. قاله علي، وابن [عبَّاس] [5]، ومجاهد، وعكرمة، والسُّدِّي. وعن مسروق، ومجاهد، ومحمَّد بن كعب: المراد به: فجر يوم النَّحر خاصَّةً، وهو خاتمة اللَّيالي العشر.

وقيل: المراد بذلك الصَّلاة التي تفعل عنده، كما قاله عكرمة.

---

(١) في (ز): (سليمان بن محارب)، والمثبت هو الصواب.

(٢) في (ز): (قال الفتىٰ)، والمثبت موافق لما في «الكبرىٰ» للنسائي.

(٣) في (ز): (حيث أصلي معه يطول علي)، والمثبت موافق لما في «النسائي».

(٤) هذا اللفظ عند النسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٧٣).

وأصل الحديث في «الصحيحين». رواه البخاري (٦١٠٦)، ومسلم (٤٦٥).

(٥) بياض في (ز).

وقيل: المراد به جميع النَّهار. وهو رواية عن ابن عبَّاس.

واللَّيالي العشر: المراد بها عشر ذي الحجَّة. كما قاله ابن عبَّاس[١]، وابن الزُّبير، ومجاهد، وغير واحدٍ من السَّلف والخلف[٢]. وقد ثبت في «صحيح البخاري»، عن ابن عبَّاس مرفوعًا: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ فِيهِنَّ**[٣] **مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ**» -يعني: عشر ذي الحجة- قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «**وَلَا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا رَجُلًا خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ**[٤] **مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ**»[٥].

وقيل: المراد بذلك العشر الأُوَل من المحرم، حكاه أبو جعفر ابن جرير ولم يعزه إلىٰ أحد[٦]، وقد روىٰ أبو كُدَيْنَةَ، عن قابوس بن أبي ظِبْيان، عن أبيه، عن ابن عبَّاس: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ قال: هو العشر الأوَّل من رمضان[٧].

والصَّحيح القول الأوَّل؛ قال الإمام أحمد: حدَّثنا زيد بن الحباب، حدَّثنا عَيَّاش بن عقبة، حدَّثني خَير بن نُعيم[٨]، عن أبي الزبير، عن جابر، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**إِنَّ العَشْرَ عَشْرُ الأَضْحَىٰ، وَالوَتْرَ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّفْعَ يَوْمُ النَّحْرِ**»[٩].

ورواه النسائي عن محمَّد بن رافع وعبدة بن عبد الله، كل منهما عن زيد بن الحباب به[١٠]، ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم، من حديث زيد بن الحباب به[١١]، وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم، وعندي أنَّ المتن في رفعه نكارةٌ، والله أعلم.

---

(١) انظر: الطبري (٣٠/ ١٦٨).

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: قيل المراد بـ ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ عشر ذي الحجة، وأطلق علىٰ الأيام ليالي؛ لأن اللغة العربية واسعة، قد تطلق الليالي ويراد بها الأيام، والأيام يراد بها الليالي، وقيل: المراد بـ ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ ليال العشر الأخيرة من رمضان... وهذا القول أرجح من القول الأول، وإن كان القول الأول هو قول الجمهور، لكن اللفظ لا يسعف قول الجمهور، وإنما يرجح القول الثاني أنها الليالي العشر الأواخر من رمضان، وأقسم الله بها لشرفها؛ ولأن فيها ليلة القدر؛ ولأن المسلمين يختمون بها شهر رمضان الذي هو وقت فريضةٍ من فرائض الإسلام وأركان الإسلام، فلذلك أقسم الله بهذه الليالي.

(٣) في (ز): (فيهن العمل).

(٤) لوحة (٢٢٤ أ).

(٥) البخاري (٩٦٩).

(٦) الطبري (٣٠/ ١٦٨).

(٧) إسناده ضعيف: وعلته قابوس بن أبي ظبيان: ضعيف.

(٨) في (ز): (خير بن أحم)، وهو خطأ.

(٩) ضعيف: رواه أحمد (٣/ ٣٢٧)، الحاكم (٤/ ٢٢٠) وصححه، ووافقه الذهبي.

قلت: فيه عياش بن عقبة: صدوق، وأبو الزبير مدلس ولم يصرح بالسماع، وهذا الحديث لم يقف عليه الشيخ الألباني في «المستدرك»، ولكنه وقف علىٰ رواية أخرىٰ عن ابن عباس (٢/ ٥٦٨) ولفظه مختلف. والحمد لله علىٰ توفيقه.

(١٠) رواه النسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٧١) (١١٦٧٢) وانظر ما بعده.

(١١) الطبري (٣٠/ ١٦٩).

وقوله: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ قد تقدَّم في هذا الحديث أنَّ الوتر يوم عرفة؛ لكونه التَّاسع، وأنَّ الشَّفع يوم النَّحر لكونه العاشر. وقاله ابن عبَّاس[(١)]، وعكرمة، والضَّحَّاكُ أيضا.

قولٌ ثانٍ: وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد الأشج، حدَّثني عقبة بن خالد، عن واصل بن السَّائب قال: سألت عطاء عن قوله: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ قلتُ: صلاتنا وترنا هذا؟ قال: لا، ولكن الشَّفع يوم عرفة، والوتر ليلة الأضحىٰ.

قول ثالث: قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا محمَّد بن عامر بن إبراهيم الأصبهاني، حدَّثني أبي، عن النعمان -يعني ابن عبد السلام- عن أبي سعيد بن عوف، حدَّثني بمكَّة قال: سمعتُ عبد الله بن الزُّبير يخطب النَّاس، فقام إليه رجلٌ فقال: يا أميرَ المؤمنين، أخبرني عن الشَّفع والوتر. فقال: الشفع قول الله ﷻ: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ والوتر قوله: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣][(٢)].

وقال ابن جريج[(٣)]: أخبرني محمَّد بن المرتفع أنه سمع ابن الزبير يقول: الشَّفع أوسط أيَّام التَّشريق، والوَترُ آخر أيَّام التَّشريق.

وفي «الصحيحين» من رواية أبي هُرَيرةَ، عن رسول الله ﷺ: «**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ**»[(٤)].

قول رابع: قال الحسن البصري، وزيد بن أسلم: الخَلْقُ كلُّهم شفع، ووتر، أقسم تعالىٰ بخلقه. وهو رواية عن مجاهد، والمشهور عنه الأول.

وقال العَوفي عن ابن عبَّاس: ﴿وَالشَّفْعِ[(٥)] وَالْوَتْرِ﴾ قال: الله وترٌ واحدٌ، وأنتم شفع. ويقال: الشَّفع صلاة الغداة، والوَتر: صلاة المغرب.

قول خامس: قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو[(٦)] سعيد الأشج، حدَّثنا عبيد الله[(٧)] بن موسىٰ، عن إسرائيل، عن أبي يحيىٰ، عن مجاهد: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ قال: الشَّفع: الزَّوج، والوتر: الله ﷻ.

وقال أبو عبد الله، عن مجاهد: الله: الوتر، وخلقه: الشفع، الذكر والأنثىٰ.

وقال ابن أبي نَجِيحٍ، عن مجاهد قوله: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ كل شيءٍ خلقه الله شفعٌ، السماء والأرض، والبر والبحر، والجن والإنس، والشمس والقمر، ونحو هذا. ونحا مجاهد في هذا ما ذكروه في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]؛ أي: لتَعْلَمُوا أنَّ خالق الأزواج واحدٌ.

---

(١) الطبري (٣٠/ ١٦٩).
(٢) رواه ابن أبي حاتم (١٩٢٤١).
(٣) في (ز): (ابن جرير).
(٤) البخاري (٢٧٣٧، ٦٤١٠، ٧٣٩٢)، ومسلم (٢٦٧٧)، والترمذي (٣٥٠٦).
(٥) لوحة (٢٢٤ ب).
(٦) في (ز): (حدثنا ابن سعيد).
(٧) في (ز): (عبد الله)، وهو خطأ.

قول سادس: قال قتادة، عن الحسن: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾ هو العدد، منه شفعٌ ومنه وترٌ.

قول سابع: في الآية الكريمة رواه ابنُ أبي حاتم وابنُ جَرير من طريق ابن جريج، ثم قال ابن جرير: وَرُوي عن النَّبيِّ ﷺ خبر يؤيد القول الَّذِي ذكرنا عن أبي[1] الزبير: حدَّثني عَبد الله بن أبي زياد القطواني[2]، حدَّثنا زيد بن الحباب، أخبرني عياش بن عقبة، حدَّثني خير[3] بن نُعَيم، عن أبي الزبير، عن جابر: أن رسول الله ﷺ قال: «**الشَّفْعُ اليَوْمَانِ، وَالوَتْرُ اليَوْمُ الثَّالِثُ**»[4].

هكذا ورد هذا الخبر بهذا اللفظ، وهو مخالفٌ لما تقدَّم من اللَّفظ في رواية أحمد والنسائي وابن أبي حاتم، وما رواه هو أيضًا، والله أعلم.

قال أبو العالية، والربيع بن أنس، وغيرهما: هي الصلاة، منها شفع كالرُّباعيَّة والثُّنائيَّة، ومنها وترٌ كالمغرب، فإنَّها ثلاث، وهي وتر النَّهار. وكذلك صلاة الوَتْرِ في آخر التَّهجُّدِ من اللَّيل.

وقد قال عبد الرزاق: عن مَعْمَرٍ، عن قتادة، عن عمران بن حصين: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾ قال: هي الصلاة المكتوبة، منها شفع ومنها وتر[5]. وهذا منقطعٌ وموقوفٌ، ولفظه خاصٌّ بالمكتوبة. وقد روي متصلًا مرفوعًا إلىٰ النَّبيِّ ﷺ ولفظه عامٌّ، قال الإمام أحمد:

حدَّثنا أبو داود -هو الطيالسي- حدَّثنا همام، عن قتادة، عن عمران بن عصام: أن شيخًا حدَّثه مِن أهل البصرة، عن عمران بن[6] حصين: أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عن الشَّفع والوَتْرِ، فقال: «**هِيَ الصَّلَاةُ، بَعْضُهَا شَفْعٌ، وَبَعْضُهَا وَتْرٌ**»[7].

هكذا وقع في «المسند»، وكذا رواه ابن جرير عن بُنْدَارٍ، عن عفان وعن أبي كُرَيْبٍ، عن عبيد الله بن موسىٰ، كلاهما عن همام -وهو ابن يحيىٰ- عن قتادة، عن عمران بن عصام، عن شيخ، عن عمران بن حصين، وكذا رواه أبو عيسىٰ الترمذي، عن عمرو بن علي، عن ابن مَهْدِيّ وأبي داود، كلاهما عن

---

(١) في (ز): (ابن الزبير)، وهو خطأ.
(٢) في (ز): (القطناني)، والمثبت هو الصواب.
(٣) في (ز): (حر بن نعيم)، والمثبت هو الصواب، وهو الموافق لما في «الطبري»، وخير بن نعيم هو الحضرمي المصري قاضي برقة.
(٤) **ضعيف:** فيه أبو الزبير: مدلس وقد عنعن، وزيد بن الحباب قال الحافظ: صدوق يخطئ في حديثه عن الثوري. انظر: «التقريب» (ترجمة ٢١٢٤)، والحديث رواه الطبري (٣٠/ ١٧٢).
(٥) **ضعيف:** رواه عبد الرزاق (٣٥٩٣)، وفيه انقطاع بن قتادة وعمران.
(٦) لوحة (٢٢٥ أ).
(٧) **ضعيف:** رواه أحمد (٤/ ٤٣٧)، والطبري (٣٠/ ١٧٢)، والطبراني (١٨/ ٢٣٢/ ٥٧٩)، والحاكم (٢/ ٥٢٢) وصححه ووافقه الذهبي وضعفه الترمذي فقال: رجاله ثقات إلا أن فيه راويًا مبهمًا، وضعفه الألباني في «ضعيف الترمذي»، ومن قبله ضعفه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٧٠٢) وفيه جهالة الشيخ من أهل البصرة، ورواه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٣٢/ ٥٧٨) عن قتادة عن عمران بن حصين وإسناده منقطع.

همام، عن قتادة، عن عمران بن عصام، عن رجلٍ من أهل البصرة، عن عمران بن حصين به. ثم قال: غريب، لا نعرفه إلا من حديث قتادة، وقد رواه خالد بن قيس أيضًا عن قتادة.

وقد روي عن عمران بن عصام، عن عمران نفسه، والله أعلم.

قلت: ورواه ابن أبي حاتم: حدَّثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدَّثنا يزيد بن هارون، أخبرنا همام، عن قتادة، عن عمران بن عصام الضبعي -شيخ من أهل البصرة- عن عمران بن حصين، عن النَّبيِّ ﷺ فذكره، هكذا رأيته في «تفسيرِهِ»، فجعل الشَّيخ البصري هو عمران بن عصام الضبعي[1].

وهكذا رواه ابن جرير: حدَّثنا نصر بن علي، حدَّثني أبي، حدَّثني خالد بن قيس، عن قتادة، عن عمران بن عصام، عن عمران بن حصين، عن النَّبيِّ ﷺ في الشَّفع والوتر قال: «**هِيَ الصَّلَاةُ مِنْهَا شَفْعٌ، وَمِنْهَا وَتْرٌ**»[2].

فأسقط ذكر الشيخ المبهم، وتفرَّد به عمران بن عصام الضبعي أبو عمارة البصري، إمام مسجد بني ضُبَيْعة وهو والد أبي جَمْرَة[3] نصر بن عمران الضبعي. روىٰ عنه قتادة، وابنه أبو جمرة[4] والمثنىٰ[5] ابن سعيد، وأبو التياح يزيد بن حميد. وذكره ابن حبَّان في كتاب «الثِّقات»، وذكره خليفة بن خَيَاط في التابعين من أهل البصرة، وكان شريفًا [نبيلًا][6] حظيًّا عند الحجاج بن يوسف، ثم قتله يوم الزَّاوية سنة ثلاثٍ وثمانين لخروجه مع ابن الأشعث، وليس له عند التِّرمذي سوىٰ هذا الحديث الواحد. وعندي أنَّ وقفه علىٰ عمران بن حصين أشبه، والله أعلم.

ولم يجزم ابن جرير بشيءٍ مِن هذه الأقوال في الشَّفع والوَتْرِ.

وقوله: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[7] قال العوفي، عن ابن عبَّاس: أي إذَا ذَهَبَ.

وقال عبد الله بن الزبير: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[8] حتىٰ يذهب بعضُهُ بعضًا.

وقال مجاهد، وأبو العالية، وقتادة، ومالك، عن زيد بن أسلم وابن زيد: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ إذا سار.

وهذا يمكن حمله علىٰ ما قاله ابن عبَّاس؛ أي: ذهب. ويحتمل أن يكون المراد إذا سار؛ أي: أقبل. وقد يقال: إن هذا أنسب؛ لأنه في مقابلة قوله: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ فإنَّ الفجر هو إقبال النَّهار وإدبار اللَّيل، فإذا حمل قوله: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ علىٰ إقباله كان قَسَمًا بإقبال اللَّيل وإدبار النَّهار، وبالعكس، كقوله: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٧، ١٨].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١٩٢٣٦).
(٢) الطبري (٣٠/ ١٧٢).
(٣) في (ز): (أبي حمزة)، وهو خطأ.
(٤) في (ز): (أبي حمزة)، وهو خطأ.
(٥) في (ز): (وأنس بن سعيد).
(٦) سقط من (ز).
(٧) في (ز): «والليل إذا يسري» في كل المواضع.
(٨) لوحة (٢٢٥ ب).

وكذا قال الضَّحَّاك: ﴿إِذَا يَسْرِ﴾؛ أي: يجري.

وقال عكرمة: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ يعني: ليلة جَمْع[1]. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم.

ثم قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أحمد بن عصام، حدَّثنا أبو عامر، حدَّثنا كثير بن عبد الله بن عمرو قال: سمعت محمَّد بن كعب القرظي، يقول في قوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ قال: اسر يا سار ولا تبين إلا بجَمْع.

وقوله: ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾؛ أي: لذي عقلٍ ولُبٍّ وحجا [ودينٍ][2]، وإنَّما سُمِّي العقلُ حِجْرًا؛ لأنَّه يمنع الإنسان مِن تعاطي ما لا يليق به مِن الأفعال والأقوال، ومنه حِجْرُ البيت؛ لأنَّه يمنع الطَّائف من اللُّصوق بجداره الشَّامي. ومنه حجر اليمامة، وحَجَرَ الحاكم علىٰ فلان: إذا منعه التَّصرُّفَ، ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان:٢٢]، كل هذا من قبيلٍ واحدٍ، ومعنًىٰ متقاربٍ، وهذا القسم هو بأوقات العبادة، وبنفس العبادة من حجٍّ وصلاةٍ وغير ذلك مِن أنواع القُرَبِ الَّتي يتقرَّب بها [إليه عباده][3] المتقون المطيعون له، الخائفون منه، المتواضِعُون لديه، الخاشعون لوجهه الكريم.

ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ وهؤلاء كانوا متمرِّدين عتاةً جبَّارين، خارجين عن طاعته مكذِّبين لرسله، جاحدين لكُتُبِه. فذكر تعالىٰ كيف أهلكهم ودَمَّرهم، وجعلهم أحاديث وعبرًا، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ وهؤلاء عاد الأولىٰ، وهم أولاد عاد بن إرم بن عَوص بن سام بن نوح، قاله ابن إسحاق.

وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هودًا عليه السلام، فكذَّبوه وخالَفُوه، فأنجاهُ اللهُ مِن بينِ أظهرهم، ومَن آمن معه منهم، وأهلكهم[4] بريحٍ صرصرٍ عاتيةٍ، ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة:٧، ٨] وقد ذكر الله قصَّتهم في القُرآن في غيرِ ما موضعٍ؛ ليعتبر بمصرعهم المؤمنون.

فقوله تعالىٰ: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ عطف بيان؛ زيادة تعريف بهم.

وقوله: ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ لأنَّهم كانوا يسكنون بيوتَ الشَّعر التي ترفع بالأعمدة الشِّداد، وقد كانوا أشدَّ النَّاس في زمانهم خلقةً، وأقواهم بطشًا، ولهذا ذكَّرهم هود بتلك النِّعمة، وأرشدهم إلىٰ أن يستعملوهَا في طاعة ربِّهم الَّذي خلقهم، فقال: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[5] [الأعراف:٦٩].

وقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى

---

(١) ليلة جمع: هي ليلة المزدلفة.
(٢) ليست في (ز).
(٣) ليست في (ز).
(٤) لوحة (٢٢٦ أ).
(٥) في (ز): ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، والصواب ما أثبتناه.

خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت:١٥]، وقال هاهنا: ﴿ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ﴾؛ أي: القَبيلة التي لم يُخْلَقْ مثلها في بلادهم؛ لقوَّتهم وشدَّتهم وعظم تركيبهم.

قال مجاهد: إرم: أمَّة قديمة. يعني: عادًا الأولىٰ، كما قال قتادة بن دعامة، والسُّدِّي: إن إِرَم بيت مملكةِ عادٍ. وهذا قولٌ حسنٌ جيدٌ قويٌّ.

وقال مجاهد، وقتادة، والكلبي في قوله: ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ كانوا أهل عمودٍ لا يقيمون.

وقال العوفي، عن ابن عبَّاس: إنَّما قيل لهم: ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ لِطُولِهم.

واختار الأول ابنُ جرير، ورد الثاني فأصاب.

وقوله: ﴿ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ﴾ أعاد ابن زيد الضميرَ علىٰ العماد؛ لارتفاعها، وقال: بنوا عُمُدًا بالأحقافِ لم يُخْلَقْ مثلها في البِلَادِ. وأمَّا قتادة وابن جرير فأعاد الضَّمير علىٰ القبيلة؛ أي: لم يخلق مثل تلك القبيلةِ في البلاد؛ يعني: في زمانِهم. وهذا القول هو الصَّواب.

وقول ابن زيد ومَن ذهب مذهبه ضعيفٌ؛ لأنَّه لو كان أراد ذلك لقال: التي لم يعمل مثلها في البلاد، وإنما قال: ﴿ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا أبو صالح كاتب الليث، حدَّثنا معاوية بن صالح، عمن حدثه، عن المقدام، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه ذكر إرم ذات العماد فقال: «**كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ**[(١)] **يَأْتِي عَلَىٰ الصَّخْرَةِ فَيَحْمِلُهَا عَلَىٰ الحَيِّ فَيُهْلِكُهُمْ**»[(٢)].

ثم قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا علي بن الحسين، حدَّثنا أبو الطاهر، حدَّثنا أنس بن عياض، عن ثور بن زيد الديلي. قال: قرأت كتابًا -قد سمىٰ حيث قرأه-: أنا شداد بن عاد، وأنا الذي رفعت العِمَادَ، وأنا الَّذي شددت بذراعي نظر واحدٍ، وأنا الَّذي كنزت كنزًا علىٰ سبعة أذرعٍ، لا يخرجه إلا أمَّة محمَّدٍ ﷺ[(٣)].

قلت: فعلىٰ كلِّ قولٍ -سواء كانت العِمَادُ أبنيةً بنوها، أو أعمدة بيوتِهم للبدو، أو سلاحًا يقاتلون به، أو طول الواحد منهم -فهم قبيلة وأمَّة من الأمم، وهم المذكورون في القرآن في غير ما موضع، المقرونون بثمود كما هاهنا، والله أعلم.

ومن زعم أن المراد بقوله: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ مدينة إما دمشق -كما روي عن سعيد بن المسيب

---

(١) لوحة (٢٢٦ ب).

(٢) ضعيف: رواه ابن أبي حاتم (١٩٢٥٦)، فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث: صدوق يخطئ كثيرًا. وفيه جهالة الراوي عن المقدام.

(٣) قال الدكتور حكمت بشير ياسين معلقًا علىٰ هذا الأثر: (هذا الكتاب لا يعتمد؛ لأنه ينص علىٰ أمر غيبي لا يؤخذ إلا من الوحي، وعليه فالسند متصل). اهـ (٧/ ٥٦٠) ط: دار ابن الجوزي.

وعكرمة- أو إسكندرية -كما رُوي عن القُرَظي أو غيرهما- ففيه نظر، فإنه كيف يلتئم الكلام علىٰ هذا: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ إن جعل ذلك بدلًا أو عطف بيان، فإنه لا يتسق الكلام حينئذٍ. ثم المراد: إنَّما هو الإخبار عن إهلاكِ القبيلة المسمَّاة بعادٍ، وما أحلَّ الله بهم من بأسِهِ الَّذِي لا يُرَدُّ، لا أنَّ المراد: الإخبار عن مدينة أو إقليم.

وإنَّما نبَّهت علىٰ ذلك لئلا يُغْتَرَّ بكثيرٍ ممَّا ذكره جماعةٌ من المفسِّرين عند هذه الآية، من ذكر مدينةٍ يقال لها: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ مبنيَّة بلَبِنِ الذَّهب والفضَّة، قصورها ودورها وبساتينها، وإن حصباءها لآلئ وجواهرُ، وترابُها بنادق المسكِ، وأنهارها سارحةٌ، وثمارها ساقطةٌ، ودورها لا أنيس بها، وسورها وأبوابها تصفر، ليس بها داعٍ ولا مجيب. وأنَّها تنتقل فتارةً تكون بأرضِ الشَّام، وتارةً باليمن، وتارةً بالعراق، وتارةً بغير ذلك من البلاد -فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين، من وضع بعض زنادقتهم؛ ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم[1] في جميع ذلك.

وذكر الثعلبي وغيره أن رجلًا من الأعراب -وهو عبد الله بن قِلابة- في زمان معاوية ذهب في طلب أباعرٍ له شردت، فبينما هو يَتِيهُ في ابتغائها، إذ طلع علىٰ مدينةٍ عظيمةٍ لها سورٌ وأبوابٌ[2]، فدخلها فوجد فيها قريبًا مما ذكرناه من صفات المدينة الذَّهبيَّة التي تقدَّم ذكرها، وأنَّه رجع فأخبر النَّاس، فذهبوا معه إلىٰ المكان الَّذِي قال فلم يَرَوْا شيئًا.

وقد ذكر ابن أبي حاتم قصة ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ -هاهنا- مطوَّلةً جدًّا، فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها، ولو صحَّ إلىٰ ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك، أو أنَّه أصابه نوع من الهَوَسِ والخبال؛ فاعتقد أنَّ ذلك له حقيقة في الخارج، وليس كذلك. وهذا مما يقطع بعدم صحته[3]. وهذا قريبٌ مما

(١) في (ز): (إن صدقهم). (٢) لوحة (٢٢٧ أ).

(٣) قال الشيخ القاسمي رحمه الله: قال الإمام الدرّاكة ابن خلدون في «مقدمة تاريخه» في سياق الأخبار الواهية للمؤرخين ما مثاله: وأبعد من ذلك وأعرق في الوهم ما يتناقله المفسرون في تفسير سورة الفجر في قوله تعالىٰ: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧﴾ [الفجر] فيجعلون لفظة ﴿إِرَمَ﴾ اسمًا لمدينة وصفت بأنها ذات عماد؛ أي: أساطين، وينقلون أنه كان لعاد بن عوص بن إرم ابنان، هما شديد وشداد، ملكا من بعده، وهلك شديد فخلص الملك لشداد، ودانت له ملوكهم وسمع وصف الجنة فقال: لأبنيّن مثلها، فبنىٰ مدينة إرم في صحارىٰ عدن في مدة ثلاثمائة سنة، وكان عمره تسعمائة سنة، وأنها مدينةٌ عظيمةٌ قصورها من الذهب وأساطينها من الزبرجد والياقوت، وفيها أصناف الشجر والأنهار المطردة، ولما تمَّ بناؤها سار إليها بأهل مملكته، حتىٰ إذا كان منها علىٰ مسيرة يوم وليلةٍ، بعث الله عليهم صيحةً من السماء فهلكوا كلهم. ذكر ذلك الطبريّ والثعالبي والزمخشري وغيرهم من المفسرين. وينقلون عن عبد الله بن قلابة - من الصحابة - أنه خرج في طلب إبل له فوقع عليها وحمل منها ما قدر عليه، وبلغ خبره إلىٰ معاوية فأحضره وقص عليه، فبحث عن كعب الأحبار وسأله عن ذلك، فقال: هي ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ وسيدخلها رجلٌ من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير علىٰ حاجبه خال وعلىٰ عنقه خال يخرج في طلب إبل له، ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال: هذا واللهِ ذاك الرجل.

قال ابن خلدون: وهذه المدينة لم يُسْمَع لها خبر من يومئذ في شيء من بقاع الأرض، وصحارىٰ عدن التي زعموا أنها

يخبر به كثيرٌ من الجهلة والطامعين والمتحيِّلين، من وجود مطالب تحت الأرض، فيها قناطِير الذَّهب والفضَّة، وألوان الجواهر واليواقيت واللَّآلئ والإكسير الكبير، لكن عليها موانع تمنع مِن الوصول إليها والأخذ منها، فيحتالون علىٰ أَمْوَالِ الأغنياء والضعفة والسُّفهاء، فيأكلونها بالباطل في صرفها في بخاخير وعقاقير، ونحو ذلك من الهذيانات، ويَطْنزون بهم[١].

والذي يجزم به أن في الأرض دفائن جاهليَّة وإسلاميَّة وكنوزًا كثيرةً، من ظفر بشيءٍ منها أمكنه تحويله[٢]، فأمَّا علىٰ الصِّفة الَّتِي زعموها فكَذِبٌ وافتراءٌ وبهتٌ، ولم يصح في ذلك شيء مما يقولون إلا عن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم، والله ﷻ الهادي للصواب.

وقولُ ابن جرير: يحتمل أن يكون المراد بقوله: ﴿إِرَمَ﴾ قبيلة[٣] أو بلدة كانت عاد تسكنها فلذلك لم تُصرَف فيه نظر؛ لأنَّ المراد من السياق إنَّما هو الإخبار عن القَبِيلَةِ، ولهذا قال بعده: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ يعني: يقطعون الصَّخر بالوادي. قال ابن عبَّاس: ينحتونها ويخرقونها. وكذا قال مجاهد، وقتادة، والضَّحَّاكُ، وابن زيد. ومنه يقال: «مجتابي النِّمار». إذا خرقوها، واجتاب الثَّوب: إذا فتحه. ومنه[٤] الجيب أيضا. وقال الله تعالىٰ: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾ [الشعراء:١٤٩]. وأنشد ابن جرير وابن أبي حاتم -هاهنا- قول الشاعر:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَائِدٌ ... كَمَا بَادَ حَيٌّ مِنْ شَنِيفٍ وَمَارِدِ

هُمُ ضَرَبُوا فِي كُلِّ صَمَّاءَ صَعْدَةٍ ... بِأَيْدٍ شِدَادٍ أَيِّدَاتِ السَّوَاعِدِ

= بنيت فيها هي في وسط اليمن، وما زال عمرانه متعاقبًا والأدلاء تقص طرقهُ من كل وجه. ولم ينقل عن هذه المدينة خبر، ولا ذكرها أحدٌ من الأخباريين، ولا من الأمم، ولو قالوا: إنها درست فيما درس من الآثار لكان أشبهُ، إلا أن ظاهر كلامهم أنها موجودةٌ، وبعضهم يقول: إنها دمشق، بناء علىٰ أن قوم عاد ملكوها. وقد انتهىٰ الهذيان ببعضهم إلىٰ أنها غائبة، وإنما يعثر عليها أهل الرياضة والسحر. مزاعم كلها أشبهُ بالخرافات. والذي حمل المفسرين علىٰ ذلك ما اقتضته صناعة الإعراب في لفظه: ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ أنها صفة ﴿إِرَمَ﴾ وحملوا العماد علىٰ الأساطين؛ فتعين أن يكون بناء، ورشح لهم ذلك قراءة ابن الزبير: عاد إرم علىٰ الإضافة من غير تنوين. ثم وقفوا علىٰ تلك الحكايات التي هي أشبه بالأقاصيص الموضوعة، التي هي أقرب إلىٰ الكذب، المنقولة في عداد المضحكات، وإلا فالعماد هي عماد الأخبية بل الخيام. وإن أريد بها الأساطين، فلا بدع في وصفهم بأنهم أهل بناء وأساطين علىٰ العموم، بما اشتهر من قوتهم، لا أنه بناءٌ خاصٌّ في مدينةٍ معينةٍ أو غيرها. وإن أضيفت، كما في قراءة ابن الزبير، علىٰ إضافة الفصيلة إلىٰ القبيلة، كما تقول: قريش كنانة، وإلياس مضر، وربيعة نزار. وأي ضرورةٍ إلىٰ هذا المحمل البعيد الذي تمحلت لتوجيهه لأمثال هذه الحكايات الواهية التي ينزه كتاب الله عن مثلها لبعدها عن الصحة ؟

(١) أي: يسخرون منهم. (٢) في (ز): (تحويلها).

(٣) في (ز): (أو قبيلة). (٤) في (ز): (إذا فتحت منه الجيب).

وقال ابن إسحاق: كانوا عربًا، وكان منزلهم بوادي القرىٰ. وقد ذكرنا قصة «عاد»[(١)] مستقصاة[(٢)] في سورة «الأعراف» بما أغنىٰ عن إعادته.

وقوله: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ قال العوفي، عن ابن عبَّاس: الأوتاد: الجنود الَّذين يشدُّون له أمره. ويُقَالُ: كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم في أوتادٍ مِن حَديدٍ يعلقهم بها. وكذا قال مجاهد: كان يوتد النَّاس بالأوتاد. وهكذا قال سعيد بن جبير، والحسن، والسُّدِّي. قال السُّدِّي: كان يربط الرجل، كلُّ قائمةٍ مِن قوائمه في وتدٍ ثم يُرْسِلُ عليه صخرةً عظيمةً فتشدخه.

وقال قتادة: بلغنا أنَّه كانت له مَطَالٌّ وملاعب، يلعب له تحتها، مِن أوتادٍ وحبالٍ.

وقال ثابت البُنَاني، عن أبِي رافعٍ: قيل لفرعون ﴿ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾؛ لأنَّه ضرب لامرأتِهِ أربعة أوتاد، ثم جعل علىٰ ظهرها رحًىٰ عظيمةً حتىٰ ماتت.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾: أي: تمرَّدوا وعتَوْا وعاثُوا في الأرض بالإفسادِ والأذيَّة للنَّاس، ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾؛ أي: أنزل عليهم رِجْزًا من السَّماء، وأحلَّ بهم عقوبةً لا يردُّها عن القوم المجرمين.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ قال ابن عبَّاس: يَسْمَعُ ويرىٰ. يعني: يرصُدُ خلقه فيما يعملون، ويجازي كلًّا بسَعْيِهِ في الدُّنيا والأُخرىٰ، وسيُعْرَضُ الخلائق كلهم عليه، فيحكم فيهم بعَدْلِه، ويُقَابِل كلًّا بما يستحقه. وهو المنزَّه عن الظُّلم والجور.

وقد ذكر ابن أبي حاتم -هاهنا- حديثًا غريبًا جدًّا -وفي إسناده نظر وفي صحَّته- فقال: حدَّثنا أبي، حدَّثنا أحمد بن أبي الحواري، حدَّثنا يونس الحذاء، عن أبي حمزة البيساني، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَا مُعَاذُ، إِنَّ المُؤْمِنَ لَدَىٰ الحَقِّ أَسِيرٌ. يَا مُعَاذُ، إِنَّ المُؤْمِنَ لا يَسْكُنُ رَوْعُهُ، وَلَا يَأْمَنُ اضْطِرَابُهُ حَتَّىٰ يُخَلِّفَ جِسْرَ جَهَنَّمَ خَلْفَ ظَهْرِهِ. يَا مُعَاذُ، إِنَّ المُؤْمِنَ قَيَّدَهُ القُرْآنُ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ شَهَوَاتِهِ، وَعَنْ أَنْ يَهْلِكَ فِيهَا هُوَ بِإِذْنِ اللهِ ﷻ فَالقُرْآنُ دَلِيلُهُ، وَالخَوْفُ مَحَجَّتُهُ، وَالشَّوْقُ مَطِيَّتُهُ، وَالصَّلَاةُ كَهْفُهُ، وَالصَّوْمُ جُنَّتُهُ، وَالصَّدَقَةُ فِكَاكُهُ، وَالصِّدْقُ أَمِيرُهُ، وَالحَيَاءُ وَزِيرُهُ، وَرَبُّهُ ﷻ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ بِالمِرْصَادِ»**[(٣)].

قال ابن أبي حاتم: [يونس الحذاء وأبو حمزة: مجهولان، وأبو حمزة عن معاذ مرسل. ولو كان عن أبي حمزة لكان حسنًا؛ أي: لو كان من كلامه لكان حسنًا. ثم قال ابن أبي حاتم:][(٤)] حدَّثنا أبي، حدَّثنا

---

(١) في (ز): (قصته مستقصاة). (٢) لوحة (٢٢٧ ب).

(٣) ضعيف: انظر تعليق ابن كثير بعد إيراده الحديث، رواه ابن أبي حاتم (١٩٢٧٠).

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).

صفوان بن صالح، حدَّثنا الوليد بن مسلم، عن صفوان بن عمرو، عن[1] أيفع بن عبد الكلاعي: أنه سمعه وهو يعظ النَّاس يقول: إن لجهنم سبع قناطر قال: والصِّراط عليهن، قال: فيحبس الخلائق عند القنطرة الأولىٰ، فيقول: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات:٢٤]، قال: فيُحَاسَبُونَ علىٰ الصَّلاة ويُسألون عنها، قال: فيهلك فيها مَن هلك، وينجو مَن نجا، فإذا بلغوا القَنْطَرَةَ الثَّانية حُوسِبُوا علىٰ الأمانة كيف أدَّوها، وكيف خانوها؟ قال: فيهلك مَن هلك، وينجو مَن نجا. فإذا بلغوا القَنطَرَةَ الثَّالثة سُئلوا عن الرَّحم كيف وَصَلُوها وكيف قطعوها؟ قال: فيَهْلِكُ مَن هلك، وينجو مَن نجا. قال: والرَّحِم يومئذٍ متدليَّة إلىٰ الهُويِّ في جهنم تقول: اللَّهمَّ مَن وصلني فَصِلْه، ومَن قطعني فَاقْطَعْهُ. قال: وهي الَّتِي يقول الله عَجَّلَ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[2].

هكذا أورد هذا الأثر، ولم يذكر تمامه.

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ الإنسان في اعتقاده إذا وسَّع الله عليه في الرِّزق ليختبره في ذلك، فيَعْتَقِدُ أنَّ ذلك مِن الله إكرام له وليس كذلك، بل هو ابتلاء وامتحان. كما قال تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون:٥٥، ٥٦]. وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحنه وضَيَّق عليه في الرِّزق، يعتقدُ أنَّ ذلك مِن الله إهانةٌ له. قال الله: ﴿كَلَّا﴾؛ أي: ليس الأمر كما زعم، لا في هذا ولا في هذا، فإنَّ الله يعطِي المال مَن يحب ومن لا يحب، [ويُضَيِّقُ علىٰ مَن يُحِبُّ ومَن لا يُحِبُّ،][3] وإنَّما المدار في ذلك علىٰ طاعة الله في كلٍّ من الحالين، إذا كان غنيًّا بأن يشكر الله علىٰ ذلك، وإذا كان فقيرًا بأن يصبر.

وقوله: ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾ فيه أمرٌ بالإكرام له، كما جاء في الحديث الذي رواه عبد الله بن المبارك، عن سعيد بن [أبي][4] أيوب، عن يحيىٰ بن سليمان[5]، عن زيد بن أبي عتاب[6]، عن أبي هُريرة، عن النَّبيِّ ﷺ: «خَيْرُ بَيْتٍ فِي المُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي المُسْلِمِينَ بَيْتٌ

---

(١) لوحة (٢٢٨ أ). (٢) رواه ابن أبي حاتم (١٩٢٦٩)، ولا يثبت ذلك عن النبي ﷺ.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (ز). (٤) سقط من (ز)، والصواب إثباتها.

(٥) في بعض الطبعات: (يحيىٰ بن أبي سليمان)، والمثبت هو الصواب، وهو موافق لما في «الأدب المفرد».

(٦) في (ز): (يزيد بن أبي غياث)، وهو خطأ.

فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ» ثم قال بأصبعه [(١)(٢)]: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» [(٣)].

وقال أبو داود: حدَّثنا محمَّد بن الصباح بن سفيان، أخبرنا عبد العزيز -يعني ابن أبي حازم- حدَّثني أبي، عن سهل -يعني ابن سعد- أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ». وقرن بين إصبعيه: الوسطىٰ والَّتِي تلي الإبهام [(٤)].

﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ يعني: لا يأمرون بالإحسان إلىٰ الفقراء والمساكين، ويحث بعضهم علىٰ بعضٍ في ذلك، ﴿وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾ يعني: الميراث ﴿أَكۡلٗا لَّمّٗا﴾؛ أي: من أيِّ جهةٍ حصل لهم، مِن حلالٍ أو حرام ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا﴾؛ أي: كثيرًا، زاد بعضهم: فاحشًا.

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا [(٥)] ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ

---

(١) أي: أشار. (٢) لوحة (٢٢٨ ب).

(٣) ضعيف: رواه ابن ماجة (٣٦٧٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٣٧)، والطبراني في «الأوسط» (٤٧٨٥)، وفي «مكارم الأخلاق» (١٠٣)، وفيه يحيىٰ بن سليمان أبو صالح: ضعيف، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٦٣٧) عدا قوله: أنا وكافل اليتيم... وسيأتي في الحديث الآتي بعده.

(٤) صحيح: أبو داود (٥١٥٠)، وانظر: «صحيح البخاري» (٥٣٠٤).

(٥) قال الشيخ القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الإمام ابن تيمية رضي الله عنه: واعلم أن من المتأخرين من يقول: إن مذهب السلف إقرارها علىٰ ما جاءت به، مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد- وهذا لفظ مجمل؛ فإن قوله: ظاهرها غير مراد، يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين، مثل أن يراد بكون الله قبل وجه المصلِّي، أنه مستقرٌّ في الحائط الذي يصلي إليه، و: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، ظاهره أنه إلىٰ جانبنا، ونحو ذلك. فلا شك أن هذا غير مراد، ومن قال: إن مذهب السلف أن هذا غير مراد، فقد أصاب في المعنىٰ، لكن أخطأ في إطلاق القول بأن هذا ظاهر الآيات والأحاديث؛ فإن هذا المجال ليس هو الظاهر علىٰ ما قد بيناه في غير هذا الموضع، اللهم إلا أن يكون هذا المعنىٰ الممتنع صار يظهر لبعض الناس فيكون القائل لذلك مصيبًا بهذا الاعتبار، معذورًا في هذا الإطلاق، فإن الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس، وهو من الأمور النسبية. انتهىٰ.

وقد بسط رَحِمَهُ اللَّهُ الكلام علىٰ ذلك في «الرسالة المدنية»، وأوضح أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، يحتذي حذوه ويتبع فيه مثاله. فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في بعض فتاويه: نحن نقول بالمجاز الذي قام دليله، وبالتأويل الجاري علىٰ نهج السبيل، ولم يوجد في شيءٍ من كلامنا وكلام أحدٍ منا أنا لا نقول بالمجاز والتأويل، والله عند لسان كل قائل، ولكن ننكر من ذلك ما خالف الحق والصواب، وما فتح به الباب إلىٰ هدم السنة والكتاب، واللحاق بمحرّفة أهل الكتاب، والمنصوص عن الإمام أحمد وجمهور أصحابه، أن القرآن مشتملٌ علىٰ المجاز. ولم يعرف عن غيره من الأئمة نصٌّ في هذه المسألة. وقد ذهب طائفةٌ من العلماء من أصحابه وغيرهم، كأبي بكر بن أبي داود، وأبي الحسن الخرزيّ، وأبي الفضل التميميّ، وابن حامد، فيما أظن، وغيرهم، إلىٰ إنكار أن يكون في القرآن مجاز؛ وإنما دعاهم إلىٰ ذلك ما رأوه من تحريف المحرفين للقرآن بدعوىٰ المجاز؛ فقابلوا الضلال والفساد بحسم الموادّ. وخيار الأمور التوسط والاقتصاد. انتهىٰ.

أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً(١) ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ عمَّا يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة، فقال: ﴿كَلَّآ﴾؛ أي: حقًّا ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾؛ أي: وطئت ومهِّدت وسوِّيت الأرض والجبال، وقام الخلائق من قبورهم لربهم، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ يعني: لفصل القضاء بين خلقه، وذلك بعد ما يستشفعون إليه بسيِّد ولد آدم علىٰ الإطلاق محمَّد ﷺ، بعدما يسألون أولي العزم [من الرُّسل](٢) واحدًا بعد واحدٍ(٣)، فكلهم يقول: لست بصاحب ذاكم، حتىٰ تنتهي النَّوبة إلىٰ محمَّدٍ ﷺ فيقول: «أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا». فَيَذْهَبُ فَيَشْفَعُ عند الله في أن يأتي لفصل القضاء، فيشفعه(٤) الله في ذلك، وهي أول الشفاعات، وهي المقام المحمود كما تقدَّم بيانُهُ في سورة «سبحان»(٥) فيجيء الرَّبُّ تعالىٰ لفصلِ القضاء كما يَشَاءُ، والملائكةُ يَجِيئُون بين يدَيْهِ صفوفًا صفوفًا.

وقوله: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ قال الإمام مسلم بن الحجاج في «صحيحه»: حدَّثنا عمر بن حفص ابن غياث، حدَّثنا أبي، عن العلاء بن خالد الكاهلي، عن شقيق، عن عبد الله -هو ابن مسعود- قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ [زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ](٦) مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»(٧).

وهكذا رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد(٨) الرحمن الدَّارمي، عن عمر بن حفص به، ورواه أيضًا عن عبد بن حُمَيدٍ، عن أبي عامر، عن سفيان الثوري، عن العلاء بن خالد، عن شقيق بن سلمة -وهو أبو وائل- عن عبد الله بن مسعود قوله، ولم يرفعه، وكذا رواه ابن جرير، عن الحسن بن عرفة، عن مَروان ابن معاوية الفزاري، عن العلاء بن خالد، عن شقيق، عن عبد الله قوله(٩).

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾؛ أي: عمله وما كان أسلفه في قديمِ دهرِهِ وحديثِهِ، ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾؛ أي: وكيف تنفعه الذِّكرىٰ؟ ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ يعني: يندم علىٰ ما كان سلف منه من

---

(١) قال الشيخ القاسمي رحمه الله: ومن غرائب المأثور هنا تأويل النفس بالروح، والرب بصاحبها؛ أي: ارجعي إلىٰ جسد صاحبك إيذانًا بأن الأرواح المطمئنة تردّ يوم القيامة في الأجساد، وأن لها مقرًّا قبل تعلقها بالبدن في عالم الملكوت. والمسألة من الغوامض بل من الغيوب. وبمعرفة نظائر التنزيل، يظهر بعدُ هذا التأويل.

(٢) سقط من (ز).

(٣) في (ز): (واحدًا واحدًا).

(٤) في (ز): (فيستغفر الله).

(٥) انظر تفسير سورة الإسراء قوله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩].

(٦) سقط من (ز)، والمثبت موافق لما في «مسلم».

(٧) رواه مسلم (٢٨٤٢)، وانظر ما بعده.

(٨) لوحة (٢٢٩ أ).

(٩) رواه الترمذي (٢٥٧٦)، والطبري (٣٠/ ١٨٨).

المعاصي -إن كان عاصيًا- ويود لو كان ازداد من الطاعات [-إن كان طائعًا-][1] كما قال الإمام أحمد بن حنبل: حدَّثنا علي بن إسحاق، حدَّثنا عبد الله -يعني ابن المبارك- حدَّثنا ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن محمَّد بن أبي عميرة[2] -وكان من أصحاب رسول الله ﷺ- قال: لو أنَّ عبدًا خرَّ علىٰ وجهه مِن يوم وُلِدَ إلىٰ أن يموت [هَرمًا][3] في طاعة الله، لَحَقرَه يوم القيامة، ولودَّ أنه يُرَدَّ إلىٰ الدُّنيا كيما يَزْدَادَ مِن الأجر والثواب[4].

وقد رواه أيضًا [بَحِيرُ بنُ سَعد][5]، عن خالد بن معدان، عن عتبة بن عبد[6]، عن رسول الله ﷺ.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾؛ أي: ليس أحدٌ أشدَّ عذابًا من تعذيبِ الله مَن عصاه، ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾؛ أي: وليس أحدٌ أشدَّ قبضًا ووثقًا من الزَّبانية لمن كفر بربهم ﷻ، هذا في حقِّ المجرمين مِن الخلائق والظَّالمين، فأمَّا النَّفس الزَّكيَّة المطمئنَّة -وهي السَّاكنة الثَّابتة الدَّائرة مع الحقِّ- فيقال لها: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾؛ أي: إلىٰ جوارِه وثوابِه، وما أعدَّ لعبادِه في جنَّتِه ﴿رَاضِيَةً﴾؛ أي: في نفسها ﴿مَّرْضِيَّةً﴾؛ أي: قد رضيت عن الله ورَضِيَ عنها وأرضاها، ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾؛ أي: في جُملَتِهِمْ، ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ وهذا يقال لها عند الاحتضار، وفي يوم القيامة أيضًا، كما أنَّ الملائكة يُبَشِّرونَ المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبرِه، وكذلك هاهنا.

ثم اختلف المفسِّرون فيمن نزلت هذه الآية، فروىٰ الضَّحَّاكُ، عن ابن عبَّاس: نزلت في عثمان بن عفان[7]. وعن بُرَيدة بن الحصيب: نزلت في حمزة[8] بن عبد المطلب رضي الله عنه[9].

وقال العوفي، عن ابن عبَّاس: يقال للأرواح المطمئنة يوم القيامة: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ يعني: صاحبك، وهو بدنها الَّذي كانت تعمره في الدنيا[10]، ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾.

وروي عنه أنه كان يَقرؤها: «فادْخُلِي في عَبْدِي[11] وادخلِي جنَّتي». وكذا قال عكرمة والكلبي، واختاره ابن جرير، وهو غريب، والظاهر الأول؛ لقوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام:٦٢]

---

(١) سقط من (ز). (٢) في (ز): (أبي عمرة)، وهو خطأ.

(٣) سقط من (ز)، والمثبت موافق لما في «المسند».

(٤) رواه أحمد (٤/ ١٨٥) موقوفًا، ومرفوعًا، ومداره علىٰ خالد بن معدان، وهو ثقة يرسل كثيرًا، لكن معنىٰ الحديث صحيح، والله أعلم.

(٥) سقط من (ز)، والمثبت موافق لما في «المسند».

(٦) في (ز): (عبيد)، وهو خطأ. (٧) رواه ابن أبي حاتم (١٩٢٨٩).

(٨) لوحة (٢٢٩ ب). (٩) رواه ابن أبي حاتم (١٩٢٩٠).

(١٠) رواه الطبري (٣٠/ ١٩١)، وسنده ضعيف.

(١١) قراءة: قَرَأَ (عَبدِي) ابنُ عَبَّاسٍ، وَلَيسَ فِي المُتَواتِرِ إِلَّا (عِبَادِي).

﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر:٤٣] أي: إلىٰ حكمه والوقوف بين يديه.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا علي بن الحسين، حدَّثنا أحمد بن عبد الرَّحمن بن عبد الله الدشتكي، حدَّثنا أبي، عن أبيه، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ قال: نزلت وأبو بكر جالس، فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذا! فقال: «أَمَا إِنَّهُ سَيُقَالُ لَكَ هَذَا»[(١)].

ثم قال: حدَّثنا أبو سعيد الأشج، حدَّثنا ابن يمان، عن أشعث، عن سعيد بن جبير قال: [قُرِئت][(٢)] عند النَّبيِّ ﷺ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ فقال أبو بكر ﵁: إنَّ هذا حسن. فقال له النَّبيُّ ﷺ: «أَمَا إِنَّ المَلَكَ سَيَقُولُ لَكَ هَذَا عِنْدَ المَوْتِ».

وكذا رواه ابن جرير، عن أبي كُرَيْبٍ، عن ابن يمان به. وهذا مرسلٌ حسنٌ[(٣)].

ثم قال ابن أبي حاتم: وحدَّثنا الحسن بن عرفة، حدَّثنا مَرْوان بن شجاع الجزري، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير قال: مات ابن عبَّاس بالطَّائف، فجاء طيرٌ لم يُرَ علىٰ خَلْقِهِ فدخل نَعْشَهُ، ثم لم يُرَ خارجًا منه فلما دفن تُليت هذه الآية علىٰ شَفِيرِ القبر، ما يدري من تلاها: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾[(٤)].

رواه الطبراني عن عبد الله بن أحمد عن أبيه، عن مَرْوانِ بن شجاع، عن سالم بن عجلان الأفطس به فذكره[(٥)].

وقد ذكر الحافظ محمَّد بن المنذر الهروي -المعروف بشكر- في كتاب «العجائب» بسنده عن قُبَاث بن رزين أبي هاشم قال: أسرتُ في بلاد الروم، فجمعنا الملك وعَرَض علينا دينه، علىٰ أنَّ مَنِ امتنع ضُرِبَتْ عنقه. فارتدَّ ثلاثةٌ، وجاءَ الرَّابع فامتنع، فضُرِبَتْ[(٦)] عنقه، وأُلْقِيَ رأسُهُ في نهرٍ هناك، فرسب في الماء ثم طفا علىٰ وجه الماء، ونظر إلىٰ أولئك الثَّلاثة فقال: يا فلان، ويا فلان، ويا فلان -يناديهم

---

(١) ضعيف: رواه ابن أبي حاتم (١٩٢٨٧)، ورواية جعفر عن سعيد ضعيفه كما تقدم.

(٢) في (ز): (قرأت)، والمثبت موافق لما في «الطبري».

(٣) ضعيف كسابقه: رواه ابن أبي حاتم (١٩٢٨٨)، والطبري (٣٠/ ١٩١).

(٤) رواه ابن أبي حاتم (١٩٢٩٩)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٨٧٩)، والحاكم (٢/ ٦٣) وسكت عنه وكذلك الذهبي، و الخطيب في «تاريخ بغداد» (ت/ ٧٠٨).

(٥) الطبراني (١٠/ ٢٩٠/ ١٠٥٨١).

(٦) لوحة (٢٣٠ أ).

بأسمائهم- قال الله تعالىٰ في كتابه: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ ثم غاص في الماء، قال: فكادت النَّصارىٰ أن يُسْلِمُوا، ووقع[1] سرير الملك، ورجع أولئك الثلاثة إلىٰ الإسلام. قال: وجاء الفداء من عند الخليفة أبي جعفر المنصور فخلصنا.

وروىٰ الحافظ ابن عساكر في ترجمة رواحة بنت أبي عمرو الأوزاعي، عن أبيها: حدَّثني سليمان بن حبيب المحاربي[2]، حدَّثني أبو أمامة: أن رسول الله ﷺ قال لرجل: «**قُلِ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ نَفْسًا بِكَ مُطْمَئِنَّةً، تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ، وَتَرْضَىٰ بِقَضَائِكَ، وَتَقْنَعُ بِعَطَائِكَ**»[3]؛ ثم روىٰ عن أبي سليمان بن زَبْر أنه قال: حديث رواحة هذا واحد أُمَّة.

آخر تفسير سورة الفجر، ولله الحمد.

---

(١) في (ز): (ورفع).

(٢) في (ز): (المكاري)، والمثبت هو الصواب.

(٣) ضعيف: «تاريخ دمشق» (١٩/ ٢١١/ ٢)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٩٩/ ٧٤٩٠)، وفي «الشاميين» (٢/ ٤٠٩/ ١٥٩٨)، وقال الهيثمي (١٠/ ٢٨٧): فيه من لم أعرفهم.

سُورَةُ البَلَدِ

تفسير سورة البلد وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ[(١)] ﴿١٠﴾﴾

هذا قَسَمٌ من الله ﷻ بمكَّة أمِّ القرىٰ في حال كون السَّاكن فيها حالًّا؛ لِيُنَبِّه علىٰ عظمةِ قدرِهَا في حالِ إحرامِ أهلِهَا.

قال خَصيفٌ، عن مجاهد: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ لا: رد عليهم؛ أقسمُ بهذا البلد.

وقال شَبيب بن بشر، عن عِكْرِمةَ، عن ابن عبَّاس: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ يعني: مكة، ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ قال: أنت -يا محمَّد- يحل لك أن تُقَاتِلَ به. وكذا رُوي عن سعيد بن جُبَيرٍ، وأبي صالح، وعطيَّة، والضَّحَّاك، وقتادة، والسُّدِّي، وابن زيد.

وقال مجاهد: ما أصبت فيه فهو حلالٌ لك.

وقال قتادة: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ قال: أنت به مِن غير حَرَجٍ ولا إثمٍ.

وقال الحسن البصري: أحلَّها الله له ساعةً[(٢)] من نهار.

وهذا المعنىٰ الذي قالوه قد وَرَدَ به الحديث المتَّفق علىٰ صحته: «**إِنَّ هَذَا البَلَدَ حَرَّمَهُ اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، لا يُعْضَدُ شَجَرُهُ وَلا يُخْتَلَىٰ خَلاهُ[(٣)]. وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا اليَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ، أَلا فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ**». وفي

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: الهِدَايَةُ مَحِلُّهَا القَلْبُ، وَهَذِهِ الأَعضَاءُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي هِيَ دَائِمَةُ الحَرَكَةِ وَالكَسبِ إِمَّا لِلإِنسَانِ وَإِمَّا عَلَيهِ بِخِلَافِ مَا يَتَحَرَّكُ مِن دَاخِلٍ، فَإِنَّهُ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ ثَوَابٌ وَلَا عِقَابٌ، وَبِخِلَافِ بَقِيَّةِ الأَعضَاءِ الظَّاهِرَةِ، فَإِنَّ السُّكُونَ أَغلَبُ، وَحَرَكَتَهَا قَلِيلَةٌ بِالنِّسبَةِ إِلَىٰ هَذِهِ... وَلَمَّا كَانَ النَّظَرُ مَبدأً وَالذِّكرُ مُنتَهًى؛ لِأَنَّ النَّظَرَ يَتَقَدَّمُ الإِدرَاكَ وَالعِلمَ، وَالذِّكرَ يَتَأَخَّرُ عَنِ الإِدرَاكِ وَالعِلمِ؛ وَلِهَذَا كَانَ المُتَكَلِّمَةُ فِي النَّظَرِ المُقتَضِي لِلعِلمِ، وَكَانَ المُتَصَوِّفَةُ فِي الذِّكرِ المُقَرِّرِ لِلعِلمِ قَدَّمَ آلَةَ النَّظَرِ عَلَىٰ آلَةِ الذِّكرِ، وَخَتَمَ بِهِدَايَةِ المَلِكِ الجَامِعِ الَّذِي هُوَ النَّاظِرُ الذَّاكِرُ.

(٢) لوحة (٢٣٠ ب).

(٣) أي: لا يقطع شجره، والخلا: النبات الرطب الرقيق ما دام رطبًا، واختلاؤه: قطعه.

لفظ آخر: «فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ بِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ فَقُولُوا: إِنَّ اللهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ»[(١)].

وقوله: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ قال ابن جرير: حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ، حدَّثنا ابن عطية، عن شريك، عن خَصِيفٍ، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ الوالد: الذي يلد، وما ولد: العاقر الذي لا يولد له[(٢)].

ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم، من حديث شريك -وهو ابن عبد الله القاضي- به.

وقال عكرمة: الوالد: العاقر، وما ولد: الذي يلد. رواه ابن أبي حاتم.

وقال مجاهد، وأبو صالح، وقتادة، والضَّحَّاكُ، وسفيان الثوري، وسعيد بن جبير، والسُّدِّي، والحسن البصري، وخصيف، وشرحبيل بن سعد وغيرهم: يعني بالوالد: آدم، وما ولد: ولده.

وهذا الذي ذهب إليه مجاهد وأصحابه حَسَنٌ قويٌّ؛ لأنه تعالىٰ لما أقسم بأُمِّ القرىٰ -وهي المساكن- أقسم بعده بالسَّاكن، وهو آدم أبو البشر وولده.

وقال أبو عمران الجوني: هو إبراهيم وذريته. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم.

واختار ابن جرير أنَّه عامٌّ في كلِّ والدٍ وولدِهِ. وهو محتملٌ أيضًا.

وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ رُوي عن ابن مسعود، وابن عبَّاس، وعكرمة، ومجاهد، وإبراهيم النَّخعي، وخَيْثَمةَ، والضَّحَّاكِ، وغيرهم: يعني منتصبًا -زاد ابن عبَّاس في رواية عنه- في بطن أُمِّه.

والكبد: الاستواء والاستقامة. ومعنىٰ هذا القول: لقد خلقنا الإنسان سويًّا مستقيمًا، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝٦ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٦، ٧]، وكقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

وقال ابن جريج عن عطاء عن[(٣)] ابن عبَّاس: ﴿فِي كَبَدٍ﴾ قال: في شدة خلق، ألم ترَ إليه، وذكر مولده ونبات أسنانه.

وقال مجاهد: ﴿فِي كَبَدٍ﴾: نطفة، ثم علقة[(٤)]، ثم مضغة يتكبَّد في الخلق -قال مجاهد: وهو كقوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ وأرضعته كرهًا، ومعيشته كُرْهٌ، فهو يكابد ذلك.

---

(١) البخاري (١٥٨٧)، (١٨٣٤)، (٢٧٨٣)، (٢٨٢٥)، ومسلم (١٣٥٣)، وأبو داود (٢٠١٨) (٢٤٨٠)، والترمذي (١٥٩٠)، والنسائي (٥/ ٢٠٣) (٧/ ١٤٦).

(٢) الطبري (٣٠/ ١٩٥)، وابن أبي حاتم (١٩٣٠٧).

(٣) في (ز): (ابن جريج وعطاء)، والمثبت هو الصواب كما عند «الطبري» (٢٤/ ٤١٠)، ونصه عند الطبري: (قال: في شدَّةِ معيشتِه، وحملِه وحياتِه، ونباتِ أسنانِه).

(٤) لوحة (٢٣١ أ).

وقال سعيد بن جبير: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾: في شِدَّةٍ وطَلَبِ معيشةٍ. وقال عكرمة: في شدَّةٍ وطولٍ. وقال قتادة: في مشقَّةٍ.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أحمد بن عصام، حدَّثنا أبو عاصم، أخبرنا عبد الحميد بن جعفر، سمعت محمَّد بن علي أبا جعفر الباقر سأل رجلًا من الأنصار عن قول الله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ قال: في قيامه واعتداله. فلم يُنكرْ عليه أبو جعفر.

وروىٰ من طريق أبي مودود: سمعت الحسن قرأ هذه الآية: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ قال: يكابِدُ أمرًا مِن أمر الدنيا، وأمرًا مِن أمر الآخرة، وفي رواية: يكابِدُ مضايق الدُّنيا وشدائد الآخرة.

وقال ابن زيد: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ قال: آدم خُلِقَ في السَّماء، فَسُمِّي ذلك الكَبَدُ.

واختار ابن جرير أنَّ المراد بذلك: مكابدة الأمور ومشاقها.

وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ[(١)] أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [قال الحسن البصري: يعني أيحسب أن لن يَقْدِرَ عليه أحدٌ يأخذ][(٢)] ماله. وقال قتادة: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ قال: ابن آدم يظن أن لن يُسأَلَ عن هذا المال: مِن أين اكتسبه؟ وأين أنفقه؟. وقال السُّدِّي: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ قال: الله ﷻ.

وقوله: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾؛ أي: يقول ابن آدم: أنفقت مالًا لبدًا؛ أي: كثيرًا. قاله مجاهد، [والحسن][(٣)]، وقتادة، والسُّدِّي، وغيرهم.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ قال مجاهد: أي أيحسب أن لم يره الله ﷻ. وكذا قال غيره من السلف.

وقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾؛ أي: يبصر بهما، ﴿وَلِسَانًا﴾؛ أي: يَنْطِقُ به، فَيُعبِّر عمَّا في ضميرِه، ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يستعينُ بهما علىٰ الكلام وأكل الطعام، وجمالًا لوجهِهِ وفمِهِ.

وقد روىٰ الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي الربيع الدمشقي، عن مكحول قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ، قَدْ أَنْعَمْتُ عَلَيْكَ نِعَمًا عِظَامًا لا تُحْصِي عَدَدَهَا، وَلَا تُطِيقُ شُكْرَهَا، وَإِنَّ مِمَّا أَنْعَمْتُ عَلَيْكَ أَنْ جَعَلْتُ لَكَ عَيْنَيْنِ تَنْظُرُ بِهِمَا، وَجَعَلْتُ لَهُمَا [غِطَاءً، فَانْظُرْ بِعَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا أَحْلَلْتُ لَكَ، وَإِنْ رَأَيْتَ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْكَ فَأَطْبِقْ عَلَيْهِمَا][(٤)] غِطَاءَهُمَا. وَجَعَلْتُ لَكَ لِسَانًا، وَجَعَلْتُ[(٥)] لَهُ غُلَافًا، فَانْطِقْ بِمَا أَمَرْتُكَ وَأَحْلَلْتُ لَكَ، فَإِنْ عَرَضَ لَكَ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْكَ فَأَغْلِقْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ. وَجَعَلْتُ لَكَ فَرْجًا، وَجَعَلْتُ لَكَ سِتْرًا، فَأَصِبْ بِفَرْجِكَ مَا أَحْلَلْتُ لَكَ، فَإِنْ عَرَضَ لَكَ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْكَ فَأَرْخِ عَلَيْكَ**

---

(١) في (ز): (أيحسب الإنسان).
(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).
(٣) ليست في (ز).
(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).
(٥) لوحة (٢٣١ ب).

سِتْرَكَ. يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَا تَحْمِلُ سَخَطِي، وَلَا تُطِيقُ انْتِقَامِي»[١].

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ قال سفيان الثوري، عن عاصم، عن زرٍّ، عن عبد الله -هو ابن مسعود-: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ قال: الخير والشَّر. وكذا رُوي عن علي، وابن عبَّاس، ومجاهد، وعكرمة، وأبي وائل، وأبي صالح، ومحمَّد بن كعب، والضَّحَّاك، وعطاء الخراساني في آخرين.

وقال عبد الله بن وهب: أخبرني ابن لَهِيعةَ، عن يزيد بن أبي حبيب، عن [سعد بن سِنان][٢]، عن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «هُمَا نَجْدَانِ، فَمَا جَعَلَ نَجْدَ الشَّرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الخَيْرِ؟!»[٣].

تفرَّد به سنان بن سعد -ويُقال: سعد بن سنان- وقد وثَّقه ابن معين. وقال الإمام أحمد والنَّسائي والجوزجاني: مُنْكَرُ الحَدِيثِ. وقال أحمد: تركتُ حديثَهُ لاضطرابه. وروىٰ خمسةَ عشر حديثًا منكرةً كلَّها، ما أعرف منها حديثًا واحدًا. يُشْبِه حديثه حديثَ الحسن -يعني البصري- لا يُشْبِهُ حديثَ أنس.

وقال ابن جرير: حدَّثني يعقوب، حدَّثنا ابن[٤] عُلَيَّةَ، عن أبي رجاء قال: سمعت الحسن يقول: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُمَا النَّجْدَانِ، نَجْدُ الخَيْرِ وَنَجْدُ الشَّرِّ، فَمَا جَعَلَ نَجْدَ الشَّرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الخَيْرِ؟!». وكذا رواه حبيبُ بن الشَّهيد، ويونس بن عبيد، وأبو وهب، عن الحسن مرسلًا. وهكذا أرسله قتادة[٥].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أحمد بن عصام الأنصاري، حدَّثنا أبو أحمد الزبيري، حدَّثنا عيسىٰ بن عقال[٦]، عن أبيه، عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ قال: الثَّدْيَيْن[٧].

وروي عن الربيع بن خُثَيم وقتادة وأبي[٨] حازم مثل ذلك. ورواه ابن جرير عن أبي كُرَيْبٍ، عن وَكِيعٍ، عن عيسىٰ بن عقَّال به. ثم قال: والصَّواب القول الأول.

ونظير هذه الآية قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ[٩] أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [سورة الإنسان: ٢، ٣].

---

(١) مرسل: رواه ابن عساكر (٦٦/ ٣٢٩)، وإسناده مرسل.

(٢) في (ز): (سنان بن سعد)، وهو مختلف في اسمه.

(٣) إسناده ضعيف: فيه سعد بن سنان: اختلفوا فيه، وبعضهم يرىٰ أن أحاديثه منكرةٌ، وترك أحمد حديثه لاضطرابه. وقال الحافظ: صدوق له أفراد، ويشبه أن يكون كلامه هذا من كلام الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ .اهـ

(٤) في (ز): (أبو علية)، وهو خطأ.

(٥) رواه الطبري (٣٠/ ٢٠٠) عن الحسن مرسلًا، والله أعلم.

(٦) في (ز): (بن عفان)، والمثبت هو الصواب.

(٧) رواه ابن أبي حاتم (١٩٣٢٣).

(٨) في (ز): (وابن حازم)، وهو خطأ.

(٩) لوحة (٢٣٢ أ).

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ (١١) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ (١٧) أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ (١٨) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ (٢٠)﴾

قال ابن جرير: حدَّثني عمر بن إسماعيل بن مجالد، حدَّثنا عبد الله بن إدريس، عن أبيه، عن عطية[1]، عن ابن عمر في قوله: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ قال: جبل في جهنَّم أزل[2].

وقال كعب الأحبار: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ هو سبعون درجةً في جهنَّم. وقال الحسن البصري: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ قال: عقبة في جهنَّم. وقال قتادة: إنَّها قحمةٌ شديدةٌ فاقتحموها بطاعةِ الله ﷻ. وقال قتادة: وقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ ثم فسر عن اقتحامها. فقال: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَٰمٌ﴾.

وقال ابن زيد: ﴿ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾؛ أي: أفلا سلك الطَّريق التي فيها النَّجاة والخير. ثم بيَّنَها فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَٰمٌ﴾.

قرئ: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ بالإضافة، وقُرئ على أنَّه فعل، وفيه ضمير الفاعل والرَّقبة مفعوله[3]، وكِلْتَا القِرَاءَتَيْنِ معناهما متقاربٌ.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا علي بن إبراهيم[4]، حدَّثنا عبد الله -يعني ابن سعيد بن أبي هند- عن إسماعيل ابن أبي حكيم -مولىٰ آل الزبير- عن سعيد بن مرجانة: أنه سمع أبا هُرَيرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ إِرْبٍ[5] مِنْهَا إِرْبًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيُعْتِقُ بِاليَدِ اليَدَ، وَبِالرِّجْلِ الرِّجْلَ، وَبِالفَرْجِ الفَرْجَ». فقال علي بن الحسين: أنتَ سَمِعتَ هذا من أبي هُرَيرةَ؟ فقال سعيد: نعم. فقال علي بن الحسين لغلامٍ له -أفْرَهُ[6] غلمانه-: ادعُ مطرفًا. فلما قام بين يَدَيْه قال: اذهب فأنت حُرٌّ لوجه الله[7].

وقد رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي من طرق، عن سعيد بن مرجانة به، وعند مسلم أنَّ هذا الغلام الذي أعتقه علي بن الحسين زين العابدين كان قد أعطي فيه عشرة آلاف درهم.

---

(١) في (ز): (عن أبي عطية)، والمثبت هو الصواب، وهو موافق لما في «الطبري»، وعطية هو ابن سعد العوفي.
(٢) رواه الطبري (٣٠/ ٢٠١).
(٣) متواترة: قَرَأَ (فَكَّ رَقَبَةً) ابنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمرٍو وَالكِسَائِيُّ وَوَافَقَهُمُ اليَزِيدِيُّ وَالحَسَنُ وَابنُ مُحَيصِنٍ مِنَ المُبهِجِ، وَقَرَأَ البَاقُونَ (فَكُّ رَقَبَةٍ).
(٤) هذا هو المثبت في بعض روايات «مسند أحمد»، وفي أخرىٰ: (مكي بن إبراهيم)، ولا أعرف لـ(علي بن إبراهيم) رواية عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند، وإنما المعروف بالرواية عنه هو: (مكي بن إبراهيم البلخي)، والله أعلم بالصواب.
(٥) أي: عضو. (٦) أي: حسن الوجه.
(٧) البخاري (٢٥١٧)، ومسلم (١٥٠٩)، وأحمد (٢/ ٤٢٢)، والترمذي (١٤٥٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٤٨٧٤).

وقال قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن مَعدانَ بن أبي طلحة، عن أبي نَجِيح قال: سمعتُ رسولَ الله [(١)] ﷺ يقول: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ أَعْتَقَ رَجُلًا مُسْلِمًا، فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ وَفَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ عَظْمًا مِنْ عِظَامِ مُحَرِّرِهِ مِنَ النَّارِ، وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ أَعْتَقَتْ امْرَأَةً مُسْلِمَةً، فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ وَفَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهَا عَظْمًا مِنْ عِظَامِهَا مِنَ النَّارِ» [(٢)].

رواه ابن جرير هكذا، وأبو نجيح هذا هو عمرو بن عَبَسَةَ [(٣)] السلمي رضي الله عنه.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا حيوة بن شريح، حدَّثنا بقية، حدَّثني بَحير [(٤)] بن سعد، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرَّة، عن عمرو بن عَبَسَة [(٥)] أنَّه حدثهم: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَنْ بَنَىٰ مَسْجِدًا لِيُذْكَرَ اللهُ فِيهِ، بَنَىٰ اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ. وَمَنْ أَعْتَقَ نَفْسًا مُسْلِمَةً، كَانَتْ فِدْيَتُهُ مِنْ جَهَنَّمَ. وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الإِسْلَامِ، كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ القِيَامَةِ» [(٦)].

طريق أخرىٰ: قال أحمد: حدَّثنا الحكم بن نافع، حدَّثنا حَريز؛ عن سُليم بن عامر: أن شرحبيل بن السمط قال لعمرو بن عَبَسة [(٧)] حدِّثنا حديثًا ليس فيه تَزَيُّد ولا نسيان. قال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً كَانَتْ فِكَاكَهُ مِنَ النَّارِ، عُضْوًا بِعُضْوٍ. وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللهِ، كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ رَمَىٰ بِسَهْمٍ فَبَلَغَ فَأَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ، كَانَ كَمُعْتِقِ رَقَبَةٍ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ». وروىٰ أبو داود، والنَّسائي بعضه [(٨)].

طريق أخرىٰ: قال أحمد: حدَّثنا هاشم بن القاسم، حدَّثنا الفرج، حدَّثنا لقمان، عن أبي أمامة، عن عمرو بن عَبَسَةَ [(٩)] السلمي قال: قلت له: حدِّثنا حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه انتقاصٌ ولا وَهمٌ. قال: سمعته يقول: «مَنْ وُلِدَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ فِي الإِسْلَامِ فَمَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ، وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللهِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ رَمَىٰ بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، بَلَغَ بِهِ العَدُوَّ، أَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ، كَانَ لَهُ عِتْقُ رَقَبَةٍ. وَمَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ، يُدْخِلُهُ اللهُ مِنْ أَيِّ بَابٍ شَاءَ مِنْهَا» [(١٠)].

---

(١) لوحة (٢٣٢ ب). (٢) رواه الطبري (٣٠/ ٢٠٢)، وانظر ما قبله.

(٣) في (ز): (عنبسة)، وكذا في جميع المواضع، والمثبت هو الصواب.

(٤) في (ز): (محمد بن سعد)، وهو خطأ. (٥) في (ز): (عنبسة)، والمثبت هو الصواب.

(٦) رواه أحمد (٤/ ٣٨٦)، وفيه بقية: مدلس تدليس تسوية، وخالد بن معدان: يرسل.

(٧) في (ز): (عنبسة)، والمثبت هو الصواب.

(٨) صحيح: رواه أحمد (٤/ ١١٣)، وأبو داود (٣٩٦٦).

(٩) في (ز): (عنبسة)، والمثبت هو الصواب.

(١٠) صحيح: رواه أحمد (٤/ ٣٨٦)، ويشهد له ما تقدم.

وهذه أسانيدُ[١] جيِّدةٌ قويَّةٌ، ولله الحمد والمنَّة.

حديث آخر: قال أبو داود: حدَّثنا عيسىٰ بن محمَّد الرملي، حدَّثنا ضَمْرةُ، عن ابن أبي عَبلَة، عن الغريف بن الديلمي قال: أتينا واثلة بن الأسقع فقلنا له: حدِّثنا حديثًا ليس فيه زيادةٌ ولا نقصانٌ. فغضب وقال: إن أحدكم ليقرأ ومصحفه معلَّق في بيته، فيزيد وينقص. قلنا: إنَّما أردنا حديثًا سمعتَه من رسول الله ﷺ. قال: أتينا رسولَ الله ﷺ في صاحبٍ لنا قد أوجب -يعني النَّار- بالقتل، فقال: «**أَعْتِقُوا عَنْهُ يُعْتِقِ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ**»[٢].

وكذا رواه النسائي من حديث إبراهيم بن أبي عَبلة، عن الغَريف بن عياش الديلمي، عن واثلة به.

حديث آخر: قال أحمد: حدَّثنا عبد الصمد، حدَّثنا هشام، عن قتادة، عن قيس الجذامي، عن عقبة بن عامر الجهني: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً فَهُوَ فِدَاؤُهُ مِنَ النَّارِ**»[٣].

وحدَّثنا عبد الوهاب الخفاف، عن سعيد، عن قتادة قال: ذُكِرَ أنَّ قيسًا الجذامي حَدَّث عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً فَهِيَ فِكَاكُهُ مِنَ النَّارِ**»[٤].

تفرَّد به أحمد من هذا الوجه[٥].

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدَّثنا يحيىٰ بن آدم وأبو أحمد قالا: حدَّثنا عيسىٰ بن عبد الرحمن البجلي -من بني بجيلة، من بني سليم- عن طلحة -قال أبو أحمد: حدَّثنا طلحة بن مصرف- عن عبد الرحمن بن عوسجة، عن البراء بن عازب قال: جاء أعرابيٌّ إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، علمني عملًا يُدخِلُنِي الجنَّة. فقال: «**لَئِنْ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الخُطْبَةَ لَقَدْ أَعْرَضْتَ المَسْأَلَةَ، أَعْتِقِ النَّسَمَةَ، وَفُكَّ الرَّقَبَةَ**». فقال: يا رسول الله، أَوَلَيْسَتَا بواحدةٍ؟ قال: «**لا؛ إِنَّ عِتْقَ النَّسَمَةِ أَنْ تَنْفَرِدَ بِعِتْقِهَا، وَفَكَّ الرَّقَبَةِ أَنْ تُعِينَ فِي عِتْقِهَا. وَالمِنْحَةُ الوَكُوفُ**[٦]**، وَالفَيْءُ عَلَىٰ ذِي الرَّحِمِ الظَّالِمِ؛ فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ فَأَطْعِمِ الجَائِعَ، وَاسْقِ الظَّمْآنَ، وَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ، فَإِنْ لَمْ**

---

(١) لوحة (٢٣٣ أ).

(٢) ضعيف: رواه أبو داود (٣٩٦٤)، وفيه الغريف بن الديلمي: لم يوثقه إلا ابن حبان. انظر: «الثقات» (٥/ ٢٩٤)، وقال الحافظ في «التقريب»: مقبول.

(٣) حسن لغيره، والحديث صحيح: رواه أحمد (٤/ ١٥٠)، وفيه انقطاع بين قتادة وقيس الجذامي. انظر «المراسيل» لابن أبي حاتم (صـ١٦٨، ١٧٥)، ومما يدل علىٰ ذلك الرواية الآتية حيث قال قتادة: ذكر أن قيسًا الجذامي حدث... إلخ. ولكن الحديث صحيح من حديث أبي هريرة: رواه البخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩)، والترمذي (١٥٤١)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٤٨٧٤).

(٤) رواه أحمد (٤/ ١٤٧) وفيه انقطاع. انظر الحديث السابق.

(٥) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٥٠).

(٦) **المنحة الوكوف**: غزيرة اللبن.

تُطِقْ ذَلِكَ فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلَّا مِنَ الخَيْرِ»(١).

وقوله: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ قال ابن عبَّاس: ذي مجاعةٍ. وكذا قال عكرمة، ومجاهد، والضَّحَّاكُ، وقتادة، وغير واحدٍ. والسَّغَبُ: هو الجوع.

وقال إبراهيم النَّخَعِي: في يومِ الطَّعامُ فيه عزيزٌ.

وقال قتادة: في يوم [يُشتهىٰ](٢) فيه الطَّعام.

وقوله: ﴿يَتِيمًا﴾ أي(٣): أطعم فِي مثل هذا اليوم يتيمًا، ﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾؛ أي: ذا قرابةٍ منه. قاله ابن عبَّاس، وعكرمة، والحسن، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّي. كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد:

حدَّثنا يزيد، أخبرنا هشام، عن حفصة بنت سيرين، عن [سلمان](٤) بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصَّدَقَةُ عَلَىٰ المِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَىٰ ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ، صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ»(٥).

وقد رواه التِّرمذي والنَّسائي، وهذا إسنادٌ صحيحٌ.

وقوله: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾؛ أي: فقيرًا مُدقعًا لاصقًا بالتُّراب، وهو الدَّقعاء أيضًا.

قال ابن عبَّاس: ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ هو المطروح في الطَّريق الَّذِي لا بيت له، ولا شيءَ يَقِيهِ مِن التُّراب، وفي روايةٍ: هو الَّذِي لصق بالدَّقْعَاءِ من الفقر والحاجة، ليس له شيءٌ، وفي رواية عنه: هو البَعِيدُ التُّربة.

قال ابن أبي حاتم: يعني الغريب عن وطنه.

وقال عكرمة: هو الفقير المديون المحتاج. وقال سعيد بن جبير: هو الذي لا أحد له. وقال ابن عبَّاس، وسعيد، وقتادة، ومقاتل بن حيان: هو ذُو العيال. وكل هذه قريبة المعنىٰ.

وقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ أي: ثم هو -مع هذه الأوصافِ الجميلة الطَّاهرة- مؤمنٌ بقلبه، محتسبٌ ثوابَ ذلك عند الله ﷻ. كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩]، وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ الآية [النحل: ٩٧].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٤/ ٢٩٩). (٢) بياض في (ز). (٣) لوحة (٢٣٣ ب).

(٤) في (ز): (سليمان)، والمثبت هو الصواب.

(٥) **الحديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف:** رواه أحمد (٤/ ٢١٤)، والترمذي (٦٥٨)، والنسائي (٥/ ٩٢)، وقال الترمذي: حديث حسن.

قلت: بل هو ضعيف فيه انقطاع بين حفصة وسليمان بينهما الرباب بنت صُليع، وهي ضعيفة، وقد تقدَّم بيان شواهده في تفسير سورة البقرة الآية (١٧٧).

وقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾؛ أي: كان من المؤمنين العاملين صالحًا، المتواصين بالصَّبر علىٰ أذىٰ النَّاس، وعلىٰ الرَّحمة بهم. كما جاء في الحديث: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ [الرَّحْمَنُ][1]، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»[2] وفي الحديث الآخر: «لا يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لا يَرْحَمِ النَّاسَ»[3].

وقال أبو داود: حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدَّثنا سفيان، عن ابن أبي نَجيح، عن ابن عامر، عن عبد الله بن عَمْرو -يرويه- قال: «مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا، فَلَيْسَ مِنَّا»[4].

وقوله: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾؛ أي: المتَّصِفُون بهذه الصِّفات مِن أصحاب اليَمين.

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾؛ أي: أصحاب الشِّمال، ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾؛ أي: مطبقة عليهم، فلا مَحِيدَ لهم[5] عنها، ولا خروج لهم مِنْهَا.

قال أبو هريرة، وابن عبَّاس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، ومحمَّد بن كعب القرظي، وعطيَّة العوفي، والحسن، وقتادة، والسُّدِّي: ﴿مُؤْصَدَةٌ﴾؛ أي: مطبقة.

قال ابن عبَّاس: مغلقة الأبواب.

وقال مجاهد: أَصَدَ الباب بلغةِ قريش؛ أي: أغلقه.

وسيأتي في ذلك حديث في سورة: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾. وقال الضَّحَّاكُ: ﴿مُؤْصَدَةٌ﴾: حيط لا باب له.

وقال قتادة: ﴿مُؤْصَدَةٌ﴾: مطبقة فلا ضَوْءَ فيها ولا فُرَج، ولا خروج منها آخر الأبد.

وقال أبو عمران الجوني: إذا كان يوم القيامة أمر الله بكلِّ جبَّارٍ وكلِّ شيطانٍ وكلِّ مَن كان يَخافُ النَّاس في الدُّنيا شرَّه، فأُوثِقُوا في الحديد، ثم أُمِرَ بهم إلىٰ جهنَّم، ثُمَّ أوصدوها عليهم؛ أي: أطبقوها -قال: فلا والله لا تستقرُّ أقدامهم علىٰ قرارٍ أبدًا، ولا والله لا ينظرونَ فيها إلىٰ أديم سماءٍ أبدًا، ولا والله لا تلتقي جفون أعينهم علىٰ غمضِ نومٍ أبدًا، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شرابٍ أبدًا. رواه ابن أبي حاتم.

آخر تفسير سورة البلد، ولله الحمد والمنة.

---

(١) في (ز): (الله)، وكلاهما وارد في مصادر التخريج، والأكثر كما أثبتناه في الأصل.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٢٢٠)، وأبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٥). وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) البخاري (٧٣٧٦)، ومسلم (٢٣١٩).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٤٣).

(٥) لوحة (٢٣٤ أ).

سُورَةُ الشَّمْسِ

تفسير سورة ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، وهي مكيَّة

تقدم حديث جابر الَّذي في «الصَّحيحين»[1]: أنَّ رسول الله ﷺ قال لمعاذ: «هَلَّا صَلَّيْتَ بِـ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾»[2].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ① وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ② وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ③ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ④ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ⑥ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا[3] ⑧ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ⑨ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ⑩﴾

قال مجاهد: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾؛ أي: وضوئها. وقال قتادة: ﴿وَضُحَاهَا﴾: النهار كله.

قال ابن جرير: والصواب أن يُقَالَ: أقسمَ الله بالشَّمس ونهارِهَا؛ لأنَّ ضوء الشَّمس الظَّاهر هو النَّهار.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ قال [مجاهد: تبعها. وقال العوفي، عن ابن عبَّاس: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ قال:][4] يتلو النَّهار. وقال قتادة: ﴿إِذَا تَلَاهَا﴾ ليلة الهلال، إذا سقطت الشَّمس رُؤِيَ الهلال.

وقال ابن زيد: هو يتلوها في النصف الأول من الشهر، ثمَّ هيَ تَتْلُوهُ. وهو يتقدَّمها في النِّصف الأخير[5] من الشَّهر.

وقال مالك، عن زيد بن أسلم: إذا تلاها ليلة القدر.

وقوله: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ قال مجاهد: أضاء. وقال قتادة: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾: إذا غَشِيَها النَّهار.

---

(١) في (ز): (الذي في الصحيح).

(٢) رواه البخاري (٧٠٥)، ومسلم (٤٦٥).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وَهُوَ سُبحانَهُ مَعَ مَا ذَكَرَ مِن عُمُومِ خَلقِهِ لِجَمِيعِ المَوجُودَاتِ عَلَىٰ مَرَاتِبِهَا حَتَّىٰ أَفعَالِ العَبدِ المُنقَسِمَةِ إِلَىٰ التَّقوَىٰ وَالفُجُورِ، و بَينَ انقِسَامِ الأَفعَالِ إِلَىٰ الخَيرِ وَالشَّرِّ، وَانقِسَامِ الفَاعِلِينَ إِلَىٰ مُفلِحٍ وَخَائِبٍ، سَعِيدٍ وَشَقِيٍّ. وَهَذَا يَتَضَمَّنُ الأَمرَ وَالنَّهيَ، وَالوَعدَ وَالوَعِيدَ. فَكَانَ فِي ذَلِكَ رَدٌّ عَلَىٰ القَدَرِيَّةِ المَجُوسِيَّةِ الَّذِينَ يُخرِجُونَ أَفعَالَ العِبَادِ عَن خَلقِهِ وَإِلهَامِهِ، وَعَلَىٰ القَدَرِيَّةِ المُشرِكِيَّةِ الَّذِينَ يُبطِلُونَ أَمرَهُ وَنَهيَهُ وَوَعدَهُ وَوَعِيدَهُ. احتِجَاجًا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ.

(٤) سقط من (ز).

(٥) لوحة (٢٣٤ ب).

قال ابن جرير: وكان بعض أهل العربيَّة يتأوَّل ذلك بمعنىٰ: والنَّهار إذا جلا الظُّلمة؛ لدلالةِ الكلام عليها.

قلت: ولو أنَّ هذا القائل تأوَّل ذلك بمعنىٰ ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾؛ أي: البسيطة، لكانَ أولىٰ، ولَصَحَّ تأويلُهُ في قول الله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ فكان أجودَ وأقوىٰ، والله أعلم. ولهذا قال مجاهد: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ إنَّه كقوله: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ٢].

وأما ابن جرير فاختار عود الضَّمير في ذلك كله علىٰ الشَّمس؛ لجريان ذكرها. وقالوا في قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ يعني: إذا يغشىٰ الشَّمس حين تغيب، فتظلم الآفاق.

وقال بَقِيَّةُ بن الوليد، عن صفوان، حدَّثني يزيد بن ذي حمامة قال: إذا جاء اللَّيل قال الرَّب جلَّ جلاله: غشي عبادي خلقي العظيم، فالليل يهابه، والَّذي خلقه أحقُّ أن يهاب. رواه ابن أبي حاتم [(١)].

وقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ يحتمل أن تكون «ما» -هاهنا- مصدريَّة؛ بمعنىٰ: والسَّماء وبنائها. وهو قول قتادة، ويحتمل أن تكون بمعنىٰ «مَن» يعني: والسَّماء وبانيها. وهو قول مجاهد، وكلاهما متلازم، والبِنَاء هو الرَّفع، كقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ﴾؛ أي: بقوَّة، ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧، ٤٨].

وهكذا قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ قال مجاهد: ﴿طَحَىٰهَا﴾: دحاها. وقال العوفي، عن ابن عبَّاس: ﴿وَمَا طَحَىٰهَا﴾؛ أي: خَلَقَ فِيهَا.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: ﴿طَحَىٰهَا﴾: قَسَمَهَا.

وقال مجاهد، وقتادة [والضَّحَّاك] [(٢)]، والسُّدِّي، والثوري، وأبو صالح، وابن زيد: ﴿طَحَىٰهَا﴾: بسطها.

وهذا أشهر الأقوال، وعليه الأكثر من المفسِّرين، وهو المعروف عند أهل اللُّغة، قال الجوهري: طحوته مثل دحوته؛ أي: بسطته.

وقوله: ﴿وَنَفۡسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾؛ أي: خلقها سويَّةً مستقيمةً علىٰ الفطرة القويمة، كما قال تعالىٰ: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]، وقال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُولَدُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟**» [(٣)]. أخرجاه من رواية أبي [(٤)] هريرة.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١٩٣٣٦). (٢) سقط من (ز).

(٣) رواه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨)، وأبو داود (٤١٦٩)، والترمذي (٢٧٨٢).

(٤) لوحة (٢٣٥ أ).

وفي «صحيح مسلم» من رواية عياض بن حمار المجاشعي، عن رسول الله ﷺ قال: «يَقُولُ اللهُ ﷻ: إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ فَجَاءَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ [(١)] عَنْ دِينِهِمْ» [(٢)].

وقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾؛ أي: فأرشدها إلىٰ فجورها وتقواها؛ أي: بيَّن لها ذلك، وهداها إلىٰ ما قدَّر لها. قال ابن عبَّاس: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾: بيَّن لها الخير والشَّر. وكذا قال مجاهد، وقتادة، والضَّحَّاكُ، والثوري.

وقال سعيد بن جبير: ألهمها الخير والشَّر. وقال ابن زيد: جعل فيها فجُورَها وتقوَاهَا.

وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن بشار [(٣)]، حدَّثنا صفوان بن عيسىٰ وأبو عاصم النَّبيل قالا: حدَّثنا عَزْرَةُ بن ثابت، حدَّثني يحيىٰ بن عقيل، عن يحيىٰ بن يَعْمر، عن أبي الأسود الدّيلي قال: قال لي عمران بن حصين: أرأيتَ ما يعمل فيه النَّاس ويتكادحون فيه، أشيءٌ قضي عليهم ومضىٰ عليهم من قَدَرٍ قد سبق، أو فيما يستَقبلُون مما أتاهم به نبيهم ﷺ وأكدت عليهم الحجَّة؟ قلت: بل شيءٌ قُضِيَ عليهم. قال: فهل يكون ذلك ظلمًا؟ قال: ففزعت منه فزعًا شديدًا، قال: قلت له: ليس شيء إلَّا وهو [خَلقُه وملْك يده] [(٤)]، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾. قال: سددك الله، إنَّما سألت لأخبر عقلك، إنَّ رجلًا من مُزَينةَ -أو جهينة- أتىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيتَ ما يعمل النَّاس فيه ويتكادحون، أشيءٌ قُضِيَ عليهم ومضىٰ عليهم مِن قَدرٍ قد سبق، أم شيء مما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم، وأكدت به عليهم الحجَّة؟ قال: «بَلْ شَيْءٌ قَدْ قُضِيَ عَلَيْهِمْ» [(٥)]. قال: فَفِيمَ نعمل؟ قال: «مَنْ كَانَ اللهُ خَلَقَهُ لِإِحْدَىٰ المَنْزِلَتَيْنِ يُهَيِّئُهُ لَهَا، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾» [(٦)] رواه أحمد، ومسلم، من حديث عَزْرَة [(٧)] بن ثابت به [(٨)].

وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ يحتمل أن يكون المعنىٰ: قد أفلح مَن زكَّىٰ نفسه؛ أي: بطاعة الله -كما قال قتادة- وطهَّرها من الأخلاق الدَّنيئة والرَّذائل. ويُروَىٰ نحوه عن مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير. وكقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٤، ١٥].

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾؛ أي: دَسَّسَها؛ أي: أخملها ووضع منها بخذلانه إيَّاها عن الهُدَىٰ، حتىٰ ركب المعاصي وترك طاعة الله ﷻ.

---

(١) في (ز): (فاختانتهم عن دينهم).

(٢) أحمد (٤/ ٤٣٨)، ومسلم (٢٦٥٠).

(٣) في (ز): (حدثنا ابن خالد)، وهو خطأ.

(٤) في (ز): (وهو خلق ذلك بيده).

(٥) في (ز): (بل شيء مضىٰ عليهم).

(٦) رواه الطبري (٣٠/ ٢١١).

(٧) في (ز): (عروة)، وهو خطأ.

(٨) رواه أحمد (٤/ ٤٣٨)، ومسلم (٢٦٥٠).

وقد يحتمل أن يكون المعنىٰ: قد أفلح[(١)] من زكَّىٰ الله نفسه، وقد خاب من دَسَّىٰ الله نفسه، كما قال العوفي وعلي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي وأبو زُرْعَةَ قالا: حدَّثنا سهل بن عثمان، حدَّثنا أبو مالك -يعني عمرو بن هشام[(٢)]- عن جُوَيبر، عن الضَّحَّاكِ، عن ابن عبَّاس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في قول الله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ قال النَّبيُّ ﷺ: «أَفْلَحَتْ نَفْسٌ زَكَّاهَا اللهُ»[(٣)].

ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي مالك به. وجويبر هذا هو ابن سعيد: متروك الحديث، والضَّحَّاكُ لم يلقَ ابن عبَّاس.

وقال الطبراني: حدَّثنا يحيىٰ بن عثمان بن صالح، حدَّثنا أبي، حدَّثنا ابن لَهِيعةَ، عن عمرو بن دينار، عن ابن عبَّاس قال: كان رسول الله ﷺ إذا مرَّ بهذه الآية: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ وقف، ثم قال: «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاهَا، وَخَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا»[(٤)].

حديث آخر: قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرْعَةَ، حدَّثنا يعقوب بن حميد المدني، حدَّثنا عبد الله بن عبد الله الأموي، حدَّثنا مَعْن بن محمَّد الغفاري، عن حنظلة بن علي الأسلمي، عن أبي هريرة قال: سمعت النَّبيَّ ﷺ يقرأ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ قال: «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاهَا» لم يخرجوه من هذا الوجه[(٥)].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا وَكِيعٌ، عن نافع -يعني[(٦)] ابن عمر- عن صالح بن سُعَيد، عن عائشة: أنَّها فَقَدت النَّبيَّ ﷺ من مضجعه، فلمسته بيدها، فوقعت عليه وهو ساجد، وهو يقول: «رَبِّ، أَعْطِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاهَا» تفرَّد به[(٧)].

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدَّثنا عفان، حدَّثنا عبد الواحد بن زياد، حدَّثنا عاصم الأحول، عن عبد الله بن الحارث، عن زيد بن أرقم قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ

---

(١) لوحة (٢٣٥ ب). (٢) في (ز): (عمرو بن الحارث بن هشام)، والمثبت موافق لما عند «ابن أبي حاتم».

(٣) ضعيف جدًّا: فيه جويبر بن سعيد: متروك الحديث، رواه ابن أبي حاتم (١٩٣٣٩)، ولا شك أن معنىٰ الحديث صحيح.

(٤) حسن لغيره: رواه ابن أبي حاتم (١٩٣٣٨)، وفي إسناده ابن لهيعة وكان قد اختلط، رواه الطبراني (١١/ ١٠٦/ ١١١٩١) ويشهد له ما ثبت عن أبي هريرة: رواه ابن أبي حاتم (١٩٣٣٩)، وفيه عبد الله بن عبد الله الأموي: لين الحديث، ومعن بن محمَّد الغفاري: مقبول، ويشهد له كذلك ما ثبت عن عائشة. رواه أحمد (٦/ ٢٠٩) ورجاله ثقات. لكنه لم يذكر أن ذلك كان عقب تلاوة الآية. وستأتي هذه الروايات عند المصنف.

(٥) رواه ابن أبي حاتم (١٩٣٣٩). وانظر التعليق السابق.

(٦) في (ز): (عن ابن عمر)، والمثبت هو الصواب، وهو موافق لما في «المسند».

(٧) رواه أحمد (٦/ ٢٠٩)، وإسناده صحيح.

وَالْكَسَلِ وَالْهَرَمِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا. اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَعِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَدَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا». قال[(١)] زيد: كان رسول الله ﷺ يعلمناهنَّ ونحن نعلمكوهنَّ[(٢)].

رواه مسلم من حديث أبي معاوية، عن عاصم الأحول، عن عبد الله بن الحارث -وأبي عثمان النهدي، عن زيد بن أرقم به.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾

يخبر تعالىٰ عن ثمود أنَّهم كذَّبوا رسولهم، بسبب ما كانوا عليه من الطُّغيان والبغي.

وقال محمَّد بن كعب: ﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾ أي: بأجمعها.

والأول أولىٰ، قاله مجاهد وقتادة وغيرهما. فأعقبهم ذلك تكذيبًا في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم من الهدىٰ واليقين.

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ أي: أشقىٰ القبيلة، هو قُدارُ بن سالفٍ عاقرُ النَّاقة، وهو أحيمر ثمود، وهو الذي قال تعالىٰ: ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾[(٣)] [القمر: ٢٩]. وكان هذا الرَّجلُ عزيزًا فيهم، شريفًا في قومِهِ، نسيبًا رئيسًا مطاعًا، كما قال الإمام أحمد:

حدَّثنا ابن نمير، حدَّثنا هشام، عن أبيه، عن عبد الله بن زَمْعَةَ قال: خطب رسول الله ﷺ فذكر النَّاقة، وذكر الَّذي عقرها، فقال: «﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَارِمٌ[(٤)] عَزِيزٌ مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ، مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ»[(٥)].

ورواه البخاري في «التفسير»، ومسلم في «صفة النار»، والتِّرمذي والنَّسائي في التفسير من «سننهما» وكذا ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن هشام بن عروة به[(٦)].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرْعَةَ، حدَّثنا إبراهيم بن موسىٰ، حدَّثنا عيسىٰ بن يونس، حدَّثنا محمَّد بن إسحاق، حدَّثني يزيد بن محمَّد بن خُثَيمٍ، عن محمَّد بن كعب القرظي، عن محمَّد بن

---

(١) لوحة (٢٣٦ أ).

(٢) مسلم (٢٧٢٢)، وأحمد (٤/ ٣٧١).

(٣) في (ز): ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾.

(٤) أي: صعب علىٰ من يرومه، كثير الشر.

(٥) البخاري (٤٩٤٢)، ومسلم (٢٨٥٥)، والترمذي (٣٣٤٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٧٥)، وقال الترمذي: حسنٌ صحيحٌ.

(٦) صحيح رواه أحمد (٤٩٤٢). وانظر ما بعده.

خُثَيم أبي(١) يزيد، عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ لعليٍّ: «أَلَا أُحَدِّثُكَ بِأَشْقَىٰ النَّاسِ؟». قال: بلىٰ. قال: «رَجُلَانِ؛ أُحَيْمِرُ ثَمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَىٰ هَذَا -يعني قَرنه- حَتَّىٰ تَبْتَلَّ مِنْهُ هَذِهِ» يعني: لحيته(٢).

وقوله: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ -يعني: صالحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ- ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: احذرُوا ناقةَ الله أن تمسُّوها بسوءٍ، ﴿وَسُقْيَٰهَا﴾(٣)؛ أي: لا تعتدوا عليها في سقياها، فإنَّ لها شِربَ يوم ولكم شِرب يوم معلوم. قال الله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾؛ أي: كذبوه فيما جاءهم به، فأعقبهم ذَلِكَ أن عقَرُوا النَّاقة التي أخرجها الله مِن الصَّخرة آيةً لهم وحجَّةً عليهم، ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾؛ أي: غضب عليهم، فدمَّر عليهم، ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾؛ أي: فجعل العقوبة نازلةً عليهم علىٰ السَّواء.

قال قتادة: بلغنا أن أحيمر ثمود لم يَعْقِرِ النَّاقة حتىٰ تابعه صغيرهم وكبيرُهُم، وذكرهم وأنثاهم، فلمَّا اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنوبهم فسَوَّاها.

وقوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾، وقرئ: «فلا يخاف عقباها»(٤).

قال ابن عبَّاس: لا يخاف الله من أحدٍ تبعة. وكذا قال مجاهد، والحسن، وبكر بن عبد الله المزني، وغيرهم.

وقال الضَّحَّاكُ والسُّدِّي: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾؛ أي: لم يخف الَّذِي عقرها عاقبة ما صنع. والقول الأوَّل أولىٰ؛ لدلالة السِّياق عليه، والله أعلم.

آخر تفسير ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾.

---

(١) في (ز): (بن يزيد)، والمثبت كما في «تفسير ابن أبي حاتم».

(٢) حسن: رواه ابن أبي حاتم (١٩٣٥٢)، وأحمد (١٨٣٢١)، والحاكم (٢/ ١٥٦)، وصححه علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٧١)، وأبو نعيم في «الدلائل» (٤٨٥)، قال البخاري: لا يعرف سماع يزيد بن محمد ولا سماع محمد بن كعب من ابن خثيم ولا ابن خثيم من عمار، والحديث حسنه الألباني لشواهده. انظر: «الصحيحة» (١٧٤٣).

(٣) لوحة (٢٣٦ ب).

(٤) متواترة: قَرَأَ (فَلَا يَخَافُ) نَافِعٌ وَابنُ عَامِرٍ وَأَبُو جَعفَرٍ، وَقَرَأَ البَاقُونَ (وَلَا يَخَافُ).

سُورَةُ اللَّيلِ

تفسير سورة الليل، وهي مكية

تقدَّم قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لمعاذ: «فهلَّا صَلَّيْتَ بِـ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾» [(١)].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾

قال الإمام أحمد: حدَّثنا يزيد بن هارون، حدَّثنا شعبة، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن علقمة: أنَّه قَدِمَ الشَّام فدخل مسجد دمشق، فصلَّىٰ فيه ركعتين، وقال: اللَّهمَّ، ارزقني جليسًا صالحًا. قال: فجلس إلىٰ أبي الدَّرداء، فقال له أبو الدَّرداء: ممَّن أنت؟ قال: مِن أهل الكوفة. قال: كيف سمعت ابن أم عبد يقرأ [(٢)]: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ قال علقمة: «والذكر والأنثىٰ» [(٣)]. فقال أبو الدَّرداء: لقد سمعتها من رسول الله ﷺ فما زال هؤلاء حتىٰ شَكَّكُوني. ثم قال: ثمَّ ألم يكن فيكم صاحب الوِساد [(٤)][(٥)]، وصاحب السِّرِّ الَّذِي لا يعلمه أحد غيره، والذي أُجِيرَ مِن الشيطان علىٰ لسانِ النَّبِيِّ ﷺ؟ [(٦)].

وقد رواه البخاري -هاهنا- ومسلم، من طريق الأعمش، عن إبراهيم قال: قدم أصحاب عبد الله علىٰ أبي الدَّرداء، فطلبهم فوجدهم، فقال: أيُّكم يقرأ علىٰ قراءة عبد الله؟ قالوا: كلُّنا، قال: أيُّكم أحفظ؟ فأشاروا إلىٰ علقمةَ، فقال: كيف سمعته يقرأ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾؟ قال: «والذكر والأنثىٰ». قال: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ هكذا، وهؤلاء يريدوني أن أقرأ: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ والله لا أتابعهم [(٧)].

---

(١) رواه البخاري (٧٠٥)، ومسلم (٤٦٥). (٢) في (ز): (يقرأ فقرأ).

(٣) قراءة: قَرَأَ (وَالذَّكَرِ وَالأُنثَىٰ) عَبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ وَأَبُو الدَّردَاءِ، وَلَيسَ فِي المُتَوَاتِرِ إِلَّا ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾.

(٤) الوساد: المخدة، وصاحبها: عبد الله بن مسعود، وصاحب السر: حذيفة، والذي أجير من الشيطان: عمار.

(٥) لوحة (٢٣٧ أ). (٦) صحيح: رواه أحمد (٦/ ٤٤٩)، وانظر ما بعده.

(٧) البخاري (٤٩٤٤)، ومسلم (٨٢٤).

هذا لفظ البخاري، هكذا قرأ ذلك ابن مسعود، وأبو الدرداء -ورفعه أبو الدرداء- وأما الجمهور فقرءوا ذلك كما هو مُثبتٌ في المصحف الإمام العثماني في سائر الآفاق: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾.

فأقسم تعالىٰ بـ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾؛ أي: إذا غَشيَ الخليقةَ بظلامه، ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾؛ أي: بضيائه وإشراقه، ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ كقوله: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النبأ: ٨]، وكقوله: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩].

ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان القسم عليه أيضًا متضادًّا؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ أي: أعمال العباد التي اكتسبوها متضادةٌ أيضًا ومتخالفةٌ، فمِن فاعلِ خيرًا ومِن فاعلِ شرًّا.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ [وَاتَّقَىٰ﴾ أي: أعطىٰ] [(١)] ما أمر بإخراجه، واتَّقىٰ الله في أموره، ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أي: بالمجازاة علىٰ ذلك قاله قتادة، وقال خَصِيفٌ: بالثَّواب. وقال ابن عبَّاس، ومجاهد، وعكرمة، وأبو صالح، وزيد بن أسلم: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾؛ [أي: بالخلف. وقال أبو عبد الرحمن السلمي، والضَّحَّاكُ: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾] [(٢)]؛ أي: بلا إله إلا الله. وفي رواية عن عكرمة: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: بما أنعم الله عليه. وفي رواية عن زيد بن أسلم: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ قال: الصَّلاة والزَّكاة والصَّوم. وقال مرَّة: وصدقة الفطر.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرْعَةَ، حدَّثنا صفوان بن صالح الدمشقي، حدَّثنا الوليد بن مسلم، حدَّثنا زُهَيرُ بن محمَّد، حدَّثني مَن سَمِعَ أبا العالية الرياحي يُحدث عن أبي بن كعب قال: سألت رسول الله ﷺ عن الحسنىٰ قال: «**الحُسْنَىٰ: الجَنَّةُ**» [(٣)].

وقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ قال ابن عبَّاس: يعني للخير. وقال زيد بن أسلم: يعني للجنة.

وقال بعض السَّلف: مِن ثواب الحسنةِ الحسنةُ بعدها [(٤)]، ومِن جزاءِ السَّيئةِ السَّيئةُ بعدها؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ﴾ أي: بما عنده، ﴿وَاسْتَغْنَىٰ﴾ قال عكرمة، عن ابن عبَّاس: أي [بخل] [(٥)] بماله [(٦)]، واستغنىٰ عن ربه ﷻ. رواه ابن أبي حاتم.

---

(١) سقط من (ز). (٢) سقط من (ز).

(٣) رواه ابن أبي حاتم (١٩٣٦٣)، ورواه الطبري (١٧٦٣٣ -شاكر) وضعفه الشيخ أحمد شاكر لجهالة الراوي عن أبي العالية.

قلت: لكن للحديث شواهد منها عن أبي موسىٰ: رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٩٥)، واللالكائي في «الاعتقاد» (٧٨٢). ويشهد له أيضًا حديث مسلم (١٨١) من حديث صهيب، وفي آخر الحديث ثم قرأ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

(٤) لوحة (٢٣٧ ب). (٥) سقط من (ز).

(٦) في (ز): (علىٰ ماله).

﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: بالجزاء في الدَّار الآخرة.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾؛ أي: لطريق الشَّرِّ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرةٌ دالَّةٌ علىٰ أن الله ﷻ يُجازي مَن قصد الخيرَ بالتَّوفيق له، ومن قصد الشَّرَّ بالخذلان. وكلُّ ذلك بقدرٍ مُقدَّرٍ، والأحاديث الدَّالَّة علىٰ هذا المعنىٰ كثيرةٌ:

رواية أبي بكر الصديق رضي الله عنه: قال الإمام أحمد: حدَّثنا علي بن عيَّاشٍ[(١)]، حدَّثني العطاف بن خالد، حدَّثني رجلٌ من أهل البصرة، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، عن أبيه قال: سمعت أبي يذكر أن أباه سمع أبا بكر وهو يقول: قلت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، أنعمل علىٰ ما فرغ منه أو علىٰ أمر مُؤتنف؟ قال: «**بَلْ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ**».

قال: ففيم العملُ يا رسول الله؟ قال: «**كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»[(٢)].

رواية علي رضي الله عنه: قال البخاري: حدَّثنا أبو نعيم، حدَّثنا سفيان، عن الأعمش، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السُّلمي، عن علي بن أبي طالب قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ في بَقِيعِ الغَرْقَدِ في جنازةٍ، فقال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ**». فقالوا: يا رسول الله، أفلا نتَّكِلُ؟ فقال: «**اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**». قال: ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ إلىٰ قوله: ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾[(٣)].

وكذا رواه من طريق شعبة ووَكِيع، عن الأعمش بنحوه، ثم رواه عن عثمان بن أبي شيبة، عن جرير، عن منصور، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن، عن[(٤)] علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنَّا في جنازةٍ في بقيع الغرقد، فأتىٰ رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخْصَرةٌ[(٥)] فنكَسَ فجعل ينكُت بمخصرته، ثم قال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ -أو: مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ[(٦)] إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ[(٧)] كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً**». فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نتَّكِل علىٰ كتابنا وندع العمل؟ فمن كان منا

---

(١) في (ز): (علي بن عباس)، وهو خطأ.

(٢) حسن لغيره: رواه أحمد (١/ ٥)، وفيه رجل لم يسم، لكن يشهد له الروايات الآتية بعده، وانظر تفسير سورة هود الآية (١٠٥).

(٣) البخاري (٤٩٤٥، ٤٩٤٧)، ومسلم (٢٦٤٧)، وأبو داود (٤٦٩٤)، والترمذي (٣٣٤١)، وابن ماجة (٧٨).

(٤) في (ز): (هو علي).

(٥) **المِخصرة**: ما أخذه الإنسان بيده من عصا أو عكازة أو مقرعة أو قضيب، وقد يتكئ عليه، ونكس: خفض رأسه علىٰ هيئة المهموم.

(٦) أي: مولودة، يقال: نفست المرأة، ونَفِست فهي نفساء ومنفوسة: إذا ولدت.

(٧) لوحة (٢٣٨ أ).

من أهل السَّعادة فسيصير إلىٰ أهل السَّعادة، ومَن كان منَّا من أهل الشَّقاء فسيصير إلىٰ أهل الشَّقاء؟ فقال: «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُونَ إِلَىٰ عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ الآية[(١)].

وقد أخرجه بقيَّة الجماعة، من طرق، عن سعد[(٢)] بن عبيدة به.

رواية عبد الله بن عمر:

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا عبد الرحمن، حدَّثنا شعبة، عن عاصم بن عبيد الله قال: سمعتُ سالم بنَ عبد الله، يُحدث عن ابن عُمَرَ: قال: قال عمر: يا رسول الله، أرأيت ما نعمل فيه، أفي أمر قد فُرغ أو مبتدأ أو مبتدع؟ قال: «فِيمَا قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، فَاعْمَلْ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، فَإِنَّ كُلًّا مُيَسَّرٌ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَإِنَّهُ يَعْمَلُ لِلسَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَإِنَّهُ يَعْمَلُ لِلشَّقَاءِ»[(٣)].

ورواه الترمذي في القدر، عن بندار، عن ابن مَهْدِيٍّ به، وقال: حسنٌ صحيحٌ.

حديث آخر من رواية جابر: قال ابن جرير: حدَّثني يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله أنه قال: يا رسول الله، أنعمل لأمرٍ قد فرغ منه، أو لأمرٍ نستأنفه؟ فقال: «لِأَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ». فقال سراقة: ففيم العمل إذًا؟ فقال رسول الله ﷺ: «كُلُّ عَامِلٍ مُيَسَّرٌ لِعَمَلِهِ»[(٤)].

ورواه مسلم عن أبي الطاهر، عن ابن وهب به[(٥)].

حديث آخر: قال ابن جرير: حدَّثني يونس، حدَّثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن طلق بن حبيب، عن بشير بن كعب العدوي قال: سأل غلامان شابان النَّبيَّ ﷺ فقالا: يا رسول الله، أنعمل فيما جفَّت به الأقلام وجرَتْ به المقادير، أو في شيء يستأنف؟ فقال: «بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ المَقَادِيرُ». قالا: فَفِيمَ العمل إذًا؟ قال: «اعْمَلُوا فَكُلُّ عَامِلٍ مُيَسَّرٌ لِعَمَلِهِ الَّذِي خُلِقَ لَهُ». قالا: [فالآن][(٦)] نجدُّ ونعمل[(٧)].

رواية أبي الدَّرداء: قال الإمام أحمد: حدَّثنا هَيْثَم[(٨)] بن خارجة، حدَّثنا أبو الربيع سليمان بن عتبة

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٤٦) (٤٩٤٧) (٤٩٤٨).
(٢) في (ز): (سعيد)، وهو خطأ.
(٣) رواه أحمد (٢/ ٥٢)، والترمذي (٢١٣٦). وقال: حسن صحيح.
(٤) صحيح: رواه الطبري (٣٠/ ٢٢٤)، والإسناد حسن، ورواه مسلم. انظر ما بعده.
(٥) رواه مسلم (٢١٣٦).
(٦) ليست في (ز).
(٧) رواه الطبري (٣٠/ ٢٢٤)، وهو شاهد لما تقدم.
(٨) في (ز): (هشيم)، وهو خطأ.

السلمي، عن يونس بن ميسرة بن حَلْبس، عن أبي إدريس، عن أبي الدَّرداء قال: قالوا: يا رسولَ الله، أرأيتَ ما نعمل، أمرٌ قد فُرِغَ منه أم شيءٌ نستأنفه؟ قال: «بَلْ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ». قالوا: فكيف بالعَمَلِ يا رسول الله؟[١] قال: «كُلُّ امْرِئٍ مُهَيَّأٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ». تفرَّد به أحمد من هذا الوجه[٢].

حديث آخر: قال ابن جرير: حدَّثني الحسن بن سلمة بن أبي كَبْشَةَ، حدَّثنا عبد الملك بن عمرو، حدَّثنا عباد بن راشد، عن قتادة، حدَّثني خُلَيد العصري، عن أبي الدَّرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ غَرَبَتْ فِيهِ شَمْسُهُ إِلَّا وَبِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ خَلْقُ اللهِ كُلُّهُمْ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَأَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا». وأنزل الله في ذلك القرآن: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾. ورواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن ابن أبي كبشة، بإسناده مثله[٣].

حديث آخر: قال ابن أبي حاتم: حدَّثني أبو عبد الله الطهراني، حدَّثنا حفص بن عُمَرَ العَدَاني، حدَّثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس؛ أنَّ رجلًا كان له نخلٌ، ومنها نخلة فرعها في دارِ رجلٍ صالحٍ فقيرٍ ذي عيالٍ، فإذا جاء الرَّجل فدخل دارَهُ وأخذ التمر مِن نخلته، فتسقطُ الثمرةُ فيأخذها صبيانُ الفقيرِ فنزل من نخلتِهِ فَنزع التمرةَ مِن أيديهم، وإن أدخل [أحدهم][٤] التَّمرةَ في فمه[٥] أدخل أصبعه في حلق الغُلَامِ ونزع التَّمرة مِن حلقه. فشكا ذلك الرجلُ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ وأخبرهُ بمَا هو فيه مِن صاحب النَّخلة، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «اذْهَبْ». ولَقِيَ النَّبيُّ ﷺ صاحب النَّخلة، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «أَعْطِنِي نَخْلَتَكَ الَّتِي فَرْعُهَا فِي دَارِ فُلَانٍ وَلَكَ بِهَا نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ» فقال له: لقد أعطيت، ولكن يعجبني ثمرها، وإنَّ لي لنخلًا كثيرًا ما فيها نخلة أعجب إليَّ ثمرة مِن ثمرها. فذهب النَّبيُّ ﷺ فتبعه رجلٌ كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ومِن صاحب النَّخلة. فقال الرجل: يا رسول الله، إن أنا أخذت النَّخلة فصارت لي النَّخلة فأعطيتها أتعطيني بها ما أعطيته بها نخلة في الجنَّة؟ قال: «نَعَمْ». ثم إنَّ الرَّجل لَقِيَ صاحب النَّخلة، ولكلاهما نخلٌ، فقال له: أخبرك أن محمَّدًا قد أعطاني بنخلتي المائلة في دار فلان نخلةً في الجنَّة، فقلت له: قد أعطيت، ولكن يعجبني ثمرها. فسكت عنه الرجلُ، فقال له: أتُراك إذا بعتها؟ قال: لا إلَّا أن أُعطَىٰ بها شيئًا، ولا أَظُنُّني أعطاه[٦]. قال: وما مناك بها؟ قال: أربعون نخلةً. فقال الرجل: لقد جئتَ بأمرٍ عظيمٍ، نخلتك تطلب بها أربعين نخلةً؟! ثم سكتا وأنشأ في كلامٍ آخرَ، ثم قال: أنا أعطيتك أربعين نخلةً، فقال: أشهد لي إن كنت صادقًا. فأمر بأناسٍ فدعاهم فقال: اشهدوا أنِّي قد

---

(١) لوحة (٢٣٨ ب). (٢) حسن: رواه أحمد (٦/ ٤٤١)، ويشهد له الروايات المذكورة في الباب.

(٣) صحيح: رواه الطبري (٣٠/ ٢٢١)، وابن أبي حاتم (١٩٣٦٥).

(٤) سقط من (ز). (٥) في (ز): (في فم أحدهم). (٦) لوحة (٢٣٩ أ).

أعطيته من نخلِي أربعين نخلةً بنخلتِهِ الَّتِي فرعها في دارِ فلان بن فلان. ثم قال: ما تقول؟ فقال صاحب النخلة: قد رضيت. ثم قال بعدُ: ليس بيني وبينك بيع لم نفترق، قال له: قد أقالك الله، ولست بأحمق حين أعطيتك أربعين نخلةً بنخلتك المائلة. فقال صاحب النَّخلة: قد رضيتُ علىٰ أن تعطيني الأربعين علىٰ ما أريد. قال: تعطينيها علىٰ ساق. [ثم مكث ساعة، ثم قال: هي لك علىٰ ساق، وأوقف له شهودًا، وعد له أربعين نخلة علىٰ ساقٍ][1]، فتفرَّقا، فذهب الرجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن النَّخلة المائلة في دار فلانٍ قد صارت لي، فهي لك. فذهب رسول الله ﷺ إلىٰ الرَّجل صاحب الدَّار فقال له: «النَّخْلَةُ لَكَ وَلِعِيَالِكَ». قال عكرمة: قال ابن عبَّاس: فأنزل الله ﷻ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ إلىٰ قوله: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ إلىٰ آخر السورة[2]. هكذا رواه ابن أبي حاتم، وهو حديث غريبٌ جدًّا.

قال ابن جرير -وذكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ-: حدَّثني هارون بن إدريس الأصم، حدَّثنا عبد الرحمن بن محمَّد المحاربي، حدَّثنا محمَّد بن إسحاق، عن محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، عن عامر بن عبد الله بن الزُّبير قال: كان أبو بكر يعتق علىٰ الإسلام بمكة، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال له أبوه: أي بنيَّ، أراك تُعْتِقُ أناسًا ضعفاء، فلو أنك تعتق رجالًا جُلَداء[3] يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك؟! فقال: أيْ أبت، إنما أريد -أظنه قال- ما عند الله، قال: فحدَّثني بعض أهلِ بيتي أنَّ هذه الآية أنزلت فيه: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾[4].

وقوله: ﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ قال مجاهد: أي إذا مات. وقال أبو صالح، ومالك عن زيد بن أسلم: إذا تردَّىٰ في النَّار.

﴿إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ۝١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ[5] ۝٢١﴾

قال قتادة: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ﴾؛ أي: نُبيِّن الحلالَ والحرامَ. وقال غيره: مَن سَلك طريق الهدىٰ وَصَل

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).

(٢) ضعيف: في إسناده حفص بن عمر العدني: ضعيف. والحكم بن أبان: له أوهام وإن كان صدوقًا، والحديث رواه ابن أبي حاتم (١٩٣٥٥)، وضعفه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٣٣).

(٣) أي: أشداء.

(٤) ضعيف: رواه الطبري (٣٠/ ٢٢١)، وفيه محمَّد بن إسحاق: مدلِّس وقد عنعن.

(٥) لوحة (٢٣٩ ب).

إلىٰ الله. وجعله كقوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩]. حكاه ابن جرير.

وقوله:﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾ ؛ أي: الجميع ملكنا وأنا المتصرِّف فيهما.

وقوله:﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ قال مجاهد: أي توهج.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا محمَّد بن جعفر، حدَّثنا شعبة، عن سِماك بن حرب، سمعتُ النعمان بن بشير يخطب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول: [«أُنذِرُكُمُ النَّارَ، أَنذَرْتُكُمُ النَّارَ،](١) أَنذَرْتُكُمُ النَّارَ» حتَّىٰ لو أنَّ رجلًا كان بالسُّوق لسَمِعَهُ مِن مقامي هذا. قال: حتىٰ وقعت خَميصةٌ(٢) كانت علىٰ عاتِقِهِ عند رجليه(٣).

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا محمَّد بن جعفر، حدَّثنا شعبة، حدَّثني أبو إسحاق، سمعت النعمان بن بشير يخطب ويقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلٌ تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُما دِمَاغُهُ». رواه البخاري(٤).

وقال مسلم: حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدَّثنا أبو أسامة، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي المِرْجَلُ، مَا يَرَىٰ أَنَّ أَحَدًا أَشَدَّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا»(٥).

وقوله:﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ ؛ أي: لا يدخلها دخولًا يحيط به مِن جميعِ جوانبِهِ إلَّا الأشقىٰ. ثم فسَّره فقال:﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾ ؛ أي: بقَلْبِهِ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ ؛ أي: عن العملِ بجَوارِحِه وأركانِهِ.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا حسن بن موسىٰ، حدَّثنا ابن لَهيعة، حدَّثنا عبد ربه(٦) بن سعيد، عن المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا شَقِيٌّ». قيل: ومَن الشَّقِيُّ؟ قال: «الَّذِي لَا يَعْمَلُ بِطَاعَةٍ، وَلَا يَتْرُكُ للهِ مَعْصِيَةً»(٧).

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا يونس وسُريج قالا: حدَّثنا فُلَيحٌ، عن هلال بن علي، عن عطاء بن يسار، عن أبي هُرَيرةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي تَدْخُلُ الجَنَّةَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ». قالوا: ومَن يأبىٰ يا رسول الله؟ قال: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ»(٨). ورواه البخاري عن محمَّد بن

---

(١) سقط من (ز)، وهي مثبتة من «المسند».

(٢) الخميصة: ثوب من خز أو صوف، وقيل: لا تكون خميصةً حتىٰ تكون سوداء.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٤/ ٢٧٢).

(٤) البخاري (٦٥٦١)، وانظر ما بعده.

(٥) مسلم (٢١٣)، وأحمد (٤/ ٢٧٤).

(٦) في (ز): (عبد الله بن سعيد)، وهو خطأ.

(٧) رواه أحمد (٢/ ٤٣٩)، وابن ماجة (٤٢٩٨)، وفيه ابن لهيعة: اختلط، ومعنىٰ الحديث صحيح، والله أعلم ويشهد له الحديث الآتي.

(٨) البخاري (٧٢٨٠)، وأحمد (٢/ ٣٦١).

سنان، عن فُلَيح به.

وقوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾؛ أي: وسَيُزَحزح عن النَّار التَّقيُّ النَّقيُّ الأَتقَىٰ.

ثم فسَّره بقوله: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى(١) مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾؛ أي: يصرف ماله في طاعة ربه؛ ليزكي نفسه وماله وما وهبه الله من دينٍ ودنيا.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾؛ أي: ليس بَذْلُه ماله في مكافأة من أسدىٰ إليه معروفًا، فهو يعطي في مقابلة ذلك، وإنما دفعه ذلك ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؛ أي: طمعًا في أن يحصل له رؤيته في الدَّار الآخرة في روضات الجنَّات، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾؛ أي: ولسوف يَرْضَىٰ من اتَّصف بهذه الصِّفات.

وقد ذكر غير واحدٍ من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق ﵁، حتىٰ إنَّ بعضهم حكىٰ الإجماع من المفسِّرين علىٰ ذلك. ولا شكَّ أنَّه داخلٌ فيها، وأولىٰ الأمَّة بعمومِهَا، فإنَّ لفظها لفظُ العموم، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾، ولكنَّه مقدَّم الأمَّة، وسابقهم في جميع هذه الأوصاف، وسائر الأوصافِ الحميدة؛ فإنَّه كان صدِّيقًا تقيًّا كريمًا جوادًا بذَّالًا لأمواله في طاعةِ مولاه، ونصرةِ رسول الله، فكَم مِن دراهمَ ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربِّه الكريم، ولم يكن لأحدٍ من النَّاس عنده منَّةٌ يحتاج إلىٰ أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه علىٰ السَّادات والرُّؤساء مِن سائر القبائل؛ ولهذا قال له عروة بن مسعود -وهو سيِّد ثقيفٍ، يوم صلح الحديبية-: أما والله لولا يدٌ لك كانت عندي لم أُجزِكَ بها لَأَجَبْتُكَ. وكان الصِّدِّيق قد أغلظَ له في المقالة، فإذا كان هذا حالُهُ مع سادات العرب ورُؤَساءِ القبائل، فكيف بمَن عداهم؟ ولهذا قال: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾. وفي «الصَّحيحين» أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ(٢) فِي سَبِيلِ اللهِ دَعَتْهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا خَيْرٌ»، فقال أبو بكر: يا رسول الله، ما علىٰ مَن يُدعىٰ منها ضرورة، فهل يدعىٰ منها كلِّها أحدٌ؟(٣) قال: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»(٤).

آخر تفسير سورة الليل، ولله الحمد والمنة.

---

(١) لوحة (٢٤٠ أ).

(٢) أي: شفعًا من جنس، كدرهمين، أو دينارين، أو قرشين...

(٣) يسأل: هل هو مخير في دخول أي باب منها؟

(٤) رواه البخاري (١٨٢٧)، ومسلم (١٠٢٧)، وأحمد (٢/ ٤٤٩).

سُورَةُ الضُّحَىٰ

تفسير سورة الضحى، وهي مكية

روينا من طريق أبي الحسن أحمد بن محمَّد بن عبد الله بن أبي بَزَّةَ المقرئ قال: قرأت علىٰ عكرمة[1] ابن سليمان، وأخبرني أنه قرأ علىٰ إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عبَّاد، فلما بلغت ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ قالا لي: كَبِّر حتَّىٰ تختم مع خاتمةِ كلِّ سورةٍ، فإنَّا قرأنا علىٰ ابن كثيرٍ فأَمَرَنَا بذلك. وأخبرنا أنَّه قرأ علىٰ مجاهدٍ فأمره بذلك. وأخبره [مجاهد أنَّه قرأ علىٰ ابن عبَّاس فأمره بذلك، وأخبره ابن عبَّاس أنَّه قرأ علىٰ أبي بن كعبٍ فأمره بذلك، وأخبره أبي][2] أنَّه قرأ علىٰ رسول الله ﷺ فأمره بذلك[3].

فهذه سُنَّةٌ تفرَّد بها أبو الحسن أحمد بن محمَّد بن عبد الله البزي، من ولد القاسم ابن أبي بزة، وكان إمامًا في القِرَاءَاتِ، فأمَّا في الحديث فقد ضَعَّفَه أبو حاتم الرازي وقال: لا أحدث عنه، وكذلك أبو جعفر العقيلي قال: هو منكر الحديث. لكن حكىٰ الشيخ شهاب الدين أبو شامة في «شرح الشاطبية» عن الشَّافعي أنَّه سَمِعَ رجلًا يُكَبِّرُ هذا التَّكبير في الصَّلاة، فقال له: أحسنتَ وأصبتَ السُّنَّة. وهذا يقتضي صحة هذا الحديث.

ثم اختلف القرَّاء في موضع هذا التَّكبير وكيفيَّتِهِ، فقال بعضهم: يكبِّر من آخر ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ وقال آخرون: من آخر ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ وكيفيَّة التَّكبير عند بعضِهِم أن يقول: اللهُ أكبرُ ويَقْتَصِرُ، ومنهم مَن يقولُ: الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر.

وذكر الفرَّاء في مناسبة التَّكبير من أوَّل سورة «الضُّحىٰ»: أنَّه لما تأخَّر الوحيُ عَن رسولِ اللهِ ﷺ وفتر تلك المدَّة ثم جاءه الملك فأوحىٰ إليه: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ السُّورة بتَمَامِهَا، كبَّر فرحًا وسرورًا.

ولم يَرْوِ ذلك بإسناد يحكم عليه بصحَّةٍ ولا ضعفٍ، فالله أعلم[4].

---

(١) لوحة (٢٤٠ ب).

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).

(٣) منكر: رواه الواحدي في «التفسير الوسيط» (٤/ ٥١٤)، والبغوي في «تفسيره» (٢٣٦٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠٧١). قلت: وعلته ابن أبي أبزه: ضعيف الحديث، وقال أبو حاتم في «العلل»: منكر، وكذلك قال الألباني في «الضعيفة» (٦١٣٣).

(٤) قال العلامة بكر أبو زيد رحمه الله: (وهناك أمور سبعة تتعلق بالختم، وهي:

=

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ(١) ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ(٢)(٣) ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾

=

أ- إكمال الختم، ويقال: «تتمته»، ومعناه: أن يقرأ المأموم ما فات الإمام في الآيات، وأن يعيد الإمام بعد الختم ما فاته من الآيات.

ب- استحباب ختمه في مساء الشتاء، وصباح الصيف.

ج- وصل ختمة بأخرىٰ بقراءة الفاتحة، أو خمس آيات من سورة البقرة.

د- تكرار سورة الإخلاص ثلاثًا.

هـ- التكبير في آخر سورة الضحىٰ إلىٰ آخر سورة الناس داخل الصلاة أو خارجها.

و- صيام يوم الختم.

ز- دعاء الختم داخل الصلاة.

فهذه الأمور السبعة، لا يصح فيها شيء عن النبي ﷺ ولا عن صحابته ﷺ، وعامة ما يروىٰ في بعضها مما لا تقوم به الحجة، فالصحيح عدم شرعية شيء منها). اهـ «بدع القراء» (ص: ٢٧).

وعلَّق الدكتور حكمت بشير ياسين علىٰ هذا الموضع من طبعة: دار ابن الجوزي بقوله: (هذا الحديث ضعيف عند النقاد المحدثين، ومعتبر عند كثير من القراء، ويعملون به). اهـ

قلت: ولا يخفىٰ أن الأمر هنا مرده إلىٰ المحدثين لا القراء، فالمسألة مرتبطة بسنة منسوبة إلىٰ رسول الله ﷺ، لا إلا صفة القراءة أو أوجه القراءات، فالقراء يقولون لنا كيف نقرأ، وما هو الشاذ والمتواتر في هذا الباب، ونحو ذلك، لا ما ينسب إلىٰ رسول الله ﷺ قبولًا وردًّا، فتنبه!

هذا، وقد رد هذا الأمر جمع من أهل العلم واستنكره كشيخ الإسلام، والعلامة ابن عثيمين، وغيرهما.

(١) قال الشيخ القاسمي رحمه الله: قال في «المواهب اللدنية»: وأما ما يغترّ به الجهال من أنه (لا يرضىٰ واحدًا من أمته في النار)، أو لا يَرضىٰ أن يدخل أحد من أمته النار، فهو من غرور الشيطان لهم، ولعبه بهم؛ فإنه -صلوات الله عليه وسلامه- يرضىٰ بما يرضىٰ به ربه -تبارك وتعالىٰ- وهو ﷺ يُدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة، وقد ولع الحشوية بتقوية أمثال هذه الآثار المفتراة تغريرًا للجهال وتزيينًا لموارد الضلال. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٢) قال العلامة السعدي رحمه الله: وهذا يدخل فيه السائل للمال، والسائل للعلم، ولهذا كان المعلِّم مأمورًا بحسن الخلق مع المتعلِّم، ومباشرته بالإكرام والتحنن عليه، فإن في ذلك معونةً له علىٰ مقصده، وإكرامًا لمن كان يسعىٰ في نفع العباد والبلاد.

(٣) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: يعني إذا جاءك سائل يسألك مالًا فلا تنهره، لكن هذا العموم يدخله التخصيص: إذا عرفت أن السائل في العلم إنما يريد التعنت، وأخذ رأيك وأخذ رأي فلان وفلان حتىٰ يضرب آراء العلماء بعضها ببعض، فإذا علمت ذلك فهنا لك الحق أن تنهره، وأن تقول: يا فلان اتقِ الله ألم تسأل فلانًا كيف تسألني بعدما سألته؟! أتلعب بدين الله؟! أتريد إن أفتاك الناس بما تحب سكتّ، وإن أفتوك بما لا تحب ذهبت تسأل؟! هذا لا بأس؛ لأن هذا النهر تأديبٌ له، وكذلك سائل المال إذا علمت أن الذي سألك المال غني فلك الحق أن تنهره، ولك الحق أيضًا أن توبخه علىٰ سؤاله وهو غني، إذًا هذا العموم ﴿السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ مخصوص فيما إذا اقتضت المصلحة أن ينهر فلا بأس.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا أبو نعيم، حدَّثنا سفيان، عن الأسود بن قيس قال: سمعت جُنْدُبًا يقول: اشتكىٰ النبيُّ ﷺ فلم يقُم ليلةً أو ليلتين، فأتَتْ امرأةٌ فقالت: يا محمَّد، ما أرىٰ شيطانك إلا قد تركك. فأنزل الله ﷻ: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[1].

رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن جرير من طرق، عن الأسود بن قيس، عن جُنْدُب -هو ابن عبد الله البَجلي ثم العَلَقي به- وفي[2] رواية سفيان بن عيينة عن الأسود بن قيس: سَمِعَ جندبًا قال: أبطأ جبريل علىٰ رسول الله ﷺ، فقال المشركون: وُدِّع محمَّد. فأنزل الله: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[3].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله الأودي قالا: حدَّثنا أبو أسامة، حدَّثني سفيان، حدَّثني الأسود بن قيس، أنه سمع جندبًا يقول: رُمِيَ رسول الله ﷺ بحجرٍ في أصبعه فقال:

هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتَ ... وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتَ؟

قال: فمكث ليلتين أو ثلاثًا لا يقوم، فقالت له امرأة: ما أرىٰ شيطانك إلا قد تركك فنزلت: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[4]. والسِّياق لأبي سعيد.

قيل: إنَّ هذه المرأةَ هي: أُمُّ جميلٍ امرأة أبي لهب، وذكر أن إصبعه ﷺ دميت.

وقوله -هذا الكلام الذي اتَّفق أنَّه موزون-: ثابت في «الصحيحين» ولكن الغريب -هاهنا- جعله سببًا لتركه القيام، ونزول هذه السورة.

فأمَّا ما رواه ابن جرير: حدَّثنا ابن أبي الشوارب، حدَّثنا عبد الواحد بن زياد، حدَّثنا سليمان الشيباني، عن عبد الله بن شداد: أن خديجة قالت للنَّبيِّ ﷺ: ما أرىٰ ربك إلا قد قلاك. فأنزل الله: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[5].

وقال أيضًا: حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ، حدَّثنا وَكِيعٌ، عن هشام بن عُرْوَة، عن أبيه قال: أبطأ جبريل علىٰ النَّبيِّ ﷺ فجزع جزعًا شديدًا، فقالت خديجة: إني أرىٰ ربك قد قلاك مما نَرىٰ من جزعك. قال: فنزلت: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ إلىٰ آخرها[6].

---

(١) البخاري (١١٢٤)، ومسلم (١٧٩٧)، وأحمد (١/ ٣١٣)، والترمذي (٢٣٤٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٨١).
(٢) لوحة (٢٤١ أ).
(٣) صحيح: رواه الطبري (٣٠/ ٢٣١)، وابن أبي حاتم (١٩٣٦٩)، وهو نفس الحديث السابق.
(٤) صحيح: رواه ابن أبي حاتم (١٩٣٧٠).
(٥) رواه الطبري (٣٠/ ٢٣١)، وإسناده مرسل.
(٦) رواه الطبري (٣٠/ ٢٣٢).

فإنَّه حديثٌ مرسلٌ مِن [هذين الوجهين][(١)]، ولعلَّ ذكر خديجة ليس محفوظًا، أو قالته علىٰ وجه التأسُّف والتَّحزُّن، والله أعلم.

وقد ذكر بعض السَّلف -منهم ابن إسحاق- أنَّ هذه السُّورة هي التي أوحاها جبريل إلىٰ رسول الله ﷺ حين تبدىٰ له في صورته الَّتي خلقه الله عليها، ودنا إليه وتدلَّىٰ منهبطًا عليه وهو بالأبطح، ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]. قال: قال له هذه السورة: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾.

قال العوفي، عن ابن عبَّاس: لما نزلَ علىٰ رسول الله ﷺ القرآن، أبطأ عنه جبريل أيَّامًا، فتغيَّر بذلك، فقال المشركون: ودعه ربه وقلاه. فأنزل الله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[(٢)].

وهذا قسمٌ منه تعالىٰ بالضُّحىٰ، وما جعل فيه من الضِّياء.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾؛ أي: سكن[(٣)] فأظلم وادْلَهَمَّ. قاله مجاهد، وقتادة، والضَّحَّاكُ، وابن زيد، وغيرهم. وذلك دليلٌ ظاهرٌ علىٰ قدرة خالق هذا وهذا. كما قال: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ١، ٢]، وقال: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾؛ أي: ما تركك، ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾؛ أي: وما أبغضك، ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾؛ أي: والدَّار الآخرة خيرٌ لك مِن هذه الدَّار. ولهذا كان رسول الله ﷺ أزهد النَّاس في الدُّنيا، وأعظمهم لها اطِّراحًا، كما هو معلومٌ [بالضَّرورة][(٤)] مِن سيرته. ولما خُيِّرَ ﷺ في آخر عمرِهِ بين الخلد في الدُّنيا إلىٰ آخرها ثم الجنَّة، وبين الصَّيرورة إلىٰ الله ﷻ اختار ما عند الله علىٰ هذه الدُّنيا الدَّنِيَّة.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا يزيد، حدَّثنا المسعودي، عن عمرو بن مرة، عن إبراهيم النَّخعِي، عن علقمة، عن عبد الله -هو ابن مسعود- قال: اضطجع رسول الله ﷺ علىٰ حصيرٍ، فأثر في جنبه، فلمَّا استيقظ جعلت أمسح جنبه وقلت: يا رسول الله، ألا آذنتنا حتىٰ نبسط لك علىٰ الحصير شيئًا؟ فقال رسول الله ﷺ: **«مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟! مَا أَنَا وَالدُّنْيَا؟! إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَرَاكِبٍ ظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»**[(٥)].

---

(١) سقط من (ز).

(٢) رواه الطبري (٣٠/ ٢٣٢). وإسناده ضعيف، وفيه عطية العوفي: شيعي مدلس.

(٣) لوحة (٢٤١ ب).

(٤) ليست في (ز).

(٥) صحيح: رواه أحمد (١/ ٣٩١)، والترمذي (٢٣٧٨)، وابن ماجة (٤١٠٩)، وقال الترمذي: حسن صحيح، والمسعودي: اختلط، ويزيد بن هارون روىٰ عنه بعد الاختلاط، لكن له شاهد من حديث ابن عباس رواه أحمد (١/ ٣٠١)، والحاكم (٤/ ٣٠٩)، وابن حبان (٢٥٢٦)، وقال الحاكم: إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، قال الألباني في «الصحيحة» (٤٣٨): وهو كما قالا.

ورواه الترمذي وابن ماجه، من حديث المسعودي به، وقال الترمذي: حسنٌ صحيحٌ.

وقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ أي: في الدار الآخرة يُعْطِيه حتىٰ يُرْضِيَهُ في أُمَّتِه، وفيما أعدَّه له مِن الكرامة، ومِن جملته نهر الكوثر الَّذِي حافتاه قباب اللُّؤلؤ المجوَّف، وطينه من مسكٍ أذفرٍ كما سيأتي.

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي، عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي [1] المهاجر المخزومي، عن علي بن عبد الله بن عبَّاس، عن أبيه قال: عرض علىٰ رسول الله ما هو مفتوحٌ علىٰ أُمَّتِهِ مِن بعده كنزًا كنزًا، فسر بذلك، فأنزل الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ فأعطاه في الجنَّة [ألف] [2] ألف قصرٍ، في كل قصرٍ ما ينبغي له من الأزواج والخَدَمِ [3].

رواه ابن جرير من طريقه، وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلىٰ ابن عبَّاس: ومثلُ هذا ما يقال إلا عن توقيف.

وقال السُّدِّي، عن ابن عبَّاس: من رضاء محمَّد ﷺ ألَّا يدخل أحدٌ مِن أهلِ بيتِهِ النَّار.

رواه [4] ابن جرير، وابن أبي حاتم [5].

وقال الحسن: يعني بذلك الشفاعة. وهكذا قال أبو جعفر الباقر.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدَّثنا معاويةُ بن هشام، عن علي بن صالح، عن يزيد بن أبي زياد، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ اخْتَارَ اللهُ لَنَا الآخِرَةَ عَلَىٰ الدُّنْيَا** ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾» [6].

ثم قال تعالىٰ يعدد نعَمه عل عبده ورسوله محمَّد ﷺ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ وذلك أن أباه تُوفِّي وهو حَملٌ في بطنِ أُمِّهِ، وقيل: بعد أن ولد عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم تُوفِّيَتْ أُمُّه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين. ثم كان في كفالة جده عبد المطلب، إلىٰ أن تُوفِّيَ وله مِن العمر ثمانِ سنينَ، فكفله عمه أبو طالب. ثم لم يزل يحوطه وينصره ويَرفع من قَدره وَيُوقِّره، ويكفُّ عنه أذىٰ قومه بعد أن ابتعثه الله علىٰ رأس أربعين سنة من عمره، هذا وأبو طالب علىٰ دين قومه من عبادة الأوثان، وكل ذلك بقدرِ الله وحُسن تدبيره، إلىٰ أن تُوفِّي أبو طالب قبل الهجرة بقليلٍ، فأقدم عليه سفهاء قريش وجُهالهم، فاختار الله له الهجرة مِن بين أظهرهم إلىٰ بلدِ الأنصار من الأوس والخزرج، كما أجرىٰ الله سُنَّته علىٰ الوجه الأتمِّ

---

(١) في (ز): (عبيد الله بن بشر المهاجر)، والمثبت هو الصواب.

(٢) سقط من (ز).

(٣) **صحيح**: الطبري (٣٠/ ٢٣٢) وصححه الحافظ ابن كثير بعده، ورواه ابن أبي حاتم (١٩٣٧٤)، والحاكم (٢/ ٥٢٦).

(٤) لوحة (٢٤٢ أ).

(٥) **ضعيف جدًّا**: رواه الطبري (٣٠/ ٢٣٢)، وفيه الحكم بن ظهير: متروك.

(٦) **ضعيف**: رواه ابن أبي شيبة (٨/ ٦٩٧)، وفيه يزيد بن أبي زياد: ضعيف.

والأكمل. فلمَّا وصل إليهم آوَوه ونَصَرُوه وحاطوه وقاتلوا بين يديه - رضي الله عنهم أجمعين- وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به.

وقوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٥٢] ومنهم مَن قال: إنَّ المراد بهذا أنه ﷺ ضلَّ في شعاب مكَّة وهو صغيرٌ، ثم رجع. وقيل: إنَّه ضلَّ وهو مع عمِّه في طريق الشَّام، وكان راكبًا ناقةً في اللَّيل، فجاء إبليس يعدل بها عن الطَّريق، فجاء جبريل، فنفخ إبليس نفخةً ذهب منها إلىٰ الحبشة، ثمَّ عدل بالرَّاحلة إلىٰ الطَّريق. حكاهما البغوي.

وقوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ أي: كنت فقيرًا ذا عيالٍ، فأغناك الله عمَّن سواه، فجمع له بين مقامي الفقير الصَّابر والغني الشَّاكر، صلوات الله وسلامه عليه.

وقال قتادة في [(١)] قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ قال: كانت هذه منازل الرسول ﷺ قبل أن يبعثه الله ﷻ. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم.

وفي «الصحيحين» -من طريق عبد الرزاق- عن مَعْمَرٍ، عن همام بن مُنَبِّه قال: هذا ما حدَّثنا أبو هُرَيرة قال: قال رسول الله ﷺ: [«لَيسَ الغِنَىٰ عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَىٰ غِنَىٰ النَّفْسِ» [(٢)].

وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ:] [(٣)] «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ» [(٤)].

ثم قال: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ أي: كما كنت يتيمًا فآواك الله فلا تقهر اليتيم؛ أي: لا تذله وتنهره وتهنه، ولكن أحسِنْ إليه، وتلطف به.

قال قتادة: كن لليتيم كالأب الرحيم.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ أي: وكما كنت ضالًّا فهداك الله، فلا تنهر السَّائل في العلم المسترشد.

قال ابن إسحاق: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾؛ أي: فلا تكن جبَّارًا، ولا متكبِّرًا، ولا فحَّاشًا، ولا فظًّا علىٰ الضُّعفاء مِن عباد الله.

وقال قتادة: يعني رُدَّ المسكين برحمة ولين.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ أي: وكما كنت عائلًا فقيرًا فأغناك الله، فحدِّث بنعمة الله عليك، كما جاء

---

(١) لوحة (٢٤٢ ب).
(٢) البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).
(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).
(٤) مسلم (١٠٥٤).

في الدُّعاء المأثور النبوي: «وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ مُثْنِينَ بِهَا، قَابِلِيهَا، وَأَتِمَّهَا عَلَيْنَا»(١) .

وقال ابن جرير: حدَّثني يعقوب، حدَّثنا ابن عُلَيَةَ، حدَّثنا سعيد بن إياس الجُرَيري، عن أبي نضرة قال: كان المسلمون يَرَوْنَ أنَّ من شكر النِّعم أن يحدِّث بها(٢) .

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدَّثنا(٣) منصور بن أبي مزاحم، حدَّثنا الجراح بن مليح، عن أبي عبد الرحمن، عن الشعبي، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ على المنبر: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ القَلِيلَ، لَمْ يَشْكُرِ الكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ، وَالتَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَالجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالفُرْقَةُ عَذَابٌ». إسنادٌ ضعيفٌ(٤) .

وفي «الصحيحين»(٥) ، عن أنس، أن المهاجرين قالوا: يا رسول الله، ذهب الأنصار بالأجر كله. قال: «لا مَا دَعَوْتُمُ اللهَ لَهُمْ، وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ»(٦) .

وقال أبو داود: حدَّثنا مسلم بن إبراهيم، حدَّثنا الرَّبيع بن مسلم، عن محمَّد بن زياد، عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ»(٧) .

ورواه الترمذي عن أحمد بن محمَّد، عن ابن المبارك، عن الربيع بن مسلم، وقال: صحيح.

وقال أبو داود(٨) : حدَّثنا عبد الله بن الجراح، حدَّثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَنْ أَبْلَىٰ بَلاءً فَذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَإِنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ». تفرَّد به أبو داود(٩) .

وقال أبو داود: حدَّثنا مُسَدَّدٌ، حدَّثنا بِشر حدَّثنا عمارة بن غَزِيَة، حدَّثني رجلٌ من قومي، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَعْطَىٰ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ بِهِ، فَمَنْ أَثْنَىٰ بِهِ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ»(١٠) .

---

(١) رواه أبو داود (٩٦٩)، وفي إسناده شريك القاضي: سيئ الحفظ، لكن ثبت موقوفًا من حديث ابن مسعود بسندٍ صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٣٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٩٥٢٧).

(٢) رواه الطبري (٣٠/ ٢٣٤).

(٣) في «المسند»: (حدثنا أبي ثنا منصور بن أبي مزاحم)، والحديث من زوائد عبد الله، فالصواب فيه حذف (أبي) كما أثبتناه هنا.

(٤) ضعيف: رواه عبد الله بن أحمد (٤/ ٢٧٨)، والجراح بن مليح والد وكيع: ضعيف.

(٥) لم نقف عليه بعد البحث في «الصحيحين» أو أحدهما ونسبته إليهما وَهمٌ.

(٦) صحيح: رواه أبو داود (٤٨١٢)، والترمذي (٢٤٨٩)، وقال: حسن صحيح.

(٧) صحيح: رواه أبو داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٥).

(٨) لوحة (٢٤٣ أ).

(٩) صحيح: رواه أبو داود (٤٨١٤).

(١٠) حسن: رواه أبو داود (٤٨١٣).

قال أبو داود: ورواه يحيىٰ بن أيوب، عن عُمارة بن غَزية، عن شرحبيل، عن جابر -كرهوه فلم يسموه. تفرد به أبو داود.

وقال مجاهد: يعني النُّبوَّة التي أعطاك ربك. وفي روايةٍ عنه: القرآن.

وقال ليثٌ، عن رجلٍ، عن الحسن بن[1] علي: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ قال: ما عملت من خيرٍ فَحَدِّثْ إخوانك.

وقال محمَّد بن إسحاق: ما جاءك [من][2] الله من نعمةٍ وكرامةٍ من النُّبوَّة فَحَدِّثْ بها واذكرها، وادع إليها. وقال: فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه من النُّبوَّةِ سرًّا إلىٰ من يطمئنُّ إليه مِن أهله، وافترضت عليه الصلاة فصلَّىٰ.

آخر تفسير سورة الضحى .

(١) في (ز): (الحسن عن علي)، وهو خطأ.
(٢) ليست في (ز).

سُورَةُ الشَّرْحِ

تفسير سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ[1] ۝٤ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾

يقول تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ يعني: أمَا شرحنا لك صدرك؛ أي: نورناه وجعلناه فَسيحًا رحيبًا واسعًا، كقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وكما شرح الله صدره -كذلك- جعل شَرْعه فسيحًا واسعًا سمحًا سهلًا، لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق.

وقيل: المراد بقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ شرح صدره ليلة الإسراء، كما تقدم من رواية مالك بن صعصعة[2]، وقد أورده الترمذي هاهنا. وهذا وإن كان واقعًا، ولكن لا منافاة، فإن من جملة شرح صدره الذي فُعِل[3] بصدره ليلة الإسراء، وما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضًا، والله أعلم.

قال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدَّثني محمَّد بن عبد الرحيم أبو يحيىٰ البزاز، حدَّثنا يونس بن محمَّد، حدَّثنا معاذ بن محمَّد بن معاذ بن محمَّد بن أبي بن كعب، حدَّثني أبي محمَّد بن معاذ، عن [معاذ، عن][4] محمَّد، عن أبي بن كعب: أن أبا هريرة كان جريًّا علىٰ أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره، فقال: يا رسول الله، ما أولُ ما رأيت مِن أمر النُّبوَّة؟ فاستوىٰ رسول الله ﷺ جالسًا وقال: «**لَقَدْ سَأَلْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، إِنِّي لَفِي الصَّحْرَاءِ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ وَأَشْهُرٍ، وَإِذَا بِكَلَامٍ فَوْقَ رَأْسِي، وَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ لِرَجُلٍ: أَهُوَ هُوَ؟ [قَالَ: نَعَمْ][5] فَاسْتَقْبَلَانِي بِوُجُوهٍ لَمْ أَرَهَا [لِخَلْقٍ][6] قَطُّ، وَأَرْوَاحٍ لَمْ أَجِدْهَا مِنْ خَلْقٍ قَطُّ، وَثِيَابٍ لَمْ أَرَهَا عَلَىٰ أَحَدٍ قَطُّ. فَأَقْبَلَا إِلَيَّ يَمْشِيَانِ، حَتَّىٰ أَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا**

---

(١) قال الشيخ القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: بالنبوة، وفرض الاعتراف برسالته، وجعله شرطًا في قبول الإيمان وصحته.

(٢) تقدم في أول سورة الإسراء.

(٣) لوحة (٢٤٣ ب).

(٤) سقط من (ز)، وهو مثبت من «المسند».

(٥) سقط من (ز)، وهو مثبت من «المسند».

(٦) سقط من (ز)، وهو مثبت من «المسند».

بِعَضُدِي، لا أَجِدُ لِأَحَدِهِمَا مَسًّا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَضْجِعْهُ[١] ؛ فَأَضْجَعَانِي بِلَا قَصْرٍ[٢] وَلَا هَصْرٍ. فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: افْلِقْ صَدْرَهُ. فَهَوَىٰ[٣] أَحَدُهُمَا إِلَىٰ صَدْرِي فَفَلَقَهُ فِيمَا أَرَىٰ بِلَا دَمٍ وَلَا وَجَعٍ، فَقَالَ لَهُ: أَخْرِجِ الغِلَّ وَالحَسَدَ، فَأَخْرَجَ شَيْئًا كَهَيْئَةِ العَلَقَةِ ثُمَّ نَبَذَهَا فَطَرَحَهَا، فَقَالَ لَهُ: أَدْخِلِ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ، فَإِذَا مِثْلُ الَّذِي أُخْرِجَ شَبَهُ الفِضَّةِ، ثُمَّ هَزَّ إِبْهَامَ رِجْلِي اليُمْنَىٰ فَقَالَ: اغْدُ وَاسْلَمْ. فَرَجَعْتُ بِهَا أَغْدُو[٤] ، رِقَّةً عَلَىٰ الصَّغِيرِ، وَرَحْمَةً لِلْكَبِيرِ»[٥] .

[وقوله: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ بمعنىٰ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

﴿الَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ الإنقاض: الصَّوت. وقال غير واحدٍ مِن السَّلف في قوله: ﴿الَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾؛ أي: أثقلك حمله][٦] .

وقوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ قال مجاهد: لا أُذْكَرُ إلا ذُكِرتَ معي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمَّدًا رسول الله[٧] .

وقال قتادة: رفع اللهُ ذكرَه في الدُّنيا والآخرة، فليس خطيبٌ ولا مُتشهِّدٌ ولا صاحبُ صلاة إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمَّدًا رسول الله.

وقال ابن جرير: حدَّثني يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرنا عمرو بن الحارث، عن [درَاج، عن أبي الهيثم،][٨] عن أبي سعيدٍ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ: كَيْفَ

---

(١) في (ز): (أضجعه فأضجعه فأضجعاني)، والمثبت موافق لما في «المسند».

(٢) **القصر**: القهر والغلبة، من القسر فأبدل السين صادًا، **والهصر**: الجذب.

(٣) في (ز): (فحدا). (٤) في (ز): (فرجعت بها أعدو بها).

(٥) ضعيف: رواه عبد الله بن أحمد (٥/ ١٣٩)، ومن طريقه ابن عساكر في السيرة من «تاريخه» (صـ ٣١٥) والضياء في «المختارة» (١٢٦٤)، وفيه مجاهيل، وهذا الحديث أورده ابن المديني في «علله»: وإسناده مجهول كله، ولا نعرف محمدًا، ولا أباه، ولا جده.

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).

(٧) قال الشيخ القاسمي ﵀: قال الشهاب: ... قال الشافعي: يعني ذكره عند الإيمان بالله والأذان، ويحتمل ذكرهُ عند تلاوة القرآن، وعند العمل بالطاعة، والوقوف عن المعصية .
قال السبكي: هذا الاحتمال من الشافعي جيِّدٌ جدًّا، وهو مبنيٌّ علىٰ أن المراد بالذكر، الذكر بالقلب، وهو صحيح، فعلىٰ هذا يعم؛ لأن الفاعل للطاعة أو الكافّ عن المعصية امتثالًا لأمر الله تعالىٰ به، ذاكرًا للنبي ﷺ بقلبه؛ لأنه المبلغ لها عن الله، هذا أعم من الذكر باللسان، فإنه مقصور علىٰ الإسلام والأذان والتشهد والخطبة ونحوها . قال الشافعي: فلم تُمسِ بنا نعمة ظهرت ولا بطنت، نلنا بها حظًّا في دِين أو دنيا، أو رُفع عنا بها مكروه فيهما أو في واحد منهما، إلا ومحمد ﷺ سببها؛ فعلم من هذا أنه إن أبقىٰ العموم والحصر علىٰ ظاهره، حمل الذكر علىٰ الذكر القلبي فيشمل كل موطن من مواطن العبادة والطاعة، فإن العاقل المؤمن إذا ذكر الله، تذكر من دل علىٰ معرفته وهداهُ إلىٰ طاعته، وهو رسول الله ﷺ.

(٨) في (ز): (عن رواحة عن إبراهيم)، وهو خطأ.

رَفَعْتُ ذِكْرَكَ؟ قَالَ: اللهُ أَعْلَمُ. قَالَ: إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي» (١)، وكذا رواه ابن أبي حاتم عن يونس بن عبد الأعلىٰ به، ورواه أبو يعلىٰ من طريق ابن لَهِيعَةَ، عن دَرَّاج.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرْعَةَ، حدَّثنا أبو (٢) عُمر الحَوضي، حدَّثنا حماد بن زيد، حدَّثنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «سَأَلْتُ رَبِّي مَسْأَلَةً وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ سَأَلْتُهُ، قُلْتُ: قَدْ كَانَتْ قَبْلِي أَنْبِيَاءُ، مِنْهُمْ مَنْ سُخِّرَتْ لَهُ الرِّيحُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُحْيِي المَوْتَىٰ؟ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَلَمْ أَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَيْتُكَ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَبِّ. قَالَ: أَلَمْ أَجِدْكَ ضَالًّا فَهَدَيْتُكَ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَبِّ. قَالَ: أَلَمْ أَجِدْكَ عَائِلًا فَأَغْنَيْتُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَبِّ. قَالَ: أَلَمْ أَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ؟ أَلَمْ أَرْفَعْ لَكَ ذِكْرَكَ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَبِّ» (٣).

وقال أبو نعيم (٤) في «دلائل النبوة»: حدَّثنا أبو أحمد الغطريفي، حدَّثنا موسىٰ بن سهل الجَوْني، حدَّثنا أحمد بن القاسم بن بَهْرام الهيتي، حدَّثنا نصر بن حماد، عن عثمان بن عطاء، عن الزهري، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا فَرَغْتُ مِمَّا أَمَرَنِي اللهُ بِهِ مِنْ أَمْرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، قُلْتُ: يَا رَبِّ، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا وَقَدْ كَرَّمْتَهُ، جَعَلْتَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَمُوسَىٰ كَلِيمًا، وَسَخَّرْتَ لِدَاوُدَ الجِبَالَ، وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ [وَالشَّيَاطِينَ] (٥)، وَأَحْيَيْتَ لِعِيسَىٰ المَوْتَىٰ، فَمَا جَعَلْتَ لِي؟ قَالَ: أَوَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتُكَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، أَنِّي لا أُذْكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ مَعِي، وَجَعَلْتُ صُدُورَ أُمَّتِكَ [أَنَاجِيلَ] (٦) يَقْرَءُونَ القُرْآنَ ظَاهِرًا، وَلَمْ أُعْطِهَا أُمَّةً، وَأَعْطَيْتُكَ كَنْزًا مِنْ كُنُوزِ عَرْشِي: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ [العَلِيِّ العَظِيمِ] (٧)» (٨).

وحكىٰ البغوي، عن ابن عبَّاس ومجاهد: أن المراد بذلك: الأذان. يعني: ذكره فيه، وأورد من شعر حسان بن ثابت:

أَغَرُّ عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ ... مِنَ اللهِ مِنْ نُورٍ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ
وَضَمَّ الإِلَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَىٰ اسْمِهِ ... إِذَا قَالَ فِي الخَمْسِ المُؤَذِّنُ: أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنِ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ... فَذُو العَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

---

(١) ضعيف: رواه الطبري (٣٠/ ٢٣٥)، وأبو يعلىٰ (١٣٨٠)، وفيه دراج أبو السمح: ضعيف في الراوية عن أبي الهيثم.
(٢) لوحة (٢٤٤ أ).
(٣) صحيح: رواه الطبراني (١١/ ٤٥٥/ ١٢٢٨٩) والحاكم (٢/ ٥٢٦) وصححه، ووافقه الذهبي، ولا يضر اختلاط عطاء بن السائب؛ لأن الراوي عنه حماد بن زيد روىٰ عنه قبل الاختلاط.
(٤) هذا الحديث وقع في (ز) بعد بيت الصرصري الآتي.
(٥) بياض في (ز). (٦) بياض في (ز). (٧) سقط من (ز).
(٨) ضعيف: في إسناده نصر بن حماد وشيخه عثمان بن عطاء: كلاهما ضعيف.

وقال آخرون: رفع الله ذكره في الأوَّلين [والآخرين][(١)]، ونوَّه به، حين أخذ الميثاق علىٰ جميع النَّبيِّين أن يؤمنوا به، وأن يأمروا أُمَمَهُم بالإيمان به، ثمَّ شهر ذكره في أُمَّتِهِ فلا يُذكر الله إلا ذُكر معه.

وما أحسن ما قال الصرصري رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا يَصِحُّ الأذانُ في الفَرْضِ إلَّا ... بِاسْمِهِ العَذْبِ [فِي الفَمِ][(٢)] المَرْضِي[(٣)]

وقال أيضًا:

[أَلَمْ تَرَ أَنَّا لا يَصِحُّ أَذَانُنَا ... وَلا فَرْضُنَا إِنْ لَمْ نُكَرِّرْهُ فِيهِمَا][(٤)]

وقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ أخبر تعالىٰ أنَّ مع العُسر يوجَدُ اليُسر، ثم أكَّد هذا الخبر.

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرْعَةَ، حدَّثنا محمود بن غيلان[(٥)]، حدَّثنا حُميد بن حماد بن خُوَار[(٦)] أبو الجهم، حدَّثنا عائذ بن شُريح، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: كان النَّبيُّ ﷺ جالسًا وحياله حجر، فقال: «**لَوْ جَاءَ العُسْرُ فَدَخَلَ هَذَا الحَجَرَ لَجَاءَ اليُسْرُ حَتَّىٰ يَدْخُلَ عَلَيْهِ [فَيُخْرِجَهُ][(٧)]**»، فأنزل الله ﷻ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[(٨)].

ورواه أبو بكر البزَّار في «مسنده» عن محمَّد بن مَعْمَرٍ، عن حُميد بن حماد به، ولفظه: «**لَوْ جَاءَ العُسْرُ حَتَّىٰ يَدْخُلَ هَذَا الحَجَرَ لَجَاءَ اليُسْرُ حَتَّىٰ يُخْرِجَهُ**» ثمَّ قال: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ثم قال البزَّار: لا نعلم رواه عن أنس إلا عائذ بن شريح[(٩)].

قلت: وقد قال فيه أبو حاتم الرازي: في حديثه ضعف، ولكن رواه شعبة عن معاوية بن قرة، عن رجلٍ، عن عبد الله بن مسعودٍ موقوفًا[(١٠)].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا الحسن بن محمَّد بن الصباح، حدَّثنا أبو قَطَنٍ، حدَّثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: كانوا يقولون: لا يغلب عسرٌ واحدٌ يسرين اثنين[(١١)].

---

(١) سقط من (ز). (٢) سقط من (ز).

(٣) في (ز): (المرضىٰ به). (٤) بياض في (ز).

(٥) لوحة (٢٤٤ ب).

(٦) في (ز): (حماد بن أبي خوار)، وهو خطأ.

(٧) سقط من (ز).

(٨) ضعيف: رواه ابن أبي حاتم (١٩٣٩٥)، والحاكم (٢/ ٢٥٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٢٠٦/ ١٠٠١٢)، وفيه عائذ بن شريح: ضعيف. والراوي عنه حميد بن حماد: لين الحديث.

(٩) ضعيف: رواه البزار (١٥٣٤)، وإسناده ضعيف كسابقه.

(١٠) إسناده ضعيف: فيه رجل لم يسم.

(١١) رواه ابن أبي حاتم (١٩٣٩٨).

وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن عبد الأعلىٰ، حدَّثنا ابن ثور، عن مَعْمَرٍ، عن الحسن قال: خرج النَّبيُّ ﷺ يومًا مسرورًا فرحًا وهو يضحك، وهو يقول: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ، ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾»(١).

وكذا رواه من حديث عوف الأعرابي ويونس بن عبيد، عن الحسن مرسلًا.

وقال سعيد، عن قتادة: ذُكِرَ لنا أن رسول الله ﷺ بشَّر أصحابه بهذه الآية فقال: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»(٢).

ومعنىٰ هذا: أن العسر معرف في الحالين، فهو مفرد، واليسر مُنكَّرٌ فتعدد؛ ولهذا قال: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»، يعني قوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ فالعسر الأول عين الثاني، واليسر تعدد(٣).

وقال الحسن بن سفيان: حدَّثنا يزيد بن صالح، حدَّثنا خارجة، عن عباد بن كثير، عن أبي الزناد، عن أبي صالح، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «نَزَلَتِ المَعُونَةُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَىٰ قَدْرِ المُئُونَةِ، وَنَزَّلَ الصَّبْرَ عَلَىٰ قَدْرِ المُصِيبَةِ»(٤).

ومما يروىٰ عن الشافعي ﵀ أنه قال:

صَبْرًا جَمِيلًا مَا أَقْرَبَ الفَرَجَا ... مَنْ رَاقَبَ اللهَ فِي الأُمُورِ نَجَا
مَنْ صَدَقَ اللهَ لَمْ يَنَلْهُ أَذَىٰ ... وَمَنْ رَجَاهُ يَكُونُ حَيْثُ رَجَا

وقال ابن دُرَيد: أنشدني أبو حاتم السجستاني(٥):

إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَىٰ اليَأْسِ القُلُوبُ ... وَضَاقَ لِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَوْطَأَتِ المَكَارِهُ وَاطْمَأَنَّتْ ... وَأَرْسَتْ فِي أَمَاكِنِهَا الخُطُوبُ
وَلَمْ تَرَ لِانْكِشَافِ الضُّرِّ وَجْهًا ... وَلَا أَغْنَىٰ بِحِيلَتِهِ الأَرِيبُ
أَتَاكَ عَلَىٰ قُنُوطٍ مِنْكَ غَوْثٌ ... يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ المُسْتَجِيبُ
وَكُلُّ الحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ ... فَمَوْصُولٌ بِهَا الفَرَجُ القَرِيبُ

وقال آخر:

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الفَتَىٰ ... ذَرْعًا وَعِنْدَ اللهِ مِنْهَا المَخْرَجُ
كَمُلَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا ... فُرِجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

---

(١) مرسل:رواه الطبري (٣٠/ ٢٣٦) مرسلًا، والحاكم (٢/ ٥٢٨)، وقال: إسناده مرسل. ووافقه الذهبي.

(٢) عزاه الحافظ ابن حجر في «التغليق» (٤/ ٣٧٢) إلىٰ عبد بن حميد في «تفسيره» بسند آخر عن قتادة، وهو علىٰ كل حال مرسل.

(٣) رواه الطبري (٣٠/ ٢٣٦)، وإسناده مرسل.

(٤) ضعيف جدًا: فيه عباد بن كثير الثقفي: متروك الحديث.

(٥) لوحة (٢٤٥ أ).

وقوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ ؛ أي: إذا فَرَغْتَ مِن أمور الدُّنيا وأشغالها، وقطعت علائقها، فانصب في العبادة، وقُمْ إليها نَشِيطًا فارغَ البال، وأخلص لربِّك النِّيَّة والرغبة. ومن هذا القبيل قوله ﷺ في الحديث المتَّفق علىٰ صحته[١] : «**لا صَلاةَ بِحَضْرَةِ طَعَام، وَلا وَهُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ**[٢] »[٣] وقوله ﷺ: «**إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاةُ وَحَضَرَ العَشَاءُ، فَابْدَءُوا بِالعَشَاءِ**»[٤] .

قال مجاهد في هذه الآية: إذا فرغت من أمرِ الدُّنيا فقُمْتَ إلىٰ الصَّلاة، فانصب لربك.

وفي روايةٍ عنه: إذا قمتَ إلىٰ الصَّلاة فانصب في حاجَتِكَ.

وعن ابن مسعود: إذا فرغت من الفرائضِ فانصب في قيام اللَّيل. وعن ابن عياض نحوه.

وفي روايةٍ عن ابن مسعود: ﴿فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ بعد فراغك من الصَّلاة وأنت جالسٌ.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ يعني: في الدعاء.

وقال زيد بن أسلم، والضَّحَّاكُ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾؛ أي: من الجهاد ﴿فَانصَبْ﴾؛ أي: في العبادة. ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ .

قال الثوري: اجعل نيَّتك ورغبتك إلىٰ الله ﷻ.

آخر تفسير سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ ولله الحمد.

---

(١) هو من أفراد مسلم.
(٢) الأخبثان: البول والغائط.
(٣) مسلم (٥٦٠) وأبو داود (٨٩).
(٤) البخاري (٥٤٦٥)، ومسلم (٥٥٨).

سُورَةُ التِّينِ

تفسير سورة ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾، وهي مكية

قال مالك وشعبة، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب: كان النَّبيُّ ﷺ [1] يقرأ في سَفرٍ في إحدىٰ الركعتين بـ ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا أو قراءةً منه. أخرجه الجماعة في كتبهم [2].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾

اختلف المفسرون -هاهنا- علىٰ أقوالٍ كثيرةٍ فقيل: المراد بالتِّين مسجد دمشق. وقيل: هي نفسها. وقيل: الجبل الذي عندها. وقال القرطبي: هو مسجد أصحاب الكهف. وروىٰ العوفي، عن ابن عبَّاس: أنَّه مسجد نوح الَّذي علىٰ الجودي. وقال مجاهد: هو تينكم هذا.

﴿وَالزَّيْتُونِ﴾ قال كعب الأحبار، وقتادة، وابن [3] زيد، وغيرهم: هو مسجد بيت المقدس. وقال مجاهد، وعكرمة: هو هذا الزيتون الذي تعصرون.

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ قال كعب الأحبار وغير واحدٍ: هو الجبل الذي كلَّم الله عليه موسىٰ.

﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ يعني: مكَّة. قاله ابن عبَّاس، ومجاهد، وعكرمة، والحسن، وإبراهيم النَّخَعِي، وابن زيد، وكعب الأحبار. ولا خلاف في ذلك.

وقال بعض الأئمة: هذه مَحَالٌّ ثلاثة، بعث الله في كلِّ واحدٍ منها نبيًّا مرسلًا مِن أولي العزم أصحاب الشَّرائع الكبار، فالأول: محلة التِّين والزَّيتون، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسىٰ ابن مريم. والثَّاني: طور سينين، وهو طور سيناء الَّذي كلَّم الله عليه موسىٰ بن عمران. والثَّالث: مكَّة، وهو البلد الأمين الذي مَن دخله كان آمنًا، وهو الَّذي أرسل فيه محمَّدًا ﷺ.

قالوا: وفي آخر التَّوراة ذكر هذه الأماكن الثَّلاثة: جاء الله من طور سيناء -يعني الَّذي كلَّم الله عليه

---

(١) لوحة (٢٤٥ ب).

(٢) مالك (١/ ٨٩/ ٢٧)، والبخاري (٧٦٧)، ومسلم (٤٦٤)، وأبو داود (١٢٢١)، والترمذي (٣١٠)، وابن ماجة (٨٣٥).

(٣) في (ز): (أبو زيد)، وهو خطأ.

موسىٰ بن عمران- وأشرق من سَاعيرَ[(١)] -يعني: بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسىٰ- واستعلن من جبال فاران -يعني: جبال مكَّة التي أرسل الله منها محمَّدًا- فذكرهم علىٰ الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزَّمان، ولهذا أقسم بالأشرف، ثم الأشرف منه، ثم بالأشرف منهما.

وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ[(٢)] تَقْوِيمٍ﴾ هذا هو المقسم عليه، وهو أنَّه -تعالىٰ- خلق الإنسان في أحسن صورةٍ وشكلٍ؛ منتصب القامة، سَويَّ الأعضاء حسنها.

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ﴾؛ أي: إلىٰ النار. قاله مجاهد، وأبو العالية، والحسن، وابن زيد، وغيرهم. ثم بعد هذا الحُسْنِ والنَّضارة مصيره إلىٰ النَّار إن لم يطع الله ويتَّبع الرُّسل؛ ولهذا قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾.

وقال بعضهم: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ﴾؛ أي: إلىٰ أرذل العمر. رُوِيَ هذا عن ابن عبَّاس، وعكرمة -حتىٰ قال عكرمة: من جمع القرآن لم يُرَدَّ إلىٰ أرذل العمر. واختار ذلك ابن جرير. ولو كان هذا هو المراد لما حَسُنَ استثناء المؤمنين من ذلك؛ لأن الهَرَمَ قد يصيبُ بعضهم، وإنَّما المراد ما ذكرناه، كقوله: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ [العصر: ١ - ٣].

وقوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾؛ أي: غير مقطوعٍ، كما تقدَّم. ثم قال: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ ﴾ يعني: يا ابن آدم ﴿بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴾؛ أي: بالجزاء في المعاد وقد علمت البدأة، وعرفت أن مَن قدر علىٰ البدأة، فهو قادرٌ علىٰ الرَّجعة بطريق الأولىٰ، فأي شيءٍ يحملك علىٰ التَّكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا؟!

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أحمد بن سنان، حدَّثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن منصور قال: قلت لمجاهد: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴾ عنىٰ به النَّبيَّ ﷺ؟ قال: مَعَاذ الله! عنىٰ به الإنسان.

وهكذا قال عكرمة وغيره.

وقوله: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴾؛ أي: أما هو أحكم الحاكمين؟! الَّذي لا يجور ولا يظلم أحدًا، ومِن عَدْله أن يُقِيمَ القيامة فينصف المظلوم في الدُّنيا ممَّن ظلمه. وقد قدمنا في حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**فَإِذَا قَرَأَ أَحَدُكُمْ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ فَأَتَىٰ عَلَىٰ آخِرِهَا: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴾ فَلْيَقُلْ: بَلَىٰ، وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ**»[(٣)].

آخر تفسير ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾، ولله الحمد.

---

(١) ساعير -في التوراة-: اسم لجبال فلسطين، وهي قرية من الناصرة، بين عكا وطبرية.

(٢) لوحة (٢٤٦ أ).

(٣) ضعيف: رواه أبو داود (٨٨٧)، والترمذي (٣٣٢٤)، وفيه رجل لم يسم، ورواه الحاكم (٢/ ٥١٠) وسماه أبا اليسع، قلت: وهو مجهول.

سُورَةُ العَلَق

تفسير سورة ﴿ٱقْرَأْ﴾، وهي أول شيء نزل من القرآن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ [1] ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾

قال الإمام أحمد: حدَّثنا عبد الرزاق، حدَّثنا مَعْمَرٌ، عن الزهري [2]، عن عُرْوَة، عن عائشة قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرُّؤيا الصَّادقة في النَّوم، فكان لا يرىٰ رؤيا إلَّا جاءت مثل فَلَقِ الصُّبح. ثم حُبِّب إليه الخلاء، فكان يأتي حراء فيتحنَّث فيه -وهو: التَّعبد- اللَّيالي ذواتَ العدد، ويتزوَّد لذلك ثم يرجع إلىٰ خَدِيجَةَ فتُزَوِّدُهُ [3] لمثلها حتىٰ فَجَأه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ. قال رسول الله ﷺ: «**فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ**». قال: «**فَأَخَذَنِي فغطَّنِي** [4] **حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:** ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ **حَتَّىٰ بَلَغَ:** ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾» قال: فرجع بها تَرجُف بَوادره [5] حتىٰ دخل علىٰ خديجة فقال: «**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**». فزمَّلُوه حتَّىٰ ذهب عنه الرَّوْع. فقال: يا خديجة، ما لي فأخبرها الخبر وقال: «**قَدْ خَشِيتُ عَلَيَّ**». فقالت له: كلا، أبشر فوالله لا يُخْزِيكَ الله أبدًا؛ إنَّك لتَصِلُ الرَّحم، وتصدُق الحَدِيثَ، وتحمل الكَلَّ، وتُقْرِي الضَّيفَ، وتُعِينُ علىٰ نوائب الحَقِّ. ثمَّ انطلقتْ به خديجة حتَّىٰ أتت بِهِ وَرَقَةَ بن نوفل بن أَسَد بن عبد العُزَّىٰ بن قُصي -وهو ابن عم خديجة، أخي أبيها، وكان امرأً تنصَّر في الجاهليَّة، وكان يكتب الكتاب العربي، وكتب بالعربيَّة من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عَمِيَ- فقالت خديجة: أي ابن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وَلَفظُ الكَرَم لَفظٌ جَامِعٌ لِلمَحَاسِنِ وَالمَحَامِدِ. لَا يُرَادُ بِهِ مُجَرَّدَ الإِعطَاءِ بَل الإِعطَاءُ مِن تَمَام مَعنَاهُ، فَإِنَّ الإِحسَانَ إِلَىٰ الغَيرِ تَمَامُ المَحَاسِنِ. وَالكَرَمُ كَثرَةُ الخَيرِ وَيَسرَتُهُ .... وَهُوَ سُبحَانَهُ أَخبَرَ أَنَّهُ الأَكرَمُ بِصِيغَةِ التَّفضِيلِ وَالتَّعرِيفِ لَهَا. فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّهُ الأَكرَمُ وَحدَهُ بِخِلَافِ مَا لَو قَالَ: «وَرَبُّك أَكرَمُ». فَإِنَّهُ لَا يَدُلُّ عَلَىٰ الحَصرِ، وَقَولُهُ: ﴿ٱلْأَكْرَمُ﴾ يَدُلُّ عَلَىٰ الحَصرِ. وَلَم يَقُل: «الأَكرَمُ مِن كَذَا» بَل أَطلَقَ الِاسمَ لِيُبَيِّنَ أَنَّهُ الأَكرَمُ مُطلَقًا غَير مُقَيَّدٍ. فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِغَايَةِ الكَرَمِ الَّذِي لَا شَيءَ فَوقَهُ وَلَا نَقصَ فِيهِ.

(٢) لوحة (٢٤٦ ب). (٣) التزود: استصحاب الزاد. (٤) الغط: العصر الشديد.

(٥) أي: ترعد وتضطرب، والبوادر: جمع بادرة، وهي اللحمة التي بين العنق والمنكب.

ورقة: ابنَ أخي، ما ترىٰ؟ فأخبره رسول الله ﷺ ما رأىٰ، فقال ورقة: هذا النَّاموس الَّذِي أُنْزِلَ علىٰ موسىٰ، يا لَيْتَنِي فيها جَذعًا [(١)] أكونُ حيًّا حين يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟». فقال ورقة: نعم، لم يَأْتِ رجلٌ قط بما جئت به إلا عُودِي، وإن يُدركني يومك أنصُرْكَ نصرًا مُؤزرًا. ثم لم ينشَب [(٢)] وَرَقة أن تُوُفِّي، وفتَر الوحي فترةً حتىٰ حَزِن رسول الله ﷺ -فيما بلغنا [(٣)] - حزنًا غدَا منه مرارًا كي يَتَرَدَّىٰ من رُءُوس شَوَاهِق الجبال، فكلَّما أوفىٰ بذروة جبلٍ لِكَيْ يُلْقِي نفسه منه، تبدَّىٰ له جبريلُ فقال: يا محمَّد، إنَّك رسولُ الله حقًّا. فيسكن [(٤)] بذلك جأشُهُ، وتَقَرُّ نفسه فيرجع. فإذا طالت عليه فترةُ الوحي غدَا لمثل ذلك، فإذا أوفىٰ بذروة الجبل تَبَدَّىٰ له جبريل، فقال له مثل ذلك [(٥)].

وهذا الحديث مخرج في «الصحيحين» من حديث الزهري، وقد تكلَّمنا علىٰ هذا الحديث من جهة سندِهِ ومتنه ومعانيه في أوَّل شرحنا للبخاري مستقصًىٰ، فمن أراده فهو هناك محرَّر، ولله الحمد والمنَّة.

فأوَّل شيءٍ نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات، وهُنَّ أولُ رحمةٍ رَحِمَ الله بها العباد، وأوَّل نعمةٍ أنعم الله بها عليهم. وفيها التَّنبيه علىٰ ابتداء خلق الإنسان مِن علقة، وأن من كَرَمه تعالىٰ أن عَلَّم الإنسان ما لم يعلم، فشَرَّفه وكَرَّمه بالعلم، وهو القدر الَّذِي امتاز به أبو البريَّة آدم علىٰ الملائكة، والعلم تارةً يكون في الأذهان، وتارةً يكون في اللِّسان، وتارةً يكون في الكِتَابَة بالبنان، ذهني ولفظي ورسمي، والرسمي يستلزمهما من غير عكس، فلهذا قال: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ وفي الأثر: «قَيِّدُوا العِلْمَ بِالكِتَابَةِ» [(٦)]. وفيه أيضًا: «مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ» [(٧)].

---

(١) أي: شابًّا قويًّا، وانظر ما تقدم عن ورقة بن نوفل في تفسير سورة البقرة.

(٢) أي: لم يلبث.

(٣) هذا من بلاغات الزهري،وهي ضعيفة واهية ليست بشيء، لكونه من صغار التابعين، وحزن النبي ﷺ بسبب فتور الوحي ثابت من طرق أخرىٰ، وأما صعوده ﷺ شواهق الجبال لإلقاء نفسه فهو منكر، ولم يرد إلا من بلاغات الزهري، وقد شغب بعض المستشرقين بهذا الخبر وتبعهم علىٰ ذلك أذنابهم من الجهال والعلمانيين العرب، وهذا الأمر يسلم لهم عند ثبوت الخبر، وأما عند نكارته وضعفه فلا، فهو من مراسيل الزهري، وقد سبق بيان حكمها، وهذا الذي ذكرناه هو ما رجحه الحافظ ابن حجر العسقلاني ر في «الفتح» (١٢/ ٣٧٦)، وشعيب الأرنؤوط في تعليقه علىٰ المسند (٤٣/ ١١٤) ط: الرسالة بقوله: [وقوله: حتىٰ حزن رسول الله إلخ، إنما هو من بلاغات الزهري، ومعلوم واهية ليست بشيء]. اهـ. وإخراج البخاري لهذه اللفظة لا يدل علىٰ اعتماده لها، خاصة مع بيان علة إسنادها ونسبته إياها للزهري بلاغًا، ويضاف إلىٰ ذلك عدم ذكره لها إلا في موطن واحد من «صحيحه» وعدم تكرارها علىٰ الرغم من إيراده لأصل الحديث في مواطن عديدة.

(٤) لوحة (٢٤٧ أ).

(٥) البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠)، وأحمد (٦/ ٢٣٢).

(٦) حسن رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٣٩٥)، والخطيب في كتابه «تقييد العلم» من طرق عن أنس مرفوعًا.

(٧) رواه أبو نعيم (١٠/ ١٤-١٥) ثم قال: ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن عيسىٰ بن مريم ﷺ، فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النَّبيِّ ﷺ، فوضع هذا الإسناد عليه لسهولته وقربه.

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾

يخبر تعالىٰ عن الإنسان أنَّه ذو فرحٍ وأَشَرٍ وبطرٍ وطغيانٍ، إذا رأىٰ نفسه قد استغنىٰ وكثر مالُهُ. ثم تَهدَّده وتوعَّده ووَعَظَهُ فقال: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾؛ أي: إلىٰ الله المصير والمرجع، وسيُحَاسِبُك علىٰ مالِكَ: مِن أين جمعته؟ وفيمَ صرفته؟.

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا زيد بن إسماعيل الصائغ، حدَّثنا جعفر بن عون، حدَّثنا أبو عُمَيس، عن عون قال: قال عبد الله: مَنهومان لا يشبعان، صاحب العلم وصاحب الدُّنيا، ولا يستوِيَان، فأمَّا صاحب العلم فيَزْدَادُ رضا الرحمن، وأمَّا صاحب الدُّنيا فيتمَادَىٰ في الطُّغيان. قال: ثم قرأ عبد الله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ وقال للآخر: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨][(١)][(٢)].

وقد رُوي هذا مرفوعًا إلىٰ رسول الله ﷺ[(٣)]: «مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ، وَطَالِبُ دُنْيَا»[(٤)].

ثم قال تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ نزلت في أبي جهل -لعنه الله- توعد النَّبيَّ ﷺ علىٰ الصَّلاة عند البيت، فوعظه الله تعالىٰ بالَّتِي هي أحسنُ أوَّلًا فقال: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾؛ أي: فما ظنُّك

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١٩٤١٧).

(٢) قال القاسمي رحمه الله: دلت الآية علىٰ قاعدة عظيمة في باب التموّل المحمود، قررها الحكماء المصلحون، وهو أن لا يتجاوز المال قدر الحاجة بكثير. قالوا: لأن إفراط الثروة مهلكة للأخلاق الحميدة في الإنسان، كما نطقت به الآية الكريمة.
قال بعض الحكماء: التحول لأجل الحاجات وبقدرها محمود بثلاثة شروط، وإلا كان حرص التمول من أقبح الخصال:
الشرط الأول: أن يكون إحراز المال بوجه مشروع حلال؛ أي: إحرازه من بذل الطبيعة أو بالمعارضة أو في مقابل عمل.
والشرط الثاني: أن لا يكون في التمول تضييق علىٰ حاجات الغير، كاحتكار الضروريات، أو مزاحمة الصناع والعمال الضعفاء، أو التغلب علىٰ المباحات، مثل امتلاك الأراضي التي جعلها خالقها ممرحًا لكافة مخلوقاته. وهي أمهم ترضعهم لبن جهازاتها، وتغذيهم بثمراتها، وتؤويهم في حضن أجزائها.
الشرط الثالث: لجواز التمول هو أن لا يتجاوز المال قدر الحاجة بكثير، وإلا فسدت الأخلاق. ولذلك حرمت الشرائع السماوية كلها، والحكمة السياسية والأخلاقية والعمرانية أكل الربا؛ وذلك لقصد حفظ التساوي والتقارب بين الناس في القوة المالية؛ لأن الربا كسب بدون مقابل ماديّ، ففيه معنىٰ الغصب، وبدون عمل، ففيه الألفة علىٰ البطالة المفسدة للأخلاق، وبدون تعرض لخسائر طبيعية كالتجارة والزراعة والأملاك. دع أن بالربا تربو الثروات، فيختل التساوي بين الناس، كما تقدم بيانه في أواخر سورة البقرة.

(٣) لوحة (٢٤٧ ب).

(٤) صحيح لغيره: رواه الحاكم (١/ ٩٢)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٢٣/ ١٠٣٨٨)، وله طرق وشواهد استوفاها الشيخ الفاضل أبو الأشبال الزهيري حفظه الله في تعليقه علىٰ كتاب «جامع بيان العلم وفضله» (٨٥٣).

إن كان هذا الَّذِي تنهاه علىٰ الطَّريق المستقيمَةِ في فعله، أو ﴿أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ بقوله، وأنت تزجُرُهُ وتتوعَّدُهُ علىٰ صلاته؛ ولهذا قال: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ أي: أَمَا عَلِمَ هذا النَّاهي لهذا المهتَدِي أنَّ الله يراه ويسمعُ كلَامَهُ، وسيُجَازِيهِ علىٰ فعله أتمَّ الجزاء.

ثم قال تعالىٰ متوعدًا ومتهددًا: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ أي: لَئِنْ لَمْ يَرْجِعْ عمَّا هو فيه من الشِّقاق والعناد ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ أي: لنسمَنَّها[1] سوادًا يوم القيامة.

ثم قال: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ يعني: ناصية أبي جهلٍ، كاذبةٌ في مقالها، خاطئةٌ في فعَالها.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أي: قومه وعشيرته؛ أي: ليدعهم يستنصر بهم، ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ وهم ملائكة العذاب، حتىٰ يعلم من يغلبُ: أحزبُنا أو حزبه.

قال البخاري: حدَّثنا يحيىٰ، حدَّثنا عبد الرزاق، عن مَعْمَرٍ، عن عبد الكريم الجَزَري، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس: قال أبو جهل: لئن رأيت محمَّدًا يُصَلِّي عند الكعبة لأطأنَّ علىٰ عُنُقه. فبَلغَ النَّبيَّ ﷺ فقال: «لَئِنْ فَعَلَهُ لأَخَذَتْهُ المَلَائِكَةُ». ثم قال: تابعه عمرو بن خالد، عن عبيد الله -يعني ابن عمرو- عن عبد الكريم[2].

وكذا رواه الترمذي والنسائي في «تفسيرهما» من طريق عبد الرزَّاق به، وهكذا رواه ابن جرير، عن أبي كُرَيْبٍ، عن زكريا بن عَدِيّ، عن عبيد الله بن عمرو به[3].

وروىٰ أحمد، والترمذي وابن جرير -وهذا لفظه- من طريق داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس قال: كان رسول الله ﷺ يصلي عند المقام فمرَّ به أبو جهل بن هشام فقال: يا محمَّد، ألم أَنْهَكَ عن هذا؟ -وتَوعَّده- فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره، فقال: يا محمَّد، بأيِّ شيءٍ تُهَدِّدُنِي؟ أمَا والله إني لأكثر هذا الوادي ناديًا! فأنزل الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ قال ابن عبَّاس: لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العَذَابِ مِن ساعته. وقال الترمذي: حسنٌ صحيحٌ[4].

وقال الإمام أحمد[5] أيضًا: حدَّثنا إسماعيل بن زيد[6] أبو يزيد، حدَّثنا فُرَات، عن عبد الكريم، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس قال: قال أبو جهل: لئن رأيت رسول الله [يصلِّي][7] عند الكعبة لآتينه حتىٰ أطأ علىٰ عنقه. قال: فقال: «**لَوْ فَعَلَ لأَخَذَتْهُ المَلَائِكَةُ عَيَانًا، وَلَوْ أَنَّ اليَهُودَ تَمَنَّوُا المَوْتَ لَمَاتُوا وَرَأَوْا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ، وَلَوْ خَرَجَ الَّذِينَ يُبَاهِلُونَ[8] رَسُولَ اللهِ ﷺ لَرَجَعُوا لا يَجِدُونَ مَالًا وَلَا أَهْلًا**»[9].

---

(١) أي: لتخمن علىٰ نواهي رءوسهم سوادًا. (٢) البخاري (٤٩٥٨).
(٣) رواه الترمذي (٣٣٤٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٨٥)، والطبري (٣٠/ ٢٥٦).
(٤) صحيح رواه أحمد (١/ ٣٣٩)، والترمذي (٣٣٤٦)، والطبري (٣٠/ ٢٥٦). وقال الترمذي: حسن صحيح.
(٥) لوحة (٢٤٨ أ). (٦) في (ز): (يزيد أبو يزيد)، والمثبت هو الصواب.
(٧) سقط من (ز)، وهي مثبتة من «المسند».
(٨) المُباهلة: المُلاعنة، وهي: أن يجتمع القوم -إذا اختلفوا في شيء- فيقولوا: لعنة الله علىٰ الظالم منَّا.
(٩) صحيح رواه أحمد (١/ ٢٤٨).

وقال ابن جرير أيضًا: حدَّثنا ابن حميد، حدَّثنا يحيىٰ بن واضح، أخبرنا يونس بن [أبي][1] إسحاق، عن الوليد بن العيزار، عن ابن عبَّاس قال: قال أبو جهل: لَئِنْ عاد محمَّد يصلِّي عند المقام لأقتلنه. فأنزل الله ﷻ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ حتىٰ بلغ هذه الآية: ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ فجاء النَّبيُّ ﷺ فصلَّىٰ فقيل: ما يمنعك؟ قال: قد اسودَّ ما بَيْنِي وبَيْنَهُ مِن الكتَائِبِ. قال ابن عبَّاس: والله لو تحرَّك لأخذته الملائكة والنَّاسُ ينظرُون إليه[2].

وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن عبد الأعلىٰ، حدَّثنا المعتمر، عن أبيه، حدَّثنا نعيم بن أبي هند، عن أبي حازم، عن أبي هُرَيرَةَ قال: قال أبو جهل: هل يعفِّر محمَّد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم. قال: فقال: واللَّات والعزَّىٰ لَئِنْ رأيته يصلِّي كذلك لأطأنَّ علىٰ رقبته ولأعفِّرن وجهه في التُّراب، فأتىٰ رسول الله ﷺ وهو يُصَلِّي ليطأ علىٰ رقبته، قال: فما فَجأهم منه إلَّا وهو ينكص علىٰ عَقِبَيْهِ ويتَّقي بيَدَيْهِ، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إنَّ بيني وبينه خَنْدقًا من نارٍ وهَولًا وأجنحةً. قال: فقال رسول الله: «**لَوْ دَنَا مِنِّي لاخْتَطَفَتْهُ المَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**». قال: وأنزل الله -لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا-: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ إلىٰ آخر السُّورة[3].

وقد رواه أحمد بن حنبل، ومسلم، والنسائي، وابن أبي حاتم، من حديث معتمر بن سليمان به[4].

وقوله: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ يعني: يا محمَّد، [لا تطعه][5] فيما ينهاك عنه من المداوَمَةِ علىٰ العبادة وكثرتها، وصلِّ حيث شئت ولا تباله؛ فإن الله حافظك وناصرك، وهو يعصمك من الناس، ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ كما ثبت في «الصحيح» -عند مسلم- من طريق عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن عمارة بن غزية[6]، عن سُمَيٍّ، عن أبي صالح، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**»[7].

وتقدَّم أيضًا: أنَّ رسول الله ﷺ كان يسجد في: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ و﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[8].

---

(١) سقط من (ز)، والصواب إثباتها.

(٢) رواه الطبري (٣٠/ ٢٥٦)، وشيخه ابن حميد: حافظ ضعيف، وفي الإسناد انقطاع بين الوليد وابن عباس، لكن يشهد للحديث ما تقدم.

(٣) مسلم (٢٧٩٧)، والطبري (٣٠/ ٢٥٦).

(٤) رواه مسلم (٢٧٩٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٨٣)، والطبري (٣٠/ ٢٥٦)، وابن أبي حاتم (١٩٤١٨).

(٥) سقط من (ز). (٦) لوحة (٢٤٨ ب). (٧) مسلم (٤٨٢).

(٨) رواه مسلم (٥٧٨)، وأبو داود (١٤٠٧)، والنسائي (٢/ ١٦٢).

سُورَةُ القَدْرِ

تفسير سورة القدر، وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝٥﴾

يخبر الله -تعالىٰ- أنَّه أنزل القرآن ليلة القدر، وهي اللَّيلة المباركة التي قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣] وهي ليلة القدر، وهي مِن شهر رمضان، كما قال تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

قال ابن عبَّاس وغيره: أنزل الله القرآن جملةً واحدةً من اللَّوح المحفوظ إلىٰ بيت العِزَّة من السَّماء الدُّنيا، ثم نزل مفصَّلًا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنةً علىٰ رسول الله ﷺ[(١)].

ثم قال تعالىٰ مُعَظِّمًا لشأن ليلة القدر، التي اختصها بإنزالِ القرآنِ العظيمِ فيها، فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

قال أبو عيسىٰ الترمذي عند تفسير هذه الآية: حدَّثنا محمود بن غيلان، حدَّثنا أبو داود الطيالسي، حدَّثنا القاسم بن الفضل الحُدّاني، عن يوسف بن سعد قال: قام رجلٌ إلىٰ الحسن بن علي بعد ما بايع معاوية فقال: سَوَّدتَ وجوهَ المؤمنين -أو: يا مسوِّد وجوه المؤمنين- فقال: لا تُؤَنِّبْنِي، رحمك الله؛ فإنَّ النَّبيَّ ﷺ أريَ بني أمية علىٰ منبره، فساءه ذلك، فنزلت: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ يا محمَّد؛ يعني: نهرًا في الجنة، ونزلت: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يملكها بعدك بنو أمية يا محمَّد. قال القاسم: فعددنا فإذا هي ألف شهر، لا تزيد يومًا ولا تنقص يومًا[(٢)].

ثم قال[(٣)] الترمذي: هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلا [من هذا الوجه][(٤)] من حديث القاسم بن

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه والحكم عليه. انظر سورة الفرقان الآية (٣٢).

(٢) منكر: رواه الترمذي (٣٣٤٧)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ٩٠/ ٢٧٥٤)، والطبري (٣٠/ ٢٦٠)، والحاكم (٣/ ١٧٠)، وفيه اضطرابٌ ونكارةٌ (انظر تعليق ابن كثير عقب إيراده للحديث).

(٣) لوحة (٢٤٩ أ). (٤) سقط من (ز).

الفضل، وهو ثقة وثَّقه يحيىٰ القطان وابن مهدي. قال: وشيخه يوسف بن سعد -ويقال: يوسف بن مازن- رجلٌ مجهولٌ، ولا نَعْرِفُ هذا الحَدِيثَ علىٰ هذا اللَّفظ إلا مِن هذا الوجه.

وقد روىٰ هذا الحديث الحاكم في «مستدركه»، من طريق القاسم بن الفضل، عن يوسف بن مازن به، وقول التِّرمذي: إنَّ يوسف هذا مجهول -فيه نظر؛ فإنه قد روىٰ عنه جماعة، منهم: حماد بن سلمة، وخالد الحذاء، ويونس بن عبيد. وقال فيه يحيىٰ بن معين: هو مشهور، وفي رواية عن ابن معينٍ قال: هو ثقةٌ. ورواه ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل، عن عيسىٰ بن مازن كذا قال، وهذا يقتضي اضطرابًا في هذا الحديث، والله أعلم. ثم هذا الحديث -علىٰ كل تقدير- منكر جدًّا، قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة أبو الحجاج المزِّي: هو حديثٌ منكرٌ.

قلت: وقول القاسم بن الفضل الحُدَّاني إنه حسب مُدَّة بني أمية فوجدها ألف شهر لا تزيد يومًا ولا تنقص، ليس بصحيح؛ فإنَّ معاويةَ بن أبي سفيان ﷺ استقل بالملك حين سَلَّم إليه الحسن بن علي الإمرة سنةَ أربعين، واجتمعت البيعة لمعاوية، وسُمِّيَ ذلك عام الجماعة، ثم استمرُّوا فيها متتابعين بالشَّام وغيرها، لم تخرج عنهم إلا مدَّة دولة عبد الله بن الزُّبير في الحرمين والأهوازِ وبعض البلاد قريبًا من تسع سنين، لكن لم تَزُل يدهم[(١)] عن الإمرة بالكليَّة، بل عن بعض البلاد، إلىٰ أن استلبهم بنو العبَّاس الخلافة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة، وذلك أزيد من ألف شهر، فإنَّ الألف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر، وكأن القاسم بن الفضل أسقط من مُدَّتِهِم أيَّام ابن الزُّبير، وعلىٰ هذا فتقارب ما قاله الصحة في الحساب، والله أعلم.

ومما يدلُّ علىٰ ضَعف هذا الحديث أنَّه سِيقَ لذَمِّ دولة بني أُمَيَّة، ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السِّياق؛ فإنَّ تفضيل ليلة القدر علىٰ أيَّامهم لا يدلُّ علىٰ ذَمِّ أيَّامهم، فإنَّ ليلة القدر شريفةٌ جدًّا، والسُّورة الكريمة إنَّما جاءت لمدح ليلة القدر، فكيف تُمدَح بتفضيلها علىٰ أيَّام بني أميَّة التي هي مذمومةٌ، بمقتضىٰ هذا الحديث، وهل[(٢)] هذا إلا كما قال القائل:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَنْقُصُ قَدْرُهُ ... إِذَا قِيلَ إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَىٰ مِنَ العَصَا

وقال آخر:

إِذَا أَنْتَ فَضَّلْتَ امْرَأً ذَا بَرَاعَةٍ ... عَلَىٰ نَاقِصٍ كَانَ المَدِيحُ مِنَ النَّقْصِ

ثمَّ الَّذِي يُفْهَمُ مِن ولاية الألف شهر المذكورة في الآية هي أيَّام بني أمية، والسُّورة مكيَّة، فكيف

---

(١) في (ز): (لم تزل مدتهم).
(٢) لوحة (٢٤٩ ب).

يحالُ علىٰ ألف شهرٍ هي دولة بني أميَّة، ولا يدلُّ عليها لفظ الآية ولا معناها؟! والمنبر إنما صنع بالمدينة بعد مدَّة من الهجرة، فهذا كلُّه مما يدلُّ علىٰ ضعفِ هذا الحديث ونكارته، والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرْعَةَ، حدَّثنا إبراهيم بن موسىٰ، أخبرنا مسلم -يعني ابن خالد- عن ابن أبي نَجِيحٍ، عن مجاهد: أن النَّبيَّ ﷺ ذكر رجلًا من بني إسرائيل لَبِسَ السِّلاح في سبيل الله ألف شهرٍ، قال: فَعَجب المسلمون من ذلك، قال: فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ التي لبس ذلك الرَّجل السِّلاح في سبيل الله ألف شهر[١].

وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن حميد، حدَّثنا حَكَّام بن سلم، عن المثنىٰ بن الصباح، عن مجاهد قال: كان في بني إسرائيل رجلٌ يقوم الليل حتىٰ يصبح، ثم يجاهد العدو بالنَّهار حتَّىٰ يُمْسِي، ففعل ذلك ألف شهر، فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ قيام تلك اللَّيلة خيرٌ مِن عمل ذلك الرَّجل[٢].

وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا يونس، أخبرنا ابن وهب، حدَّثني مسلمة بن عليٍّ، عن علي بن عروة قال: ذكر رسول الله ﷺ يومًا أربعةً من بني إسرائيل، عبدوا الله ثمانين عامًا، لم يَعْصوه طرفة عين: فذكر أيوب، وزكريا، وحزْقيل بن العجوز، ويوشع بن نون -قال: فعجب أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك، فأتاه جبريل فقال: يا محمَّد، عَجِبَتْ أُمَّتُك مِن عبادة هؤلاء النَّفر ثمانين سنةً، لم يَعْصُوه طرفةَ عينٍ؛ فقد أنزل الله خيرًا مِن ذلك. فقرأ عليه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك. قال: فَسُرَّ بذلك رسول الله ﷺ والنَّاس معه[٣].

وقال سفيان الثَّوري: بَلَغني عن مجاهد: ليلةُ القدر[٤] خيرٌ من ألفِ شهرٍ. قال: عَمَلها، صيامها وقيامها خير من ألف شهر. رواه ابن جرير.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرْعَةَ، حدَّثنا إبراهيم بن موسىٰ، أخبرنا ابن أبي زائدة، عن ابن جُرَيجٍ، عن مجاهد: ليلة القدر خير من ألف شهر، ليس في تلك الشُّهور ليلة القدر. وهكذا قال قتادة بن دعامة، والشافعي، وغير واحدٍ.

---

(١) مرسل: رواه ابن أبي حاتم (١٩٤٢٤)، والطبري (٣٠/ ٢٥١)، والبيهقي في «سننه» (٤/ ٣٠٦).

(٢) مرسل: رواه الطبري (٢٤/ ٥٣٣)، و ابن أبي حاتم (١٩٤٢٦).

(٣) رواه ابن أبي حاتم (١٢/ ٤٣٤)، وإسناده مرسل.

(٤) لوحة (٢٥٠ أ).

وقال عمرو بن قيس الملائي: عمل فيها خير من عمل ألف شهر.

وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر -وليس فيها ليلة القدر- هو اختيارُ ابن جرير. وهو الصَّواب لا ما عداه، وهو كقوله ﷺ: «رِبَاطُ لَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ المَنَازِلِ». رواه أحمد [١]، وكما جاء في قاصد الجمعة بهيئةٍ حسنةٍ، ونيَّةٍ صالحةٍ: «أَنَّهُ يُكْتَبُ لَهُ عَمَلُ سَنَةٍ، أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا» [٢] إلىٰ غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدَّثنا أيوب، عن أبي قِلابَة، عن أبي هُريرة قال: لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ: «قَدْ جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ [٣]، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ» [٤].

ورواه النَّسائي من حديث أيوب به.

ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر، ثبت في «الصحيحين» عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [٥].

وقوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾؛ أي: يكثر تنزلُ الملائكةِ في هذه اللَّيلة لكثرةِ بَرَكَتِهَا، والملائكة يتنزَّلون مع تنزُّل البركة والرَّحمة، كما يتنزَّلون عند تلاوة القرآنِ، ويُحِيطُون بحِلَقِ الذِّكر، ويَضَعُون أجنحتهم لطالِبِ العلمِ بصدقٍ تعظيمًا له.

وأمَّا الروح فقيل: المراد به هاهنا جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فيكون مِن باب عطف الخاص علىٰ العام. وقيل: هم ضربٌ مِن الملائكة. كما تقدَّم في سورة «النَّبإ». والله أعلم.

وقوله: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ قال مجاهد: سلام هي من كل أمر.

وقال سعيد بن منصور: حدَّثنا عيسىٰ بن يونس، حدَّثنا الأعمش، عن مجاهد في قوله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ قال: هي سالمةٌ، لا يستطيع الشَّيطان أن يعمل فيها سوءًا أو يعمل فيها [٦] أذىٰ.

---

(١) **حسن لغيره**: رواه أحمد (١/ ٦١، ٦٣، ٦٥) من حديث عثمان بن عفان، وفيه مصعب بن ثابت: لين الحديث، ورواه الترمذي (١٦٦٧)، والنسائي في «السنن» (٦/ ٣٩)، وأحمد (١/ ٦٢) وفيه صالح مولىٰ عثمان: لم يوثقه غير ابن حبان، وبمجموع الحديثين فالحديث حسن لغيره، وبهذا حكم الألباني في «صحيح الترغيب» (١٢٢٤).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٤٥)، والترمذي (٤٩٦)، والنسائي (٣/ ٩٥)، وابن ماجة (١٠٨٧).

(٣) في (ز): (قيامه)، وهو خطأ.

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٣٠)، والنسائي (٤/ ١٢٩).

(٥) البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠).

(٦) لوحة (٢٥٠ ب).

وقال قتادة وغيره: تقضىٰ فيها الأمور، وتقدر الآجال والأرزاق، كما قال تعالىٰ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.

وقوله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ قال سعيد بن منصور: حدَّثنا هُشَيْمٌ، عن أبي إسحاق، عن الشعبي في قوله تعالىٰ: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ قال: تسليم الملائكة ليلة القدرِ علىٰ أهل المساجد، حتىٰ يطلع الفجر.

وروىٰ ابن جرير عن ابن عبَّاس أنه كان يقرأ: «من كل امرئٍ[1] سلام هي حتىٰ مطلع الفجر»[2].

وروىٰ البيهقي في كتابه «فضائل الأوقات» عن عليٍّ أثرًا غريبًا في نزول الملائكة، ومرورهم علىٰ المصلِّين ليلة القدر، وحصول البركة للمصلِّين.

وروىٰ ابن أبي حاتم عن كعب الأحبار أثرًا غريبًا عجيبًا مطولًا جدًّا، في تنزُّلِ الملائكة من سدرة المنتهىٰ صحبة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ الأرض، ودعائهم للمؤمنين والمؤمنات.

وقال أبو داود الطيالسي: حدَّثنا عمران -يعني القطان- عن قتادة، عن أبي ميمونة، عن أبي هُريرة: أنَّ رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر: **«إِنَّهَا لَيْلَةُ سَابِعَةٍ -أو: تَاسِعَةٍ- وَعِشْرِينَ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الحَصَىٰ»**[3].

وقال الأعمش، عن المِنهَال، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ في قوله: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ﴾ قال: لا يحدث فيها أمر.

وقال قتادة وابن زيد في قوله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ يعني: هي خيرٌ كلها، ليس فيها شرٌّ إلىٰ مطلع الفجر. ويؤيِّد هذا المعنىٰ ما رواه الإمام أحمد: حدَّثنا حَيْوَةُ بن شُرَيح، حدَّثنا بَقِيَّة، حدَّثني بَحير بن سعد، عن خالد بن مَعْدَان، عن عبادة بن الصامت: أن رسول الله ﷺ قال: **«لَيْلَةُ القَدْرِ فِي العَشْرِ البَوَاقِي، مَنْ قَامَهُنَّ ابْتِغَاءَ حِسْبَتِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَهِيَ لَيْلَةُ وِتْرٍ: تِسْعٌ أَوْ سَبْعٌ، أَوْ خَامِسَةٌ، أَوْ ثَالِثَةٌ، أَوْ آخِرُ لَيْلَةٍ»**. وقال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ أَمَارَةَ لَيْلَةِ القَدْرِ أَنَّهَا صَافِيَةٌ بَلْجَةٌ[4]، كَأَنَّ فِيهَا قَمَرًا سَاطِعًا، سَاكِنَةٌ سَجِيَّةٌ، لا بَرْدَ فِيهَا وَلا حَرَّ، وَلا يَحِلُّ لِكَوْكَبٍ يُرْمَىٰ بِهِ فِيهَا حَتَّىٰ تُصْبِحَ. وَأَنَّ أَمَارَتَهَا أَنَّ الشَّمْسَ صَبِيحَتَهَا تَخْرُجُ مُسْتَوِيَةً، لَيْسَ لَهَا شُعَاعٌ مِثْلَ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَلا يَحِلُّ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهَا يَوْمَئِذٍ»**[5].

---

(١) قراءة: قَرَأَ (امرئٍ) ابنُ عَبَّاسٍ، وَلَيسَ فِي المُتَوَاتِرِ إِلَّا (أَمرٍ).

(٢) الطبري (٣٠/ ٢٦٠)، وفيه أبو بكر بن عياش: ضعيف في غير الشاميين، والكلبي: متهم بالكذب.

(٣) رواه الطيالسي (٢٣٣٢)، ورجاله ثقات؛ لكن قتادة مدلس وقد عنعن.

(٤) أي: مشرقة.

(٥) حسن: رواه أحمد (٥/ ٣٢٤)، فيه بقية بن الوليد: مدلس تدليس تسوية ولم يصرح بالتحديث في جميع طبقات =

وهذا إسنادٌ حسنٌ، وفي المتن غرابةٌ، وفي بعض ألفاظه نكارةٌ.

وقال أبو داود الطيالسي [(١)]: حدَّثنا زَمْعَةُ، عن سلمة بن وَهْرام، عن عِكْرِمةَ، عن ابن عبَّاس أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر: «**لَيْلَةٌ سَمْحَةٌ طَلْقَةٌ، لا حَارَّةٌ وَلا بَارِدَةٌ، وَتُصْبِحُ شَمْسُ صَبِيحَتِهَا ضَعِيفَةً حَمْرَاءَ**» [(٢)].

وروىٰ ابن أبي عاصم النَّبيل بإسناده عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنِّي رَأَيْتُ لَيْلَةَ القَدْرِ فَأُنْسِيتُهَا، وَهِيَ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ، مِنْ لَيَالِيهَا، وَهِيَ لَيْلَةٌ طَلْقَةٌ بَلْجَةٌ، لا حَارَّةٌ وَلا بَارِدَةٌ، كَأَنَّ فِيهَا قَمَرًا، لا يَخْرُجُ شَيْطَانُهَا حَتَّىٰ يُضِيءَ فَجْرُهَا**» [(٣)].

فصل

اختلف العلماء: هل كانت ليلة القدر في الأمم السَّالفة، أو هي مِن خصائص هذه الأمَّة؟ علىٰ قولين:

قال أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري: حدَّثنا مالك أنه بلغه: أن رسول الله ﷺ أُري أعمار الناس قبله -أو: ما شاء الله من ذلك- فكأنَّه تقاصر أعمار أمَّتِه ألا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خيرًا من ألف شهر [(٤)]، وقد أسند من وجه آخر.

وهذا الذي قاله مالك يقتضي تخصيص هذه الأمة بليلة القدر، وقد نقله صاحب «العُدَّة» أحد أئمة الشَّافعيَّة عن جمهور العلماء، فالله أعلم. وحكىٰ الخطابي عليه الإجماع [ونقله الرافعي جازمًا به عن المذهب] [(٥)]، والذي دلَّ عليه الحديث أنَّها كانت في الأمم الماضين كما هي في أمتنا.

قال أحمد بن حنبل: حدَّثنا يحيىٰ بن سعيد، عن عكرمة بن عمار حدَّثني أبو زُمَيل سِمَاك الحَنَفي حدَّثني مالك بن مَرْثَد بن عبد الله، حدَّثني مَرْثَدُ قال: سألت أبا ذر قلت: كيف سألتَ رسول

=

السند، لكن يشهد لشطره الأول ما ورد نحوه في «الصحيحين».

ويشهد لشطره الأخير ما رواه ابن خزيمة (٢١٩٢) بلفظ: «ليلة القدر طلقة لا حارة ولا باردة، تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة». وبالجملة فالحديث حسن.

(١) لوحة (٢٥١ أ).

(٢) صحيح لغيره: رواه الطيالسي (٣٤٩)، وفيه سلمة بن وهرام: فيه مقال، لكن للحديث شواهد من حديث جابر، وهو الحديث المذكور بعده في الباب، رواه ابن خزيمة (٢١٩٠)، وله شاهد آخر من حديث أُبيٍّ عند مسلم بذكر علامة الشمس.

(٣) ضعيف بهذا السياق: رواه ابن خزيمة (٣/ ٣٣٠)، وابن حبان (٣٦٨٠) وإسناده ضعيف؛ لأن أبا الزبير: مدلِّس ولم يصرح بالسماع، لكن يشهد للحديث ما تقدم.

(٤) ضعيف: مالك في «الموطإ» (١/ ٢٦٣/ ١٥) بلاغًا دون ذكر سنده.

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).

الله ﷺ عن ليلة القدر؟ قال: أنا كنت أسأل الناس عنها، قلت: يا رسول الله، أخبرني عن ليلة القدر، أفي رمضان هي أو في غيره؟ قال: «بَلْ هِيَ فِي رَمَضَانَ». قلت: تكون مع الأنبياء ما كانوا، فإذا قبضوا رفعت أم هي إلىٰ يوم القيامة؟ قال: «بَلْ هِيَ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ». قلت: في أي رمضان هي؟ قال: «الْتَمِسُوهَا فِي العَشْرِ الأُوَلِ، وَالعَشْرِ الأَوَاخِرِ». ثم حَدَّثَ رسولُ الله ﷺ وحَدَّث، ثم اهتبلت غفلته قلت: في أي العشرين هي؟ قال: «ابْتَغُوهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ، لا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا». ثم حدَّث رسول الله ﷺ، ثم اهتبلت غفلته فقلت: يا رسول الله، أقسمت عليك بحقِّي عليك لَمَا أخبرتني في أيِّ العشر هي؟ فغضب عليَّ غضبًا لم [(١)] يغضب مثله منذ صحبته، وقال: «الْتَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، لا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا» [(٢)].

ورواه النسائي عن الفلاس، عن يحيىٰ بن سعيد القطان به.

ففيه دلالة علىٰ ما ذكرناه، وفيه أنها تكون باقيةً إلىٰ يوم القيامة في كل سنةٍ بعد النَّبيِّ ﷺ، لا كما زعمه بعض طوائف الشِّيعة من رفعها بالكلية، علىٰ ما فهموه من الحديث الذي سنورده بعدُ من قوله ﷺ: «فَرُفِعَتْ، وَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ»؛ لأنَّ المراد رفعُ عِلْم وقتها عينًا. وفيه دلالة علىٰ أنَّها ليلة القدر يختص وقوعها بشهر رمضان مِن بين سائر الشُّهور، لا كما رُوي عن ابن مسعود ومَن تابعه مِن علماء أهل الكوفة، من أنَّها توجد في جميع السَّنة، وترجىٰ في جميع الشُّهور علىٰ السَّواء.

وقد ترجم أبو داود في «سننه» علىٰ هذا فقال: «باب بيان أن ليلة القدر في كل رمضان»: حدَّثنا حُمَيدُ بن زَنْجويه النَّسائي، أخبرنا سعيد بن أبي مريم، حدَّثنا محمَّد بن جعفر بن أبي كثير، حدَّثني موسىٰ بن عقبة، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عمر قال: سُئِلَ رسول الله ﷺ وأنا أسمع عن ليلة القدر، فقال: «هِيَ فِي كُلِّ رَمَضَانَ» [(٣)].

وهذا إسنادٌ رجالُهُ ثقاتٌ إلَّا أنَّ أبا داود قال: رواه شعبة وسفيان عن أبي إسحاق فأوقفاه.

وقد حكي عن أبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ رواية أنَّها ترجىٰ في جميعِ شهر رمضان. وهو وجه حكاه الغزالي، واستغربه الرافعي جدًّا.

---

(١) لوحة (٢٥١ ب).

(٢) ضعيف: رواه أحمد (٥/ ١٧١)، والبيهقي (٤/ ٣٠٧)، والبزار (١/ ٤٨٦-كشف)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٨٥)، وابن أبي شيبة (٢/ ٥١١)، وابن خزيمة (٢١٦٩). ورجاله ثقات عدا عكرمة بن عمار فإنه صدوق يغلط، ومرثد الزماني: مقبول.

(٣) ضعيف: رواه أبو داود (١٣٨٧)، وأبو إسحاق مدلِّس وقد عنعن، وقد رواه موقوفًا من طريق شعبة وسفيان عنه كما ذكر أبو داود فيكون هذا هو المحفوظ.

فصل

ثمَّ قد قِيلَ: إنَّها تكون في أوَّل ليلةٍ مِن شهر رمضانَ، يحكىٰ هذا عن أبي رَزِينٍ. وقيل: إنَّها تقع ليلةَ سبعَ عشرة. وروىٰ فيه أبو داود حديثًا مرفوعًا(١) عن ابن مسعود. وروي موقوفًا عليه، وعلىٰ زيد بن أرقم، وعثمان بن أبي العاص.

وهو قول عن محمَّد بن إدريس الشافعي، ويحكىٰ عن الحسن البصري. ووجهوه بأنَّها ليلة بدرٍ، وكانت ليلة جمعة هي السابعة عشر من شهر رمضان، وفِي صَبِيحَتِهَا كانت وقعة بدر، وهو اليَوْمُ الَّذِي قال الله تعالىٰ فيه: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١].

وقيل: ليلة تسع عشرةَ، يحكىٰ عن علي وابن مسعود أيضًا رضي الله عنهما.

وقيل: ليلة إحدىٰ وعشرين؛ لحديث أبي سعيدٍ الخدري قال: اعتكف رسولُ الله ﷺ في العشر الأوَّل من رمضان(٢) واعتكفنا معه، فأتاه جبريلُ فقال: إنَّ الَّذِي تطلب أمامك. فاعتكف العشر الأوسط فاعْتَكَفْنَا معه، فأتاه جبريل فقال: إنَّ الَّذِي تطلب أمامك. ثم قام النَّبيُّ ﷺ خطيبًا صبيحة عشرين من رمضان، فقال: «**مَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعِي فَلْيَرْجِعْ، فَإِنِّي رَأَيْتُ لَيْلَةَ القَدْرِ، وَإِنِّي أُنْسِيتُهَا، وَإِنَّهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ وَفِي وِتْرٍ، وَإِنِّي رَأَيْتُ كَأَنِّي أَسْجُدُ فِي طِينٍ وَمَاءٍ**». وكان سقف المسجدِ جريدًا من النَّخل، وما نَرىٰ في السَّماء شيئًا، فجاءَتْ قَزَعَةٌ(٣) فَمُطرنا، فصلَّىٰ بنا النَّبيُّ ﷺ حتىٰ رأيت أثر الطِّين والماء علىٰ جبهة رسول الله ﷺ تصديق رؤياه. وفي لفظ: «**فِي صُبْحِ إِحْدَىٰ وَعِشْرِينَ**» أخرجاه في «الصَّحيحين»(٤).

قال الشَّافعي: وهذا الحديثُ أصحُّ الرِّوايات.

وقيل: ليلة ثلاث وعشرين؛ لحديث عبد الله بن أنيس في «صحيح مسلم»(٥) وهو قريب السِّياق مِن رواية أبي سعيد، فالله أعلم.

وقيل: ليلة أربع وعشرين، قال أبو داود الطيالسي: حدَّثنا حماد بن سلمة، عن الجُرَيري، عن أبي نَضْرَةَ، عن أبي سعيد؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَيْلَةُ القَدْرِ لَيْلَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ**» إسناده رجاله ثقات(٦).

وقال أحمد: حدَّثنا موسىٰ بن داود، حدَّثنا ابن لَهِيعةَ، عن يزيد بن أبي حَبِيبٍ، عن أبي الخير، عن الصنابحي، عن بلال قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْلَةُ القَدْرِ لَيْلَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ**»(٧).

---

(١) ضعيف: رواه أبو داود (١٣٨٤)، وفيه أبو إسحاق السبيعي: يرسل وقد عنعن، وحكيم بن سيف، مختلف فيه.

(٢) لوحة (٢٥٢ أ). (٣) القَزَعَة: قطعة من الغيم.

(٤) البخاري (٨١٣)، ومسلم (١١٦٧). (٥) مسلم (١١٦٨).

(٦) رجاله ثقات: رواه الطيالسي (٢١٦٧)، وفيه الجريري: وقد اختلط، ولا يضر فحماد بن سلمة روىٰ عنه قبل الاختلاط.

(٧) رواه أحمد (٦/ ١٢) من حديث بلال، وفيه ابن لهيعة وكان قد اختلط.

ابن لهيعة: ضعيف. وقد خالفه ما رواه البخاري عن أصبغ، عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن أبي عبد الله الصنابحي قال: أخبرني بلال - مؤذِّنُ رسول الله ﷺ- أنَّها أوَّل السَّبع من العشر الأواخر، فهذا الموقوف أصح(١)، والله أعلم. وهكذا رُوي عن ابن مسعود، وابن عبَّاس، وجابر، والحسن، وقتادة، وعبد الله بن وهب: أنها ليلة أربع وعشرين. وقد تقدم في سورة «البقرة» حديث واثلة بن الأسقع مرفوعًا: «**إِنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ لَيْلَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ**»(٢).

وقيل: تكون ليلة خمس وعشرين؛ لما رواه البخاري، عن عبد الله بن عبَّاس: أن رسول الله ﷺ قال: «**الْتَمِسُوهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَىٰ، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَىٰ، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَىٰ**»(٣)(٤). فَسَّره كثيرون بليالي الأوتار، وهو أظهر وأشهر. وحمله آخرون علىٰ الأشفاع كما رواه مسلم عن أبي سعيد، أنَّه حمله علىٰ ذلك. والله أعلم.

وقيل: إنَّها تكون ليلةَ سبعٍ وعشرين؛ لما رواه مسلم في «صحيحه» عن أبي بن كعب، عن رسول الله ﷺ: «**أَنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ**»(٥).

قال الإمام أحمد: حدَّثنا سفيان: سمعت عبدة وعاصمًا، عن زِرٍّ: سألت أبيَّ بن كعب قلت: أبا المنذر، إن أخاك ابن مسعود يقول: من يقم الحَولَ يُصبْ ليلة القدر. قال: يرحمه الله، لقد علم أنَّها في شهر رمضان، وأنها ليلة سبع وعشرين. ثمَّ حلف. قلت: وكيف تعلمون ذلك؟ قال: بالعلامة -أو: بالآية- التي أخبرنا بها، تطلع ذلك اليوم لا شعاع لهَا؛ أعني: الشَّمس(٦).

وقد رواه مسلم مِن طريق سفيان بن عيينة وشعبة والأوزاعي، عن عبدة(٧)، عن زِرٍّ، عن أبي، فذكره، وفيه: فقال: والله الذي لا إله إلا هو، إنَّها لفي رمضان -يحلف ما يستثني- والله إنِّي لَأَعْلَمُ أيَّ ليلةِ القدر، هي التي أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها، هي ليلة سبع وعشرين، وأمارتها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها(٨).

وفي الباب عن معاوية، وابن عمر، وابن عبَّاس، وغيرهم عن رسول الله ﷺ: أنَّها ليلة سبعٍ وعشرين.

---

(١) البخاري (٤٤٧٠).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٠٧)، وابن أبي حاتم (١٦٤٩)، والطبري (٢/ ١٤٥) ورجاله ثقات عدا عمران القطان: صدوق يهم، وأورد الألباني شاهدًا له من حديث ابن عباس. انظر «السلسلة الصحيحة» (١٥٧٥).

(٣) لوحة (٢٥٢ ب).

(٤) البخاري (٢٠٢١) ومسلم (١١٦٧).

(٥) مسلم (٧٦٢)، كتاب الصيام، باب فضل ليلة القدر.

(٦) مسلم (٧٦٢)، وأحمد (٥/ ١٣٠).

(٧) في (ز): (عن عبيدة)، والمثبت هو الصواب، وهو موافق لما في «صحيح مسلم».

(٨) «صحيح مسلم» (١٧٩)، (٧٦٢).

وهو قول طائفةٍ من السَّلف، وهو الجَادَّة من مذهب أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو رواية عن أبي حنيفة أيضًا. وقد حُكِيَ عن بعض السَّلف أنَّه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن، من قوله: ﴿هِيَ﴾ لأنَّها الكلمة السابعة والعشرون من السُّورة، والله أعلم.

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم الدَّبري، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا مَعْمَرٌ، عن قتادة وعاصم: أنهما سمعا عكرمة يقول: قال ابن عبَّاس: دعا عمر بن الخطَّاب أصحاب محمَّد ﷺ فسألهم عن ليلة القدر، فأجمعوا علىٰ أنَّها في العشر الأواخر. قال ابن عبَّاس: فقلت لعمر: إني لأعلم -أو: إني لأظنُّ- أي ليلة القدر هي؟ فقال عمر: أي ليلة هي؟ فقلت: سابعة تمضي -أو: سابعة تبقىٰ- من العشر الأواخر. فقال عمر[1]: ومِن أينَ علمتَ ذلك؟ قال ابن عبَّاس: فقلت: خلق الله سبع سمواتٍ، وسبع أرضين، وسبعة أيَّام، وإنَّ الشهر يدور علىٰ سبع، وخلق الإنسان من سبع، ويأكل من سبع، ويسجد علىٰ سبعٍ، والطواف بالبيت سبع، ورمي الجمار سبع... لأشياء ذكرها. فقال عمر: لَقَدْ فَطِنْتَ لأمرٍ ما فَطِنَّا له. وكان قتادة يَزيد عن ابن عبَّاس في قوله: ويأكل من سبع، قال: هو قول الله تعالىٰ: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا﴾ الآية [عبس: ٢٧، ٢٨][2].

وهذا إسنادٌ جيِّدٌ قويٌّ، ونصٌّ غريبٌ جدًّا، والله أعلم.

وقيل: إنَّها تكون في ليلة تسع وعشرين. قال أحمد بن حنبل:

حدَّثنا أبو سعيد مولىٰ بني هاشم[3]، حدَّثنا سعيد بن سلمة، حدَّثنا عبد الله بن محمَّد بن عقيل، عن عُمرَ بن عبد الرحمن، عن عبادة بن الصامت: أنه سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر، فقال رسول الله ﷺ: «**فِي رَمَضَانَ، فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فَإِنَّهَا فِي وِتْرٍ: إِحْدَىٰ وَعِشْرِينَ، أَوْ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ أَوْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ**»[4].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا سليمان بن داود -وهو: أبو داود الطيالسي- حدَّثنا عمران القطان، عن قتادة، عن أبي ميمونة، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر: «**إِنَّهَا لَيْلَةُ سَابِعَةٍ أَوْ تَاسِعَةٍ وَعِشْرِينَ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الحَصَىٰ**»[5].

---

(١) لوحة (٢٥٣ أ).

(٢) صحيح: رواه الطبراني (١٠/ ٣٢٢/ ١٠٦١٨)، والبيهقي (٤/ ٣١٣)، وعبد الرزاق (٧٦٧٩)، وابن خزيمة (٢١٧٤)، ورواه من طريق أخرىٰ: ابن خزيمة (٢١٧٢)، والحاكم (١/ ٤٣٧)، ومحمَّد بن نصر (ص١٨٢)، والبيهقي (٤/ ٣١٣)، وصححه الحاكم علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٣) في (ز): (حدثنا ابن سعيد مولىٰ ابن هشام)، والمثبت هو الصواب.

(٤) رواه أحمد (٥/ ٣١٨)، وفيه عبد الله بن محمَّد بن عقيل: مختلف فيه، لكن يشهد له الأحاديث المذكورة في الباب.

(٥) رواه أحمد (٢/ ٥١٩)، ورجاله ثقات غير أن قتادة: مدلس وقد عنعن، وعمران القطان: صدوق يهم.

تفرَّد به أحمد، وإسناده لا بأس به.

وقيل: إنَّها تكون في آخر ليلةٍ، لما تقدَّم مِن هذا الحديث آنفًا، ولما رواه التِّرمذي والنَّسائي، مِن حديث عُيينة بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي بكرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**فِي تِسْعٍ يَبْقَيْنَ، أَوْ سَبْعٍ يَبْقَيْنَ، أَوْ خَمْسٍ يَبْقَيْنَ، أَوْ ثَلَاثٍ، أَوْ آخِرِ لَيْلَةٍ**»(١). يعني: التمسوا ليلة القدر، وقال الترمذي: حسنٌ صحيحٌ.

وفي «المسند» من طريق أبي سلمة، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في ليلة القدر أنها آخر ليلة.

فصل

قال الإمام الشافعي في هذه الروايات: صدرت من النَّبيِّ ﷺ جوابًا للسَّائل إذ قيل له: ألتمس ليلة القدر في اللَّيلة الفلانية؟ يقول: «نَعَمْ». وإنَّما ليلة القدر ليلةٌ مُعَيَّنَةٌ: لا تنتقل. نقله التِّرمذي عنه بمعناه. وروي عن أبي قِلابَة أنَّه قال: [ليلة القدر](٢) تنتقل في العشر الأواخر.

وهذا الذي(٣) حكاه عن أبي قلابة نص عليه مالك، والثوري، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو ثور، والمزني، وأبو بكر بن خُزيمةَ، وغيرهم. وهو محكيٌّ عن الشَّافعيِّ، نقله القاضي عنه، وهو الأشبه، والله أعلم.

وقد يستأنس لهذا القول بما ثبت في «الصَّحيحين» عن عبد الله بن عُمر: أنَّ رجالًا من أصحاب النَّبيِّ ﷺ أُرُوا ليلةَ القدرِ في المنامِ في السَّبع الأواخر مِن رمضان، فقال رسول الله ﷺ: «**أَرَىٰ رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ**»(٤).

وفيهما أيضًا عن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: «**تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي الوِتْرِ مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**» ولفظه للبخاري(٥).

ويحتج للشافعي أنَّها لا تنتقل، وأنَّها معيَّنة من الشَّهر، بما رواه البخاري في «صحيحه» عن عبادة بن الصامت قال: خرج رسول الله ﷺ ليُخْبِرَنَا بليلةِ القدر، فتَلاحىٰ رجلان من المسلمين، فقال: «**خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، فَتَلَاحَىٰ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَرُفِعَتْ، وَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالخَامِسَةِ**»(٦).

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٧٩٤)، والذي عنده (أو في ثالث أواخر ليلة).

(٢) سقط من (ز).

(٣) لوحة (٢٥٣ ب).

(٤) البخاري (١١٥٨)، ومسلم (١١٦٥).

(٥) البخاري (٢٠١٧)، ومسلم (١١٦٩).

(٦) البخاري (٢٠٢٣).

وجه الدَّلالة منه: أنَّها لو لم تكن معينةً مستمرة التَّعيين، لما حصل لهم العلم بعينها في كل سنةٍ، إذ لو كانت تنتقل لما علموا تَعيُّنها إلا ذلك العام فقط، اللَّهمَّ إلَّا أن يقال: إنَّه إنَّما خرج ليعلمهم بها تلك السَّنةَ فقط.

وقوله: «فَتَلَاحَىٰ فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَرُفِعَتْ»: فيه استئناس لما يقال: إنَّ المماراة تقطع الفائدة والعلم النَّافع، وكما جاء في الحديث: «إِنَّ العَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ»[١].

وقوله: «فَرُفِعَتْ» أي: رفع علم تَعينها لكم، لا أنها رفعت بالكليَّة من الوجود، كما يقوله جهلة الشِّيعة؛ لأنَّه قد قال بعد هذا: «فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالخَامِسَةِ».

وقوله: «وَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ» يعني: عدم تعيينها لكم، فإنَّها إذا كانت مبهمةً اجتهد طُلَّابها في ابتغائها في جميع محالِّ رجائها، فكان أكثر للعبادة، بخلاف ما إذا علموا عينها فإنَّها كانت الهمم تتقاصر علىٰ قيامها فقط. وإنَّما اقتضت الحكمة إبهامها لتَعُمَّ العبادة جميع الشَّهر في ابتغائها، ويكون الاجتهاد في[٢] العشر الأواخر أكثر. ولهذا كان رسول الله ﷺ يَعْتَكِفُ العشر الأواخرَ مِن رمضان، حتىٰ توفَّاه الله ﷻ. ثم اعتكف أزواجهُ من بعده. أخرجاه من حديث عائشة[٣].

ولهما عن ابن عمر: كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان[٤].

وقالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا دخل العَشْرُ، أحيا اللَّيل، وأيقظ أَهْلَهُ، وشَدَّ المِئْزَر. أخرجاه[٥].

ولمسلم عنها كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيره[٦].

وهذا معنىٰ قولها: «وشَدَّ المئزر». وقيل: المراد بذلك: اعتزال النِّساء. ويحتمل أن يكون كناية عن الأمرين، لما رواه الإمام أحمد: حدَّثنا سُرَيجٌ، حدَّثنا أبو مَعْشَرٍ، عن هشام بن عُرْوَةَ، عن أبيه، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا بَقِيَ عشر مِن رمضان شَدَّ مِئْزَرَهُ، واعتزل نساءَهُ[٧]. انفرد به أحمد.

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٧٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٧٧٥)، وابن ماجة (٩٠)، قال البوصيري: سألت شيخنا أبا الفاضل العراقي عن هذا الحديث فقال: هذا حديث حسن. وصححه المنذري في «الترغيب والترهيب»، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (١٤٥٢)، والراجح تضعيفه لجهالة عبد الله بن أبي الجعد، لكن الجملتين الأخيرتين لهما شواهد. انظر «الصحيحة» للألباني (١٥٤).

(٢) لوحة (٢٥٤ أ).

(٣) البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢).

(٤) البخاري (٢٠٢٥)، ومسلم (١١٧١).

(٥) البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).

(٦) مسلم (١١٧٥).

(٧) صحيح: رواه أحمد (٦/ ٦٦).

وقد حكي عن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ جميع ليالي العشر في تطلب ليلة القدر على السَّواء، لا يترجَّح منها ليلة على أخرى. رأيته في شرح الرافعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

والمستحب الإكثار من الدُّعاء في جميع الأوقات، وفي شهر رمضان أكثر، وفي العشر الأخير منه، ثم في أوتاره أكثر. والمستحب أن يكثر من هذا الدُّعاء: «**اللَّهُمَّ، إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ، فَاعْفُ عَنِّي**»[(١)]؛ لما رواه الإمام أحمد: حدَّثنا يزيد -هو ابن هارون- حدَّثنا الجريري -وهو سعيد بن إياس- عن عبد الله بن بُريدة، أن عائشة قالت: يا رسول الله، إن وَافَقْتُ ليلة القدر فما أدعو؟ قال: «**قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ، فَاعْفُ عَنِّي**».

وقد رواه التِّرمذي، والنسائي، وابن ماجه، من طريق كَهْمَس بن الحسن، عن عبد الله بن بريدة، عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن علمْتُ أي ليلةٍ ليلةُ القدر، ما أقول فيها؟ قال: «**قُولِي: اللَّهُمَّ، إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ، فَاعْفُ عَنِّي**».

وهذا لفظ التِّرمذي، ثم قال: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه الحاكم في «مستدركه»، وقال: هذا صحيحٌ على شرط الشيخين، ورواه النَّسائي أيضًا من طريق سفيان الثوري، عن علقمة بن مَرثَدٍ، عن سليمان بن بُرَيدةَ عن عائشة قالت: يا رسول الله، أرأيتَ إن وافقتُ ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «**قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ**[(٢)]**، فَاعْفُ عَنِّي**»[(٣)].

ذُكِرَ أثرٌ غريبٌ ونبأٌ عجيبٌ، يتعلَّق بليلة القدر، رواه الإمام أبو محمَّد بن أبي حاتم، عند تفسير هذه السورة الكريمة فقال:

حدَّثنا أبي، حدَّثنا عبد الله بن أبي زياد القَطواني، حدَّثنا سيار بن حاتم، حدَّثنا موسى بن سعيد -يعني الراسبي- عن هلال أبي[(٤)] جبلة، عن أبي عبد السَّلام، عن أبيه، عن كعب أنه قال: إن سدرة المنتهى على حدِّ السَّماء السَّابعة[(٥)]، مما يلي الجنَّة، فهي على حَدِّ هواء الدنيا وهواء الآخرَةِ، [عُلوها][(٦)] في الجنَّة، وعروقها وأغصانها من تحت الكُرْسِيِّ، فيها ملائكة لا يعلم عدَّتهم إلا الله عَزَّ وَجَلَّ يعبدون الله عَزَّ وَجَلَّ على أغصانها في كلِّ موضعِ شعرة منها مَلَكٌ. ومقام جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في وسطها، فينادي الله جبريلَ أن ينزل في كلِّ ليلةِ قَدْرٍ مع الملائكة الذين يسكنون سدرة المنتهى، وليس فيهم ملك إلا قد أُعطِيَ الرَّأفة

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١٨٢)، والترمذي (٧٧١٢)، والنسائي في «الكبرى» (٧٦٦٥) (١٠٦٤٢) (١٠٦٤٣)، وابن ماجة (٣٨٥٠)، والحاكم (١/ ٥٣٠).

(٢) لوحة (٢٥٤ ب).

(٣) النسائي في «الكبرى» (١٠٦٤٧).

(٤) في (ز): (عن هلال بن أبي حيلة)، والمثبت هو الصواب.

(٥) في (ز): (السماء الرابعة)، والمثبت موافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم».

(٦) بياض في (ز).

والرَّحمة للمؤمنين، فينزلون[١] علىٰ جبريل في ليلة القدر، حين تغرُبُ الشَّمس، فلا تبقىٰ بقعةٌ في ليلةِ القدر إلا وعليها مَلَكٌ، إمَّا ساجدٌ وإمَّا قائمٌ، يدعو للمُؤْمِنِين والمؤمنات، إلا أن تكون كنيسة أو بيعة، أو بيت نارٍ أو وثنٍ، أو بعض أماكنكم التي تَطْرَحُون فيها الخبَث، أو بيت فيه سكران، أو بيت فيه مُسكر، أو بيت فيه وثن منصوب، أو بيت فيه جرس مُعَلَّق، أو مبولة، أو مكان فيه كساحة البيت، فلا يزالون ليلتهم تلك يدعون للمؤمنين والمؤمنات، وجبريل لا يَدَعُ أحدًا من المؤمنين[٢] إلا صَافَحَهُ، وعلامة ذلك مَن اقشعر جلدهُ ورقَّ قلبهُ ودَمعَتْ عيناه، فإنَّ ذلك مِن مصافحةِ جبريل[٣].

وذكر كعب أنَّه مَن قال في ليلة القدر: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» ثلاث مرات غَفَرَ الله له بواحدةٍ، ونجا من النَّار بواحدةٍ، وأدخله الجنَّة بواحدةٍ. فقلنا لكعب الأحبار: يا أبا إسحاق، صادقًا؟ فقال كعب وهل يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» في ليلة القدر إلا كلُّ صادقٍ؟ والَّذِي نفسي بيده، إن ليلة القدر لتَثْقُلُ علىٰ الكافر والمنافق، حتَّىٰ كأنَّها علىٰ ظهرِهِ جبلٌ، فلا تزال الملائكة هكذا حتىٰ يطلعَ الفجر. فأوَّل مَن يصعد جبريل حتَّىٰ يكون في وجه الأفق الأعلىٰ من الشَّمس، فيبسط جناحيه -وله جناحان أخضران، لا ينشرهما إلا في تلك الساعة- فتصير الشَّمس لا شعاع لها، ثم[٤] يدعو مَلَكًا مَلَكًا فيصعد، فيجتمع نور الملائكة ونور جناحي جبريل، فلا تزال الشَّمس يومها ذلك مُتَحَيِّرةً، فيُقِيمُ جبريل ومَن معه بين الأرض وبين السَّماء الدُّنيا يومهم ذلك، في دعاءٍ ورحمةٍ واستغفارٍ للمؤمنين والمؤمنات، ولِمَنْ صام رمضان احتسابًا، ودعاءً لمن حَدَّث نفسه إن عاش إلىٰ قابلٍ صام رمضان لله. فإذا أَمْسَوْا دخلوا السَّماء الدنيا، فيجلسون حلقًا حلقًا فتجتمع إليهم ملائكة سماءِ الدُّنيا، فيسألونهم عن رجلٍ رجلٍ، وعن امرأةٍ امرأةٍ فيُحَدِّثُونَهُمْ حتىٰ يقولوا: ما فعل فلان؟ وكيف وجدتموه العامَ؟ فيقولون: وجدنا فلانًا عامَ أوَّل في هذه الليلة متعبدًا، ووجدناه العام مبتدعًا، ووجدنا فلانًا مبتدعًا، ووجدناه العام عابدًا قال: فيكفون عن الاستغفار لذلك، ويُقْبِلُونَ علىٰ الاستغفار لهذا، ويقولون: وجدنا فلانًا وفلانًا يذكرَانِ الله، ووجدنا فلانًا راكعًا، وفلانًا ساجدًا، ووجدناه تاليًا لكتاب الله. قال: فهُم كذلك يومهم وليلتهم، حتىٰ يصعدون إلىٰ السَّماء الثَّانية، ففي كل سماءٍ يوم وليلة، حتىٰ ينتهوا مكانهم من سدرةِ المنتهىٰ، فتقول لهم سدرة المنتهىٰ: يا سكاني، حدِّثوني عن النَّاس وسمُّوهُم لي. فإنَّ لي عليكم حقًّا، وإنِّي أحبُّ مَن أحبَّ الله. فذكر كعب الأحبار أنَّهم يَعدُّون لها، ويحكون لها الرَّجل والمرأة بأسمائهم وأسماء آبائهم. ثم تقبل الجنَّة علىٰ السِّدرة فتقول: أخبريني بما أخبرك سكَّانك من الملائكة. فتخبرها، قال: فتقول الجنة: رحمةُ الله علىٰ فلانٍ،

---

(١) في (ز): (فيقولون). (٢) في (ز): (من الناس).

(٣) رواه ابن أبي حاتم (١٩٤٢٨)، وهو من كلام كعب الأحبار، وأشبه أن يكون من الإسرائيليات، ومثل هذا لا يقال بالرأي، فلا يقبل إلا بخبر صحيح عن رسول الله ﷺ.

(٤) لوحة (٢٥٥ أ).

ورحمةُ الله علىٰ فلانة، اللَّهمَّ عجِّلهم إليَّ، فيبلغ جبريل مكانه قبلهم، [فيلهمه][(١)] الله فيقول: وجدت فلانًا ساجدًا فاغفر له. فيغفر له، فَيُسْمِعُ جبريلُ جميعَ حملة العرش فيقولون: رحمة الله علىٰ فلان، ورحمة الله علىٰ فلانة، ومغفرته لفلان، ويقول: يا رب، وجدت عبدك فلانًا الذي وجدته عام أول علىٰ السُّنَّة والعبادة، ووجدته العام قد أحدث حدثًا وتولىٰ[(٢)] عمَّا أُمِرَ به. فيقول الله: يا جبريل، إن تاب فأعتبني قبل أن يَمُوتَ بثلاثِ ساعاتٍ غَفَرْتُ له. فيقول جبريل: لك الحمد إلهي، أنت أرحم مِن جميع خلقك، وأَنْت أرحم بعبادك مِن عبادك بأنفسهم، قال: فيرَتَجُّ العرش وما حوله، والحُجُبُ و السَّموات ومن فيهن، تقول: الحمد لله الرحيم، الحمد لله الرحيم[(٣)].

قال: وذكر كعب أنَّه مَن صام رمضان -وهو يحدِّث نفسه إذا أفطر بعد رمضان ألا يعصي الله- دخل الجنة بغير مسألةٍ ولا حسابٍ.

آخر تفسير [سورة][(٤)] ليلة القدر[(٥)].

---

(١) سقط من (ز).

(٢) في (ز): (ونقل عما أمرته).

(٣) من كلام كعب الأحبار، ولم أقف علىٰ إسناده، وأيا كان فلم يثبت ذلك عن النبي ﷺ، ومعلوم أن كعب الأحبار يروي الإسرائيليات.

(٤) سقط من (ز).

(٥) لوحة (٢٥٥ ب).

سورة البينة

تفسير سورة ﴿لَمۡ يَكُنِ﴾، وهي مدنية

قال الإمام أحمد: حدَّثنا عفان، حدَّثنا حماد -وهو ابن سلمة- أخبرنا علي -هو ابن زيد- عن عمَّار ابن أبي عمَّار قال: سمعت أبا حَيَّة البدري -وهو: مالك بن عمرو بن ثابت الأنصاري- قال: لما نزلت: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ إلىٰ آخرها، قال جبريل: «يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَهَا أُبَيًّا». فقال النَّبيُّ ﷺ لأُبيٍّ: «إِنَّ جِبْرِيلَ أَمَرَنِي أَنْ أُقْرِئَكَ هَذِهِ السُّورَةَ». قال أُبيٌّ: وقد ذُكِرْتُ ثَمَّ يا رسول الله؟ قال: «نَعَمْ». قال: فبكىٰ أُبَيٌّ (١).

حديث آخر: وقال الإمام أحمد: حدَّثنا محمَّد بن جعفر، حدَّثنا شعبة، سمعت قتادة، يحدث عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لأُبيِّ بن كعب: «إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾» قال: وَسَمَّانِي لك؟ قال: «نَعَمْ». فبكىٰ (٢).

ورواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، من حديث شعبة به (٣).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدَّثنا مُؤَمَّل، حدَّثنا سفيان، حدَّثنا أسلم المنقري، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أَبْزَىٰ، عن أبيه، عن أبي بن كعب قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ سُورَةَ كَذَا وَكَذَا». قلت: يا رسول الله، وقد ذُكِرْتُ هناك؟ قال: «نَعَمْ». فقلت له: يا أَبَا المنذِرِ، فَفَرحت بذلك. قال: وما يمنعني والله يقول: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]. قال مؤمل: قلت لسفيان: القراءة في الحديث؟ قال: نعم (٤). تفرَّد به من هذا الوجه.

طريق أخرىٰ: قال أحمد: حدَّثنا محمَّد بن جعفر وحجاج قالا: حدَّثنا شعبة، عن عاصم بن بَهْدَلَةَ، عن زرِّ بن حبيش، عن أبي بن كعب قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال لي: «إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ القُرْآنَ». قال: فقرأ: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قال: فقرأ فيها: «ولَوْ أَنَّ ابنَ آدَمَ سأل واديًا مِن مال فأُعْطِيَه لسَأَلَ ثانيًا، ولو سَأَلَ ثانيًا فأُعطِيَه لسَأَلَ ثالثًا، ولا يملأُ جوفَ ابنِ آدَمَ إلَّا التُّرابُ، ويتُوبُ الله عَلَىٰ مَنْ تَابَ. وإن ذلك (٥) الدِّين عند الله الحَنِيفيَّة، غير المشركة ولا اليَهُودِيَّة

---

(١) حسن لغيره: رواه أحمد (٣/ ٤٨٩)، وفيه علي بن زيد: ضعيف، لكن يشهد له رواية أنس الآتية.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣/ ١٣٠) وانظر ما بعده.

(٣) البخاري (٣٨٠٩)، ومسلم (٧٩٩)، والترمذي (٣٧٩٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٩١).

(٤) رواه أحمد (٥/ ١٢٣): وفيه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزىٰ: مقبول. لكن يشهد للحديث ما تقدم دون قراءة الآية.

(٥) في (ز): (إن دار).

ولا النَّصرانيَّة، ومَن يفعل خيرًا فلَن يُكفَرَهُ»[١].

ورواه التِّرمذي مِن حديث أبي داود الطَّيالسي، عن شعبة به، وقال: حسن صحيح.

طريق[٢] أخرىٰ: قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدَّثنا أحمد بن خليد الحلبي، حدَّثنا محمَّد بن عيسىٰ الطَّبَّاع، حدَّثنا معاذ بن محمَّد بن معاذ بن أبي بن كعب، عن أبيه، عن جده، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا المُنْذِرِ، إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ القُرْآنَ». قال: بالله آمنتُ، وعلىٰ يَدك أسلمت، ومنك تعلمتُ. قال: فرد النَّبيُّ ﷺ القول. قال فقال: يا رسول الله، أذكرت هناك؟ قال: «نَعَمْ، بِاسْمِكَ وَنَسَبِكَ فِي المَلَإِ الأَعْلَىٰ». قال: فاقرأ إذًا يا رسول الله[٣].

هذا غريبٌ من هذا الوجه، والثابت ما تقدم. وإنما قرأ عليه النَّبيُّ ﷺ هذه السورة تثبيتًا له، وزيادة لإيمانه، فإنه -كما رواه أحمد والنسائي، من طريق أنس عنه.

ورواه أحمد وأبو داود، من حديث سليمان بن صُرَد عنه، ورواه أحمد عن عفان، عن حماد، عن حميد، عن أنس، عن عبادة بن الصامت عنه.

ورواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي، من حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد[٤] الله بن عيسىٰ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ عنه كان قد أنكر علىٰ إنسان- وهو عبد الله بن مسعود- قراءة شيءٍ مِن القرآن علىٰ خلاف ما أقرأه رسول الله ﷺ فرفعه إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فاستقرأهما، وقال، لكلٍّ منهما: «أَصَبْتَ». قال أُبَيٌّ: فأخذني من الشَّكِّ ولا إذ كنت في الجاهليَّة. فضرب رسول الله ﷺ في صدره، قال أبي: فَفضتُ عرَقًا، وكأنَّما أنظر إلىٰ الله فرقًا. وأخبره رسول الله ﷺ أنَّ جبريل أتاه فقال: «إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ القُرْآنَ عَلَىٰ حَرْفٍ. فَقُلْتُ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ. فَقَالَ: عَلَىٰ حَرْفَيْنِ». فلم يَزَلْ حَتَّىٰ قال: «إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ القُرْآنَ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»[٥].

كما قدمنا ذكر هذا الحديث بطرقه وألفاظه في أول التفسير. فلما نزلت هذه السورة الكريمة وفيها: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ۝٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ﴾ قرأها عليه رسول الله ﷺ قراءة إبلاغ وتثبيت وإنذارٍ، لا قراءة تعلمٍ واستذكارٍ، والله أعلم.

وهذا كما أن عمر بن الخطاب لما سأل رسول الله ﷺ يوم الحديبية عن تلك الأسئلة، وكان فيما قال: أوَلَمْ تكن تخبرنا أنَّا سنأتي البيت ونطوف به؟ [قال: «بَلَىٰ، أَفَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ عَامَكَ هَذَا؟». قال: لا، قال:

---

(١) رواه أحمد (٥/ ١٣١)، والترمذي (٣٧٩٣)، رجاله ثقات غير أن عاصمًا له أوهام، فيخشىٰ أن يكون ذكر القرآن من أوهامه، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) لوحة (٢٥٦ / أ).

(٣) ضعيف: رواه الطبراني (١/ ٢٠٠/ ٥٣٩)، وفيه محمَّد بن معاذ: مقبول، وأبوه: مجهول.

(٤) في (ز): (عن عبيد الله)، وهو خطأ.

(٥) مسلم (٨٢٠)، وأحمد (٥/ ١١٤، ١٢٤، ١٢٧)، وأبو داود (١٤٧٧) (١٤٧٨)، والنسائي (٢/ ١٥٢).

«فَإِنَّكَ آتِيهِ، وَمُطَوِّفٌ بِهِ»][(١)]. فلمَّا[(٢)] رجعوا من الحديبية، وأنزل الله على النبيِّ ﷺ سورة «الفتح»، دعا عمر بن الخطاب وقرأها عليه، وفيها قوله: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ الآية [الفتح: ٢٧]، كما تقدم[(٣)].

وروى الحافظ أبو نُعَيم في كتابه «أسماء الصحابة» من طريق محمَّد بن إسماعيل الجعفري المدني: حدَّثنا عبد الله بن سلمة بن أسلم، عن ابن شهاب، عن إسماعيل بن أبي حكيم المدني، أحد بني فضيل[(٤)]، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللهَ لَيَسْمَعُ قِرَاءَةَ ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ عَبْدِي، فَوَعِزَّتِي لَأُمَكِّنَنَّ لَكَ فِي الجَنَّةِ حَتَّىٰ تَرْضَىٰ»[(٥)].

حديثٌ غريبٌ جدًّا. وقد رواه الحافظ أبو موسىٰ المديني وابن الأثير، من طريق الزهري، عن إسماعيل بن أبي حكيم[(٦)]، عن نَظير[(٧)] المزني -أو: المدني- عن النَّبيِّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيَسْمَعُ قِرَاءَةَ ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وَيَقُولُ: أَبْشِرْ عَبْدِي، فَوَعِزَّتِي لا أَنْسَاكَ عَلَىٰ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلَأُمَكِّنَنَّ لَكَ فِي الجَنَّةِ حَتَّىٰ تَرْضَىٰ»[(٨)].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ[(٩)] ۝١ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ۝٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ۝٣ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝٤ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾

أمَّا أهل الكتاب فهم: اليهود والنَّصارىٰ، والمشركون: عَبَدةُ الأوثان والنِّيران، من العَرَبِ ومن العَجَمِ. وقال مجاهد: لم يكونوا ﴿مُنفَكِّينَ﴾ يعني: مُنْتَهِينَ حتىٰ يتبيَّن لهم الحقُّ. وكذا قال قتادة.

﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾؛ أي: هذا القرآن؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (ز). (٢) لوحة (٢٥٦ / ب).

(٣) تقدم (سورة الفتح آية ٢٧). (٤) في «معرفة الصحابة» : (ثم أخذ بني فضيل).

(٥) ضعيف: رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٠٨٣- بتحقيقي) وقال: هو عندي إسناد منقطع. لم يذكر أحد إسماعيل بن أبي حكيم في الصحابة.

(٦) في (ز): (أبي كليم)، والمثبت هو الصواب. (٧) في (ز): (مطر).

(٨) ضعيف: عزاها لأبي موسىٰ المديني، وابن الأثير (٥/ ٣٢٥). ومدار الحديث علىٰ عبد الله بن سلمة بن أسلم: واهي الحديث. انظر: «الإصابة» (٣/ ٥٥٨).

(٩) قال الشيخ القاسمي رحمه الله: دلت هذه الآية والتي قبلها علىٰ أن عنوان المشركين، لا يتناول أهل الكتاب في عرف القرآن، بل هو خاصٌّ بالوثنيين؛ أعني: من يدينون بالإشراك وتعدد الأرباب، فأهل الكتاب - وهم اليهود والنصارىٰ - لا يتناولهم ذلك العنوان وإن دخل في عقائدهم الشرك؛ لأنه دخيلٌ لا أصيل، ولذلك ينفرون من وصمة الشرك، وبسببه حل النكاح منهم دون الوثنيين.

﴿وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ ثم فسَّر البيِّنة بقوله: ﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ﴾ يعني: محمَّدًا ﷺ، وما يتلوه مِن القرآن العظيم، الَّذي هو مكتتبٌ في الملإ الأعلىٰ، في صحفٍ مطهرةٍ كقوله: ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾ [عبس: ١٣ - ١٦].

وقوله: ﴿فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ﴾ قال ابن جرير: أي[1] في الصُّحُفِ المطهَّرة كتب من كتب الله قيمة: عادلةٌ مستقيمةٌ، ليس فيها خطأٌ؛ لأنَّها مِن عند الله ﷻ[2].

قال قتادة: ﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ﴾: يذكر القرآن بأحسن الذِّكر، ويثني عليه بأحسن الثَّناء.

وقال ابن زيد: ﴿فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ﴾: مستقيمةٌ معتدلةٌ.

وقوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ كقوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [آل عمران: ١٠٥] يعني بذلك: أهل الكتب المنزَّلة علىٰ الأمم قبلنا، بعد ما أقام الله عليهم الحُجَجَ والبيِّنات تفرقوا واختلفوا في الذي أراده الله مِن كتبهم، واختلفوا اختلافًا كثيرًا، كما جاء في الحديث المروي من طرق: «**إِنَّ الْيَهُودَ اخْتَلَفُوا عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ النَّصَارَىٰ اخْتَلَفُوا عَلَىٰ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**». قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»[3].

وقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ كقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]؛ ولهذا قال: حنفاء؛ أي: مُتحنفين عن الشرك إلىٰ التوحيد. كقوله: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقد تقدم تقرير الحنيف في سورة «الأنعام» بما أغنىٰ عَن إعادته هاهنا.

﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وهي أشرف عبادات البدن، ﴿وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وهي الإحسان إلىٰ الفقراء والمحاويج. ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾؛ أي: الملة القائمة العادلة، أو: الأمَّة المستقيمة المعتدلة.

وقد استدلَّ كثيرٌ من الأئمَّة -كالزُّهري والشَّافعي- بهذه الآية الكريمة علىٰ أنَّ الأعمال داخلةٌ في الإيمان؛ ولهذا قال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾

---

(١) في (ز): (إن في). (٢) لوحة (٢٥٧ / أ). (٣) صحيح: تقدم في تفسير أول سورة آل عمران.

يُخبِرُ تعالىٰ عن مآلِ الفجَّار، مِن كفرةِ أهل الكتاب، والمشركين المخالفين لكتب الله المنزَّلة وأنبياء الله المرسَلَةِ: أنَّهم يوم القيامة ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾؛ أي: ماكثين[1]، لا يحولون عنها ولا يزولون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ أي: شر الخليقة التي برأها الله وذرأها.

ثم أخبر تعالىٰ عن حال الأبرار -الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بأبدانهم- بأنَّهم خير البرية.

وقد استدلَّ بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء، علىٰ تفضيل المؤمنين من البرية علىٰ الملائكة؛ لقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾.

ثم قال: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: يوم القيامة، ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾؛ أي: بلا انفصالٍ، ولا انقضاءٍ، ولا فراغٍ.

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ ومقام رضاه عنهم أعلىٰ مما أوتوه من النَّعيم المقيم، ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ فيما منحهم من الفضل العميم.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾؛ أي: هذا الجزاء حاصلٌ لمَنْ خَشِيَ الله واتَّقاه حقَّ تقواه، وعبده كأنَّه يراه، وقد علم أنَّه إن لم يَرَهُ فإنَّه يراه.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا إسحاق بن عيسىٰ، حدَّثنا أبو معشر[2]، عن أبي وهب -مولىٰ أبي هريرة- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ البَرِيَّةِ؟» قالوا: بلىٰ يا رسول الله. قال: «رَجُلٌ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، كُلَّمَا كَانَتْ هَيْعَةٌ[3] اسْتَوَىٰ عَلَيْهِ. أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ البَرِيَّةِ؟» قالوا: بلىٰ يا رسول الله. قال: «رَجُلٌ فِي ثُلَّةٍ مِنْ غَنَمِهِ، يُقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ. أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ البَرِيَّةِ؟». قالوا: بلىٰ. قال: «الَّذِي يَسْأَلُ بِاللهِ، وَلَا يُعْطِي بِهِ»[4][5].

آخر تفسير سورة ﴿لَمْ يَكُنِ﴾.

(١) لوحة (٢٥٧ / ب). (٢) في (ز): (أبو معن)، وهو خطأ.

(٣) الهيعة: الصوت الذي تفزع منه وتخافه من عدو.

(٤) معنىٰ: (الذي يسأل بالله...): الذي يجمع بين القبحين؛ أحدهما: السؤال بالله، والثاني: عدم الإعطاء لمن يسأل به تعالىٰ.

(٥) ضعيف بهذا السياق، وأصله صحيح دون ذكر شر البرية: رواه أحمد (٢/ ٣٩٦)، وفيه أبو معشر: ضعيف وقد اختلط، وأبو وهب مولىٰ أبي هريرة، قال ابن سعد: كان قليل الحديث انظر: «تعجيل المنفعة» (صـ٥٣٧)، ولكن ثبت الحديث من طرقٍ أخرىٰ عن أبي هريرة نحوه دون قوله: ألا أنبئكم بشر البرية: رواه أحمد (٩٧٢٣)، ومسلم (١٨٨٩)، وابن ماجة (٣٩٧٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٨٣٠) (١١٢٧٧).

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

تفسير سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾، وهي مكيَّة

قال الإمام أحمد: حدَّثنا أبو عبد الرحمن، حدَّثنا سعيد، حدَّثنا عياش بن عبَّاس، عن عيسىٰ بن هلال الصَّدفي، عن عبد الله بن عمرو قال: أتىٰ رجلٌ إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: أقرئني يا رسول الله. قال له: «**اقْرَأْ ثَلَاثًا مِنْ ذَوَاتِ ﴿الٓر﴾**». فقال له الرَّجل: كبُر سنِّي واستدَّ[1] قلبي، وغلُظ لساني. قال: «**فَاقْرَأْ مِنْ ذَاتِ ﴿حمٓ﴾**»، فقال مثل مقالته الأولىٰ. فقال: «**اقْرَأْ ثَلَاثًا مِنَ الْمُسَبِّحَاتِ**»، فقال مثل مقالته. فقال الرجل: ولكن أقرئني -يا رسول الله- سورة جامعة. فأقرأه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ حتىٰ إذا فرغ منها قال الرجلُ: والذي بعثك بالحق، لا أَزيدُ[2] عليها أبدًا. ثم أدبَرَ الرَّجل، فقال رسول الله ﷺ: «**أَفْلَحَ الرُّوَيْجِلُ! أَفْلَحَ الرُّوَيْجِلُ!**» ثم قال: «**عَلَيَّ بِهِ**». فجاءه فقال له: «**أُمِرْتُ بِيَوْمِ الأَضْحَىٰ جَعَلَهُ اللهُ عِيدًا لِهَذِهِ الأُمَّةِ**». فقال له الرَّجل: أرأيت إن لم أجد إلا مَنيحَة[3] أنثىٰ[4] فأُضَحِّي بها؟ قال: «**لا، وَلَكِنَّكَ تَأْخُذُ مِنْ شَعْرِكَ، وَتُقَلِّمُ أَظْفَارَكَ، وَتَقُصُّ شَارِبَكَ، وَتَحْلِقُ عَانَتَكَ، فَذَاكَ تَمَامُ أُضْحِيَتِكَ عِنْدَ اللهِ ﷻ**»[5].

وأخرجه أبو داود والنسائي، من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ به.

وقال الترمذي: حدَّثنا محمَّد بن موسىٰ الحَرَشي[6] البصري: حدَّثنا الحسن بن سلْم[7] بن صالح العجلي، حدَّثنا ثابت البُناني، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ عُدِلَتْ لَهُ بِنِصْفِ الْقُرْآنِ**»[8]. ثم قال: هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلَّا من حديث الحسن بن سلم[9].

---

(١) معنىٰ استد هنا: استقام علىٰ حالة لا يطيق معها أن يقرأ هذه السور.

(٢) لوحة (٢٥٨ / أ).

(٣) أصل المنيحة: ما يعطيه الرجل غيره ليشرب لبنها ثم يردها عليه، ثم يقع علىٰ كل شاة؛ لأن من شأنها أن يمنح بها، وهو المراد هنا، وإنما منعه لأنه لم يكن عنده غيرها ينتفع به، ويحتمل أن المراد هنا ما أعطاه غيره ليشرب اللبن، ومنعه؛ لأنه ملك الغير.

(٤) في (ز): (منيحة ابني)، وكذا في «المسند»، والمثبت من «النسائي» و«أبي داود».

(٥) رواه أبو داود (١٣٩٩)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٥٥٣)، وأحمد (٢/ ١٦٩)، والإسناد رجاله كلهم ثقات عدا عيسىٰ بن هلال: لم يوثقه غير ابن حبان، والحديث ضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف أبي داود».

(٦) في (ز): (الجويني)، وهو خطأ.

(٧) في (ز): (مسلم)، وهو خطأ.

(٨) **ضعيف**: رواه الترمذي (٢٨٩٥)، وفيه الحسن بن سلم: مجهول، قال الذهبي: لا يكاد يعرف، وخبره منكر.

(٩) في (ز): (مسلم)، وهو خطأ.

وقد رواه البزار عن محمَّد بن موسىٰ الحرشي[(١)]، عن الحسن بن سلم[(٢)]، عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن، و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تعدل ربع القرآن». هذا لفظه[(٣)].

وقال التِّرمذي أيضًا: حدَّثنا علي بن حُجْرٍ، حدَّثنا يزيد بن هارون، حدَّثنا يمان بن المغيرة العنزي، حدَّثنا عطاء، عن ابن عبَّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تعدل نصف القرآن، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن، و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ تعدل ربع القرآن»[(٤)]. ثم قال: غريبٌ، لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة.

وقال أيضًا: حدَّثنا عقبة بن مُكرَّم العَمِّي البصري، حدَّثني ابن أبي فُدَيْك، أخبرني سلمة بن وردان، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال لرجلٍ من أصحابه: «هَلْ تزوَّجت يا فلانُ؟» قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوَّج؟! قال: «أليس معك ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؟». قال: بلىٰ. قال: «ثُلُث القرآن». قال: «أليس معك ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾؟». قال: بلىٰ. قال: «ربُع القرآن». قال: «أليس معك ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾؟». قال: بلىٰ. قال: «ربُع القرآن». قال: «أليس معك ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾؟». قال: بلىٰ. قال: «ربُع القرآن» تزوَّج، تزوَّج. ثم قال: هذا حديثٌ حسنٌ[(٥)].

تفرَّد بهن ثلاثتهن التِّرمذي، لم يروهنَّ غيره مِن أصحاب الكتب.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ[(٦)] مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾

قال ابن عبَّاس: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾؛ أي: تحرَّكت مِن أسفلها. ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ يعني: ألقت ما فيها مِن الموتىٰ. قاله غير واحدٍ من السَّلف. وهذه كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، وكقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: ٣، ٤].

---

(١) في (ز): (الجويني)، وهو خطأ.
(٢) في (ز): (مسلم)، وهو خطأ.
(٣) ضعيف كسابقه: رواه البزار (٧٠٠٦)، وهو من طريق الحسن بن سلم: مجهول.
(٤) ضعيف: رواه الترمذي (٢٨٩٦)، والحاكم (١/ ٥٦٦)، وفيه يمان بن المغيرة: ضعيف، وقال البخاري: منكر الحديث. وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي فقال: بل يمان ضعفوه.
(٥) إسناده ضعيف: رواه الترمذي (٢٨٩٧)، وأحمد (٣/ ١٤٧) (٣/ ٢٢١)، وفيه سلمة بن وردان: ضعيف.
(٦) لوحة (٢٥٨/ ب).

وقال مسلم في «صحيحه»: حدَّثنا واصل بن عبد الأعلىٰ، حدَّثنا محمَّد بن فُضَيل، عن أبيه، عن أبي حازم، عن أبي هُرَيرةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَقِيءُ**(١) **الأَرْضُ أَفْلَاذَ**(٢) **كَبِدِهَا أَمْثَالَ الأُسْطُوَانِ**(٣)(٤) **مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، فَيَجِيءُ القَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ القَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا**»(٥).

وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾؛ أي: استنكر أمرها بعد ما كانت قارةً ساكنةً ثابتةً، وهو مستقر علىٰ ظهرها؛ أي: تقلبت الحال، فصارت متحركةً مضطربةً، قد جاءها من أمر الله ما قد أعد لها من الزِّلزال الذي لا مَحِيد لها عنه، ثم أَلْقَتْ ما في بطنها من الأموات من الأوَّلين والآخرين، وحينئذٍ استنكر النَّاس أمرها، وتبدَّلت الأرض غير الأرض والسَّموات، وبرَزُوا لله الواحد القهَّار.

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾؛ أي: تحدث بما عمل العاملون علىٰ ظهرها.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا إبراهيم، حدَّثنا ابن المبارك -وقال الترمذي وأبو عبد الرحمن النسائي - واللفظ له-، حدَّثنا سُوَيد بن نصر، أخبرنا عبد الله -هو ابن المبارك- عن سعيد بن أبي أيوب، عن يحيىٰ ابن أبي سليمان، عن سعيد المقْبُري، عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: «**أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟**». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَىٰ كُلِّ عَبْدٍ وَأَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا، أَنْ تَقُولَ: عَمِلَ كَذَا وَكَذَا، [يَوْمَ كَذَا وَكَذَا،]**(٦) **فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا**»(٧).

ثمَّ قال التِّرمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ.

وفي «معجم الطَّبراني» من حديث ابن لَهِيعةَ: حدَّثني الحارث بن يزيد -سمع ربيعة الجُرَشي-: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**تَحَفَّظُوا مِنَ الأَرْضِ، فَإِنَّهَا أُمُّكُمْ، وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ**(٨) **عَامِلٌ عَلَيْهَا خَيْرًا أَوْ شَرًّا، إِلَّا وَهِيَ مُخْبِرَةٌ**»(٩).

---

(١) في (ز): (تلقي)، والمثبت موافق لما في «مسلم».

(٢) أفلاذ: جمع فِلْذة، وهي: قطعة من الكبد مقطوعة طولًا.

(٣) الأسطوان: واحده أسطوانة، وهي: السارية والعمود، وشبهه بالأسطوان لعظمه وكثرته.

(٤) في (ز): (الأمطوار). (٥) مسلم (١٠١٣). (٦) مكانها في (ز) كلمة «قال».

(٧) رواه الترمذي (٣٣٥٣)، وأحمد (٢/ ٣٧٤)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٩٣). وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، والحاكم (٢/ ٢٥٦) وصححه، وتعقبه الذهبي فقال: يحيىٰ هذا منكر الحديث، قاله البخاري، قلت: ورجاله ثقات عدا يحيىٰ بن أبي سليمان. قال الحافظ: لين الحديث، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: مضطرب الحديث ليس بالقوي يكتب حديثه.

(٨) لوحة (٢٥٩ / أ).

(٩) ضعيف: رواه الطبراني (٥/ ٦٥/ ٤٥٩٦)، وفيه ابن لهيعة: اختلط.

وقوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ قال البخاري: أوحىٰ لها، وأوحىٰ إليها، ووحىٰ لها، ووحىٰ إليها - واحد وكذا قال ابن عبَّاس: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾؛ أي: أوحىٰ إليها.

والظَّاهر أنَّ هذا مُضمَّن بمعنىٰ أذن لها.

وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: قال لها ربها: قولي؛ فقالت.

وقال مجاهد: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾؛ أي: أمرها. وقال القُرَظي: أمرها أن تنشق عنهم.

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾؛ أي: يرجعون عن مَوَاقِفِ الحساب، ﴿أَشْتَاتًا﴾؛ أي: أنواعًا وأصنافًا، ما بَيْنَ شقيٍّ وسعيدٍ، مأمور به إلىٰ الجنَّة، ومأمور به إلىٰ النَّار.

قال ابن جريج: يتَصدَّعون أشتاتًا فلا يجتمعون آخر ما عليهم.

وقال السُّدِّي: ﴿أَشْتَاتًا﴾: فرقًا.

وقوله تعالىٰ: ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾؛ أي: ليعملوا ويجازوا بما عملوه في الدُّنيا، من خيرٍ وشرٍّ. ولهذا قال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

قال البخاري: حدَّثنا إسماعيل بن عبد الله، حدَّثني مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح السَّمان، عن أبي هُريرة؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَىٰ رَجُلٍ وِزْرٌ؛ فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَأَطَالَ طِيَلَهَا[١] فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيَلِهَا ذَلِكَ فِي المَرْجِ وَالرَّوْضَةِ كَانَ لَهُ حَسَنَاتٌ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيَلَهَا فَاسْتَنَّتْ[٢] شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ، كَانَتْ آثَارُهَا وَأَرْوَاثُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهْرٍ فَشَرِبَتْ[٣] مِنْهُ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَ بِهِ كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، وَهِيَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ أَجْرٌ. وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغَنِّيًا[٤] وَتَعَفُّفًا، وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ فِي رِقَابِهَا وَلَا ظُهُورِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ. وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِئَاءً وَنِوَاءً[٥]، فَهِيَ عَلَىٰ ذَلِكَ وِزْرٌ». فسُئل رسول الله ﷺ عن الحُمُر، فقال: «مَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا هَذِهِ الآيَةَ الفَاذَّةَ الجَامِعَةَ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾»[٦].

ورواه مسلم، من حديث زيد بن أسلم به.

---

(١) الطِّيَل: الحبل الطويل يشد أحد طرفيه في وتد أو غيره، والطرف الآخر في يد الفرس ليدور فيه ويرعىٰ ولا يذهب لوجهه.

(٢) استن الفرس: عدا -لمرحه ونشاطه- شوطًا أو شوطين ولا راكب عليه، والشرف: الشوط.

(٣) في (ز): (بنهر قريب)، والمثبت موافق لما في «البخاري».

(٤) أي: استغناء بها عن الطلب من الناس. (٥) أي: معاداة.

(٦) البخاري (١٤٠٢) (٢٣٧١)، ومسلم (٩٨٧)، وأبو داود (١٦٥٨، ١٦٥٩)، والنسائي (٢/ ٤١٤) (٥/ ١٢).

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا يزيد بن هارون، أخبرنا جرير بن حازم، حدَّثنا الحسن، عن صعصعة بن معاوية -عم الفرزدق-: أنَّه أتىٰ النَّبيَّ ﷺ فقرأ عليه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ قال: حَسْبِي! لا أبالي ألَّا أسمع غيرها[1].

وهكذا رواه النَّسائي في «التفسير»[2]، عن إبراهيم بن يونس بن محمَّد[3] المؤدب، عن أبيه، عن جرير بن حازم، عن الحسن البصري قال: حدَّثنا صعصعةُ عم الفرزدق فذكره.

وفي «صحيح البخاري» عن عَدي مرفوعًا: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، وَلَوْ [بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ][4]»[5].

وفي «الصَّحيح»: «لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ المُسْتَسْقِي، وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ وَوَجْهُكَ إِلَيْهِ مُنْبَسِطٌ»[6].

وفي «الصحيح» أيضًا: «يَا نِسَاءَ المُؤْمِنَاتِ، لا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا، وَلَوْ فِرْسَنَ شَاةٍ»[7] يعني: ظلفها. وفي الحديث الآخر: «رُدُّوا السَّائِلَ وَلَوْ بِظِلْفٍ مُحَرَّقٍ»[8].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا محمَّد بن عبد الله الأنصاري، حدَّثنا كثير بن زيد، عن المطلب[9] بن عبد الله، عن عائشة، أن رسول الله ﷺ قال: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَتِرِي مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنَّهَا تَسُدُّ مِنَ الجَائِعِ مَسَدَّهَا مِنَ الشَّبْعَانِ»[10]. تفرَّد به أحمد.

ورُوِيَ عن عائشة أنَّها تصدَّقَتْ بعِنَبَةٍ، وقالت: كم فيها مِن مثقال ذرَّةٍ.

وقال أحمد: حدَّثنا أبو عامر، حدَّثنا سعيد بن مسلم، سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير: حدَّثني عوف بن الحارث بن الطفيل: أن عائشة أخبرته: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقول: «يَا عَائِشَةُ، إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللهِ طَالِبًا»[11].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٥٩)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٩٥).

(٢) لوحة (٢٥٩/ ب).

(٣) في (ز): (إبراهيم بن محمد بن يونس)، وهو خطأ.

(٤) بياض في (ز).

(٥) البخاري (٦٥٤٠).

(٦) رواه بهذا اللفظ أحمد (٥/ ٦٣)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩٦٩٩) وهو صحيح، وقد تقدم عند تفسير سورة النمل الآية (٦٢)، وأما الذي في صحيح مسلم (٢٦٢٦): (**لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقىٰ أخاك بوجه طلق**).

(٧) البخاري (٢٥٦٦)، ومسلم (١٠٣٠).

(٨) **صححه الألباني**: رواه أبو داود (١٦٦٧)، والترمذي (٦٦٥)، وأحمد (٦/ ٣٥)، والنسائي (٥/ ٨)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وانظر: «صحيح النسائي» (٢٤٠٥).

(٩) في (ز): (عبد المطلب)، والمثبت موافق لما في «المسند».

(١٠) أحمد (٦/ ٧٩)، وفيه المطلب بن عبد الله: صدوق لكنه كثير التدليس وقد عنعن، لكن يشهد للحديث حديث عدي السابق.

(١١) صحيح: رواه أحمد (٦/ ١٥١)، والنسائي في «الكبري» كما في «تحفة الأشراف» (١٢/ ٢٥٠)، وابن ماجة (٤٢٤٣).

ورواه النَّسائي وابن ماجة، من حديث سعيد بن مسلم بن بَانَك به.

وقال ابن جرير: حدَّثني أبو الخطاب الحساني، حدَّثنا الهيثم بن الربيع، حدَّثنا سماك بن عطية، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس قال: كان أبو بكر يأكل مع النَّبيِّ ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ فرفع أبو بكر يده وقال: يا رسول الله، إني أُجزىٰ بما عملتُ من مثقال ذرة من شرٍّ؟ فقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا رَأَيْتُ فِي الدُّنْيَا مِمَّا تَكْرَهُ فَبِمَثَاقِيلِ ذَرِّ الشَّرِّ، وَيَدَّخِرُ اللهُ لَكَ مَثَاقِيلَ ذَرِّ الخَيْرِ حَتَّىٰ تُوَفَّاهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[(١)].

ورواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن أبي الخطاب به. ثم قال ابن جرير: حدَّثنا ابن بشار، حدَّثنا عبد الوهاب، حدَّثنا أيوب قال: في كتاب أبي قِلابة، عن أبي إدريس: أنَّ أبا بكرٍ كان يأكل مع النَّبيِّ ﷺ فذكره[(٢)].

ورواه أيضًا عن يعقوب، عن ابن عُلَيَّةَ، عن أيوب، عن أبي قلابة: أن أبا بكر وذكره[(٣)].

طريق أخرىٰ: قال ابن جرير: حدَّثني يونس بن عبد الأعلىٰ، أخبرنا ابن وهب، أخبرني حُيَي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: لما نزلت[(٤)]: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ وأبو بكر الصديق ﵁ قاعد، فبكىٰ حين أنزلت، فقال له رسول الله ﷺ: «مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟». قال: يبكيني هذه السُّورة. فقال له رسول الله ﷺ: «لَوْلَا أَنَّكُمْ تُخْطِئُونَ وَتُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ، لَخَلَقَ اللهُ أُمَّةً يُخْطِئُونَ وَيُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»[(٥)].

حديث آخر: قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمن [ابن محمَّد][(٦)] بن المغيرة -المعروف بعلان المصري- قالا: حدَّثنا عمرو بن خالد الحرَّاني، حدَّثنا ابن لَهِيعةَ، أخبرني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال: لما أنزلت: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ قلت: يا رسول الله، إني لراء عملي؟ قال: «نَعَمْ». قلت: تلك الكبار الكبار؟ قال: «نَعَمْ». قلت: الصِّغار الصغار؟ قال: «نَعَمْ». قلت: واثكلَ أُمِّي. قال: «أَبْشِرْ يَا أَبَا سَعِيدٍ؛ فَإِنَّ الحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا -يَعْنِي: إلىٰ سبعمائة ضعفٍ- وَيُضَاعِفُ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا أَوْ يَغْفِرُ اللهُ، وَلَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ».

---

(١) ضعيف: رواه الطبري (٣٠/ ٢٦٨)، وفيه الهيثم بن الربيع: ضعيف، ورواه الطبري (٣٠/ ١٧٣) من طريق أيوب مرسلًا.

(٢) ابن أبي حاتم (١٩٤٣٨).

(٣) رواه الطبري (٣٠/ ٢٦٨) من هذه الطرق، وهي متابعة للطريق السابقة إلا أنها مرسلة أيضًا.

(٤) لوحة (٢٦٠/ أ).

(٥) حسن صحيح: رواه الطبري (٣٠/ ٣٧٠)، وإسناده حسن وله شواهد صحيحة.

(٦) سقط من (ز)، والصواب إثباتها.

قلت: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ» قال أبو زُرْعَةَ: لم يَرْوِ هذا غير ابن لَهِيعةَ(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زرعة، حدَّثنا يحيىٰ بن عبد الله بن بُكَيْرٍ، حدَّثني ابن لهيعة، حدَّثني عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ وذلك لما نزلت هذه الآية: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، كان المسلمون يَرَوْنَ أنَّهم لا يُؤجَرون علىٰ الشَّيءِ القليل إذا أعطوه، فيجيء المسكين إلىٰ أبوابهم فيستقلون أَن يُعطُوه التَّمرة والكِسْرَة والجَوْزة ونحوِ ذلك، فيردُّونه ويقولون: ما هذا بشيءٍ. إنَّما نُؤجَرُ علىٰ ما نعطِي ونحن نحبُّه. وكان آخرون يَرَوْنَ أنَّهم لا يُلَامُون علىٰ الذَّنب اليسير: الكَذِبة والنَّظرة والغِيبَة وأشباه ذلك، يقولون: إنَّما وعد الله النَّار علىٰ الكبائر. فرَغَّبَهُم في القليل من الخير أَن يعملوه، فإنَّه يُوشِكُ أن يكثر، وحذَّرهم اليَسِيرَ من الشَّرِّ، فإنَّه يُوشِكُ أن يكثر، فنزلت: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ يعني: وزن أصغر النَّمل ﴿خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ يعني: في كتابه، ويَسُرُّه ذلك. قال: يَكْتُبُ لكلِّ برٍّ وفاجرٍ بكل سيئةٍ سيئةً واحدةً. وبكلِّ حسنةٍ عشرَ حسناتٍ، فإذا كان يوم القيامةِ ضَاعَفَ الله حسنات المؤمنين أيضًا، بكلِّ واحدةٍ عشرٌ، ويمحو(٢) عنه بكلِّ حسنةٍ عشرَ سيِّئات، فمَن زادت حسناته علىٰ سيِّئاته مثقالَ ذرَّة، دخل الجنَّة(٣).

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا سليمان بن داود، حدَّثنا عمران، عن قتادة، عن عبد ربه، عن أبي عياض، عن عبد الله بن مسعود؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّىٰ يُهْلِكْنَهُ». وإنَّ رسول الله ﷺ ضرب لهنَّ مثلًا كمثل قوم نزلوا أرض فلاةٍ، فحضر صَنيع(٤) القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعُودِ، والرَّجل يجيءُ بالعُودِ، حتىٰ جمعوا سوادًا، وأَجَّجوا نارًا، وأنضجوا ما قذفوا فيها(٥).

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١٩٤٣٩)، والطبري (٣٠/ ٢٧٠) من طريق ابن لهيعة وقد اختلط، لكن لألفاظ الحديث شواهد صحيحة لرؤية الأعمال، ولمضاعفة الحسنات ومحو السيئات.

(٢) لوحة (٢٦٠ / ب).

(٣) ضعيف: رواه ابن أبي حاتم (١٩٤٣٩)، وفيه ابن لهيعة: اختلط، والإسناد مرسل.

(٤) صنيع القوم: حاذقهم، مثل: صناع.

(٥) رواه أحمد (١/ ٤٠٢- ٤٠٣)، وعبد ربه: مجهول الحال، قال الحافظ: مستور، وعمران بن دَاوَر العمي: مختلف فيه، وهو حسن الحديث، وقال عنه الحافظ: صدوق يهم. والحديث له شاهد صحيح رواه أحمد (٥/ ٣٣١)، وشاهد من حديث عائشة، والحديث صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣١٠٢).

سُورَةُ العَادِيَاتِ

تفسير سورة العاديات وهي مكيَّة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ٥ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ٨ ۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ١١﴾

يقسم تعالىٰ بالخيل[1] إذا أجريت في سبيله فَعَدت وضَبَحت، وهو: الصَّوت الذي يسمع من الفَرَسِ حين تعدو. ﴿فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا﴾ يعني: اصطكاك نِعَالِهَا للصَّخر فتقدح منه النَّار.

﴿فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا﴾ يعني: الإغارة وقت الصَّباح، كما كان رسول الله ﷺ يُغِير صباحًا ويتسمَّع، فإن سَمِعَ أذانًا وإلَّا أغار.

وقوله: ﴿فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا﴾ يعني: غبارًا في [مكان][2] معترك الخُيُولِ.

﴿فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا﴾؛ أي: توسَّطْن ذلك المكان كُلُّهنَّ جمع.

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد الأشج، حدَّثنا عبدة، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبد الله: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا﴾ قال: الإبل.

وقال علي: هي الإبل. وقال ابن عبَّاس: هي الخيل. فبلغ عليًّا قولُ ابن عبَّاس، فقال: ما كانت لنا خيلٌ يوم بدرٍ. قال ابن عبَّاس: إنَّما كان ذَٰلِكَ في سريَّةٍ بعثت[3].

قال ابن أبي حاتم وابن جرير: حدَّثنا يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرني أبو صخر، عن أبي معاوية البجلي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس حدثه، قال: بَيْنَا أنا في الحِجْر جالسًا، جاءَنِي رجلٌ فسألني

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: في هذا قولان للمفسرين: فمنهم من قال: إن الموصوف هي الإبل، والتقدير (والإبل العاديات) ويعني بها: الإبل التي تعدو من عرفة إلىٰ مزدلفة، ثم إلىٰ منىٰ، وذلك في مناسك الحج، واستدلوا لهذا بأن هذه السورة مكية، وأنه ليس في مكة جهاد علىٰ الخيل حتىٰ يقسم بها.
أما القول الثاني لجمهور المفسرين وهو الصحيح فإن الموصوف هو الخيل.

(٢) ليست في (ز).

(٣) رواه ابن أبي حاتم (١٩٤٤٣).

عن: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ فقلت له: الخَيل حين تُغِير في سَبِيل الله، ثم تَأْوِي إلىٰ اللَّيل، فيصنعون[١] طعامهم، ويُورُون نارَهُم. فانفتل عنِّي فذهب إلىٰ عليٍّ ﵁ -وهو عند سقايةِ زمزم- فسأله عن ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ فقال: سألت عنها أحدًا قبلي؟ قال: نَعَمْ، سألت ابن عبَّاس فقال: الخَيْلُ حين تُغِيرُ فِي سبيلِ اللهِ. قال: اذْهَبْ فادْعُهُ لي. فلمَّا وقف علىٰ رأسه قال: تُفْتِي النَّاس بمَا لَا عِلْم لك، والله لَئِن كان أَوَّلَ غزوة في الإسلام بدر، وما كان معنا إلا فَرَسان. فرسٌ للزُّبير، وفرس للمِقْدَاد، فكيف تكون العاديَات ضبحًا؟ إنَّما العاديات ضبحًا من عرفة إلىٰ المزدلفة، ومن المزدلفة إلىٰ منًىٰ.

قال ابن عبَّاس: فنزعت عَن قولي ورجعت إلىٰ الَّذِي قال علي ﵁[٢].

وبهذا الإسناد عن ابن عبَّاس قال: قال علي: إنما ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ مِن عرفةَ إلىٰ المزدلفة، فإذا أَوَوْا إلىٰ المزدلفة أَوْرُوا النيران.

وقال العَوفي عن ابن عبَّاس: هي الخيل[٣].

وقد قال بقول علي -إنَّها: الإبل- جماعة. منهم: إبراهيم، وعبيد بن عمير، وبقول ابن عبَّاس آخرون، منهم: مجاهد، وعكرمة، وعطاء، وقتادة، والضَّحَّاك. واختاره ابن جرير.

قال ابن عبَّاس، وعطاء: ما ضبحت دابة قط إلا فرس أو كلب[٤].

وقال ابن جُرَيْجٍ عن عطاء سمعت ابن عبَّاس يصف الضَّبح: أَحْ أَحْ[٥].

وقال أكثر هؤلاء في قوله: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ يعني: بحوافرها. وقيل: أسعَرْنَ الحرب بين رُكبانهنَّ. قاله قتادة.

وعن ابن عبَّاس ومجاهد: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ يعني: مَكر الرِّجال[٦].

وقيل: هو إيقاد النَّار إذا رجعوا إلىٰ منازلهم من اللَّيل.

وقيل: المراد بذلك: نيران القبائل.

وقال مَن فسَّرها بالخيل: هو إيقاد النَّار بالمزدلفة.

وقال ابن جرير: والصَّواب الأوَّل؛ أنَّها الخيل حين تقدح بحوافرها.

وقوله: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ قال ابن عبَّاس، ومجاهد، وقتادة: يعني إغارة الخَيْلِ صبحًا في سبيلِ الله.

وقال مَن فسَّرها بالإبل: هو الدَّفع صبحًا من المزدلفة إلىٰ منًىٰ.

---

(١) لوحة (٢٦١ / أ).
(٢) رواه ابن أبي حاتم (١٩٤٤٢)، والطبري (٣٠/ ٢٧٢).
(٣) الطبري (٣٠/ ٢٧٢).
(٤) الطبري (٣٠/ ٢٧١).
(٥) الطبري (٣٠/ ٢٧٣).
(٦) الطبري (٣٠/ ٢٧٤).

وقالوا كلُّهم في قوله: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ هو: المكان الذي إذا حَلَّت فيه أثارتْ به الغبار، إما في حجٍّ أو غزوٍ.

وقوله: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ قال العوفي، عن ابن عبَّاس، وعطاء، وعكرمة، وقتادة، والضَّحَّاك: يعني: جَمْع الكفَّار من العدو.

ويحتمل أن يكون: فوسطن بذلك المكان جَميعُهن، ويكون ﴿جَمْعًا﴾ منصوبًا على الحال المؤكدة.

وقد روى أبو بكر البزار[١] -هاهنا- حديثًا [غريبًا جدًّا][٢] فقال: حدَّثنا أحمد بن عبدة، حدَّثنا حفص ابن جُمَيع، حدَّثنا سِمَاك، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس قال: بعث رسول الله ﷺ خيلًا فأشهرت[٣] شهرًا لا يأتيه منها خبرٌ، فنزلت: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾: ضبحت بأرجلها، ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾: قدحت بحوافرها الحجارة فأورت نارًا، ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾: صبَّحت القوم بغارةٍ، ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾: أثارت بحوافرها التراب، ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ قال: صبحت القوم جميعًا[٤].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ هذا هو المقسم عليه؛ بمعنى: أنَّه لِنِعَم ربِّه لجحودٌ كفورٌ.

قال ابن عبَّاس، ومجاهد، وإبراهيم النَّخعِي، وأبو الجوزاء، وأبو العالية، وأبو الضحى، وسعيد بن جبير، ومحمَّد بن قيس، والضَّحَّاكُ، والحسن، وقتادة، والرَّبيع بن أنس، وابن زيد: الكَنُود: الكفُور. قال الحسن: هو الذي يعد المصائِبَ، وينسى نِعَمَ ربِّه.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ، حدَّثنا عبيد الله[٥]، عن إسرائيل، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ قال: «**الكَفُورُ الَّذِي يَأْكُلُ وَحْدَهُ، وَيَضْرِبُ عَبْدَهُ، وَيَمْنَعُ رِفْدَهُ**»[٦].

ورواه ابن أبي حاتم، من طريق جعفر بن الزبير -وهو متروك- فهذا إسنادٌ ضعيفٌ. وقد رواه ابن جرير أيضًا من حديث حريز بن عثمان، عن حمزة بن هانئ، عن أبي أمامة موقوفًا[٧].

---

(١) لوحة (٢٦١ / ب). (٢) ليست في (ز). (٣) أي: أتى عليها شهر.

(٤) ضعيف: رواه البزار (٣٢٩١- كشف)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص٣٠٥)، وابن أبي حاتم (١٩٤٤١)، وفيه حفص بن جميع: ضعيف. وفيه سماك عن عكرمة وروايته عنه مضطربة.

(٥) في (ز): (عبد الله).

(٦) ضعيف جدًّا: رواه الطبري (٣٠/ ٢٧٨)، وفيه جعفر بن الزبير: متروك.

(٧) رواه الطبري (٣٠/ ٢٧٨) وابن معين في «تاريخه» (٥٤٠٧) وفيه حمزة بن هانيء أورده البخاري في «التاريخ الكبير» (ت١٨٤) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، وقال أبو حاتم: شيخ، وأورده ابن حبان في «الثقات» (ت ٢٣٢٦)، وقال الحافظ في «لسان الميزان» (ت١٤٧٠): مجهول.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ قال قتادة وسفيان الثوري: وإنَّ الله علىٰ ذلك لشهيدٌ. ويحتمل أن يعود الضَّمير علىٰ الإنسان، قاله محمَّد بن كعب القرظي، فيكون تقديره: وإن الإنسان علىٰ كونه كنودًا لشهيد؛ أي: بلسان حاله؛ أي: ظاهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله، كما قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧].

وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾؛ أي: وإنه لحب الخير -وهو: المال- لشديد. وفيه مذهبان:

أحدهما: أنَّ المعنىٰ: وإنَّه لشديد المحبَّة للمال.

والثَّاني: وإنَّه لحريصٌ بخيلٌ؛ من محبة المال. وكلاهما صحيحٌ.

ثم قال تعالىٰ مُزَهِّدًا في الدُّنيا، ومُرَغِّبًا في الآخرة، ومنبهًا علىٰ ما هو كائنٌ بعد هذه الحال، وما يستقبله الإنسان من الأهوال: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾؛ أي: أخرج ما فيها من الأموات، ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ قال ابن عبَّاس وغيره: يعني أبرز وأظهر ما كانوا يسرون في نفوسهم [(١)]، ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾؛ أي: لعالم بجميع ما كانوا يَصْنَعُونَ ويَعْمَلُونَ، مجازيهم عليه أوفَرَ الجزاءِ، ولا يظلم مثقال ذرَّة.

آخر سورة العاديات، ولله الحمد.

---

(١) لوحة (٢٦٢ / أ).

سُورَةُ القَارِعَة

تفسير سورة القارعة وهي مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾

﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾: مِن أسماء يوم القيامة، كالحاقَّة، والطَّامة، والصَّاخة، والغاشية، وغير ذلك.

ثم قال معظمًا أمرها ومهولًا لشأنها: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾؟ ثم فسَّر ذلك بقوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾؛ أي: في انتشارهم وتفرقهم، وذهَابِهِم ومجيئهم، من حيرَتِهِم ممَّا هم فيه، كأنَّهم فراشٌ مبثوثٌ، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾.

وقوله: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ يعني: قد صارت كأنَّها الصُّوف المنفوشُ، الذي قد شَرَعَ في الذَّهاب والتَّمزُّق.

قال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّي: «العِهْنُ»: الصُّوف.

ثم أخبر تعالىٰ عما يئول إليه عمل العاملين، وما يَصِيرُون إليه من الكرامَةِ أو الإهانة، بحسب أعمالهم، فقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾؛ أي: رجحت حسناته علىٰ سيئاته، ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ يعني: في الجنَّة. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾؛ أي: رجحت سيئاته علىٰ حسناته.

وقوله: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ قيل: معناه فهو ساقطٌ هاوٍ بأمِّ رأسه في نارِ جهنم. وعَبَّر عنه بأمه -يعني دماغه- روي نحو هذا عن ابن عبَّاس، وعكرمة، وأبي صالح، وقتادة، قال قتادة: يهوي في النَّار علىٰ رَأْسِهِ. وكذا قال أبو صالح: يهوون في النَّار علىٰ رُءُوسِهِم.

وقيل: معناه: ﴿فَأُمُّهُۥ﴾ التي يرجع إليها، ويصير في المعاد إليها ﴿هَاوِيَةٌ﴾ وهي اسم من أسماءِ النَّار.

قال ابن جرير: وإنَّما قيل للهاوية أُمّه؛ لأنَّه لا مأوىٰ له غيرها.

وقال ابن زيد: الهاوية[1]: النَّار، هي أُمُّه ومأواه التي يرجع إليها ويَأْوِي إليها، وقرأ: ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [آل عمران: ١٥١].

قال ابن أبي حاتم: وروي عن [قتادة][2] أنه قال: هي النار، وهي مأواهم. ولهذا قال تعالىٰ مفسرًا للهاوية: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾.

قال ابن جرير: حدَّثنا ابن عبد الأعلىٰ، حدَّثنا ابن ثور، عن مَعْمَرٍ، عن الأشعث بن عبد الله الأعمىٰ قال: إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلىٰ أرواح المؤمنين، فيقولون: رَوِّحُوا أخاكُم، فإنَّه كان في غَمِّ الدُّنيا. قال: ويسألونه: وما فعل فلانٌ؟ فيقول: مات، أو ما جاءكم؟ فيقولون: ذهب به إلىٰ أُمِّهِ الهاوية[3].

وقد رواه ابن مَرْدَويه من طريق أنس بن مالك مرفوعًا، بأبسط من هذا[4]. وقد أوردناه في كتاب «صفة النَّار»، أجارنا الله منها بمَنِّه وكرمه.

وقوله: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾؛ أي: حارَّةٌ شديدةُ الحرِّ، قويَّةُ اللَّهيب والسَّعير.

قال أبو مصعب، عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**نَارُ بَنِي آدَمَ الَّتِي تُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ**». قالوا: يا رسول الله، إن كانت لكافيةً. فقال: «**إِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا**»[5].

ورواه البخاري، عن إسماعيل بن أبي أويس، عن مالك. ورواه مسلم عن قُتيبة، عن المغيرة ابن عبد الرحمن، عن أبي الزِّناد به، وفي بعض ألفاظه: «**إِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا**»[6].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا عبد الرحمن، حدَّثنا حماد -وهو ابن[7] سلمة- عن محمَّد بن زياد -سمع أبا هريرة يقول: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «**نَارُ بَنِي آدَمَ الَّتِي تُوقِدُونَ، جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ**». فقال رجلٌ: إن كانت لكافيةً. فقال: «**لَقَدْ فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا حَرًّا فَحَرًّا**»[8].

---

(١) لوحة (٢٦٢ / ب). (٢) سقط من (ز).

(٣) رواه عبد الرزاق (٣٦٨٥)، والطبري (٣٠/ ٢٨٢)، ورواه من حديث أبي أيوب: رواه ابن المبارك في «الزهد» (٤٤٣)، والطبري في «الأوسط» (١٤٨) و«الكبير» (٤/ ١٢٩/ ٨٨٧)، وله شاهدٌ من حديث أبي هريرة رواه البزار (٩٥٤٢)، والنسائي (٤/ ٨) وفي «الكبرىٰ» (١٩٧٢) (١١٩٢٦)، وابن حبان (٣٠١٤) وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٠٩) (٢٧٥٨).

(٤) انظر التخريج السابق. (٥) رواه مالك (٢/ ٧٥٩/ ١).

(٦) البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣). (٧) في (ز): (أبو سلمة).

(٨) رواه أحمد(٢/ ٤٦٧).

تفرَّد به أحمد من هذا الوجه، وهو على شرط مسلم.

وقال الإمام أحمد أيضًا: حدَّثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هُرَيرَةَ، عن النَّبيِّ ﷺ - وعمرو، عن يحيىٰ بن جَعْدَةَ-: «إِنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَضُرِبَتْ بِالبَحْرِ[1] مَرَّتَيْنِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا جَعَلَ اللهُ فِيهَا مَنْفَعَةً لِأَحَدٍ»[2].

وهذا علىٰ شرط [الصحيحين][3] ولم يخرجوه من هذا الوجه، وقد رواه مسلم في «صحيحه» من طريق [ابن أبي الزناد][4].

ورواه البزار من حديث عبد الله بن مسعود، وأبي سعيد[5] الخدري: «نَارُكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا»[6].

وقد قال الإمام أحمد: حدَّثنا قتيبة، حدَّثنا عبد العزيز -هو ابن محمَّد الدراوردي- عن سُهَيلٍ، عن أبيه، عن أبي هُريرة، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «هَذِهِ النَّارُ جُزْءٌ مِنْ مِائَةِ جُزْءٍ مِنْ جَهَنَّمَ»[7].

تفرَّد به أيضًا من هذا الوجه، وهو علىٰ شرط مسلم أيضًا.

وقال أبو القاسم الطبراني: حدَّثنا أحمد بن عمرو الخلال، حدَّثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدَّثنا مَعْنُ بن عيسىٰ القزاز، عن مالك، عن عَمِّه أبي سُهَيل، عن أبيه، عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا مَثَلُ نَارِكُمْ هَذِهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ؟ لَهِيَ أَشَدُّ سَوَادًا مِنْ دُخَانِ نَارِكُمْ هَذِهِ بِسَبْعِينَ ضِعْفًا»[8].

وقد رواه أبو مصعب، عن مالك، ولم يرفعه. وروىٰ الترمذي وابن ماجة ، عن عبَّاس[9] الدوريِّ، عن يحيىٰ بن أبي بُكَير: حدَّثنا شريك، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هُرَيرَةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُوقِدَ عَلَىٰ النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّىٰ احْمَرَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّىٰ ابْيَضَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّىٰ اسْوَدَّتْ، فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ»[10].

وقد روي هذا من حديث أنس وعمر بن الخطاب.

---

(١) في (ز): (وجريت بالهجر). (٢) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٢٤٤).

(٣) في (ز): (الصحة)، والمثبت أقرب للصواب.

(٤) بياض في (ز). (٥) لوحة (٢٦٣ / أ).

(٦) حديث أبي سعيد رواه الترمذي (٢٥٩٠)، وقال: حسن غريب، وحديث ابن مسعود رواه الطبراني في «الكبير» (٦/ ٣٧/ ٩٠٥٧).

(٧) رواه أحمد (٢/ ٣٧٩).

(٨) رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٨٥)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠ / ٣٨٧): رجاله رجال الصحيح.

(٩) في (ز): (ابن عباس)، وهو خطأ.

(١٠) ضعيف: رواه الترمذي (٢٥٩٤)، وابن ماجة (٤٣٢٠)، وفيه شريك القاضي: سيئ الحفظ، وقد وقع منه اضطرابٌ. كما بين ذلك الألباني في «الضعيفة» (١٣٠٥).

[حديث أنس رواه ابن مردويه والبيهقي في «شعب الإيمان» من طريق مبارك بن فضالة، عن ثابت، عن أنس مرفوعًا، وقد تقدَّم عند تفسير الآية: (٨١) من سورة التوبة][١].

وجاء في الحديث -عند الإمام أحمد- من طريق أبي عثمان النَّهدي، عن أنس -وأبي نضرة العَبْديِّ[٢]، عن أبي سعيد، وعَجْلان مولىٰ المُشْمَعل، عن أبي هريرة- عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ»[٣].

وثبت في «الصَّحيح» أن رسول الله ﷺ قال: «اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَىٰ رَبِّهَا فَقَالَتْ: يَا رَبِّ، أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ. فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ فِي الشِّتَاءِ مِنْ بَرْدِهَا، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ فِي الصَّيْفِ مِنْ حَرِّهَا»[٤].

وفي «الصحيحين»: «إِذَا اشْتَدَّ الحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ»[٥].

آخر تفسير سورة القارعة.

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (ز). (٢) في (ز): (المعدي).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ١٣) من حديث أبي سعيد، ورواه (٢/ ٤٣٢) من حديث أبي هريرة.

(٤) البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧).

(٥) البخاري (٥٣٣)، ومسلم (٦١٥).

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

تفسير سورة التكاثر، وهي مكيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ[1] ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾

يقول تعالىٰ: شغلكم حبُّ الدُّنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادىٰ بكم ذلك حتىٰ جاءكم الموت وزُرْتُم المقابر، وصِرْتُم مِن أهلها!

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا زكريا بن يحيىٰ الوَقار المصري، حدَّثنا خالد بن عبد الدايم، عن ابن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ عَنِ الطَّاعَةِ، ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾: حَتَّىٰ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ»[2].

وقال الحسن البصري: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ في الأموال والأولاد.

وفي «صحيح البخاري» في «الرقاق» منه: وقال لنا أبو الوليد: حدَّثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك، عن أبي بن كعب قال: كنَّا نرىٰ هذا من القرآن حتىٰ نزلت: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ يعني: «لو كان لابنِ آدمَ وادٍ من ذهبٍ»[3].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا محمَّد بن جعفر، حدَّثنا شعبة، سمعت قتادة، يحدث عن مُطرِّفٍ -يعني ابن عبد الله بن الشخير- عن أبيه قال: انتهيت إلىٰ رسول الله ﷺ وهو يقول: «﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟»[4].

ورواه مسلم، والترمذي، والنسائي، من طريق شعبة به[5].

---

(١) لوحة (٢٦٣ / ب).

(٢) مرسل: رواه ابن أبي حاتم (١٩٤٥١)، والإسناد مرسل.

(٣) البخاري (٦٤٤٠).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٤/ ٢٤)، وانظر ما بعده.

(٥) مسلم (٢٩٥٨)، والترمذي (٣٣٥٦)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٩٦).

وقال مسلم في «صحيحه»: حدَّثنا سويد بن سعيد، حدَّثنا حفص بن ميسرة، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَقُولُ العَبْدُ: مَالِي مَالِي! وَإِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَىٰ، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَىٰ، أَوْ تَصَدَّقَ فَاقْتَنَىٰ**[1]**، وَمَا سِوَىٰ ذَٰلِكَ فَذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ**». تفرَّد به مسلم[2].

وقال البخاري: حدَّثنا الحُمَيديُّ، حدَّثنا سفيان، حدَّثنا عبد الله بن أبي بكر بن محمَّد بن عمرو ابن حزم، سمع أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ: «**يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَىٰ مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَىٰ عَمَلُهُ**»[3].

وكذا رواه مسلم، والتِّرمذي، والنسائي، من حديث سفيان بن عيينة به.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا يحيىٰ، عن شعبة، حدَّثنا قتادة، عن أنس؛ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَتَبْقَىٰ مِنْهُ اثْنَتَانِ: الحِرْصُ وَالأَمَلُ**». أخرجاه في «الصحيحين»[4].

وذكر الحافظ[5] ابن عساكر، في ترجمة الأحنف بن قيس -واسمه الضَّحَّاكُ- أنَّه رأىٰ في يد رجلٍ درهمًا فقال: لمن هذا الدرهم؟ فقال الرجل: لي. فقال: إنَّما هو لك إذا أنفقته في أجرٍ أو ابتغاء شكرٍ. ثم أنشد الأحنف متمثلًا قول الشَّاعر:

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكْتَهُ ... فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَالمَالُ لَكْ[6]

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيدٍ الأشج، حدَّثنا أبو أسامة قال: صالح بن حيان حدَّثني، عن ابن بريدة في قوله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ قال: نزلت في قبيلتين [من قبائل الأنصار، في بني حارثة وبني الحارث، تفاخروا وتكاثروا، فقالت][7] إحداهما: فيكم مثلُ فلان بن فلان، وفلان؟ وقال الآخرون مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء، ثم قالوا: انطلقوا بنا إلىٰ القبور. فجعلت إحدىٰ الطَّائِفَتَيْنِ تقول: فيكم مثل فلان؟ يشيرون إلىٰ القبر -ومثل فلان؟ وفعل الآخرون مثل ذلك، فأنزل الله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ لقد كان لكم فيما رأيتم عبرةٌ وشغلٌ[8].

وقال قتادة: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ كانوا يقولون: نحن أكثر من بني فلان، ونحن أعدُّ من بني فلان، وهم كل يومٍ يتساقطون إلىٰ آخرهم، والله ما زالوا كذلك حتىٰ صاروا من أهل القبور كلهم.

---

(١) اقتنىٰ: ادخره لآخرته. (٢) مسلم (٢٩٥٩).

(٣) البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠)، والترمذي (٢٣٨٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٢٠٦٤).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٣/ ١١٥)، ومسلم (١٠٤٧)، والبخاري نحوه (١١/ ٢٤١- فتح).

(٥) لوحة (٢٦٤ / أ). (٦) «تاريخ دمشق» (٢٤/ ٣٤٣).

(٧) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).

(٨) ضعيف: رواه ابن أبي حاتم (١٩٤٥٣)، وفيه صالح بن حيان: ضعيف الحديث، والإسناد مرسل.

والصَّحيح أن المراد بقوله: ﴿زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾؛ أي: صرتم إليها ودفنتم فيها، كما جاء في «الصحيح»: أن رسول الله ﷺ دخل علىٰ رجلٍ من الأعراب يعوده، فقال: «لا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ». فقال: قلت: طَهُورٌ؟! بل هي حمىٰ تفور، علىٰ شيخٍ كبيرٍ، تُزيره القبور! قال: «فَنَعَمْ إِذًا»(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرْعَةَ، حدَّثنا محمَّد بن سعيد الأصبهاني، أخبرنا حكام بن سلم(٢) الرازي، عن عمرو بن أبي قيس، عن الحجاج، عن المنْهال، عن زر بن حُبَيْشٍ، عن علي قال: ما زلنا نشك في عذاب القبر حتىٰ نزلت: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾(٣).

ورواه الترمذي عن أبي كُرَيبٍ، عن حَكَّام بن سلم به، وقال: غريبٌ.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا سلمة بن داود العُرضي، حدَّثنا أبو المليح الرقي، عن ميمون ابن مهران قال: كنت جالسًا عند عمر بن عبد العزيز، فقرأ: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ فلبث هنيهةً فقال: يا ميمون، ما أرىٰ المقابر إلا زيارة، وما للزائر بد من أن يرجع إلىٰ منزله(٤).

قال أبو محمَّد(٥): يعني أن يرجع إلىٰ منزله -إلىٰ جنَّةٍ أو إلىٰ نارٍ. وهكذا ذُكر أن بعضَ الأعراب(٦) سمع رجلًا يتلو(٧) هذه الآية: ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ فقال: بُعثَ اليوم وربِّ الكعبة؛ أي: إنَّ الزَّائر سيرحل مِن مقامه ذلك إلىٰ غيره.

وقوله: ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ قال الحسن البصري: هذا وعيدٌ بعد وعيدٍ.

وقال الضَّحَّاكُ: ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ يعني: الكفَّار، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ يعني: أيها المؤمنون.

وقوله: ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ﴾؛ أي: لو علمتم حقَّ العلم، لما ألهاكم التَّكاثر عن طلب الدَّار الآخرة، حتىٰ صِرْتُم إلىٰ المقابر.

ثم قال: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ﴾ هذا تفسير الوعيد المتقدِّم، وهو قوله: ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ توعَّدهم بهذا الحال، وهي رؤية النَّار الَّتِي إذا زَفَرَتْ زفرةً خَرَّ كلُّ ملكٍ مقرَّبٍ، ونبيٍّ مرسلٍ علىٰ ركبتيه، من المهابة والعظمة ومعاينة الأهوال، علىٰ ما جاء به الأثر المَرْوِيُّ في ذلك.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ أي: ثم لتسألنَّ يومئذٍ عن شكر ما أنعم الله به عليكم، من الصِّحَّةِ والأمنِ والرِّزقِ وغير ذلك. ما إذا قابلتم به نعمه مِن شكرِهِ وعبادته.

---

(١) البخاري (٣٦١٦). (٢) في (ز): (مسلم)، وهو خطأ.

(٣) ضعيف: رواه ابن أبي حاتم (١٩٤٥٤)، الترمذي (٣٣٥٢)، وفيه الحجاج بن أرطأة: ضعيف.

(٤) رواه ابن أبي حاتم (١٩٤٥٥). (٥) أي: ابن أبي حاتم.

(٦) لوحة (٢٦٤ / ب). (٧) في (ز): (ينكر).

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرْعَةَ، حدَّثنا زكريا بن يحيىٰ الخزاز المقري، حدَّثنا عبد الله بن عيسىٰ أبو خالد الخزاز، حدَّثنا يونس بن عبيد، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس أنَّه سَمِعَ عمر بن الخطَّاب يقول: خرج رسول الله ﷺ عند الظَّهيرة، فوجد أبا بكرٍ في المسجد فقال: «**مَا أَخْرَجَكَ هَذِهِ السَّاعَةَ؟**» قال: أخرجني الذي أخرجك يا رسول الله. قال: وجاء عمر بن الخطاب فقال: «**مَا أَخْرَجَكَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ؟**» قال: أخرجني الذي أخرجكما. قال: فقعد عمر، وأقبل رسول الله ﷺ يحدِّثهما، ثم قال: «**هَلْ بِكُمَا مِنْ قُوَّةٍ، تَنْطَلِقَانِ إِلَىٰ هَذَا النَّخْلِ فَتُصِيبَانِ طَعَامًا وَشَرَابًا وَظِلًّا؟**» قلنا: نعم. قال: «**مُرُّوا بِنَا إِلَىٰ مَنْزِلِ ابْنِ التَّيِّهَانِ أَبِي الهَيْثَمِ الأَنْصَارِيِّ**». قال: فتقدَّم رسول الله ﷺ بين أيدينا، فسَلَّم واستأذن - ثلاث مرَّاتٍ- وأم الهيثم مِن وراء الباب تسمع الكلام، تُرِيدُ أن يَزِيدَها رسول الله ﷺ من السَّلام، فلمَّا أراد أن ينصرف خرجت أم الهيثم تسعىٰ خلفهم، فقالت: يا رسول الله، قد -والله- سمعت تَسْلِيمَكَ، ولكن أردتُ أن تزيدنا من سلامك. فقال لها رسول الله ﷺ: «**خَيْرًا**». ثم قال: «**أَيْنَ أَبُو الهَيْثَمِ؟ لَا أَرَاهُ**». قالت: يا رسول الله، هو قريبٌ[(١)] ذهبَ يَستعذِبُ[(٢)] الماء، ادخلوا فإنَّه يأتي السَّاعة إن شاء الله، فبسطت بساطًا تحت شجرةٍ، فجاء أبو الهيثم ففرح بهم، وقرَّت عيناه بهم، فصعد علىٰ نخلةٍ فصرم لهم أعذاقًا، فقال له رسول الله ﷺ: «**حَسْبُكَ يَا أَبَا الهَيْثَمِ**». قال: يا رسول الله، تأكلون من بُسره، ومِن رطبه، ومن تَذْنُوبه[(٣)]، ثم أتاهم بماءٍ فشربوا عليه، فقال رسول الله ﷺ: «**هَذَا مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ**»[(٤)] هذا غريب من هذا الوجه.

وقال ابن جرير: حدَّثني الحُسَينُ بن علي الصدائي، حدَّثنا الوليد بن القاسم، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: بينما أبو بكر وعمر جالسان، إذ جاءهما النَّبيُّ ﷺ فقال: «**مَا أَجْلَسَكُمَا هَاهُنَا؟**» قالا: والَّذي بعثك بالحق ما أخرجنا من بيوتنا إلا الجوع. قال: «**وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالحَقِّ مَا أَخْرَجَنِي غَيْرُهُ**». فانطلقوا حتىٰ أَتَوْا بيت رجلٍ من الأنصار، فاستقبلتهم المرأة، فقال لها النَّبيُّ ﷺ: «**أَيْنَ فُلَانٌ؟**» فقالت: ذهب يستعذب لنا ماءً. فجاء صاحبهم يحمل قربته، فقال: [مرحبًا][(٥)]، ما زار العباد [شيءٌ][(٦)] أفضلَ مِن شيءٍ زارني اليوم. فعلق قربته بكرب[(٧)] نخلة، وانطلق فجاءهم بعذق[(٨)]، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**أَلَا كُنْتَ اجْتَنَيْتَ**»؟ فقال: أحببت أن تكونوا الَّذين تختارون علىٰ أعينكم. ثم أخذ

---

(١) لوحة (٢٦٥/أ).

(٢) أي: يحضر الماء العذب، وهو الطيب الذي لا ملوحة فيه.

(٣) التذنوب: الذي بدا فيه الإرطاب من قبل ذنبه.

(٤) ضعيف بهذا السياق: رواه ابن أبي حاتم (١٩٤٦٣) في إسناده عبد الله بن عيسىٰ: ضعيف، ولكن انظر رواية أبي هريرة الآتية.

(٥) سقط من (ز)، وهو مثبت من «الطبري».

(٦) سقط من (ز)، وهو مثبت من «الطبري».

(٧) الكَرَب: أصل السعف.

(٨) العِذْق: العرجون بما فيه من الشماريخ.

الشَّفرة، فقال النَّبيُّ ﷺ: «إِيَّاكَ وَالحَلُوبَ؟» فذَبَح لهم يومئذٍ، فأكلوا. فقال النَّبيُّ ﷺ: «لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا يَوْمَ القِيَامَةِ؛ أَخرَجَكُم مِنْ بُيُوتِكُمُ الجُوعُ، فَلَمْ تَرْجِعُوا حَتَّىٰ أَصَبْتُمْ هَذَا، فَهَذَا مِنَ النَّعِيمِ»[١].

ورواه مسلم من حديث يزيد بن كيسان به، ورواه أبو يعلىٰ، وابن ماجة من حديث المحاربي[٢]، عن يحيىٰ بن عُبيد الله، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن أبي بكر الصديق به.

وقد رواه أهل السنن الأربعة من حديث عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، بنحو من هذا السياق وهذه القصة[٣].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا سُرَيجٌ، حدَّثنا حشرج، عن أبي نُصرة، عن أبي عسيب -يعني مولىٰ رسول الله- قال: خرج رسول الله ﷺ ليلًا فمرَّ بي، فدعاني فخرجت إليه، ثم مَرَّ بأبي بكر فدعاه فخرج إليه، ثم مَرَّ بعمر فدعاه فخرج إليه، فانطلق حتىٰ أتىٰ حائطًا لبعض الأنصار، فقال لصاحب[٤] الحائط: «أَطْعِمْنَا». فجاء بِعذْقٍ فوضعه، فأكل رسول الله ﷺ وأصحابه، ثم دعا بماءٍ باردٍ فشرب، وقال: «لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا يَوْمَ القِيَامَةِ». قال: فأخذ عُمَرُ العذْقَ فضرب به الأرض، حتىٰ تناثر البُسرُ قبل رسول الله ﷺ ثم قال: يا رسول الله، إنَّا لمسئولون عن هذا يوم القيامة؟ قال: «نَعَمْ، إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: خِرْقَةٍ لَفَّ بِهَا الرَّجُلُ عَوْرَتَهُ، أَوْ كِسْرَةٍ سَدَّ بِهَا جَوْعَتَهُ، أَوْ جُحْرٍ تَدَخَّلَ فِيهِ مِنَ الحَرِّ وَالقُرِّ» تفرد به أحمد[٥].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا عبد الصمد، حدَّثنا حماد، حدَّثنا عمَّار، سمعت جابر بن عبد الله يقول: أكل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رطبًا، وشربوا ماءً، فقال رسول الله ﷺ: «هَذَا مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ»[٦].

ورواه النَّسائي، من حديث حماد بن سلمة، [عن عمار بن أبي عمار، عن جابر به][٧].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا يزيد، حدَّثنا محمَّد بن عمرو، عن صفوان بن سليم، عن محمود بن الربيع قال: لما نزلت: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ فقرأ حتىٰ بلغ: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قالوا: يا رسول الله، عن أي نعيمٍ نُسأل؟ وإنَّما هما الأسودان الماء والتَّمر، وسيوفنا علىٰ رقابنا، والعدو حاضر، فعن أي نعيمٍ نسأل؟ قال: «أَمَا إِنَّ ذَلِكَ سَيَكُونُ»[٨].

---

(١) مسلم (٢٠٣٨)، والطبري (٣٠/ ٢٨٧)، وأبو يعلىٰ (٧٨)، وابن ماجة (٣١٨١).
(٢) في (ز): (المكاري)، وهو خطأ.
(٣) رواه أبو داود (٥١٢٨)، والترمذي (٢٣٧٠)، وابن ماجة (٣٧٤٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٩٧).
(٤) لوحة (٢٦٥/ ب).
(٥) حسن: رواه أحمد (٥/ ٨١).
(٦) حسن صحيح: رواه أحمد (٣/ ٣٥١)، والنسائي (٦/ ٢٤٦)، ويشهد لصحته ما تقدم.
(٧) سقط من (ز).
(٨) حسن صحيح: رواه أحمد (٥/ ٤٢٩)، وفيه محمَّد بن عمرو: صدوق. ويشهد له ما تقدم، ويشهد له حديث عبد الله بن الزبير الآتي.

وقال أحمد: حدَّثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو، حدَّثنا عبد الله بن سليمان، حدَّثنا معاذ بن عبد الله بن حبَيبٍ، عن أبيه، عن عمه قال: كنَّا في مجلسٍ فطلع علينا النَّبيُّ ﷺ وعلىٰ رأسه أثر ماء، فقلنا: يا رسول الله، نراك طَيِّبَ النَّفس. قال: «أَجَلْ». قال: ثم خاض النَّاس في ذكر الغِنَىٰ، فقال رسول الله ﷺ: «لا بَأْسَ بِالغِنَىٰ لِمَنِ اتَّقَىٰ اللهَ، وَالصِّحةُ لِمَنِ اتَّقَىٰ اللهَ خَيْرٌ مِنَ الغِنَىٰ، وَطِيبُ النَّفْسِ مِنَ النَّعِيمِ»(١).

ورواه ابن ماجة، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن خالد بن مخلد(٢)، عن عبد الله بن سليمان به.

وقال الترمذي: حدَّثنا عبد بن حميد، حدَّثنا شبابة، عن عبد الله بن العلاء، عن الضَّحَّاكِ(٣) بن عبد الرحمن بن عرزم الأشعري قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ -يعني يوم القيامة- العَبْدُ مِنَ النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُرْوِكَ مِنَ المَاءِ البَارِدِ؟»(٤). تفرد به الترمذي، ورواه ابن حبان في «صحيحه» من طريق الوليد بن مسلم، عن عبد الله بن العلاء بن زبر به(٥).

[وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرْعَةَ، حدَّثنا مُسَدَّدٌ، حدَّثنا سفيان، عن محمَّد بن عمرو، عن يحيىٰ ابن حاطب، عن عبد الله بن الزبير قال: قال الزبير: لما نزلت: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قالوا: يا رسول الله، لأي نعيمٍ نسأل عنه، وإنَّما هما الأسودان: التَّمر والماء؟ قال: «إِنَّ ذَلِكَ سَيَكُونُ»(٦).

وكذا رواه الترمذي وابن ماجة، من حديث سفيان -هو ابن عيينة- به. ورواه أحمد عنه، وقال التِّرمذي: حسن(٧)](٨).

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو عبد الله الظهراني، حدَّثنا حفص بن عمر العدني، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة قال: لما نزلت(٩) هذه الآية: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قالت الصحابة: يا رسول الله، وأيُّ نعيمٍ نحن فيه، وإنَّما نأكل في أنصاف بطوننا خبز الشَّعير؟ فأوحىٰ الله إلىٰ نبيه ﷺ: قل لهم: «أَلَيْسَ تَحْتَذُونَ النِّعَالَ، وَتَشْرَبُونَ المَاءَ البَارِدَ؟ فَهَذَا مِنَ النَّعِيمِ»(١٠).

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٣٧٢)، وابن ماجة (٤١٤١)، والحاكم (٢/ ٣) وصححه، ووافقه الذهبي، قال الألباني في «الصحيحة» (١٧٤) وهو كما قالا.

(٢) في (ز): (مجاهد)، وهو خطأ. (٣) لوحة (٢٦٦ / أ). (٤) رواه الترمذي (٣٣٥٥).

(٥) في (ز): (عن عبد الله بن العلاء عن زبر به)، والمثبت هو الصواب، وهو موافق لما في «صحيح ابن حبان».

(٦) رواه ابن أبي حاتم (١٩٤٦٤)، وهو إسناد حسنٌ، ويشهد له حديث محمود بن الربيع السابق.

(٧) حسن صحيح: رواه الترمذي (٣٣٥٦)، وابن ماجة (٤١٥٨)، وقال الترمذي: حسن، قلت: يشهد له حديث محمود بن الربيع السابق.

(٨) وقعت هذه الفقرة في (ز) قبل حديث الإمام أحمد قبل السابق.

(٩) في (ز): (قال: أنزلت).

(١٠) مرسل: رواه ابن أبي حاتم (١٩٤٦٥) عن عكرمة ولم يسنده موصولًا.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زرعة، حدَّثنا إبراهيم بن موسىٰ، أخبرنا محمَّد بن سليمان[١] بن الأصبهاني، عن ابن أبي ليلىٰ -أظنُّه عن عامر- عن ابن مسعود، عن النبيِّ ﷺ في قوله: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ قال: «الأَمْنُ وَالصِّحَّةُ»[٢].

وقال زيد بن أسلم، عن رسول الله ﷺ: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ يعني: شبع البطون، وبارد الشَّراب، وظلال المساكن، واعتدال الخلق، ولذَّة النَّوم[٣]. رواه ابن أبي حاتم بإسناده المتقدِّم، عنه في أول السورة.

وقال سعيد بن جبير: حتىٰ عن شربة عسل. وقال مجاهد: عن كلِّ لذَّةٍ مِن لذَّات الدُّنيا. وقال الحسن البصري: نعيم الغَدَاءِ والعَشَاءِ، وقال أبو قِلابةَ: من النَّعيم أكل العسل والسَّمن بالخبزِ النَّقِيِّ. وقول مجاهد -هذا- أشمل هذه الأقوال.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ قال: النعيم: صحة الأبدانِ والأسماعِ والأبصارِ، يسأل الله العباد فيما استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦][٤].

وثبت في «صحيح البخاري»، و«سنن الترمذي والنَّسائي وابن ماجة»، من حديث عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن أبيه، عن ابن عبَّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ»[٥].

ومعنىٰ هذا: أنَّهم مُقصِّرُون في شكر هاتين النِّعمتَيْن، لا يقومون بواجبهما، ومَن[٦] لا يقوم بحقِّ ما وجب عليه فهو مغبون.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدَّثنا القاسم بن محمَّد بن يحيىٰ المروزي، حدَّثنا علي بن الحسن ابن شقيق[٧]، حدَّثنا أبو حمزة، عن ليثٍ، عن أبي فزارة، عن يزيد بن الأصم، عن ابن عبَّاس

(١) في (ز): (محمد بن السلمان)، وهو خطأ.

(٢) رواه الطبري (٣٠/ ٢٨٥)، وفيه الشك باسم الراوي عن ابن مسعود، ومحمَّد بن سليمان: صدوق يخطئ. ومعنىٰ الحديث صحيح فهو من النعيم الذي يسأل عنه العبد.

(٣) رواه الطبري (٣٠/ ٢٨٥).

(٤) رواه الطبري (٣٠/ ٢٨٦)، وإسناده ضعيف، ولكن المعنىٰ صحيح.

(٥) البخاري (٦٤١٢)، ورواه الترمذي (١٣٠٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٤٧٠).

(٦) لوحة (٢٦٦ / ب).

(٧) في (ز): (سفيان)، وهو خطأ.

قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا فَوْقَ الإِزَارِ، وَظِلِّ الحَائِطِ، وَخُبْزٍ، يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ، أَوْ يُسْأَلُ عَنْهُ**»(١) ثم قال: لا نعرفه إلا بهذا الإسناد.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا بهز وعفان قالا: حدَّثنا حماد -قال عفان في حديثه: قال إسحاق بن عبد الله، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**يَقُولُ اللهُ ﷻ** -قال عفَّان: **يَوْمَ القِيَامَةِ**-: **يَا ابْنَ آدَمَ، حَمَلْتُكَ عَلَىٰ الخَيْلِ وَالإِبِلِ، وَزَوَّجْتُكَ النِّسَاءَ، وَجَعَلْتُكَ تَرْبَعُ وَتَرْأَسُ، فَأَيْنَ شُكْرُ ذَلِكَ؟**»(٢) تفرَّد به من هذا الوجه.

آخر تفسير سورة التكاثر، ولله الحمد.

---

(١) ضعيف: (٣٦٤٣- كشف الأستار)، في إسناده ليث بن أبي سليم: اختلط ولم تتميز أحاديثه فترك.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٤٩٢)، وأخرجه الترمذي (٢٤٢٨) من حديث أبي سعيد بمثله.

سُورَةُ العَصْرِ

تفسير سورة العصر، وهي مكيَّة

ذكروا أن عمرو بن العاص وفد علىٰ مسيلمة الكذاب [-لعنه الله-][(١)] وذلك بعد ما بعث رسول الله ﷺ وقبل أن يُسْلِمَ عمرو، فقال له مسيلمة: ماذا أُنزِلَ علىٰ صاحبكم في هذه المُدَّة؟ قال: لقد أُنزِلَ عليه سورةٌ وجيزةٌ بليغةٌ. فقال: وما هي؟ فقال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ ففكر مسيلمة هُنَيهةً ثم قال: وقد أنزل عليَّ مثلها. فقال له عمرو: وما هو؟ فقال: يا وَبْر يا وَبْر، إنَّما أنت أُذُنَان وصَدْر، وسائرك[(٢)] حفز نَقْز. ثم قال: كيف ترىٰ يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله إنَّكَ لتعلم أنِّي أعلم أنَّك تكذب[(٣)].

وقد رأيت أبا بكر الخرائطي أسند في كتابه المعروف بـ«مساوئ الأخلاق» في الجزء الثاني منه شيئًا من هذا أو قريبًا منه.

والوبْر: دويبةٌ تشبه الهِرَّ، أعظم شيء فيه أذناه، وصدره وباقيه دميم[(٤)]. فأراد مسيلمة أن يُرَكِّبَ من هذا الهذيان ما يعارض به القرآن، فلم يرج ذلك علىٰ عابد الأوثان في ذلك الزمان.

وذكر الطبراني من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت، عن [عبد الله][(٥)] بن حصن أبي مدينة[(٦)]، قال[(٧)]: كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا، لم يَتَفَرَّقا إلَّا علىٰ أن يقرأ أحدُهُما علىٰ الآخر «سورة العصر» إلىٰ آخرها، ثم يسلِّم أحدهما علىٰ الآخر[(٨)].

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: لو تدبَّر النَّاس هذه السورة لوسعتهم.

---

(١) ليست في (ز). (٢) في (ز): (وساتر).

(٣) هكذا أوردها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ، ولم يذكر سندها، وفي صحتها نظر، فإن إسلام عمرو بن العاص كان قبل أن يدعي مسيلمة النبوة.

(٤) في (ز): (لطرف ذميم). (٥) في (ز): (عبيد الله)، والمثبت هو الصواب.

(٦) كذا في (ز)، وهو الصواب، وقال في «الشعب» لعله محرف عن «أبي مليكة»، وهذا كلامٌ لا دليل عليه.

(٧) لوحة (٢٦٧ / أ).

(٨) رجاله ثقات: رواه «الطبراني» في «الأوسط» (٥/ ٢١٥/ ٥١٢٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٦٣٩) عن أبي مدينة الدارمي وهو عبد الله بن حصن، قال الطبراني: وكانت له صحبةٌ، وقال الحافظ في «الإصابة»: وفي التابعين (أبو مدينة) فإن كان الطبراني ضبط أن اسم الصحابي عبد الله بن حصن ولم يلتبس عليه بهذا التابعي فقد اتفقا في الاسم واسم الأب وافترقا في الكنية، وإلا فالاسم والكنية للتابعي، وأما الصحابي الدارمي فلم يسم.

قلت: وصححه الشيخ علوي السقاف في «تخريج أحاديث الظلال» (١٠٠٠).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ[(١)] ٣﴾

العصر: الزَّمان الَّذي يقع فيه حركات بني آدمَ، مِن خيرٍ وشرٍّ. وقال مالك، عن زيد بن أسلم: هو العشيُّ، والمَشْهُور الأوَّل. فأقسم تعالىٰ بذلك علىٰ أنَّ الإنسان لفي خسرٍ؛ أي: في خسارةٍ وهلاكٍ، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ [وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فاستثنىٰ من جنس الإنسان عن الخسران الَّذين آمنوا][(٢)] بقلوبهم، وعَمِلُوا الصَّالحات بجَوَارِحِهم، ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ وهو أداء الطَّاعات، وترك المحرَّمات، ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ علىٰ المصائب والأقدار، وأذىٰ مَن يؤذي ممَّن يأمرونه بالمعرُوف وينهونه عن المنكر.

آخر تفسير سورة العصر، ولله الحمد والمنة.

---

(١) قال الشيخ القاسمي رحمه الله: قال الإمام ابن القيم في «مفتاح دار السعادة»: قال الشافعي رحمه الله: لو فكر الناس كلهم في هذه الصورة لكفتهم، وبيان ذلك أن المراتب أربعة وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله:
إحداها: معرفة الحق .
الثانية: عمله به .
الثالثة: تعليمه من لا يحسنه .
الرابعة: صبره علىٰ تعلمه والعمل به وتعليمه .
فذكر تعالىٰ المراتب الأربعة في هذه السورة . وأقسم -سبحانه- في هذه السورة بالعصر أن كل أحد في خسر، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وهم الذين عرفوا الحق وصدَّقوا به، فهذه مرتبة . ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾وهم الذين عملوا بما علموه من الحق فهذه أخرىٰ . ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾، وصىٰ به بعضهم بعضًا تعليمًا وإرشادًا، فهذه مرتبةٌ ثالثةٌ. ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾، صبروا علىٰ الحق، ووصىٰ بعضهم بعضًا بالصبر عليه والثبات . فهذه مرتبةٌ رابعةٌ .
وهذا نهاية الكمال . فإن الكمال أن يكون الشخص كاملًا في نفسه، مكمِّلًا لغيره . وكماله بإصلاح قوتيه العلمية والعملية، فصلاح القوة العلمية بالإيمان . وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات، وتكميله غيره بتعليمه إياه وصبره عليه وتوصيته بالصبر علىٰ العلم والعمل . فهذه السورة -علىٰ اختصارها- هي من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره . والحمد لله الذي جعل كتابه كافيًا عن كل ما سواه، شافيًا من كل داءٍ، هاديًا إلىٰ كل خيرٍ.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (ز).

سُورَةُ الهُمَزَةِ

تفسير سورة ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾، وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ۝٩﴾

الهمَّاز: بالقول، واللَّمَّازُ: بالفعل. يعني: يَزْدَرِي بالنَّاس وينتقص بهم. وقد تقدَّم بيان ذلك في قوله: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١].

قال ابن عبَّاس: ﴿هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ طعَّانٍ مِعْيَابٍ[١]. وقال الرَّبيع بن أنس: الهُمَزَةُ، يهمزه في وجهه، واللُّمَزَةُ مِن خلفه. وقال قتادة: يَهْمِزُه ويَلْمِزُه[٢] بلسانه وعينه، ويأكل لحوم النَّاس، ويطعنُ عليهم.

وقال مجاهد: الهُمَزَةُ: باليد والعين، واللُّمزةُ: باللِّسان. وهكذا قال ابن زيد. وقال مالك، عن زيد بن أسلم: هُمَزة لحومِ النَّاس.

ثم قال بعضهم: المراد بذلك الأخنس بن شريق. وقيل غيره. وقال مجاهد: هي عَامَّةٌ.

وقوله: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾؛ أي: جمعه بعضه علىٰ بعض، وأحصىٰ عدده كقوله: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ [المعارج: ١٨] قاله السُّدِّي، وابن جرير.

وقال محمَّد بن كعب في قوله: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ ألهاه ماله بالنَّهار[٣]، هذا إلىٰ هذا، فإذا كان اللَّيل، نام كأنَّه جيفةٌ.

وقوله: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾؛ أي: يظن أن جمع المال يخلده في هذه الدار! ﴿كَلَّا﴾؛ أي: ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب. ثم قال تعالىٰ: ﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾؛ [أي: ليلقين هذا الذي جمع مالًا فعدَّده في الحُطَمَةِ][٤] وهي اسمٌ من أسماءِ النَّار صفة [لها][٥]؛ لأنَّها تحطم مَن فيها.

---

(١) في (ز): (نصاب). (٢) في (ز): (همزة لمزة).
(٣) لوحة (٢٦٧ / ب).
(٤) سقط من (ز). (٥) ليست في (ز).

ولهذا قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ قال ثابت البناني: تحرقُهُم إلىٰ الأفئدة وهم أحياء، ثم يقول: لقد بلغ منهم العذاب، ثم يبكي.

وقال محمَّد بن كعب: تأكلُ كلَّ شيءٍ من جسدِهِ، حتىٰ [إذا بلغت](١) فؤادَهُ حَذْوَ حلقه ترجع علىٰ جسده.

وقوله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ أي: مطبقةٌ، كما تقدم تفسيره في سورة البلد.

وقال ابن مَرْدويه: حدَّثنا عبد الله بن محمَّد، حدَّثنا علي بن سراج، حدَّثنا عثمان بن خَرزَاذ، حدَّثنا شجاع بن أشرس، حدَّثنا شريك، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ قال: «مُطْبَقَةٌ».

وقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة، عن عبد الله بن أسيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح قوله، ولم يرفعه.

﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ قال عطية العوفي: عمدٍ من حديدٍ. وقال السُّدِّي: من نار. وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس: ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ يعني: الأبواب هي [الممدودة](٢).

وقال قتادة في قراءة عبد الله بن مسعود: إنها عليهم مؤصدةٌ بعُمُدٍ(٣) ممدَّدة(٤).

وقال العوفي، عن ابن عبَّاس: أدخلهم في عمد فمدت عليهم بعِمَادٍ، وفي أعناقهم السَّلاسل فسُدَّت بها الأبواب(٥).

وقال قتادة: كنا نحدث أنهم يعذبون بعمد في النار. واختاره ابن جرير.

وقال أبو صالح: ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ يعني: القيود الطُّوال.

آخر تفسير سورة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾.

---

(١) في (ز): (حتىٰ يلعب). (٢) في(ز) : (الممدوة).

(٣) قراءة: قَرَأَ (بِعَمَدٍ) عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَفِيهَا مِنَ الْمُتَوَاتِرِ قَرَأَ (فِي عُمُدٍ) حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ (فِي اخْتِيَارِهِ) وَشُعْبَةُ وَوَافَقَهُمُ الْحَسَنُ وَالْأَعْمَشُ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (فِي عَمَدٍ).

(٤) رواه الطبري (٣٠/ ٣٩٥) ، وفيه قتادة: مدلِّس وقد عنعن، وشيخ الطبري ابن حميد: حافظ ضعيف.

(٥) رواه الطبري (٣٠/ ٣٩٥) ، والعوفي: شيعي مدلس.

سُورَةُ الفِيلِ

تفسير سورة الفيل، وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا[1] أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾﴾

هذه من النِّعم التي امتَنَّ الله بها علىٰ قريشٍ، فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل، الذين كانوا قد عزَمُوا علىٰ هدم الكعبة، ومَحْوِ أثرها من الوجود، فأبادهم الله، وأرغم آنافهم، وخيَّب سعيهم، وأضلَّ عملهم، ورَدَّهم بشرٍّ خيبةٍ. وكانوا قومًا نصارىٰ، وكان دينهم إذ ذاك أقربَ حالًا ممَّا كان عليه قريش مِن عبادة الأوثان. ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتَّوطِئَة لمبعث رسول الله ﷺ؛ فإنَّه في ذلك العام وُلِدَ علىٰ أشهر الأقوال، ولسان حال القدر يقول: لم ننصركم -يا معشر قريش- علىٰ الحبشة لخيريتكم عليهم، ولكن صيانة للبَيْتِ العتيق الذي سنشرفه ونعظِّمُه ونوقِّره ببعثة النَّبيِّ الأُمِّيِّ -محمَّد، صلوات الله وسلامه عليه- خاتم الأنبياء.

وهذه قصَّة أصحاب الفيل علىٰ وجه الإيجاز والاختصارِ والتَّقريب، قد تقدَّم في قصة أصحاب الأخدود أنَّ ذا نُوَاس -وكان آخر ملوك حمير، وكان مشركًا- هو الَّذِي قتل أصحاب الأخدود، وكانوا نصارىٰ، وكانوا قريبًا من عشرين ألفًا، فلم يَفْلِتْ منهم إلا دَوس ذو ثعلبان، فذهب فاستغاث بقيصر ملك الشام -وكان نصرانيًّا- فكتب له إلىٰ النَّجاشي ملك الحبشة؛ لكونه أقرب إليهم، فبعث معه أميرين: أرياط وأبرهة بن الصباح أبا يكسوم في جيشٍ كثيفٍ، فدخلوا اليمن فجاسوا خلال الديار، واستلبوا الملك مِن حِمْيَرَ، وهلك ذو نواسٍ غريقًا في البحر.

واستقل الحبشة بمُلْكِ اليمن، وعليهم هذان الأميران: أرياط وأبرهة، فاختلفا في أمرهما وتصاولَا وتقاتلَا وتصافَّا، فقال أحدهما للآخر: إنَّه لا حاجة بنا إلىٰ اصطدام الجيشين بيننا، ولكن أبرز إليَّ وأبرز إليك، فأينا قتل الآخر، استقلَّ بعده بالملك. فأجابه إلىٰ ذلك فتبارزا، وخَلْفَ كل واحدٍ منهما فتاة، فحمل أرياط علىٰ أبرهة فضربه بالسَّيف، فشَرَمَ أنفه وفَمَهُ وشَقَّ وجهه، وحمل عَتَوْدَة مولىٰ أبرهة علىٰ

---

(١) لوحة (٢٦٨ / أ).

أرياط فقتله، ورجع أبرهة جريحًا، فداوىٰ جرحه فَبَرأ، واستقلَّ بتدبير جيش الحبشة باليمن. فكتب إليه النَّجاشي يلومه علىٰ ما كان منه، ويتوعده ويحلف ليطأَنَّ بلاده ويجزّنَّ ناصيته. فأرسل إليه أبرهة يترقق له ويصانعه، وبعث مع رسوله بهدايا وتحفٍ، وبجرابٍ فيها مِن تراب اليمن، وجَزَّ[1] ناصيته فأرسلها معه، ويقول في كتابه: ليطأ الملك علىٰ هذا الجراب فيَبَر قسمه، وهذه ناصيتي قد بعثت بها إليك. فلما وصل ذلك إليه أعجبه منه، ورَضِيَ عنه، وأقرّه علىٰ عمله.

وأرسل أبرهة يقول للنَّجاشي: إنِّي سأبني لك كنيسةً بأرض اليمن لم يُبْنَ قبلها مثلها. فشرع في بناء كنيسةٍ هائلة بصنعاء، رفيعة البناء، عالية الفناء، مزخرفة الأرجاء. سمتها العرب القُلَّيس؛ لارتفاعها؛ لأنَّ النَّاظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسِهِ مِن ارتفاع بنائها. وعزم أبرهة الأشرمُ علىٰ أن يصرف حَجَّ العرب إليها كما يُحَجُّ إلىٰ الكعبة بمكَّة، ونادىٰ بذلك في مملكته، فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك، وغضبت قريش لذلك غضبًا شديدًا، حتىٰ قصدها بعضهم، وتوصل إلىٰ أن دخلها ليلًا. فأحدث فيها وكرَّ راجعًا. فلما رأىٰ السَّدنة ذلك الحدث، رفعوا أمره إلىٰ ملكهم أبرهة، وقالوا له: إنَّما صنع هذا بعض قريش غضبًا لبيتهم الذي ضاهيت هذا به، فأقسم أبرهة ليسيرن إلىٰ بيت مكَّة، ولَيُخَرِّبَنَّه حجرًا حجرًا.

وذكر مقاتل بن سليمان أن فتية من قريش دخلوها فأججوا فيها نارًا، وكان يومًا فيه هواء شديد فأحرقته، وسقطت إلىٰ الأرض.

فتأهب أبرهة لذلِكَ، وصار في جيشٍ كثيفٍ عَرَمرم؛ لئلَّا يصدَّه أحدٌ عنه، واستصحَبَ معه فيلًا عظيمًا كبير الجثَّة لم يُرَ مثله، يقال له: محمود، وكان قد بعثه إليه النَّجاشي ملك الحبشة لذلك. ويقال: كان معه أيضًا ثمانية أفيال. وقيل: اثنا عشر فيلًا. وقيل غيره، والله أعلم. يعني: ليهدم به الكعبة، بأن يجعل السَّلاسل في الأركان، وتوضع في عُنُقِ الفيل، ثم يزجر ليلقي الحائط جملةً واحدةً. فلما سمعت العرب بمسيره أعظموا ذلك جدًّا، ورَأَوْا أنَّ حقًّا عليهم المحاجبة دون البيت، وَرَد مَن أراده بكيدٍ. فخرج إليه رجلٌ كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم، يقال له: «ذو نَفْرٍ» فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلىٰ حرب أبرهة، وجهاده عن بيت الله، وما يُرِيد مِن هدمه وخرابه. فأجابوه وقاتلوا أبرهة، فهزمهم لما يريده الله ﷻ من كرامة البيت وتعظيمه، وأسر «ذو نَفر» فاستصحبه معه. ثم مضىٰ لوجهه حتىٰ إذا كان بأرض خثعم، عَرَضَ له نُفَيل بن حَبيبٍ الخَثْعمي في[2] قومه: شهران وناهس[3]، فقاتلوه، فهزمهم أبرهة، وأسر نُفَيل بن حبيب، فأراد قتله ثم عفا عنه، واستصحبه معه ليدله في بلاد الحجاز. فلَمَّا اقترب مِن أرض الطَّائف، خرج إليه أهلها ثقيف وصانعوه خيفة علىٰ بيتهم، الذي عندهم، الَّذِي يسمونه

---

(١) لوحة (٢٦٨/ب). (٢) لوحة (٢٦٩/أ).

(٣) شهران وناهس: هما ولد عفرمس بن حلف بن خثعم.

اللّات. فأكرمهم وبعثوا معه «أبا رِغَال» دليلًا.

فلمَّا انتهىٰ أبرهة إلىٰ المُغمسِ -وهو قريب من مكة- نزل به وأغار جيشه علىٰ سَرْح[١] أهل مكَّة من الإبل وغيرها، فأخذوه. وكان في السَّرح مائتا بعيرٍ لعبد المطَّلِب.

وكان الذي أغار علىٰ السرح بأمر أبرهة أمير المقدمة، وكان يقال له: «الأسود بن مفصود» فهجاه بعض العرب -فيما ذكره ابن إسحاق- وبعث أبرهة حناطة الحميري إلىٰ مكة، وأمره أن يأتيه بأشرف قريش، وأن يُخْبِرَه أنَّ الملك لم يَجِئ لقتالكم إلا أن تَصُدُّوه عن البيت. فجاء حناطة فَدُلَّ علىٰ عبد المطلب بن هاشم[٢] وبلغه عن أبرهة ما قال، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك مِن طاقةٍ، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم، فإن يَمْنَعْهُ منه فهو بيته وحرمه، وإن يخلَّىٰ بينه وبينه، فوالله ما عندنا دَفْع عنه. فقال له حناطة: فاذهب معي إليه. فذهب معه، فلما رآه أبرهة أجلَّه، وكان عبد المطَّلِب رجلًا جميلًا حسن المنظر، ونزل أبرهة عن سرِيرِهِ، وجلس[٣] معه علىٰ البِسَاط، وقال لترجمانه: قل له: حاجتك؟ فقال للترجمان: إن حاجتي أن يرد علي الملك مِائَتَيْ بعير أصابها لي. فقال أبرهة لترجمانه: قل له: لقد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثمَّ قد زَهِدت فيكَ حين كَلَّمْتَنِي، أتكلمني في مائتي بعيرٍ أصبتها لك، وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لهدمِهِ، لا تكلِّمني فيه؟! فقال له عبد المطلب: إني أنا رَبُّ الإبل، وإنَّ للبيت ربًّا سيَمْنَعُهُ. قال: ما كان ليمتنع منِّي! قال: أنت وذاك.

ويقال: إنَّه ذهب مع عبد المطلب جماعةٌ من أشراف العرب، فعرضوا علىٰ أبرهة ثلث أموال تهامةَ علىٰ أن يرجع عن البيت، فأبىٰ عليهم، وردَّ أبرهةُ علىٰ عبد المطلب إبلَهُ، ورجع عبد المطَّلب إلىٰ قريشٍ فأمرهم بالخروج من مكَّة، والتَّحصُّن في رُءُوس الجبال، تخوُّفًا عليهم من معرَّة الجيش. ثم قام عبد المطلب فأخذ بحَلْقَةِ باب الكعبة، وقام معه نفرٌ مِن قريش[٤] يدعون الله ويَسْتَنْصِرُونَه علىٰ أبرهةَ وجندِه، وقال عبد المطَّلِب وهو آخذٌ بحلقةِ باب الكعبة:

لاهُمَّ[٥] إنَّ المَرْءَ يَمْـ ... ـنَعُ رَحْلَهُ[٦] فَامْنَعْ حِلَالَكْ[٧]
لا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ ... وَمِحَالُهُمْ[٨] غَدْوًا[٩] مِحَالَكْ

---

(١) السرح: الماشية.
(٢) في (ز): (ابن هشام).
(٣) في (ز): (ونزل).
(٤) لوحة (٢٦٩ / ب).
(٥) لاهم: أصلها: (اللهم)، والعرب تحذف الألف واللام منها وتكتفي بما بقي.
(٦) في (ز): (رحله وحلاله).
(٧) الحِلال: القوم المقيمون المتجاوِرون، يريد بهم سكان الحرم.
(٨) المِحال: القوة والشدة. والغَدْوُ: أصْل الغَدِ، وهو اليوم الذي يأتي بعد يومك، فحُذِفَت لامُه، ولم يُسْتَعْمَلْ تامًّا إلَّا في الشّعر. «النهاية».
(٩) في (ز): (عذرًا).

قال ابن إسحاق: ثم أرسل عبد المطلب حَلْقة الباب، ثم خرجوا إلىٰ رُءُوس الجبال.

وذكر مقاتل بن سليمان أنهم تركوا عند البيت مائة بدنةٍ مُقَلَّدةٍ، لعَلَّ بعض الجيش ينال منها شيئًا بغير حقٍّ، فينتقم الله منه.

فلما أصبح أبرهة تهيَّأ لدخول مكة، وهيَّأ فيله -وكان اسمه محمودًا- وعبَّأ جيشه، فلمَّا وجَّهوا الفيل نحو مكَّة أقبل نفيل بن حبيب حتىٰ قام إلىٰ جَنْبِه ثمَّ أخذ بأُذُنِه وقال: «ابرك محمود، وارجع راشدًا مِن حيث جئت، فإنَّك في بلد الله الحرام». ثمَّ أرسل أُذُنَه، فبرك الفيل. وخرج نفيل بن حبيب يَشتدُّ[١] حتىٰ أصعد في الجبل. وضربوا الفيل ليقوم فأبىٰ. فضربوا في رأسه بالطَّبْرزين[٢] وأدخلوا محاجن لهم في مَرَاقه[٣] فبزغوه بها ليقوم، فأبىٰ؛ فوجهوه راجعًا إلىٰ اليمن فقام يهرول. ووجهوه إلىٰ الشَّام ففعل مثل ذلك. ووجهوه إلىٰ المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه إلىٰ مكَّة فبرك. وأرسل الله عليهم طيرًا من البحر أمثال الخطاطيف[٤] والبلسان.

مع كل طائرٍ منها ثلاثة أحجارٍ يحملها: حَجَرٌ في منْقَارِه، وحَجَرَانِ في رجليه، أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحدًا إلا هلك، وليس كلهم أصابت. وخرجوا هاربين يتدرون الطريق، ويسألون عن نفيل ليدلَّهم علىٰ الطريق هذا. ونفيل علىٰ رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز، ينظرون ماذا أنزل الله بأصحاب الفيل من النِّقمة، وجعل نفيل يقول:

أَيْـنَ المَفَـرُّ؟ وَالإِلَـهُ الطَّالِـبُ ... وَالأَشْـرَمُ المَغْلُـوبُ غَيْـرُ الغَالِـبِ

قال ابن إسحاق: وقال نُفَيل في ذلك أيضًا:

أَلَا حُيِّيـتِ عَنَّـا يَـا رُدَيْنَـا[٥] ... نَعِمْنَـا كُـمْ مَـعَ الإِصْبَاحِ عَيْنَـا

رُدَيْنَـةُ لَـوْ رَأَيْـتِ وَلَا تَرَيْـهِ ... لَـدَىٰ جَنْبِ المُحَصَّبِ[٦] مَـا رَأَيْنَـا

إِذًا لَعَـذَرْتِنِي وَحَمِـدْتِ أَمْـرِي ... وَلَـمْ تَأْسَـيْ عَلَـىٰ مَـا فَـاتَ بَيْنَـا[٧]

حَمِـدْتُ اللهَ إِذْ أَبْـصَرْتُ طَيْـرًا ... وَخِفْـتُ حِجَـارَةً تُلْقَـىٰ عَلَيْنَـا

فَكُـلُّ القَـوْمِ يَـسْأَلُ عَـنْ نُفَيْـلٍ ... كَـأَنَّ عَلَـيَّ لِلْحُبْـشَانِ دَيْنَـا!

---

(١) أي: يسرع، وأصعد: علا. (٢) **الطبرزين**: آلة معقفة من حديد. (٣) مراقه: أسفل بطنه، وبزغوه: أدموه.

(٤) **الخطاطيف**: جمع خطاف -كرمان- وهو: طائر أسود، وهو الذي تدعوه العامة: عصفور الجنة، والبَلَسَان: قال عبَّاد بن موسىٰ: أظُنُّها الزَّرَازِير، والبَلَسان: شجر كثير الوَرق يَنْبُتُ بمصر، وله دُهْنٌ معروفٌ. وفي «اللسان»: والزرزور: طائر.

(٥) **ردينا**: مرخم ردينة، وهو اسم امرأة، ونعمناكم: أي نعمنا بكم.

(٦) **المُحَصب**: موضع فيما بين مكة ومنىٰ، وهو أقرب إلىٰ منىٰ.

(٧) لوحة (٢٧٠ / أ).

وذكر الواقدي بأسانيده أنَّهم لما تعبَّئوا لدخول الحرم وهيَّئوا الفيل، جعلوا لا يصرفونه إلىٰ جهة مِن سائر الجهات إلا ذهب فيها، فإذا وجَّهوه إلىٰ الحرم رَبَضَ وصَاحَ. وجعل أبرهة يحمل علىٰ سائسِ الفيل وينهره ويضربه؛ ليقهر الفيل علىٰ دخولِ الحرم. وطال الفصل في ذلك. هذا وعبد المطلب وجماعة من أشراف مكَّة، منهم المطعم بن عدي، وعمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، ومسعود [بن عمرو][(١)] الثقفي، علىٰ حراء ينظرون إلىٰ ما الحبشة يصنعون، وماذا يلقون من أمر الفيل، وهو العَجَبُ العجاب. فبينما هم كذلك، إذ بعث الله عليهم طيرًا أبابيل؛ أي: قِطَعًا قِطَعًا صفرًا دون الحمام، وأرجلها حمر، ومع كل طائرٍ ثلاث أحجار، وجاءت فحلَّقت عليهم، وأرسلت تلك الأحجار عليهم فهلكوا.

وقال محمَّد بن كعب: جاءوا بفِيلَيْن فأمَّا[(٢)] محمود فَرَبض، وأما الآخر فَشَجُع فحُصِب.

وقال وهب بن مُنَبِّه: كان معهم فيلة، فأما محمود -وهو فيل الملك- فربض؛ ليقتدي به بقيَّة الفِيَلَة، وكان فيها فيلٌ تَشَجَّع فحصب، فهربت بقيَّة الفِيَلَةِ.

وقال عطاء بن يَسَارٍ، وغيره: ليس كلهم أصابه العذاب في السَّاعة الرَّاهنة، بل منهم مَن هلك سريعًا، ومنهم مَن جعل يتساقط عضوًا عضوًا وهم هاربون، وكان أبرهة ممن يتساقط عضوًا عضوًا، حتىٰ مات ببلاد خثعم.

قال ابن إسحاق: فخرجوا يتساقطون بكلِّ طريقٍ، ويهلكون علىٰ كل منهل، وأصيب أبرهة في جسدِهِ، وخرجوا به معهم يسقط أنْمُلَةً أنْمُلَةً، حتىٰ قَدِمُوا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتىٰ انصدع صدرُهُ عن قلبه فيما يزعمون.

وذكر مقاتل بن سليمان: أنَّ قريشًا أصابوا مالًا جزيلًا مِن أسلابهم، وما كان معهم، وأنَّ عبد المطَّلب أصاب يومئذٍ منَ الذَّهب ما ملأ حفرة.

وقال ابن إسحاق: وحدَّثني يعقوب بن عُتْبَةَ: أنَّه حدث أنَّ أوَّل ما رُئِيَت الحَصبة والجُدَرِيُّ بأرض العرب ذلك العام، وأنَّه أوَّل ما رُؤِيَ به مَرائر الشَّجر الحَرْمل، والحنظل والعُشر[(٣)]، ذلك العام.

وهكذا روي عن عكرمة، من طريقٍ جيدٍ.

قال ابن إسحاق: فلمَّا بعث الله محمَّدًا ﷺ[(٤)] كان فيما يَعُد به علىٰ قريش من نعْمتِهِ عليهم وفضله، ما

---

(١) سقط من (ز). (٢) في (ز): (فأبىٰ محمود).

(٣) العُشَر: شجر مر له صمغ ولبن، وتعالج بلبنه الجلود قبل الدباغة.

(٤) لوحة (٢٧٠ / ب).

رَدَّ عنهم من أمر الحبشة؛ لبقاء أمرهم ومدَّتهم، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [سورة قريش]؛ أي: لئلَّا يغير شيئًا من حالهم التي كانوا عليها، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه.

قال ابن هشام: الأبابيل الجماعات، ولم تتكلَّم العرب بواحده. قال: وأمَّا السِّجِّيل، فأخبرني يونس النَّحوي وأبو عبيدة أنَّه عند العرب: الشَّديد الصَّلب. قال: وذكر بعض المفسِّرين أنَّهما كلمتانِ بالفارسيَّة، جعلتهما العرب كلمةً واحدةً، وإنَّما هو «سنج وجل» يعني بالسنج: الحجر، والجل: الطِّين. يقول: الحجارة من هذين الجنسين: الحجر والطِّين. قال: والعصفُ: ورقُ الزَّرع الذي لم يُقضب، واحدته عصفة. انتهىٰ ما ذكره.

وقد قال حمَّاد بن سلمة: عن عاصم، عن زر، عن عبد الله وأبو سلمة بن عبد الرحمن: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: الفرق.

وقال ابن عبَّاس، والضَّحَّاكُ: أبابيل يتبع بعضها بعضًا. وقال الحسن البصري، وقتادة: الأبابيل: الكثيرة. وقال مجاهد: أبابيل: شتَّىٰ متتابعةً مجتمعةً. وقال ابن زيد: الأبابيل: المختلفة، تأتي مِن هاهنا، ومِن هاهنا، أتتهم مِن كلِّ مكانٍ.

وقال الكسائي: سَمِعْتُ النَّحْوِيِّين [يقولون: أبول مثل العُجُولِ. قال: وقد سَمِعْتُ بعض النَّحْوِيِّين][1] يقول: واحد الأبابيل: إبيل.

وقال ابن جرير: [حدَّثنا ابن المثنىٰ][2]، حدَّثني عبد الأعلىٰ، حدَّثني داود، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل؛ أنَّه قال في قوله: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ هي: الأقاطيع، كالإبل المؤبَّلة[3].

وحدَّثنا أبو كريب، حدَّثنا وكيعٌ، عن ابن عون، عن ابن سيرين، عن ابن عبَّاس: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: لها خراطيم كخراطيم الطَّير، وأكف كأكف الكلاب[4].

وحدَّثنا يعقوب، حدَّثنا هشيم، أخبرنا حصين، عن عكرمة في قوله: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: كانت طيرًا خضرًا خرجت مِن البحر، لها رُءُوسٌ كرءوسِ السِّباع.

---

(١) سقط من (ز). (٢) سقط من (ز).

(٣) الطبري (٣٠/ ٢٩٧)، وفيه داود بن حصين: ضعيف، والإسناد مرسل.

(٤) الطبري (٣٠/ ٢٩٧)، وإسناده صحيح، لكن لا يحكم به؛ لأن ابن عباس ممن أخذوا من كتب أهل الكتاب.

وحدَّثنا ابن بشَّار، حدَّثنا ابن مهدي، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن عبيد بن عمير [(١)]: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: هي طَيرٌ سودٌ بحريَّة [(٢)]، في منقارها وأظافيرها الحجارة.

وهذه أسانيدُ صحيحةٌ [(٣)].

وقال سعيد بن جبير: كانت طيرًا خضرًا لها مناقير صفر، تختلف عليهم.

وعن ابن عبَّاس، ومجاهد، وعطاء: كانت الطير الأبابيل مثل التي يقال لها عنقاء مُغْرب [(٤)]. رواه عنهم ابن أبي حاتم.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرْعَة، حدَّثنا عبد الله بن محمَّد بن أبي شيبة، حدَّثنا [أبو] [(٥)] معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن عبيد بن عمير قال: لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل، بعث عليهم طيرًا أنشئت من البحر، أمثال الخطاطيف. كلُّ طيرٍ منها تحمل ثلاثة أحجارٍ مجزعةٍ [(٦)]: حجرين في رجليه وحجرًا في منقاره. قال: فجاءت حتَّىٰ صفَّت علىٰ رُءُوسِهِم، ثمَّ صاحت وألْقَتْ ما في أرجلها ومناقيرها، فما يقع حجرٌ علىٰ رأسِ رجل إلَّا خرج مِن دُبُرِه، ولا يقع علىٰ شيءٍ مِن جسده إلَّا وخرج من الجانب الآخر. وبَعَثَ الله ريحًا شديدةً فضربت الحجارة فزادتها شدَّةً فأهلكوا جميعًا [(٧)].

وقال السُّدِّي، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس: ﴿بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ قال: طين في حجارة: «سَنْكُ [(٨)] - وَكِلٌّ» وقد قدمنا بيان ذلك بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا.

وقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ قال سعيد بن جبير: يعني التبن الذي تسمِّيه العامَّة: هبور. وفي رواية عن سعيد: ورق الحنطة. وعنه أيضًا: العصف: التبن. والمأكول: القصيل [(٩)] يجز للدواب. وكذلك قال الحسن البصري.

وعن ابن عبَّاس: العصف: القشرة التي علىٰ الحبة، كالغُلَاف علىٰ الحِنْطَةِ.

وقال ابن زيد: العصف: ورق الزَّرع، وورق البَقْل، إذا أكلته البهائم فَرَاثَتْهُ، فصار درينًا [(١٠)].

والمعنىٰ: أنَّ الله ﷻ أهلكهم ودمَّرهم، ورَدَّهم بكيدهم وغَيْظِهِم لم ينالوا خيرًا، وأهلك عامَّتَهُم، ولم يرجع منهم بخيرٍ إلا وهو جريحٌ، كما جَرىٰ لملكهم أبرهة، فإنَّه انصدع صدَرُهُ عن

---

(١) في (ز): (عمر). (٢) لوحة (٢٧١ / أ).

(٣) قلت: لكن لا يكفي صحة أسانيدها، وأحسن ما يقال فيها: أنها لا تُصَدَّقُ وَلَا تُكَذَّبُ.

(٤) العَنقاء المُغرب: طائر عظيم معروف الاسم، مجهول الجسم، لم يره أحد، والعرب تكني به عن الداهية، والمُغرب: المبعد في البلاد.

(٥) سقط من (ز). (٦) أي: ملونة بألوان مختلفة.

(٧) رواه ابن أبي حاتم (١٩٤٨٣)، مقطوع علىٰ عبيد بن عمير الليثي.

(٨) في (ز): (في سيد وكل).

(٩) أصل القصل: القطع، والقصيل: ما اقتصل من الزرع أخضر.

(١٠) الدرين والدُّرَانة: حطام المرعىٰ إذا قدم، وهي ما بلي من الحشيش، وقلما تنتفع به الإبل.

قلبه حين وصل إلىٰ بلده صنعاء، وأخبرهم بما جرىٰ لهم، ثم مَاتَ. فملك بعده ابنه يكسوم، ثم مِن بعده أخوه مسروق بن أبرهة، ثم خرج سيف بن ذي يَزَن الحميري إلىٰ كسرىٰ فاستغاثه علىٰ الحبشة، فأنفذ معه من جيوشه فقاتلوا معه، فرد الله إليهم ملكهم، وما كان في آبائهم من الملك، وجاءته وفود العرب للتهنئة.

وقد قال محمَّد بن إسحاق: حدَّثنا عبد الله بن أبي بكر، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد ابن زرارة، عن عائشة قالت: لقد رأيت قائد الفيل(١) وسائسه بمكَّة أعميين مُقْعَدَين، يستطعمان(٢). ورواه الواقدي، عن عائشة مثله. ورواه أيضًا عن أسماء بنت أبي بكر أنَّها قالت: كانا مقعدين يستطعمان النَّاس، عند إساف ونائلة(٣)، حيث يذبح المشركون ذَبَائِحَهُم.

قلت: كان اسم قائد الفيل: أنيسًا.

وقد ذكر الحافظ أبو نعيم في كتاب «دلائل النُّبوَّة» من طريق ابن وهب، عن ابن لَهِيعةَ، عن عقيل بن خالد، عن عثمان بن المغيرة قصة أصحاب الفيل، ولم يذكر أنَّ أبرهة قدم من اليمن، وإنَّما بعث علىٰ الجيش رجلًا يقال له: شمر(٤) بن مفصود، وكان الجيش عشرين ألفًا، وذكر أنَّ الطَّير طرقتهم ليلًا فأصبحوا صَرْعَىٰ(٥).

وهذا السِّياق غريبٌ جدًّا، وإن كان أبو نعيم قد قوَّاه ورجَّحه علىٰ غيره. والصَّحيح أنَّ أبرهة الأشرم الحبشي قَدِمَ مكَّة كما دلَّ علىٰ ذلك السِّياقات والأشعار. وهكذا روىٰ ابن لَهِيعةَ، عن الأسود، عن عُرْوَة: أنَّ أبرهةَ بعث الأسود بن مفصود علىٰ كتيبةٍ معهم الفيل، ولم يذكر قدوم أبرهة نفسه، والصَّحيح قدومه، ولعلَّ ابن مفصود كان علىٰ مقدِّمة الجيش، والله أعلم.

ثم ذكر ابن إسحاق شيئًا من أشعار العرب، فيما كان من قصة أصحاب الفيل، فمن ذلك شعر عبد الله بن الزبعرىٰ:

تَنَكَّلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ إِنَّهَا	كَانَتْ قَدِيمًا لا يُرَامُ حَرِيمُهَا
لَمْ تُخلَقِ الشِّعْرَىٰ(٦) لَيَالِيَ حُرِّمَتْ	إِذْ لا عَزِيزَ مِنَ الأَنَامِ يَرُومُهَا
سَائِلْ أَمِيرَ الجَيْشِ عَنْهَا مَا رَأَىٰ؟	فَلَسَوْفَ يُنْبِي الجَاهِلِينَ عَلِيمُهَا
سِتُّونَ أَلْفًا لَمْ يَئُوبُوا أَرْضَهُمْ	بَلْ لَمْ يَعِشْ بَعْدَ الإِيَابِ سَقِيمُهَا
كَانَتْ بِهَا عَادٌ وَجُرْهُمُ قَبْلَهُمْ	وَاللهُ مِنْ فَوْقِ العِبَادِ يُقِيمُهَا

(١) لوحة (٢٧١ / ب). (٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٣٧).

(٣) إساف ونائلة: صنمان، تزعم العرب أنهما كانا رجلًا وامرأةً زنيا في الكعبة فمسخا.

(٤) في (ز): (شمس). (٥) «دلائل النبوة» لأبي نعيم (صـ١٠١). (٦) الشعرىٰ: اسم لنجم.

وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري المري[(١)]:

وَمِنْ صُنْعُهُ يَوْمَ فِيلِ الحُبُو   شِ، إِذْ كُلُّ مَا بَعَثُوهُ رَزَمْ[(٢)]
مَحَاجِنُهُمْ[(٣)] تَحْتَ أَقْرَابِهِ   وَقَدْ شَرَمُوا أَنْفَهُ فَانْخَرَمْ
وَقَدْ جَعَلُوا سَوْطَهُ مِغْوَلًا[(٤)]   إِذَا يَمَّمُوهُ قَفَاهُ كُلِمْ
فَوَلَّىٰ وَأَدْبَرَ أَدْرَاجَهُ   وَقَدْ بَاءَ بِالظُّلْمِ مَنْ كَانَ ثَمّ
فَأَرْسَلَ مِنْ فَوْقِهِمْ حَاصِبًا   يَلُفُّهُمُ مِثْلَ لَفِّ القُزُمْ[(٥)(٦)]
تَحُثُّ عَلَىٰ الصَّبْرِ أَحْبَارُهُمْ   وَقَدْ ثَأَجُوا[(٧)] كَثُؤَاجِ الغَنَمْ

وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي، ويروىٰ لأمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة:

إِنَّ آيَاتِ رَبِّنَا بَاقِيَاتٌ   مَا يُمَارِي فِيهِنَّ إِلَّا الكَفُورُ
خُلِقَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فَكُلٌّ   مُسْتَبِينٌ حِسَابُهُ مَقْدُورُ
ثُمَّ يَجْلُو النَّهَارَ رَبٌّ رَحِيمٌ   بِمَهَاةٍ[(٨)] شُعَاعُهَا مَنْشُورُ
حُبِسَ الفِيلُ بِالمُغَمَّسِ حَتَّىٰ   صَارَ يَحْبُو، كَأَنَّهُ مَعْقُورُ
لَازِمًا حَلْقَهُ الجِرَانُ[(٩)] كَمَا قُطِّـ   ـرَ مِنْ ظَهْرِ كَبْكَبٍ مَحْدُورُ
حَوْلَهُ مِنْ مُلُوكِ كِنْدَةَ أَبْطَالٌ   مَلَاوِيثُ[(١٠)] فِي الحُرُوبِ صُقُورُ
خَلَّفُوهُ ثُمَّ ابْذَعَرُّوا[(١١)] جَمِيعًا   كُلُّهُمْ عَظْمُ سَاقِهِ مَكْسُورُ
كُلُّ دِينٍ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ الـ   ـلَهِ إِلَّا دِينُ الحَنِيفَةِ بُورُ

وقد قدَّمنا في تفسير «سورة الفتح» أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا أطلَّ يوم الحديبية علىٰ الثَّنيَّة التي تهبط بِهِ علىٰ قريش، بركت ناقته، فزجروها فألحَّت، فقالوا: خلأتِ القَصْوَاء؛ أي:

---

(١) في (ز): (المدني). (٢) أي: ثبت في مكانه.

(٣) المَحَاجن: جمع محجن، وهو: عصا معوجة، والأقراب: جمع قُرْب، وهو الخاصرة، وشرموا: شقوا.

(٤) المغول: سكين كبيرة، ويروىٰ: معولًا، والمعول: الفأس، وكليم: جريح.

(٥) القزم: جمع قزم، وهو صغير الجثة. (٦) لوحة (٢٧٢ / أ).

(٧) ثأج: صاح. (٨) المهاة: الشمس.

(٩) الجران: الصدر، وقطر: رميٰ به، وكبكب: اسم جبل، والمحدور: الحجر، والحجر الذي يتحدر من أعلىٰ.

(١٠) الملاويث: الأشداء. (١١) ابذعروا: تفرقوا.

حَرَنت. فقال رسول الله ﷺ: «مَا خَلَأَتِ القَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ» ثم قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي اليَوْمَ خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ، إِلَّا أَجَبْتُهُمْ إِلَيْهَا». ثم زجرها فقامت. والحديث من أفراد البخاري[١].

وفي «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة: «إِنَّ اللهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الفِيلَ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالمؤْمِنِينَ، وَإِنَّهُ قَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا اليَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ، أَلَا فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ».

آخر سورة الفيل.

---

(١) البخاري (١١٢)، (٢٤٣٤)، (٦٨٨٠)، ومسلم (١٣٥٥).

سُورَةُ قُرَيْشٍ

تفسير سورة ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾، وهي مكية

ذكر حديث غريب في فضلها: قال البيهقي في كتاب «الخلافيات»: حدَّثنا أبو عبد الله الحافظ، حدَّثنا بكر بن محمَّد بن حمدان الصيرفي بمرو، حدَّثنا أحمد بن عُبَيد الله النرسي[(١)]، حدَّثنا يعقوب بن محمَّد الزهري، حدَّثنا إبراهيم بن محمَّد بن ثابت بن شرحبيل، حدَّثني عثمان بن عبد الله بن [أبي عتيق][(٢)]، عن سعيد بن عمرو[(٣)] بن جعدة بن هبيرة، عن أبيه، عن جدَّته أم هانئ بنت أبي طالب؛ أن رسول الله ﷺ قال: «فَضَّلَ اللهُ قُرَيْشًا بِسَبْعِ خِلَالٍ: أَنِّي مِنْهُمْ وَأَنَّ النُّبُوَّةَ فِيهِمْ، وَالحِجَابَةَ وَالسِّقَايَةَ فِيهِمْ، وَأَنَّ اللهَ نَصَرَهُمْ عَلَىٰ الفِيلِ، وَأَنَّهُمْ عَبَدُوا اللهَ ﷻ عَشْرَ سِنِينَ لا يَعْبُدُهُ غَيْرُهُمْ، وَأَنَّ اللهَ أَنْزَلَ فِيهِمْ سُورَةً مِنَ القُرْآنِ» ثم تلاها رسول الله: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾»[(٤)].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤﴾

هذه السُّورة مفصولةٌ عن التي قبلها في المصحف الإمام، كتبوا بينهما سطر ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وإن كانت مُتَعَلِّقَةً بما قبلها. كما صرَّح بذلك محمَّد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم؛ لأنَّ المعنىٰ عندهما: حبسنا عن مكَّة الفيل وأهلكنا أهله ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ أي: لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمِنِينَ.

وقيل: المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرِّحلة في الشِّتاء إلىٰ اليمن، وفي الصَّيف إلىٰ الشَّام في المتاجِرِ وغير ذَلِكَ، ثم يَرْجِعُون إلىٰ بلدهم آمنين في أسفارهم؛ لِعَظَمَتِهِم عند النَّاس، لكونهم سكَّان حرم الله، فمَن عَرَفهم احترمهم، بل مَن صوفي إليهم وسار معهم أَمِنَ بهم. هذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم. وأما في حال إقامتهم في البلد، فكما قال الله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا

---

(١) في (ز): (المديني)، والمثبت هو الصواب.

(٢) في (ز): (عثمان بن عبد الله بن عبيد عن سعيد)، وهو خطأ.

(٣) لوحة (٢٧٢ / ب).

(٤) ضعيف: رواه الحاكم (٥ / ٥٣٦) وصححه، وتعقبه الذهبي: فإن فيه يعقوب: ضعيف، وإبراهيم: صاحب مناكير.

ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت:٦٧] ؛ ولهذا قال: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ﴾ بدل من الأوَّل ومفسِّر له. ولهذا قال: ﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾.

وقال ابن جرير: الصواب أنَّ «اللَّام» لام التَّعجُّب، كأنَّه يقول: اعجبوا لإيلاف قريش [ونعمتي عليهم](١) في ذلك. قال: وذلك لإجماع المسلمين علىٰ أنَّهما سورتان منفصلتان مستقِلَّتان.

ثم أرشدهم إلىٰ شكر هذه النِّعمة العظيمة فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ أي: فليوحِّدُوه بالعبادة، كما جعل لهم حرمًا آمنًا وبيتًا محرَّمًا، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ(٢) ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل:٩١].

وقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ أي: هو ربُّ البيت، وهو ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ ؛ أي: تفضَّل عليهم بالأمن والرُّخص فليُفْرِدُوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا مِن دونه صنمًا ولا ندًّا ولا وثنًا. ولهذا من استجاب لهذا الأمر جَمَعَ الله له بَيْنَ أمن الدُّنيا وأمن الآخرة، ومَن عصاه سلبهما منه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ۝١١٢ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [النحل:١١٢ - ١١٣].

وقد قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا عبد الله بن عمرو العَدَني، حدَّثنا قَبيصة، حدَّثنا سفيان، عن ليث، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**وَيْلُ أُمِّكُمْ قُرَيْشٍ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ**(٣)» ثم قال: حدَّثنا أبي، حدَّثنا المؤمَّل بن الفضل الحراني، حدَّثنا عيسىٰ -يعني ابن يونس- عن عُبيد الله بن أبي زياد، عن شهر بن حوشب، عن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ. وَيْحَكُمْ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اعْبُدُوا رَبَّ هَذَا البَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَكُمْ مِنْ جُوعٍ، وَآمَنَكُمْ مِنْ خَوْفٍ**»(٤).

هكذا رأيته عن أسامة بن زيد، وصوابه عن أسماء بنت يزيد بن السكن، أم سلمة الأنصارية ؓ؛ فلعلَّه وقع غلط في النُّسخة أو في أصل الرواية، والله أعلم.

❁❁❁

---

(١) بياض في (ز). (٢) لوحة (٢٧٣ / أ).

(٣) ضعيف: رواه أحمد (٦/ ٤٦٠)، وفيه شهر بن حوشب: كثير الأوهام والإرسال، وليث بن أبي سليم: صدوق، ولكن أدخل في حديثه ما ليس منه ولم يتميز فترك.

(٤) ضعيف: وعلته شهر بن حوشب: كثير الأوهام والإرسال، وعبيد الله بن أبي زياد القداح: ضعيف.

سُورَةُ المَاعُونِ

تفسير السورة التي يذكر فيها الماعون، وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ[(١)] ۝٧﴾

يقول تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ -يا محمَّد- ﴿الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾؟ وهو: المعاد والجزاء والثَّواب، ﴿فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ أي: هو الَّذي يقهر اليتيمَ ويَظْلِمه حقَّه، ولا يطعمه ولا يحسن إليه، ﴿وَلَا[(٢)] يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ كما قال تعالىٰ: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَاضُّونَ[(٣)] عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٧، ١٨]؛ يعني: الفقير الذي لا شيء له يقوم بأَوَدِهِ وكفايته.

ثم قال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال ابن عبَّاس، وغيره: يعني المنافقين، الذين يُصلُّون في العلانية ولا يُصلُّون في السِّرِّ.

ولهذا قال: ﴿لِّلْمُصَلِّينَ﴾؛ أي: الَّذين هم من أهل الصَّلاة وقد التزموا بها، ثم هم عنها ساهُون، إمَّا عن فعلها بالكُلِّيَّة، كما قاله ابن عبَّاس، وإما عن فعلها في الوقت المقدَّر لها شرعًا، فيخرجها عن وقتها بالكلِّيَّة، كما قاله مسروق، وأبو الضحىٰ.

وقال عطاء بن دينار: والحمد لله الذي قال: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ولم يقل: في صلاتهم ساهون.

---

(١) قال الشيخ القاسمي رحمه الله: المعني بهذه الآيات -أولًا وبالذات- المنافقون في عهد النبوة، ويدخل فيها ثانيًا وبالعرض كل من وجد فيهم تلك الخلال الذميمة اعتبارًا بالعموم.

(٢) لوحة (٢٧٣ / ب).

(٣) في (ز): «يكرمون» و«يحضون»، وهما قراءتان؛ فأما الأول فهي:
- متواترة: قَرَأَ (يُكْرِمُونَ) أَبُو عَمْرٍو وَيَعْقُوبُ سِوَىٰ الزُّبَيْرِيِّ عَنْ رَوْحٍ وَوَافَقَهُمَا اليَزِيدِيُّ، وَقَرَأَ البَاقُونَ (تُكْرِمُونَ).
وأما الثانية فهي أيضا:
- متواترة: قَرَأَ (يَحُضُّونَ) أَبُو عَمْرٍو وَيَعْقُوبُ سِوَىٰ الزُّبَيْرِيِّ عَنْ رَوْحٍ وَوَافَقَهُمَا اليَزِيدِيُّ، وَقَرَأَ (تَحُضُّونَ) ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَوَافَقَهُمَا الحَسَنُ وَابْنُ مُحَيْصِنٍ بِخُلْفٍ عَنْهُ، وَقَرَأَ (تُحَاضُّونَ) ابْنُ مُحَيْصِنٍ فِي وَجْهٍ مِنَ المُبْهِجِ، وَقَرَأَ البَاقُونَ (تَحَاضُّونَ) وَهُوَ وَجْهُ ابْنِ مُحَيْصِنٍ مِنَ المُفْرَدَةِ.

وإما عَن وقتها الأول فيُؤَخِّرُونَها إلىٰ آخره دائمًا أو غالبًا. وإمَّا عن أدائها بأركانها وشروطها علىٰ الوجه المأمور به. وإمَّا عن الخشوع فيها والتَّدبُّر لمعانيها، فاللَّفظ يشمل هذا كله، ولكل من اتَّصف بشيءٍ من ذلك قسط من هذه الآية. ومن اتَّصف بجميع ذلك، فقد تمَّ نصيبه منها، وكمل له النِّفاق العملي. كما ثبت في «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال: «**تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَ أَرْبعًا لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا**[(١)]» فهذا آخر صلاة العصر التي هي الوسطىٰ، كما ثبت به النَّص إلىٰ آخر وقتها، وهو وقت كراهةٍ، ثم قام إليها فنقرها نَقْرَ الغراب، لم يطمئنَّ ولا خشع فيها أيضًا؛ ولهذا قال: «**لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا**». ولعلَّه إنما حمله علىٰ القيام إليها مراءاة الناس، لا ابتغاء وجه الله، فهو إذًا لم يُصَلِّ بالكلية. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]. وقال هاهنا: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾.

وقال الطبراني: حدَّثنا يحيىٰ بن عبد الله بن عبدويه[(٢)] البغدادي، حدَّثني أبي، حدَّثنا عبد الوهاب بن عطاء، عن يونس، عن الحسن، عن ابن عبَّاس، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**إِنَّ فِي جَهَنَّمَ لَوَادِيًا تَسْتَعِيذُ جَهَنَّمُ مِنْ ذَلِكَ الْوَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ**[(٣)] **أَرْبَعَمِائَةِ مَرَّةٍ، أُعِدَّ ذَلِكَ الْوَادِي لِلْمُرَائِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ: لِحَامِلِ كِتَابِ اللهِ. وَلِلْمُصَّدِّقِ فِي غَيْرِ ذَاتِ اللهِ، وَلِلْحَاجِّ إِلَىٰ بَيْتِ اللهِ، وَلِلْخَارِجِ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[(٤)].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا أبو نُعَيم، حدَّثنا الأعمش، عن عمرو بن مرَّة قال: كنا جلوسًا عند أبي عبيدة فذكروا الرِّياء، فقال رجلٌ يكنىٰ بأبي يزيد: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ سَمَّعَ اللهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ، وَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَهُ**»[(٥)].

ورواه أيضًا عن غُنْدَرٍ ويحيىٰ القطان، عن شعبة، عن عمرو بن مرة، عن رجلٍ، عن عبد الله بن عمرو، عن النَّبيِّ ﷺ فذكره[(٦)].

ومما يتعلق بقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ أن من عمل عملًا لله فاطلع عليه الناس، فأعجبه ذلك، أنَّ هذا لا يُعَدُّ رياءً، والدَّليل علىٰ ذلك ما رواه الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي في «مسنده»: حدَّثنا

---

(١) مسلم (٦٢٢)، وأبو داود (٤١٣)، والترمذي (١٦٠)، والنسائي (١/ ٢٥٤)، ولم أجده في صحيح البخاري.

(٢) في (ز): (بن عبد ربه)، والمثبت هو الصواب.

(٣) لوحة (٢٧٤/ أ).

(٤) ضعيف: رواه الطبراني (١٢/ ١٧٥/ ١٢٨٠٣)، وفيه عبد الوهاب بن عطاء: صدوق ربما أخطأ، والحسن البصري: مدلِّس، وشيخ الطبراني وأبوه قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٢٥): لم أعرفهما.

(٥) صحيح: رواه أحمد (٢/ ١٩٥) وله شواهد، انظر تفسير آخر سورة الكهف الآية (١١٠)، وأبو يزيد هو خيثمة بن عبد الرحمن، والحديث رواه البيهقي أيضًا في «شعب الإيمان» (١٨٢١)، وانظر ما بعده.

(٦) رواه أحمد (٢/ ١٩٥)، والرجل هو أبو يزيد كما في الرواية السابقة فالإسناد صحيح.

هارون بن معروف، حدَّثنا مخلد بن يزيد[١]، حدَّثنا سعيد بن بشير، حدَّثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: كُنْتُ أُصَلِّي، فدخل عليَّ رجلٌ، فأعجبني ذلك، فذكرته لرسول الله ﷺ فقال: «**كُتِبَ لَكَ أَجْرَانِ: أَجْرُ السِّرِّ، وَأَجْرُ العَلَانِيَةِ**»[٢].

قال أبو علي هارون بن معروف: بلغني أن ابن المبارك قال: نِعْمَ الحديثُ للمرائين.

وهذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه، وسعيد بن بشير[٣]: متوسط، وروايته عن الأعمش عزيزةٌ وقد رواه غيره عنه.

قال أبو يعلىٰ أيضًا: حدَّثنا محمَّد بن المثنىٰ بن موسىٰ، حدَّثنا أبو داود، حدَّثنا أبو سِنان، عن حبيب ابن أبي ثابت، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله، الرجل يعمل العمل يَسُرُّه، فإذا اطُّلعَ عليه[٤] أعجبه. قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَهُ أَجْرَانِ: أَجْرُ السِّرِّ، وَأَجْرُ العَلَانِيَةِ**».

وقد رواه الترمذي عن محمَّد بن المثنىٰ، وابن ماجة عن بُنْدَارٍ، كلاهما عن أبي داود الطيالسي، عن أبي سنان الشيباني واسمه: ضرار بن مرة. ثم قال الترمذي: غريب، وقد رواه الأعمش وغيره، عن حبيب، عن [أبي صالح عن النبي ﷺ][٥] مرسلًا[٦].

وقد قال أبو جعفر بن جرير: حدَّثني أبو كُرَيْبٍ، حدَّثنا معاوية بن هشام، عن شيبان النحوي، عن جابر الجعفي، حدَّثني رجل، عن أبي برزة الأسلمي قال: قال[٧] رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: «**اللهُ أَكْبَرُ، هَذَا خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ لَوْ أُعْطِيَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِثْلَ جَمِيعِ الدُّنْيَا، هُوَ الَّذِي إِنْ صَلَّىٰ لَمْ يَرْجُ خَيْرَ صَلَاتِهِ، وَإِنْ تَرَكَهَا لَمْ يَخَفْ رَبَّهُ**»[٨].

فيه جابر الجعفي، وهو ضعيفٌ، وشيخه: مبهم لم يُسَم، والله أعلم.

وقال ابن جرير أيضًا: حدَّثني زكريا بن أبان المصري، حدَّثنا عمرو بن طارق، حدَّثنا عِكْرِمةُ بن إبراهيم، حدَّثني عبد الملك بن عمير، عن مصعب بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص قال: سألت رسول الله ﷺ عن: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: «**هُمُ الَّذِينَ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا**»[٩].

---

(١) في (ز): (مخلد بن مرثد).

(٢) ضعيف: رواه البغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٣٢٨)، وفيه سعيد بن بشير، قال الحافظ: ضعيف. انظر «التقريب» (٢٢٧٦).

(٣) في (ز): (سعيد بن جبير). (٤) في (ز): (اطلع عليهم).

(٥) في (ز): (عن أبي صالح مرسلًا).

(٦) ضعيف: رواه الترمذي (٢٣٨٥)، وابن ماجة (٤٢٢٦)، وفيه أبو سنان سعيد بن سنان: صدوق له أوهام كما قال الحافظ، وقد خولف فرواه الأعمش مرسلًا، وسعيد بن أبي ثابت: مدلس وقد عنعن.

(٧) لوحة (٢٧٤ / ب).

(٨) ضعيف: رواه الطبري (٣٠/ ٣١٣)، وفيه جابر الجعفي: ضعيف، وشيخه مبهم.

(٩) ضعيف: رواه الطبري (٣٠/ ٣١٣)، وفيه عكرمة بن إبراهيم الأزدي: ضعيف، لكن ثبت نحوه موقوفًا بإسنادٍ حسن =

وتأخير الصَّلاة عن وقتها يحتمل تركها بالكليَّة، أو صلاتها بعد وقتها شرعًا، أو تأخيرها عن أول الوقت [سهوًا حتىٰ ضاع الوقت][(١)].

وكذا رواه الحافظ أبو يعلىٰ عن شيبان بن فرُّوخ، عن عكرمة بن إبراهيم به. ثم رواه عن أبي الربيع، عن [جابر،][(٢)] عن عاصم، عن مصعب، عن أبيه موقوفًا[(٣)(٤)] وهذا أصح إسنادًا، وقد ضعف البيهقي رفعه، وصحح وقفه، وكذلك الحاكم.

وقوله: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾؛ أي: لا أحسنوا[(٥)] عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلىٰ خلقه حتىٰ ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به، مع بقاء عينه ورجوعه إليهم. فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القُرُبات أولىٰ وأولىٰ. وقد قال ابن أبي نجيح عن مجاهد: قال علي: الماعون: الزَّكاة. وكذا رواه السُّدِّي، عن أبي صالح، عن علي. وكذا روي من غير وجهٍ عن ابن عمر. وبه يقول محمَّد بن الحنفية، وسعيد بن جبير، وعِكْرِمةُ، ومجاهد، وعطاء، وعطية العوفي، والزهري، والحسن، وقتادة، والضَّحَّاكُ، وابن زيد.

وقال الحسن البصري: إن صلَّىٰ راءَىٰ، وإن فاتته لم يأسَ عليها، ويمنع زكاة ماله، وفي لفظ: صدقة ماله.

وقال زيد بن أسلم: هم المنافقون ظهرت الصلاة فصلُّوها، وضَمِنَت[(٦)] الزَّكاة فمنعوها.

وقال الأعمش وشعبة، عن الحكم، عن يحيىٰ بن الجزار: أنَّ أبا العبيدين سأل عبد الله بن مسعود عن الماعون، فقال: هو ما يتعاوره الناس بينهم من الفَأْسِ، والقِدْر، والدَّلْو.

[وقال المسعودي: عن سلمة بن كُهَيْل، عن أبي العُبَيدين: أنه سُئِلَ ابنُ مسعودٍ عن الماعون، فقال: هو ما يتعاطاه النَّاس بينهم، من الفأس، والقِدْر، والدَّلو،][(٧)] وأشباه[(٨)] ذلك.

وقال ابن جرير: حدَّثني محمَّد بن عبيد المحاربي، حدَّثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن أبي العُبَيدين وسعد بن عياض، عن عبد الله قال: كنا أصحاب رسول الله ﷺ نتحدَّث أنَّ الماعون الدَّلو، والفَأْس، والقِدْر، لا يستغنىٰ عنهن[(٩)].

=

رواه أبو يعلىٰ (٧٠٤، ٧٠٥).

(١) سقط من (ز). (٢) بياض في (ز).

(٣) حسن: رواه أبو يعلىٰ (٧٠٤)، (٧٠٥) موقوفًا ولفظه: «إنما هو إضاعة الوقت، يلهو حتىٰ يضيع الوقت».

(٤) وقع في (ز) بعد هذه الكلمة: «... ... الوقت».

(٥) في (ز): (لا أحبوا). (٦) أي: خفيت.

(٧) سقط من (ز). (٨) لوحة (٢٧٥ / أ).

(٩) حسن: رواه الطبري (٣٠/ ٣١٩)، وأبو داود (١٦٥٧).

وحدَّثنا خلاد بن أسلم، أخبرنا النضر بن شُمَيْل، أخبرنا شعبة [١]، عن أبي إسحاق قال: سمعت سعد بن عياض يحدث عن أصحاب النَّبيِّ ﷺ مثله [٢].

وقال الأعمش، عن إبراهيم، عن الحارث بن سويد، عن عبد الله: أنه سئل عن الماعون، فقال: ما يتعاوَرُهُ النَّاس بينهم: الفأس، والدَّلو، وشبهه.

وقال ابن جرير: حدَّثنا عمرو بن علي [٣] الفلاس، حدَّثنا أبو داود -هو الطيالسي- حدَّثنا أبو عَوانَةَ، عن عاصم بن بَهْدَلَةَ، عن أبي وائلٍ، عن عبد الله قال: كنا مع نبينا ﷺ ونحن نقول: الماعون: منع الدَّلو وأشباه ذلك [٤].

وقد رواه أبو داود والنسائي، عن قتيبة، عن أبي عوانة بإسناده نحوه، ولفظ النَّسائي عن عبد الله قال: كل معروفٍ صدقةٌ، وكنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية الدَّلو والقدر [٥].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا عفان، حدَّثنا حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زرٍّ، عن عبد الله قال: الماعون: العَوَارِي: القدر، والميزان، والدَّلو [٦].

وقال ابن أبي نجيحٍ، عن مجاهد، عن ابن عبَّاس: ﴿ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴾ يعني: متاع البيت [٧]. وكذا قال مجاهد، وإبراهيم النَّخعي، وسعيد بن جبير، وأبو مالك، وغير واحدٍ: إنها العاريَةُ للأمتعة.

وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عبَّاس: ﴿ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴾ قال: [لم يجئ أهلها بعد [٨].

وقال العوفي عن ابن عبَّاس: ﴿ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴾ قال:] [٩] اختلف النَّاس في ذَلِكَ، فمنهم مَن قال: يمنعون الزَّكاة. ومنهم من قال: يمنعون الطَّاعة. ومنهم مَن قال: يمنعون العَارِيَةَ. رواه ابن جرير. ثم روي عن يعقوب بن إبراهيم، عن ابن عُلَيَّةَ، عن ليث بنِ أبي سليم، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي: الماعون: منع الناس الفأس، والقِدْر، والدَّلو.

وقال عكرمة: رأسُ الماعون زكاةُ المال، وأدناه: المنخل، والدَّلو، والإبْرَة. رواه ابن أبي حاتم.

---

(١) في «الطبري» مكان شعبة: «إسرائيل».
(٢) انظر التخريج السابق.
(٣) في (ز): (حدثنا عمرو وعكرمة هو الفلاس)، وهذا خطأ.
(٤) انظر التخريج السابق.
(٥) حسن: رواه أبو داود (١٦٥٧)، والنسائي في «الكبرى» (١١٧٠١)، وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٤٥٩).
(٦) حسن: رواه ابن أبي حاتم (١٩٤٩٢).
(٧) رواه الطبري (٣٠/ ٣١٨) بأسانيد صحيحة.
(٨) ضعيف: رواه الطبري (٣٠/ ٣١٩)، وفيه ليث بن أبي سليم: أدخل في حديثه ما ليس منه فلم تتميز فترك.
(٩) سقط من (ز).

وهذا الذي قاله عكرمة حسن؛ فإنَّه يشمل الأقوالَ كلَّها [١]، وترجع كلُّها إلىٰ شيءٍ واحدٍ. وهو ترك المعاونة بمَالٍ أو منفعةٍ. ولهذا قال محمَّد بن كعب: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ قال: المعروف. ولهذا جاء في الحديث: «**كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ**» [٢].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد الأشج، حدَّثنا وكيع، عن ابن أبي ذئب، عن الزهري: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ قال: بلسان قريش: المال.

وروىٰ هاهنا حديثًا غريبًا عجيبًا في إسناده ومتنه، فقال: حدَّثنا أبي، وأبو زُرْعَةَ قالا: حدَّثنا قيس بن حفص الدارمي، حدَّثنا دلهم بن دهثم [٣] العجلي، حدَّثنا عائذ [٤] بن ربيعة النَّميري، حدَّثني قرة بن دعموص النميري: أنَّهم وفدوا علىٰ رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، ما تَعْهَدُ إلينا؟ قال: «**لا تَمْنَعُونَ المَاعُونَ**». قالوا: يا رسول الله، وما الماعون؟ قال: «**فِي الحَجَرِ، وَفِي الحَدِيدَةِ، وَفِي المَاءِ**». قالوا: فأي حديدةٍ؟ قال: «**قُدُورُكُمُ النُّحَاسُ، وَحَدِيدُ الفَأْسِ الَّذِي تَمْتَهِنُونَ بِهِ**». قالوا: وما الحجر؟ قال: «**قُدُورُكُمُ الحِجَارَةُ**» [٥].

غريبٌ جدًّا، وَرَفْعُهُ منكرٌ، وفي إسناده من لا يُعْرَفُ، والله أعلم.

وقد ذكر ابنُ الأثير في «الصحابة» ترجمة «علي النميري»، فقال: روىٰ ابن قانع بسنده إلىٰ عائذ بن ربيعة بن قيس النميري، عن علي بن فلان النميري: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، إِذَا لَقِيَهُ حَيَّاهُ بِالسَّلَامِ، وَيَرُدُّ عَلَيْهِ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، لا يَمْنَعُ المَاعُونَ**». قلت: يا رسول الله، ما الماعون؟ قال: «**الحَجَرُ، وَالحَدِيدُ، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ**» [٦].

آخر تفسير سورة «الماعون».

---

(١) لوحة (٢٧٥ / ب).
(٢) البخاري (٦٢١).
(٣) في (ز): (دهشم)، وهو خطأ، وانظر: «الجرح والتعديل» (٣/ ٤٣٦).
(٤) في (ز): (عابد).
(٥) منكر: رواه ابن أبي حاتم (١٩٥٠٣). وانظر تعليق المؤلف بعده.
(٦) «أسد الغابة» (٣/ ٦٢٤) (ترجمة ٣٧٩٥).

سُورَةُ الكَوْثَرِ

تفسير سورة الكوثر، وهي مدنية، وقيل: مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ[(١)] ﴿٣﴾﴾

قال الإمام أحمد: حدَّثنا محمَّد بن فضيل، عن المختار بن فُلْفُل، عن أنس بن مالك قال: أغفىٰ رسول الله ﷺ إغفاءةً، فرفع رأسه مبتسمًا، إما قال لهم وإمَّا قالوا له: لمَ ضحِكْتَ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّهُ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ**». فقرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ حتىٰ ختمها[(٢)]، قال: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا الكَوْثَرُ؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**هُوَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ رَبِّي ﷻ، فِي الجَنَّةِ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ الكَوَاكِبِ، يُخْتَلَجُ**[(٣)] **العَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي. فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»[(٤)].

هكذا رواه الإمام أحمد بهذا الإسناد الثلاثي، وهذا السِّياق.

وقد ورد في صفة الحوض يوم القيامة أنَّه يَشْخَبُ[(٥)] فيه ميزابان من السَّماء من نهر الكوثر، وأنَّ عليه

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: مَا أَجَلَّهَا مِن سُورَةٍ، وَأَغزَرَ فَوَائدهَا عَلَىٰ اختِصَارِهَا، وَحَقِيقَةُ مَعنَاهَا تُعلَمُ مِن آخِرِهَا، فَإِنَّهُ ﷻ بَتَرَ شَانِئَ رَسُولِهِ مِن كُلِّ خَيرٍ، فَيَبتُرُ ذِكرَهُ وَأَهلَهُ وَمَالَهُ فَيَخسَرُ ذَلِكَ فِي الآخِرَةِ، وَيَبتُرُ حَيَاتَهُ فَلَا يَنتَفِعُ بِهَا، وَلَا يَتَزَوَّدُ فِيهَا صَالِحًا لِمَعَادِهِ، وَيَبتُرُ قَلبَهُ فَلَا يَعِي الخَيرَ، وَلَا يُؤَهِّلُهُ لِمَعرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَالإِيمَانِ بِرُسُلِهِ، وَيَبتُرُ أَعمَالَهُ فَلَا يَستَعمِلُهُ فِي طَاعَةٍ، وَيَبتُرُهُ مِنَ الأَنصَارِ فَلَا يَجِدُ لَهُ نَاصِرًا وَلَا عَونًا . وَيَبتُرُهُ مِن جَمِيعِ القُرَبِ وَالأَعمَالِ الصَّالِحَةِ، فَلَا يَذُوقُ لَهَا طَعمًا، وَلَا يَجِدُ لَهَا حَلَاوَةً وَإِن بَاشَرَهَا بِظَاهِرِهِ، فَقَلبُهُ شَارِدٌ عَنهَا. وَهَذَا جَزَاءُ مَن شَنَأَ بَعضَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَرَدَّهُ لِأَجلِ هَوَاهُ، أَو مَتبُوعِهِ، أَو شَيخِهِ، أَو أَمِيرِهِ، أَو كَبِيرِهِ. كَمَن شَنَأَ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثَ الصِّفَاتِ، وَتَأَوَّلَهَا عَلَىٰ غَيرِ مُرَادِ اللهِ وَرَسُولِهِ مِنهَا، أَو حَمَلَهَا عَلَىٰ مَا يُوَافِقُ مَذهَبَهُ وَمَذهَبَ طَائِفَتِهِ، أَو تَمَنَّىٰ أَن لَا تَكُونَ آيَاتُ الصِّفَاتِ، أُنزِلَت وَلَا أَحَادِيثُ الصِّفَاتِ قَالَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ. ومن أَقوَىٰ عَلَامَاتِ شَنَاءَتِهِ لَهَا وَكَرَاهَتِهِ لَهَا أَنَّهُ إِذَا سَمِعَهَا حِينَ يَستَدِلُّ بِهَا أَهلُ السُّنَّةِ عَلَىٰ مَا دَلَّت عَلَيهِ مِنَ الحَقِّ اشمَأَزَّ مِن ذَلِكَ، وَحَادَ وَنَفَرَ عَن ذَلِكَ؛ لِمَا فِي قَلبِهِ مِنَ البُغضِ لَهَا، وَالنُّفرَةِ عَنهَا، فَأَيُّ شَانِئٍ لِلرَّسُولِ أَعظَمُ مِن هَذَا، وَكَذَلِكَ أَهلُ السَّمَاعِ الَّذِينَ يَرقُصُونَ عَلَىٰ سَمَاعِ الغِنَاءِ وَالقَصَائِدِ، وَالدُّفُوفِ وَالشَّبَّابَاتِ، إِذَا سَمِعُوا القُرآنَ يُتلَىٰ وَيُقرَأُ فِي مَجَالِسِهِم استَطَالُوا ذَلِكَ وَاستَثقَلُوهُ، فَأَيُّ شَنَآنٍ أَعظَمُ مِن هَذَا، وَقِس عَلَىٰ هَذَا سَائِرَ الطَّوَائِفِ فِي هَذَا البَابِ.

(٢) لوحة (٢٧٦ / أ). (٣) أي: يُنتزع العبد منهم.

(٤) رواه أحمد (٣/ ١٠٢)، وانظر ما بعده. (٥) أي: يسيل.

آنيةٌ عددَ نجوم السَّماء. وقد روى هذا الحديث مسلم وأبو داود والنسائي، من طريق محمَّد بن فضيل، وعلي بن مُسْهِرٍ، كلاهما عن المختار بن فُلْفُل، عن أنس. ولفظ مسلم قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا [في المسجد](١)، إذ أغفى إغفاءةً ثم رفع رأسه مبتسمًا، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أُنزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ»، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۞١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۞٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ ثم قال: «أَتَدْرُونَ مَا الكَوْثَرُ؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي ﷻ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدَ النُّجُومِ فَيُخْتَلَجُ العَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي. فَيَقُولُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ»(٢).

وقد استدلَّ به كثيرٌ من القرَّاء علىٰ أنَّ هذه السورة مدنيةٌ، وكثير من الفقهاء علىٰ أنَّ البسملة من السُّورة، وأنَّها منزَّلة معها.

فأمَّا قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ فقد تقدَّم في هذا الحديث أنَّه نهرٌ في الجنَّة.

وقد رواه الإمام أحمد من طريقٍ أخرىٰ، عن أنس فقال: حدَّثنا عفان، حدَّثنا حماد، أخبرنا ثابت، عن أنس أنه قرأ هذه الآية ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيتُ الكَوْثَرَ، فَإِذَا هُوَ نَهْرٌ يَجْرِي، وَلَمْ يُشَقَّ شَقًّا، وَإِذَا حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي فِي تُرْبَتِهِ، فَإِذَا [مِسْكَةٌ](٣) ذَفِرَةٌ(٤)، وَإِذَا حَصْبَاؤُه(٥) اللُّؤْلُؤُ»(٦).

وقال الإمام أحمد أيضًا: حدَّثنا محمَّد بن أبي عدي، عن حميد، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «دَخَلْتُ الجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِنَهْرٍ، حَافَتَاهُ خِيَامُ اللُّؤْلُؤِ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي إِلَىٰ مَا يَجْرِي فِيهِ المَاءُ، فَإِذَا مِسْكٌ أَذْفَرُ. قُلْتُ: مَا(٧) هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللهُ ﷻ»(٨).

ورواه البخاري في «صحيحه»، ومسلم من حديث شيبان بن عبد الرحمن، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: لما عُرِجَ بالنَّبيِّ ﷺ إلىٰ السماء قال: «أَتَيْتُ عَلَىٰ نَهْرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ المُجَوَّفِ فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ». وهذا لفظ البخاري رَحِمَهُ اللهُ(٩).

وقال ابن جرير: حدَّثنا الربيع، [أخبرنا](١٠) ابن وهب، عن سليمان بن بلال، عن شريك بن أبي نمر، قال: سَمِعْتُ أنسَ بن مالكٍ يحدِّثنا قال: لما أسري برسول الله ﷺ مضىٰ به جبريل في السَّماء الدُّنيا،

---

(١) سقط من (ز).
(٢) مسلم (٤٠٠)، وأبو داود (٧٨٤)، والنسائي (٢/ ١٣٣).
(٣) سقط من (ز).
(٤) أي: طيبة الريح.
(٥) في (ز): (حصباه).
(٦) صحيح: رواه أحمد (٣/ ٢٤٧).
(٧) لوحة (٢٧٦ / ب).
(٨) صحيح: رواه أحمد (٢/ ١٠٣).
(٩) البخاري (٤٩٦٤)، ولم أجده في «صحيح مسلم» لكنه عزاه إليه المزي في «تحفة الأشراف» (١/ ٣٣٧) مشيرًا إلىٰ أنه ملحقٌ في نسخة خلف (إحدىٰ نسخ مسلم)، وأما الحميدي فقد أورده في أفراد مسلم.
(١٠) في (ز): (أو ابن وهب)، والمثبت كما في «الطبري».

فإذا هو بنهرٍ عليه قبةٌ مِن لؤلؤٍ وزبرجدٍ، فذهب يشم تُرابه، فإذا هو مسكٌ. قال: «يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذَا النَّهْرُ؟ قَالَ: هُوَ الكَوْثَرُ الَّذِي خَبَّأَ لَكَ رَبُّكَ»(١).

وقد تقدَّم في حديث الإسراء في سورة ﴿سُبْحَٰنَ﴾، من طريق شريك عن أنس عن النَّبيِّ ﷺ، وهو مخرَّجٌ في «الصحيحين».

وقال سعيد، عن قتادة، عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ إِذْ عَرَضَ لِي نَهْرٌ، حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفٌ، فَقَالَ المَلَكُ الَّذِي مَعَهُ: أَتَدْرِي [مَا هَذَا؟ هَذَا](٢) الكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ اللهُ. وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَىٰ أَرْضِهِ، فَأَخْرَجَ مِنْ طِينِهِ المِسْكَ» وكذا رواه سليمان بن طرْخان، ومعمر(٣)، وهَمَام، وغيرهم، عن قتادة به(٤).

وقال ابن جرير: حدَّثنا أحمد بن أبي سُرَيجٍ، حدَّثنا أبو أيوب العبَّاسي، حدَّثنا إبراهيم بن سعد، حدَّثني محمَّد بن عبد الله- ابن أخي(٥) ابن شهاب- عن أبيه، عن أنس قال: سُئل رسول الله ﷺ عن الكوثر، فقال: «هُوَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللهُ فِي الجَنَّةِ، تُرَابُهُ مِسْكٌ، [مَاؤُهُ](٦) أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ العَسَلِ، تَرِدُهُ طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا مِثْلُ أَعْنَاقِ الجُزُرِ(٧)». فقال أبو بكر: يا رسول الله، إنها لناعمةٌ؟ قال: «آكِلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا»(٨).

وقال أحمد: حدَّثنا أبو سلمة الخزاعي، حدَّثنا الليث، عن يزيد بن الهاد، عن عبد الوهاب، عن عبد الله بن مسلم بن شهاب، عن أنس أن رجلًا قال: يا رسول الله، ما الكوثر؟ قال: «نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ أَعْطَانِيهِ رَبِّي، لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ العَسَلِ، فِيهِ طُيُورٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الجُزُرِ». قال عمر: يا رسول الله، إنها لناعمةٌ؟ قال: «آكِلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا يَا عُمَرُ»(٩)(١٠).

رواه ابن جرير، من حديث الزهري، عن أخيه(١١) عبد الله، عن أنس: أنه سأل رسول الله ﷺ عن الكوثر، فذكر مثله سواء.

وقال البخاري: حدَّثنا خالد بن يزيد الكاهلي، حدَّثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن

---

(١) تقدم في تفسير أول سورة الإسراء، وشريك بن أبي نمر هو شريك القاضي: سيئ الحفظ.
(٢) في (ز): (أتدري ما هو الكوثر).
(٣) في (ز): (عمر).
(٤) رواه أحمد (٣/ ٢٣١)، والطبري (٣٠/ ٣٣٤).
(٥) في (ز): (ابن أبي ابن شهاب).
(٦) ليست في (ز).
(٧) الجُزر: جمع جزور، وهو البعير، ذكرًا كان أو أنثى.
(٨) رواه الطبري (٣٠/ ٢٣٤)، وأحمد (٣/ ٢٢٠)، وإسناده حسن.
(٩) لوحة (٢٧٧ / أ).
(١٠) حسن: رواه أحمد (٣/ ٢٢٠)، والطبري (٣٠/ ٣٢٤).
(١١) في (ز): (عن أخيه عن عبد الله).

عائشة قال: سألتها عن قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ قالت: نهرٌ عظيمٌ أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليه درٌّ مجوَّفٌ، آنيتُهُ كعدد النُّجوم[(١)].

ثم قال البخاري: رواه زكريا وأبو الأحوص ومطرف، عن أبي إسحاق.

ورواه أحمد والنَّسائي، من طريق مُطرِّفٍ به[(٢)].

وقال ابن جرير: حدَّثنا أبو كُرَيبٍ، حدَّثنا وَكِيعٌ، عن سفيان وإسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عائشة قالت: الكوثر نهر في الجنة، شاطئاه درٌّ مُجَوَّفٌ. وقال إسرائيل: نهرٌ في الجنة عليه من الآنية عدد نجوم السَّماء[(٣)].

وحدَّثنا ابن حُمَيدٍ، حدَّثنا يعقوب القُمي، عن حفص بن حميد، عن شَمِر بن عطية، عن شقيق[(٤)] أو مسروق قال: قلت لعائشة: يا أم المؤمنين، حدثيني عن الكوثر. قالت: نهرٌ في بطنان الجنَّة. قلت: وما بطنان الجنة؟ قالت: وسطها، حافَتاه قصور اللُّؤلؤ والياقوت، ترابُهُ المسك، وحصباؤه اللُّؤلؤ والياقوت[(٥)].

وحدَّثنا أبو كريب، حدَّثنا وكيع، عن أبي جعفر الرازي، عن ابن أبي نجيح، عن عائشة قالت: من أحبَّ أن يسمع خرير الكوثر، فَلْيَجْعَلْ أصبعيه في أُذُنيهِ[(٦)].

وهذا منقطعٌ بين ابن أبي نجيح وعائشة، وفي بعض الروايات: «عن رجلٍ، عنها». ومعنىٰ هذا أنَّه يسمع نظير ذلك، لا أنَّه يسمعه نفسه، والله أعلم.

قال السهيلي: ورواه الدارقطني مرفوعًا، من طريق مالك بن مِغْوَلٍ، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة، عن النَّبيِّ ﷺ.

ثم قال البخاري: حدَّثنا يعقوب بن إبراهيم، [حدَّثنا هُشَيمٌ][(٧)]، أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس أنَّه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إيَّاه. قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإنَّ ناسًا يَزْعُمون أنَّه نهرٌ في الجنَّة؟ فقال سعيد: النَّهر الَّذي في الجنَّة من الخير الَّذي أعطاه الله إيَّاه[(٨)].

ورواه أيضًا من حديث هشيم، عن أبي بشر وعطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس قال: الكوثر: الخير الكثير[(٩)].

---

(١) البخاري (٤٩٦٥)، والطبري (٣٠/ ٣٢٤).
(٢) أحمد (٦/ ٢٨١)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٧٠٥).
(٣) الطبري (٣٠/ ٣٢١)، ورجاله ثقات غير أن أبا إسحاق يرسل، لكن يشهد له ما تقدم.
(٤) في (ز): (عن سفيان).
(٥) الطبري (٣٠/ ٣٢١)، وانظر التخريج السابق.
(٦) الطبري (٣٠/ ٣٢١)، وإسناده منقطع.
(٧) سقط من (ز).
(٨) البخاري (٤٩٦٦).
(٩) البخاري (٦٥٧٨).

[وقال الثوري، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس قال: الكوثر: الخير الكثير][(١)(٢)].

وهذا[(٣)] التفسير يعمُّ النَّهر وغيره؛ لأنَّ الكوثر من الكثرة، وهو الخير الكثير، ومن ذلك النهر، كما قال ابن عبَّاس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، [ومجاهد][(٤)]، ومحارب بن دِثَار، والحسن بن أبي الحسن البصري. حتىٰ قال مجاهد: هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة.

وقال عكرمة: هو النُّبوَّة والقرآن، وثواب الآخرة.

وقد صحَّ عن ابن عبَّاس أنَّه فسَّره بالنَّهر أيضًا، فقال ابن جرير: حدَّثنا أبو كُرَيبٍ، حدَّثنا عمر بن عبيد، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس قال: الكوثر: نهرٌ في الجنَّة، حافَتاه ذهبٌ وفضَّةٌ، يجري علىٰ الياقوت والدُّرِّ، ماؤه أبيض من الثَّلج وأحلىٰ من العسل[(٥)].

وروىٰ العوفي عن ابن عبَّاس نحو ذلك.

وقال ابن جرير: حدَّثني يعقوب، حدَّثنا هشيم، أخبرنا عطاء بن السَّائب، عن محارب بن دِثار، عن ابن عمر أنَّه قال: الكوثرُ نهرٌ في الجنَّة، حافَتاه ذهب وفضَّة، يجري علىٰ الدُّرِّ والياقوت، ماؤه أشدُّ بياضًا من اللَّبن، وأحلىٰ من العسل[(٦)].

وكذا رواه التِّرمذي عن ابن حميد، عن جرير، عن عطاء بن السائب به مثله موقوفًا[(٧)].

وقد روي مرفوعًا فقال الإمام أحمد: حدَّثنا علي بن حفص، حدَّثنا ورقاء قال: وقال[(٨)] عطاء [ابن السائب][(٩)]، عن محارب بن دِثار، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«الكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ حَافَّتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَالمَاءُ يَجْرِي عَلَىٰ اللُّؤْلُؤِ، وَمَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ العَسَلِ»**[(١٠)].

وهكذا رواه الترمذي، وابن ماجة، وابن أبي حاتم، وابن جرير، من طريق محمَّد بن فضيل، عن عطاء بن السَّائب به مرفوعًا، وقال التِّرمذي: حسنٌ صحيحٌ[(١١)].

---

(١) سقط من (ز).
(٢) الطبري (٣٠/ ٣٢٠).
(٣) لوحة (٢٧٧ / ب).
(٤) سقط من (ز).
(٥) رواه الطبري (٣٠/ ٣٢٠).
(٦) الطبري (٣٠/ ٣٢٠).
(٧) رواه الترمذي (٣٣٥٨).
(٨) ليست في (ز).
(٩) كذا في (ز)، وهو موافق لما في «المسند».
(١٠) الترمذي (٣٣٦١)، وابن ماجة (٤٣٣٤)، وأحمد (٢/ ٦٧)، وقال الترمذي: حسنٌ صحيحٌ.
ولا يضر اختلاط عطاء، فقد رواه عنه أكثر من واحدٍ، منهم ورقاء (روىٰ بعد الاختلاط)، ومنهم حماد بن زيد (روىٰ عنه قبل الاختلاط) رواه أحمد (٥٩١٣)، فالحديث صحيح.
(١١) انظر التخريج السابق.

وقال ابن جرير: حدَّثني يعقوب، حدَّثنا ابن عُليَّة، أخبرنا عطاء بن السائب قال: قال لي محارب ابن دثار: ما قال سعيد بن جبير في الكوثر؟ قلت: حدَّثنا عن ابن عبَّاس أنه قال: هو الخير الكثير. فقال: صدق، والله إنَّه للخير الكثير. ولكن حدَّثنا ابن عمر قال: لما نزلت: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «الكَوْثَرُ نَهرٌ فِي الجَنَّةِ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، يَجْرِي عَلَىٰ الدُّرِّ وَاليَاقُوتِ»[١].

وقال ابن جرير: حدَّثني ابن [البرقي][٢]، حدَّثنا ابن أبي مريم[٣]، حدَّثنا محمَّد بن جعفر بن أبي كثير، أخبرني حَرَام[٤] بن عثمان، عن عبد الرحمن الأعرج، عن أسامة بن زيد: أن[٥] رسول الله ﷺ أتىٰ حمزة بن عبد المطلب يومًا فلَمْ يجدْهُ، فسأل امرأته عنه -وكانت من بني النَّجَّار- فقالت: خرج يا نبيَّ الله آنفًا عامدًا نحوك، فأظنُّه أخطأك في بعض أزقَّة بني النَّجَّار، أولا تدخلُ يا رسول الله؟ فدخل، فقدمت إليه حيسًا[٦]، فأكل منه، فقالت: يا رسول الله، هنيئًا لك ومريئًا، لقد جئتَ وأنا أريد أن آتيك فأهْنيك[٧] وأمْريك؛ أخبرني أبو عمارة أنك أعطيت نهرًا في الجنة يدعىٰ الكوثر. فقال: «أَجَلْ، وَعَرْضُهُ -يعني أرضه- يَاقُوتٌ وَمَرْجَانٌ، وَزَبَرْجَدٌ وَلُؤْلُؤٌ»[٨].

حَرَام بن عثمان: ضعيف. ولكن هذا سياقٌ حسنٌ، وقد صحَّ أصل هذا، بل قد تواتَرَ مِن طريقٍ تُفِيد القطع عند كثيرٍ من أئمَّة الحديث، وكذلك أحاديث الحَوْضِ[٩].

وهكذا رُوي عن أنس، وأبي العالية، ومجاهد، وغير واحدٍ من السَّلف: أنَّ الكوثر: نهرٌ في الجنَّة. وقال عطاء: هو حوض في الجنَّة.

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ أي: كما أعطيناك الخير الكثير في الدُّنيا والآخرة، ومن ذلك النَّهرُ الَّذي تقدَّم صفته فأخلص لربِّك صلاتك المكتوبة والنَّافلة ونَحْرَك، فاعبده وحده لا شريك له، وانحر علىٰ اسمه وحده لا شريك له. كما قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، قال ابن عبَّاس، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، والحسن: يعني بذلك نحر البُدْن ونحوها. وكذا قال قتادة، ومحمَّد بن كعب القرظي، والضَّحَّاكُ، والربيع، وعطاء الخراساني، والحكم، وإسماعيل بن أبي خالد، وغير واحدٍ من

---

(١) الطبري (٣٠/ ٣٢٥)، ورواه أحمد (٥٩١٣) من طريق حماد بن زيد عن عطاء بن السائب، وإسناده صحيح.

(٢) بياض في (ز). (٣) في (ز): (حدثنا ابن إبراهيم).

(٤) في (ز): (حزام)، والمثبت هو الصواب. (٥) لوحة (٢٧٨/ أ).

الحيس: الطعام من التمر واللبن المجفف والسمن.

هنأه: إذا أعطاه ما يهنأ به، وهو ما يسيغه ولا يشق عليه، وقوله: (وأمريك): إتباع له يقوي معناه.

الطبري (٢٠/ ٣٢٥)، وفيه حرام بن عثمان: ضعيف، ولكن يشهد للحديث بدون ذكر قصة زيارته ما تقدم.

وقع في (ز) بعد هذا: «ولنذكر هاهنا، وكل هذه الأقوال غريبةٌ جدًّا».

السلف. وهذا بخلاف ما كان المشركون عليه من السُّجود لغَيْرِ الله، والذَّبح علىٰ غيرِ اسمه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ الآية [الأنعام:١٢١].

وقيل: المراد بقوله: ﴿وَٱنْحَرْ﴾ وضع اليد اليمنىٰ علىٰ اليُسْرَىٰ تحت النَّحر. يروىٰ هذا عن علي، ولا يصح. وعن الشَّعبي مثله.

وعن أبي جعفر الباقر: ﴿وَٱنْحَرْ﴾ يعني: ارفع اليَدَيْنِ عند افتتاح الصَّلاة.

وقيل: ﴿وَٱنْحَرْ﴾؛ أي: استقبل بنحرك القبلة.

ذكر هذه الأقوالَ الثلاثةَ ابنُ جريرٍ.

وقد روىٰ ابن أبي حاتم -هاهنا- حديثا منكرًا جدًّا فقال: حدَّثنا وهب بن إبراهيم الفامي -سنة خمس وخمسين ومائتين- حدَّثنا إسرائيل بن حاتم المروزي، حدَّثنا مقاتل بن حيان، عن [(١)]الأصبغ ابن نباتة، عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت هذه السورة علىٰ النَّبيِّ ﷺ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ قال رسول الله: «يَا جِبْرِيلُ، مَا هَٰذِهِ النَّحِيرَةُ الَّتِي أَمَرَنِي بِهَا رَبِّي؟» فقال: «لَيْسَتْ بِنَحِيرَةٍ، وَلَكِنَّهُ يَأْمُرُكَ إِذَا تَحَرَّمْتَ لِلصَّلَاةِ، ارْفَعْ يَدَيْكَ إِذَا كَبَّرْتَ وَإِذَا رَكَعْتَ، وَإِذَا رَفَعْتَ رَأْسَكَ مِنَ الرُّكُوعِ، وَإِذَا سَجَدْتَ، فَإِنَّهَا صَلَاتُنَا وَصَلَاةُ المَلَائِكَةِ الَّذِينَ فِي السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ زِينَةً، وَزِينَةُ الصَّلَاةِ رَفْعُ اليَدَيْنِ عِنْدَ كُلِّ تَكْبِيرَةٍ» [(٢)].

وهكذا رواه الحاكم في «المستدرك»، من حديث إسرائيل بن حاتم به [(٣)].

وعن عطاء الخراساني: ﴿وَٱنْحَرْ﴾؛ أي: ارفع صلبك بعد الركوع واعتدل، وأَبْرِزْ نحرك؛ يعني به: الاعتدال. رواه ابن أبي حاتم.

[كل هذه الأقوال غريبةٌ جدًّا] [(٤)]، والصحيح القول الأول، أنَّ المراد بالنحر ذبح المناسك؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ يصلِّي العيد ثم ينحر نسكه ويقول: «مَنْ صَلَّىٰ صَلَاتَنَا، وَنَسَكَ نُسُكَنَا، فَقَدْ أَصَابَ النُّسُكَ. وَمَنْ نَسَكَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَلَا نُسُكَ لَهُ». فقام أبو بردة بن نيار فقال: يا رسول الله، إني نَسكتُ شاتي قبل الصَّلاة، وعرفت أن اليوم يوم يُشْتَهَىٰ فيه اللَّحم. قال: «شَاتُكَ شَاةُ لَحْمٍ». قال: فإنَّ عندي عناقًا [(٥)] هي أحب إليَّ من شاتين [(٦)]، أفتجزئ عنِّي؟ قال: «تُجْزِئُكَ، وَلَا تُجْزِئُ أَحَدًا بَعْدَكَ» [(٧)].

---

(١) لوحة (٢٧٨ / ب).

(٢) ضعيف جدًّا: رواه ابن أبي حاتم (١٩٥٠٨)، وفيه أصبغ بن نباتة: متروك، وإسرائيل بن حاتم قال الذهبي: قال ابن حبان: روىٰ عن مقاتل الموضوعات والأوابد والطامات، ثم ساق هذا الحديث مثالًا لطاماته «ميزان الاعتدال» (ت:٨٤٧).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٣٧) وعلَّق الذهبي: عليه معقبًا بقوله: (إسرائيل: صاحب عجائب لا يعتمد عليه، وأصبغ: شيعي متروك عند النسائي).

(٤) سقط من (ز)، وقد وقعت في موضع سابق وحذفناها.

(٥) العَنَاق: الأنثىٰ من ولد المعز.

(٦) في (ز): (من شاتي).

(٧) البخاري (٩٥٥)، ومسلم (١٩٦١).

قال أبو جعفر بن جرير: والصَّواب قول من قال: معنىٰ ذلك: فاجعل صلاتَك كلَّها لرَبِّك خالصًا دون ما سواه من الأنداد والآلهة، وكذلك نحرك اجعله له دُونَ الأوثان؛ شكرًا له علىٰ ما أعطاك من الكرامة والخير، الذي لا كِفَاء له، وخصَّك به.

وهذا الذي قاله في غاية الحسن، وقد سبقه إلىٰ هذا المعنىٰ: محمَّد بن كعبٍ القرظي، وعطاء.

وقوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ أي: إن مبغضك -يا محمَّد- ومبغض ما جئت به من الهدىٰ والحقِّ والبرهان السَّاطع والنُّور المبين، هو الأبتر الأقل الأذَلُّ المنقطعُ ذكْرُه.

قال ابن عبَّاس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة: نزلت في العاص بن وائل.

وقال محمَّد بن إسحاق: عن يزيد بن رومان قال: كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ يقول: دعوه فإنه رجلٌ أبتر لا عقب له، فإذا هلك انقطع ذكره. فأنزل الله هذه السورة[(١)].

وقال شَمِر بن عطية: نزلت في عقبة بن أبي[(٢)] مُعَيط.

وقال ابن عبَّاسٍ -أيضًا- وعكرمة: نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة من كفار قريش[(٣)].

وقال البزار: حدَّثنا زياد بن يحيىٰ الحَسَّاني، حدَّثنا بن أبي عدي، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش: أنت سيدهم[(٤)] ألا ترىٰ إلىٰ هذا المُصَنْبر المُنْبَتِر[(٥)] مِن قومه يزعم أنَّه خيرٌ منَّا، ونحن أهل الحجيج، وأهل السدانة، وأهل السِّقاية؟ فقال: أنتم خيرٌ منه. قال: فنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.

هكذا رواه [البزار][(٦)]، وهو إسنادٌ صحيحٌ[(٧)].

وعن عطاء قال: نزلت في أبي لهب، وذلك حين مات ابن رسول الله ﷺ فذهب أبو لهب إلىٰ المشركين وقال: بُتِرَ محمَّد اللَّيلة. فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[(٨)].

وعن ابن عبَّاس: نزلت في أبي جهل. وعنه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ يعني: عدوك. وهذا يَعُمُّ جميعَ من اتصفَ بذلك ممن ذكر، وغيرهم[(٩)].

---

(١) مرسل: رواه ابن إسحاق (١/ ٣٩٣) من «سيرة ابن هشام».

(٢) لوحة (٢٧٩/ أ). (٣) في (ز): (في جماعة من كبار قريش).

(٤) في (ز): (أنت سيد ثمَّ).

(٥) أي: أبْتَرُ لا عَقِبَ له، وأصلُ الصُّنبُور: سَعَفة تنبُت في جِذْعِ النَّخلةِ لا فِي الأرضِ، وقيل: هي النَّخْلَة المُنْفَرِدة التي يُدَقُّ أسْفَلُها. أرادُوا: أنه إذا قُلِع انقطع ذِكْرُه كما يَذْهَبُ أثَرُ الصُّنبُور؛ لأنه لا عَقِبَ له. «النهاية».

(٦) في (ز): (الترمذي).

(٧) صحيح: رواه البزار (٢٢٩٣- كشف الأستار)، والطبري (٣٠/ ٣٢٩- ٣٣٠)، وابن حبان (٦٥٧٢)، والضياء في «المختارة» (٣٨٩).

(٨) مرسل: ولم أقف علىٰ تخريجه. (٩) رواه الطبري (٣٠/ ٣٢٩).

وقال عكرمة: الأبتر: الفرد. وقال السُّدِّي: كانوا إذا مات ذكورُ الرجل قالوا: بُتر. فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا: بتر محمَّد. فأنزل الله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.

وهذا يرجع إلىٰ ما قلناه من أن الأبتر الذي إذا مات انقطع ذكره، فتوَهَّمُوا لجهلهم أنَّه إذا مات بنوه ينقطع ذكره، وحاشا وكلَّا[1]، بل قد أبقىٰ الله ذكرَهُ علىٰ رءوس الأشهاد، وأوجب شَرْعَه علىٰ رقاب العِبَاد، مستمرًّا علىٰ دوام الآباد، إلىٰ يوم الحشر والمعاد، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلىٰ يوم التَّناد.

آخر تفسير سورة الكوثر، ولله الحمد والمنة.

---

(١) في (ز): (وحاشا ولما).

سُورَةُ الكَافِرُونَ

تفسير سورة ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، وهي مكية

ثبت في «صحيح مسلم» عن جابر: أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة، وبـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في ركعتي الطواف[١].

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في رَكْعَتَي الفجر[٢].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا وَكِيعٌ، حدَّثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مجاهد، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قرأ في الركعتين قبل الفجر والرَّكعتين بعد المغرب، بضعًا وعشرين مرةً -أو: بضع عشرة مرة- ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٣].

وقال أحمد أيضًا: حدَّثنا محمَّد بن عبد الله بن الزبير، حدَّثنا إسرائيل[٤]، عن أبي إسحاق، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: رمقت النَّبيَّ ﷺ أربعًا وعشرين -أو: خمسًا وعشرين- مرَّة، يقرأ في الرَّكعتين قبل الفجر، والركعتين بعد المغرب بـ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ .

وقال أحمد: حدَّثنا أبو أحمد -هو محمَّد بن عبد الله بن [الزبير][٦] الزبيري- حدَّثنا سفيان -هو الثوري- عن أبي إسحاق، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: رَمقتُ النَّبيَّ ﷺ شهرًا، وكان يقرأ في الرَّكعتين قبل الفجر بـ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٧].

وكذا رواه الترمذي [وابن ماجة، من حديث أبي أحمد الزبيري][٨] وأخرجه النسائي من وجهٍ آخر، عن أبي إسحاق به، وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ .

وقد تقدَّم في الحديث أنَّها تَعْدِلُ ربع القرآن، و ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تعدل ربع القرآن

مسلم (١٢١٨). (٢) مسلم (٧٢٦).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٢٤)، ولا يضر فيه أبو إسحاق؛ لأن الراوي عنه حفيده، والحديث صححه الشيخ أحمد شاكر، وإسرائيل في غاية الإتقان في حديثه عن أبي إسحاق.

(٤) لوحة (٢٧٩ / ب). (٥) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٩٩)، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

(٦) سقط من (ز). (٧) رواه أحمد (٢/ ٩٤). وانظر ما بعده. (٨) سقط من (ز).

(٩) رواه الترمذي (٤١٧)، وابن ماجة (١١٤٩)، والنسائي (٢/ ١٧٠)، وقال الترمذي: حديثٌ حسنٌ.

(١٠) انظر أول تفسير سورة الزلزلة.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا هاشم بن القاسم، حدَّثنا زهير، حدَّثنا أبو إسحاق، عن فروةَ بن نَوفل - هو ابن معاوية- عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال له: «هَلْ لَكَ فِي رَبِيبَةٍ لَنَا تَكْفُلُهَا؟» قال: أراها زينب. قال: ثم جاء فسأله النَّبيُّ ﷺ عنها، قال: «مَا فَعَلَتِ الجَارِيَةُ؟» قال: تركتها عند أمِّها. قال: «فَمجِيءٌ مَا جَاءَ بِكَ؟» قال: جئت لتُعلِّمَني شيئًا أقوله عند منامي. قال: «اقْرَأْ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ثُمَّ نَمْ عَلَىٰ خَاتِمَتِهَا، فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ». تفرَّد به أحمد[١].

وقال أبو القاسم الطبراني: حدَّثنا أحمد بن عَمرو القطراني، حدَّثنا محمَّد بن الطفيل، حدَّثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن جبلة بن حارثة -وهو أخو زيد بن حارثة- أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ حَتَّىٰ تَمُرَّ بِآخِرِهَا، فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ»[٢]، [والله أعلم، وهو حسبي ونعم الوكيل][٣].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا حجاج، حدَّثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن فروة[٤] بن نوفل، عن الحارث بن جبلة قال: قلت: يا رسول الله، علِّمْني شيئًا أقوله عند منامي. قال: «إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ مِنَ اللَّيْلِ فَاقْرَأْ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ»[٥].

وروىٰ الطبراني من طريق شريك، عن جابر، عن معقل الزبيدي، عن [عباد أبي الأخضر، عن خباب][٦] أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه قرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ حتىٰ يختمها[٧].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾

هذه السُّورة[٨] سورة البراءة من العمل الَّذي يعمله المُشْرِكُون، وهي آمرةٌ بالإخلاص فيه، فقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ شمل كل كافر علىٰ وجه الأرض، ولكن المواجهين بهذا الخطاب هم كفارُ قريش.

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٤٥٦) من طريق إسرائيل عنه، وهي رواية الترمذي (٣٤٠٣)، والنسائي في «اليوم والليلة» (٨٠٢)، وإسرائيل من أتقن الناس في أبي إسحاق، والحديث حسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٦٠٤).

(٢) الطبراني (٢/ ٢٨٧)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٢٤): رواه الطبراني ورجاله وثقوا. قلت: وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٦٠٤).

(٣) ليست في (ز).

(٤) في (ز): (عروة).

(٥) «مسند أحمد» (٢٢٠).

(٦) في (ز): (عن عبد البر الأخضر أو أحمر).

(٧) الطبراني (٤/ ٨١/ ٣٧٠٨).

(٨) لوحة (٢٨٠/ أ).

وقيل: إنهم من جهلهم دَعَوا رسول الله ﷺ إلىٰ عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السُّورة، وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ مِن دينهم بالكلِّيَّة، فقال: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ يعني: من الأصنام والأنداد، ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ وهو الله وحده لا شريك له. فـ«ما» هاهنا بمعنىٰ «مَن».

ثم قال: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾؛ أي: ولا أعبد عبادتكم؛ أي: لا أسلكها ولا أقتدي بها، وإنَّما أعبد الله علىٰ الوَجهِ الَّذِي يُحِبُّه ويرضاه؛ ولهذا قال: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ أي: لا تقتدُونَ بأوامر الله وشرعِهِ في عبادته، بل قد اخترعتم شيئًا من تِلْقَاءِ أنفسكم، كما قال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣] فتبرأ منهم فِي جميع ما هُم فيه، فإنَّ العابد لا بدَّ له مِن معبودٍ يعبدُهُ، وعبادة يسلكها إليه، فالرَّسول وأتباعه يعبدون الله بما شرعه؛ ولهذا كان كلمة الإسلام «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ»؛ أي: لا معبود إلا الله ولا طريق [إليه](١) إلا بما جاء به الرسول ﷺ، والمشركون يعبدون غير الله عبادةً لم يأذن بها الله؛ ولهذا قال لهم الرسول ﷺ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١]، وقال: ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [القصص: ٥٥].

وقال البخاري: يقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الكفر، ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ الإسلام. ولم يقل: «ديني» لأن الآيات بالنُّون، فحذف الياء، كما قال: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨]، و﴿يَشْفِينِ(٢)﴾ [الشعراء: ٨٠]، وقال غيره: لا أعبد ما تعبدون الآن، ولا أجيبكم فيما بقي من عمري، ولا أنتم عابدون ما أعبد، وهم الذين قال: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة: ٦٤]. انتهىٰ ما ذكره.

ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية أن ذلك من باب التَّأكيد، كقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦]، وكقوله: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٦، ٧] وحكاه بعضهم -كابن الجوزي، وغيره(٣)- عن ابن قتيبة، فالله أعلم. فهذه ثلاثة أقوال:

أولها: ما ذكرناه أولًا.

الثاني: ما حكاه البخاري وغيره من المفسرين أن المراد: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ في الماضي، ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ في المستقبل.

الثالث: أن ذلك تأكيد محض.

وثم قول رابع، نصره أبو العبَّاس بن تَيمية في بعض كتبه، وهو أن المراد بقوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ نفي الفعل لأنَّها جملة فعليَّة، ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ نفىٰ قبوله لذلك بالكلية؛ لأن النفي بالجملة الاسمية آكد؛ فكأنَّه نفىٰ الفعل، وكونه قابلًا لذلك، ومعناه: نفي الوقوع، ونفي الإمكان الشَّرعي

---

(١) سقط من (ز). (٢) في (ز): ﴿وَيَسْقِينِ﴾. (٣) لوحة (٢٨٠ / ب).

أيضًا. وهو قولٌ حسنٌ أيضًا، والله أعلم.

وقد استدلَّ الإمام أبو عبد الله الشافعي وغيره بهذه الآية الكريمة: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ علىٰ أنَّ الكفر كله ملَّةٌ واحدةٌ تورثه اليهود من النَّصارىٰ، وبالعكس؛ إذا كان بينهما نسبٌ أو سببٌ يتوارث به؛ لأن الأديان -ما عدا الإسلام- كلها كالشَّيءِ الواحد في البطلان.

وذهب أحمد بن حنبل -ومن وافقه- إلىٰ عدم توريث النصارىٰ من اليهود وبالعكس؛ لحديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ شَتَّىٰ»(١).

آخر تفسير سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ولله الحمد والمنَّة.

---

(١) حسن صحيح: رواه أبو داود (٢٩١١)، والترمذي (٢١٠٩)، وابن ماجة (٢٧٣١) من حديث عبد الله بن عمرو، وثبت بلفظ: «لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم» رواه البخاري (٦٧٦٤)، ومسلم (١٦١٤) من حديث أسامة بن زيد.

سورة النصر

تفسير سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾، وهي مدنية

قد تقدم أنها تعدل ربع القرآن، و﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ﴾ تعدل ربع القرآن(١).

وقال النسائي: أخبرنا محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم، أخبرنا جعفر، عن أبي العُمَيس (ح) وأخبرنا محمَّد بن سليمان، حدَّثنا جعفر بن عون، حدَّثنا أبو العُمَيس، عن عبد المجيد بن سهيل، عن عُبَيدِ الله بن عبد الله بن عتبة قال: قال لي ابن عبَّاس: يا ابن عتبة، أتعلم آخر سورةٍ من القرآن نزلت؟ قلت: نعم، ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ قال: صدقت(٢).

وروىٰ الحافظ أبو بكر البزار والبيهقي، من حديث موسىٰ بن عبيدة الرَّبذي، عن صدقة بن يَسَارٍ، عن ابن عمر قال: أنزلت هذه السورة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ علىٰ رسول الله ﷺ أوسط أيَّام التَّشريق، فعرف أنَّه الوداع(٣)، فأمر براحلته القصواء فَرحلتْ، ثم قام فخطب النَّاس، فذكر خطبته المشهورة(٤).

وقال الحافظ البيهقي: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد(٥) الصفار، حدَّثنا الأسفاطي، حدَّثنا سعيد بن سليمان، حدَّثنا عباد(٦) بن العوام، عن هلال بن خباب، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة، وقال: «إِنَّهُ قَدْ نُعِيتُ إِلَيَّ نَفْسِي»، فبكت ثم ضحكت، وقالت: أخبرني أنه نُعيت إليه نفسُه فبكيت، ثم قال: «اصْبِرِي فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لَحَاقًا بِي» فضحكت(٧).

وقد رواه النسائي -كما سيأتي- بدون ذكر فاطمة.

---

(١) انظر أول تفسير سورة الزلزلة.

(٢) مسلم (٣٠٢٤)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٧١٣).

(٣) لوحة (٢٨١ / أ).

(٤) ضعيف: رواه البيهقي (٥/ ١٥٢)، وفيه موسىٰ بن عبيدة: ضعيف، ورواه البزار (١١٤١- كشف الأستار) من طريق موسىٰ بن عبيدة أيضًا.

(٥) في (ز): (عبد الصفار)، والمثبت هو الصواب.

(٦) في (ز): (عساكر).

(٧) البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ١٦٧)، وفيه هلال بن خباب: صدوق تغير بأخرة، وسيأتي نحوه من حديث ابن عباس عند أحمد (٦/ ٢١٧) بإسنادٍ حسنٍ.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾

قال البخاري: حدَّثنا موسىٰ بن إسماعيل، حدَّثنا أبو عَوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عبَّاس قال: كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر، فكأنَّ بعضهم وَجَدَ[1] في نفسه، فقال: لم يَدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه ممن قد علمتم[2]، فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم، فما رُئِيتُ أنَّه دعاني فيهم يومئذٍ إلا ليُريهم فقال: ما تقولون في قول الله ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نَحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا. وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عبَّاس؟ فقلت: لا. فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أَجَلُ رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فذلك علامة أجلك، ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ فقال عمر بن الخطاب: لا أعلم منها إلا ما تقول. تفرَّد به البخاري[3].

وروىٰ ابن جرير، عن محمَّد بن حُمَيد، عن مِهْرانَ، عن الثوري، عن عاصم، عن أبي رَزِينٍ، عن ابن عبَّاس، فذكر مثل هذه[4] القصة، أو نحوها[5].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا محمَّد بن فُضَيل، حدَّثنا عطاء، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عبَّاس قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ قال رسول الله ﷺ: «نُعِيتْ إِلَيَّ نَفْسِي».. بأنَّه مقبوضٌ في تلك السَّنة. تفرد به أحمد[6].

وروىٰ العوفي عن ابن عبَّاس مثله[7]. وهكذا قال مجاهد، وأبو العالية، والضَّحَّاكُ، وغير واحدٍ: إنها أجل رسول الله ﷺ نُعِي إليه[8].

وقال ابن جرير: حدَّثني إسماعيل بن موسىٰ، حدَّثنا الحسين بن عيسىٰ الحنفي، عن مَعْمَر، عن الزهري، عن أبي حازم، عن ابن عبَّاس قال: بينما رسول الله ﷺ في المدينة إذ قال: «اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ!

---

(١) أي: غضب.

(٢) يشير لقرابته من النبي ﷺ، أو إلىٰ معرفته وفطنته.

(٣) البخاري (٤٩٧٠).

(٤) في (ز): (هية القصة).

(٥) الطبري (٣٠/ ٣٣٢).

(٦) رواه أحمد (١/ ٢١٧)، وفيه عطاء بن السائب: اختلط، والراوي عنه محمد بن فضيل وقد روىٰ عنه بعد الاختلاط، فالحديث ضعيف مرفوعًا، ولكنه سيأتي موقوفًا وإسناده أصح من هذا.

(٧) إسناده ضعيف: العوفي: شيعي مدلس.

(٨) لوحة (٢٨١ / ب).

جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ، جَاءَ أَهْلُ اليَمَنِ». قيل: يا رسول الله، وما أهل اليمن؟ قال: «قَوْمٌ رَقِيقَةٌ قُلُوبُهُمْ، لَيِّنَةٌ طِبَاعُهُمْ، الإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالفِقْهُ يَمَانٍ، وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ». ثم رواه عن ابن عبد الأعلىٰ، عن ابن ثورٍ، عن معمرٍ، عن عكرمةَ مرسلًا[(١)].

وقال الطبراني: حدَّثنا زكريا بن يحيىٰ، حدَّثنا أبو كامل الجَحْدَرِيُّ، حدَّثنا أبو عَوَانة، عن هلال ابن خَبَّابٍ، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ حتىٰ ختم السورة، قال: نُعِيت لرسول الله ﷺ نفسه حين نزلت، قال: فأخذ بأشد ما كان قط اجتهادًا في أمر الآخرة. وقال رسول الله ﷺ بعد ذلك: «جَاءَ الفَتْحُ وَنَصْرُ اللهِ، وَجَاءَ أَهْلُ اليَمَنِ». فقال رجلٌ: يا رسول الله، وما أهل اليمن؟ قال: «قَوْمٌ رَقِيقَةٌ قُلُوبُهُمْ، لَيِّنَةٌ قُلُوبُهُمْ، الإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالفِقْهُ يَمَانٍ»[(٢)].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا وَكيع، عن سفيان، عن عاصم، عن أبي رَزِينٍ، عن ابن عبَّاس قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ علم النَّبيُّ ﷺ أنَّه قد نُعِيت إليه نفسه، فقيل: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ السورة كلها[(٣)].

حدَّثنا وَكيع، عن سفيان، عن عاصم، عن أبي رَزِينٍ: أن عمر سأل ابن عبَّاس عن هذه الآية: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ قال: لما نزلت نُعِيت إلىٰ رسول الله ﷺ نفسه[(٤)].

وقال الطبراني: حدَّثنا إبراهيم بن أحمد بن عُمَرَ الوكيعي، حدَّثنا أبي، حدَّثنا جعفر بن عون، عن أبي العُمَيس، عن أبي بكر بن أبي الجهم، عن عُبَيدِ الله بن عَبد الله بن عتبة، عن ابن عبَّاس قال: آخر سورةٍ نزلت من القرآن جميعًا: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾[(٥)].

وقال الإمام أحمد أيضًا: حدَّثنا محمَّد بن جعفر، حدَّثنا شعبة، عن عمرو بن مُرَّةَ، عن أبي البَختري الطائي، عن أبي سعيدٍ الخدري، عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: لما نزلت هذه السورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ قرأها رسول الله ﷺ حتىٰ ختمها، فقال: «النَّاسُ حَيِّزٌ[(٦)]، وَأَنَا وَأَصْحَابِي حَيِّزٌ». وقال: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ». فقال له مَرْوان[(٧)]: كذبت -وعنده رافع بن خَديج[(٨)]، وزيد بن ثابت، قاعدان

---

(١) منكر: رواه الطبري (٣٠/ ٣٣٢)، وفيه الحسين بن عيسىٰ الحنفي، قال أبو زرعة: له مناكير، وقال البخاري: مجهول وحديثه منكر، والرواية الثانية: رواها الطبري (٣٠/ ٣٣٣) وإسنادها مرسل ورجالها ثقات.

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٣٢٨/ ١١٩٠٣)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٦٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٧١٢) من طرق عن هلال به.

(٣) حسن: رواه أحمد (١/ ٣٤٤)، والطبري (٣٠/ ٣٣٤)، ورجاله ثقات عدا عاصم بن أبي النجود: صدوق.

(٤) إسناده حسن كسابقه: رواه أحمد (١/ ٢٥٦).

(٥) رواه الطبراني (١٠/ ٣٦٩/ ١٠٧٣٦)، وتقدم نحوه في أول تفسير السورة من رواية النسائي وإسنادهُ صحيحٌ.

(٦) أي: فئة وجماعة.

(٧) في (ز): (هارون)، وهو خطأ، والمثبت كما في «المسند».

(٨) لوحة (٢٨٢/ أ).

معه علىٰ السرير- فقال أبو سعيد: لو شاء هذان لحدثاك، ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة[١] قومه، وهذا يخشىٰ أن تنزعه عن الصَّدقة. فرفع مروان عليه الدِّرَّة ليضربه، فلمَّا رأيا ذلك قالا: صدق[٢].

تفرَّد به أحمد، وهذا الذي أنكره مروان علىٰ أبي سعيدٍ ليس بمنكرٍ، فقد ثبت من رواية ابن عبَّاس أن رسول الله ﷺ قال يوم الفتح: «**لا هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَلَكِنْ إِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا**[٣]». أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»[٤].

فالَّذي فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر -رضي الله عنهم أجمعين- مِنْ أنه قد أمرنا إذا فتح الله علينا المدائن والحصون أن نحمد الله ونشكره ونسبحه؛ يعني: نصلي له ونستغفره -معنىٰ مليح صحيح، وقد ثبت له شاهدٌ من صلاة النَّبيِّ ﷺ يوم فتح مكَّة وقت الضُّحىٰ ثماني ركعاتٍ، فقال قائلون: هي صلاة الضُّحىٰ. وأجيبوا بأنَّه لم يكن يُوَاظِبُ عليها، فكيف صلَّاها ذلك اليوم، وقد كان مسافرًا لم يَنْوِ الإقامة بمكَّة؟ ولهذا أقام فيها إلىٰ آخر شهر رمضان قريبًا من تسعة عشر يومًا يقصر الصلاة، ويُفطر هو وجميع الجيش، وكانوا نحوًا من عشرة آلاف. قال هؤلاء: وإنما كانت صلاة الفتح، قالوا: فيستحب لأمير الجيش إذا فتح بلدًا أن يصلِّي فيه أوَّل ما يدخله ثماني ركعات.

وهكذا فعل سعد بن أبي وقَّاص يوم فتح المدائن، ثم قال بعضهم: يصلِّيها كلها بتسليمةٍ واحدةٍ. والصَّحيح أنَّه يُسلِّم مِن كل ركعتين، كما ورد في «سنن أبي داود»: أن رسول الله ﷺ كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين[٥].

وأما ما فسر به ابن عبَّاس وعمر رضي الله عنهما من أن هذه السُّورة نُعِي فيها إلىٰ رسول الله ﷺ نفسه الكريمة، واعلم أنَّك إذا فتحت مكة -وهي قريتك التي أخرجتك- ودخل النَّاس في دين الله أفواجًا، فقد فرغ

---

(١) العرافة: عمل العريف، وهو القيم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس، يلي أمورهم، ويتعرف منه الأمير أحوالهم.

(٢) ضعيف: رواه أحمد (٣/ ٢٢٠)، ورواه ابن أبي شيبة (١/ ٤٨٩)، والحاكم (٢/ ٢٥٧) وصححه ووافقه الذهبي.
قلت: أبو البختري سعيد بن فيروز: لم يسمع من أبي سعيد، وأما قوله: «**لا هجرة بعد الفتح**» فصحيح، وانظر ما بعده.

(٣) قال العلماء: الهجرة من دار الحرب إلىٰ دار الإسلام باقيةٌ إلىٰ يوم القيامة، وفي تأويل هذا الحديث قولان، أحدهما: لا هجرة بعد الفتح من مكة؛ لأنها صارت دار إسلام، وإنما تكون الهجرة من دار الحرب، وهذا يتضمن معجزة لرسول الله ﷺ بأنها تبقىٰ دار الإسلام لا يتصور منها الهجرة. والثاني: معناه لا هجرة بعد الفتح فضلها كفضلها قبل الفتح، كما قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ الآية، وأما قوله ﷺ: «**وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ**» فمعناه: ولكن لكم طريق إلىٰ تحصيل الفضائل التي في معنىٰ الهجرة، وذلك بالجهاد ونية الخير في كل شيء، قوله ﷺ: «**وإذا استنفرتم فانفروا**» معناه: إذا دعاكم السلطان إلىٰ غزو فاذهبوا. «شرح مسلم» للنووي.

(٤) البخاري (١٨٣٤)، (٢٧٨٣)، (٢٨٢٥)، ومسلم (١٣٥٣)، وأبو داود (٢٤٨٠)، والترمذي (١٥٩٠)، والنسائي (٧/ ١٤٦).

(٥) رواه أبو داود (١٢٩٠)، وابن ماجة (١٣٢٣)، وقال النووي: إسناده صحيح علىٰ شرط البخاري «شرح النووي لصحيح مسلم» (٥/ ٣٣٣)، وكذا صححه الحافظ علىٰ شرط مسلم «تلخيص الحبير» (صـ ١١٨)، وأما الشيخ الألباني فقد ضعفه. انظر: «إرواء الغليل» (٤٦٤) وعلله بعياض بن عبد الله. فراجعه إن شئت.

شغلنا بك في الدُّنيا، فتهيَّأْ للقُدوم علينا والوفود إلينا، فالآخرة خيرٌ لك من الدنيا، ولسوف يعطيك ربك فترضىٰ، ولهذا قال: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾.

قال النَّسائي: أخبرنا عمرو بن منصور، حدَّثنا محمَّد بن محبوب، حدَّثنا أبو عوانة، عن هلال بن خباب، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾[3] إلىٰ آخر السورة، قال: نُعِيَتْ لرسول الله ﷺ نفسُه حين أنزلت، فأخذ في أشدِّ ما كان اجتهادًا في أمر الآخرة، وقال رسول الله ﷺ بعد ذلك: «جَاءَ الفَتْحُ، وَجَاءَ نَصْرُ اللهِ، وَجَاءَ أَهْلُ اليَمَنِ». فقال رجل: يا رسول الله، وما أهل اليمن؟ قال: «قَوْمٌ رَقِيقَةٌ قُلُوبُهُمْ، لَيِّنَةٌ قُلُوبُهُمْ، الإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، وَالفِقْهُ يَمَانٍ».

وقال البخاري: حدَّثنا عثمان بن أبي شيبة، حدَّثنا جَرِيرٌ، عن منصور، عن أبي الضحَىٰ، عن مسروقٍ، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» يتأوَّل القرآن[4][5].

وأخرجه بقيَّة الجماعة إلا الترمذي، من حديث منصور به.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا محمَّد بن أبي عدي، عن داود، عن الشَّعبي، عن مسروق قال: قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يُكْثِرُ في آخر أَمْرِه من قول: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ». وقال: «إِنَّ رَبِّي كَانَ أَخْبَرَنِي أَنِّي سَأَرَىٰ عَلَامَةً فِي أُمَّتِي، وَأَمَرَنِي إِذَا رَأَيْتُهَا أَنْ أُسَبِّحَ بِحَمْدِهِ وَأَسْتَغْفِرَهُ، إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا، فَقَدْ رَأَيْتُهَا: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾»[6].

ورواه مسلم من طريق داود -وهو ابن أبي هند- به .

وقال ابن جرير: حدَّثنا أبو السائب، حدَّثنا حفص، حدَّثنا عاصم، عن الشعبي، عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد، ولا يذهب ولا يجيء، إلا قال: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ». فقلت: يا رسول الله، إنَّك تُكْثِرُ مِن سبحان الله وبحمده، لا تذهب ولا تجيء، ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت:

في (ز): (شغلكا).

لوحة (٢٨٢ / ب).

(٣) صحيح: تقدم تخريجه، وهو عند النسائي في «الكبرىٰ» (١١٧١٢).

يتأول القرآن؛ أي: يمتثل ما أمره الله به في قوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾. وانظر ما تقدم من الكلام علىٰ معاني التأويل في «فضائل القرآن».

(٥) البخاري (٤٩٦٨)، ومسلم (٤٨٤)، وأبو داود (٢/ ١٩٠)، وابن ماجة (٨٨٩).

(٦) صحيح: رواه أحمد (٦/ ٣٥)، وانظر ما بعده.

رواه مسلم (٤٨٤).

سبحان الله وبحمده؟ قال: «إِنِّي أُمِرْتُ بِهَا»، فقال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ إلىٰ آخر السورة(١). غريبٌ. وقد كتبنا حديث كفَّارة المجلس من جميع طرقه وألفاظه في جزءٍ مُفردٍ، فيكتب هاهنا(٢).

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا وَكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عُبَيدةَ، عن عبد الله قال: لما نزلت علىٰ رسول الله ﷺ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ كان يكثر إذا قرأها -وركَعَ- أن يقول: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» ثلاثًا(٣). تفرَّد(٤) به أحمد. ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه، عن عمرو بن مُرَّة، عن شعبة، عن أبي إسحاق به.

والمراد بالفتح هاهنا: فتح مكة قولًا واحدًا، فإن أحياء العرب كانت تَتَلَوَّمُ(٥) بإسلامها فتح مكَّة، يقولون: إن ظهر علىٰ قومه فهو نَبِيٌّ. فلمَّا فتح الله عليه مكَّة دخلوا في دين الله أفواجًا، فلم تمضِ سنتان حتىٰ استوسقت(٦) جزيرة العرب إيمانًا، ولم يبقَ في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام، ولله الحمد والمنَّة.

وقد روىٰ البخاري في «صحيحه» عن عمرو بن سلمة قال: لما كان الفتح بادر كل قومٍ بإسلامهم إلىٰ رسول الله ﷺ، وكانت الأحياء تَتَلَوَّمُ بإسلامها فتح مكَّة، يقولون: دعُوهُ وقومَهُ، فإن ظهر عليهم فهو نبيٌّ. الحديث(٧)، وقد حَرَّرنا غزوة الفتح في كتابنا: «السيرة» فمَن أراد فليُرَاجِعْهُ هناك، ولله الحمد والمنَّة.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا معاوية بن عمرو، حدَّثنا أبو إسحاق، عن الأوزاعي، حدَّثني أبو عمار، حدَّثني جَارٌ لجابر بن عبد الله قال: قدمت مِن سفرٍ فجاءَنِي جابر بن عبد الله، فسَلَّم عليَّ، فجعلت أحدِّثهُ عن افتراق النَّاس وما أَحْدَثُوا، فجعل جابر يَبكِي، ثم قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ النَّاسَ دَخَلُوا فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، وَسَيَخْرُجُونَ مِنْهُ أَفْوَاجًا»(٨).

[آخر تفسير سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، ولله الحمد والمنَّة](٩).

---

(١) رواه الطبري (٣٠/ ٣٣٥).

(٢) قد سبقت الإشارة إلىٰ أننا لم نقف علىٰ هذا الجزء في النسخ الخطية، وذلك عند نهاية «سورة الصافات» (٦/ ٣٠٠).

(٣) **حسن لغيره**: رواه أحمد (١/ ٣٨٥) ورجاله ثقات، أبو عبيدة: لم يسمع من أبيه، وأبو إسحاق: يرسل، لكن لا يضر فقد رواه عنه حفيده إسرائيل عند أحمد (٣٦٨٣) وهو من أتقن الناس عنه، فيكون علة الحديث الانقطاع، قلت: ويشهد له حديث عائشة السابق وهو في «الصحيحين».

(٤) لوحة (٢٨٣ / أ).

(٥) أي: تنتظر.

(٦) أي: اجتمعت علىٰ الإيمان.

(٧) البخاري (٤٣٠٢).

(٨) **ضعيف**: رواه أحمد (٣/ ٣٤٣)، وفيه رجل لم يسم.

(٩) ليست في (ز).

سُورَةُ المَسَدِ

تفسير سورة ﴿تَبَّتْ﴾، وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾﴾

قال البخاري: حدَّثنا محمَّد بن سلام، حدَّثنا أبو معاوية، حدَّثنا الأعمش، عن عمرو بن مُرّة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس: أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرج إلىٰ البطحاء، فصعد الجبل فنادىٰ: «يَا صَبَاحَاهُ». فاجتمعت إليه قريش، فقال: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّ العَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّيكُمْ، أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟». قالوا: نعم. قال: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ». فقال أبو لهب: أَلِهَذَا جمعتنا؟ تبًّا لك. فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ إلىٰ آخرها[(١)].

وفي روايةٍ: فقام ينفضُ يدَيْهِ، وهو يقول: تبًّا لك سائر اليوم[(٢)]. أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[(٣)].

الأول دعاء عليه، والثَّاني خبر عنه. فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله ﷺ، واسمه: عبد العُزَّىٰ ابن عبد المطلب، وكنيته أبو عُتبة. وإنما سمي «أبا لهب» لإشراق وجهه، وكان كثير الأذيَّة لرسول الله ﷺ والبغضة له، والازدراء به، والتَّنقُّص له ولدينه.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا إبراهيم بن أبي العبَّاس، حدَّثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه قال: أخبرني رجلٌ -يُقَال له: ربيعة بن عباد، مِن بني الديل، وكان جاهليًّا فأسلم- قال: رأيت النَّبيَّ ﷺ في الجاهليَّة في سوق ذي المجاز وهو يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا» والنَّاس مجتمعون عليه، ووراءه رجلٌ وضيء الوجه أحولُ ذو غديرتين يقول: إنَّه صابئٌ كاذبٌ. يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أبو لهب[(٤)].

---

(١) البخاري (٤٩٧٢) من هذا الطريق (١٣٩٤)، (٣٥٢٥)، (٤٧٧٠)، (٤٨٠١)، (٤٩٧١).
(٢) لوحة (٢٨٣ / ب).
(٣) البخاري (٤٧٧٠).
(٤) حسن: رواه أحمد (٤/ ٣٤١).

ثم رواه عن سُرَيجٍ، عن ابن أبي الزناد، عن أبيه، فذكره. قال أبو الزناد: قلت لربيعة: كنت يومئذٍ صغيرًا؟ قال: لا والله إني يومئذ لأعقل أني أزفر في القربة. تفرد به أحمد(١).

وقال محمَّد بن إسحاق: حدَّثني حُسَينُ بن عبد الله بن عُبيد الله بن عبَّاس قال: سمعت ربيعة بن عباد الديلي يقول: إني لمع أبي رجل شاب، أنظر إلىٰ رسول الله ﷺ يتبع القبائل -ووراءه رجل أحول وضيء ذو جُمَّة(٢) - يَقِفُ رسول الله ﷺ علىٰ القبيلة فيقول: «**يَا بَنِي فُلَانٍ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ، آمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تُصَدِّقُونِي وَتَمْنَعُونِي حَتَّىٰ أُنْفِذَ عَنِ اللهِ مَا بَعَثَنِي بِهِ**». وإذا فرغ مِن مقالته قال الآخر مِن خلفه: يا بني فلان، هذا يريد منكم أن تسلُخوا اللَّات والعزَّىٰ، وحلفاءكم من الجنِّ مِن بني مالك بن أقيش، إلىٰ ما جاء به مِن البدعة والضَّلالة، فلا تسمعوا له ولا تتبعوه. فقلت لأبي: من هذا؟ قال: عمه أبو لهب. رواه أحمد أيضًا، والطبراني بهذا اللفظ(٣).

فقوله تعالىٰ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾؛ أي: خسرت وخابت، وضلَّ عملُهُ وسعيُهُ، ﴿وَتَبَّ﴾؛ أي: وقد تبَّ، تحقق خسارته وهلاكه.

وقوله: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ قال ابن عبَّاس وغيره: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ يعني: ولده. ورُوي عن عائشة، ومجاهد، وعطاء، والحسن، وابن سيرين مثله.

وذكر عن ابن مسعود أنَّ رسول الله ﷺ لما دعا قومه إلىٰ الإيمان، قال أبو لهب: إذا كان ما يقول ابن أخي حقًّا، فإنِّي أفتدِي نفسي يوم القيامة من العذاب بمَالِي وولدي، فأنزل الله: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾.

وقوله: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾؛ أي: ذات شررٍ ولهيبٍ وإحراقٍ شديدٍ.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ وكانت زوجته من سادات نساءِ قريش، وهي: أم جميل، واسمها أروىٰ بنتُ حرب بن أمية، وهي أخت أبي سفيان. وكانت عونًا لزوجها علىٰ كفره وجحوده وعنادِهِ؛ فلهذا تكون يوم القيامة عَونًا عليه في عذابه في نار جهنم. ولهذا قال: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ يعني: تحمل الحطب فتلقي علىٰ زوجها؛ ليزداد علىٰ ما هو فيه، وهي مُهَيَّأَةٌ لذلك مستعدةٌ له.

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ قال مجاهد، وعروة: مِن مَسَدِ النَّار.

---

(١) أحمد (٤/ ٣٤١).

(٢) الجُمَّة: ما سقط من شعر الرأس علىٰ المنكبين.

(٣) ضعيف: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٨٧)، وأحمد (٣/ ٤٩٢)، والطبراني (٤٥٨٩)، وعلته: حسين بن عبد الله ابن عبيد الله بن العباس: ضعيف، لكن الحديث تقدم بإسنادٍ صحيحٍ نحوه.

(٤) لوحة (٢٨٤/ أ).

وعن مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والثوري، والسُّدِّي: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ كانت تمشي بالنَّميمة(١).

قال ابن جرير: وقيل: كانت تُعَيِّر النَّبيَّ ﷺ بالفَقْرِ، وكانت تحتطب، فعُيِّرت بذلك.

كذا حكاه، ولم يَعْزُهُ إلىٰ أحدٍ. وقال العوفي عن ابن عبَّاس، وعطية الجدلي، والضَّحَّاك، وابن زيد: كانت تضع الشَّوك في طريق رسول الله ﷺ، واختاره ابن جرير(٢). والصَّحيح الأول، والله أعلم.

قال سعيد بن المسيب: كانت لها قلادةٌ فاخرةٌ فقالت: لأنفقنها في عداوة محمَّد؛ يعني: فأعقبها الله بها حبلًا في جِيدِها مِن مسدِ النَّار.

وقال ابن جرير: حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ، حدَّثنا وكيع، عن سليم مولىٰ الشعبي، عن الشعبي قال: المسد: اللِّيف.

وقال عروة بن الزبير: المسد: سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا.

وعن الثوري: هو قلادةٌ مِن نارٍ، طولها سبعون ذراعًا.

وقال الجوهري: المَسَدُ: الليف. والمَسَدُ أيضًا: حبل من ليفٍ أو خوصٍ، وقد يكون من جلود الإبل أو أوبارها، ومسدت الحبل أمسدُهُ مَسْدًا: إذا أَجَدْتُ فَتله.

وقال مجاهد: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾؛ أي: طوقٌ مِن حديدٍ، ألا ترىٰ أنَّ العرب يُسمُّون البَكرة(٣) مَسَدًا؟

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي وأبو زُرْعة قالا: حدَّثنا عبد الله بن الزبير الحُمَيديُّ، حدَّثنا سُفيان، حدَّثنا الوليد بن كثير، عن ابن تدرس(٤)، عن أسماء بنت(٥) أبي بكر قالت: لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أقبلت العَوْراءُ أم جميل بنت حرب، ولها وَلْوَلَةٌ، وفي يدها فهر، وهي تقول:

مُـــــذَمَّمًا أَبَيْنَـــــا

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: [هَذَا مَثَلٌ] لِلنَّمِيمَةِ؛ لِأَنَّهَا تُضْرِمُ الشَّرَّ فَيَكُونُ حَطَبَ القُلُوبِ، وَقَدْ يُقَالُ: ذَنْبُهَا أَعْظَمُ، وَحَمْلُ النَّمِيمَةِ لَا يُوصَفُ بِالحَبْلِ فِي الجِيدِ، وَإِنْ كَانَ وَصْفًا لِحَالِهَا فِي الآخِرَةِ، كَمَا وَصَفَ بَعْلَهَا وَهُوَ يَصْلَىٰ وَهِيَ تَحْمِلُ الحَطَبَ عَلَيْهِ كَمَا أَعَانَتْهُ عَلَىٰ الكُفْرِ. فَيَكُونُ مِنْ حَشْرِ الأَزْوَاجِ، وَفِيهِ عِبْرَةٌ لِكُلِّ مُتَعَاوِنَيْنِ عَلَىٰ الإِثْمِ، أَوْ عَلَىٰ إِثْمٍ مَا أَوْ عُدْوَانٍ مَا.
وَيَكُونُ القُرْآنُ قَدْ عَمَّمَ الأَقْسَامَ المُمْكِنَةَ فِي الزَّوْجَيْنِ، وَهِيَ أَرْبَعَةٌ: إِمَّا كَإِبْرَاهِيمَ وَامْرَأَتِهِ، وَإِمَّا هَذَا وَامْرَأَتُهُ، وَإِمَّا فِرْعَوْنُ وَامْرَأَتُهُ، وَإِمَّا نُوحٌ وَامْرَأَتُهُ وَلُوطٌ، وَيَسْتَقِيمُ أَنْ يُفَسَّرَ حَمْلُ الحَطَبِ بِالنَّمِيمَةِ بِحَمْلِ الوَقُودِ فِي الآخِرَةِ.

(٢) في (ز) كلمة «واختاره ابن جرير» وقعت بعد قوله: «ولم يَعْزُهُ إلىٰ أحدٍ». وإنما أخرها محقق الشعب اعتمادًا علىٰ «الطبري».

(٣) البَكرة: ما يستقىٰ عليها.

(٤) في (ز): (بدوس) بدون نقط، وفي تفسير ابن أبي حاتم (ابن بَرُوس)، والمثبت موافق لما في «تاريخ دمشق»، و«المعرفة والتاريخ»، وهو الأقرب للصواب.

(٥) لوحة (٢٨٤/ ب).

وَدِينَــــــــهُ قَلَيْنَـــــــا
وَأَمْـــــــرَهُ عَـــــــصَيْنَا

ورسول الله ﷺ جالسٌ في المسجد ومعه أبو بكر، فلمَّا رآها أبو بكرٍ قال: يا رسول الله، قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك. فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي». وقرأ قرآنًا اعتصم به، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]. فأقبلت حتىٰ وقفت علىٰ أبي بكرٍ ولم ترَ رسول الله ﷺ فقالت: يا أبا بكر، إنِّي أخبرت أنَّ صاحبك هجاني؟ قال: لا وَرَبِّ هذا البيت ما هجاك. فولَّت وهي تقول: قد علمت قريش أنِّي ابنة سيِّدها[١].

قال: وقال الوليد في حديثه أو غيره: فعثَرَتْ أم جميلٍ في مِرْطها وهي تطوف بالبيت[٢]، فقالت: تَعِسَ مُذَمَّمٌ. فقالت أم حكيم بنت عبد المطلب: إنِّي لحَصَانٌ فما أكلَّم، وثَقَافٌ[٣] فما أعلَّم، وكلُّنا من بني العم، وقريش بعد أعلم.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدَّثنا إبراهيم بن سعيد وأحمد بن إسحاق قالا: حدَّثنا أبو أحمد، حدَّثنا عبد السلام بن حرب، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَيرٍ، عن ابن عبَّاس قال: لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [جاءت امرأة أبي لهبٍ][٤]، ورسول الله ﷺ جالسٌ ومعه أبو بكر. فقال له أبو بكر: لو تَنَحَّيت لا تُؤذيك بشيءٍ. فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ سَيُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا». فأقبلت حتىٰ وقفت علىٰ أبي بكرٍ فقالت: يا أبا بكر، هجانا صاحبك. فقال أبو بكر: لا وَرَبِّ هذه البنية، ما نَطَقَ بالشِّعر ولا يتفوَّه به. فقالت: إنَّك لمصدَّق، فلمَّا ولَّت قال أبو بكر ﷺ: ما رأتك؟ قال: «لَا، مَا زَالَ مَلَكٌ يَسْتُرُنِي حَتَّىٰ وَلَّتْ». ثم قال البزَّار: لا نعلمه يُروَىٰ بأحسنَ من هذا الإسناد عن أبي بكر ﷺ[٥].

وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالىٰ: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أي: في عنقها حبلٌ في نارِ [جهنَّم][٦] تُرفَعُ به إلىٰ شَفِيرِهَا، ثم يرمىٰ بها إلىٰ أسفلها، ثم كذلك دائمًا.

قال أبو الخطاب بن دحْية في كتابه «التنوير» -وقد رَوَىٰ ذلك- وعُبِّر بالمسد عن حبل الدلو، كما

---

(١) صحيح بشواهده: رواه ابن أبي حاتم (١٩٥٢٢)، والحميدي (٣٢٣)، والحاكم (٢/ ٣٦١) وصححه، ووافقه الذهبي. قلت: رجاله ثقات، فإن كان محمد بن مسلم بن تدرس فهو صدوق لكنه مدلس، وللحديث شواهد. انظر: تعليق الأرناؤوط علىٰ «صحيح ابن حبان» (٦٥١١).
(٢) (ز): وهي تطوف بالبيت في مرطها.
(٣) أي: ذات فطنةٍ ومعرفةٍ بما يحتاج إليه.
(٤) سقط من (ز).
(٥) رواه البزار (٢٢٩٤) (٢٢٩٥)، وحسنه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٤٤)، وحسنه الحافظ في «الفتح» (٨/ ٧٣٨)، ويشهد له ما تقدم.
(٦) ليست في (ز).

قال أبو[1] حنيفة الدينوري في كتاب «النبات»: كلُّ مَسَدٍ: رشاء، وأنشد في ذلك:

وَبَكْـــرَةً وَمِحْـــوَرًا[2] صِـــرَارًا وَمَـــسَدًا مِـــنْ أَبَـــقٍ مُغَـــارًا

قال: والأبقُ: القنَّبُ. وقال الآخر:

يَـــا مَـــسَدَ الخُـــوصِ تَعَـــوَّذْ مِنِّـــي إِنْ تَـــكُ[3] لَـــدْنًا لَيِّنًـــا فَـــإِنِّي

مَـــا شِـــئْتَ مِـــنْ أَشْـــمَطَ[4] مُقْـــسَئِنِّ[5]

قال العلماء: وفي هذه السورة معجزة ظاهرة، ودليل واضح على النُّبوَّة، فإنَّه منذ نزل قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾ فأخبر عنهما بالشَّقاء وعدم الإيمان، لم يقيض لهما أن يؤمنا، ولا واحد منهما لا ظاهرًا ولا باطنًا، لا مسرًّا ولا معلنًا، فكان هَذَا مِن أقوى الأَدِلَّة البَاهِرَة على النُّبوَّة الظَّاهرة.

❁❁❁

---

(١) لوحة (٢٨٥/ أ).

(٢) **المِحْوَر**: العود الذي في وسط البكرة، وربما كان من حديد، **والمغار**: المحكم الفتل.

(٣) في (ز): (إني بك).

(٤) **الشَّمَط**: اختلاف الشعر بلونين من سواد وبياض، **والمقسئن**: الذي قد انتهى في سنه، فليس به ضعف كبر ولا قوة شباب، وقيل: هو الذي في آخر شبابه.

(٥) في (ز): (مكسئن).

سُورَةُ الإخْلَاصِ

تفسير سورة الإخلاص، وهي مكية

ذكر سبب نزولها وفضيلتها:

قال الإمام أحمد: حدَّثنا أبو سعد محمَّد بن مُيَسّر[1] الصاغاني، حدَّثنا أبو جعفر الرازي، حدَّثنا الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أُبَيّ بن كعب: أنَّ المشركين قالوا للنَّبيِّ ﷺ: يا محمَّد، انسب لنا ربَّك، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[2].

وكذا رواه التِّرمذي، وابن جرير، عن أحمد بن منيع -زاد ابن جرير: ومحمود بن خِدَاش- عن أبي سعد محمَّد بن مُيَسّر[3] به -زاد ابن جرير والترمذي- قال: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الذي لم يلد ولم يولد، لأنَّه ليس شيءٌ يولد[4] إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإنَّ الله -جلَّ جلاله- لا يموت ولا يورث، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ ولم يكن له شبه ولا عِدل[5]، وليس كمثله شيءٌ. ورواه ابن أبي حاتم، من حديث أبي سعد محمَّد بن مُيَسّر به[6].

---

(١) في (ز): (مبشر) وهو خطأ، والمثبت موافق لما في «المسند».

(٢) حسن لشواهده: رواه أحمد (٥/ ١٣٤)، والترمذي (٣٣٦١)، والطبري (٣٠/ ٣٤٦)، وابن أبي حاتم (١٥٩٣٣)، وفيه أبو سعد محمد بن ميسر: ضعيف، وأبو جعفر الرازي عيسىٰ بن ماهان، قال الحافظ: صدوق سيئ الحفظ.
وقد رواه الترمذي (٣٣٦٢) مرسلًا من طريق عبيد الله بن موسىٰ، عن أبي جعفر، عن أبي العالية فذكره مرسلًا، وقال الترمذي: هذا أصح من حديث أبي سعد.
قلت: ومداره أيضًا علىٰ أبي جعفر الرازي، فالإسناد بهذا الطريق ضعيفٌ متصلًا كان أو مرسلًا.
قلت: لكن للحديث شواهد يتقوىٰ بها، ومن ذلك ما رواه أبو يعلىٰ (٢٠٤٤)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٢٥٤) من حديث جابر بن عبد الله، وإسناده ضعيفٌ، وفيه مجالد بن سعيد: ليس بالقوي، وما رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (صـ ٣٥٤) من حديث ابن عباس، قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٣٥٦): إسناده حسن، وسيأتي أيضًا من حديث ابن مسعود، وبالجملة فسبب النزول يتقوىٰ بمجموع هذه الروايات، وحسَّنه الألباني في «ظلال الجنة» (٦٦٣- التحقيق الثاني).

(٣) في (ز): (مبشر) وهو خطأ، والمثبت موافق لما في «المسند».

(٤) في (ز): (بذلك)، والمثبت موافق لما عند الترمذي والطبري.

(٥) عِدل: مثل.

(٦) انظر التخريج السابق.

ثم رواه الترمذي عن عبد بن حميد، عن عبيد[(١)] الله بن موسىٰ، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية فذكره مرسلًا، ولم يذكر «أخبرنا». ثم قال الترمذي: هذا أصح من حديث [أبي][(٢)] سعد[(٣)].

حديث آخر في معناه: قال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي: حدَّثنا سُرَيجٌ بن يونس، حدَّثنا إسماعيل بن مجالد، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر: أنَّ أعرابيًّا جاء إلىٰ النَّبيِّ ﷺ[(٤)]، فقال: انسب لنا ربَّك. فأنزل الله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلىٰ آخرها. إسناده مقارب[(٥)].

وقد رواه ابن جرير عن محمَّد بن عوف، عن سُرَيج[(٦)] فذكره[(٧)]. وقد أرسله غير واحدٍ من السلف.

وروىٰ عُبيد[(٨)] بن إسحاق العطار، عن قيس بن الربيع، عن عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود قال: قالت قريش لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربَّك، فنزلت هذه السُّورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

قال الطبراني: رواه الفريابي وغيره، عن قيس، عن عاصم[(٩)]، عن أبي وائل، مرسلًا[(١٠)].

ثم رَوَىٰ الطبراني من حديث عبد الرحمن بن عثمان الطائفي، عن الوازع بن نافع، عن أبي سلمة، عن أبي هُرَيرةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ شَيْءٍ نِسْبَةٌ، وَنِسْبَةُ اللهِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»[(١١)].

حديث آخر في فضلها: قال البخاري: حدَّثنا محمَّد -هو الذُّهليُّ- حدَّثنا أحمد بن صالح، حدَّثنا ابن وهب، أخبرنا عمرو، عن ابن أبي هلال: أنَّ أبا الرجال محمَّد بن عبد الرحمن حدثه، عن أمه عَمْرَةَ بنت عبد الرحمن -وكانت في حِجْرِ عائشة زوج النَّبيِّ ﷺ- عن عائشة: أن النَّبيَّ ﷺ بعث رجلًا علىٰ سَرِيَّةٍ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنَّبيِّ ﷺ، فقال: «سَلُوهُ: لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟». فسألوه، فقال: لأنَّها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النَّبيُّ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- يُحِبُّهُ»[(١٢)].

---

(١) في (ز): (عبد الله) والمثبت هو الصواب، وهو موافق لما في «الترمذي».
(٢) سقط من (ز)، والصواب إثباتها كما عند «الترمذي».
(٣) الترمذي (٣٣٦٢) مرسلًا، انظر التخريج السابق.
(٤) لوحة (٢٨٥ / ب).
(٥) حسن لشواهده: وهذه الرواية فيها مجالد بن سعيد: ليس بالقوي، وبقية رجاله ثقات. رواه أبو يعلىٰ (٢٠٤٤)، والطبري (٣٠/ ٣٤٣).
(٦) في (ز): (شريح).
(٧) انظر التخريج السابق.
(٨) في (ز): (عبد)، وهو هكذا في بعض نسخ «الطبري»، والمثبت هو الصواب، وراجع «تهذيب الكمال» (٣/ ١٨٥).
(٩) في (ز): (عن قيس بن عاصم)، وهو خطأ، وفي بعض المطبوعات (عن أبي عاصم)، والمثبت هو الصواب، وعاصم هو ابن بهدلة.
(١٠) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٨٩) مرسلًا.
(١١) الطبراني في «الأوسط» (٣٤٢٣- مجمع البحرين).
(١٢) البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣)، والنسائي (٧/ ١٧٠).

هكذا رواه في كتاب «التوحيد». ومنهم من يسقط ذكر «محمَّد الذُّهلي». ويجعله من روايته عن أحمد بن صالح. وقد رواه مسلم والنسائي أيضًا من حديث عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث[١]، عن سعيد بن أبي هلال به.

حديث آخر: قال البخاري في كتاب الصلاة: «وقال عُبَيد[٢] الله، عن ثابت، عن أنس قال: كان رجلٌ من الأنصار يَؤُمُّهُمْ في مسجد قُبَاء، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتىٰ يَفرُغ منها، ثم يقرأ سورةً أخرىٰ معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعةٍ. فكلَّمه أصحابه فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترىٰ أنها تُجزئُك حتىٰ تقرأ بالأخرىٰ، فإمَّا أن تقرأ بها، وإمَّا أن تدعها وتَقرأ بأخرىٰ[٣]. فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم. وكانوا يَرونَ أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يَؤُمَّهُمْ غيره. فلما أتاهم النَّبيُّ ﷺ أخبروه الخبر، فقال: «**يَا فُلَانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا حَمَلَكَ عَلَىٰ لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟**». قال: إنِّي أحبُّها. قال: «**حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ**»[٤].

هكذا رواه البخاري تعليقًا مجزومًا به.

وقد رواه أبو عيسىٰ الترمذي في «جامعه»، عن البخاري، عن إسماعيل بن أبي أويس، عن عبد العزيز بن محمَّد الدراوردي، عن عُبَيد الله بن عمر، فذكر بإسناده مثله سواء. ثم قال الترمذي: غريبٌ مِن حديث عبيد الله، عن ثابت. قال: وروىٰ مُبَارك بن فَضالة، عن ثابت، عن أنس، أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، إنِّي أحب هذه السُّورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، قال: «**إِنَّ حُبَّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ**»[٥].

وهذا الذي علَّقه الترمذي قد رواه الإمام أحمد في «مسنده» متصلًا فقال:

حدَّثنا أبو النضر، حدَّثنا مبارك بن فضالة، عن ثابت، عن أنس قال: جاء رجلٌ إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: إني أحب هذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فقال رسول الله ﷺ: «**حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ**»[٦].

حديث في كونها تعدل ثلث القرآن: قال البخاري: حدَّثنا إسماعيل، حدَّثني مالك، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صَعْصَعَةَ، عن أبيه، عن أبي سعيد. أنَّ رجلًا سمع رَجُلًا يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ

---

(١) في (ز): (عمرو بن أيوب)، والمثبت هو الصواب.

(٢) في (ز): (عبد الله)، وهو خطأ.

(٣) لوحة (٢٨٦/ أ).

(٤) **صحيح**: البخاري تعليقًا كتاب الأذان، باب الجمع بين الصلاتين (٢/ ٢٥٥)، والترمذي (٢٩٠٣). ووصله أحمد (٣/ ١٤١) بسندٍ صحيحٍ.

(٥) انظر التخريج السابق.

(٦) رواه أحمد (٣/ ١٤١)، وانظر التخريج قبل السابق.

أَحَـدٌ ﴾ يرددها، فلما أصبح جاء إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، فذكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالّها، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»[(١)].

زاد إسماعيل بن جعفر، عن مالك، عن عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه، عن أبي سعيد قال: أخبرني أخي قتادة بن النعمان، عن النَّبيِّ ﷺ.

وقد رواه البخاري أيضًا عن عبد الله بن يوسف، والقَعْنَبِيِّ.

ورواه أبو داود عن القعنبي، والنَّسائي عن قتيبة، كلهم عن مالك به. وحديث قتادة بن النعمان أسنده النسائي من طريقين عن إسماعيل بن جعفر، عن مالك به[(٢)].

حديث آخر: قال البخاري: حدَّثنا عُمَرُ بن حفص، حدَّثنا أبي، حدَّثنا الأعمش، حدَّثنا إبراهيم والضَّحَّاكُ المَشْرِقيُّ، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟**». فشقَّ ذلك عليهم، وقالوا: أينا يُطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: «**اللهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ**»[(٣)].

تفرَّد بإخراجه البخاري من حديث إبراهيم بن يزيد النَّخعي، والضَّحَّاك بن شُرَحبيل الهمداني المشرقي، كلاهما عن أبي سعيد، قال الفَرَبْرِيُّ: سمعت أبا جعفر محمَّد بن أبي حاتم وراق أبي عبد الله قال: قال أبو عبد الله البخاري: عن إبراهيم مرسل، وعن الضَّحَّاك مسند.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدَّثنا يحيىٰ بن إسحاق، حدَّثنا ابن لَهِيعَةَ، عن الحارث بن يزيد، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيدٍ الخدري قال: بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ﴾. فذكر ذلك للنَّبيِّ ﷺ، فقال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَعْدِلُ نِصْفَ الْقُرْآنِ، أَوْ ثُلُثَهُ**»[(٤)].

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدَّثنا حسن، حدَّثنا ابن لهيعة، حدَّثنا حُيَيُّ بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، عن عبد الله بن عمرو: أنَّ أبا أيوب الأنصاري كان في مجلسٍ وهو يقول: ألا يستطيع أحدكم أن يقوم بثلث القرآن كل ليلةٍ؟ فقالوا: وهل يستطيع ذلك أحد؟ قال: فإن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ﴾ ثلث القرآن. قال: فجاء النَّبيُّ ﷺ وهو يسمع أبا أيوب، فقال: «**صَدَقَ أَبُو أَيُّوب**»[(٥)].

---

(١) البخاري (٧٣٧٤) (٥٠١٣).

(٢) البخاري (٦٦٤٣)، وأبو داود (١٤٦١)، والنسائي (٢/ ١٧١).

(٣) البخاري (٥٠١٥).

(٤) إسناده ضعيف: رواه أحمد (٣/ ١٥)، وفيه ابن لهيعة: اختلط بعد احتراق كتبه، ويكفي في صحة المرفوع ما تقدم.

(٥) إسناده ضعيف: رواه أحمد (٢/ ١٧٣)، وفيه ابن لهيعة: اختلط، ويكفي في صحة الحديث ما تقدم.

حديث آخر: قال أبو عيسىٰ الترمذي: حدَّثنا محمَّد بن بشار[(١)]، حدَّثنا يحيىٰ بن سعيد، حدَّثنا يزيد بن كيسَان، أخبرني أبو حَازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**احْشُدُوا**[(٢)]، **فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**». فحشد مَن حشد، ثم خرج نبيُّ الله ﷺ فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم دخل فقال بعضنا لبعض: قال رسول الله ﷺ: «**فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**». إنِّي لأرىٰ هذا خبرًا جاءَ من السَّماء، ثم خرج نبي الله ﷺ فقال: «**إِنِّي قُلْتُ: سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا وَإِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»[(٣)].

وهكذا رواه مسلم في «صحيحه»، عن محمَّد بن بشار به، وقال الترمذي: حسنٌ صحيحٌ غريبٌ، واسم أبي حازم: سلمان[(٤)].

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدَّثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن زائدة[(٥)] بن قُدَامةَ، عن منصور، عن هلال بن يَساف، عن الربيع بن خُثَيم، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، عن امرأة من الأنصار، عن أبي أيوب، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟ فَإِنَّهُ مَنْ قَرَأَ**: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ **فِي لَيْلَةٍ، فَقَدْ قَرَأَ لَيْلَتَئِذٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»[(٦)].

هذا حديث تُسَاعيُّ الإسناد للإمام أحمد. ورواه التِّرمذي والنَّسائي، كلاهما عن محمَّد بن بشار بندار -[زاد][(٧)] التِّرمذي وقتيبة- كلاهما عن عبد الرحمن بن مهدي به. فصار لهما عُشَاريًّا. وفي رواية الترمذي: «عن امرأة أبي أيوب، عن أبي أيوب» به [وحسنه][(٨)]. ثم قال: وفي الباب عن أبي الدرداء، وأبي سعيد، وقتادة بن النعمان، وأبي هريرة، وأنس، وابن عمر، وأبي مسعود. وهذا حديثٌ حسنٌ، ولا نعلم أحدًا رَوَىٰ هذا الحديث أحسن من رواية «زائدة». وتابعه علىٰ روايته إسرائيل، والفضيل بن عياض. وقد رَوَىٰ شُعبةُ وغيرُ واحدٍ من الثقات هذا الحديث عن منصور واضطربوا فيه[(٩)].

حديث آخر: قال أحمد: حدَّثنا هُشَيْمٌ، عن حُصَينٍ، عن هلال بن يَسَاف، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، عن أبيِّ بن كعب -أو: رجل من الأنصار- قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ بِـ**﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ **فَكَأَنَّمَا قَرَأَ بِثُلُثِ الْقُرْآنِ**».

---

(١) في (ز): (يسار)، والمثبت هو الصواب، وهو موافق لما في «الترمذي».

(٢) أي: اجتمعوا واستحضروا الناس.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٩٠٢)، وانظر بقية تخريجه في التخريج الآتي.

(٤) مسلم (٨٢١).

(٥) لوحة (٢٨٧/ أ).

(٦) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٥/ ٤١٨)، والترمذي (١٨٩٩)، والنسائي (٢/ ١١٢)، وفي «الكبرىٰ» (١٠٦٨) (١٠٥١٧). وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ، ثم أشار إلىٰ الاختلاف علىٰ زائدة. قلت: وللحديث شواهد منها عن أبي سعيد الخدري: رواه أحمد (١١٠٥٣)، وأبو يعلىٰ (١٠١٧) (١٠١٨)، وإسناده صحيح ويشهد له ما تقدم أيضًا.

(٧) سقط من (ز).

(٨) ليس في (ز).

(٩) انظر التخريج السابق.

ورواه النَّسائي في «اليوم والليلة» من حديث هُشَيم، عن حُصَين، عن ابن أبي ليلىٰ به. ولم يقع في روايته: هلال بن يساف(١).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدَّثنا وَكيع، عن سفيان، عن أبي قيس، عن عمرو بن ميمون، عن أبي مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ **تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ**»(٢).

وهكذا رواه ابن ماجة، عن علي بن محمَّد الطَّنافسي، عن وَكيع به. ورواه النسائي في «اليوم والليلة» من طرق أخر، عن عمرو بن ميمون، مرفوعًا وموقوفًا(٣).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدَّثنا بَهْز، حدَّثنا بُكَير بن أبي السَّميط، حدَّثنا قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن مَعْدَان بن أبي طلحة، عن أبي الدَّرداء، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ كُلَّ يَوْمٍ ثُلُثَ القُرْآنِ؟**». قالوا: نعم يا رسول الله، نحن أضعفُ من ذلك وأعجز. قال: «**فَإِنَّ اللهَ جَزَّأَ القُرْآنَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ**(٤)، **فَـ**: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ **ثُلُثُ القُرْآنِ**».

ورواه مسلم والنَّسائي، من حديث قتادة به(٥).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدَّثنا أمية بن خالد، حدَّثنا محمَّد بن عبد الله بن مسلم -ابن أخي ابن شهاب- عن عمِّه(٦) الزُّهري، عن حُمَيدِ بن عبد الرحمن -هو ابن عوف(٧)- عن أمِّه - وهي: أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيط- قالت: قال رسول الله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ **تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ**»(٨).

وكذا رواه النَّسائي في «اليوم والليلة»، عن عمرو بن علي، عن أمية بن خالد به. ثم رواه من طريق مالك، عن الزُّهري، عن حُمَيدِ بن عبد الرحمن قوله. ورواه النَّسائي أيضًا في «اليوم والليلة» من حديث محمَّد بن إسحاق، عن الحارث بن الفُضَيل الأنصاري، عن الزهري، عن حُمَيدِ بن عبد الرحمن: أنَّ نَفَرًا من أصحاب محمَّدٍ ﷺ حدَّثوه عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ **تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ لِمَنْ صَلَّىٰ بِهَا**»(٩).

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٢٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٥٢٢).
(٢) رواه أحمد (٤/ ١١٢)، ويشهد له ما تقدم.
(٣) ابن ماجة (٣٧٨٩)، والنسائي (١٠٥٢٤). وقال البوصيري في «الزوائد»: هذا إسنادٌ صحيحٌ.
(٤) لوحة (٢٨٧/ ب).
(٥) رواه أحمد (٦/ ٤٤٧)، ومسلم (٨١١)، والنسائي (١٠٥٣٧).
(٦) في (ز): (عن عمه عن الزهري)، وهو خطأ، والمثبت كما في «المسند».
(٧) في (ز): (هو ابن عون)، والمثبت كما في «المسند».
(٨) رواه أحمد (٦/ ٤٠٤)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٥٣١).
(٩) النسائي في «الكبرىٰ» (١٠٥٣٣).

حديث آخر في كون قراءتها توجب الجنة: قال الإمام مالك بن أنس، عن عبيد الله بن عبد الرحمن، عن عُبيد بن حُنَين قال: سمعت أبا هريرة يقول: أقبلت مع النبيِّ ﷺ، فسمع رجلًا يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «**وَجَبَتْ**». قلت: وما وَجَبت؟ قال: «**الجَنَّةُ**».

ورواه الترمذي والنسائي، من حديث مالك. وقال الترمذي: حسنٌ صحيحٌ غريبٌ، لا نعرفه إلا من حديث مالك [(١)].

وتقدم حديث: «**حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ**» [(٢)].

حديث في تكرار قراءتها: قال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي: حدَّثنا قَطن بن نُسير [(٣)]، حدَّثنا عيسىٰ بن ميمون [(٤)] القرشي، حدَّثنا يزيد الرقاشي، عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أَمَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي لَيْلَةٍ فَإِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ؟**» [(٥)].

هذا إسنادٌ ضعيفٌ، وأجود منه حديث آخر، قال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدَّثنا محمَّد بن أبي بكر المُقَدمي، حدَّثنا الضَّحَّاك بن مخلد، حدَّثنا ابن أبي ذئب، عن أسيدِ بن أبي أسيد، عن معاذ بن عبد الله [(٦)] بن خُبيب، عن أبيه قال: أصابنا طَش [(٧)] وظلمة، فانتظرنا رسول الله ﷺ يصلِّي لنا، فخرج فأخذ بيدي، فقال: «**قُلْ**». فسكت. قال: «**قُلْ**». قلت: ما أقول؟ قال [(٨)]: «**﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثًا، تَكْفِكَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ**» [(٩)].

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي، من حديث ابن أبي ذئب به.

وقال الترمذي: حسنٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الوجه.

وقد رواه النَّسائي مِن طريقٍ أخرىٰ، عن معاذ بن عبد الله بن خبيب، عن أبيه، عن عقبة بن عامر، فذكره.

حديث آخر في ذلك: قال الإمام أحمد: حدَّثنا إسحاق بن عيسىٰ، حدَّثنا ليث بن سعد، حدَّثني

---

(١) حسن: رواه مالك (١/ ١٨٣/ ١٨)، والترمذي (٢٨٣٩).

(٢) تقدم قريبًا.

(٣) في (ز): (مطر بن بشير)، وهو خطأ والمثبت هو الصواب.

(٤) كذا (ز)، وقال في «الشعب»: لعله «عيسىٰ بن يونس الجرش»، وكلاهما خطأ، وصوابه، (عيسىٰ بن ميمون) كما عند أبي يعلىٰ، وانظر: «تهذيب الكمال» (١٩/ ٢٧٦).

(٥) ضعيف جدًا: رواه أبو يعلىٰ (٤١١٨)، وفيه عيسىٰ بن ميمون: متروك، ويزيد الرقاشي: ضعيف، لكن الحديث ثابت في الروايات السابقة.

(٦) في (ز) معاذ بن عبد الرحمن، وهو خطأ.

(٧) الطش: المطر الضعيف القليل.

(٨) لوحة (٢٨٨/ أ).

(٩) حسن: رواه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٥/ ٣١٢)، وأبو داود (٥٠٨٢)، والترمذي (٣٥٧٠)، والنسائي (٨/ ٣٥٠). وقال الترمذي: حسنٌ صحيحٌ غريبٌ.

الخليل بن مرَّة، عن الأزهر[١] بن عبد الله، عن تميم الداري قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاحِدًا أَحَدًا صَمَدًا، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَد عَشْرَ مَرَّاتٍ، كُتِبَ لَهُ أَرْبَعُونَ أَلفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ**»[٢].

تفرَّد به أحمد، والخليل بن مُرَّة: ضعفه البخاري وغيره بمرَّة.

حديث آخر: قال أحمد أيضًا: حدَّثنا حسن بن موسى، حدَّثنا ابن لَهِيعَةَ، حدَّثنا زَبَّان بن فائد[٣]، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حَتَّىٰ يَخْتِمَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ، بَنَىٰ اللهُ لَهُ قَصْرًا فِي الجَنَّةِ**». فقال عمر: إذن نستكثر يا رسول الله. فقال ﷺ: «**اللهُ أَكْثَرُ وَأَطْيَبُ**». تفرَّد به أحمد[٤].

ورواه أبو محمَّد الدارمي في «مسنده» [فقال][٥]: حدَّثنا عبد الله بن يزيد، حدَّثنا حيوة، حدَّثنا [أبو عقيل زهرة][٦] بن معبد -قال الدَّارمي: وكان من الأبدال[٧]- أنَّه سَمِعَ سعيد بن المسيب يقول: إن نبيَّ الله ﷺ قال: «**مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عَشْرَ مَرَّاتٍ، بَنَىٰ اللهُ لَهُ قَصْرًا فِي الجَنَّةِ،**

---

(١) في (ز): (الأزهري)، والمثبت هو الصواب، وهو موافق لما في «المسند».

(٢) ضعيف: رواه أحمد (٤/ ١٠٣)، وفيه الخليل بن مرة: ضعيف.

(٣) في (ز): (زياد بن قائد)، وهو خطأ.

(٤) حسنه الألباني: رواه أحمد (٣/ ٤٣٧)، وفيه زبان بن فائد: ضعيف، وابن لهيعة: اختلط، لكن تابعه رشدين بن سعد عند أحمد (٣/ ٤٣٧)، ورشدين: ضعيف. والحديث رواه العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٩٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٣٩٨)، وابن السني في «اليوم والليلة» (٦٩٨) من طريق ابن لهيعة، وله شاهد من حديث أبي هريرة: رواه الطبراني في «الأوسط» وإسناده ضعيفٌ جدًّا فلا يتقوىٰ به الحديث، فشيخ الطبراني أحمد بن رشدين، قال ابن عدي: كذبوه، وقال - أيضًا-: كان صاحب حديث كثير، يحدث عن الحفاظ بحديث مصر، وأنكرت عليه أشياء مما رواه، وهو ممن يكتب حديثه مع ضعفه. انظر «لسان الميزان» (١/ ٢٥٨)، و«الكامل في ضعفاء الرجال» (١/ ٣٣٦)، وهانئ بن المتوكل: ضعيف. قال ابن حبان: كان تدخل عليه المناكير وكثرت.

قلت: وقد ورد هذا الحديث مرسلًا، رواه الدارمي (٢/ ٤٥٩) وهو الحديث الآتي، وبمجموع هذه الشواهد فقد حسنه الألباني في «الصحيحة» (٥٨٩) وفي النفس من هذا التحسين نظر. فالله أعلم، فإنه يغلب عندي الحكم بتضعيفه.

(٥) مكان هذه الكلمة في (ز): (فبين إسناده ضعيف، حاتم بن ميمون: ضعفه البخاري وغيره).

(٦) في (ز): (أبو عبيد وغيره).

(٧) قال ابن عثيمين رحمه الله: (الأَبْدَالُ هم الذين إذا مات منهم واحدٌ أبدله الله -تعالىٰ- بغيره، يقوم في الناس مُعلمًا وموجهًا ومرشدًا، هذا من الأبدال، أما أن أحدًا يتصرف في الكون كمن يدعي أن أحدًا يتصرف في الكون مع الله فهو مشركٌ بالله ﷻ شركًا أكبر، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣]...ومراد العلماء الذين قالوا: إن هذه الأمة فيها الأبدال -كشيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة الواسطية»، وكذلك ابن كثير، وغيرهم من علماء السنة- قصدهم بالأبدال: هم الذين إذا مات أحدٌ ممن يقوم لعباد الله بالتوجيه والإرشاد والعلم خَلَفَهُ غيره؛ أي: صار بدلًا عنه). «لقاءات الباب المفتوح».

وَمَنْ قَرَأَهَا عِشْرِينَ مَرَّةً بَنَىٰ اللهُ لَهُ قَصْرَيْنِ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَرَأَهَا ثَلَاثِينَ مَرَّةً بَنَىٰ اللهُ لَهُ ثَلَاثَةَ قُصُورٍ فِي الْجَنَّةِ». فقال عمر بن الخطاب: إذًا لتكثر قصورنا! فقال رسول الله ﷺ: «اللهُ أَوْسَعُ مِنْ ذَلِكَ». وهذا مرسلٌ جيدٌ (١).

حديث آخر: قال الحافظ أبو يعلىٰ: حدَّثنا نصر بن علي، حدَّثني نوح بن قيس، أخبرني محمَّد العطار، أخبرتني أم كثير الأنصارية، عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ خَمْسِينَ مَرَّةً غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُ خَمْسِينَ سَنَةً» إسناده ضعيف (٢).

حديث آخر: قال أبو يعلىٰ: حدَّثنا أبو الربيع، حدَّثنا حاتم (٣) بن ميمون، حدَّثنا ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ فِي يَوْمٍ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مِائَتَيْ مَرَّةٍ، كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفًا وَخَمْسمِائَةِ حَسَنَةٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ دَيْنٌ» (٤). [إسناده ضعيفٌ، حاتم بن ميمون: ضعفه البخاري وغيره] (٥). ورواه الترمذي، عن محمَّد بن مرزوق البصري، عن حاتم بن ميمون به. ولفظه: «مَنْ قَرَأَ كُلَّ يَوْمٍ، مِائَتَيْ مَرَّةٍ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مُحِيَ عَنْهُ ذُنُوبُ خَمْسِينَ سَنَةً، إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ دَيْنٌ».

قال التِّرمذي: وبهذا الإسناد عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنَامَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ، فَنَامَ عَلَىٰ يَمِينِهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مِائَةَ مَرَّةٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَقُولُ لَهُ الرَّبُّ ﷻ: يَا عَبْدِي، ادْخُلْ عَلَىٰ يَمِينِكَ الْجَنَّةَ». ثم قال: غريبٌ من حديثِ ثابتٍ، وقد رُوي من غير هذا الوجه عنه.

وقال أبو بكر البزار: حدَّثنا سهل بن بحر، حدَّثنا حِبَّان بن أغلب، حدَّثنا أبي، حدَّثنا ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مِائَتَيْ مَرَّةٍ، حَطَّ اللهُ عَنْهُ ذُنُوبَ مِائَتَيْ سَنَةٍ». ثم قال: لا نعلم رواه عن ثابت إلا الحسن بن أبي جعفر، والأغلب بن تميم، وهما متقاربان في سوء الحفظ (٦).

حديث آخر في الدعاء بما تضمنته من الأسماء: قال النسائي عند تفسيرها: حدَّثنا عبد الرحمن بن خالد، حدَّثنا زيد بن الحباب، حدَّثني مالك بن مِغْوَلٍ، حدَّثنا عبد الله بن بُرَيدة، عن أبيه: أنه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد فإذا رجلٌ يصلِّي، يدعو يقول: اللَّهم، إني أسألك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت،

---

(١) مرسل:رواه الدارمي (٢/ ٤٥٩)، ورجاله ثقات.

(٢) ضعيف:رواه الدارمي (٢/ ٤٦١) ، وفيه محمد العطار، وأم كثير الأنصارية لم أعرفها، وقد ضعف المصنف إسناده.

(٣)اللوحة (٢٨٨/ ب).

(٤) ضعيف جدًّا:رواه أبو يعلىٰ (٣٣٦٥)، والترمذي (٢٨٩٠)، وفيه حاتم بن ميمون، قال ابن حبان: منكر الحديث، علىٰ علته يروي عن ثابت ما لا يشبه حديثه، لا يجوز الاحتجاج به بحال.

(٥)هذه الجملة وقعت في (ز) قبل هذا في الموضع الذي أشرنا إليه سابقًا.

(٦) ضعيف:رواه البزار (٧٠٠٥) ابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٦٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٨٧)، وفيه الأغلب بن تميم: ضعيف. وانظر: «السلسلة الصحيحة» للألباني (٢٩٥، ٣٠٠).

الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد. قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ سَأَلَهُ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**». وقد أخرجه بَقِيَّة أصحاب السنن من طُرُقٍ، عن مالك بن مِغْوَلٍ، عن عبد الله بن بُرَيدةَ، عن أبيه به. وقال الترمذي: حسنٌ غريبٌ(١).

حديث آخر في قراءتها عشر مرات بعد المكتوبة(٢): قال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي: حدَّثنا عبد الأعلىٰ، حدَّثنا بشر بن منصور، عن عمر بن نبهان(٣)، عن أبي شداد، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلَاثٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ الإِيمَانِ دَخَلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ شَاءَ، وَزُوِّجَ مِنَ الحُورِ العِينِ حَيْثُ [شَاءَ](٤): مَنْ عَفَا عَنْ قَاتِلِهِ(٥)، وَأَدَّىٰ دَيْنًا(٦) [خَفِيًّا](٧)، وَقَرَأَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ عَشْرَ مَرَّاتٍ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾**». قال: فقال أبو بكر: أو إحداهنَّ يا رسول الله؟ قال: «**أَوْ إِحْدَاهُنَّ**»(٨).

حديث في قراءتها عند دخول المنزل: قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدَّثنا محمَّد بن عبد الله بن بكر السراج العسكري، حدَّثنا محمَّد بن الفرج، حدَّثنا محمَّد بن الزبرقان، عن مروان بن سالم، عن أبي زُرْعَةَ بن عمرو بن جرير، عن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حِينَ يَدْخُلُ مَنْزِلَهُ، نَفَتِ الفَقْرَ عَنْ أَهْلِ ذَلِكَ المَنْزِلِ وَالجِيرَانِ**». إسناده ضعيفٌ(٩).

حديثٌ في الإكثار مِن قراءتها في سائر الأحوال: قال الحافظ أبو يعلىٰ: حدَّثنا محمَّد بن إسحاق المسيبي، حدَّثنا يزيد بن هارون، عن العلاء أبي(١٠) محمَّد الثقفي قال: سمعت أنس بن مالك يقول: كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك، فطلعت الشَّمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضىٰ بمثله، فأتىٰ جبريل النَّبيَّ ﷺ فقال: «**يَا جِبْرِيلُ، مَا لِي أَرَى الشَّمْسَ طَلَعَتِ اليَوْمَ بِضِيَاءٍ وَنُورٍ وَشُعَاعٍ لَمْ أَرَهَا طَلَعَتْ بِمِثْلِهِ فِيمَا مَضَىٰ؟**». قال: إنَّ ذلك معاوية بن معاوية اللَّيثي، مات بالمدينة اليوم، فبعث الله إليه سبعين ألف مَلَكٍ يُصَلُّون عليه. قال: «**وَفِيمَ ذَلِكَ؟**» قال: «**كَانَ يُكْثِرُ قِرَاءَةَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فِي اللَّيْلِ وَفِي النَّهَارِ، وَفِي مَمْشَاهُ وَقِيَامِهِ وَقُعُودِهِ، فَهَلْ لَكَ -يَا رَسُولَ اللهِ- أَنْ أَقْبِضَ لَكَ الأَرْضَ فَتُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟**» قال:

---

(١) صحيح: رواه النسائي في «الكبرىٰ» (٧٦١٩)، وأبو داود (١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧١)، وابن حبان (٣٨٥٧).

(٢) في (ز): (بعد المغرب).

(٣) في (ز): (ونبهان)، وفي دار الشعب: (شيبان) والمثبت هو الصواب.

(٤) سقط من (ز).

(٥) في (ز): (قايمه).

(٦) لوحة (٢٨٩/ أ).

(٧) سقط من (ز)، وهي مثبتة عند «أبي يعلىٰ».

(٨) ضعيف جدًّا: رواه أبو يعلىٰ (١٧٩٤)، وفيه عمر بن نبهان: متروك الحديث، وصححه الألباني «صحيح أبي داود» (١٣٤١).

(٩) ضعيف جدًّا: رواه الطبراني (٢/ ٣٤/ ٢٤١٩)، وفيه مروان بن سالم الغفاري: متروك.

(١٠) في (ز): (العلاء بن محمد)، والمثبت من «أسد الغابة»، وهو الصواب.

«نَعَمْ». فصلَّىٰ عليه [(١)].

وكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب «دلائل النُّبوَّة» من طريق يزيد بن هارون، عن العلاء أبي محمَّد -وهو متهم بالوضع- فالله أعلم [(٢)].

طريق أخرىٰ: قال أبو يعلىٰ: حدَّثنا محمَّد بن إبراهيم الشامي أبو عبد الله، حدَّثنا عثمان بن الهيثم -مؤذن مسجد الجامع بالبصرة عندي-، عن [محبوب بن هلال] [(٣)]، عن عطاء بن أبي ميمونة، عن أنس قال: نزل جبريل علىٰ النَّبيِّ ﷺ فقال: «**مَاتَ مُعَاوِيَةُ بْنُ مُعَاوِيَةَ اللَّيْثِيُّ، فَتُحِبُّ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟**» قال: «**نَعَمْ**». فضرب بجناحه الأرض، فلم تبقَ شجرةٌ ولا أَكَمَةٌ إلا تضعضعت، فرفع سريره فنظر إليه، فكبَّر عليه وخلفه صفَّان من الملائكة، في كل صفٍّ سبعون ألف مَلَكٍ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**يَا جِبْرِيلُ، بِمَ نَالَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ؟**». قال: «**بِحُبِّهِ** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ **وَقِرَاءَتِهِ إِيَّاهَا** [(٤)] **ذَاهِبًا وَجَائِيًا، قَائِمًا وَقَاعِدًا، وَعَلَىٰ كُلِّ حَالٍ**» [(٥)].

ورواه البيهقي، من رواية عثمان بن الهيثم المؤذن، عن محبوب بن هلال، عن عطاء بن أبي ميمونة، عن أنس فذكره. وهذا هو الصواب، ومحبوب بن هلال قال أبو حاتم الرازي: «ليس بالمشهور». وقد روي هذا من طرق أخر، تركناها اختصارًا، وكلها ضعيفة [(٦)].

حديث آخر في فضلها مع المعوذتين: قال الإمام أحمد: حدَّثنا أبو المغيرة، حدَّثنا معاذ بن رفاعة، حدَّثني علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن عقبة بن عامر قال: لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته فأخذتُ بيده، فقلت: يا رسول الله، بِمَ نجاة المؤمن؟ قال: «**يَا عُقْبَةُ، احْرُسْ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَىٰ خَطِيئَتِكَ**». قال: ثم لَقِيَنِي رسول الله ﷺ، فابتدأني فأخذ بيدي، فقال: «**يَا عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، أَلَا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ ثَلَاثِ سُوَرٍ أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ، وَالإِنْجِيلِ، وَالزَّبُورِ، وَالقُرْآنِ العَظِيمِ؟**». قال: قلت: بلىٰ، جعلني الله فداك. قال: فأقرأني ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

---

(١) ضعيف جدًّا: رواه أبو يعلىٰ (٤٢٦٧)، وفي إسناده العلاء أبو محمد وهو ابن زيد الثقفي، قال البخاري: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: منكر الحديث، متروك الحديث.

(٢) البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٤٥).

(٣) في (ز): (محمود أبي عبد الله)، والمثبت موافق لما عند أبي يعلي، وهو الصواب، قال حسين سليم أسد: (وما علمنا فيمن روىٰ عن عطاء، وروىٰ عنه عثمان بن الهيثم من اسمه محمود بن عبد الله. ولعل كنية محبوب هي أبو عبد الله، فكانت «عن محبوب أبو عبد الله» فتحرفت إلىٰ «محمود بن عبد الله». والصواب ما أثبتناه. اهـ

(٤) لوحة (٢٨٩/ ب).

(٥) ضعيف جدًّا: رواه أبو يعلىٰ (٤٢٦٨) وفيه محبوب بن هلال، قال أبو حاتم: ليس بالمشهور، وقال ابن عبدالبر: وأسانيد هذه الأحاديث ليست بالقوية (نقلًا من التخريج علىٰ هامش أبي يعلىٰ).

(٦) «دلائل النبوة» (٥/ ٢٤٦).

ٱلنَّاسِ﴾ ثم قال: «يَا عُقْبَةُ، لا تَنْسَهُنَّ، وَلا تَبِتْ لَيْلَةً حَتَّىٰ تَقْرَأَهُنَّ». قال: فما نسيتهن منذ قال: «لا تَنْسَهُنَّ»، وما بِتُّ ليلةً قط حتىٰ أقرأهن. قال عقبة، ثم لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته، فأخذت بيده، فقلت: يا رسول الله، أخبرني بفواضل الأعمال. فقال: «يَا عُقْبَةُ: صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ»(١).

روىٰ التِّرمذي بعضه في «الزهد»، من حديث عُبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ. وقد رواه أحمد من طريقٍ آخر(٢): حدَّثنا حسين بن محمَّد، حدَّثنا ابن عياش(٣)، عن أسيد بن عبد الرحمن الخَثْعَمي، عن فرْوَة بن مجاهد اللخمي، عن عقبة بن عامر، عن النَّبيِّ ﷺ فذكر مثله سواء. تفرد به أحمد(٤).

حديث آخر في الاستشفاء بهن: قال البخاري: حدَّثنا قتيبة، حدَّثنا المفضل، عن عُقَيل، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة أن النَّبيَّ ﷺ كان إذا أوىٰ إلىٰ فراشه كُلَّ ليلةٍ جمع كفَّيْه، ثمَّ نفث فيهما فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده(٥)، يبدأ بهما علىٰ رأسه ووجهه، وما أقبل مِن جسده، يفعل ذلك ثلاثَ مراتٍ(٦).

وهكذا رواه أهل السنن، من حديث عُقَيل به(٧).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

قد تقدَّم ذكر سبب نزولها. وقال عكرمة: لما قالت اليهود: نحن نعبد عُزيرَ ابن الله. وقالت النَّصارىٰ: نحن نعبد المسيح ابن الله. وقالت المجوسُ: نحن نعبدُ الشَّمس والقمر. وقالت المشركون: نحن نعبد الأوثان -أنزل الله علىٰ رسوله ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

يعني: هو الواحد الأحد، الذي لا نظير له ولا وزير، ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، ولا يُطلَق هذا اللَّفظ علىٰ أحدٍ في الإثبات إلا علىٰ الله ﷻ؛ لأنَّه الكامل في جميع صفاته وأفعاله.

---

(١) حسن من غير هذا الطريق: رواه أحمد (٤/ ١٤٧)، وفيه علي بن يزيد الألهاني: ضعيف، ولكن رواه أحمد (٤/ ١٥٨) وإسناده حسن، وسيذكره المصنف بعده.

(٢) انظر التخريج السابق.

(٣) في (ز): (ابن عباس)، والمثبت هو الصواب.

(٤) إسناده حسن: رواه أحمد (٤/ ١٥٨).

(٥) لوحة (٢٩٠/ أ).

(٦) البخاري (٥٠١٧).

(٧) صحيح: رواه أبو داود (٥٠٥٦)، والترمذي (٣٣٩٩)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٦٢٤)، وابن ماجة (٣٨٧٥).

وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ قال عكرمة، عن ابن عبَّاس: يعني الَّذِي يصمد الخلائق إليه في حوائجهم ومسائلهم(١).

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: هو السَّيِّدُ الَّذِي قد كَمُلَ في سُؤْدِدِه، والشَّريف الذي قد كَمُلَ في [شرفه، والعظيم الَّذِي قد كَمُلَ في عظمته، والحليم الذي قد كَمُلَ في حلمه، والعليم الَّذِي قد كَمُلَ في](٢) علمه، والحكيم الذي قد كَمُلَ في حكمته، وهو الذي قد كَمُلَ في أنواع الشَّرف والسُّؤدد، وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفءٌ، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهَّار(٣).

وقال الأعمش، عن شقيق أبي وائل(٤): ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ السَّيِّدُ الذي قد انتهىٰ سُؤْدده، ورواه عاصم، ابن أبي وائل، عن ابن مسعود مثله.

وقال مالك، عن زيد بن أسلم: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ السيد. وقال الحسن، وقتادة: هو الباقي بعد خلقه. وقال الحسن أيضًا: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الحي القيُّوم الَّذِي لا زوال له. وقال عكرمة: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الذي لم يخرجْ منه شيءٌ ولا يطعم.

وقال الربيع بن أنس: هو الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ. كأنَّه جعل ما بعده تفسيرًا له، وهو قوله:

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي (الصمد) للسلف أقوال متعددة، قد يُظن أنها مختلفةٌ وليست كذلك، بل كلها صواب، والمشهور منها قولان:
أحدهما: أن (الصمد) هو الذي لا جوف له .
والثاني: أنه السيد الذي يُصمد إليه في الحوائج .
والأول: هو قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين وطائفة من أهل اللغة .
والثاني: قول طائفة من السلف والخلف وجمهور اللغويين .
ثم توسع رَحِمَهُ اللَّهُ في مأخذ ذلك واشتقاقه والمأثور فيه، إلىٰ أن قال:
وإنما أدخل اللام في ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ ولم يدخلها في ﴿أَحَدٌ﴾ لأنه ليس في الموجودات ما يسمىٰ أحدًا في الإثبات مفردًا غير مضاف، ولم يوصف به شيء من الأعيان إلا الله وحده . وإنما يستعمل في غير الله في النفي وفي الإضافة وفي العدد المطلق، وأما اسم الصمد فقد استعمله أهل اللغة في حق المخلوقين، كما تقدم، فلم يقل: صمد، بل قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ فبين أنه المستحق لأن يكون هو الصمد دون ما سواه؛ فإنه المستوجب لغايته علىٰ الكمال، والمخلوق وإن كان صمدًا من بعض الوجوه، فإن حقيقة الصمدية منتفيةٌ عنه، فإنه يقبل التفرق والتجزئة، وهو أيضًا محتاج إلىٰ غيره، فإن كل ما سوىٰ الله محتاج إليه من كل وجه، فليس أحدٌ يصمد إليه كلُّ شيءٍ ولا يصمد هو علىٰ شيءٍ إلا الله، وليس في المخلوقات إلا ما يقبل أن يتجزأ ويتفرق وينقسم وينفصل بعضه من بعض، والله -سبحانه- هو الصمد الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك، بل حقيقة الصمدية وكمالها له وحده واجبة لازمة، لا يمكن عدم صمديته بوجهٍ من الوجوه، كما لا يمكن تثنية أحديته بوجهٍ من الوجوه.

(٢) سقط من (ز). (٣) رواه ابن أبي حاتم (١٩٥٣٥).

(٤) في (ز): (الأعمش عن سفيان عن أبي وائل)، وفي معظم المطبوعات: (الأعمش عن شقيق عن أبي وائل)، والمثبت هو الصواب فـ(أبو وائل) هو (شقيق بن سلمة)، وما أثبتناه موافق لما في «تفسير الطبري».

﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾ وهو تفسيرٌ جيدٌ. وقد تقدَّم الحديث من رواية ابن جرير، عن أبي بن كعب في ذلك، وهو صريحٌ فيه.

وقال ابن مسعود، وابن عبَّاس [(١)]، وسعيد بن المسيب، ومجاهد، وعبد الله بن بُريدة [(٢)]، وعكرمة أيضًا، وسعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، وعطية العوفي، والضَّحَّاك، والسُّدِّي: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الذي [(٣)] لا جَوفَ له.

قال سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ المصمت الذي لا جوف له.

وقال الشعبي: هو الذي لا يأكل الطَّعام، ولا يشرَبُ الشَّراب.

وقال عبد الله بن بُريدة [(٤)] أيضًا: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ نورٌ يتلألأ.

روىٰ ذلك كلَّه وحكاه ابن أبي حاتم، والبيهقي، والطبراني [(٥)]، وكذا أبو جعفر بن جرير ساق أكثر ذلك بأسانيده، وقال: حدَّثني العبَّاس بن أبي طالب، حدَّثنا محمَّد بن عمرو بن رومي، عن عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش، حدَّثني صالح بن حيان، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال -لا أعلم إلا قد رفعه- قال: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الذي لا جوف له [(٦)].

وهذا غريبٌ جدًّا، والصَّحيح أنَّه موقوفٌ علىٰ عبد الله بن بريدة.

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب «السُّنَّة» له، بعد إيراده كثيرًا من هذه الأقوال في تفسير ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: وكل هذه صحيحةٌ، وهي صفات ربنا ﷻ، وهو الذي يُصْمَدُ إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهىٰ سؤدده، وهو الصَّمد الَّذِي لا جوف له، ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه. وقال البيهقي نحو ذلك أيضًا.

وقوله: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ أي: ليس له ولدٌ ولا والدٌ ولا صاحبةٌ.

قال مجاهد: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ يعني: لا صاحبة له.

وهذا كما قال تعالىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ١٠١]؛ أي: هو مالك كلِّ شيءٍ وخالقه، فكيف يكون له مِن خلقه نظيرٌ يساميه، أو قريبٌ يدانيه،

---

(١) «السنة» لابن أبي عاصم (٦٦٥)، و«السنة» للطبري (٣٩).

(٢) في (ز): (يزيد)، وهو خطأ. (٣) لوحة (٢٩٠/ب). (٤) في (ز): (يزيد).

(٥) انظر: الطبري (٣٠/ ٣٤٤-٣٤٦)، والطبراني في «السنة» (٣٧- ٥٣).

(٦) رواه الطبري (٣٠/ ٣٤٥)، والروياني في «مسنده» (٤٢)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٢/ ١١٦٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠٠)، والطبراني في «السنة» (٣٨)، وفيه صالح بن حيان: ضعيف، ولذلك رجح ابن كثيرٍ أن الصحيح أنه موقوفٌ علىٰ عبد الله بن بريدة.

تعالىٰ وتقدَّس وتنزَّه. قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1] [الصافات: ١٥٨، ١٥٩]، وفي الصحيح -«صحيح البخاري»-: «**لا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَىٰ أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا، وَهُوَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ**»[2].

وقال البخاري: حدَّثنا أبو اليمان، حدَّثنا شعيب، حدَّثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هُرَيرة عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ ﷻ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ[3] إِعَادَتِهِ. وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا. وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**»[4].

ورواه أيضًا من حديث عبد الرزاق، عن مَعْمَرٍ، عن همام بن مُنَبِّهٍ، عن أبي هريرة، مرفوعًا بمثله. تفرد بهما من هذين الوجهين.

آخر تفسير سورة «الإخلاص».

---

(١) لوحة (٢٩١/ أ). (٢) البخاري (٦٠٩٩)، ومسلم (٢٨٠٤)، وأحمد (٤/ ٣٩٠).
(٣) في (ز): (حين إعادته)، والمثبت موافق لما في «البخاري».
(٤) البخاري (٤٤٨٢) (٤٩٧٤)، والنسائي (٤/ ١١٢)، وأحمد (٦/ ٣١٧).

تفسير سورتي المعوذتين، وهما مدنيتان

قال الإمام أحمد: حدَّثنا عفان، حدَّثنا حماد بن سلمة، أخبرنا عاصم بن بَهْدَلَةَ، عن زر بنِ حُبَيشٍ قال: قلت لأبي بن كعب: إنَّ ابن مسعود [كان] (١) لا يكتب المعوذتين في مصحفِهِ؟ فقال: أشهد أن رسول الله ﷺ أخبرني أنَّ جبريل عليه السلام قال له: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ فقلتها، قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ فقلتها. فنحن نقول ما قال النَّبيُّ ﷺ (٢).

ورواه أبو بكر الحُميدي في «مسنده»، عن سفيان بن عيينة، حدَّثنا عبدة بن أُبي لُبَابةَ وعاصم بن بهدلة، أنَّهما سَمِعا زِرَّ بن حبيش قال: سألتُ أبي بن كعب عن المعوذتين، فقلت: يا أبا المنذر، إنَّ أخاك ابن مسعود يَحُكُّهُمَا من المصحف. فقال: إنِّي سألت رسول الله ﷺ، فقال: «قِيلَ لِي: قُلْ، فَقُلْتُ». فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ (٣).

وقال أحمد: حدَّثنا وَكيع، حدَّثنا سفيان، عن عاصم، عن زرٍّ قال: سألتُ ابنَ مسعودٍ عن المعوذتين فقال: سألتُ النَّبيَّ ﷺ عنهما فقال: «قِيلَ لِي، فَقُلْتُ لَكُمْ، فَقُولُوا». قال أبي: فقال لنا النَّبيُّ ﷺ فنحن نقول (٤).

وقال البخاري: حدَّثنا علي بن عبد الله، حدَّثنا سفيان، حدَّثنا عَبدَةُ بن أبي لُبَابة، عن زر بن حُبَيش - وحدَّثنا عاصم، عن زرٍّ- قال: سألت أبي بن كعب فقلت: أبا المنذر، إن أخاك ابن مسعود يقول (٥) كذا وكذا. فقال: إني سألت النَّبيَّ ﷺ فقال: «قِيلَ لِي، فَقُلْتُ». فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ (٦).

ورواه البخاري أيضًا والنسائي، عن قتيبة، عن سفيان بن عيينة، عن عبدة وعاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش، عن أبي بن كعب به (٧).

وقال الحافظ أبو يعلىٰ: حدَّثنا الأزرق بن علي، حدَّثنا حسان بن إبراهيم، حدَّثنا الصَّلْتُ بن بَهرَام، عن إبراهيم، عن علقمة قال: كان عبد الله يَحُكُّ المعوذتين من المصحف، ويقول: إنَّما أمر رسول الله ﷺ أن يتعوَّذ بهما، ولم يكن عبد الله يقرأ بهما (٨).

---

(١) سقط من (ز)، وهي مثبتة في «المسند».

(٢) إسناده حسن: رواه أحمد (٥/ ١٢٩)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٩٢)، وابن حبان (٧٩٧)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٧٥)، وهذا إسنادٌ حسنٌ من أجل عاصم بنِ أبي النجود: صدوق.

(٣) «مسند الحميدي» (٣٧٤).

(٤) إسناده حسن: رواه أحمد (٥/ ١٢٩). وانظر ما بعده.

(٥) لوحة (٢٩١/ ب). (٦) البخاري (٤٩٧). (٧) البخاري (٤٩٧٦).

(٨) رواه البزار(٥/ ٢٩ برقم١٥٨٦) ، والطبراني في«الكبير» (٩/ ٢٣٥ برقم٩١٥٢) بهذا الإسناد، وعزاه في«المطالب العالية». (٤١٩٨) لأبي يعلى.

ورواه عبد الله بن أحمد من حديث الأعمش، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد قال: كان عبد الله يحُكُّ المعوذتين من مصاحفه، ويقول: إنَّهما ليستَا مِن كتاب الله -قال الأعمش: وحدَّثنا عاصم، عن زرِّ بن حبيشٍ، عن أبي بن كعب قال: سألنا عنهما رسول الله ﷺ، قال: «قِيلَ لِي، فَقُلْتُ»(١).

وهذا مشهورٌ عند كثيرٍ من القرَّاء والفقهاء أنَّ ابن مسعودٍ كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه، فلعلَّه لم يسمعهما من النَّبيِّ ﷺ، ولم يتواتر عنده، ثمَّ لعلَّه قد رجع عن قوله ذلك إلىٰ قول الجماعة، فإنَّ الصحابة ﷺ كتبوهما في المصاحف الأئمَّة، ونفذوها إلىٰ سائر الآفاق كذلك، ولله الحمد والمنَّة.

وقد قال مسلم في «صحيحه»: حدَّثنا قتيبة، حدَّثنا جرير، عن بيان، عن قيس بن أبي حَازم، عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»(٢).

ورواه أحمد، ومسلم أيضًا، والترمذي، والنسائي، من حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن عقبة به. وقال الترمذي: حسنٌ صحيحٌ(٣).

طريق أخرىٰ: قال الإمام أحمد: حدَّثنا الوليد بن مسلم، حدَّثنا ابن جابر، عن القاسم أبي عبد الرحمن، عن عقبة بن عامر قال: بينا أنا أقود برسول الله ﷺ في نَقَبٍ(٤) من تلك النقاب، إذ قال لي: «يَا عُقْبَةُ، أَلَا تَرْكَبُ؟». [قال: فَأَجْلَلْتُ رسول الله ﷺ أن أركب مركبه. ثم قال: «يَا عُقَيْبُ، أَلَا تَرْكَبُ؟». قال:](٥) فأشفقت أن تكون معصيةً، قال: فنزل رسول الله ﷺ وركبت هنيهةً، ثم ركب، ثم قال: «يَا عُقَيْبُ، أَلَا أُعَلِّمُكَ سُورَتَيْنِ مِنْ خَيْرِ سُورَتَيْنِ قَرَأَ بِهِمَا النَّاسُ؟». قلت: بلىٰ يا رسول الله. فأقرأني: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثم أقيمت الصَّلاة، فتقدَّم(٦) رسول الله ﷺ فقرأ بهما، ثم مَرَّ بي فقال: «كَيْفَ رَأَيْتَ يَا عُقَيْبُ؟! اقْرَأْ بِهِمَا كُلَّمَا نِمْتَ وَكُلَّمَا قُمْتَ»(٧).

ورواه النَّسائي(٨) من حديث الوليد بن مسلم وعبد الله بن المبارك، كلاهما عن ابن جابر به.

ورواه أبو داود والنَّسائي أيضًا، من حديث ابن وهب، عن معاوية(٩) بن صالح، عن العلاء بن الحارث، عن القاسم بن(١٠) عبد الرحمن، عن عقبة به(١١).

---

(١) رواه أحمد(٥/ ١٢٩)، والطبراني(٩١٥٠)، وإسناده حسن.

(٢) مسلم (٨١٤)، وأحمد (٤/ ٢٥٢)، والترمذي (٢٩٠٢)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) انظر التخريج السابق. (٤) النقب: الطريق بين جبلين.

(٥) سقط من (ز)، هو مثبت في «المسند». (٦) لوحة (٢٩٢/ أ).

(٧) **صححه الألباني**: رواه أحمد (٤/ ١٤٤)، وأبو داود (١٤٦٢)، والنسائي (٨/ ٣٨٢)، وانظر «صحيح أبي داود» (٥/ ٢٠٣).

(٨) في (ز): (الترمذي). (٩) في (ز): (معن بن صالح)، وهو خطأ.

(١٠) في (ز): (القاسم أبي عبد الرحمن)، والمثبت هو الصواب.

(١١) انظر التخريج علىٰ الحديث السابق.

طريق أخرىٰ: قال أحمد: حدَّثنا أبو عبد الرحمن، حدَّثنا سعيد بن أبي أيوب، حدَّثني يزيد بن عبد العزيز الرعيني وأبو مرحوم، عن يزيد بن محمَّد القرشي، عن علي بن رباح، عن عقبة بن عامر قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوِّذات في دبرِ كلِّ صلاةٍ(١).

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي، من طرق، عن علي بن رباح. وقال الترمذي: غريب(٢).

طريق أخرىٰ: قال أحمد: حدَّثنا يحيىٰ(٣) بن إسحاق، حدَّثنا ابن لَهِيعةَ، عن مشَرح بن هاعان، عن عقبة بن عامر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقْرَأْ بِالمُعَوِّذَتَيْنِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ بِمِثْلِهِمَا». تفرد به أحمد(٤).

طريق أخرىٰ: قال أحمد: حدَّثنا حيوة بن شُرَيْحٍ، حدَّثنا بَقِيَّة، حدَّثنا بَحير بن سعد، عن خالد بن مَعْدان، عن جُبَيرِ بن نُفَيرٍ(٥)، عن عقبة بن عامر أنَّه قال: إن رسول الله ﷺ أُهْدِيَتْ له بغلةٌ شهباءُ، فركِبَها فأخذ عقبةُ يقودها له، فقال رسول الله ﷺ لعقبة اقرأ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾. فأعادها له حتَّىٰ قرأها، فعرف أنِّي لم أفرح بها جدًّا، فقال: «لَعَلَّكَ تَهَاوَنْتَ(٦) بِهَا؟ فَمَا قُمْتَ تُصَلِّي بِشَيْءٍ مِثْلِهَا»(٧).

ورواه النَّسائي عن عمرو بن عثمان، عن بقيَّة به. ورواه النَّسائي أيضًا من حديث الثوري، عن معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، عن عقبة بن عامر: أنَّه سأل رسول الله ﷺ عن المعوِّذتين، فذكر نحوه(٨).

طريق أخرىٰ: قال النَّسائي: أخبرنا محمَّد بن عبد الأعلىٰ، حدَّثنا المعتمر، سمعتُ النُّعمان، عن زياد أبي الأسد، عن عقبة بن عامر؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَتَعَوَّذُوا بِمِثْلِ هَذَيْنِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»(٩).

طريقٌ أُخْرَىٰ: قال النَّسائي: أخبرنا قتيبة، حدَّثنا اللَّيث، عن ابن عجلان، عن سعيد المقبري، عن عقبة بن عامر قال: كنتُ أَمْشِي مع رسول الله ﷺ فقال: «يَا عُقْبَةُ، قُلْ». فقلت: ماذا أقول؟ فسكت عني، ثم قال(١٠): «قُلْ». قلت: ماذا أقولُ يا رسول الله؟ [فَسَكَتَ عنِّي، فقلت: اللَّهمَّ، اردده عليَّ.

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٤/ ١٥٥)، وأبو داود (١٥٢٣)، والترمذي (٢٠٩٣) وحسنه.

(٢) انظر التخريج السابق. (٣) في (ز): (محمد بن إسحاق)، والمثبت هو الصواب.

(٤) ضعيف: رواه أحمد (١/ ١٤٦)، وفيه ابن لهيعة: اختلط، ومشرح بن هَاعَان يروي عن عقبة مناكير، وقال عنه الحافظ في «التقريب»: مقبول، ويكفي في الاستدلال ما تقدم من الأحاديث.

(٥) في (ز): (جبير بن سفيان)، وهو خطأ. (٦) في (ز): (تهازيت بها)، والمثبت موافق لما في «المسند».

(٧) رواه أحمد (٤/ ١٤٩)، وفيه خالد بن معدان: كثير الإرسال، لكنه توبع في رواية النسائي الآتية.

(٨) صحيح: رواه النسائي (٢/ ١٥٨)، والرواية الثانية إسنادها صحيح، وهي متابعة لرواية أحمد السابقة.

(٩) رواه النسائي (٣/ ٢٥٣/ ٢٥٤). (١٠) لوحة (٢٩٢/ ب).

فقال: «يَا عُقْبَةُ، قُلْ». قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ فقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، فقرأتها حتىٰ أتيت علىٰ آخرها، ثم قال: «قُلْ». قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟][1] قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، فقرأتها حتىٰ أتيت علىٰ آخرها، ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: «مَا سَأَلَ سَائِلٌ بِمِثْلِهِمَا، وَلَا اسْتَعَاذَ مُسْتَعِيذٌ بِمِثْلِهِمَا»[2].

طريق أخرىٰ: قال النسائي: أخبرنا محمَّد بن يسار، حدَّثنا عبد الرحمن، حدَّثنا معاوية، عن العلاء بن الحارث، عن مكحول، عن عقبة بن عامر: أنَّ رسول الله ﷺ قرأ بهما في صلاة الصُّبح[3].

طريق أخرىٰ: قال النسائي: أخبرنا قتيبة، حدَّثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي عمران أسلم، عن عقبة بن عامر قال: اتبعت رسول الله ﷺ وهو راكبٌ، فوضعتُ يدي علىٰ قدمه فقلت: أقرئني سورة هود أو سورة يوسف. فقال: «لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَنْفَعَ عِنْدَ اللهِ مِنْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾»[4].

حديث آخر: قال النسائي: أخبرنا محمود بن خالد، حدَّثنا الوليد، حدَّثنا أبو عمرو الأوزاعي، عن يحيىٰ بن أبي كثير، عن محمَّد بن إبراهيم بن الحارث، عن أبي عبد[5] الله، عن ابن عابس[6] الجهني: أن النَّبيَّ ﷺ قال له: «يَا ابْنَ عَابِسَ، أَلَا أَدُلُّكَ -أو: أَلَا أُخْبِرُكَ- بِأَفْضَلِ مَا يَتَعَوَّذُ بِهِ المُتَعَوِّذُونَ؟». قال: بلىٰ، يا رسول الله. قال: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ هَاتَانِ السُّورَتَانِ»[7].

فهذه طرق عن عقبة كالمتواترة عنه، تفيد القطع عند كثير من المحقِّقين في الحديث.

وقد تقدَّم في رواية صُدَيِّ بن عجلان، وفَرْوَةَ بن مُجاهد عنه: «أَلَا أُعَلِّمُكَ ثَلَاثَ سُوَرٍ لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الفُرْقَانِ مِثْلُهُنَّ؟ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾».

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدَّثنا إسماعيل، حدَّثنا الجريري، عن أبي العلاء قال: قال رجلٌ: كنَّا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ، والنَّاس يعتقبون، وفي الظَّهر قلَّة، فحانت نزلَة رسول الله ﷺ ونزلتي،

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (ز)، وهو مثبت في «النسائي».

(٢) رواه النسائي (٣/ ٢٥٢)، وإسناده حسن، محمد بن عجلان: صدوق وبقية رجاله ثقات.

(٣) رواه النسائي (٨/ ٢٥٢)، وإسناده صحيح.

(٤) رواه النسائي (٨/ ٢٥١، ٢٥٢)، وفيه يزيد بن أبي حبيب: يرسل، لكن يشهد له الروايات المذكورة مثله.

(٥) في (ز): (عبيد الله).

(٦) في (ز): (عباس)، وفي طبعة «الشعب»: (عائش) في الموضعين، والمثبت من النسائي، وهو الأقرب للصواب كما ذكره العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٧) النسائي في «الكبرىٰ» (٧٧٩٢).

فلحقني فضرب [من بعدي منكبي][1]، فقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، فقلت: أعوذ برب الفلق، فقرأها رسول الله ﷺ وقرأتها معه، ثم قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، فقرأها رسول الله ﷺ وقرأتها معه، فقال: «إِذَا صَلَّيْتَ فَاقْرَأْ بِهِمَا»[2].

الظَّاهر أنَّ هذا الرَّجل هو عقبة بن عامر، والله أعلم.

ورواه[3] النسائي عن يعقوب بن إبراهيم، عن ابن علية به.

حديث آخر: قال النسائي: أخبرنا محمَّد بن المثنىٰ، حدَّثنا محمَّد بن جعفر، عن عبد الله بن سعيد، حدَّثني يزيد بن [رومان][4]، عن عقبة بن عامر، عن عبد الله الأسلمي -هو ابن أنيس-: أنَّ رسول الله ﷺ وضع يدَهُ علىٰ صدرِهِ ثمَّ قال: «قُلْ». فلم أَدْرِ ما أقولُ، ثمَّ قال لي: «قُلْ». قلت: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم قال لي: «قُلْ». قلت: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ حتىٰ فرغت منها، ثم قال لي: «قُلْ». قلت: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ حتىٰ فرغت منها. فقال رسول الله ﷺ: «**هَكَذَا فَتَعَوَّذْ، مَا تَعَوَّذَ الْمُتَعَوِّذُونَ بِمِثْلِهِنَّ قَطُّ**»[5].

حديث آخر: قال النسائي: أخبرنا عمرو بن علي أبو حفص، حدَّثنا بَدَل، حدَّثنا شداد بن سعيد أبو طلحة، عن سعيدٍ الجُرَيريِّ، حدَّثنا أبو نَضْرةَ، عن جابر بن عبد الله قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اقْرَأْ يَا جَابِرُ**». قلت: وما أقرأ بأبي أنت وأمي؟ قال: «اقْرَأْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾». فقرأتهما، فقال: «**اقْرَأْ بِهِمَا، وَلَنْ تَقْرَأَ بِمِثْلِهِمَا**»[6].

وتقدَّم حديث عائشة أنَّ رسول الله ﷺ كان يقرأ بهنَّ، وينفث في كفَّيْه، ويمسح بهما رأسه ووَجْهَهُ، وما أقبل من جسده[7].

وقال الإمام مالك: عن ابن شهاب، عن عُرْوَةَ، عن عائشة: أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا اشتكىٰ يقرأ علىٰ نفسه بالمعوذتين وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح بيده عليه، رجاء بركتها[8].

---

(١) في (ز): (فضرب صلبي)، والمثبت موافق لما في «المسند».
(٢) رواه أحمد (٥/ ٧٩)، ورجاله ثقات غير أن الجريري اختلط.
(٣) لوحة (٢٩٣/ أ).
(٤) بياض في (ز)، والمثبت موافق لما في «النسائي».
(٥) النسائي في «الكبرىٰ» (٧٨٤٥).
(٦) النسائي (٨/ ٢٥٤)، ورجاله ثقات غير أن الجريري اختلط، ويشهد له الروايات الأخرىٰ المذكورة.
(٧) البخاري (٥٠١٧)، وأبو داود (٥٠٥٦)، والترمذي (٣٣٩٩)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٦٢٤)، وابن ماجة (٣٨٧٥).
(٨) صحيح: رواه مالك (٢/ ٩٤٢/ ١٠)، وانظر ما بعده البخاري (٥٠١٦)، ومسلم (٢١٩٢)، وأبو داود (٣٩٠٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٠٩)، وابن ماجة (٣٥٢٩).

ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف، ومسلم عن يحيىٰ بن يحيىٰ، وأبو داود عن القعنبي، والنَّسائي عن قتيبة -ومن حديث ابن القاسم، وعيسىٰ بن يونس- وابن ماجة من حديث معن وبِشْر بن عُمَرَ، ثمانيتهم عن مالك به [١].

وتقدم في آخر سورة: ﴿نٓ﴾ من حديث أبي نضرة، عن أبي سعيدٍ: أنَّ رسول الله ﷺ كان يتعوَّذ مِن أعين الجانِّ وعين الإنسان، فلمَّا نزلت المعوِّذتان أخذ بهما، وترك ما سواهما. رواه التِّرمذي والنسائي وابن ماجة، وقال الترمذي: حديثٌ حسنٌ [٢].

---

(١) انظر التخريج السابق.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٠٥٨)، والنسائي (٨/ ٢٧١). وحسنه الترمذي، وقد تقدم الحديث، وتقدم الكلام علىٰ إسناده آخر سورة ﴿نٓ﴾.

[سُورَةُ الفَلَق][1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أحمد بن عصام، حدَّثنا أبو أحمد الزبيري[2]، حدَّثنا حسن بن صالح، عن عبد الله بن محمَّد بن عقيل، عن جابر قال: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾: الصبح.

وقال العوفي، عن ابن عبَّاس: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾: الصبح. ورُوي عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وعبد الله ابن محمَّد بن عقيل، والحسن، وقتادة، ومحمَّد بن كعب القرظي، وابن زيد، ومالك عن[3] زيد بن أسلم مثل هذا.

قال القرظي، وابن زيد، وابن جرير: وهي كقوله تعالىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾: الخلق. وكذا قال الضَّحَّاكُ: أمر الله نبيه أن يتعوَّذ مِن الخَلْقِ كله.

وقال كعب الأحبار: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾: بيت في جهنَّم، إذا فتح صاح جميع أهل النَّار مِن شدَّة حرِّه، ورواه ابن أبي حاتم، ثم قال:

حدَّثنا أبي، حدَّثنا سهيل بن عثمان، عن رجل سماه، عن السُّدِّي، عن زيد بن علي، عن آبائه أنهم قالوا: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾: جُبٌّ فِي قعر جهنَّم، عليه غطاء، فإذا كُشِفَ عنه خرجت منه نار تصيح منه جهنَّم من شِدَّة حرِّ ما يخرج منه.

وكذا رُوِي عن عمرو بن عَبَسَة[4] والسُّدِّي، وغيرهم. وقد ورد في ذلك حديثٌ مرفوعٌ منكرٌ، فقال ابن جرير: حدَّثني إسحاق بن وهب الواسطي، حدَّثنا مسعود بن موسىٰ بن مشكان الواسطي، حدَّثنا نصر بن خزيمة الخراساني، عن شعيب بن صفوان، عن محمَّد بن كعب القرظي، عن أبي هُريرة، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «﴿ٱلْفَلَقِ﴾ جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ مُغَطًّىٰ» إسناده غريبٌ ولا يصح رفعه[5].

---

(١) ليست في (ز). (٢) لوحة (٢٩٣/ ب).

(٣) في (ز): (مالك بن زيد)، وهو خطأ.

(٤) في (ز): (عنبة)، والمثبت هو الصواب.

(٥) ضعيف: رواه الطبري (٣٠/ ٢٢٥)، وفيه شعيب بن صفوان: مقبول.

وقال أبو عبد الرحمن الحبلي: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ من أسماء جهنم.

قال ابن جرير: والصواب القول الأول، أنه فلق الصُّبح. وهذا هو الصحيح، وهو اختيار البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيحه».

وقوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، أي: من شر جميع المخلوقات.

وقال ثابت البناني، والحسن البصري: جهنَّم وإبليس وذريته[(١)] مما خلق.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ قال مجاهد: غاسقُ الليل إذا وقبَ غُروبُ الشمس. حكاه البخاري عنه. ورواه ابن أبي نَجِيح، عنه. وكذا قال ابن عبَّاس، ومحمَّد بن كعب القرظي، والضَّحَّاكُ، وخُصَيف، والحسن، وقتادة: إنَّه اللَّيل إذا أقبل بظَلَامِهِ.

وقال الزُّهري: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾: الشَّمس إذا غَرَبَت. وعَن عطيَّة وقتادة: إذا وَقَبَ الليل: إذا ذهب. وقال أبو المهزم، عن أبي هريرة: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ كوكب. وقال ابن زيد: كانت[(٢)] العرب تقول: الغاسق سقوط الثُّريا، وكان الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها، وترتفع عند طُلُوعِها.

قال ابن جرير: ولهؤلاء من الأثَر ما حدَّثني: نصر بن علي، حدَّثني بكار بن عبد الله -ابن أخي همام- حدَّثنا محمَّد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن أبي سلمة، عن أبي هُرَيرَةَ، عن النَّبيِّ ﷺ: «﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ **قَالَ: النَّجْمُ الغَاسِقُ**»[(٣)] قلت: وهذا الحديث لا يصح رفعه إلىٰ النَّبيِّ ﷺ.

قال ابن جرير: وقال آخرون: هو القمر.

قلت: وعمدة أصحاب هذا القول ما رواه الإمام أحمد: حدَّثنا أبو داود الحَفري، عن ابن أبي ذئب، عن الحارث، عن أبي سلمة قال: قالت عائشة ﵂: أخذ رسول الله ﷺ بِيَدِي، فأراني القمر حين يطلع، وقال: «**تَعَوَّذِي بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الغَاسِقِ إِذَا وَقَبَ**»[(٤)].

ورواه التِّرمذي والنَّسائي، في كتابي التفسير من «سننيهما»، من حديث محمَّد بن عبد الرحمن ابن أبي ذئب، عن خاله الحارث بن عبد الرحمن به. وقال التِّرمذي: حسنٌ صحيحٌ. ولفظه:

---

(١) في (ز): (وورثته).

(٢) لوحة (٢٩٤/ أ).

(٣) رواه الطبري (٣٠/ ٣٢٧)، وفيه بكار بن عبد الله بن يحيىٰ، قال أبو حاتم: ليس بالقوي، وقال مرة: شيخ. «ميزان الاعتدال» (٢/ ٣٤١)، ومحمد بن عبد العزيز بن عمر قال فيه البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك. «ميزان الاعتدال» (٣/ ٦٢٨).

(٤) حسن: رواه أحمد (٦/ ٦١)، ورجاله ثقات عدا الحارث بن عبد الرحمن: صدوق. انظر ما بعده.

«تَعَوَّذِي بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ». ولفظ النسائي: «تَعَوَّذِي بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، هَذَا الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»(١).

قال أصحاب القول الأول -وهو أنه(٢) الليل إذا ولج-: هذا لا ينافي قولنا؛ لأن القمر آيةُ اللَّيل، ولا يوجد له سلطان إلَّا فيه، وكذلك النُّجوم لا تُضِيءُ إلَّا في اللَّيل، فهو يرجع إلىٰ ما قُلْنَاه، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ قال مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والضَّحَّاكُ: يعني: السواحر -قال مجاهد: إذا رَقَيْن(٣) ونَفَثْنَ في العُقَدِ.

وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن عبد الأعلىٰ، حدَّثنا ابن ثور(٤)، عن مَعْمَرٍ، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: ما مِن شيءٍ أقرب إلىٰ الشِّرك من رقية الحيَّة والمجانين.

وفي الحديث الآخر: أن جبريل جاء إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: «اشْتَكَيْتَ يَا مُحَمَّدُ؟» فقال: «نَعَمْ». فقال: «بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ دَاءٍ يُؤْذِيكَ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ وَعَيْنِ اللهُ يَشْفِيكَ»(٥).

ولعلَّ هذا كان مِن شكواه عليه السلام حين سُحِرَ، ثم عافاه الله تعالىٰ وشفاه، وردَّ كيد السَّحَرَة الحسَّاد من اليهود في رُءُوسِهِم، وجعل تدميرهم في تَدْبِيرِهِم، وفضحهم، ولكن مع هذا لم يعاتبه رسول الله ﷺ يومًا من الدَّهر(٦)، بل كفىٰ الله وشفىٰ وعافىٰ.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا أبو معاوية، حدَّثنا الأعمش، عن يزيد بن حَيَّان، عن زيد بن أرقم قال: سَحَرَ النَّبيَّ ﷺ رجلٌ من اليهود، فاشتكىٰ لذلك أيَّامًا، قال: فجاءه جبريل فقال: «إِنَّ رَجُلًا مِنَ اليَهُودِ سَحَرَكَ، عَقَدَ لَكَ عُقَدًا فِي بِئْرِ كَذَا وَكَذَا، فَأَرْسِلْ إِلَيْهَا مَنْ يَجِيءُ بِهَا». فبعث رسول الله ﷺ [عليًّا - رضي الله تعالىٰ عنه](٧) - فاستخرجها، فجاء بها فحللها قال: فقام رسول الله ﷺ كأنَّما نَشِط مِن عقال(٨)، فما ذكر ذلك لليهودي [ولا رآه في](٩) وجهِهِ [قطُّ](١٠) حتىٰ مات(١١).

ورواه النَّسائي عن هَنَّاد، عن أبي معاوية محمَّد بن خَازم الضرير.

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٦٦)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠١٣٧). وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) في (ز): (وهو آية).

(٣) في (ز): (رفثن).

(٤) في (ز): (ثرو).

(٥) **صحيح:** رواه أحمد (٣/ ٢٨)، والترمذي (٩٧٢)، وابن ماجة (٣٥٢٣).

(٦) لوحة (٢٩٤/ ب).

(٧) سقط من (ز)، وهو مثبت في «المسند».

(٨) أي: خلي.

(٩) في (ز): (ولا وأبىٰ)، والمثبت كما في «المسند».

(١٠) سقط من (ز)، وهو مثبت في «المسند».

(١١) **صحيح:** رواه أحمد (٤/ ٣٦٧)، والنسائي (٧/ ١١٢) من حديث زيد بن أرقم، ويشهد له حديث عائشة الآتي.

وقال البخاري في «كتاب الطب» من «صحيحه»: حدَّثنا عبد الله بن محمَّد قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: أول من حدَّثنا به ابنُ جُرَيْجٍ(١) ، يقول: حدَّثني آل عُرْوَةَ، عن عروة، فسألت هشامًا عنه، فحدَّثنا عن أبيه، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ سُحِرَ، حتىٰ كان يَرَىٰ أنَّه يأتي النِّساء ولا يأتيهن -قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السِّحر، إذا كان كذا- فقال: «يَا عَائِشَةُ، أَعَلِمْتِ أَنَّ اللهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلآخَرِ: مَا بَالُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ(٢) . قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمَ -رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ حَلِيفٌ لِيَهُودَ، كَانَ مُنَافِقًا- وَقَالَ: وَفِيمَ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَةٍ(٣) . قَالَ: وَأَيْنَ؟ قَالَ: فِي جُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ تَحْتَ رَعُوفَةٍ(٤) فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ». قالت: فأتى النَّبيُّ ﷺ البئرَ حتَّىٰ استخرجه فقال: «هَذِهِ الْبِئْرُ الَّتِي أُرِيتُهَا، وَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ(٥) الْحِنَّاءِ، وَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ». قال: فاستخرج. قالت. فقلت: أفلا؟ أي: تَنَشَّرْتَ(٦) ؟ فقال: «أَمَّا اللهُ فَقَدْ شَفَانِي، وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ شَرًّا»(٧) .

وأسنده من حديث عيسىٰ بن يونس، وأبي ضَمْرَةَ أنس بن عياض، وأبي أسامة، ويحيىٰ القطان وفيه: «قالت: حتىٰ كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله». وعنده: «فأمر بالبئر فدفنت». وذكر أنه رواه عن هشام أيضًا(٨) ابن أبي الزِّناد واللَّيث بن سعد.

وقد رواه مسلم، من حديث أبي أسامة(٩) حماد بن أسامة وعبد الله بن نمير(١٠) . [ورواه أحمد، عن عفان، عن وُهَيب عن هشام به](١١)(١٢) .

ورواه الإمام أحمد أيضًا عن إبراهيم بن خالد، [عن رباح](١٣) ، عن مَعْمَرٍ، عن هشَام، عن أبيه، عن عائشة قالت: لبث رسول الله ﷺ ستَّة أشهرٍ يَرَىٰ أنَّه يأتي ولا يأتي، فأتاه ملكان، فجلس أحدهما عند رأسه،

---

(١) في (ز): (ابن جرير)، والمثبت هو الصواب، وهو موافق لما في «البخاري».
(٢) أي: مسحور، والعرب تكني بالطب عن السحر تفاؤلًا بالبراء، كما كنوا بالسليم عن اللديغ.
(٣) المشاقة: المشاطة، وهي الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية عند التسريح بالمشط.
(٤) رعوفة البئر: صخرة تترك في أسفل البئر إذا حفرت، تكون ناتئةً هناك، فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المنقي عليها، وبئر ذروان: بئر بالمدينة.
(٥) النقاعة: ما أنقع فيه الشيء، وهو هنا الماء الذي أنقع فيه الحناء.
(٦) النُّشرة: نوع من الرقية والعلاج؛ أي: هل طلبت العلاج؟
(٧) البخاري (٥٧٦٥)، ومسلم (٢١٨٩).
(٨) وقع في (ز) بعد هذه الكلمة: (ورواه أحمد بن عفان عن وهب عن هشام به)، وذكر ذلك في هذا الموطن خطأ.
(٩) لوحة (٢٩٥/أ).
(١٠) في (ز): (بحير)، وهو خطأ.
(١١) هذه العبارة التي حذفناها، وهو كذلك في «المسند» (٦/ ٩٦).
(١٢) مسلم (٢١٨٩).
(١٣) سقط من (ز)، والصواب إثباتها كما في «المسند».

والآخر عند رجليه، فقال أحدهما للآخر: ما باله؟ قال: مطبوب. قال: ومَن طبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، وذكر تمام الحديث[(١)].

وقال الأستاذ المفسِّر الثَّعلبي في «تفسيره»: قال ابن عبَّاس وعائشة ﵄: كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ فدبَّت إليه اليهود، فلم يَزَالُوا به حتَّىٰ أخذ مُشَاطةَ رأسِ النَّبيِّ ﷺ وعدة أسنان مِن مُشطِهِ، فأعطاها اليَهُودَ، فسَحَرُوه فيها. وكان الَّذِي تولَّىٰ ذلك رجلٌ منهم -يقال له: لبيد بن أعصم- ثمَّ دسَّها في بئر لبني زُرَيق، ويقال لها: ذَرْوان، فمرض رسول الله ﷺ وانتثر شعر رأسه، ولَبِث ستة أشهرٍ يَرَىٰ أنَّه يأتي النِّساء ولا يَأْتِيهِنَّ، وجعل يَذُوب ولا يَدْرِي ما عراه. فبَيْنَمَا هو نائمٌ إذ أتاه مَلَكَانِ فقَعَدَ أحدهما عند رَأْسِه والآخر عند رِجْلَيْه، فقال الَّذِي عند رِجْلَيْه للَّذِي عند رأسه: ما بال الرَّجل؟ قال: طُبَّ. قال: وما طُبَّ؟ قال: سُحِرَ. قال: ومَن سَحَرَهُ؟ قال: لبيد بن أعصم اليهودي. قال: وَبِمَ طَبَّه؟ قال: بمُشْطٍ ومُشَاطَةٍ. قال: وأَيْن هُو؟ قال: في جُفِّ طلعةٍ تحت رَاعُوفةٍ في بئر ذَرْوَان -والجف: قشر الطَّلع، والراعوفة: حجر في أسفل البئر ناتئ يقوم عليه الماتح[(٢)]- فانتبه رسول الله ﷺ مذعورًا، وقال: «**يَا عَائِشَةُ، أَمَا شَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَخْبَرَنِي بِدَائِي؟**». ثم بعث رسول الله ﷺ عليًّا والزُّبير وعمَّار بن ياسر، فنزحوا ماء البئر كأنَّه نُقَاعة الحنَّاء، ثم رفعوا الصَّخرة، وأخرجوا الجف، فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مُشْطِه، وإذا فيه وترٌ[(٣)] معقودٌ، فيه اثنتا عشرَةَ عقدةً مغروزةً بالإِبَرِ. فأنزل الله تعالىٰ السُّورتين، فجعل كلَّما قرأ آية انحلَّت عقدةٌ، ووجد رسول الله ﷺ خِفَّةً حين انحلَّت العقدة الأخيرة، فقام كأنَّما نَشطَ من عِقَالٍ، وجعل جبريل ﵇ يقول: بِاسْم الله أَرْقِيكَ[(٤)] مِن كلِّ شيءٍ يُؤْذِيك، من حاسدٍ وعينٍ اللهُ يَشْفِيكَ. فقالوا: يا رسول الله، أفلا نأخذ الخَبِيثَ نقتله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللهُ، وَأَكْرَهُ أَنْ يُثِيرَ عَلَىٰ النَّاسِ شَرًّا**» هكذا أورده بلا إسنادٍ، وفيه غرابةٌ[(٥)]، وفي بعضه نكارةٌ شديدةٌ، ولبعضه شواهد مما تقدم، والله أعلم.

---

(١)«مسند أحمد» (٦/ ٩٦). (٢)الماتح: المستقي من البئر بالدلو.

(٣)في (ز): (وإذا فيه دين)، والمثبت كما في «الكشف والبيان» للثعلبي.

(٤)لوحة (٢٩٥/ ب). (٥)في (ز): (وفيه عوانه).

[سُورَةُ النَّاسِ][1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَٰهِ النَّاسِ ③ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥﴾[2]

هذه ثلاث صفات مِن صفات الرَّبِّ ﷻ: الرُّبُوبية، والملك، والإلهيَّة؛ فهو رَبُّ كلِّ شيءٍ ومليكه وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقةٌ له، مملوكةٌ عبيدٌ له، فأُمِرَ المُسْتَعِيذُ أن يتعوَّذ بالمتَّصِف بهذه الصِّفات، مِن شرِّ الوَسواس الخنَّاس، وهو الشَّيطان الموكَّل بالإنسان، فإنَّه ما مِن أحدٍ من بني آدَمَ إلَّا وله قَرِينٌ يُزَيِّنُ له الفواحش، ولا يَألُوه جهدًا في الخَبَالِ. والمعصوم مَن عَصَمَ الله، وقد ثبت في «الصحيح» أنه: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا قَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ**». قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «**نَعَمْ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ، فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ**»[3].

وثبت في «الصَّحيح» عن أنس في قصة زيارة صفية النَّبي ﷺ وهو معتكف، وخروجه معها ليلًا ليردها إلىٰ منزلها، فلقيه رجلان من الأنصار، فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعا، فقال رسول الله: «**عَلَىٰ رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ**». فقالا: سبحان الله، يا رسول الله. فقال: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَىٰ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا**، أو قال: **شَرًّا**»[4].

وقال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي: حدَّثنا محمَّد بن بحر، حدَّثنا عدي بن أبي عمَارة، حدَّثنا زياد النّميري، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ**[5] **عَلَىٰ قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِنْ ذَكَرَ خَنَسَ، وَإِنْ نَسِيَ الْتَقَمَ قَلْبَهُ، فَذَلِكَ الْوَسْوَاسُ الْخَنَّاسُ**» غريب[6].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا محمَّد بن جعفر، حدَّثنا شعبة، عن عاصم، سمعت أبا تميمة يُحَدث عن

---

(١) ليست في (ز).

(٢) قال القاسمي رحمه الله: قال ابن تيمية: الفرق بين الإلهام المحمود وبين الوسوسة المذمومة هو الكتاب والسنة، فإن كان مما أُلقِي في النفس مما دلَّ الكتاب والسنة علىٰ أنهُ تقوىٰ لله، فهو من الإلهام المحمود، وإن كان مما دلَّ علىٰ أنهُ فجور، فهو من الوسواس المذموم، وهذا الفرق مطرد لا ينقض.

وقد ذكر أبو حازم في الفرق بين وسوسة النفس والشيطان، فقال: ما كرهتهُ نفسك لنفسك فهو من الشيطان؛ فاستعِذ بالله منه، وما أحبَّتهُ نفسك لنفسك فهو من نفسك فانهها عنهُ.

(٣) مسلم (٢٨١٤). (٤) البخاري (٦٢١٩)، ومسلم (٢١٧٥). (٥) أي: أنفه.

(٦) ضعيف: رواه أبو يعلىٰ (٤٣٩)، وفيه عدي بن أبي عمارة: ضعيف، وزياد النميري: ضعيف.

رَديف رسول الله ﷺ قال: عَثر بالنَّبيِّ ﷺ حمارهُ، فقلت: تَعِس الشيطان[١]. فقال النَّبيُّ ﷺ: «**لا تقُلْ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ؛ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، تَعَاظَمَ، وَقَالَ: بِقُوَّتِي صَرَعْتُهُ، وَإِذَا قُلْتَ: بِاسْمِ اللهِ، تَصَاغَرَ حَتَّىٰ يَصِيرَ مِثْلَ الذُّبَابِ**»[٢].

تفرَّد به أحمد، إسناده جيِّدٌ قويٌّ، وفيه دلالةٌ علىٰ أنَّ القلب متىٰ ذَكَر الله تَصَاغَر الشَّيطان وغُلِبَ، وإن لم يذكر الله تعاظم وغلب.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا أبو بكر الحنفي، حدَّثنا الضَّحَّاكُ بن عثمان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ فِي المَسْجِدِ، جَاءَهُ الشَّيْطَانُ فَأَبَسَّ بِهِ كَمَا يُبَسُّ الرَّجُلُ بِدَابَّتِهِ**[٣]، **فَإِذَا سَكَنَ لَهُ زَنَقَهُ، أو أَلْجَمَهُ**». قال أبو هُرَيرَةَ: وأنتم ترون ذلك، أمَّا المزنوق[٤] فتراه مائلًا -كذا- لا يذكر الله، وأما الملجم ففاتح فاه لا يذكر الله ﷻ. تفرَّد به أحمد[٥].

وقال سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ قال: الشيطان جاثم علىٰ قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خَنَس[٦]. وكذا قال مجاهد، وقتادة.

وقال المعتمر بن سليمان، عن أبيه: ذُكِرَ لي أن الشيطان -أو: الوسواس- ينفث في قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح، فإذا ذكر الله خنس.

وقال العوفي عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ قال: هو الشيطان يأمر، فإذا أطيع خنس[٧].

وقوله: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ هل يختص هذا ببني آدم -كما هو الظاهر- أو يعم بني آدَمَ والجِنَّ؟ فيه قَوْلَان، ويكونون قد دَخَلُوا في لفظ الناس تغليبًا.

وقال ابن جرير: وقد استعمل فيهم (رِجَالٌ منَ الجنِّ) فلا بدع في إطلاق الناس عليهم.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ هل هو تفصيل لقوله: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ ثم

---

(١) لوحة (٢٩٦/ أ).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٥٩/ ٦١)، وأبو داود (٤٩٨٢)، والحاكم (٤/ ٢٩٢)، وصححه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٥٥).

(٣) **بسست الناقة وأبسسها**: إذا سقتها وزجرتها، وقلت لها: بس بس.

(٤) قيل: أصلهُ من الزَّنقة، وهي: مَيْل في جِدَار في سِكة أو عُرْقُوب وَاد. هكذا فسره الزَّمخشري. «النهاية».

(٥) **ضعيف**: رواه أحمد (٢/ ٣٣٠)، وفيه أبو بكر الحنفي: لا يعرف حاله، كما في «التقريب».

(٦) **صحيح**: رواه الطبري (٣٠/ ٣٥٥) من طريق عنه.

(٧) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: الفرق بين الإلهام المحمود وبين الوسوسة المذمومة هو الكتاب والسنة، فإن كان ما ألقىٰ في النفس مما دل الكتاب والسنة علىٰ أنهُ تقوىٰ لله، فهو من الإلهام المحمود، وإن كان مما دلّ علىٰ أنهُ فجور، فهو من الوسواس المذموم، وهذا الفرق مطرد لا ينقض.

وقد ذكر أبو حازم في الفرق بين وسوسة النفس والشيطان، فقال: ما كرهتهُ نفسك لنفسك فهو من الشيطان؛ فاستعِذ بالله منه، وما أحبَّتهُ نفسك لنفسك فهو من نفسك فانهها عنهُ.

بينهم فقال: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ وهذا يقوي القول الثاني. وقيل قوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ تفسير للذي يُوسوس في صدور النَّاس، من شياطين الإنس والجن، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، وكما قال الإمام أحمد: حدَّثنا وَكِيعٌ، حدَّثنا المسعودي، حدَّثنا أبو عُمَرَ الدِّمشقي، حدَّثنا عبيد بن الخشخاش، عن أبي ذرٍّ قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد، فجلست، فقال: «يَا أَبَا ذَرٍّ(١)، هَلْ صَلَّيْتَ؟». قلت: لا. قال: «قُمْ فَصَلِّ». قال: فقمت فصليت، ثم جلست فقال: «يَا أَبَا ذَرٍّ، تَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ شَرِّ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ» قال: قلت: يا رسول الله، وللإنس شياطين؟ قال: «نَعَمْ». قال: قلت: يا رسول الله، الصَّلاة؟ قال: «خَيْرٌ مَوْضُوعٍ، مَنْ شَاءَ أَقَلَّ، وَمَنْ شَاءَ أَكْثَرَ». قلت: يا رسول الله فما الصَّوم؟ قال: «فَرْضٌ يُجْزِئُ، وَعِنْدَ اللهِ مَزِيدٌ». قلت: يا رسول الله، فالصَّدقة؟ قال: «أَضْعَافٌ مُضَاعَفَةٌ». قلت: يا رسول الله، أيُّها أفضل؟ قال: «جُهْدٌ مِنْ مُقِلٍّ، أَوْ سِرٌّ إِلَىٰ فَقِيرٍ». قلت: يا رسول الله، أي الأنبياء كان أول؟ قال: «آدَمُ». قلت: يا رسول الله، ونَبِيٌّ(٢) كان؟ قال: «نَعَمْ، نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ». قلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: «ثَلَاثُمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ، جَمًّا غَفِيرًا». وقال مرة: «خَمْسَةَ عَشَرَ». قلت: يا رسول الله، أيُّما أنزل عليك أعظم؟ قال: آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾(٣).

ورواه النَّسائي، من حديث أبي عمر الدمشقي به. وقد أخرج هذا الحديث مطوَّلًا جدًّا أبو حاتم ابن حبَّان في «صحيحه» بطريقٍ آخر، ولفظٍ آخرَ مطوَّلٍ جدًّا، فالله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا وَكِيع، عن سفيان، عن منصور، عن ذر بن عبد الله الهَمْداني، عن عبد الله ابن شداد، عن ابن عبَّاس قال: جاء رجل إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إنِّي أحدِّث نفسي بالشَّيءِ لأَن أَخِرَّ مِن السَّماء أحبُّ إليَّ مِن أن أتكلَّم به. قال: فقال النَّبيُّ ﷺ: «اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، الحَمْدُ للهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَىٰ الوَسْوَسَةِ»(٤).

ورواه أبو داود والنسائي، من حديث منصور -زاد النسائي: والأعمش- كلاهما عن ذرٍّ به.

آخر التَّفسير، ولله الحمد والمنَّة، والحمد لله رب العالمين.

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمَّدٍ وآله وصحبه أجمعين، ورَضِيَ الله عن الصَّحابة أجمعين. حسبنا الله ونعم الوكيل. وكان الفراغ منه في العاشر من جمادىٰ الأولىٰ سنة خمس وعشرين وثمانمائة. والحمد له وحده(٥).

---

(١) لوحة (٢٩٦/ ب). (٢) في (ز): (ومتىٰ كان)، والمثبت كما في «المسند».

(٣) حسن لغيره: تقدم التعليق عليه في أول التفسير عند تفسير الاستعاذة، فراجعه إن شئت.

(٤) صحيح: رواه أحمد (١/ ٢٣٥)، وأبو داود (٥١١٢)، والنسائي (٨/ ٣٦١).

(٥) لوحة (٢٩٧/ أ).

[خاتمة ناسخ المخطوطة][(١)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

«الحمدُ لله الَّذِي رفع السَّماء بغير عماد، وبسط الأرض وثبتها بالأَطْوَاد، ومنح معرفته ومحبته مَن شاء من العباد، وأقام لدينه أولياءَ ينصرونه ويقومُون به، [وجعل منهم النُّجَبَاءَ والأقطابَ والأوتادَ][(٢)]، وأعلىٰ مَنَار الدِّين بالعلماء العاملين، وأوضَحَ بهم طرق الرَّشاد، وقمع بهم أهل الزَّيغ والأهواء والبِدَع والفساد، وثبت لهم دينهم بالنَّقل عن نبيِّهم بصحيح الإسناد، ونفىٰ عنهم التَّدليس والشُّذوذ والانفراد.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، المتعالِي عن الشُّركاء والنُّظراء والأنداد، المنزَّه عن الحُلول والاتِّحاد والإلحاد.

وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، سيِّد العباد، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله النُّجباء الأنجاد، وصحابته السَّادة الأبرار الأمجاد، صلاة تدومُ وتقوم ما قامت السَّموات والأرض بأمرِهِ، وقابل البَيَاض السَّواد.

وبعد، فقد أمرني السَّيد الجليل، مَن وصل الله له جناح الصَّنيع الجميل، وواصل عليه السُّول، وأوصل إليه المأمول، وعمَّر بحبِّه ربوع أنسي، وأمطر بفَيْضِه ربيع نفسي، مولانا وسيِّدنا العبد الفقير إلىٰ الله سبحانه، الآمل الراجي عفوه الكريم وإحسانه، قاضي القُضَاة، حاكم الحكَّام، نجم الدِّين حجَّة الإسلام والمسلمين، سيِّد العلماء في العالمين، بهاء الملَّة، لسان الشَّريعة، عز السُّنَّة، حصن الأمَّة، خطيب الخطباء، إمام البُلَغَاء، غرَّة الزَّمان، ناصر الإيمان شيخ شيوخ العارفين، أبو حفص عُمَر ابن سيدنا ومولانا العبد الفقير إلىٰ الله تعالىٰ الشيخ الإمام العلَّامة، والحبر الفهَّامة، قدوة العلماء العاملين، أبي محمَّد حجي السَّعدي الشَّافعي -أمر أعلىٰ الله أمره، وأسنىٰ قدره، مَن لا يتقلب إلَّا في طاعته، ولا يتصرف إلا في مرضاته- أن يُكْتَبَ برسم خزانة تفسير الإمام العالم الكبير، العلامة عماد الدين ابن كثير- رحمه الله وأرضاه، وجعل بحبوحة الجنَّة مقرَّه ومثواه. فامتثلت أمره بالسَّمع والطَّاعة، وعددت هذا الأمر مِن أنفس البِضَاعة، مع أنِّي في الكتابة قليل الصِّناعة. فكتبت قدر ما قدرت عليه، ووصلت إليه[(٣)]. فإن صادفت قبولًا وبلغت مأمولًا، فيكون سعدي سعيدًا، ويقع سهمي سديدًا.. فإن وقفت بي قدرتي دون همتي... فمبلغ علمي والمعاذير تقبل.

قد جمعت هذه الخزانة الشَّريفة أشتات العلوم علىٰ الإطلاق، مَن رَامَ مثلها فهو مقصِّر عن رَوْم

---

(١) سقط من (ز).

(٢) هذا من عقائد الصوفية الباطلة.

(٣) لوحة (٢٩٧/ ب).

أسباب اللِّحاق، خصوصًا إذا كان بها هذا التفسير الذي مادَّته سنن المصطفىٰ المنبِّه علىٰ جوامع ما يزداد اللَّبيب بها بصيرة في علمه النافع، إذ كان ﷺ قد أوتي جوامع الكلام، وعلم فصل الخطاب. فلم يسمع الناس كلامًا أعم نفعًا، ولا أَقْصَر لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا. ولا أفصح عن معناه، ولا أبين في فحواه ﷺ [من كلامه](١).

فللَّه درُّ مولانا؛ إذ جمع أفراد الفضائل، ونظم آحاد العقائل، وحاز مِن العلم الذُّرىٰ والغوارب. فلا يخفىٰ علىٰ ذي لبٍّ أنَّه أغرق في الفهم فصولًا، وأعرق في العلم أصولًا، فأقول مختصرًا، وعما يليق بمدحه معتذرًا، عسىٰ يمر به من تضاعيف ثنائي عليه ما يبلغني به الزُّلفىٰ في حبه، والقربىٰ من قلبه، وتلك أمنيتي حين ألقىٰ منيتي، لا أتعداها، ولا أتمنىٰ سواها ولله در القائل:

إِذَا ابْــنُ حَجِّــي جَــادَتْ لَنَــا يَــدُهُ ... لَــمْ يُحْمَــدِ الأَجْــوَدَانِ البَحْــرُ وَالمَطَــرُ

وَإِنْ أَضَــاءَتْ لَنَــا أَنْــوَارُ غُرَّتِــهِ ... تَــضَاءَلَ الأَنْــوَرَانِ الــشَّمْسُ وَالقَمَــرُ

وَإِنْ مَــضَىٰ رَأْيُــهُ أَوْ حَــدَّ عَزْمَتُــهُ ... تَــأَخَّرَ المَاضِــيَانِ الــسَّيْفُ وَالقَــدَرُ

مَــنْ لَــمْ يَبِــتْ حَــذِرًا مِــنْ خَــوْفِ سَــطْوَتِهِ ... لَــمْ يَــدْرِ مَــا المُزْعِجَــانِ: الخَــوْفُ وَالحَــذَرُ

كَأَنَّــهُ الــدَّهْرُ فِــي نعمــي وَفِــي نِقَــمٍ ... إِذَا تَعَاقَــبَ مِنْــهُ النَّفْــعُ وَالــضَّرَرُ

كَأَنَّــهُ وَزِمَــامُ الــدَّهْرِ فِــي يَــدِهِ ... يَــرَىٰ عَوَاقِــبَ مَــا يَــأْتِي وَمَــا يَــذَرُ

فالحمدُ لله الَّذِي جعل جمَال منظركَ موازيًا لكمَالِ مخبركَ، وشامخ فرعك مقارنًا لراسخ عنصرك، والله حسبي فيك مِن كل ما يعوذ العبد به المولىٰ:

وَاسْــلَم وعِــشْ لا زلــت في نعمــةٍ ... أنــت بهــا مِــن غيــرك الأولــىٰ

وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وسلم.

كتبه الفقير محمَّد بن علي الصُّوفي البوَّاب، بالخانقاة التَّضائية، بدمشق المحروسة، حامدًا ومصليًا، ومحسبلًا ومحوقلًا، والحمد لله وحده(٢).

(١) زدناها لمقتضىٰ السياق.
(٢) لوحة (٢٩٧/ أمكرر).

الفهرس

تفسير سورة النجم ٣
- هل رأىٰ النبي ﷺ ربَّه ﷻ ١٥

تفسير سورة القمر ٣٣
- ذكر الأحاديث الواردة في انشقاق القمر في زمن النبي ﷺ ٣٥
- طرف من قصة نوح عليه السلام ٤٠
- طرف من قصة هود عليه السلام مع قوم عاد ٤٢
- طرف من قصة صالح عليه السلام مع قوم ثمود ٤٣
- طرف من قصة لوط عليه السلام مع قومه ٤٤
- طرف من قصة موسىٰ عليه السلام مع فرعون وملئه ٤٥

تفسير سورة الرحمن ٥٢
- ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ٥٩
- وصف الجنة ٦٦

تفسير سورة الواقعة ٧٩
- الواقعة اسم من أسماء القيامة ٨٠
- ذكر مآل المقربين ٨٤
- ذكر مآل أصحاب اليمين ٩٣
- ذكر مآل أصحاب الشمال ١٠٧
- تقرير المعاد والرد علىٰ المكذبين ١٠٨
- ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ ١١٣
- الاحتضار عند الموت وأحوال العباد فيه ١١٨

تفسير سورة الحديد ١٢٣
- الكون كله يسبح الله ﷻ ١٢٣
- الحث علىٰ الإنفاق في سبيل الله ١٣٠
- المؤمنون يسعىٰ نورهم بين أيديهم في عرصات القيامة ١٣٥
- ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ١٤٠
- حقيقة الحياة الدنيا والآخرة ١٤٥

- كل شيء خلقه الله بقدر ١٤٧
- أرسل الله الرسل بالمعجزات والعدل والحق ١٤٩
- الرهبانية بدعة نصرانية ١٥١

❁ **تفسير سورة المجادلة ١٥٧**

- قصة المجادِلة ١٥٧
- الظهار وأحكامه ١٥٨
- عاقبة من يحاربون الله ورسوله ١٦٤
- آداب النجوىٰ ١٦٥
- آداب المجلس، وشرف العلم وأهله ١٦٨
- ذم المنافقين ١٧٤
- عقيدة الولاء والبراء ١٧٦

❁ **تفسير سورة الحشر ١٧٩**

- ذكر ما حدث لبني النضير ١٧٩
- مال الفيء: صفته وحكمه ١٨٨
- موالاة المنافقين للكافرين ١٩٩
- الأمر بالتقوىٰ والاستعداد ليوم القيامة ٢٠١
- بيان عظمة القرآن وتمجيد الله ببعض أسمائه الحسنىٰ ٢٠٣

❁ **تفسير سورة الممتحنة ٢٠٧**

- الأمر بعداوة الكفار وترك موالاتهم ٢٠٧
- الأسوة الحسنة في إبراهيم عليه السلام وأصحابه في تبريهم من المشركين في قومهم ٢١٢
- جواز الإحسان إلىٰ الكفار غير المحاربين ٢١٤
- حرمة المسلمات علىٰ المشركين ٢١٧
- الأمور التي يبايع عليها النساء ٢٢١
- النهي عن موالاة الكافرين ٢٢٩

❁ **تفسير سورة الصف ٢٣٠**

- ذم من يقول ما لا يفعل ٢٣١
- خطاب موسىٰ عليه السلام لقومه، وتبشير عيسىٰ عليه السلام بنبينا ﷺ ٢٣٥
- الجهاد في سبيل الله هو التجارة المنجية من عذابه ٢٣٨

- المؤمنون هم أنصار الله ٢٣٩
تفسير سورة الجمعة **٢٤٢**
- الامتنان ببعثة النبي ﷺ ٢٤٢
- ذم اليهود ٢٤٤
- فضل الجمعة وبعض آدابها ٢٤٦
- النهي عن الانصراف من المسجد والإمام يخطب ٢٥٠
تفسير سورة المنافقون **٢٥٢**
- أحوال المنافقين وبيان كذبهم ٢٥٢
- إعراض المنافقين عن استغفار الرسول ﷺ لهم ٢٥٣
- النهي عن الاشتغال بالدنيا، والحث علىٰ الصدقة ٢٦١
تفسير سورة التغابن **٢٦٣**
- ذكر يوم التغابن ٢٦٤
- ما يصيب الإنسان فهو بقدر الله ٢٦٥
- التحذير من الافتتان بالأزواج والأولاد ٢٦٧
تفسير سورة الطلاق **٢٧١**
- بيان العِدة التي تطلق لها النساء ٢٧١
- حكم الإشهاد علىٰ الرجعة ٢٧٦
- ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ ٢٧٦
- عدة الآيسة من المحيض، والتي لم تحض ٢٧٩
- عدة الحامل ٢٨٠
- النهي عن التضييق علىٰ المطلقة ٢٨٤
- جزاء العتو عن أمر الله ومخالفة رسله ٢٨٦
- بيان قدرة الله التامة ٢٨٧
تفسير سورة التحريم **٢٩٠**
- عتاب الله لنبيه ﷺ في تحريمه ما أحل الله له وبيان كفارته ٢٩٠
- الأمر بوقاية النفس والأهل من عذاب الله ﷻ ٣٠٠
- الأمر بجهاد الكفار والمنافقين ٣٠٥
- المؤمن لا ينفع الكافر عند الله، والكافر لا يضر المؤمن ٣٠٦

- **تفسير سورة الملك** ٣٠٩
- فضل سورة الملك ٣٠٩
- تمجيد الله ﷻ نفسه ٣١١
- مآل الكافرين وصفة جهنم ٣١٣
- مآل الذين يخشون ربهم، ونعمة تسخير الأرض ٣١٤
- قدرة الله ودلالتها علىٰ المعاد ٣١٦
- التذكير بنعمة الله في نبع الماء ٣١٨
- **تفسير سورة ن** ٣١٩
- المراد بقوله تعالىٰ: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ٣١٩
- تفسير ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ٣٢٣
- النهي عن طاعة المكذبين ومداهنتهم ٣٢٦
- قصة أصحاب البستان، وما فيها من عبرة وعظة ٣٣٣
- تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ ٣٣٦
- حاشية نفيسة لشيخ الإسلام في نفي تأويل الصفات عن الصحابة ٣٣٦
- الأمر بالصبر وعدم الاستعجال ٣٣٨
- **تفسير سورة الحاقة** ٣٤٨
- التنبيه علىٰ عظمة القيامة وإهلاك الأمم الكافرة ٣٤٨
- سعادة من أوتي كتابه يوم القيامة بيمينه ٣٥٤
- شقاوة من أوتي كتابه يوم القيامة بشماله ٣٥٦
- القرآن كلام الله ﷻ ٣٥٨
- تقوُّل النبي ﷺ علىٰ الله محال، ولو وقع هذا لأخذه الله بالعذاب ٣٥٩
- **تفسير سورة المعارج** ٣٦٠
- العذاب واقع للكافرين لا محالة ٣٦٠
- الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة ٣٦٧
- الإنكار علىٰ الكافرين وتوعدهم بالعذاب ٣٦٨
- **تفسير سورة نوح عليه السلام** ٣٧٢
- شكوىٰ نوح عليه السلام لربه ﷻ ما لاقاه من قومه ٣٧٣
- أصنام قوم نوح وما صارت إليه ٣٧٥

- عاقبة قوم نوح ودعاؤه عليهم ٣٧٨
تفسير سورة الجن ٣٨٠
- استماع الجن للقرآن وإيمانهم به ٣٨٠
- ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ ٣٨٦
- لا أحد يعلم وقت الساعة إلا الله ٣٨٨
- لا يطلع أحد على الغيب إلا من أطلعه الله سبحانه ٣٨٩
تفسير سورة المزمل ٣٩١
- الأمر بقيام الليل ٣٩١
- الأمر بالصبر على أذى الكفار ٣٩٨
- نسخ وجوب قيام الليل ٤٠٠
تفسير سورة المدثر ٤٠٤
- أول آيات نزلت بعد: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ ٤٠٤
- الوعيد الشديد لمن قال عن القرآن: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ﴾ ٤٠٨
- ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ ٤١٢
- كل نفس متعلقة بعملها يوم القيامة ٤١٧
تفسير سورة القيامة ٤١٩
- القسم على وقوع القيامة ورد شبه المنكرين لها ٤١٩
- رؤية الله ﷻ في الآخرة ٤٢٤
- حالة الاحتضار عند الموت ٤٢٦
تفسير سورة الإنسان ٤٣١
- خلق الله الإنسان بعد أن لم يكن شيئًا ٤٣١
- ما أعده الله للكافرين من عذاب، وللأبرار من نعيم ٤٣٣
- ذم حب الدنيا والانشغال بها عن الآخرة ٤٤٠
تفسير سورة المرسلات ٤٤٢
- سَوْق المجرمين إلى مآلهم في جهنم ٤٤٥
- تهديد شديد في يوم الجمع للمكذبين: إن قدرتم أن تتخلصوا من قبضتي فافعلوا ٤٤٦
- مآل المتقين في ظلال وعيون ٤٤٧

- **تفسير سورة النبأ ٤٤٩**
- **تفسير سورة النازعات ٤٥٩**
  - طرف من قصة موسىٰ عليه السلام وفرعون ٤٦٣
  - القيامة هي الطآمة الكبرىٰ ٤٦٥
- **تفسير سورة عبس ٤٦٧**
  - حواشٍ علمية نفيسة في قوله تعالىٰ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ ٤٦٧
  - ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ ٤٧١
  - القيامة هي الصآخة ٤٧٤
  - فرار الناس يوم القيامة من أقرب الناس إليهم ٤٧٥
- **تفسير سورة التكوير ٤٧٨**
  - حاشية للإمام ابن القيم في العلة من هدم الأبنية وتسيير الجبال يوم القيامة ٤٧٨
- **تفسير سورة الانفطار ٤٩٣**
  - جزاء الأبرار والفجار ٤٩٧
- **تفسير سورة المطففين ٤٩٩**
  - كتاب الفجار وأحوالهم ٥٠٢
  - كتاب الأبرار وثوابهم ٥٠٦
  - المجرمون وعقوبة استهزائهم بالمؤمنين في الدنيا ٥٠٨
- **تفسير سورة الانشقاق ٥١٠**
- **تفسير سورة البروج ٥١٨**
  - اختلاف المفسرين في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ ٥١٩
  - قصة أصحاب الأخدود ٥٢١
- **تفسير سورة الطلاق ٥٣١**
- **تفسير سورة الأعلى ٥٣٥**
- **تفسير سورة الغاشية ٥٤٣**
- **تفسير سورة الفجر ٥٤٩**
  - أقوال المفسرين في المراد بـ: الفجر، والليالي العشر، والشفع والوتر ٥٤٩
  - حاشية في رد شيخ الإسلام علىٰ من يقول: ظاهر الصفات غير مراد ٥٦٠

❁ تفسير سورة البلد ٥٦٥

❁ تفسير سورة الشمس ٥٧٤

❁ تفسير سورة الليل ٥٨٠

❁ تفسير سورة الضحى ٥٨٨

- حاشية مفيدة في بعض بدع القراء في الختم ٥٨٩

❁ تفسير سورة الشرح ٥٩٦

❁ تفسير سورة التين ٦٠٢

❁ تفسير سورة العلق ٦٠٤

- بدء نبوة النبي محمد ﷺ وأول ما نزل من القرآن ٦٠٤

❁ تفسير سورة القدر ٦٠٩

- فضل ليلة القدر ٦٠٩
- هل كانت ليلة القدر في الأمم السالفة ٦١٤
- تعيين ليلة القدر ٦١٦

❁ تفسير سورة البينة ٦٢٤

❁ تفسير سورة الزلزلة ٦٢٩

❁ تفسير سورة العاديات ٦٣٦

❁ تفسير سورة القارعة ٦٤٠

❁ تفسير سورة التكاثر ٦٤٤

❁ تفسير سورة العصر ٦٥٢

❁ تفسير سورة الهُمزة ٦٥٤

❁ تفسير سورة الفيل ٦٥٦

- قصة أصحاب الفيل ٦٥٦

❁ تفسير سورة قريش ٦٦٦

❁ تفسير سورة الماعون ٦٦٨

❁ تفسير سورة الكوثر ٦٧٤

- المراد بـ: (الكوثر) ٦٧٤
- بعض أحكام وآداب (النحر) ٦٧٩
- عدو النبي ﷺ هو الأبتر ٦٨١

تفسير سورة الكافرون ٦٨٣
تفسير سورة النصر ٦٨٧
-هذه السورة إخبار بقرب أجل رسول الله ﷺ ٦٨٨
تفسير سورة المسد ٦٩٣
تفسير سورة الإخلاص ٦٩٨
-ذكر سبب نزولها وفضيلتها ٦٩٨
-أحاديث في تكرار قراءتها ٧٠٤
-تفسير آياتها ٧٠٩
-حاشية لشيخ الإسلام في معنى: (الصمد) ٧١٠
تفسير سورتي المعوذتين ٧١٣
-سورة الفلق ٧١٩
-سورة الناس ٧٢٤
-آخر التفسير، ولله الحمد والمنة ٧٢٦
-خاتمة ناسخ المخطوطة ٧٢٧
الفهرس ٧٢٩